

اليزيدية

يبحث عن معتقدات اليزيدية وطقائهم الروحية وأسمائهم
وشيوخهم وتعاليمهم وعاداتهم وكتبهم الدينية ومراقدهم
وأسمائهم وقبائلهم وعشائرهم والاماكن المأهولة فيهم ، وحالة
اليزيدي النفسية وخلوده الى حياة الفقر ، والرحلات التي قام بها
المؤلف بينهم ومحادثاته مع زعمائهم ، ويبحث مفصل عن الاوهام
والاخطاء التي وقع فيها الكتاب الشرقيون والغربيون فيما
كتبوه عنهم وارجاعها الى أصولها ، والفتاوى التي أصدرها
علماء الاسلام بحقهم واخبارهم التاريخية في الشيعان وسنجار .

مؤلفه

صديق المملوحي

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف »

- طبع في مطبعة الاتحاد -

الموصل - العراق

١٣٦٨ - ١٩٤٩

اليزيديون

يبحث عن معتقدات اليزيدية ومطبقاتهم الروحية وأسمائهم وشيوخهم وتقاليدهم وعاداتهم وكتبهم الدينية ومراقدهم وأساطينهم وقبائلهم وعشائرهم والاماكن المأهولة فيهم ، وحالة اليزيدي النفسية وخلوده الى حياة الفقر ، والرحلات التي قام بها المؤلف بينهم ومعادلاته مع زعمائهم ، ويبحث مفصل عن الاوهام والاختفاء التي وقع فيها الكتاب الشرقيون والغربيون فينا كتبوه عنهم وارجاعها الى اصولها ، والفتاوى التي أصدرها علماء الاسلام بحقهم واخبارهم التاريخية في الشيخان وسنجار .

مؤلفه

صديق اليملوبجي
al-Damluji

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف »

- طبع في مطبعة الاتحاد -

الموصل - العراق

١٣٦٨ - ١٩٤٩

تفريظ

الاستاذ العلامة خليل عزي بك متصرف لواء الموصل

جهد كبير متواصل حارب الكلال وحالف الصبر والثبات عشرين عاماً ، وتنبع دقيق
كافح الملل واعتضد بالتروي والأناة ليالي وأياماً ، فتم لصاحبها ما أراد من اكتشاف
مطويات أمة لم يتوصل اليها غيره من شرقيين وغربيين حتى ظهر اليوم للعالم حاملاً بيده
سفره الجليل « تاريخ الملة اليزيدية » جذلاً بثمره اتمابه ، متواضعاً في عرض انتاجه ،
كأنما جراح غروره شأن عظام النفوس وكبار العقول .

تاريخ قيم تلونه بدقة وامعان فوجدته طائفاً بالمعلومات الثمينة التي كانت خافية على علماء
التاريخ فضلاً عن سواهم . ولهذا لم أجده ما يطمئن ضمير قلبي بتقريبه سوى قولي :
أصديق لا أدري بماذا أقرض * فلست بموف حق ما لا يموض

١٩٤٩/٣/١٣

موصل : خليل عزي

2269
2604
398

تقديم

- الأستاذ الجليل ابراهيم بك الواعظ -

- رئيس محكمة استئناف الموصل -

لقد تناول الطائفة اليزيدية عدة علماء في بحوثهم الكثيرة، فمنهم من ألف كتباً، ومنهم من نشر مقالات مفصلة في هذا الموضوع، إلا أن كل واحد منهم سواء كانوا من علماء الغرب أو الشرق، لم يوف الموضوع حقه. وقد ساعدني الحظ بأن اطلعت على ما أمكنتني الاطلاع عليه من أسناد، وأخيراً فقد اطلعت - وأنا اشغل رئاسة المحاكم في لواء الموصل أحد ألوية العراق الشمالية - على هذا المؤلف الذي قام بجمعه وتأليفه الأستاذ الفاضل والمحقق الكامل صديق بك الدموجي أكبر افراد الأسرة الدموجية في الموصل، فإنه بعمله هذا لم يترك شاردة ولا واردة فيما يتعلق بهذه الطائفة إلا وسجلها تسجيلًا موافقًا للواقع.

وقد طالعت هذا الكتاب بامعان وتدقيق، فوجدته قد تناول الخليفة في معتقد اليزيدية، فقارن المؤلف بينها وبين العقيدة الاسلامية، ودل على تلك العقيدتين، ثم استطرد الى اعتقادهم في الطوفان وهو «يزيد» الذي يعتبره قسم منهم «الاله الأكبر» وقارنه مع ما ورد في التاريخ بحقه على وجه التفصيل. ثم فصل اعتقادهم في إقامة «طاؤوس ملك» وبما له من سلطان على الحق تعالى وتذلل له. وما يعتقدون بالجرة «مجر الكيش» ثم أخذ بحلل أخذهم كلمة «طاؤوس» وسبب اتخاذهم إلهاً وأنواعه والقبائل التي تدعى به، وكيف تسربت التماثيل الى متاحف أوروبا، وبين المقدسات الأخرى لليزيدية عدا الطواويس بصورة مفصلة.

ثم استطرد الى ذكر الطبقات الروحية وحقوقها، وأسرة الأمراء ونسبها وانتقال

(ج)

الإمارة إليها ، ولخص تاريخها وعاداتها وتقاليدها . وذكر « البسميرية » وهؤلاء طبقة دون الإمارة والمشايخ وتقسيمها و « البير » (١) وأقسامه ودرجاته ، والفقير وما يترتب عليه من أعمال وما يجب عليه من تقاليد ، ثم « القوال » و « المرید » و « الكوجك » وما عليه هؤلاء من الشعوذة والدجل ونبذة من تاريخ أعمالهم .

ثم تطرق إلى ذكر عوائدهم بصورة تفصيلية ، فذكر « الكرافة » (٢) والتحريم والميراث والتعميد والختان وتعدد الزوجات والطلاق والأغتسال والأخوة الأخوية ودفن الأموات ، وما يترتب عليهم بعد دفن الميت ، ومراسم الأفراح ، وآمالهم في المستقبل . ثم أخذ يفصل تاريخ حياة الشيخ « عدي بن مسافر » وآله وأعقابهم من الشيوخ .

وبين المديح المنسوب إلى الشيخ عدي ، والقصائد الشعرية للشيخ حسن وحفيده الشيخ زين الدين يوسف ، وتناول كتب اليزيدية ، وتكلم عن كتاب « الجلوة » بأسباب ، وعلق عليه تعليقات مهمة للغاية . وأثبت صورة العريضة التي قدمها اليزيدية حول طلب إعفائهم عن التجنيد ، وذلك لما احتوت عليه من كثير من معتقداتهم وتقاليدهم الدينية ، وأورد ما أخذته الديانة اليزيدية من اعتقادات ومبادئ من البرهمية والزردشتية والثنوية والمناوية والمزدكية ، وتكلم عن ذلك بتفصيل ، ثم عاد وبحث عن اعتقاد الصوفية بالاسلام في « ابليس » وعرف عن وجه تسمية اليزيدية ، وذكر مرافق أئمتهم ومشايخهم في الشيخان وسنجان ، وأعيادهم ومواسمهم ، وبادر بالكلام عن مرقد الشيخ عدي بن مسافر واتخاذ هذا المرقد زاوية ، ورجع إلى تحقيق أصلها وماذا كانت عليه قبل مجيء الشيخ عدي إليها ، وأثبت ذلك بالدلائل التاريخية ، ومنها مخطوطة لدى أحد القسس وبين ملاحظاته حولها .

وذكر العشائر اليزيدية وفرقهم وقبائلهم في الشيخان وسنجان وبقية المواقع ، وأشار إلى طائفة من زعماء جبل سنجان وذوي الوجاهة منهم ، وما لهم من الأخبار المهمة ، وأبدى مطالعة فيما يحتاج إليه يزيدي سنجان من الإصلاح .

(١) معناه بالفارسية الشيخ المسن وفي اصطلاحهم المرشد والمرئي

(٢) الكرافة - بمعنى الصداقة

ثم تطرق للبحث عن حالة اليزيدي النفسية واستكانته وقبوله الذل والخنوع ودرجة الجبن المستحكم فيه وما يتحمله من الشدائد ، وصورة معيشته ، وتجنبه الذات وخلوده الى حياة الفقر ، وتفوق المرأة اليزيدية من الرجل غير اليزيدي ، والأحكام التي تتماق بالنكاح ، وكيفية تهريب النساء والفتيات ، وكيفية عقد النكاح ، وتعدد الزوجات ، والطلاق وبحث عن نفوسهم ولباسهم ، وأورد جملة من عاداتهم وتقاليدهم .

وبعد ان أوفى هذه المواضع حقها بصورة منقطعة النظير ، تكلم عن رحلاته التي قام بها بين اليزيدية ، ومصادقاته مع علمائهم وذوي الرأي والمكانة منهم فكشف عن حقائق على غاية من الأهمية مما لم يكن ليتوصل الى معرفتها أحد .

ولما كان يرى ان الكتاب الذين بحثوا عنهم من شرقيين وغربيين وقعوا في أغملاط وأوهام عظيمة فيما كتبوه تناول كتاب « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم » للمحامي عباس المزوي نقداً ونمحيصاً ، وذكر الأخطاء التي وقع فيها عنهم ، وأرجعها الى أصولها الصحيحة ، وهكذا فعل فيما كتبه المستر جورج برسي بادجر ، ومؤلف رسالة « اليزيدية او عبدة الشيطان » والشيخ علي الشرقي ، والساحبة الانكليزية « مس روزيتا » والشيخ عبدالسلام المارديني ، والدكتور قسطنطين زريق واوليا جلبي وأبان عن أخطائهم .

وبحث عن الوصية الكبرى للامام الشيخ ابن تيمية واحتج بها على بطلان كل ما عزي الى هذا الدين ، وأرجعه الى الديانة الاسلامية ، وبحث عن الفتاوى التي أصدرها جماعة من علماء الاسلام بحق هذه الطائفة والأثر الذي تركته على الحالة السياسية والاجتماعية في هذه البلاد .

وبعد ان فرغ من هذه الأبحاث أخذ يسرد حوادثهم التاريخية في الشيخان وسنجار وبحث بحثاً مستفيضاً عن حالة جبل سنجار وانتقال اليزيدية اليه ، وما لاقاه اليزيديون من صعوبات في الدور العثماني .



لقد صرف المؤلف جهوداً جبارة في جمع الأخبار والحوادث والمعلومات حتى أصبح مؤلفه موسوعة كبرى تجرد فيها كلما يتعلق بهذه الطائفة من أخبار وعادات وتقاليدهم وتاريخهم

وتاريخ البلاد التي يسكنونها بصورة تفصيلية ... وان هذه الجهود العظيمة استغرقت مدة تتجاوز العشرين سنة ، كان المؤلف خلالها يتنقل من بلدة الى اخرى ، ومن قرية الى قرية ، ويجتمع بهذا وذاك ، واذا ما طرق سمعه خبراً أو حادثاً ، شد الرحال غير مبال بجميع العقبات التي تقف أمامه ، وكم من مرة تعرض المؤلف للموت في سبيل تحقيق أمنيته هذه ، وقد توصل اليها غير مكترث ، ولا مبال بما لاقاه من أتعاب ، وما بذله من مال .

والحق أقول ان هذا السفر الجليل هو من الأسفار العظيمة الفائدة ، إذ ان المطلع على ما فيه يستوفي معلومات تاريخية مهمة تخص هذه الطائفة وغيرها من الملل ، كما وأنه يطلع على أحوال بلادهم ، وما جرت على تلك البلاد من ويلات .
فاني أقدم الي القراء الكرام هذا الكتاب الجليل ، بهذه الكلمة المتواضعة ، والله من وراء القصد .

ابراهيم الواعظ

رئيس محكمة استئناف الموصل

شكر وثناء

إني أشكر الاستاذين الجليلين خليل عزمي بك متصرف لواء الموصل و إبراهيم بك الواعظ رئيس محكمة استئناف الموصل على تفریطها كتابي هذا كما اني أقدم وافر الشكر الى اخواني الافاضل الذين شجعوني على اخراجه وأخص بالذكر الاستاذ العلامة الدكتور داؤد بك الجلي فانه أمدني بأرائه السديدة في كثير من المسائل التي تناولت البحث عنها ولا حظاً لمسودات كتابي وأجرى التصليح عليها .

ولا يسعني من التنويه بفضل جماعة من « كرفائي » الشيوخ والبيرة والقوالين الذين لم يبخلوا علي باعطاء كل ما احتجته من اخبار ومعلومات عنهم وحديثهم معي دون تحفظ وتكتم .

اهراء الكتاب

الى صديقي الذي لا أبوح باسمه وحمسة في أذنه

صاحبك ثلاثين عاماً وهي مدة تكفي لأن تقرب بين اثنين مهما اختلفا في المبدأ والعقيدة والروح وفي كل شيء . بالغت في احترامك مجاراة لقومك ، اجتنبت عن ذكر اسمك عملاً بوصيتك التي تقول فيها : « لا تذكر اسمي ولا صفاتي لئلا يذنبوا .. » حضرت مراسم أعيادك ، اشتركت في الحفلات التي تقام لأجلك عملاً بما يحتمه علي واجب الصداقة . ولا أكتفك أني مغتبط جداً بك ، وفيك من الذكاء والفطنة والألمعية وخفة الروح ما حبيبك إلي وفتنني بك . وإذا كنت اكتفيت بجعلك صديقاً لي ولم أأخذك أستاذاً كما فعله أبو الحسين الصوفي الحلاج قبلي ، فليسك منا فيك وجهة نظر ، وخاتمة الصوفي الحلاج كما تعلم كانت ألجية جداً .

إن فطنتك ونباهتك هما اللتان جعلتاك سيداً لشعب عظيم دان بك سبعة عصور كاملة فصار بيدك آلة ماضية توجهها الى نحور أعدائك فكنت موفقاً .

ولكن اسمح لي ان أحمس بأذنك أن شعبك هذا الذي دان بك طيلة هذه العصور ، وقدم لك القرايين والندور ، وأحرق لك الند والبخور ، وتمرغ تحت أقدامك ، وذرف الدمع على أعتابك ، قد مل معاشرتك وأخذ يشمر بأنه كان مخدوعاً بك ، ويريد الآن ان يخرج من طاعتك لما لاقاه من عنت واضطهاد في سبيلك ، وأقله ان أنكره أخوه الانسان ، وأنكر عليه حقه في الحياة .

أنت يا صديقي عصبي المزاج ، سريع الانفعال ، فيك عنجوية وعجب وغرور ، وهذا ما جعلك تضحي بمكانتك الرفيعة السامية في عالم الملكوت . فرجائي منك ان لا يأخذك الغضب عندما أفشي لك هذا الخبر ، وأنا لم آت به من عندي وتعلم أني واقف على خفايا القوم وما تكنه صدورهم .

إن رفض شعبك طاعتك يعد كارثة بالنسبة اليك ، ولكن ما العمل وقد أدرك هذا العصر الذي يعبرون عنه بعصر المدنية والنور . وقد استنار عقله ، واتسعت مداركه ، ويريد ان يندمج في هذه الحياة يأخذ منها نصيبه . يريد ان يلتحق بركب الحضارة

(ح)

المهذبة ويفسل عنه وضر الجهل والضلال الذي دنسته به . ولذلك فنصيحتي لك ان تتحمل هذه الصدمة بثبات وشجاعة ولا تيأس ، وسوف لا تعدم أناساً ينخدعون بك . لننتكلم يا صديقي بصراحة - وإن لم تكن تحب الصراحة - لقد كنت قاسياً جداً على هذا الشعب ، ولم يكن لقسوتك عليه حد . أنت تعرف تاريخ الأمم والشعوب والأديان أكثر مني ، وقد سائرتها في جميع أدوار حياتها منذ الخليقة . قل لي بربك هل رأيت متشرعاً فرض على قومه الجهل والغبارة وحرهم من العلم والتعلم ، وأنزلهم منزلة الحيوانات السائمة كما فعلت ؟ ما ضرك لو جعلت فيهم من الذكاء والفطنة والعقل والتفكير شيئاً وهم قومك الخاص ، وأولادك الذين يحملون اسمك . عار عليك ان يكـونوا هكذا أغبياء وهذا لا يتفق مع عبقريتك .

لقد حكمت عليهم بالعزلة والانفراد ، وأفهمتهم انهم من عنصر خاص غير هذا البشر ، وان البشر جميعهم أنجاس قذرون وحظرت عليهم مخالطتهم ومعاشرتهم ومؤاكلتهم وحرمتهم من المزايا الانسانية ، وأوجدت فيهم طبقات متباينة ، وجعلتهم خاضعين لطبقة هيبتها عليهم وأطلقت يد هذه الطبقة في مقدراتهم وعقولهم وأرواحهم وأجسادهم ، وأنذرتهم بالفقار والغلاء والفقر والجوع والمرض والموت اذا خالفوك . وقد أطاعوك طاعة عمياء ونزلوا عند كل ما أمرتهم به ، ولكنهم مع كل ذلك بقوا في قحط وغلاء وقتل وجرح ومرض وموت ، واصبحوا سخرية للعالم وأخذ الناس يأتون من أقاصي البلاد لمشاهدتهم كمن يأتي لمشاهدة متحف للآثار .

والآن وقد تغير كل شيء في الحياة ، ومحت آية النور آية الظلام ، ونالت العقول رشدها ، وانطلقت الألسن من عقابها ، فلا عتب لك عليهم اذا أرادوا فراقك .

وأنا أكتب هذه الكلمات وقلي مملوء حزناً عليك ، فعزاء لك ، وصبر جميل على مصابك ، ورجائي منك ان تتقبل كتابي هذا كهدية متواضعة تقضى بقراءته كلما ضاع صدرك وارتبك عليك أمرك . وتجديني قد أكثر في الكلام عنك ، وأظن ان هذا ما يبهجك وينفس عنك كربتك ، اذ يعيد اليك ذكرى أدوارك الذهبية التي لعبتها فوق أشلاء أبنائك التعساء .

وبعد ان أكلت وظيفتي معك أرجوان تعتبر صداقتي معك من الآن لاغية ولا لقاء بعد هذا .



المؤلف



1871

المقدمة

حلت سنجار وأنا شاب يافع لم أتعلم من العمر عشرين ربيعاً ، وقد أحببتنا لمناظرها الخلابة ، وحدائرها الفينانة ، ومياهها الزاخرة ، وما خلعت الطبيعة عليها من جمال وبهاء ورواء . وأكثر ما كان يلفت نظري فيها أناس قد ظفروا شعورهم وأسدلوها على أكتافهم ولبسوا على رؤوسهم قبعات مخروطة عالية ، واكتسوا ثياباً بيضا فضفاضة ، يروحون ويحيئون ، وقد صحب بعضهم معهم نساءهم الجميلات وهن لا يتميزن عن الرجال بشكاهن وملابسهن عدا أنهن يلبسن عمام بيضاء ويتقنعن بقناع أبيض رقيق ، ويحتدين الأحذية الحمراء أو السوداء ، ينسج الرجال أكثرهم حفاة .

هؤلاء هم اليزيدية الذين كنت أسمع عنهم إنهم يعبدون « الشيطان » ويؤذون المسلم ، وإن ظفروا به قتلوه . وكان بخيل لي أنهم من غير جنس البشر ، لهم أنياب ونخال يعبدون بها . والآن فقد رأيتهم ، وأخذت أتكلم معهم ، وأشعر في نفسي ميلا إليهم . فمن هم هؤلاء الناس ، ولماذا سموا باليزيدية ، ومن أين جاؤوا ، وهل صحيح ما يقال عنهم إنهم يعبدون « الشيطان » ويحملون العداء للمسلم ؟ كانت هذه الأسئلة تتراحم في مخيلتي ولم أستطع جواباً عليها .

اجتمعت يوماً بسائح أجنبي في سنجار وهو في طريقه إلى حلب ، وكان يحسن العربية ودار بيننا الحديث عن اليزيدية ، فأخذ يورد الأدلة على نصرانيتهم وإنهم زاغوا عنها بعد أن انقطعوا في هذا الجبل ، ولم يكدر رجال الدين يصلون إليهم ، ومتى يستتب الأمن في هذه البلاد ، وتعود الكنائس إلى فعاليتها سيعودون إلى نصرانيتهم ، والحق أن كلام هذا السائح لم يرق لي ، وكنت أريد أن أرد عليه ، إلا أن معلوماً في الناقصة عن اليزيديين وديانتهم وتاريخهم حالت دون ذلك ، واكتفيت بأن قلت له : إذا ما قولك في يزيدية « الشيخان » ورجال الدين النصراني على صلة بهم ، وليس ما يمنعهم من أن يقولوا بواجبهم نحوهم ويعيدونهم إلى نصرانيتهم التي تخلوا عنها على ما تزعمه ؟ قال : هذا

(ل)

أمر لم يأت أوانه وسيتم كل شيء في حينه .

كان حديث هذا السائح الأجنبي أول حافز لي الى دراسة هذا الدين ، وكيف "ومنى ظهر ، وهل ان هؤلاء القوم كانوا قبلا على النصرانية وقد خرجوا عنها ؟ كانت أمامي طريقتان ، الاولى : مراجعة الكتب والمذونات الموضوعة عن هذا الدين ، وأكثرها من وضع الكتاب الأجانب ، وقد وضعوها لغايات دينية وسياسية فلا يصح التعويل عليها وما كتبه الشرقيون معظمه مأخوذ من هؤلاء الأجانب ، وقد وافقهم فيه دون بحث وتمحيص ، والطريقة الثانية : هي الاكثار من مخالطة هؤلاء القوم والوقوف على عبادتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأصول ديانتهم ، وهذه الطريقة أضمن لمعرفة صحيحة لا غش فيها ولا تضليل .

فتعلمت لغتهم ، وأكثرت مخالطتهم ، واتخذت لي « كرفاء » منهم ، فمكنت أحضر مجالسهم ونواديهم وأشار بهم في أفراحهم وتعاذبهم ، واطلم على طقوسهم الدينية وأصول عبادتهم ، وأحضر زياراتهم في مرقد « الشيخ عدي » « وطوافاتهم » التي يقيمونها في أمهات القرى ، وأباحث رجال الدين منهم وأحاورهم في شتى المسائل ، واخترت الإقامة في قرية « باعذرة » مقر الأمراء ثلاث سنين ، وأكثر من التردد الى سنجار والشيخان ومرة واحدة الى الجزيرة وطور عابدين ونصيبين ، وهكذا وقفت على أسرارهم ومخفياتهم وأصبحت حجة في مسائلهم الدينية وكانوا يستفتونني بها .

إن دراستي التي قت بها عن هؤلاء القوم الذين نسميهم الآن « باليزيدية » دلتني على أنهم كانوا قديماً على « المانوية » يعتقدون بثنوية الآلهة والاباحية والحلول ، وقد ظلوا على هذه العقيدة ولم تؤثر فيهم دعوة الاسلام ولم ينقادوا لها الى ان أدركهم « الشيخ عدي بن مسافر الأموي » - الذي يتصل بالأب الرابع بمروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين - فهداهم الى الاسلام وخلصهم من شرك الوثنية فظهر منهم : « أهل صلاح وتقوى وأهل قتال مجاهدون » وأصبحت زاويته العدوية قبلة الرواد من أصحاب السلوك والطرائق يأخذون فيها التعاليم الصوفية البريثة وينشرونها في مختلف الأقطار .

وغدا « لاش » من أعظم مراكز الارشاد والتهديب الديني والعقلي في الشرق الأدنى
وانتهى الى شيوخها تنشئة المريدين وتنظيم سلوكهم .

في هذا العصر كانت بلاد الجزيرة والفرات وسوريا وفلسطين ومصر يسودها الفلق
والاضطراب من جراء الحكم الذي يقوم به الأمراء والسلاطين من الممالك الذين بسطوا
نفوذهم عليها بطريقة الغصب والتغلب من الحروب الصليبية ، وأصبحت مسرحاً لتنافس
سيامي عنيف . وكانت الموصل يحكمها أخيراً ملوك أرميني تربي في حجر الملوك
« الانابكيين » وورث ملكهم بالغدر والخيانة . وقد سلك هذا الملوك الأرميني في إدارة
ملكه سياسة البطش والارهاق مما جعل النفوس تنهيه وتدين بالطاعة له . كل ذلك ولم
يظهر في هذه الحقبة من الزمن من اصحاب البيوتات العربية العريقة من يتصدى لطرد
هؤلاء الدخلاء في العراق والجزيرة والشام ومصر ويقيم فيها دولة عربية ويعيد اليها
سالف عزها ومجدها وسؤدها ، فالملكيون تلاشت عزائمهم بعد الاخفاق الذي منوا به
في تجارتهم العديدة التي قاموا بها لنيل الملك ، والدولة العباسية مزقتها الحوادث شر
بمزق وأفقدتها حيويتها ، والأمويون نعموا بملكهم الذي أقاموه في بلاد الاندلس ولم
يبق لهم نعمة علاقة بالشرق إلا بصيص أمل يشع في بقية رجال منهم انزروا في بقعة
مجهولة من جبل « الهكارية » سلكوا طريقة الارشاد ، ولبسوا خرقة التصوف ، فكان
الأمل معقوداً عليهم ، ولهم عصبية قوية من مريديهم تغنيهم عن عصبيتهم القومية التي
لم يبقوا عليها .

إن اول من اختلجت أمنية الحكم في نفسه من رجال هذا البيت هو : « الشيخ شمس
الدين أبو محمد الحسن » ابن « الشيخ أبي الفاخر عدي الثاني » ابن « الشيخ أبي البركات »
ابن أخي « الشيخ شرف الدين عدي بن مسافر الأموي » عميد هذا البيت ، وواضع
هذه الطريقة . والشيخ شمس الدين الحسن هو فيلسوف صوفي وعالم إلهي ، وقد ذهب
به الحماس الى نيل الملك لدرجة ان جعله يضحي بدينه ، فوضع نفسه بمنزلة الآلهة ودعا
قومه للإيمان به ، فآمنوا به واتبعوه وعدوه إلهاً وعبدوه ، وتغافوا في سبيل دعوته ،

(ن)

وكادت خطته تنجح بالنسبة اليه وبالنسبة الى العصر الذي كان فيه . ونحن لا يهمنا أفضل في خطته السياسية هذه او لم يفشل . إلا ان الذي يهمنا ما كان لدعوته من الناحية الدينية من أثر على حالة هذا المحيط ، وكيف عاش هذا الدين طول هذه العصور ثابتاً وراسخاً امام الاغصير التي عصفت به .

لقد وضع الشيخ الأموي مبادئه على غاية الاتقان بعد ان درس حالة قومه النفسية والعقلية والروحية ووقف على مواضع الضعف فيهم . فأدخل في عقولهم انهم من عنصر خاص من غير هذا البشر ، وانهم يمتازون بنبل أرومتهم وشرف محبتهم ، وأفهمهم ان البشر أنجاس قذرون لا يجوز لهم مخالطتهم ومعاشرتهم ومؤاكلتهم . وفرض عليهم « الأمية » وأحاطهم بسيج كثيف من الجهل وحرهم من النظر والتفكير في شأن من شؤون الحياة . وهذان المبدأان لهما أهميتهما وخطورتهما في حياتهم الدينية والاجتماعية ، إذ بعد ان جعلهم ينظرون الى بني الانسان نظر كراهية واحتقار بصفتهم أشرف منهم وبأنهم ليسوا أهلاً ليكونوا على قدم المساواة معهم ، فأمات فيهم كل شعور حي يدركون به فهم الاشياء المحيطة بهم ، فبقوا بعيدين عن كل تأثير خارجي ، وتم له ما أراد .

اما من ناحية العقيدة ، فقد دعاهم الى عبادة إله الشر « وهي عقيدة مجوسية » وأوجب عليهم مجاملته ومصانعته وأفهمهم ان لا خلاص لهم من شروره وآثامه إلا بتقديمهم النذور والقرايين اليه وأوجب عليهم التقرب الى بقية الآلهة الذين هم دونهم ومن أهل بيته ، ووضع عنهم التكاليف الدينية وأبدلها بما هو أخف منها ، وأباح لهم كل عمل يلقي هوى في نفوسهم ، ووعدهم بأن « عديان مسافر » سيضعهم في طبق على رأسه ويدخلهم الجنة دون حساب وعقاب . وهذا الترهيب والترغيب كان له أثره في نفوسهم ، وقد منعوا عن التفكير وحظر عليهم التحدث بأمر الدين .

كان لهذا الشيخ الأموي من بعد النظر وسعة التفكير ما لم يكن لغيره من أصحاب المذاهب الذين ظهروا في الشرق الأدنى وفي بلاد فارس في الأعصر التي تقدمته . فلا « ماني » ولا « مزدك » ولا « خرم البابكي » ولا رؤوس المذهب « الاسماعيلي »

(س)

فكروا فيها فكر فيه ووضموا مذاهبهم على الأسس والقواعد الراسخة التي وضع مذهبهم عليه . وقد ضعف شأن تلك المذاهب وزالت من الوجود، حتى ان المذهب «الاشعاري» الذي أصبح له دولة في بلاد فارس وأرهب الحكومات الاسلامية واغتال ملوكها وأمراءها وعاشت نحو (١٨١) عاماً ، قام فيها ثمانية ملوك كان لهم تنظيماتهم ووزرائهم وجيوشهم - لم يقو على ضربة واحدة أنزلها بهم سلطان المغول فزالت دولته . اما اليزيدية فقد نزل بها ألف ضربة وضربة ولم تبد تراجعاً . وقد عولج أكثر من مليوني نسمة من تابي هذا الدين بحد السيف منذ زمن ظهوره حتى عصرنا الحاضر ، فلم يظهروا توجعاً وما ذلك إلا لما لهذه التعاليم المحكمة من أثر في نفوسهم .

فلت الحكومة العثمانية قابضة على زمام الحكم في هذه البلاد نحو اربعة عصور كاملة، وهي تنظر الى هذه الطائفة كمصابة ثورية دأبها العبث بالأمن والاخلال بالنظام ، وكانت تريد اخضاعها بالقوة ، فحملت عليها بجيوشها الزاخرة المرة تلو المرة ونكلت بها ، فلم تستطع تغيير ما في نفسها . ولما جاء دور الحكومة العراقية كان من المنتظر ان تعرف الداء وتتخذ له الدواء الناجع وتدخل عليهم الاصلاح من طريق غير الطريق الذي سلكته حكومة أبناء عثمان معهم ، ولكنها أخذت كذلك تستعمل القوة معهم عندما نجد ما يدعوها الى استعماها . وسياسة القوة لم تكن مجدية وليس من شأنها ان توجد اصلاحاً في النفوس ، بل تزيدها إيماناً في الضلال والغبي ، وكان من الواجب افهامهم خطأهم فيما يعتقدونه من التميز على باقي الأجناس وان الحالة الاجتماعية تدعوهم الى ان يندمجوا في الركب الانساني ويأخذوا بأسباب الحضارة والتقدم .

وقد أكثر رجال السياسة والادارة الانكليز من الاتصال بهم - بعد تبديل الحكم في العراق - وأكثروا من التردد الى جبل منجار - أهم مراكزهم - وأوجدوا لهم منهم أصدقاء وقربى بهم وأظهروا عطفهم عليهم ، إلا انهم لم يؤيدوا هذا العطف بادخال شيء من الاصلاح عليهم ، بل تركوهم على ما هم عليه من الجهل والفقر . والانكليز

(ع)

يعرفونهم جيداً منذ عهد « لا يارد » و « بادجر » وكان الأخير ينتظر تيقظ الكنائس من رقادها لتأخذ في تنصيرهم . ولكن آمالهم خابت بعد ان علموا ان اليزيدي محال عليه ان يتهاون في دينه ، وقد جاهر أحد شيوخهم بقوله : « أن كلا من المسلمين والنصارى يزين لنا دينه ، ونحن لا نرضى بديننا بديلاً » وعندما علفت المحكمة العسكرية في سنجار سنة (١٩٣٥) سبعة من رؤسائهم على المشانق ، نادى أحدهم بحياة « يزيد » ولم يرهبه الموت .

ان دعوى رجوع اليزيدية الى المسيحية وكونها قد خرجت منها ، تدور في رأس كثير من الكتاب والباحثين الغربيين دون ان يرجعوا فيها الى تحقيق علمي او دراسة تاريخية ، وقد قاموا بهذه الدعوى بعد ان وجدوا ان ليس أحد من المسلمين يخونو عليهم ويدعي بهم ، فطمعوا فيهم وعقدوا آمالهم على أخذهم الى جانبهم .

كانت هذه الحقائق تمر من أمامي آخذة بعضها برقاب بعض ، وكنت أفكر في حياة هؤلاء القوم البائسين منذ زمن نشأتهم عندما كانوا يتوجهون الى عبادة الرحمن بعبادة خالصة وإيمان ثابت . ثم كيف حل بهم الضلال والزيغ واتخذوا لهم آلهة من شيوخهم وعبدوا « الشيطان » وابتعدوا عن الاسلام ، وكيف كان صاحب الموصل « بدر الدين لؤلؤ » يحاربهم بجيوشه الجرارة ويذبحهم ويقطع أوصالهم ويعلقها على أبواب مدينة الموصل ، وأمره الاكراد يطاردونهم في رؤوس الجبال ويوقعون المذابح فيهم ويخربون ديارهم وينهبون أموالهم ويسبون نساءهم وذراتهم . وعندما جاء دور حكومة أبناء « عثمان » كيف تنكروا لهم واخذوا يستصдرون الفتاوى الشرعية بعدم كفار أمرتدين ويطبقون حكم المرتد الكافر بحرقهم حيث نجم من وراء ذلك مجازر بشرية دامت أكثر من ثلاثة عصور ، لم يكن يرى الانسان فيها غير الدم والنار ، فعمت القوضى أنحاء البلاد وانعدم الأمن واصبحت الحياة جحيماً لا يطاق .

كنت استعرض هذه الحوادث وأرثي لحالة هذا الشعب الذي لم يكن له ما يستحق

(ف)

عليه هذه النعمة غير تمسكه بمبادي غرسها فيه شيوخه وعلمائه وهو لم يكن له مشيئة فيها ، فمن هو المسؤول عن بقاءه على هذا الضلال حتى أصبح منبوذاً محترماً مهاناً ؟ ليست الحكومة التي تولت أمره أربعة قرون كاملة ولم تدعه يوماً إلى التفاهم وتقف على مرضه وتعالجه وتشفيه ؟ والتفاهم بلغة السيف والبارود بدلاً من لغة الكلام يزيد الوحشة ويقوي أسباب التنافر والتناكر . إن التفاهم مع هذا الشعب ودعوته إلى الإصلاح ليس بالأمر الصعب وليس في الوجود إنسان لا يقبل الإصلاح حتى الزوج سكان أواسط إفريقيا ، فأرجل الأبيض أدخل عليهم الإصلاح وهذبهم بعد أن كانوا يقتنصونه ويأكلون لحمه .



ومما نأسف له أن أحداً من الكتاب الذين بحثوا عن هذا الشعب - ونخص كتابنا الشرقيين - لم يتطرق إلى الكلام عن تاريخ حياته ، والأدوار التي مرت عليه ، والحن والآلام التي لاقاها في سبيله ، وتقاعد الحكومة العثمانية التي تولت أمره عن إدخال الإصلاح عليه ، وعدته غير قابل للإصلاح وزججته إقلاعه من على الأرض ؟ لم يتكلم عن هذا أحد وكل ما قالوه وتكلموا عنه ينحصر في تمليل اسمه وكيفية اشتقاقه ، وعن عاداته وأخلاقه وأعياده ومراسم زيارته وشيوخه وعلمائه ، وهل أنه يرجع في الأصل إلى الإسلامية أو النصرانية ، ومن هو الشيخ « عدي » ؟ أمسلم عربي ، أم مجوسي تبرهي ؟ إلى غير ذلك من المسائل التي لا طائل تحتها .



كانت ولا تزال هذه المواجهات تساورني في أسر هذا الشعب الذي أحملناه ، ولم نمره اهتماماً كما لم يكن يوماً لنا مصاحباً في العقيدة والدين ، وتربطه بنا مصالح مشتركة في هذا الوطن ، فتركناه فريسة للشقاء والجهل ، وأخذ أصحاب الأديان الأخرى يظلمون به ويعدونهم لقمعة دسمة ناعمة يريدون ازدراؤها ، وفاتهم أن الظروف مهما باعدت بينه وبين المسلم لا تكفي لانكار قرابته منه من الناحية الدينية والجنسية ، فهو يشترك معه في كثير من العادات والتقاليد والعبادة ، والطابع الإسلامي لا يزال بارزاً فيه ، والرسوم التصويرية

(ص)

ظاهرة عليه ، وهو وان كان من الجنس الآري ، تربطه أواصر القربى في كثير من القبائل العربية ، تلك الأواصر التي يعترف بها ويحترمها ، ولذلك اذا وجد له الطريق معبدة سرعان ما يعود الى الاسلام ، وعودته لا تكون شيئاً بدعاً ، شأنه في ذلك شأن من عق أبويه وعاد اليهما نادماً مستغفراً .

لقد كان اهتمامي بهذا الشعب عظيماً جداً وأنا أنألم له على ما لاقاه من اجحاف في حياته المديدة لم ينعم فيها بحرية وهدوء . وقد وقفت على جميع مراحل حياته ، فكانت سلسلة مأس لم يلاقها أي شعب آخر غيره في تاريخه . وكان اهتمامي هذا به هو الذي دعاني الى تأليف كتابي هذا عنه لأدل على محله في التاريخ الاسلامي والسياسي وأبين الحيف الذي لحق به من جراء السياسة الفاشية التي سارت الحكومة العثمانية عليها وإنارتها موجة مقت وكراهية ضده وعملها على ابادته فوقت في اخطاء بحاسبها التاريخ عليها .

إن مهمتي كانت شاقة وصعبة جداً ، فكنت اختار عنه سفر يستغرق أياماً لأطلع على كتيب قديم يذكره لي عند أحمد شيوخهم . وأعرض نفسي لأخطار جمة لأقف على مراسم دينية لهم يقيمونها سرّاً وبميدة عن الأنظار ، وأدخل مع علمائهم في محاورات دينية لا تخلو من إثارة الرأي العام وحقده علي ، وأنجسهم اتباعاً شديدة لمشاهدة « مضيق » صعب جرى لهم فيه حروب عنيفة مع جيش الحكومة يذكرونها في أناشيدهم وكم من مرة حضرت حروبهم ومقاتلاتهم بغية الوقوف على الأساليب التي يتبعونها في اعمال القتال ، وان نسيت لا أنسى ما لاقيته من اخطار ومهالك عند ذهابي الى « طور عابدين » مع « كريف » لي من فقراء يزيدية سنجار وأنا في مقترب العقد الثاني من صجري لأدرس حالة سكانه البزيرية « الجليكيين » الاجتماعية والاخلاقية والمعيشية ، هذا عدا ما عانيت من آلام واسقام في الأيام الطويلة التي أمضيتها بين ظهرانيهم ، كل ذلك لا نتمكن من القيام بمهمتي على الوجه الذي أرغب فيه ولتكون دراستي عن هذا الشعب كاملة غير ناقصة .

(ق)

ولما أردت مقارنة استطلاعاتي الشخصية ومشاهداتي بما جاء في المدونات التي وضعت عن البزيرية ، ظهر لي ان ليس في تلك المدونات ما ينطق بالصواب عنهم ، ولم يكتب عنهم أحد لغاية العلم والتاريخ إلا ما ندر ، وهؤلاء ايضا شذوا فيما كتبوه ، وقد نقبت في بطون التواريخ الإسلامية فوجدتها مع خلوها من خبر يتعلق بهذا الدين تلقي ضوءاً ضئيلاً على بعض الشئ عن ظهوره وتكوينه ، وحقيقة أمر البيت « العدوي » الذين تم على يده هداية هؤلاء القوم الى الاسلام ، وكيف تطورت عقيدتهم وظهر هذا الدين وانتشر العقيدة بالسرعة الفائقة في معظم أنحاء كردستان وأوجد له فيها مساهمة مهمة وانتقل الى جبل سنجار واستقر فيه واستنكار الحكومات له ومقاومتها اياه بشتى الوسائل وما نتج من وراء ذلك من حوادث سيئة كان لها أثرها على هذا المحيط .

ان قصدي الوحيد من تأليف هذا الكتاب الذي نجمت الأخطار والمتاعب لأجله هو أولاً إيقاف الرأي العام على حقيقة هذا الشعب الذي قرونا طويلاً بين ظهرانينا دون ان يعرفه أحد حق المعرفة او يعرف تاريخه والحوادث التي ألمت به ، ثانياً : الفات نظر رجال الحكم في المملكة الى ان هنالك شعباً منسياً قد نكب في عزته وقوميته ودينه ويحتاج الى منقذ ينقذه من محنته .

وكأنني بذلك اليوم الذي أرى فيه « الطواديس » السبعة التي اتخذها هؤلاء القوم رمزاً لمعبودهم قد أخذت لها محلاً في المتحف العراقي ، وقد خفت صوت الدف والمزمار ، وتقوضت القباب ، وخبث نيران السرج والقناديل ، وانصرف المشايخ والبيرة والقوالون الى الأعمال العادية ، واستغنى الفقراء عن صبغ خرقهم بورق « الزركوز » وقضي على أحلام « الكواجك » وأخذ الأمراء يعيشون من كد يمينهم وعرق جبينهم ونال الشعب حرته وأخذ طريقه الى « مكة » بدلاً من « لالش » وما ذلك على الله بعزيز .

صديق الدمولوجي

٢٨ رجب ١٣٦٨
الموصل : ٢٥ ايار ١٩٤٩

فهرس الرسم

صفحة	الرسم	صفحة	الرسم
١٩٩	مرقد الشيخ محمد الرذاني في -	٩	الطاؤوس
	بعشيقه ويعرفه اليزيدية بقهر	١٧	الأمير سعيد بك
	الشيخ محمد ابن الحنفية	٢٤	حسين بك بن علي بك بن حسن بك
٢٠٠	نوع من الدبكه	٢٧	علي بك بن حسين بك بن علي بك
٢٠٢	معبد الشيخ عدي	٣٢	ميان خاتون بنت عبيدي بك
٢٠٤	باب مرقد الشيخ عدي	٣٩	الشيخ حاجي بن الشيخ ناصو
٢٠٥	باب مرقد الشيخ عدي	٤٧	الفقيه درويش بن سمو شير و -
٢٦٢	سمو شير وجماعة من زعماء		واخوته بخرقهم السوداء
	اليزيدية وغيرهم	٥٢	يزيدي يزور الطاؤوس
٢٨٩	فتاتان يزبدتان	٥٥	طائفه من الكواجك
٢٩٠	كوجكان	٥٧	كوجك سلمان في الوسط
٣٤١	الأمير سعيد بك وأمه ميان	٦٢	بابا شيخ الشيخ اسماعيل والأمير
	خاتون		سعيد بك
٤١٤	اسماعيل بك وفي يمينه الخوري	١٧٦	الامير سعيد بك وحاشيته
	هرمز وفي يساره سمو شير و	١٨١	مزار الشيخ محمد في بعشيقه
٤٤٤	مرقد الشيخ مند في بعشيقه	١٨٥	امطوانه الحظ
٥٠٧	قبة الشيخ حسن التي هدمها	١٩٣	الشيخ الاكبر في الصحن المجاور
	الفريق عمر باشا وأعيد بناءها		لمرقد الشيخ عدي



امير الشيخان حسين بك



(١) الخليفة في معتقد اليزيدية

لم يكن هذا الفضاء الواسع سوى ظلمات ، تجري من تحته أمواج ، وتعصف فيه رياح وليس فيه سوى الله قائماً بوحدايته ، منفرداً بربوبيته .

ولما أراد الله خلق هذه الكائنات ، أوجد من نوره الأزلي درة بيضاء وضعها فوق بيضاء وسكن عليها أربعين ألف سنة ، ثم صاح بالدرة فانفلقت وخرجت منها هذه الأرض ثم تفجرت منها الأنهر والبحار .

ولم يكن هذا الكون في بدء خلقه على نظام وترتيب ، فأرسل الله جبرائيل على صورة طير فأحسن تنظيمه ووضع له الجهات الأربعة وزاد في تنسيقه .

وخلق سفينة طاف بها في البحار ثلاثين ألف سنة ، ثم جاء (لالش) فاهتزت به الأرض وربت ولم تستقر إلا بعد أن خلق الجبال وجعلها لها أوتاداً .

ثم أمر جبرائيل فأخذ قطعتين من درة بيضاء وعلقها في السماء ، فكان منها الشمس والقمر ، وخلق مما تناثر من الدرتين مصابيح في هذا الفضاء .

وخلق أشجاراً وثماراً ونباتات وزين بها الأرض ووضع عرشاً على عرش وصعد عليه وخاطب الملائكة قائلاً : أني خالق آدم وحواء ليكونا جدين للبشر ومنها تكون الملة اليزيدية التي تدعي ملة « عزازيل » وهو « طاووس ملك » .

وخلق يوم الاحد ملكاً سماه عزازيل وهو « طاووس ملك » .

وفي يوم الاثنين خلق ملكاً سماه دردايل وهو « الشيخ حسن » (٢) .

وفي يوم الثلاثاء خلق ملكاً سماه أسرافيل وهو « الشيخ شمس » (٣) .

(١) مأخوذ من الكتاب الاسود (مصحف رش) وهو ثاني كتابهم الدينيين
(٢) و (٣) كلاهما واحد ويلقب الشيخ حسن بشمس الدين وعرفوه بالشيخ شمس

- وفي يوم الاربعاء خلق ملكا سماه ميكائيل وهو « الشيخ ابو بكر » .
وفي يوم الخميس خلق ملكا سماه جبرائيل وهو « الشيخ سجادين » (١) .
وفي يوم الجمعة خلق ملكا سماه شمنائيل وهو « الشيخ ناصر الدين » .
وفي يوم السبت خلق ملكا سماه نورائيل وهو « الشيخ نجرالدين » (٢) .
وجعل « طاووس ملك » رئيساً للجميع .

ثم نزل الى الأرض وأخذ بيده قلماً وبدأ يكتب الخليفة ، فكتب ستة آله من نوره وذاته فكان خلقهم « كما يوحد انسان سراجا من سراج » . ثم قال للآله انى خلقت السماء فليخلق كل واحد منكم شيئاً ، فخلق الأول الشمس ، والثاني القمر ، والثالث الفلك والرابع نجمة الصبح « الفرغ » والسادس الفردوس ، والسابع الجحيم . (٣)

لم يكن طاووس ملك في بدء أمره إلا ملكاً من الملائكة ، فبزه الله على كافة الملائكة

(١) يراد به الشيخ سراج الدين

(٢) وفي نسخة الشيخ بدين

(٣) ان نظرية التكوين عند اليزيدية عبدة الطاووس هي عين نظرية التكوين عند الاسلام ، وقد وضعوها بالشكل الذى يتفق وعقائدهم . ونظرية التكوين عند كافة الديانات ترجع الى اصل واحد . ففي اسطورة بابلية تقول : (في البدء قبل ان تعرف السماء ويعرف للأرض اسم كان المحيط وكان البحر ومنه حصلت الكائنات) ، وفي اسطورة فرعونية تقول : (في البدء كان الماء الاول او المحيط المظلم وكان الاله « آمون » وحده وهو خالق الآلهة والبشر والاشياء) . وفي اسطورة اخرى تقول : (ان الارواح كانت ترفرف فوق البحار وفي الفضاء ، وتغذرواح الآله بهذا الفضاء وخلق كل شيء : الأرض والسماء) ويقول سفر التكوين العبراني : (في البدء خلق الله السموات والأرض وروح الله ترفرف على وجه المياه) . ان عقيدة الديانة العبرية في التكوين هي كما جاء في الصفحة الاولى من العهد القديم (التوراة) ان الله بدأ بخلق السماوات والأرض وكانت الأرض خالية وخربة ، وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرفرف على وجه الماء . ففي اليوم الاول خلق النور ودعا النور نهراً والظلمة ليلاً ، وفي اليوم الثاني خلق السماء ، وفي اليوم الثالث خلق جميع المياه بمكان واحد وأظهر اليابسة وابتت العشب والبقل والاشجار والأنهار ، وفي اليوم الرابع خلق الشمس والقمر والكواكب لتنير الأرض ، وفي اليوم الخامس خلق الدبابات والطيور ، وفي السادس خلق البهائم والوحوش ، وقال الله : نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيسلفون على سمك البحر وعلى طيور السماء فخلق الله الانسان على صورته ذكراً وانثى ، خلقهم وسلطهم على كل طير يطير في السماء وحيوان يدب على وجه الأرض وسمكة في البحر وفرغ الله في اليوم السابع .

أما الديانة الاسلامية فقد أيدت ما جاء في سفر التكوين من ان الحلقة كانت ستة ايام بصورة اجمالية دون ان تعد الايام يوماً فيوماً وجاءت بآيات متفرقات حول الحلقة في مختلف السور من القرآن منها :-

وانخذ عونا له وفرض على الملائكة طاعته ، ولما طغى واستكبر غضب عليه وألقاه في نار جهنم ، ولبت فيها سبعة آلاف سنة يقامى صنوف الآلام وأنواع العذاب وظل يبكي على نفسه حتى ملأ سبعة أكواب من دموعه وهناك من الله عليه بالغفران وأرجعه الى الفردوس الاعلى ، غير ان الملائكة ما برحوا يهزأون به ويسخرون منه ، فشكاهم الى الحق تعالى فغضب عليهم ولعنهم ، ورفعهم الى منزلة الابرار والصادقين وجعله قريناً له وأشرکه في ملكه .

وقد أمر الحق ان تحفظ السبعة اكواب الملائكة من دموع طاووس ملك في احدى زوايا جهنم الى ان يعود الشيخ عدي من الارض ويطلق بها نيران جهنم على أمته (١) .

ولما أراد الله ان يخلق البشر ويسكنه الارض التي أعدها له ، نزل أرض المقدس وأمر جبرائيل ان يأتي له بتراب من أربع جهات الارض ، فمجنه بالماء والهواء والنار وخلق منه روحاً سماه (آدم) وخلق من ضلعه الايسر حواء وأسكنهما الارض ، فتناسلا وكثرا

(الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرجع اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) . ومنها : (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مستان لغوب) . ومنها : (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء) . ومنها : (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرهاً ولكن اكثر الناس لا يعلمون) . وقد سكت علماء الاسلام عن تفسير الايام الستة التي وقعت فيها الخلقة مكتفين بان اليوم الواحد كان مقداره خمسين الف سنة . واذا كان القرآن الكريم لم يعد ايام الخلقة بصورة تفصيلية . فقد ورد في حديث عن ابن عباس ان اليهود أتوا الى النبي (ص) فسأله عن ابتداء الخلق فقال : خلق الله الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ، وخلق الجبال وما فيها من المنافع يوم الثلاثاء ، وخلق الماء والشجر والمدائن والعيون يوم الاربعاء فلذلك قوله جل جلالته (أنتم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله (سواء للسائلين) وخلق يوم الخميس السماء والكواكب والنجوم والملائكة ، وخلق يوم الجمعة النار وادم عليه السلام . قالوا ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش ..) - اخبار الزمان ص ٤ -

(١) وفي نسخة اخرى للكتاب الاسود : ان جهنم اخلقت في زمن آدم الاول . ولما جاء آدم الثاني، وهو الذي يرجع اليه اليزيديون وكان يسمى (الابريق الاصفر) وهو صاحب كرامات ويعتقد به رفاقه ، ونظر الى جهنم حزن حزناً عظيماً وظل يبكي سبعة سنين الى ان ملأ بقبوفا كان لديه من دموعه وقد اطلقها نيران جهنم وخلص قومه من عذابها .

وملا البسيطة ثم كتب عليهم الفناء وأبادهم جميعا بعد مضي عشرة آلاف سنة ، وما ترك احدا غير الجن يسبحون بحمده ويقدمونه .

ثم عاد بعد ذلك بخلقهم ويبيدهم هكذا خمسة أجيال ، وفي الجيل السادس خلق (آدم) جد البشر الحالي وأسكنه و (حواء) الجنة وأباح لها التمتع بنعيمها وأكل ثمارها عدا شجرة الخنطة فإنه منعهما عنها .

وأمر الله (طاووس ملك) ان يسجد لآدم بعد ان أنم خلقه ، فاستكبر وعصى بحجة انه خلق من نور وآدم خلق من تراب ، فلا يسجد لمن هو أحط منه مادة ، فغضب عليه وأراد ان يطرده مرة ثانية ، إلا أنه ما لبث ان أدرك عجزه فعفا عنه وابقاه في منزلته .

وأراد (طاووس ملك) ان ينتقم من آدم ، وكان آدم على جانب من الغفلة والسذاجة فأغراه بأكل شجرة الخنطة التي نهاه الله تعالى عنها قائلا له إنها شجرة الخلد ، وأقنعه بأنه لا يكون مخلدا ما لم يأكل منها ، فوقع في شركه ، وأكل من تلك الشجرة ، ولكن سرعان ما انتفخت بطنه ، فجاء طير وظل ينقر به الى ان فتح له مخرجا وهناك استراح من الانتفاخ الذي أصابه .

ظل آدم يبكي مائة سنة حزنا على مخالفة أمر ربه ، إلا ان بكاءه لم يجدي نفعا فأمر الله بطرده من الجنة وإنزاله الى الارض هو وحواء وأباحتها له (١) .
وقد أنامت حواء مائة وأربعين بطناً ذكراً وأنثى إلا (شهيد ابن جرة) فإنه لم يكن له توأم بل هو سر من الاسرار خلقه الله ليميز به طائفة من البشر ، وهم (اليزيدية) شعبه الخاص .

تزوج كل أخ بأخته التي ولدت معه في بطن واحد إلا (شهيد ابن جرة) فقد أرسل طاووس ملك اليه حورية من الجنة فتزوجها وولدت له ولداً سماه (يزدان) واليزيدية

(١) ان قصة آدم وابليس وطرد آدم من الجنة وإنزاله الى الارض تناولها جميع اصحاب الديانات التي ظهرت في الازمنة قبل التاريخية . فقد جاء ذكرها في قوانين حمورابي التي وجدت مدونة على الاحجار ونشرت في سنة ١٩٠٠ ويظهر ان حمورابي اخذها من (السومريين) بعد نكبة بلدة (اريدو) المقدسة

من نسله . ومن اجدادهم الاولون (مرج ميران) بن (نوح) بن (يزدان) .
ويقال ان نزاعا وقع بين آدم وحواء في الولد هل هو منه ام منها ، فنزل جبرائيل من
السما ووضع شهوة كل واحد منها في جرة وختمها . وبعد تسعة اشهر جاء وفتح الجرة
التي فيها شهوة حواء فلم يجد فيها سوى ديدانا وخنافس ، أما الجرة التي ألقى فيها شهوة
آدم فوجد فيها ولدين ذكرًا وأنثى ومنها تناسلت الملة اليزيدية .
وجعل الله في صدر آدم تدينين لارضاع ولديه اللذين خلقا من غير حواء ، فالتديان
في صدر كل رجل من الأعضاء الغامضة لها أثر تلك الخلقة .

وقد ظهر من صلب (شهيد ابن جرة) الذي تناسلت الملة اليزيدية منه جميع الانبياء
والمرسلين والأولياء والصالحين والعلماء والمصلحين ، منهم الشيخ عدي بن مسافر ، ويزيد
بن معاوية ، وحسن البصري ، والشيخ عبد القادر الكيلاني ، والشيخ محمد بن الحنفية ،
وشمس الدين التبريزي ، وقضيب البان وغيرهم إلا (محمد) نبي الاسلام فهو من ابناء
آدم الآخرين الذين تزوج كل واحد منهم باخته التي ولدت معه .

ولما تم أمر الخليقة ، وفرغ الله من عمله ، اختار العزلة وأودع شؤون العالم الى

وسجلها في قانونه . وربما عرفتها الاقوام التي ظهرت قبل السومريين ولكن بشكل آخر . وفي الآثر
الاسلامية ان آدم خلق يوم الجمعة لست خلون من نيسان وسماه الله لباساً من خضرة واسجد له ملائكته
فسجدوا الا ابليس وكان ملصكا على الارض يصعد الى السماء متى شاء ، فأبى السجود لآدم وقال انا كنت
خليفتك على الارض وهو من تراب كنت أطؤه ، وأنا من نار وهو من طين فلي الفضل عليه من كل
جانب وافضله بالاجنحة التي أغشى بها افطار الارض في اقل من لمح البصر . فلما امتنع السجود ابلسه الله ولعنه .
وجاء ان الله تعالى بعد ان خلق آدم وحواء وأسكنهما الجنة ، اباحهما جميع ما فيها الا الشجرة التي
نهاهما عنها ، وعلى قول اكثر اهل العلم انه كان البر ، ولما رأى آدم ما اعطيه من الكرامة اشتاق الى الخلود
فقطع فيه ابليس فاحتمل عليه حتى ادخله الجنة فخطب حواء فيها وقال : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا لتكونا ملائكة او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لسمما من الناصحين » ولم يزل يحواء حتى اكلت
من الشجرة واطعمت منها آدم فأكل ، فلما أكل منها انكشف لباسهما عنهما الى اطراف اصابهما وبدت لهما
سؤاتهما فطفقا يأخذان من ورق الجنة ويستتران بها . فقال الله عز وجل : قد جعلت هذه الشجرة غذاء
للسما ولتربكما يعني الشجرة التي أكل منها عاصيين فاهبطوا جميعاً اتما وابليس والحية فان بعضكم لبعض
عدو . - اخبار الزمان ص ٤٩ -

(طاؤوس ملك) لما أصبح له من النفوذ والقوة ، وخافه البشر وخشي بطشه وغضبه . وبدأ طاؤوس ملك منذ ذلك الحين يبعث الأنبياء والرسل الى الأرض ليعلموا البشر تعاليمه وينذروهم عقابه فيما اذا خالفوه وعصوا أمره . فالذين آمنوا به واتبعوه كان عطفه عليهم عظيماً ، والذين خالفوه وعصوا أمره لا يزال يسلط عليهم العال والأمراض جزاء لهم .

﴿ اعتقادهم في الطوفان ﴾

يعتقد اليزيدية بظهور طوفانين على الأرض . فالطوفان الاول ظهر على زمن (نوح) جزاء للجنس البشري على سوء اعماله ، وهم المسلمون والنصارى واليهود الذين تناسلوا من آدم وحواء باستثناء اليزيدية الذين هم من عنصر خاص . أما الطوفان الثاني فقد شملهم وكان نصيبهم منه مثل ما كان لغيرهم . وقد قامت السفينة من عين ماء جارية في قرية (عين سفني) شرقي الموصل حتى وصلت جبل سنجار فأصطدمت بقمة عالية من الجبل وانخرقت وكادت تفرق لو لم تلتف حبة كانت في السفينة على نفسها وتسد الخرق . ولم تستقر السفينة إلا على الجودي (١) .

وكرثت الحيات بعد ذلك وأخذت تؤذي الناس والحيوان فجمعوها وأحرقوها فكانت البراغيث من رمادها ، وقد تكرر العنصر اليزيدي من (نعمي) المنحدر من نسل (ملك

(١) ان قصة الطوفان اخذت بها جميع الاقوام التي ظهرت في العصور الاولى للتاريخ . ويعتبر بعض المدققين ان اول من ذكرها المصريون القدماء ، فقد شوهدت بعض النقوش على جدران مقبرة (سيني الاول) فرعون مصر تشير الى هلاك البشر فعبروا عنه بالطوفان واخذتها الامم السائرة عنهم ومنجوها باقويل عديدة مختلفة حسب المؤثرات التي كانت تحيط بهم . وقد تحقق من الحفريات التي جرت في جنوبي العراق ان بلدة (اريدو) خربت بالطوفان العام فهلك من كان فيها وفي جوارها . وكان اول من اخذ هذه القصة عنهم السكندانيون في ما بين النهرين (مه زوبوتاميا) . وقد اكتشف العلامة الانكليزي (جورج سميث) في خرائب نينوى الحبر السماء (سارواندبوليس) وهي محفوظة في لندن وعليها قصة حادثة الطوفان . ونصت قوانين (حورابي) على ان الطوفان ظهر في العراق ، والمراجع انه اخذ ذلك عن السومريين .

ومن الاقوام التي اخذت بقصة الطوفان ، الفرس . فيقولون ان العالم قد فسد من اعمال (اهرمن) فوجب غسله بالماء . ويقول بها اليهود كما هو مكتوب بالتوراة . وفي القرآن ان الطوفان الذي ارسله الله على الأرض كان على عهد (نوح) اذ أمره ان يصنع الفلك ويأخذ معه نساءه واولاده ومن الحيوانات من كل زوجين اثنين .

والطوفان العام ليس مجرد اسطورة خيالية او مسموخ من اسطورة فرعونية انما هو ما احدثته قطع الجليد عند ذوباتها في الادوار الجليدية وفي اوائل الدور الرابع الارضي فأهلك من كان في العراق كافة .

ميران) كما تكاثرت العناصر الاخرى من نسل (حام) الذي أهان أباه .
مضى على الطوفان حتى الآن سبعة آلاف سنة ، وفي كل الف سنة ينزل إله من
الآلهة السبعة الى الأرض فيضع الشرائع ويصلح ما فسد من أمر اليزيدية . وكان نزول
الله الى الأرض في الألف السنة الاخيرة أكثر من سائر الأوقات، وكان يتكلم بالكرديّة
وفيها يضع القوانين والشرائع .

﴿ اعتقادهم في ظهور يزيد (١) ﴾

كان نبي الاسماعيليين (يريدون به محمداً) يسلك في عمله مسلكا يخالف مراضى الحق
فعاقبه بوجع الرأس ولما اشتد عليه الوجع أمر خادمه (معاوية) ان يحلق رأسه ليخف
عنه ، وكان معاوية يحسن الخلاقة ، وبينما هو يحلقه جرحه وأسأل دمه ، وخوفاً من ان
يراه محمد لطع الدم بلسانه ، فقال له محمد أخطأت ، وسيأتي من صلبك من يكون عدواً
لأمّتي ، فأجابه بأنه سوف لا يتزوج أبداً ، وأخيراً تسلطت على معاوية العقارب ولدغته
في وجهه فجزم الأطباء بموته إن لم يتزوج ، فزوج امرأة في الثمانين لبأمن حبلها ،
ولكن هذه العجوز ما لبثت ان ظهرت في اليوم الثاني فتاة في ريعان العمر وحملت
(يزيد) الذي أصبح إلهاً للعلّة اليزيدية .

يقول الكتاب الأسود بعد ان سرده هذه القصة ، اما اليزيدية فلا يدعون لهذه الرواية
ولا يصدقون بها إذ يعتقدون ان (يزيد) هو إلههم الكبير ويعرفون صورته وتمثاله
وهو على شكل ديك لا يزالون يحتفظون به ويتوجهون بعبادتهم اليه .

﴿ اعتقادهم في اقامة طاؤوس ملك ملوكا لهم ﴾

جاء في الكتاب الاسود ان الفساد لما انتشر في الارض نزل (طاؤوس ملك) وأقام
لشعبه ملوكا - عدا ملوك آشور القدماء - منهم نسروخ وهو (ناصر الدين) وطاموش
وهو (نجر الدين) وارطيموس وهو (ملك شمس الدين) وملكان آخران وهما شابور
الاول والثاني دام ملكها مائة وخمسين سنة ومن نسلها ظهر امراء اليزيدية الحاليون .

(١) هو ابن معاوية بن ابى سفيان ، وامه ميسون ابنة بجيد الكلبيّة من بني حارثة . استمر ملكه
ثلاث سنين ونصف سنة (٦٠-٦٤هـ) وقد غدا ممقوتاً لوقوع حادثة كربلاء الاليمية على عهده ولم يذكر
انه وضع ديانة دان بها احد من البشر .

وكان لهم ملك في بابل اسمه (بختنصر) وآخر في العجم اسمه (حشوراش) وفي القسطنطينية ملك اسمه (اغريقالوس) .

وكانت الديانة البزيدية تسمى قبل المسيح بالديانة الوثنية ، وكان مملوك آحاب ومنهم (بلعزوب) الذي يطلق عليه الآن (بيزوب) على هذه الديانة .

﴿ اعتقادهم بما لطاؤوس ملك من النفوذ على الحق تعالى ﴾

(وتذلل الحق - جل وعلا - له)

يتناول الفوالون حكاية ذكرها مصحف رش - الكتاب الاسود - ان الحق تعالى غضب على (عيسى) وسجنه في جب عميق ووضع على قم الجب صخرة كبيرة . فاستغاث عيسى بالرسول والانبياء ليشفعوا له عند الله فلم يجبه احد منهم ، فأتاه أحد معارفه وناداه من قم الجب : مسكين أنت يا عيسى ! لماذا لم تستغث بطاؤوس ملك ، فهو وحده يقدر على تخليصك من هذا السجن . فلما استغاث به ادركه على الفور ورفع الصخرة من على قم الجب وأخلى سبيله .

ولاقى (الحق) عيسى في السماء وسأله : من أخرجه من الجب وأتى به الى هنا ؟ أجابه : طاؤوس ملك . فلما سمع ذلك تغاضى عنه وذهب في سبيله ولم ينبس ببنت شفة .

﴿ اعتقادهم بالمجرة - مسحال الكبش - ﴾

يتناول البزيدية اسطورة تتلخص في ان الحق تعالى دعا الشيخ عديا مع جماعة من مريديه الى وليمة أولمها لهم في السماء ، وعندما لم يجدوا في السماء تبناً لخيوهم ، أمر الشيخ عدي أحد مريديه أن يهبط الى الارض ويأتي بتبن من بيده . فلما كان المريد يعود بالتبن تناثر منه شيء على الطريق فبقى أثره في السماء الى يومنا هذا ولذا يسمونه درب التبان (١) .

(١) ويسمى بالتركية (صمان يولي) وبالفارسية (كهكشان) ويؤديان عين المعنى . ويسميه الفرنسيون (طريق القديس جاك) وهو القديس جاك دي غاليسيا ، ويؤمنون انه خطه للبطل شارلمان ليدله على الطريق الواضح في حروبه الشعواء مع عرب اسبانيا .



﴿ الطاؤوس ﴾

أخذ اليزيدية الطاؤوس رمزاً للشيطان بعد أن حظر عليهم تسميته باسمه . فكيف ومن أخذوا هذا الاسم ؟ وهل كان أخذه من باب الصدفة والاتفاق أم من منبع اجنبي كما يدعيه بعض الكتاب الاجانب ؟ فكتب السير والتاريخ والتفسير نذل على ان الملك المنبوذ قبل ان طرد من الجنة كان يسمى (طاؤوس الملائكة) لطافة شكله وجميل صورته ، وفي اللغة (الطوس) بمعنى حسن الوجه ونضارته ومنه اشتق اسم (طاؤوس) ويطلق على الجميل من الرجال . ويستدل من ذلك أن هذا الاسم أخذ من منبع اسلامي محض وهو عربي صرف . أما علماء المشرقيات المولعين بتحليل هذه الاسماء وارجاعها الى أصول اجنبية فقد ذهبوا مذاهب شتى في تعيين اصل هذا الاسم . فالمستشرق الفرنسي الموسيو (ف . نو) صاحب كتاب « النصوص والبراهين على الملة اليزيدية » ذهب الى ان كلمة (طاؤوس) محرفة من (ثيؤس) التي تفيد معنى الآلهة باليونانية ، زيد عليها ملك فأصبحت (طاؤوس ملك) اي الملك الآله (ص ١٧) وبعد ان ذكر (ص ٢٦ ، ٢٧) ان طاؤوس ملك هو الآله السامي الذي كان قبل الموجودات ، وهو لا نهاية له ، ويسود الخلاق ، وهو موجود في كل مكان ، ويرسل خدامه الى العالم لكي يفرقوا بين الضلالة والايمان قال : « ومن هنا نستدل على ان كلمة (طاؤوس) محرفة من (ثيؤس) الآله ، اذ لا يخفى ان هذه الكلمة أخذها مسيحيو هذه البلاد من اليونانيين واستعملوها كثيراً

في صلواتهم » .

ومؤلف آخر ذهب بتعليقه إلى أبعد من المستشرق الفرنسي فقال : ان هذه الكلمة مشتقة من الآله (تموز) لدى الاغريقين ، وقال ايضا : ليس ببعيد ان يكون (الطاؤوس) الذي تعبده البزيرية هو طاؤوس الآلهة الاغريقية (هيرا) الذي كان يقرب اليها كما يشاهد في اللوحة الموجودة في إحدى المحلات في روما المدعو (بلازوديكلي كونيير - ناتوري) . وطاؤوس (هيرا) مذكور في (ج ١١ ص ١٤١) من دائرة معارف الاديان والاخلاق في المقالة التي تبحث عن الرموز . والطاؤوس الذي هو من الفن الاغريقي ويعود الى الآلهة (هيرا) أصبح للمسيحيين رمزا للبعث . ويروى انهم لذلك كانوا يعتقدون ان لم الطاؤوس لا يتعفن .

ويدعي هذا المؤلف ان عبادة الطاؤوس لدى البزيرية لم تظهر على زمن (الشيخ عدي) بل ترجع بالقدم الى ما قبل ذلك . وذكر ان قبيلة في اداسط الهند تسمى « موري » تعبّد الطاؤوس الحي .

أما قوله ان قبيلة « موري » تعبّد الطاؤوس الحي فيجوز ان يكون صحيحا ، أما أن يكون لعبادة البزيرية الطاؤوس علاقة بهذه القبيلة ومنها اقتبسوا هذا النوع من العبادة فليس بصحيح . فان البزيرية لم يعبدوا الطاؤوس إلا بعد ان ذهب بهم الخيال الى إيجاد شيء يرمزون به عن الشيطان الذي حظر عليهم تسميته بهذا الاسم عندما اتخذوه إلهًا . فقد جاء في الفصل الرابع من كتابهم (الجلوة) : « لا تذكروا اسمي ولا صفاتي لانكم لستم تعلمون ما يفعله الاجانب » وقد رمزوا عنه بالطاؤوس عملا بتقليد اسلامي محض كما قلنا آنفا .



للبزيرية سبعة طواويس يرمزون بكل واحد منها على أحد آلهتهم ويسمونهم السناجق (كناية عن تخصيصهم كل واحد منها لأحد الجهات التي توجد فيها البزيرية) مصنوعة من النحاس على شكل طير او بطة يعتقدون انها من صنع القدرة يحتفظ بها الرئيس الديني لأملة البزيرية ، الجالس على كرسي يزيد ، في حجرة تسمى « خانة طاؤوس » وهو وحده

الذي يأمر باخراجها من محلها واعطائها « للقوالين » لطواف بها . والعادة ان يذهب القوالون بها الى مرقد الشيخ عدي فيباركونها بالماء المقدس ، ويزيلون الصداً الذي علق بها بماء السحاق ثم يدهنونها بدهن الزيت يأخذون من جوار المرقد تراباً فيمجنونه بالماء المقدس ويضعون منه بنادق صغيرة يهدونها الى البزيدية عند زيارتهم الطاووس .

وبعد إكمالهم هذه العملية يذهب القوالون بالسنجق الى الجهة المختصة به ، وعندما يقتربون من القرية او الجماعة التي يقصدونها يرسلون أحدهم اليهم لاعلامهم بمجيئهم ، فيهرع أهل القرية جميعاً رجالاً ونساء لاستقبالهم وقد لبسوا أخيراً ملائهم وهم يرتلون الأغاني الشعبية والدينية والنساء يزغردن لهم فيأخذن ذوو الثراء والوجاهة بالمزايدة على السنجق فمن أعطى ثمناً أعلى من غيره يأخذه ضيفاً الى داره ، وهو في حقيقة يحملها القوالون على اكتافهم . وهناك يخرجونه ويضعونه في الحل المعد له بعد ان يتأكدوا من عدم وجود أحد من غير البزيدية ، ثم يأتي أهل القرية زرافات ووحدانا فيسجدون له ويقبلونه ويقدمون له خيراتهم الموسمية ويتضرعون له ان يغفر لهم خطاياهم ويقبهم هم وأولادهم وأهل بيتهم شره وسخطه . ثم يقف القوالون وهم بين زامر بالمزمار وناقر على الدف فيعزفون بايقاع حار يذوب فيه التفكير البزيدي الذي ما زال حالماً في طفولة ضيقة فيستحوذ على الجميع وحدة من الحس تضطرب بين الخوف والرجاء ، فيرقصون على الايقاع الشرقي الحزين رقصات خاصة ، وقد يبلغ بهم طغيان الحس الى ان يرفعوا الطاووس من مكانه فيشركونه معهم بهذا النوع من الاضطراب الموزون .

وفي هذا اليوم المبارك يكثر من احراق البخور وايقاد الشموع والقناديل ويسهرون على حراسة السنجق خوفاً من ان تمتد اليه يد أجنبية . وينحصر صاحب الدار الذي نزل السنجق ضيفاً عليه بقرة او ثوراً اكراماً له ، ويصنع أهل القرية طعاماً وافراً فيأكلون ويشربون ويأنسونه . وفي اليوم الثاني يضع القوالون السنجق في حقيبتهم وينهبون به الى قرية اخرى .

﴿ ما يقال عن سرقة عدد من الطواويس وتسربها الى متاحف اوربا ﴾

اتضح لنا ان الطاووس او السنجق ، هو التمثال الذي يرمز به البزيدية الى إلههم .

وقد يعبدونه ويقدمون اليه نذورهم وخيراتهم ويحرصون على أن لا تقع انظار الغير عليه او تمتد يد اليه . والاوربيون الذين يحرصون على كل اثر قيس او نادر لا يسعهم ان يتركوا متاحفهم خالية من مثل هذا النمثال الذي يمثل الألوهية عند شعب له شأنه ، وله تاريخه لذلك اقتنى المتحف البريطاني تمثالا يقال انه خرج من معبد اليزيدية في الدهادية ؟ قرب ديار بكر في كردستان عام ١٨٣٨ كان لدى اليزيدية الساكنين في المنطقة الخالتيه ، وقد أهداه الى المتحف المستر « ايمر شويغر » من كلكتا عام ١٩١٢ وقد بحث عن هذا النمثال المستر ر . ه . و . أميسن في كتابه « طاؤوس ملك » المطبوع في لندن عام ١٩٢٨ وزين به اول صحيفة من كتابه وقال عنه انه متشكل من ثلاث قطع ومركز على قاعدة ومطلي بالآمنه (الانتيمون) وقد زينت حاشية ذيله بصور بشر وحيوانات (تتعاقب صور الانسان والغزال في القسم العلوي منه) ورأسه مرصع بأحجار الفيروزج ويبلغ ارتفاعه ٣٥ عقدة . ونحن ننكر ان يكون هذا الطاؤوس من طواويس اليزيدية وقد خرج من أيديهم فان الطواويس السبعة الموجودة عند اليزيدية تخالفه شكلا وحجا وجميعها على شكل واحد وهي ما بين الحمام والبطه وكل منها يكون من قطعة واحدة ، وليس عليها طلاء ولا نقوش ، وارتفاع الواحد منها لا يزيد على ثنائي عقد .. واذا سلمنا جدلا بان اليزيدية طاؤوسا على الشكل الذي وصفه ، وقد خرج من أيديهم حقيقة فيجب ان يكون قد خرج من « الشيخان » لا من « الدهادية » في منطقة الخالتيه في ديار بكر إذ التقليد الديني لم يبح لاحد من اليزيدية مها كانت منزلته الدينية ان يكون في حوزته سنجق عدا الامير الجالس على كرسي يزيد وهو خليفته ، ولو كان ليزيدية الخالتيه سنجق لوجب ان يكون ليزيدية سنجار وطور عابدين وحلب وبديس ووان سنجق مثلهم ، وهذا لا تجوزه الشريعة اليزيدية مطلقا ، ثم أين هو معبد « الدهادية » في المنطقة الخالتيه في ديار بكر ؟ نحن واثقون بانه لا يوجد محل تسكنه اليزيدية يحمل هذا الاسم في هذه المنطقة لا فيما مضى ولا في الحال الحاضر .

وللاب انستاس الكرملي مقال بعنوان « الاكتشافات الجديدة حول الاسرار اليزيدية » نشرته مجلة « انثروبوس » في عددها السابع من سنة ١٩١١ مع تصوير يشبه

تماما الطاووس الذي أهدها المستر شويغر للمتحف البريطاني وضع مقابل الصفحة ٢٣ من المجلة ذكر فيه : « ان هذا الطاووس هو أحد الأربعة الطواويس المسروقة من قبل رشيد باشا عام ١٨٣٨ م وقد عثر عليه في دكان بائع عاديات ببغداد مسلم يسمى علي باعه بعد بضع سنوات الى مسيحي مثر اسمه فتح الله عبود » .

ولما كان هذا الخبر يخالف التقاليد الدينية البزيدية التي تقضي حتما بجعل الطواويس في حوزة الأمير ، وأن تكون على مقربة من مرقد الشيخ عدي ، فقد طلبت الى الأب الكرمللي ان يزودني بمعلومات عن سرقة هذه الطواويس الاربعة وعن هوية (رشيد باشا) هذا الذي سرقها ، وكيف كانت السرقة ، بطريقة السطو ليلا كما هي عادة اللصوص أم بطريقة اخرى ؟ ونعلم انه كان على ذلك العهد ثلاثة ممن يسمون بهذا الاسم ، الأول « محمد رشيد باشا » الذي ارتقى مسند الصدارة وعين والياً على سيواس ومأموراً للإصلاحات في كردستان وتوفي عام ١٢٥٢ هـ (٢٨٣٦ م) في ديار بكر أي قبل وقوع حادثة السرقة التي عني بها الاستاذ بعامين . والثاني « مصطفى رشيد باشا » المعروف بالديومات وقد تقلد مسند الصدارة على عهد السلطان عبد المجيد ست مرات وتوفي عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) ببغداد . والثالث « صربخور رشيد باشا » وكان مشيراً للخاصة وتوفي عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) ، وطلبت اليه أن يعلمني من كان السارق من هؤلاء الثلاثة ، او أن يدلني على الأقل على المصدر الذي أخذ منه هذا الخبر ، فلم يجبني ، الأمر الذي دل على أنه هو نفسه في شك من صحة ما رواه . على أنه من الجائز ان يكون قد عثر على طاووس عند احد بائعي العاديات ببغداد واشتراه مسيحي مثر ، ومنه انتقل الى المستر شويغر الذي أهدها الى المتحف البريطاني وادخره المتحف كتحفة ثمينة . ولكنني أجزم بان هذا الطاووس لم يسجد له يزيدي قط ، ولم تقدم له النذور والهدايا ، ولم يحظ بالاحتفالات الشائقة التي تجري عادة لطواويس البزيدية ، بل هو مزيف من قبل أناس ليحصلوا على مبلغ ضخم من الدراهم من هوات العاديات الغربيين او انه صنم للزينة كما تصنع صور حيوانات مختلفة تزين بها المناضد والرفوف (١) .

(١) لقد أزال الاستاذ يعقوب نعمم سر كيس الشك في امر هذا الطاووس في مقال نشر له في مجلة

يقول أمبسن : ويوجد صنمان آخران احدهما في متحف الدولة في جيبور في الهند ، والآخر بملكه ج . د . داودن في ادمبرغ . اما الصنم الذي في جيبور فيجوز ان يكون قد صنع في الهند ، وفي الهند طائفة تعبد الطاووس ، واما الصنم الذي في ادمبرغ فالأرجح انه من تلك الأصنام المزيفة ، وإلا فليس لليزيدية معمل يصنعون فيه تماثيل لآلهتهم ويبيعونها للناس ، او يسرقها أناس ويتاجرون بها ، ونذر جداً من رأى - من غير اليزيديين - طاووسهم بعينه ، او شاهد مراسم الزيارة التي تجري له .

وعندما عزم الفريق عمر وهبي باشا عام ١٨٩٢ م على إرجاعهم الى الاسلام الصحيح قسراً وأبوا عليه ، استولى على اربعة طاووس لهم وأرسلها الى بغداد حيث حفظت في خزانة الجيش السادس ، ثم أعيدت اليهم عام ١٩٠٨ بعد ان أعلنت الحكومة العثمانية مشروطة الادارة .

﴿ المقدسات الاخرى عند اليزيدية ﴾

جاء في كتاب « عبده ابليس » لنوري باشا والي الموصل الأسبق ، ان اليزيدية مقدسات اخرى غير الطواويس يحتفظ بها رئيس الطائفة وعددها كما يأتي :

١- كبش اسماعيل « مصنوع من نحاس »

٢- عصاة نبي الله موسى « «

٣- حية « «

٤- مسبحة الشيخ احمد البدوي

٥- مشط حية الجنيد البغدادي

٦- قضيب الشيخ عبد القادر الكيلاني

٧- طاس سليمان « من نحاس »

٨- حزام الشيخ احمد الرفاعي

« الجزيرة » الموصلية بعددها ٢٠ وتاريخ ١ كانون الاول ١٩٤٧ وتقي كون انه له علاقة برشيد باشا أيا كان من الرجال الذين ذكرناهم بهذا الاسم - وقال : انما هو طائر من صنع الهند للزينة وقد اشتراه فتح الله عبود واحتفظ به ، وكان قد رآه عنده - وهو خاله - في حدود سنة ١٨٩٣ وهو تحفة للرنة وليس من طواويس اليزيدية . والحكاية التي وردت عنه ملفقة .

أما الآن فلا وجود لهذه الأشياء واليزيدية لا يعرفونها ولا يتكلمون عنها . ويجوز أنها كانت موجودة فيما مضى وقد فقدت منهم ، ويوجد عند اسماعيل بك بن عبيدي بك « من أسرة الأمراء » سراج من خزف يزعم انه السراج الذي كان الشيخ عدي يستعمله، واليزيدية يزورونه ويتبركون به .

ونخص بالذكر سريراً يسمونه « برشباكي » وهو في الحقيقة ليس بسرير بل أطار لشباك يعتقدون ان الشيخ عدياً كان يجلس عليه، يحتفظ به في الحال الحاضر شخص في قرية بجزاني يسمى « الشيخ بريم ابن الشيخ رمضان » يحيطونه بحرمة زائدة وسيأتي الكلام عنه .

ومن أعظم مقدساتهم « سجادة » يعتقدون انها سجادة الشيخ عدي يتولاها « الشيخ الأكبر - بابا شيخ » ولا يخرجها الا ايام الزيارات او عند حلول نائبة باليزيدية . تحفظ هذه السجادة في صندوق مقفل وقد درجت بقطعة من القماش السميك ومحظور على غير اليزيدي رؤيتها ، وهي معمولة من صوف أسود يضرب لونه الى الحمرة وقد لعبت العثة في حاشيتها . يبلغ طولها عشرة أشبار وعرضها أربعة أشبار ونصف الشبر وهي لم تكن حديثة الصنع ، الا انه من الصعب ان نصعد بها الى عهد الشيخ عدي حيث مضى عليه ثمانية عصور ، والولايات والنكبات التي حلت بهذه الطائفة لم تبقى لها شيئاً من اسلافها .

الطبقات الروحية وصفو فرهم

- الأمير -

هو رئيس الملة البزيدية ووازعها ، وقدوتهم في الاحكام الدينية والاعتقادية ، له القضاء المطلق والحكم النافذ ، والارادة التي ليس له فيها منازع او معارض ، وهو من أسرة عريقة بالقدم تتصل بالبيت العدوي الممتاز بقديسيته ، ينتخب باجماع أسرته وموافقتهم عليه دون ان يكون للملة ولا للرجال الروحيين حق المداخلة وابداء الرأي في الأمر بل هم مكلفون بالانقياد والطاعة لسكل من يكون أميراً عليهم من الأسرة الأميرية .

ولما كان منصب الإمارة قد جمع بين السلطتين الروحية والزمنية على كل من يدين بالبزيدية تحت الشمس ، وبعبارة اخرى ، يمثل صاحبه في شخصه (الشيخ عديا) الذي يعتقدون بألوهيته ، وقد حل منه جره آلهي فيه ، وقد كانت الإمارة دوماً مطمح أنظار رجال هذه الأسرة ، لذا كان من النادر ان يقضي أحدهم أمارته دون ان تقوم حوله فتن ومشاغبات يعكر عليه صفو حياته حتى ان احد الأمراء خرج عليه ولداه واراد انزع الإمارة منه ، ومن الأمراء من اغتيل على يد أفراد أسرته ، ولم يتمتع بالإمارة الى النهاية إلا من كان محبوباً ومهاباً ويعرف كيف يستجلب القلوب ويعمل على ارضائها .

والأمير هو متولي مرقد الشيخ عدي والمكلف بادارة شؤونه ، ويحافظ على (السناجق) ولا يجوز اخراجها من محلها وارسالها الى الجهات المختصة بها الا بأذنه ، ويدير الاملاك العائدة الى الإمارة ، ويستلم النذور والخيرات والصدقات ويختص بها دون ان يكون لأحد حق في ان يشاركه فيها او يحاسبه عليها . إلا انه في نفس الوقت مكلف بعد يد المعونة الى الضعفاء والمعوذين من افراد أسرته والترفيه عنهم .

ومن وظائفه القضاء في المسائل التي تحدث بين البزيدية ، وحكمه فيها يكون باتاً ونافذاً . وله ان يحرم من يشاء من البزيدية اذا أتى عملاً منكراً او خالف حكم الشريعة ، ويستصفي امواله أو يفرمه شيئاً من المال . واذا مات أمير يرثه الأمير الذي يخلفه في ماله . على ان ملابسه يختص بها الشيخ الاكبر « بابا شيخ » .

ويستدل من هذا ان النفوذ الذي يتمتع به الأمراء (الى ما قبل عصر) جعلهم في

منطقة حكمهم أشبه بملوك غير متوجين . وكان أصحاب السلطات العشائرية يهابونهم ويخاطبون ودعهم ، ولو لم يسرفوا في عدائهم للمسلمين ويعاملونهم بخفاء ، لما أصابهم مكروه وأضاعوا نفوذهم . وسيرى القاري ، الكارثة التي أصابتهم - في منتصف العصر الهجري المنصرم - لأعتداء أحد الأمراء على زعيم من زعماء الأكراد وقتله بالخيانة والغدر فكان عمله هذا سبباً لنكبتهم . أما مكانتهم الآن فليست بالدرجة التي يحسدون عليها . فكلما خطى الشعب البزدي خطوة نحو المدن واتسعت مداركه وعرف حقوقه وواجباته ، فقد الأمراء ما بقي لهم من مكانة وربما لم يبق لهم إلا ألقابهم التاريخي أو فقدوا هذا العنوان أيضاً عندما يتحقق التطور الذي ينتظرهم .



﴿ الأمير سعيد بك ﴾

هو ابن علي بك بن حسين بك بن علي بك بن حسن بك بن جولو بك بن بداغ بك بن ميرخان بك بن سليمان بك . وأمه ميان خاتون بنت عبدي بك بن علي بك بن حسن بك بن جولو بك الخ. تولى منصب الامارة بعد قتل أبيه سنة ١٩١٣م وهو صبي لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر بالوقت الذي كان من رجال هذه الاسرة من هو أحق بهذا المنصب وأجدر به منه . إلا أنهم آثروه على انفسهم لما كانوا يحملونه من المحبة لأبيه والعطف على أمه وهي التي عرفت بفطنتها وامتلاكها القلوب بدهائها ، وكانت وصية عليه . ولما كبر أخذ يزاول أعماله بنفسه إلا أنه لم يظهر كفاءة ومقدرة تمكنانه من نيل رضا الشعب واستجلاب مودته ، فقامت في الشيخان وسنجار خلاقات شديدة ضده وأرادوا اسقاطه من منصبه إلا أنه ظل محتفظاً به . ان هذه الاخلاقات التي فتحت ثغرة سحيفة بينه وبين شعبه وأصبح سدها متعذراً مدة طويلة ، سببها اتهامه بالتسامح في المحافظة على شعائر الدين وانغماسه في اذواقه وشهواته التي لا تلتئم ومكانته الدينية وعدم اعتداده بذوي الرأي والبصيرة من وجهاء الملة واعتماده على أناس لا قيمة لهم واستثثاره بالخبرات والصدقات التي تصل اليه من طريق (السنجق) دون ان ينفق منها فلساً واحداً على الزوار الذين يؤمون المرقد ويرفقه عن المملقين من افراد أسرته . وهذه اشياء لم تكن ترضي الشعب بل تسبب تقمته عليه . إلا ان عدم وجود قاعدة دينية او تقليدية تجبر عزل الأمير من منصبه مها أساء العمل ، وكون الملة مكلفة بالطاعة له وحملها كل ما نتجده فيه من عيوب على تحمل حسن وليس لها ان تسيء الظن به ، اضطرها الى الكف عن مناوآته . وهكذا استرجع نفوذه بعد ان أصابه شيء غير قليل من الفتور وعاد الى سيرته الاولى دون ان تترك هذه الحوادث أثراً في نفسه .

﴿ موت الامير سعيد بك ﴾

لا يزال الامير سعيد بك منذ أمد بعيد يعاني أمراضاً وأسقاماً صعباً مما أعجز نفطس الاطباء شفاؤها ، وقد كان كثرة مواسلته النساء وإدمانه على شرب الخمر من الأسباب التي زادت فيه هذه الأمراض استمضاء ، وكان اذا غادر فراشه يوماً لازمه اياماً طوالاً وقد علمت انه حضر الموصل هو وزوجته (خوخي) ونزل في دار في محلة الفيصلية

استجماً للراحة ، فذهبت الى زيارته فعلمت انه مدعو تلك الليلة في فندق (كوكب الشرق) على ليلة ساهرة ولم يقيصر لي ملاقاته ، وفي صباح يوم الخميس (٢٩ تموز ١٩٤٤ - ٢٠ رجب ١٣٦٤) شاع خبر موته في المدينة فأخذتني الدهشة وان كنت أتوقع موته منذ زمن بعيد . والحق انه بموته استراح من عناء هذه الحياة ، واستراحت الملة من تصرفاته التي لم تولد لهم غير الحزن والشقاء ، ذهبوا به الى باعذرة محمولا في سيارة وعند انتشار الخبر في الشيخان أخذ البزيدية يتوافدون الى باعذرة آخذين بالبكاء والعيول وضربت الطبول وصدحت الزراني وأطلقت البنادق واجتمع نسوته وأهل بيته حول نعشه وأقاموا مأتماً لظمت فيه الخدود وجزت الشعور وشقت الجيوب ورتل رجال الدين الأناشيد الدينية على صوت الدفوف ونغم الزامير . وفي اليوم الثاني جرى دفنه بمراسم دينية خاصة وقد ألبسوه أغفر ملابسه ووسدوه فراشاً وثبراً في قبره . ثم ذبحت القرابين وقدمت المأكول ، وبات الناس ثلاث ليالي حول قبره يحرسونه . واستمر العزاء اربعين يوماً استمرت فيها وقود المعزين تتوافد الى (باعذرة) من جميع الجهات يواسون أمه العجوز وأزواجه التمسات وأولاده الصغار في مصابهم .

﴿ الاعتقاد بموت الأمير سعيد بك ﴾

يعتقد البعض من البزيدية ان الأمير سعيد بك لم يموت ولن يموت كسائر الناس بل هو الآن حي وان كان جسده قد تحطم وأودع التراب . وأيد لي احد شيوخ أسرة الشيخ ناصر الدين انه رآه بعد موته بايام قلائل بين عشيرة (الهورية) قريباً من زاخو مع بضعة قوالين في طريقه الى بلاد الروس ، وكان ذهابه احتجاجاً على ما لاقاه من شعبه من جحود ونكران ، وما عومل به من مذلة وهوان ، وسوف لا يبقى وقتاً طويلاً ويعود بعد ان يكون شعبه قد ندم على ما فعله معه .

﴿ نصب تحسين بك بن سعيد بك أميراً على البزيدية ﴾

(خلفاً لأبيه)

تطاولت الاعناق الى منصب الامارة الخطير ولم يبق من افراد هذه الاسرة من لم ير لنفسه حقاً فيه بعد موت سعيد بك الذي أشغله احد وثلاثين عاماً ، وهناك استعملت

(ميان خاتون) تلك الداهية الدهياء حنكتها وفطنتها واستالت البعض من افراد الأسرة الى جانبها واستعانت بهم على ترشيح (تحسين بك) ابن الامير الراحل للامارة والملة وان لم يكن لها حق المداخلة في هذا الترشيح ، فقد أظهرت ارتياحها له لما تتوسمه في هذا الغلام اليافع من الذكاء والنباهة وهو لا يزال معصوما ولم يدنس نفسه بالآثام والمعاصي .

وقد لاقى هذا الترشيح قبولا من السلطات الادارية العليا ، وتم تعيين (تحسين بك) أميراً ونصبت جدته ميان خاتون وصية عليه كما كانت على أبيه من ذي قبل . ملحوظة : ان ترجيح تحسين بك على بقية أخوته ومنهم خيرى بك الذى يكبره سنتين كان باعتبار ان أمه (خوخي خاتون) من بيت الامارة ، فهي بنت نائف بك بن حسن بك بن حسين بك وتجتمع مع زوجها بالجد الثالث ، بينما بقية أخوته أمهاتهم من البسميرية ومن أسرة الشيخ ابي بكر .

﴿ أسرة الأمراء وما يقال عن نسبهم وانتقال الامارة اليهم ﴾

يصعد الامراء بنسبهم الى « الشيخ ابي بكر » وهو الملك ميكائيل الخلق يوم الثلاثاء من ايام التتكوين جسا جاء في الكتاب الأسود الا أن اسمه لم يرد في كتب السير والتواريخ . واليزيدية أنفسهم لا يستطيعون ان يمينوا درجة اتصاله بالبيت العدوي وأبن ومتى عاش وماذا كان له من الأثر في الديانة اليزيدية ؟ وكما يعرفونه عنه انه من نسل « يزيد » بن معاوية الأموي اختاره يزيد للقيام على شعبه اليزيدي نيابة عنه ، وقد خلفه أولاده في أداء هذا الواجب وأصبحوا أمراء على هذه الملة ، على ان النصوص التاريخية اليزيدية والتقليد الجاري يدلنا على ان الشيخ حسن عندما وضع هذه الديانة جعل مشيخة هذه الملة الى رئاستها (أمارتها) في أهل بيته ومنحهم امتيازات خاصة ميزهم بها على غيرهم من بقية الأسر التي تنتمي الى البيت العدوي وخص كل أسرة بوظيفة تقوم بها دون ان يترك مجالاً لاحتمال تجاوز أسرة على أخرى في الوظيفة التي خصها بها . إذن كيف انتقلت مشيخة هذه الطائفة الى أسرة الشيخ أبي بكر بينما كانت منحصرة في أسرة الشيخ حسن ، وما هي الاسباب والعوامل التي يسرت لها الحصول

عليها ؟ .. يتناقل اليزيدية همساً بينهم أن أفراد أسرة الشيخ أبي بكر كانوا يتمتعون بقوة عظيمة وكان لهم أتباع كثيرون ، فآخذوا يتطلعون الى الامارة بعد ان وجدوا في أسرة الشيخ حسن عجزاً وضعفاً ، فخرج احد رجالهم عليهم واسمته الشيخ محمد - ويعبر عنه اليزيدية بالشيخ محمد الكردي الاربلي - وحاربهم وقتل منهم ثمانين شخصاً وقبض على الامارة وحصرها في أسرته ، ولا تزال حتى يومنا هذا في قبضتهم .

على أن شيوخ أسرة الشيخ أبي بكر اذا كانوا وجدوا سبيلاً الى نزع الامارة من أصحابها الشرعيين ، فلم يستطيعوا تجريدكم من امتيازاتهم الدينية ، وان هم منعوا « القوالين » من الاشادة بذكر الشيخ حسن في أناشيدهم وحطوا من منزلته الا ان الوظائف نلدنية التي اختص بها أهل بيته لم تدع شكاً في أن منصب الرياسة كان فيها مضي منحصرآ بهم .

والذي نراه ان هذه الحادثة وقعت في مستهل العصر الحادي عشر الهجري بعد ان غلبت اليزيدية القاطنون في منطقة اربل وجبال السهران (الصوران) على أمرهم وعادوا الى الشيخان . والشيخ محمد الذي عرفه اليزيدية بالـ مكردي ثم الاربلي ، والذي قام بغصب الامارة من أسرة الشيخ حسن هو من ذرية الشيخ أبي بكر الذي كان لهم في وقت ما أماراة في جبال السهران .

ونرجح ان الشيخ أبي بكر لم يكن من رجال البيت العدوي البارزين ، لكن اسمه أدخل في الكتاب الاسود (مصحف رش) في عداد الآلهة السبعة بعد ان نال أحفاده هذه المكانة وقبضوا على منصب الرياسة .

(١) بداغ بك : ورد اسمه في التاريخ الا ان اسم أبيه وجده لم يردا فيه .
(٢) جولو بك : قتله اسماعيل باشا حاكم العمادية سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) ونصب بمحله
« خنجر بك » ثم عزله وصادره ونصب « حسن بك » بن جولو بك . وخنجر بك هذا
هو من « البسميرية » وأسرت له لا تزال في قرية كندالة .

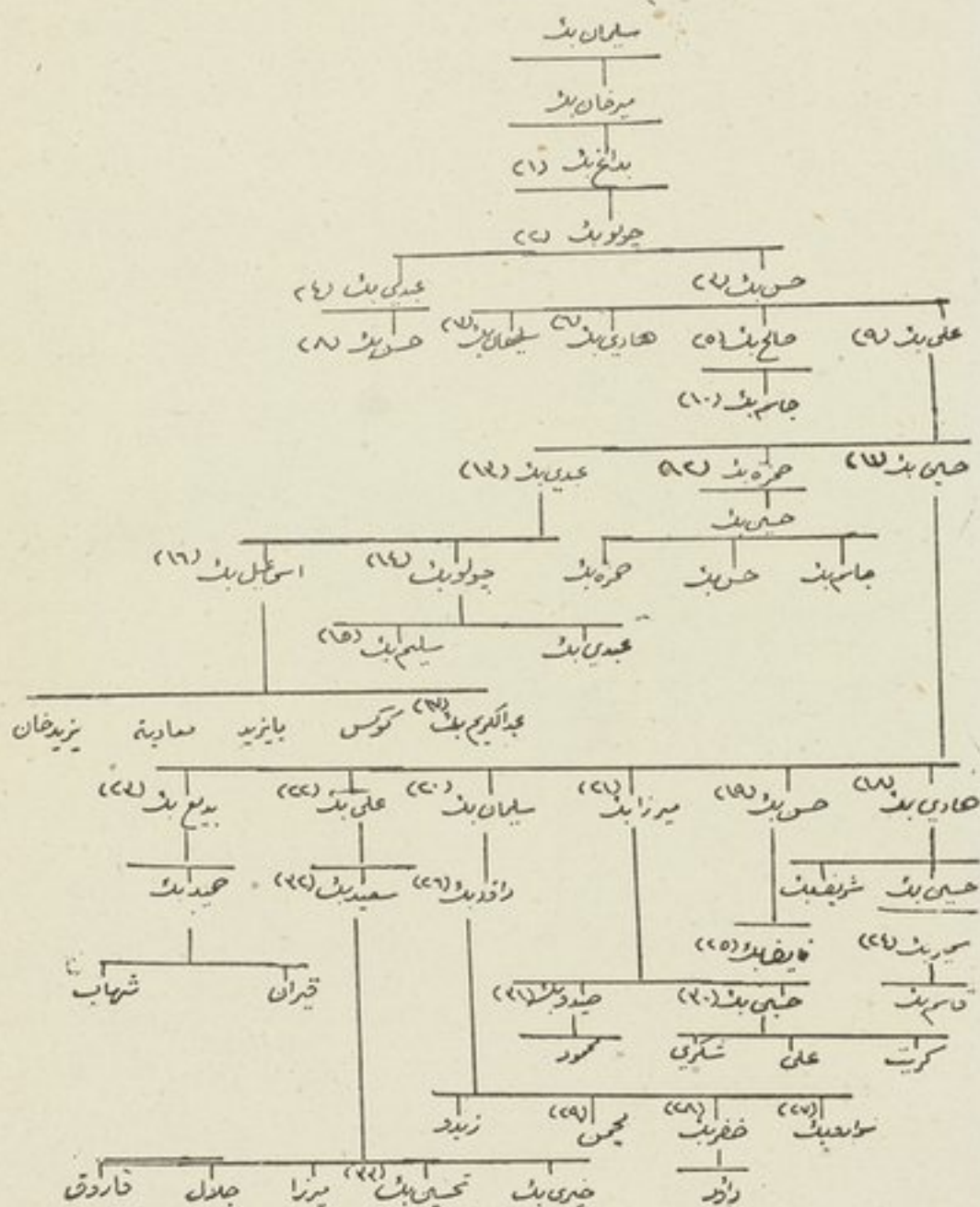
(٣) حسن بك : نصب أميراً على الشيخان بمحل أبيه الذي قتله اسماعيل باشا حاكم
العمادية سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) ولم نتحقق كم امتدت أمارته ولكننا نعلم انه كان
محتفظاً بمنصب الامارة في سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) . وقد شق عصا الطاعة على كيقباد
حاكم العمادية وهرب الى نواحي جزيرة ابن عمر ، فأرسل قياد بك جيشاً مع اخيه « بهاء
الدين بك » لقتاله فانكسر بهاء الدين بك وقتل جماعة من عسكره . وفي حوادث الاثر :
أن والي بغداد أرسل عام ١٢٢٤ الى يزيدية الشيخان يستحثهم على النهب والسلب
وانارة الشغب والفساد ونهب القرى ليدل على ضعف الولاة الجليليين الذين لم يكن على
تمام الود والاتفاق معهم ، فلم يطمعه الامير حسن بك ، إلا ان أخاه عبدي بك أخذ
يعبث بالأمن على رغم منه . يقول صاحب حوادث الاثر : وقد اعتذر حسن بك الى
« محمد باشا » الجليلي من فعل أخيه فقبل عذره .

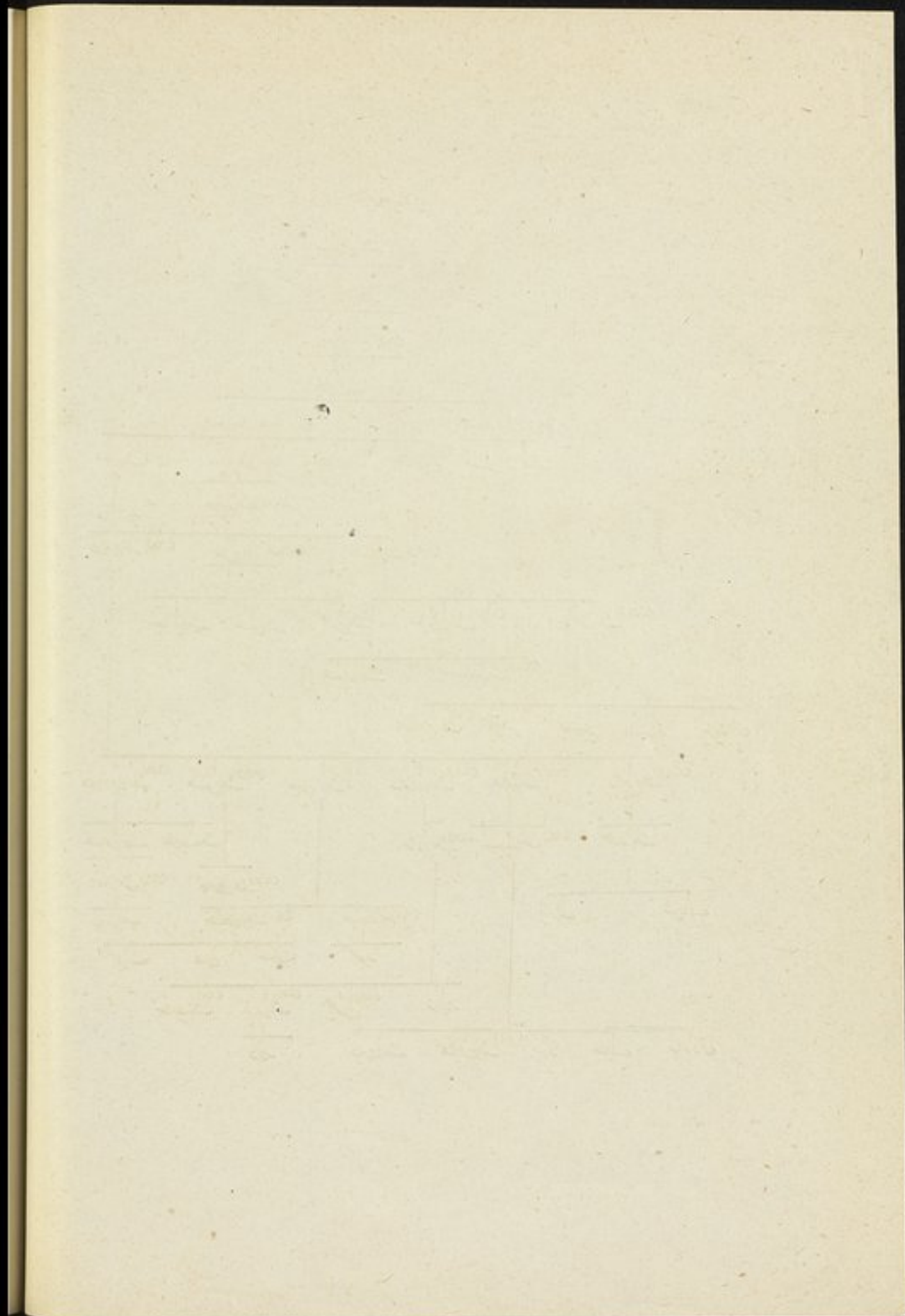
(٤) عبدي بك : أسر في حادثة أمير راوندز محمد باشا الأعور في قرية خطارة في
الشيخان هو وأخته . ويقال ان الأسر وقع على ابنه حسن بك لا عليه ، وعلى بنته
واسمها « فاطمة خاتون » لا على اخته . وقد تزوجها احد قواد « محمد رشيد باشا »
الصدر الاعظم الذي قاد حملة على أمير راوندز وهو أمير الألاي مصطفى بك وتوفيت
في بغداد .

وعبدي بك هذا هو الذي امتثل أمر والي بغداد وقام بنهب أموال الناس وتخريب
القرى في الشيخان . وقد طرده أخوه حسن بك ارضاء للوالي الجليلي ، فذهب الى
سنجار ومنها عاد الى العمادية بناء على دعوة حاكمها « زبير باشا » وأبقاه عنده مراغمة
لوالى الجليلي وارضاء لوالى بغداد .

(٥) صالح بك : كان يتمتع بحرمة زائدة لدى البزيديين ويقال انه اغتيل بالموصل .

أسرة أمراة الزيدية





(٦) و(٧) هادي بك وسليمان بك: يقال انها قتلا في حادثة أمير راوندز محمد باشا الأعور هم وذرايرهم ، و يروى ان الصورانين أخذوها أسرى الى بلاد الصوران وأسلما .
(٨) حسن بك : من الأرجح ان الأسر وقع عليه في حادثة أمير راوندز لا على أبيه وفاطمة خاتون هي أخته . وعلى ما ذكره صديقنا احمد فائق بك رئيس لجنة تسوية الاراضي في سنجار ان نسبه يتصل به فهو ابن توفيق بك بن سليمان بك بن حسن بك بن عبيدي بك .

(٩) علي بك : جاء في تاريخ اليزيدية للاستاذ العزاوي نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية انه توفي عام ١٨٣٢م (١٢٤٨هـ) . والصحيح انه قتل على يد محمد باشا اينجه بايراقدار والي الموصل « امتدت ولايته من سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) الى سنة ١٢٥٩هـ (١٨٤٣م) وتوفي بمرض الدوسنطاريا ودفن في جامع النبي شيت بالموصل « في الموقع المسمى « كرى عرب » مع جماعة من اغوات الانكشارية وقطع رأسه وألقي في نهر الخازر (تقويم الموصل لسنة ١٣١٢هـ ص ٤٤٤) وأرجح ان قتله كان في السنة الرابعة من ولاية اينجه بايراقدار على الموصل .

(١٠) جاسم بك : عندما قتل علي بك بن حسن بك وكان ابنه حسين بك صغيراً أعلن امارته على اليزيدية . وبعد ان أمضى ثلاث سنين في منصب الامارة كان حسين بك قد كبر واشتد ساعده ، فقتله في قرية « ايسيان » قريبا من باعذرة وقبض على الامارة . كان لصاحب الترجمة ثلاثة أخوات : فتزوج الاولى حسين بك واسمها « روشي » وتزوج الثانية أخوه سليم بك واسمها « شيرين » وتزوج الثالثة أخوه عبيدي بك واسمها « خمي » وهي أم ميان خاتون بنت عبيدي بك وسيأتي ذكرها .



﴿ حسين بك بن علي بك بن حسن بك ﴾

(١١) حسين بك : كان صغيراً عندما توفي أبوه فقبض على الامارة ابن عمه جاسم بك بن حسين بك . وبعد ان شب وترعرع قتل جاسم بك واستولى على الامارة . وكانت الملة البزيدية اذ ذاك معروضة للانقراض بسبب النكبة التي حلت بها ، فلم شعشها وجمع شملها وجدد لها كيانها وحافظ على بقائها . وكان صديقا للسرهري لا يارد المنقب والبحانة الانكليزي وقد ذهب الى استانبول بارشاد منه وتوصل الى السلطان عبد المجيد وشكى اليه النكبة التي أحلها أمير الصوران بشعبه . فعطف عليه السلطان وواساه وأنعم عليه برتبة « قبوجو قدار » وبعد عودته من استانبول حصلت بعض الاضطرابات في الشيشان

وأُتهم بها ، فقبضت الحكومة عليه وألقت في السجن ثلاث سنين ، ثم أخلت سبيله .
وفي خلال هذه المدة خرج ولداه هادي بك وحسن بك على التقاليد المتبعة وطالبا
بالامارة وأرادا ان يستأثرا بها ، فعارضهما بقية رجال الأسرة وجرى لهم معها مقاتلات
أودت بحياتها .

وصاحب الترجمة هو أول من خالف التقاليد البزيرية وتزوج امرأة من بيت شيخ
عبدال يسك من أسرة « شيخ شمس » التي هي محرمة عليه ، وجمع بين سبع نساء في
آن واحد ، وقد توصلنا الى معرفة أربع منهن وهن : روشي ، وكلي ، ونعامي من
بسميرية كذالة ، وغزو من بيت شيخ عبدال يسك .

(١٢) سليم بك : يروى انه لم يكن على تمام الود والمصافات مع أخيه الأمير حسين بك
فترك باعذرة واختار الإقامة في عين سفني الى ان مات ، وكان له زوجة واحدة وهي
(شيرين) بنت جاسم بك بن صالح بك .

(١٣) عبيدي بك : كان يساعد أخاه الأمير حسين في أعماله ، وله مكانة ممتازة بنظر
الشعب . وعندما زار « لا يارد » باعذرة كان صغيراً لم يتجاوز العاشرة من العمر ، وقد
رسمه بالقلم وهو جالس على الارض بجانب أخيه حسين بك ، ونجد هذا الرسم في تاريخ
البزيرية للاستاذ العزاوي اقتبس من كتاب رحلة لا يارد . ولأسباب لا نعرفها اختلف
مع أخيه حسين بك فترك باعذرة واختار الإقامة في قرية بحزاني ثم في قرية خطارة .
(١٤) جولو بك : لم نحمد سيرته والبزيرية لا يذكرونه بخير .

(١٥) سليم بك : كثيراً ما تأمر على الأمير سعيد بك وسعى في إسقاطه من منصبه
وهو لا يؤمن له جانباً .

(١٦) اسماعيل بك : طاف في عنفوان شبابه بلاد الاناضول وذهب الى ايران وبلاد
الموسقوف وبالك أعطيات كثيرة من البزيرية القاطنين هناك ، وخاصم الأمير علي بك
وابنه الأمير سعيد بك ونازعها الامارة . وبعد سقوط بغداد اتصل بالانكليز في سامراء
وأبدى لهم الاخلاص وأظهر نفسه بمظهر الزعيم ، وتعرف الى رجال الصحافة في سوريا
والعراق وأطلعهم على كثير من المعتقدات البزيرية ، ومع ذلك لم ينل ما توخاه من الواجهة

والرياسة . فالانكليز بعد ان أولوه ثقتهم نبذوه نبذ النواة والصحافيين الذين تعرف اليهم ولوه الادبار . والملة بعد ان وقفت على أعماله قابله بالنفور والامتعاض ، وقد عرفه الاستاذ العزاوي بقوله : « والرجل يفاوض كل ناحية ، ويريد ان يرضي كل قبيل . يقول للمسلمين أنا أفتح المدارس ، وان عقيدتنا لا تفرق عن عقيدة المسلمين . وللأجانب يقول : نحن أقرب الى النصرانية وأولى الأمم بحرماتهم . وهو في الحقيقة ممن لا تمهداليه الأمور الدينية ، أوله ان ييوح بأسرارها ، ولا اعتماد للقوم عليه ، ولم ينل منهم قبولا ، فلم يروا له حقا في رياسة » ، ولو انه اتخذ له مسلكا قويمًا وسار في حياة العملية سيرة شريفة مرضية لوجد من يشد أزره في نياله الامارة .

ولو لم يكن له من المساوي شيء فيكفيه قبوله الرسالة التي كتبها الدكتور زريق عن لسانه وضمها كتابه : « اليزيدية قديما وحديثا » وفيها سب (محمد آ) وديانة محمد ، وهو ليس ممن يكلف شراؤه غالبا .

وهو أول من حطم التقاليد الدينية اليزيدية وعلم ابنه عبد الكريم في المدارس الحكومية وكذلك ولديه الآخرين يزيد خان وبايزيدا ، وعلم بنتيه ونسة وقبرصا في المدرسة الامريكية في الموصل .

تزوج أولا روشي بنت حسن فقير ، وبعد موتها تزوج عمشة بنت حمزة بك ، وكان موته يوم ٩ آذار سنة ١٩٣٣ عن عمر ينوف على الخمسين سنة .

(١٧) عبد الكريم بك : استخدمته الحكومة زمنا معلما في مدرسة عين سفني وفي سنجار ، ثم استغنت عنه ، ثم أعيد ثانية الى التعليم ، وها هو الآن مدرس في مدرسة عين سفني . تزوج ثلاث نساء ، الاولى نعام بنت علي بك ، والثانية اختها ماميكي وقد توفيتا ، والثالثة شرو من أسرة الشيخ أبي بكر .

(١٨ و ١٩) هادي بك وحسن بك : انتحزا سجن أبيها حسين بك واستوليا على السنجق من أيدي القوالين واستأثرا ببنذوره وخبراته . فخرج عليها عمها عبدي بك وأخواهما مبرز بك وعلي بك وجرى بينهم قتال شديد في قرية دوغات من قرى الشيخان أسفر عن قتلها وقتل جماعة من اعوانها واسترجع السنجق . ويقال ان نعمامي خاتون زارت زوجها حسين بك في السجن عقيب هذه الحادثة وقد تبرجت خلافا لعاداتها

عندما تزوره في السجن ، فأنكر عليها ، ولما أوقفته على الخبر تألم كثيرا وقال لها : كنت
أؤثر ان يستقلا بالامارة على ان يقتلا .

كان للاول زوجة اسمها ماشى ، والثاني زوجة اسمها روشى ، وكلتاها من بسميرية كندالة .
(٢٠) سليمان بك : كان له زوجة واحدة وهى سارى بنت حمزة بك .

(٢١) ميرزا بك : تقلد منصب الامارة بعد موت ابيه حسين بك ، الا انه لم يظهر له
ما أثر محمود ، والشعب اليزيدى لا يعيل اليه كثيرا لتلبيته دعوة الفريق عمر وهى باشا
وقبوله الاسلام ، وان لم يدم اسلامه اكثر من ثلاثة اسابيع ثم عاد الى يزيديته . كان
له زوجتان : الاولى نعام بنت صيدو بسمير ، والثانية عدلاني بنت عبيدى بك .



علي بك بن حسين بك بن علي بك المتوفى سنة ١٩١٣ م

(٢٢) علي بك : كان مستجعماً صفات الامارة بكل معانيها ، وقد أكرهه الفريق عمر وهي باشا على قبول الاسلام فأبى وآثر الموت على تبديله دينه . وقد نفته الحكومة الى مدينة سيواس وبقي فيها ثلاث سنين . ثم عاد مرفوع الرأس ناصع الجبين بين قومه وأخذ باصلاح ما أفسده الفريق عمر وهي باشا في المجتمع اليزيدي ، وجدد بناء قباب مشائخهم وأوليائهم التي هدمها وطلب من الحكومة اعادة مرقد الشيخ عدي الذي أخرجه من أيديهم واتخذته مدرسة اسلامية فاجابت طلبه . إلا ان أمده لم يدم طويلاً اذ سطت عليه يد أئيمة واغتالته وهو نائم على فراشه ، وعيون الحرس ترصده من كل جانب . وقد أنهم في قتله فتاح وعلي وشمدين اولاد جولو بن جولو المماني « ممان قرية في الشيخان تقع قريباً من باعذرة » من البسميرية لحقد قديم يحملونه في صدورهم على الأمراء ، اذ يروى ان الأمراء كانوا قد أوقعوا القتل في هذا البيت وأبادوهم على بكرة أبيهم لسبب تزوج احداهم امرأة من بسميرية كندالة كان احد الأمراء يريد الزوج بها . ولم يبق من هذا البيت سوى « جولو » الذي في بطن أمه وقد سمي باسم أبيه . وقد استقصى داؤد بك بن سليمان بك وحسين بك بن مسيرزا بك ولدا أخى علي بك أثر اولاد جولو الثلاثة فعثرا على فتاح وعلي في قرية الحسنية وقتلها ، وهرب شمدين الى سنجار وبقي محتفياً نحو خمس عشرة سنة ومات بعد ان كف بصره ، وقبضا على جولو وأتيا به الى قصر الامارة وكان أرمداً وقتلاه صبراً . وقد طلب ان يفكوا وثاقه ويمهلوه لحظة ليدهم على القاتل الحقيقي ، مدعياً انه وأولاده بريئون من قتل علي بك فما أصغوا اليه وأخذوا أنفاسه في التو واللحظة وبقتله دفنت أسرار لا يعلمها إلا جولو وأصحاب القصر أنفسهم .

ان توجيه قتل علي بك الى جولو المماني وأولاده الثلاثة لا يطمئن اليه الضمير كثيراً إذ ان اقتحام القصر مع حصافته وبقظة حراسه أمر صعب جداً وليس من السهل الوصول اليه ما لم يكن لأهل القصر او الحراس يد في ذلك . لذلك ليس في الوسع نفى الخبر الذي شاع اخيراً من ان « لسفراغا » (١) بن عمر اغا رئيس عشيرة الدوسكية المسامة صديق القصر بدأ في ذلك وكان في تلك الليلة ضيفاً مكرماً عليه .

(١) يقال : انه يرجع الى اصل يزیدی وقد قتل كذلك ليلاً على فراشه (سنة ١٩٢٤ م) اي بعد -

(٢٣) بديع بك : هو ابن حسين بك من زوجته نعمى ، كان على جانب من حسن الخلق والخلق ، سريع التودد ، ميالا الى صحبة المسلمين . وقد مقتته البزيرية لانصياعه الى دعوة الفريق عمر وهي باشا وقبوله الاسلام مع أخيه ميرزا بك ، تزوج ثلاث نساء الاولى : سبرى بنت حمزة بك ، الثانية : هوري بنت عبدي بك ، الثالثة : شيرين بنت صيدو بك .

(٢٤) سمير بك : نزع الى سنجار بعد قتل أبيه وبقي فيها ردحا من الزمن ، ثم صالحه عمه ميرزا بك وزوجه بنته نجمة وأعادته الى باعذرة . يروى عنه بطولة وفروسية نادرة وكان يصل في غزواته وهو في سنجار الى جبل مقلوب فيسلب وينهب ويعود مثقلا بالغنائم .

(٢٥) نائف بك : نزع الى سنجار بعد قتل أبيه وسكن قرية (تبة) وكان يتردد من حين الى آخر الى قصر الأمانة ، تزوج الامير سعيد بك بنته روشن ، فماتت وتزوج بنته الثانية خوخي ، ثم جمع بينها وبين أختها كلي وهي زوجة قاسم بك بن سمير بك ، توفي سنة ١٩٣٨ م عن عمر يناهز الثمانين .

(٢٦) داؤد بك : كان له ثلاث زوجات الاولى : شرو من أسرة الشيخ أبي بكر ، الثانية : عدلاني بنت حسن شلال من أسرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، الثالثة : ماشي بنت علي بك .

(٢٧) سوارو بك : هجر باعذرة وذهب الى سنجار واختار الإقامة زمناً في قرية قصر كي ، ثم عاد اليها بعد ان عضه الجوع ، وكانت تحدثه نفسه بالأمانة عندما وجد أهل سنجار يريدون إسقاط الأمير سعيد بك من منصبه وجمع له حزبا وتحدثوا بأمارته وعندما توفي سعيد بك وأظهر الناس ميلا الى انتخاب ابنه تحسين بك بمحلله عادت اليه أحلامه ووقف موقف المعارض وعمل محضراً من بعض رؤساء البزيرية في ترشيحه الى

- قتل علي بك بأحد عشر عاما وأنهم بقتله سعيد اغا احد رؤساء عشيرة الدوسكية . وقد نال سعيد اغا وجاهة كبيرة وترغم عشيرة الدوسكية العظيمة وأغنى غناء فاحشاً ، وانتخبته الحكومة عضواً في مجلس النواب العراقي . وقد حضر ديوان متصرف لواء الموصل في (٨ أيلول ١٩٤٧ م) لحل نزاع بينه وبين احد رؤساء الدوسكية ويدعى سليم اغا مصطو ، ولما لم يتم الاتفاق بينهما أطلق سليم اغا صيحه النار عليه وقتله على عتبة حجرة المتصرف .

الأماره وقدمه الى المراجع الرسمية ولكنه لم يلق أذنا صاغية ، وقد رضى الآن ان يكون خادما لدى الأمير الحالي تحسين بك ويعيش بمطايه .

(٢٨) خضر بك تزوج بنت الأمير سعيد بك ويسمونها (طوطي) وماتت عن ولد له اسمه داؤد ، ثم تزوج تركو من بسميرية الجراحية .

(٢٩) لجن : تزوج قبرص بنت اسماعيل بك وصار له منها ولد سماه سليمان .

(٣٠) حسين بك : لا يميل اليزيدية اليه كثيراً وسيرته لم تكن ممدوحة بنظرهم ، وكان قد خاصم الأمير سعيد بك وانضم الى الحزب المناوي له وحدثته نفسه بالأماره وسمى اليها ولم يوفق ، وقد تزوج الأمير الحالي تحسين بك ابنته نعمي فانضم اليه .

(٣١) صيدو بك : له زوجة واحدة وهي شيرين بنت سمو كندالي وقد توفي وترك ولداً لم أعرف اسمه .

(٣٢) سعيد بك : تولى منصب الأماره بعد قتل أبيه علي بك سنة ١٩١٣م وهو في الثانية عشر من العمر ، ونشأ نشأة أرستوقراطية لتتوفر أسباب الترف والغناء له ، ولما شب أخذ ينفس في الأذواق والملاهي بافراط غير حاسب للرأي العام اليزيدي حساباً ، وهذا ما أضر به ولم تبق له مكانة محترمة بنظر الشعب وسخط عليه ومنع عطايه عنه وأراد إسقاطه من منصبه . وبعد ان منحه ثقته واستعاد مكانته لم يغير من سلوكه وظل دائماً على أعماله الى ان مات موتة رجل عادي في أحد الفنادق بين أناس لم تكن الشريعة اليزيدية لتجوز له معاشرتهم والاختلاط بهم .

تزوج عشر نساء الاولى : ميرم بنت حسن فقير من أسرة الشيخ أبي بكر وقد قتلها سنة ١٩٢٥م ، الثانية : روشن بنت نائف بك وقد عاجلتها المنية ، الثالثة : عمشة بنت حجي سلو البحراني من أسرة الشيخ أبي بكر ، الرابعة : زاري بنت فقير اوصى السنجاري وقد نخلت عنه وتزوجت من آخر غيره في سنجار فكانت عاقبتها القتل ، الخامسة : قطي بنت شيخ آكو ، السادسة : كني بنت فقير ميرزا ، السابعة : شمي بنت حسين بسمير ، الثامنة : خوخي بنت نايف بك ، التاسعة : اختها كلي بنت نايف بك ، وقد جمع بينها في آن واحد ، العاشرة : ونسة بنت اسماعيل بك وقد هربت منه وأسلمت وسيأتي الكلام

عنها ، ومات عن خمس منهن لا يزلن أحياء يرقبن أجلهن .

(٣٣) تحسين بك : أصبح أميراً بعد موت أبيه وهو في سن الثالثة عشرة وقد آثروه على أخوته ، وفيهم من هو أكبر منه سنّاً وأكثر دراية ، باعتبار أن أمه من بيت الأمانة وقد أصبحت جدته « ميان خاتون » وصية عليه كما كانت وصية على أبيه ، وهو على غاية من الصبابة والملاحة وقد تزوج « نعامي » بنت حسين بن ميرزا بك في السنة الثانية من توليه الأمانة ، وقد نصحت جدته أن تعتني بتهديبه وتثقيفه ، وتجعل منه رجلاً صالحاً يفيد شعبه ويعيد إليه ما فاته من نجاح وتقدم ، فعملت بنصيحتي وأتت له بعلم إلا أن روح المرح والبهو غالبية عليه فلم يظهر ميلاً إلى التعلم . وقد تحرص جدته على تنشئته تنشأةً صالحةً وتجعله بعيداً عن المغريات والمفاسد لا كما كان عليه أبوه ومن سبقه من الأمراء ، إلا أن كثرة تردده إلى الموصل واختلاطه بغير البزديين والاكثار من صحبتهم - وهو نقص عند البزديين - واستسلامه لهنق الشباب لا يبشر له بمستقبل مأمون العاقبة ، وأسرة الأمراء ، على رغم ما يظهرونه من الاخلاص والمودة له يظفرون له السوء وكل واحد منهم يريد أن يكون أميراً ، وهو يمتاز على أبناء هذا البيت باجمعهم بدمائه أخلاقه وحسن سيرته وقد نشأ في حضن الأمانة وتلقى المزايا الحميدة صاغراً عن كبر .



ميان خانون بنت عبيدي بك بن علي بك

وبعد ان انتهينا من البحث عن الأمراء نرى ان نقول كلمة عن « ميان خانون » التي ورد ذكرها عرضاً في الكلام عن رجال هذه الاسرة ، وذلك لما لها من المكانة العظيمة عند رجال هذه الاسرة والشعب جميعاً .

تبلغ « ميان خانون » من العمر خمسة وسبعين سنة ، وقد أدركتها في مقتبل ايام حياتها وهي على جانب من الحسن والجمال وهي بنت عبيدي بك بن علي بك وأمها « خفي خانون » بنت جاسم بك بن صالح بك بن علي بك ، تزوجت من ابن عمها الامير « علي بك » في سن الثامنة عشرة ، وبعد موته صار ابنها « سعيد بك » أميراً وأصبحت وصية عليه ثم على ابنه « تحسين بك » بن سعيد بك الذي صار أميراً وهو في سن

الثالثة عشرة ، وقد ظهرت علائم النبوغ والتفوق عليها منذ عهد زوجها علي بك وكانت تقوم باعمال الأمانة بالاشتراك معه وواسته في أيام محنته وشقائه واختارت النفي معه عندما أجلته الحكومة العثمانية الى مدينة سيواس ومكث فيها ثلاث سنوات وهي ذات عقل راجح وفكر صائب ونظر بعيد في الامور ، يحترمها الشعب ويخافها وتتمتع بنفوذ عظيم ولا يجراً أحد ان يخالف لها أمراً ، والكل يرهبونها في الحضور ويفتأبونها في الغياب.. فيها عنجهية وكبر وغرور .. اذا حضرت مجلسها ترى آثار العظمة والنبل تلوح عليها .. وهي كثيرة التشاؤم ، لا تثق باحد ، شديدة الامساك لا يفلت من يدها فلس على رغم كثرة مواردها ، تمقت رجال بيت الأمانة وتزدر بهم ، فيها مكر وخداع ، لا يؤمن لها جانب ، وقد تقسو على من يقف في سبيلها الى ان تنزله القبر وبالأجمال ، فان منصب الأمانة منوط اليوم بها فهي التي تأخذ وتعطي وتحسن وتحرم وتحلل وتحرم ومن الصعب ان يتكهن الانسان بما ستؤول اليه الحالة بعد موتها وهي في مقرب حياتها ، وكل ما فيها قد أدركه الهرم إلا عقلها .

﴿ في نصب الامير وعزله ﴾

وهنا يجب أن نعلم ماهي القاعدة المتبعة في نصب الأمير ؟ وجوابنا عليه : ليس هنالك قاعدة معينة أكثر من الاستفادة من النفوذ العائلي يضم اليه رغبة الحكومة وهما اللذان يؤثران في هذا النصب ، وبالنظر لما لهذا المنصب من الاهمية القصوى وأثره في حياة الامة الدينية والاجتماعية ، أليس من الواجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار الصفات التي يجب أن يكون الأمير المراد انتخابه متصفاً بها ، وأن يودع انتخابه الى جماعة من ذوي الرأي والكلمة من الرجال الروحانيين كما هو الأمر عند النصاري في انتخاب من يكون بطريركا او مطرانا .

نقول متأسفين ان هذا لم يكن ، والتقليد المتبع منذ القديم لا يقره ، والاعتراض الذي يرد في ذلك هو كيف يجوز جعل انتخاب الامير الذي يعدونه آلههم الجسم ويعتقدون بقدسيته بيد الرجال الروحانيين الذين يعدون من أفراد الشعب بالنسبة اليه ؟ وهذا وإن كان يبدو صحيحاً ، ولكن نظراً لليقظة التي حصلت في حالة الشعب العقلية والشعورية ،

وانطلاق لسانه من عقاله حيث لم يجد ما يمنعه من تخطئة الأمير في أعماله وانتقاد تصرفاته التي لا تلتئم وأمانيه ، أصبح من الواجب المحتم أن يكون له رأي في انتخابه والرؤساء الروحانيون هم الذين يمثلونه .

ومن أهم الأسباب التي تحتم جعل نصب الأمير تابعا للانتخاب ، هو كون التقليد الديني قد جعله ثابتا في منصبه لا يجري عليه عزل وإقصاء منها أساء العمل ، والملة مرغمة على الطاعة له . وأمير هكذا شأنه من الخطأ ان يكون نصبه تابعا لرأي واحد وأن تفرض طاعته على شعب عظيم ، ولم يؤخذ رأيه فيه . وهذه القاعدة هي من صالح من سيكون أميراً أكثر . ولو أتبعنا هذه القاعدة في المرة الأخيرة لما وقع الاختيار على غير الأمير الحالي لما امتاز به من الصفات التي ترجحه على غيره ، ولسد باب الشغب الذي يقيم به رجال هذا البيت ضده وكلهم يرون له حقاً في الامارة .

أما جعل منصب الامارة ثابتاً دون ان يجري العزل والانفصال على من يكون أميراً فهي قاعدة أقرها التقليد الديني منذ القدم (١) ، وذلك لما يعتقده الشعب في الأمير من العصمة المطلقة ، وتمثيله الشيخ عدياً في زعامته عليهم ، ومن يختاره الشيخ عدي ممثلاً عنه لا يجوز لهم ان يعارضوه . وقد لا يفرغ هذا المنصب من صاحبه إلا بالموت او القتل ، والقتل يقع على يد أفراد الأسرة ، والملة تكون بعيدة عنه ، وهذا ايضا لم يقع إلا نادراً .

يبلغ رجال أسرة الأمراء في الحال الحاضر ثلاثة وعشرين ، يقيمون جميعهم في قرية « باعذرة » (٢) وهم عاطلون لا عمل لهم ، والعمل بنظرهم عار ومنقصة ، وانهم لم يخلقوا

(١) عندما كثر الشغب على الأمير التوفي سعيد بك وامر يزيدية سنجار بالاجماع على اسقاطه من منصبه وتعيين آخر يحمله من هذه الأسرة واتبعهم في ذلك قسم عظيم من يزيدية الشيوخان وتخرجت الحالة ، وجهت الحكومة الي سؤال عن جواز عزل الأمير وتعيين آخر يحمله ، فكان جوابي بالنفي .

(٢) قرية جسيمة كثيرة المياه ، يسكنها امراء اليزيدية ولا يشك في انه كان لها مكانة تعبوية عظيمة على زمن الآشوريين لوقوعها على مضيق مامزدينا وان لم يبق فيها آثار تدل على آشوريتها . ثم أصبحت نصرانية وسميت (بيت عذرة) . ثم حرفت فصارت باعذرة . ويستدل من آثارها المدرسة على انها -

للعمل ، بل الشعب يعمل ليعيشوا . ولم تكن النذور والخبرات التي يقدمها الشعب اليهم إلا لهذه الغاية ، بينما لا يصيب أحد من رجال هذه الأسرة فلس واحد من هذه النذور والخبرات ، بل يستأثر بها من يكون أميراً . وهذا ما أدى الى فتح باب الخصام بين رجال هذه الأسرة والأمير ، والأمير لم يقر لهم بحق ويريد ان يجعلهم دائماً في عسر وضيق ليأمن غائلتهم ، وقد كان الامراء الذين سلفوا يعطفون عليهم بعض الشيء ، أما الآن فقد حرموا من هذا العطف .

ان جميع النذور والخبرات من أفراد الشعب على الوجه الذي نراه الآن لم يكن موجوداً فيما قبل ، بل كانت القاعدة ان يؤدي الشعب مقطوعاً سنوياً لمن يكون رئيساً - وهو يعرف اليوم بالامير - لتأمين ادارة أهل بيته ، ويراد بأهل بيته أقاربه الذين يضمهم وياه نسب واحد ، ويكون لكل واحد منهم حق في ان يكون أميراً . ولما كثر الشعب وتفرق في البلاد ولم يكن في ميسوره تأدية المقطوع المفروض عليه ، أستعاض عنه بخبرات يؤديها باسم (السنجق - الطاؤوس) حيث يطاف به بينهم فيؤدون له خيراتهم ، وزيد على ذلك ان فرض عليهم إعطاءهم خيرات لكل مكان شريف في مرقد الشيخ عدي عند زيارتهم له .

كانت الخبرات التي تجمع على هذه الصورة حتى السنين الاخيرة لم تتجاوز اربعمائة ليرة ذهب على أعظم تقدير . أما الآن فقد بلغت عشرة آلاف دينار وربما زادت بعض الشيء على ذلك . ورجال هذه الأسرة لا يزالون محكوم عليهم بالحرمان من هذا الدخل الجسيم وأكثرهم يتضور جوعاً وينام على الطوى . وفي سنة ١٩٣٤ أقاموا ثورة عنيفة على الامير السابق سعيد بك وطلبوا محاسبته ولكنهم لم ينالوا مأرباً (١) ، وعندما

كانت معمورة جداً ، وكثيراً ما عثر على جثث اموات في خواب من الحزف ، والقرية الان في واد سحيق يكثر فيه البعوض . وقصر الامراء على رهوة عالية يشرف على القرية .

(١) كان على اثر الاحتجاج الذي أقامه يزيدية الشيخان وسنجار على الامير السابق سعيد بك لسوء تصرفه في اموال الخبرات وحرمانه رجال بيت الامارة منها وصرفها في غير موضعها ، ان امتنع يزيدية سنجار من اعطاء الخبرات سنتين ومنعوا طواف السنجق بينهم . فرأت الحكومة وضع نظام طائفي خاص بين فيه وظائف الامير وتحدد مسؤوليته وتعين كيفية جمع الخبرات وصرفها ، ووضع قائم مقام الموصل خليل عزبي بك (متصرف الموصل الان) مسودة نظامين لهذا الغرض ، الا انهما لم يقرنا بالمصادقة وبوضعا محل التنفيذ .

قر الرأي على انتخاب الأمير الحالي تحسين بك ، شرطوا عليه وعلى جدته ميان خاتون التي لها القول الفصل في هذا الأمر ان لا يكون له أكثر من ثلث الخيبرات ، وان يعطى اليهم الثلث ، ويخصص الثلث الباقي لآعمار مرقد الشيخ عدي والاتفاق على زواره ، ولكنه لم ينفذ هذا الشرط .

وهنا نبين مقدار ما دخل على الأمير في هذه السنة (١٩٤٨) او بالأحرى على جدته ميان خاتون بصفتها وصية عليه من الخيبرات :

دينار

٤٠٠٠	بدل ضمان طاؤوس سنجار ، يطاف به في السنة مرتين .
١٥٠٠	واردات سنجق طاؤوس الشيخان ، يدار بالأمانة ويطاف به في السنة ثلاث مرات .
١٥٠٠	ضمان مرقد الشيخ عدي .
٥٠٠	ضمان مرقد الشيخ شمس .
٥٠٠	ضمان العين البيضاء (كافي اسبي) .
٥٠	ضمان مرقد الشيخ مند .
٥٠	» » خاتونة نقر .
٤٠	» » الشيخ آمادين .
٣٠	» » الشيخ ناصر الدين .
١٥	» » حسن ممان .

٨١٨٥

فاذا ما أضيف الى هذا الدخل واردات القرى والمزارع الموقوفة على مرقد الشيخ عدي ، والهبات والعطايا التي تصل الى الأمير من الخارج ، ومهر الفتيات اللاتي يتزوجن وليس لهن من يتولاهن ، وأموال العقوبات التي تؤخذ من خالف حكم الشريعة والرسوم المفروضة على رعاة الأبقار في بعض القرى لبلغ عشرة آلاف دينار او ما يزيد ، ونحن لا نريد ان نبحت هنا عن فداحة هذه الضرائب التي يسمونها بالخيبرات ، وكيف يستطيع الشعب ان يؤديها مع فقره وقلة موارده ، ولا نريد ان نعطف عليه ونألم له ، فقد يبيع

أحدهم بقرته وجمارته ويعطي ثمنها الى الطائوس عند مجيئه الى قريته ، او عند زيارته
مرقد الشيخ عدي عن رضى وطيب خاطر ، فهذا لم يكن موضع بحثنا بل الذي نريد ان
نقوله هو : كيف جاز للامير ان يستأثر بهذا الدخل العظيم ولا ينفق منه فلساً واحداً
على أبناء أسرته وقد بلغوا الغاية من الاملاق ، ولم يقيم بعمل خيري او مشروع عمراني
او ثقافي يحتاجه الشعب جدا ؟ وعندما مات الأمير سعيد بك ترك وراءه ديناً يقدر
بثمانية آلاف دينار ، سدد من هذا الدخل .

ان لرجال هذا البيت ان يطالبوا بنصيبهم من هذا الدخل الذي طالما ذهب في طرق
غير مشروعة ، فاذا ما انتهت الملة من غفلتها وطالبت باتفاقه في أمور يعود نفعها
للمجموع ، او امتنعت عن إعطائه يتحتم عليهم إذ ذاك ان ينصرفوا الى العمل ويخرجوا
من أذهانهم القاعدة التي يتبعونها من أنهم لم يخلقوا ليعملوا .

﴿ البسميرية ﴾

تفيد هذه الكلمة معنى من هو دون الأمير ، ولا يصح القول انها محرفة من (بسر أمير)
اي ولد الامير . والبسميرية يعدون هم والأمراء من أرومة واحدة ، فهم اولاد الشيخ
منصور ، والأمراء اولاد الشيخ ملك ، ومنصور وملك أخوان وهما من اولاد الشيخ
أبي بكر . ولهم ما للأمراء من الامتيازات الدينية ، وكانوا في سابق العهد أشبه بوزراء
أو مستشارين لهم يستعينون بهم في حفظ مصالحهم . وقد أقاموا في كل قرية من القرى
الكبيرة (بسميراً) لمباشرة أعمالها وحفظ الأمن فيها . وكانت العادة ان يجتمع البسميرية
كل يوم جمعة في (باعذرة) ويعقدون مجلساً تحت رئاسة الأمير للبحث عن المسائل
المهمة التي تتعلق بالشعب البزدي ويقررون ما يجب عمله . ولم يسبق لأحد من البسميرية
ان تقلد منصب الامارة سوى ما رأيناه من احدهم المدعو (خنجر بك) فقد نصبه أمير
العماوية (اسماعيل باشا) أميراً بمحل (جولو بك) الأمير الشرعي الذي قتلته . ولم تدم
إمارته اكثر من سنة واحدة ثم عزل وصودر وحبس وأمر حسن بك بن جولو بك .
وقد مضى على هذه الحادثة نحو مائة وستين سنة ولا يزال الامراء يحملون على البسميرية
غيطاً في نفوسهم من جراء ذلك .

وينحصر زواج الامراء بالبسميرية تقريباً وبالعكس . والبسميرية معوزون ، ومواردهم

قليلة بالنسبة الى غيرهم من الروحانيين . وقد قلوا في السنين الاخيرة وضعف شأنهم بينما كانوا قبلا كثيرين ولهم وجاهة ويأتون بالدرجة الثانية بعد الأمراء . وكان مركزهم الرئيسي قرية « كندالة » و « الجراحية » في الشيخان . والآن لم يبق منهم سوى بيتين في « كندالة » ، وبيت واحد في « الجراحية » ، وبيت في « آلمان » ، وثلاثة بيوت في « باعذرة » ، وبيتين في « عين سفني » ، وبضعة بيوت في سنجار . وقد نزع منهم أناس ، في أول عهد ظهورهم ، الى بلاد القوقاس ويعرفون هناك ببيت « آلي بك - علي بك » يوجد الآن منهم هناك خمسة اشخاص وهم : حسين بك ، وعرفوت بك ، وميران بك ، وخالد بك ، ويوسف بك ، وهذا الاخير متعلم وقد درس في جامعة « اجازين » وتخرج منها ويعرف الارمنية والجركية والروسية وكان نائبا في جمهورية « اريوان - الارمنية » .

﴿ رئيس الأئمة - ييش إمام - ﴾

هو من أسرة الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني الذي أصبح هو « والشيخ حسن البصري » واحداً بالتناسخ حسب اعتقاد البزيرية ويزعمون ان الشيخ حسن البصري كان كاتباً عند الشيخ عدي . وقد حرم الشيخ عدي القراءة على هذه الطائفة وحصرها في أسرته . وعلى رواية اخرى يرددونها ان « يزيد » بن معاوية لما نزل من السماء وحارب « الحسين » وغلبه ، استقر نحو ثلثائة سنة في الشام جمع فيها كافة الكتب والمدونات وأحرقها ، وحصر التعليم في أسرة الشيخ حسن البصري وحرمها على من سواهم . وهذا الاعتقاد وان كان يبدو غريباً ، لكن له صلة بالحقيقة ، اذ نعلم ان الشيخ حسناً واضع هذه الديانة كان قد حرم التعلم على هذه الطائفة وحصره في آل بيته ، كما انه جعل « شيختها » فيهم ، والمراد بالشيخة الرئاسة التي عبروا عنها بالامارة ، وقد ساقهم الاعتقاد الى ان الذي حرم مبدأ التعلم على هذه الطائفة وحصره في أسرة الشيخ حسن البصري هو « يزيد بن معاوية » . فمن أين عرف البزيرية « الشيخ حسناً البصري » ؟ وما هي علاقتهم به ؟ وكيف استعاضوا به عن « الشيخ حسن » الأموي وذهبوا الى هذا الاعتقاد ؟ من المعلوم ان مشيخة هذه الطائفة - اي زعامتها - بعد ان كانت منحصرة في أسرة الشيخ حسن واضع هذه الديانة كان قد نازعها عليها شيخ من

آل « الشيخ أبي بكر » وهو « الشيخ محمد » المعروف بين اليزيدية بالشيخ محمد الكردي الاربلي . وأقام في وجهها ثورة عنيفة أسفرت عن تغلبه عليها ونزعه الشيخة منها . وقد نال أسرة الشيخ حسن من جراء ذلك اضطهاد عظيم وقتل منهم أناس كثيرون وتفرق الباقون منهم في أنحاء البلاد ، فذهب من ذهب الى سنجار ، ومنهم من ذهب الى المنطقة الخالدية في قضاء « البشيري » في ديار بكر ، وفقدوا مكانتهم الدينية بين اليزيدية ولم يكتف شيوخ الشيخ أبي بكر بنزعمهم الامارة من اصحابها الشرعيين وتفرقهم شملهم ، بل حضروا على القوالين الاشادة بذكر الشيخ حسن بأناشيدهم في الحفلات الدينية ، وأرغموا الناس على ان يعرفوه باسم « الشيخ حسن البصري » لكي ينسوا اسمه ولكن بالرغم من ذلك فهم لا يزالون يتمتعون بامتيازاتهم التي خصهم بها الشارع كاجراء عقد النكاح ، والأمانة في صلاة ليلة القدر في مرقد الشيخ عدي . والقراءة والتعلم ، وحفظ الكتب والمدونات الدينية ، وهذه الامتيازات هي من اختصاص من يكون متصفاً بالامارة والرئاسة ، والملة تعرف ذلك جيداً ولكنها لا تستطيع ان تجاهر به ، وماذا تجديها المجاهرة به وقد مضى عليه ثلاثة عصور كاملة ؟



الشيخ حاجي بن الشيخ ناصو

﴿ الشيخ الأكبر - بابا شيخ ﴾

قدوة المشايخ ورأس الأئمة ، والممول عليه في الحكم العدل والقول الفصل ، كلامه مسموع ، وأمره مطاع ، وبه يقتدي الجمهور . وهو من أسرة (الشيخ فخر - فخر الدين) التي عرفت بحرصها على الزهد والطاعة ، والتمسك بأحكام الدين ، يتسم هذا المنصب الواحد تلو الآخر من هذه الأسرة بمصادقة الأمير عليه . والأمير يستشير في الأمور الدينية ويعمل برأيه . يحرم الخمر ولا يشربه خلافاً لليزيدية ، ويصوم أربعين يوماً في الصيف والشتاء (١) ويتحاشى مخالطة الناس والحديث معهم ، ويجوز له الإفطار إذا صنع أحد من ذوي اليسار طعاماً له بدعوى أنه صنع باسم الشيخ عدي فيأكل منه ويفسد صومه .

ومن امتيازاته توليه على سجادة ينسبونها إلى الشيخ عدي وهي مقدسة عندهم ، يعتني بالحفاظ عليها ولا يخرجها إلا في أيام مخصوصة ، ويذهب بها في عيد (الجماعة) إلى مرقد الشيخ عدي في احتفالات فائقة فيتسابق اليزيديون إلى زيارتها وتقديم عطاياهم لها ، وإذا ظهر (كوجك) وأيد تصرفاته في الأمور الباطنية كالطيران في الجو والمشي على الماء وغبر ذلك من الخوارق فيكون مضطراً إلى تسليمها له وتبقى في حوزته إلى أن ينقضي دوره .

ومن وظائفه الإشراف على زاوية الشيخ عدي وإعمار ما يتهدم منها ، وتنظيم أعمال (الكواجك) وتوجيههم إلى الاشتغال المناطة بهم ، ويكونون مسؤولين منه مباشرة . ولشيوخ الشيخ نحر مريدون يجمعون خبراتهم السنوية منهم ، ويتقدمون على بقية المشايخ باستثناء أسرة الشيخ حسن باعتبار أن الشيخ فخر الدين كان الأخ الصغير للشيخ حسن .

﴿ المشايخ ﴾

يرجع شيوخ هذه الطائفة إلى الشيخ عدي الثاني الملقب بابي المفخر ابن الشيخ أبي البركات صخر الذي يتصل بالجد الخامس عمران بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين ويعتقد (١) أن عادة صيام أربعين يوماً في الصيف والشتاء يعمل بها كثير من اليزيدية - لا سيما في الشيخان سواء أكانوا من طبقة الروحيين أم من العوام ويراد بها الطاعة والتعبد .

الشيوخ أنهم من نسل يزيد بن معاوية الذي عرفوه إلهاً وقد حل فيهم منه جزؤ آلهي وأصبحوا قادرين على تغيير مجرى الحياة ، والتصرف بشؤون الكون ، وينصرفون في بضع أسر لكل أسرة ميزة خاصة اختصها بها الشارع للدين اليزيدي وجعلهم أمناء على أسرارهم ، وقواما على شريعته ، وهداة لقومه يتصرفون بعقولهم وأرواحهم ويحللون لهم ما يشاؤون ، ويحرمون عليهم ما يشاؤون ، ويسنون لهم الشرائع ويدعونهم الى اتباعها والعمل بها ، ويلقنهم ما للاله المنبوذ من سلطة مطلقة على البشر وانه لا سبيل الى خلاصهم منه الا بتقديعهم له النذور والتحيرات على يدهم ، ويقصون عليهم حادثة التكوين والخلق ، وان الشعب اليزيدي لم يخلق كسائر البشر بل خلق بصورة استثنائية محاولين بذلك تمييزهم عن بقية الشعوب ، واعتبارهم أنفسهم وحدة عنصرية لها تميزها وتفوقها ، ويدخلون في عقولهم ان السلم والحرب ، والخصب والجذب ، والسعادة والشقاء ، والحياة والموت وغيره من كل ما يعترض الانسان في حياته الاولى هو من صنع آلهتهم ، وهم وحدهم قادرون على تغيير مجراه ، وما أنتجته العقول البشرية من اكتشافات واختراعات جميعه قد بحث عنه كتاب (الجلوله) و (مصحف رش) ولولا هذان الكتابان لما توصل أهل الغرب الى اكتشافاتهم واختراعاتهم .

والشأن ينقسمون الى بضع أسر وهذه أسماؤهم :

- (١) أسرة الشيخ حسن ، (٢) أسرة الشيخ نغر الدين ، (٣) أسرة الشيخ شرف الدين
- (٤) أسرة الشيخ سجادين «سراج الدين» ، (٥) أسرة الشيخ آمادين «عماد الدين»
- (٦) أسرة الشيخ ناصر الدين ، (٧) أسرة شيخ شمسا ، (٨) أسرة الشيخ أبي بكر ،
- (٩) أسرة الشيخ مند .

وعلى عرف اليزيدية ينقسمون الى ثلاثة أصول رئيسية : (١) آداني (٢) شمساني (٣) قاتاني ، وقد تفرع من «آداني» ستة فروع «الأول» أسرة الشيخ حسن وهم في قرية بمشقة وبجزاني قريبا من الموصل وفي سنجار «الثاني» أسرة الشيخ شرف الدين وهم في سنجار ومنهم «الشيخ بحري» متولي مرقد الشيخ شرف الدين ، ويوجد بيت واحد منهم في الشيخان في قرية ابيان كبيره «الشيخ اسماعيل» وبعد إماما للشيخ

الأكبر « بابا شيخ » ، وواجهه مرافقته في الحفلات الدينية .

« الثالث » أسرة الشيخ زندين ولم يثبتوا له ذرية ويقصدون به الشيخ زين الدين ابن الشيخ شرف الدين بن الشيخ حسن الذي هاجر الى الشام ومنها الى مصر وتوفي فيها « الرابع » أسرة الشيخ ابراهيم الختمي وهم ساكنون في سنجار .
« الخامس » أسرة الشيخ موسى ومنهم بيت الشيخ باجو في « كرسي » وبيت الشيخ خير و في كباره وكولكان في سنجار .

« السادس » أسرة الشيخ يقيا « اي الشيخ اليقيم » ومنهم بيت الشيخ سعدون في قرية « كنعان » في سنجار .
وهذه الأسر الثلاثة لم يكونوا معروفين ، وهم فرع من الأسر الأخرى وجميعهم يرجعون الى أسرة الشيخ حسن .

وظهر من أرومة « شمساني » سبعة فروع « الأول » أسرة الشيخ شمس ويقال لهم « شيخ شمس » ومنهم بيت الشيخ رمضان في قرية « بجزاني » وتنحصر تولية « برشباكي - سرير الشيخ عدي » فيهم ويحملون صفة « شيخ وزير » ، وبيت الشيخ خضر في بوزان ، وبيت الشيخ عبدال في بايرة « في الشيخان » وبيت الشيخ خلف بن الشيخ يزدين في بردحلي « في سنجار » ويتولون مراد « شيبو القاسم - شيخ ابو القاسم » .

(الثاني) أسرة ملك فخر الدين ويقال لهم أسرة الشيخ فخر ، وينحصر منصب المشيخة الكبرى (بابا شيخ) فيهم . ومنهم شيخ حجي بن الشيخ ناووس الذي يشغل هذا المنصب في الحال الحاضر ، وبيت الشيخ سليمان في قرية عين سفى في الشيخان ، وبيت الشيخ خضر ابن الشيخ عطا في سنجار .

(الثالث) أسرة الشيخ مند . منهم بيت الشيخ آودي وبيت الشيخ محمود في سموقة (في سنجار) .

(الرابع) أسرة الشيخ سجادين . ويراد به (الشيخ سراج الدين) ، منهم الشيخ خلف بن الشيخ ناصر كبير المسكان في سنجار وبيت الشيخ خدر ابن الشيخ برو في

بعشيقه (في الشيخان) .

(الخامس) أسرة الشيخ ناصر الدين . منهم بيت خديده ديري في بحزاني (في الشيخان) وبيت الشيخ نذير عيسكو في نكري (في سنجار) .

(السادس) أسرة الشيخ بابا دين « ولعله محرفاً من الشيخ بهاء الدين » . منهم بيت الشيخ مراد مالا مازن (البيت الكبير) في قرية محمودان (في سنجار) .

(السابع) أسرة الشيخ آمادين « عماد الدين » وهم قليلون . منهم الشيخ خلف بن الشيخ ابراهيم في الحليقية ، والشيخ آودي في علي دينا (في سنجار) ، ومنهم أفراد في قرية بحزاني .

ويتفرع من أرومة « القاتاني » فرعان : (الاول) الأمراء وفي عدادهم البسميرية ، و (الثاني) أسرة الشيخ أبي بكر وأكثرهم في قرية بحزاني وفي باعذرة (في الشيخان) ومنهم أفراد في سنجار .

ويدخل في « القاتاني » أسرة الشيخ عبد القادر الكيلاني وهم في قرية الجنونية في سنجار ، وأسرة الشيخ اسماعيل في بحزاني (١) وأسرة « ايزدين ميرزا » في بحزاني ايضاً (٢) .

وقد قضت الشريعة اليزيدية بصورة مطلقة تحريم الزواج بين هذه الأرومات الثلاثة

(١) لم أتمكن من معرفة هذه الأسرة ، واليزيدية كذلك لا يعرفونهم ، وهم - على كل حال - ليسوا من البيت العدوي ولم تربطهم بهم رابطة نسب ، الا ان التقليد اليزيدي قد أباح لأسرة الأمراء مصاهرتهم . حتى ان الأمير المتوفي سعيد بك تزوج منهم وقد توفيت زوجته وترك ولداً اسمه (ميرزا) وهو أكبر اولاده .

(٢) ويراد به (ميرزا باشا) الداسني الذي سياتي البحث عنه - في القسم التاريخي من كتابنا ، و (ميرزا باشا) لم يكن له صفة روحية بل هو من العوام ، بدليل عدم وجود مریدین لتربيته بين اليزيدية وليس لهم طريقة معروفة . ويظهر ان الأمراء قبلوا مصاهرتهم - خلافاً للتقاليد الدينية - لما كان (لميرزا باشا) من السلطة الزمنية في عهده ، فقد تولى الموصل على زمن السلطان محمد بن ابراهيم (١٠٥٨-١٠٩٩هـ) وكانت ولايته سنة (١٠٦٠-١٠٦١هـ) . وروى لي رئيس الاسمة الشيخ نذير ان بيت (ايزدين ميرزا) يتصل ببيت الشيخ اسماعيل وهي رواية ضعيفة . والتقليد اليزيدي الديني لا يؤيدها . ويوجد الان من هذا البيت شخص واحد اسمه (حسن شمسي) يسكن قرية باعذرة ، وأمه شمسي هي بنت عبيدي بك وشقيقته ميان خاتون .

ولم يسبق في التاريخ البزدي ان وقع زواج بين أرومة واخرى عدا ما ذكرناه من تزوج الامير حسين بك بن علي بك « غزو خاتون » من بيت الشيخ عبدال بسك من أسرة شيخ شمس من أرومة « قاتاني » .

وحسبنا دلنا عليه البحث والتحقيق ان كثيراً من شيوخ أسرة الشيخ حسن والشيخ أبي بكر والشيخ فخر والشيخ سجادين موجودون في تفليس وباطوم والكساندرابول، وهم يراعون تقاليد الزواج بينهم بكل دقة .

ومن التقليد الديني ان يكون لكل بزدي شيخ يتمرد عليه ويستمد الفيوضات المعنوية منه ، كما انه يتحنم على الشيخ ان يشمل مريده بمطفه ويساعده على اكتساب مراضي الآلهة وبقية سخطهم وغضبهم . ولذلك فقد كانت أعطيات المريد السنوية والموسمية الى شيخه بنسبة ما يناله على يده من سعة في الرزق وبعد عن الارزاء والنوائب ، واذا أشرف المريد على الوفاة يحضره شيخه ويلقنه وجوب اتباع (طاؤوس ملك) والثبات على الدين البزدي ويقوم بتغسيله وتكفينه ودفنه .

﴿ البير ﴾

معناه بالفارسية والكردية « الشيخ المسن » وفي اصطلاح الصوفية يفيد معنى المرشد والمربي ، وقد يطلق على زعماء الطرائق فيقال « بير طريقت » اي شيخ الطريقة ، وهذا الاصطلاح مستعمل عند الباطنية كافة في فارس ، ويجوز أنهم أخذوه من بعض أصحاب المذاهب في الهند .

والبيرة لم تكن منزلتهم الدينية عند البزدية بأقل من المشايخ ، وقد ينحسرون في بضع أسر يرجعون بأنسابهم الى رجال من الإسلام كان لهم مقام مشهود في مناصرة آل عدي في نشر دعوتهم عندما كانت خالصة وتقية ولم يدخلها فساد أو زيغ . يكفينا دلالة على ذلك وجود أسرة منهم ترتقي بنسبها الى الشيخ قضيب البان (١) وكان لقضيب

(١) هو ابو عبد الله الحسين بن عيسى بن يحيى بن عبد الله بن ابي جعفر بن عبد الله الاكبر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن حسن المثنى بن الامام حسن بن علي بن ابي طالب : كان احد الاولياء الاعماد المشهورين والنبلاء المذكورين ، توفي سنة ٥٧٠ في الموصل ودفن على ربوة مقابل باب سنجار وقبره من المزارات المشهورة .

البان هذا صلة بالشيخ عدي بن مسافر ، وكان يتردد بينه وبين الشيخ عبدالقادر في بغداد بالرسائل (١) وكذا بيرة محمد رشان وكان لمحمد رشان صلة صالحة أكيدة مع الشيخ عدي (٢) ، وما يقال عن بيرة قضيب البان ومحمد رشان يقال عن البيرة الاخرى وهذه اسماؤهم :

١- بير هاجالي : « هكذا يلفظونه ولعله محرفاً من حاجي علي » تقيم أسرته في قرية باعذرة واليهم ينتسب بيت « بير سن » المعروف .

٢- بيرمام شقان : ومعناه « العم الراعي » تقيم أسرته في قرية « مام شقان » في الشيخان ومنهم بيت « بير علو » .

٣- بير محمد رشان وفي كتاب : قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبدالقادر « محمد بن رشا وهو كردي الأصل » يقع مرقدته في السفح الشرقي من جبل مقلوب ، وأسرته يقيمون قريباً منه ، يؤمه خلق كثير من مسلمي الأكراد والبزيرية للزيارة والحلف به لحسم المنازعات التي تحدث بينهم وأسرته لا يزيدون على بضع بيوت ولهم مكانة مرموقة بين البزيرية ، ومحظور على الأمراء ان يتدخلوا في شؤونهم ، او ان يقضوا في أمر بينهم ، واذا ما حصل بينهم خلاف فعلى الأمير ان يودعه الى « الشيخ الأكبر » وهو وحده له الحق ان يقضي فيه كما انه ليس للأمير ان يتدخل في شؤون مرقد محمد رشان ولا في نذوره وخبراته .

٤- بير جروانه : وأسرته يسكنون قرية عين سفني ، منهم بير عثمان وبير خليل ، والأمراء يتمردون عليهم ، أي يكونون لهم مرداء .

٥- بير حاجي محمد : يقال أنه أخاً لبير جروانه وقد مات بلا ولد ومريده هم أسرة « الشيخ حسن » يتمردون على أسرة أخيه ، ولما لأسرة الشيخ حسن من المكانة الدينية الرفيعة ، فقد جرت العادة ان لا يقدم مريدهم النذور اليهم بدأ بيد بل يضعونها على الأرض احتراماً وتوقيراً ، فيتناولها بيرهم من المحل الذي وضعت فيه .

٦- بير حسن ممان : توجد أسرته في عدة قرى في الشيخان ، ومنهم أناس في نصيبين وفي بلاد الروس وهم أرفع مكانة وأعلى منزلة من بقية البيرة .

- ٧- بير ايسبيا : توجد أسرته في الشيخان وفي بلاد الروس .
- ٨- يراقات : كذا » »
- ٩- بير هاسنالك : تنحصر أسرته في قرية سموقة من قرى سنجار .
- ١٠- بير آلي : ويجوز ان يكون محرّفاً من بير علي توجد أسرته في عشيرة الجيلكان في قضاء نصيبين .
- ١١- بير خاني : أصله من منطقة الخالتية في ديار بكر ، وقبره موجود بزار ، وقد نزلت أسرته الى قضاء الشيخان وقيمون الآن في قرية عين سفني .
- ١٢- بير قضيب البان : لم يبق أحد من أسرته لا في الشيخان ولا في سنجار ، وقد انقرضوا منذ عهد قريب وفي قرية « ديره بون » من أعمال زاخو رجل شيخ وإمرأة عجوز من ذريته لا نعلم هل بقيا أم هلكا ، وحدثني القوالون الذين جابو بلاد الروس أنه يوجد هناك بضع بيوت منهم .
- ١٣- بير بوال : من ذريته درويش مجبور في قرية عين سفني .
- ١٤- بير عمر خاله : له مريدون في الشيخان وفي سنجار .
- والبيرة أحرار في الأزواج بينهم باستثناء « بيرة حسن بمان » فلا يجوز لهم الزواج مع الغير بصورة مطلقة ، وكذلك بيرة محمد رشان وبيرة جروانه فقد يمدون أكفاه بعضهم لبعض وينحصر تزاجهم بينهم .
- وكما ان لكل « شيخ » بير يتمرد عليه فلكل « بير » ايضاً شيخ يعطى كل للآخر نذوره وخبراته .
- واليزيدي لا يمد يزديدا ما لم يكن له شيخ ويبر يتمرد عليها ، ويكل أمره اليها ، ويرجو منها الشفاعة يوم الآخرة .
- والبيرة عدا ما لهم من نفوذ في تدوير شؤون الحياة ، لهم سلطة واسعة على النفوس والأرواح ، وقد يشفون المرضى والمجانين بالرقى والعزائم ، ويعالجون العلل والعماهات بالآتربة التي يأتون بها من أضرحة أوليائهم ومشائخهم وقد يعينون المشايخ في تفسير الموتى ودفنهم ، ويزورونهم في أيام الأعياد ويطلبون لهم المغفرة من الآله السامى .



الفقير درويش بن الفقير هو شبرو وعلى يمينه أخوه الفقير مند بخرقهم السوداء
وعلى يساره اسماعيل بك عبدي بك

﴿ الفقير ﴾

ومنهم صنف يقال لهم الفقراء وأكثرهم في جبل سنجار وقليل منهم في الشيخان ،
والفقير باصطلاحهم تارك الدنيا والزاهد فيها ، يلبس على جسده خرقة سوداء صوف ،
ويكتسي فوقها فروة وعباءة في الشتاء ، ويجتنب اللذات في معاشه وفي فراشه ، وليس
أصح من وصفه بالناسك المتعبد الذي هجر الدنيا وتفرغ للعبادة وأصبح محل الرحمة
والعطف ، وهذا ما دعى القوم الى الاعتقاد بأن من أساء الى فقير يكون قد ارتكب
اثماً لا سبيل الى تكفيره .

هكذا عرف الفقير في أول نشأته ، وهكذا عرف الى ما قبل بضع عشرات من السنين
ولكن كيف أصبح في السنين الأخيرة عنصراً فعالاً وأخذ اليزيدية يخافونه ويخشون
بأسه، وانحصرت زعامة جبل سنجار في (هو شبرو) الذي هاجر من قرية (خانك وقيغ)
في الشيخان وهو فقير بالمعنيين الديني والمدني ؟

أن الفقير بعد أن وجد هذه الحصانة القوية وهو ذو مظاهر كبيرة ، وتحقق عنده أن التقليد الديني جعله في حوز منيع من اعتداء البزيرية وأنه ليس بالامسكان أن يمسه أحد بسوء ، لم يتوان عن أن يزج نفسه في الحروب العشائرية فلم يك للعشائر المتعادية بد من الاستعانة به والاستفادة من قوته ، فقويت شوكته واتسع نفوذه ، وهكذا لم يمس عليه طويل زمن حتى أصبح مهاباً في نظر البزيرية قاطبة وتقلد (جهوشيرو) حاكمية الجبل طيلة مدة الاحتلال البريطاني .

أما الفقراء الذين في الشيخان فليس لهم عصبية طائفية ، ولم يكونوا ذوي سلالات معروفة ، والتقليد الديني أباح لكل بزيري (سواء أكان من الروحانيين أم من صنف العوام) أن يصير فقيراً بعد أن ينذر نفسه حياة الزهد والطاعة ويكتسي خرقة الفقر على أن يصادق الأمير على أهليته لسلوك هذه الطريقة ويلبسه خرقة الفقر بيده . والفقير لا يشترط أن يكون ابنه فقيراً بل يجوز أن يتجرد من هذه الصفة ، وللاُمير أن ينزع خرقة الفقر ممن يجد فيه ما يخالف شعائر الدين ، وله أن يعاقبه بأشد العقوبات (١) ويحرمه من حقوقه الدينية .

العلامة التي يتميز بها الفقير : يشد الفقير فوق خرخته السوداء حزاماً أحمر من صوف ويسمونه (محك) فيه حلقة صفراء من نحاس ويعتقد أنها من صنع القدرة ، ويسمونها (خادم) وهذا الحزام وهذه الحلقة لم تكونا أقل حرمة من الخرقة (٢) ، ويربط في عنقه حبلاً دقيقاً يسمى (طوق يزيد) ، ويضع على رأسه كمة يسمى (كلك) - بكاف عربية مضمومة ولام مشددة مكسورة - يستعملها تشبيهاً بتاج الشيخ عدي ولها عندهم حرمة كبيرة وسيان أُلثم البزيري هذه الكمة أم الخرقة .

(١) « الفقير الذي يخالف قوانين وفرائض الديانة ، ويخالف أوامر الخليفة أمير الشيخات يفلحونه (كذا) اللباس الديني ويخلعون وجهه ويطردونه من بين الجماعة ، وهكذا يعملون مع باقي الفرق البزيرية أيضاً .. » - من مقالة عن معتقدات البزيرية وعاداتهم لاسماعيل بك جول من اسرة الامراء وردت في (البزيرية قديماً وحديثاً) ص ٩١ -

(٢) من المحتمل ان يكون الفقراء وبقية رجال الدين البزيري قد أخذوا هذا الحزام من الجيوش اذ كان هؤلاء يشدون في اوساطهم حزاماً غليظاً يسمى « كستنجاً » يكون على الاغلب من الليف . (راجع التنبيه والاشراف للسعودي) .

ولم تكن الكمة مختصة بالفقراء ، بل يلبسها الرجال الروحيون عامة وحتى القوالون .
مصير الخرقه والكمة : نظرا لما للخرقة والكمة من الحرمة الكبيرة عند اليزيدية فقد جرت
العادة أن يحفظوها في محل يسمى (خانه خرقى) في مرقد الشيخ عدي عندما تخلق
ولم تعد تصلح للاستعمال ، وفي سنجار يحفظونها في محل قريب من « كاني بير آخايي »
في قرية كولكان في محل مجوف فوقه صخرة كبيرة فتبقى الى أن تبلى وتصبح ترابا .
ما للخرقة من الحرمة عند اليزيدية : للخرقة عند اليزيدية حرمة كبيرة ، وقد يحلفون
بها ويلتمونها ، ويحرمون قتل القملة التي تكون عليها ، واذا ضرب فقير يزيديا ، حتى
ولو كان من أصحاب المراتب الروحية ، فليس له سوى ان يقف أمامه مصليا يديه على
صدره ويتلقى ضرباته برضى وقبول ، وان تجاسر على مقابلته فليس له شفاعاة .
كيف يكون اليزيدي كاملا : لا يكون اليزيدي بنظر الشريعة كاملا ما لم يتمسك بثلاثة
أمور : (١) الشريعة (٢) الطريقة (٣) الدر بخرقة . فالشريعة ان يجتنب مصاحبة من هو
خارج عن ديانتهم ويعتزله بصورة مطلقة . والطريقة ان لا يخرج المريد عن الحدود
المفروضة عليه ، ويمارس وظيفته دون ان يتعرض لوظائف غيره ، وان ينقاد لشيخه وببره
انقيادا أعمى دون ان يخامر شك في صحة ما يلقيانه ويفرضانه عليه الدر بخرقة : إظهار
العناية الشديدة بالخرقة التي يكتسيها الفقير والحرمة لها ، واليزيدي الذي لا يراعي هذه
الامور الثلاثة لا يعد يزيديا كاملا (١) .

ومن التقليد الديني ان يدفن الفقير في خرقته ، وولد الفقير اذا مات دون ان يبلغ
السن الذي يؤهله لا كتساء الخرقه ، يدرج في خرقه حتى ولو كان ابن عامين .
ويشترط على الفقير ان لا يرخي لحيته ، وان لا يستعمل موسى او مقراضا ، ويجمع
ما يتساقط من لحيته ويضعه في شق حائط او محل بعيد عن متناول الأيدي ووطه

(١) سمعت امرأة يزيديية تدعو على صاحبة لها ان يعثر حظها وتهين خرقه فقير . سألت احدهم عما تقصد
هذه المرأة من هذا الدعاء - قال لي : تقصد اخراج المدعو عليها من الدين اليزيدي .
وكان لدي خادم يزيدي من اهل ايسيان كانت سرق مرة دار يزيدي في باعذرة ، وما أشد جزعه
عندما وجد خرقه فقير بين الاشياء المسروقة فأعاد الاشياء المسروقة الى صاحبها وذبح ست نعاج وبقرة
- وهو كل ما يملكه - قربانا الى الآلهة تكفيرا عن ذنبه .

الأقدام .

واستعمال الموسيقى والمقراض محرم على رجال الدين البزدي قاطبة باستثناء البسميرية والأمراء الذين لم يرشحوا أنفسهم للأماره .

وأكثر الفقراء هم من الريدين ، ويوجد من الروحيين من اكتسب هذه الصفة ولبس الخرقة تعبدًا وزهادة ، ولذلك لا يجوز للفقراء التزادج بينهم دون مراعاة الصفة الدينية التي يتصفون بها .

كيف استعمل الفقير الخرقة وعمن أخذها؟ كانت الثياب المصنوعة من خشن الصوف علامة على الزهد قبل الاسلام وقد شاع استعمال هذا النوع من الثياب بين زهاد المسلمين الأوائل ومنه اشتق اسم الصوفية الذي استعمل قبل نهاية القرن الثاني الهجري والبزدية باعتبارهم فرقة « صوفية » أدركها المسخ ، ظل المتزهدون منهم محتفظين بهذا الكساء ولم يغيروه . وكان في الاسلام يسمى بمختلف الأسماء كالمدرعة والمسوح والملحفة والكساء والرداء وغيرها .

ويرى البعض ان الخرقة دخلت عليهم من متصوفي الهنود ، وأن صفة « الفقر » لا تزال موجودة عند طائفة من البوذيين في الهند ، وكانت طائفة من « الهنود » (١) من أتباع الشيخ عدي وسالكي طريقته يسكنون قريبا منه في قرية « اشكفت هندوان » وقد أخذ بعض المتزهدة من مریدی الشيخ عدي هذه الخرقة منهم .

ويذهب بعض كتبة النصارى الى انها مستعارة من « الاسكيم » الذي تكتسيه طائفة الرهبان إقتداء بالعابد الزاهد « انطونيوس » الذي قضى حياته في السهول والبراري (٢٥١ - ٣٥٦ م) وقد يعمل اصحاب هذا الرأي دعواهم بان النصرانية بعد ان انقرضت في سنجار ، كان من الطبيعي ان يعتنق الباقون منهم الدين البزدي طوعا او كرها ، وقد حافظ قسم الرهبان منهم على صفتهم الكهنوتية وأصبحوا فقراء ، وتحول « الاسكيم » الذي يلبسونه عادة الى « الخرقة » وليس من كبير فرق بينهما .

اتنا لا نقطع بارجحية احد هذه الاقوال الثلاثة ولكن من الحق ان نعترف بان الطابع

(١) سمام صاحب فرائد الجواهر (ص ٨٨) بالهندوان . وقرية اشكفت هندوان القائمة الآن سميت بها . واشكفت تنيد معنى المغارة .

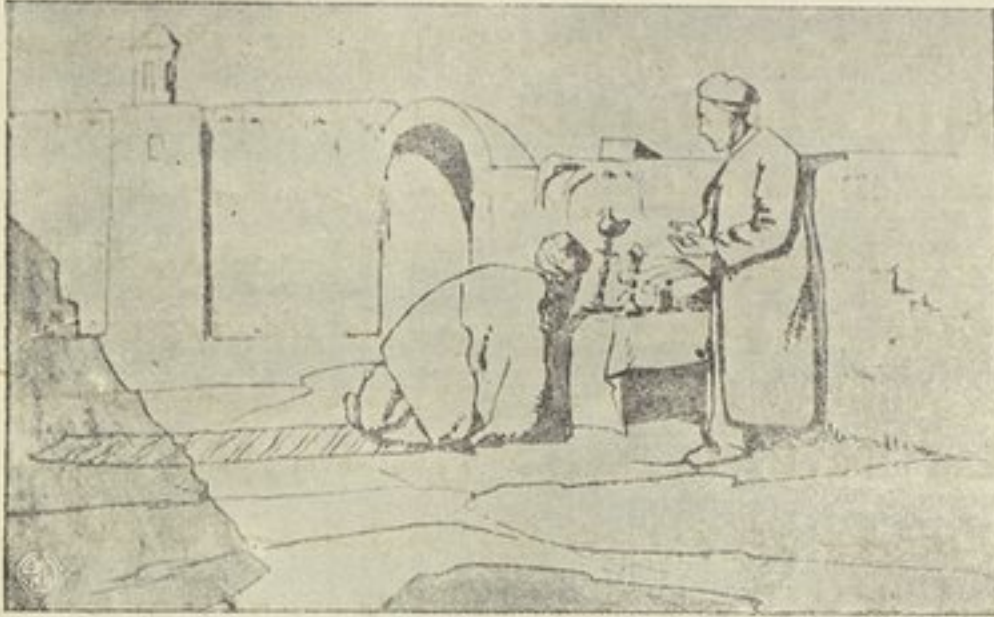
النصراني لا يزال ظاهراً على فقراء جبل سنجار خلافاً للفقراء الذين في الشيخان وطور عابدين ، الأمر الذي يجعلنا ان نميل الى هذا الرأي الاخير ونحله محل الاعتبار .

أما الطابع النصراني الذي نجده فيهم فهو : (أولاً) احراقهم البخور في نواديهم ومجتمعاتهم أيام الاعياد والمواسم بينما لم تكن هذه العادة موجودة بين سائر اليزيدية وإنما إحراق البخور عندهم خاص بأيام الزيارات في مرقد الشيخ عدي فقط . (ثانياً) اطلاق يزيديّة سنجار عليهم الى زمن غير بعيد اسم « رهبان ديرى » كناية عن ذلهم ومسكنتهم . (ثالثاً) تهاونهم في اجراء سنة الختان حتى أن أحد اولاد مقدميهم لم يختن إلا عندما أراد أن يتزوج وقد تجاوز العشرين من العمر ، بينما يجري الختان عند اليزيدية في أول أيام الولادة وقد يجوزون تأخيرها الى بلوغ المولود العامين من عمره . (رابعاً) ما يرميهم البعض باصطيادهم الخنزير وأكله سرّاً وهو محرم عند اليزيدية تحريماً مطلقاً . (خامساً) تزوج أحدهم فتاة أرمنية تربت في دار اسماعيل بك بن عبيد بك في سنجار وهي أول حادثة جرت بين اليزيدية من نوعها . (سادساً) بعد أن تم اتصافهم بالانكليز أخذوا يكثر من القسم « بعيسى النوراني » فمن شاء فليقل أن ذلك ترفلاً الى الانكليز او رجوع الى النصرانية .

﴿ القوال ﴾

القوال في اللغة الاسن القصص ، الكثير القول . فيقال رجل قوال وقواله تقوله وتقواله بكسرهما ومقول ومقوال . وهو عندهم الذي ينشد الاناشيد في الحفلات الدينية ومراسم الزيارات وعند دفن الاموات ، ويلزم « السنجق » في تطوافه بين اليزيدية . وكان على زمن الشيخ عدي يسمى « بالحادي » ووظيفته انشاد الاناشيد في مجالس السماع . وقد حتمت عليه وظيفته حفظ المدائح التي تتضمن الاشادة بفضائل أئمتهم ومشائخهم ، ومعرفة الاخبار التي تروى عنهم . والقوالون لهم خبرة واسعة بمعرفة الشعوب والقبائل اليزيدية ، ومن شأنهم المبالغة في نقل الاخبار والحوادث . وهم اذكياء لبقون ، جرارون نفعيون ، يعرفون كيف يستهوون الناس في قصصهم وأحاديثهم .. وكان الأمراء يعتمدون عليهم وقد اتخذوهم كسفراء لهم الى اليزيدية الذين هم بعيدون عنهم . وقد جرت العادة ان

يتضمنوا السنجق بيدل معين من الأمراء ويطوفون به على حسابهم ، فيرهبون الشعب
بأخذهم الخيرات منهم فوق طاقتهم ..



يزيدي يزور الطاؤوس والقوال يدعو له بالاستجابة

والقوالون هم عرب من اهل الشام كانوا رافقوا الشيخ عدياً في مجيئه الى هذه البلاد
وكانوا خداماً له . ويعمدون من طبقة العوام ، وليس لهم صفة روحية ، وينحصرون في
أسرتين تضم الأسرة الواحدة عشرة بيوت ، وكان الزواج محرماً عليهم بغير صنفهم ،
شأنهم في ذلك كشأن الأسر الروحية . ولكن لما قلوا وأصبحوا مهددين بالانقراض ،
أصدر الشيخ الأكبر « بابا شيخ » فتوى باباحة تزوجهم من صنف المريدين ، إلا أنهم
لا يرغبون كثيراً في تزويج فتياتهم من الغرباء اذا وجد من يزوجهن من جنسهم .
وتنحصر الخدمات الواطئة فيهم ايام الزيارات في مرقد الشيخ عدي ، ومن واجبهم
تنظيف الأزيل والأوساخ فيه بعد الانتهاء من الزيارة ، وكانوا يقومون بهذه الوظيفة
منذ عهد الشيخ عدي ، ولا يزالون يحافظون عليها .

ويسمىهم اليزيدية الاكراد بالـ « طازيه » ومعناه السلوقية ويفخرون بهذا الاسم ،

ويدعون ان الشيخ عدياً هو الذي سماهم به لانهم كانوا يركضون كالكلاب السلوقية في خدمته (١).

﴿ المريد ﴾

يطلق هذا الاسم على كل من هو خارج عن صفوف الروحانيين من دهاء الملة وسوادها. وهم أشبه بالطائفة المعروفة لدى البراهمة بالمنبوذيين ، وقد جعلهم الدين اليزيدي أحط الطبقات ، وقيدهم بقيود ثقيلة ، وضيق حريتهم ، وحرّمهم من كثير من الحقوق الاجتماعية ، وبعدّهم الروحانيون . وهم الطبقة الممتازة - غاية في النجس والرجس - يأبون مصاهرتهم وفرضوا عليهم الخضوع والاستسلام ، ومنعهم عن التفكير والكلام في كل ما له مساس بالدين ، وأفهموهم انه لا يتم ايمانهم ولا يعدّون من زمرة « يزيد » الناجية إلا باستحصال مراضيتهم ، وبذلك جعلوهم آله بيدهم يستخدمونها في سبيل مصالحهم كما يشاؤون ويحطمونها متى يشاؤون .

هكذا كان المريد الى قبل قليل من السنين ، أما الآن فقد أخذ يستخف بهذه القيود ولا يعبأ بها ، عدا ما كان من مجانبته مصاهرة من لم يكن من جنسه ، واستجلاب مراضى شيخه ويبره اللذان يتاعذ عليها وازدري ببقية الواجبات المفروضة عليه ، ولا يكاد ينظر الى رئيسه الديني الا كبر كما كان ينظر اليه قبلاً ، والذنب في ذلك يرجع الى الروحانيين أنفسهم إذ هم الذين أخرجوه على الخروج عن طاعتهم بحشمتهم وطمعهم الذي لا يقف عند حد ، وسلوكهم معه خطة تنافي الخطة التي يجب ان يتبعها المرشد مع تلميذه .

ولما كان المريد لم يخرج عن كونه عبيد شيخه وليس في مقدوره ان يخالفه بشيء فقد كان من حق شيخه ان يبيع مشيخته عليه لا آخر غيره من عين السلالة التي ينتمى اليها ويصبح للشيخ الذي يدخل في حوزته الحق بان يختص بنذوره وخبراته ، وهذا لا يحدث إلا نادراً وقليلًا ، إذ قل من يرضى بان يبدل منفعته الآجلة بمنفعته العاجلة

(١) وهذا وهم منهم والصحيح انهم بصفتهم عرب ، فلاجل تمييزهم عن الاكراد سموا (تازي) ويطلق بالفارسية على كل ما هو عربي فيقال (اسب تازي) اي الجواد العربي و (زبان تازي) اي اللسان العربي ثم حرفوه فاصبح طازي .

وعلى الدكتور داؤد الجلي كلمة تازي نسبة فارسية الى طائي كما نسبوا الى الري رازي والى مرو مروزي اذ كانت قبيلة طلي مجاورة لملك الساسانيين عرفوا جميع العرب نسبة الى هذه القبيلة .

ويحرم أولاده وذريته من مورد خصب لا ينضب .
وهنا يرد سؤال : وهو كيف بالمريد اذا مات شيخه ولم يكن من ذريته او من سلالة
من يتولى شيخته ، وهل يجوز ان يبقى دون شيخ يساعد على استحصال مرضي الآلهة
ويدفع الرزايا التي تفتابه عنه ؟ والجواب : كلا ! وعليه ان يلجأ الى الأمير فوراً وهو
الذي يختار له شيخاً يديعه عاينه بثمن يرضيه .

﴿ الكواجك ﴾

لم نقف على ما يفسر لنا معنى هذه الكلمة ، وقد ذهب أحدهم الى انها محرفة من
« كوشه نشين » ولكنه توجيه غير صحيح ، والكواجك هم من طبقة العوام وليس لهم
صفة دينية ، ويختصون بخدمة الشيخ عدي ، وهذا هو الذي دعاهم الى دعوى القيام
بالاصلاح بين الملة من وقت الى آخر بحجة انهم قد أسروا به . والملة مرغمة على الانقياد
لهم والتصديق بكل ما يملونه عليهم ، وقد تكون دعوتهم قصيرة المدى ، وسرعان ما يقضى
عليها بالفشل ، وكثيراً ما يذهبون ضحية في سبيلها .

والكواجك تابعون لسلطة الشيخ الأكبر « بابا شيخ » وهو الذي يوجه هذه الصفة
اليهم بعد ان يختبرهم ويتأكد من كفاءتهم ، وقد يتم ذلك بشد حزام على خصورهم فيه
حلقة من نحاس ، واذا ظهر غلاء او وباء يجمعهم في صعيد واحد ويأمرهم بالدعاء والصلاة
نحو ثلاث ساعات ، وربما الليل كله ، ويضعون رؤوسهم على الارض ليتصلوا بالملكوت
الأعلى ، وتنكشف لهم حجب الغيب ويقفون على أسباب ذلك الغلاء والوباء ويعلمون
الشيخ الأكبر به ليعالجه هو بدوره ، ومن اختصاصهم الاكتشاف بالقوة الروحية عن
مصير الاموات والمكان الذي انتقلت اليه أرواحهم وماذا تلاقيه من نعيم وعذاب ،
ويعلمون ذوبهم فيهم (١) .

(١) قرأت في رسالة خطية لسكان مسيحي سلكن قرية (بجزاني) زمناً وخالط اليزيدية ووقف على
دخائلهم ان الكواجك عندما يجتمعون يقص الواحد على الآخر ماله من قدرة على المكاشفات واطلاع
على اسرار السكائنات ، فمنهم من يدعي ان الشيخ عديا يظهر عليه كل ليلة في حالة النوم ويوقفه على ما كانت
وما سيكون من احوال العالم . وآخر يدعي انه في مقدوره ان يظهر بأي شكل من الحيوانات موراً او
قرداً او حية او هرة . وآخر يدعي ان كثيراً من الانبياء يزورونه في كوخه ، ومنهم السيد المسيح الذي



طائفة من الكواجك

﴿ الكواجك وشعوذتهم ودجلهم ﴾

لا غرابة ان نجد البزيدي أكثر الناس ميلا الى قبول الشعوذة والدجل وكتابه الديني المسمى « بالجلوة » أوجب عليه الايمان والتصديق بما يمليه عليه الكواجك من الاشياء الغيبية التي تصل اليهم بطريق الالهام من لدن المعبود الاعظم، إذ جاء في الفصل الخامس من كتاب الجلوة : « أطيعوا ، أصغوا الى خدائي بما يلقنونيكم به من علم الغيب الذي هو من عندي » ، فمن هم خدامه الذين يلقنونه علم الغيب ؟ أليس هؤلاء الكواجك الذين قصروا خدمتهم عليه ، وهم أقرب ما يكونون منه ، وأقرب ما يكون هو منهم ؟ على أنه لم يكن من اختصاص هؤلاء الكواجك ، ولا من صلاحيتهم تبليغ هذه الاشياء

هو الشيخ شمس .

ومما قاله احدهم : انه كان راكباً في البحر سفينة مع النبي يوزن ، ولما هاج البحر وقاربت السفينة على الفرق أراد ربانها ان يلقي في البحر عدداً من الركاب بالاقتراع ، وقد أصابت القرعة النبي يوزن ونجا هو منها .

وقال احدهم : انه كان جالساً مع الاله الكبير فسأله هل حان الوقت الذي يجب ارسال المسيح فيه الى الارض ؟ فاجابه نعم ! وعمل الاله الكبير بما اشار اليه .

الى اليزيديين ودعوتهم الى العمل بها في كل آن وحين ، بل يشترط لذلك ظهور حالات ذات خطورة تدعو الى الاصلاح ، فيبادرون الى أداء مهمتهم التي أمروا بها .

ولما كان الكواجك كثيرين في الشيخان وفي سنجار فقد كان من الطبيعي أن الذين يقومون بهذه المهمة منهم ، هم الأذكاء اللبقون الذين ضربوا سها وافرأ في الشعوذة والتدجيل ، وعرفوا كيف يستهوون الناس ويؤثرون على عقولهم . وقد يقبضون على ناصية الحال بكل فطنة ودقة يأخذون بتطبيق خططهم التي يرسمها لهم أناس تواطئوا معهم من وراء ستار ، ويقىمون الثورات في وجه مخالفيهم من اليزيديين وأعدائهم المسلمين ، فينهبون ويقتلون ويحرقون ويختل الأمن وتتوقف الأعمال ويسود الفساد الى أن تأخذ الحكومة باعداد أسباب القضاء عليهم وإحالة الأمن الى حالته الطبيعية .

وكان قد ظهر على زمن ولاية نوري باشا على الموصل عام ١٩٠٠ في سنجار اثنا من هذا القبيل أحدهما يدعى « كوجك ميرزا الكاباري » والآخر « كوجك الياس خلو » وكلاهما من الشيخان فاختل الأمن وسادت الفوضى الجبل ويات المسلمون في سنجار في وجل وخوف شديدين وأصبحت حياتهم مهددة بالخطر ، فأحضرهما نوري باشا والي الموصل باستئذان من « علي بك » أمير الشيخان وأزال وجودهما (١) .

وفي عام ١٩٢٠ ظهر في الشيخان شخص يدعى « كوجك سلمان » وأراد أن يقوم بدور المهدي بين اليزيدية فالتفوا حوله ، وأكبروا شأنه ، وظهرت بوادر فتنة كبيرة كاد أن يكون لها وقع شديد على حالة الأمن لولم تتداركها الحكومة وتخفقها وهي في مهدها ويذهب هذا الدجال ضحية حمقه وغباوته كما ذهب الذين قبله .

أما الآن فلا احتمال لظهور هكذا دجالين مشعوذين لا في سنجار ولا في الشيخان وسببه ليس هو فقدان من تحدثه نفسه للقيام بهذا العمل من الكواجك ، بل لما حصل من اليقظة والانتباه لكثير من أبناء هذا الشعب حيث لم تعد عقولهم تستسيغ هكذا شعومات عدا الرعاع وهؤلاء كثيرون في كل مكان .

(١) يقال ان الاول قتله افراد الجاندرمة قريباً من (سميل) وهم ذاهبون به الى زاخو ، وقد ادعوا ان عصابة من اليزيدية ارادت تخليصه منهم وقد قتلوه خطأ . . . والثاني قتله شخص يدعى (سليمان ابوخرمة) احد الاشقياء المعروفين في ميدان باب الجسر في الموصل ، وقد كوفي بالغفو عن جرائمه .



كوجك سلمان في الوسط

﴿ من هو كوجك سلمان ؟ وكيف ظهر ؟ ﴾

هو من قرية بعشيقه ابن عمر المطربي ، وأمه من المتهتكات اسمها نعمي ، كان راعيا للأبقار ، وهي مهنة منحطة لا يقوم فيها إلا المنحطون من الناس ، وكان له ولم شديد بسرقة الدجاج ، وقد شكاه أهل القرية الى عريف الشرطة ، وأراد معاقبته ، فهرب الى الشيخان وأقام في قرية ايسيان ، وقد بقي زمنا يعيش على صدقات أهل القرية ، حتى ملوه وأرادوا طرده ، وهناك أعلن اتصاله بالملك القهار (طاؤوس ملك) وادعى انه أرسله داعيا الى الإصلاح ، فأكبروه ، وعظموا شأنه ، وأظهروا الايمان والتصديق به ، وبعد أيام هجر قرية ايسيان وجاء الى باعذرة مقر الأمراء وبقي فيها أياما يظهر المعجزات والخوارق ، ثم عاد الى ايسيان ثانية واستقر فيها .

قلت لأحد البزيرية : هل لك ان تعلمني بشيء من معجزاته ؟ قال نعم : انهم أتوه ببقرة فذبجها ثم أحياها كبشاً ، ثم ذبح الكبش فصار ديكاً ، ثم ذبح الديك وأحياه فصار

ثوراً . قلت له : هل رأيت ذلك بعينك ؟ قال لي : لا حاجة ان أراه بعيني وقد رأته مئات الناس غيري .

وروى لي آخر انه كان يحول الاحجار الى سكر ، وقد أنواله بمجينة عليها بعض النقوش ، فأدخلها في جيبه ثم أخرجها واذا هي سكرة بعين ذلك الحجم والشكل والنقوش .

ورأيت عند اسماعيل بك ابن عبيدي بك حلقة صغيرة نحاس يدعي انها من صنع القدرة وقد لفظها الكوجك من فمه ، قلت له : وكيف علمت انها من صنع القدرة ؟ قال لي : لفظها الكوجك من فمه أمام عيني .

هذا هو كوجك اسماعيل ، وهذه معجزاته وآياته ، وعند ظهور هكذا ممخرق من الطبيعي ان يختلف في أمره ، فمن مصدق ، ومن مكذب ، وقد يكون المكذبون على الأغلب رجال الدين الذين يؤثر ظهوره على موقعهم الديني ويتوقفون عن العمل لانقطاع الأسرار الغيبية عنهم ، ويصبحون لا فرق بينهم وبين بقية الناس .

وكان من المنكرين عليه الشيخ الأكبر ، الشيخ اسماعيل ، فقد رماه بالتخريق والتدجيل ودعى الناس الى الابتعاد عنه ، كما ان الأمير لم يكن مرتاحاً لظهوره ، إلا انه لم يستطع ان يجاهر بتكذيبه وإنكار دعوته خوفاً من استياء الرأي العام الذي أصبح يعضده .

وقد طلب الكوجك الى الشيخ الأكبر أن يعطيه سجادة الشيخ عدي التي يحتفظ بها ليجلس عليها كما هي العادة في حالات كهذه ، فامتنع الشيخ الأكبر وأصر على أنه مخادع كذاب ولا يجوز تسليم السجادة اليه . وأية صفة تبقى للشيخ الأكبر اذا خرجت سجادة الشيخ عدي من يده ؟ ألم يكن ذلك اعترافاً منه بصحة دعوى الكوجك وأنه أصبح مهدياً حقاً وسقط هو من نفوذه ؟

كانت الكفة الراجحة بجانب الكوجك ، وقد اتبعه السواد الاعظم من الناس ولم يبق مخالفاً له سوى جماعة الروحانيين وهؤلاء ايضاً أصبح موقفهم مهتداً بالخطر ، وكاد يريدون ينكرون سلطتهم الروحية عليهم ، ولو كان للكوجك شيء من الجرأة لطلب

من الأمير السناجق التي يرمنون بها عن آلهتهم وأبقاها تحت تصرفه ، إلا أنه لم يستطع أن يفعل ذلك ، ولو كان غيره لفعل وأنزل الأمير الى درجة رجل عادي لا قيمة له .

صباح يوم ٢٥ مارت ١٩٢٢ امتطيت سيارة وقصدت باعذرة لرؤية هذا المتنبى من قريب والتأكد من صحة الاخبار التي شاعت عنه . وكان علي أن أعرج بطريقي الى عين سفني لزيارة صديقي الشيخ الأكبر الشيخ اسماعيل الذي أخذت الاخبار تترى عن وقوعه في قلق واضطراب شديدين . - سألتني الشيخ اسماعيل : هل ستحافظ علي صداقتك معنا أم ستتحاز الى المهدي الجديد ؟ - قلت له في شيء من الدعابة : اني سأكون بعد برهة وجيزة قريباً منه ، فان ظهر لي صحة ما يروونه عنه فمن الطبيعي ان سأكون بجانبه وأخلص له . - قال لي : واذا ظهر لك خلاف ذلك ؟ وقد قال ذلك في عزم وجد يمازجه شيء من الانكسار والخيبة ، فضحكت وقلت له : دع عنك يا صديقي هذه الاوهام والوساوس ، وما عمل هذا الكوجك سوى مهازل يروجها له أناس يريدون الاصطياد في الماء العكر وعمما قريب سينفضح أمره ويمقتته الناس ويعود الى رعي أبقاره .

كان كوجك سامان ذلك اليوم مدعواً للغداء في دار بير الياس ابن بيرسن في باعذرة وقد حضر ما يزيد على ثلثاية رجل وامرأة من القرى المجاورة لمشاهدة وجهه الكريم والتبرك به . قلت للامير (سعيد بك) : أود أن تهنيء لي فرصة الاجتماع بالكوجك على أفراد ولو عشر دقائق - قال لي : وهل تريد أن تكتب شيئاً عنه . - قلت له : كلا ، بل فقط أريد أن أراه .

وبعد ساعة من الزمن كنت جالسا معه في غرفة في دار الأمير وليس معنا سوى الأمير وابن عمه داؤد بك بن سليمان بك واثنان من بزيدية « القائدية » يظهر عليها أثر الوجاهة كأنما يحمرسان الباب ، وحجبي سلو خادم الأمير واقف وراءهما .

لم أعتقد ان هذا الرجل الذي جلس أمامي بكل ذلة ومسكنة دون ان يجسد في نفسه جرأة ليرفع نظره الي هو الكوجك نفسه ، بل كنت أتخيل ان أرى أمامي رجلاً لبقاً ذكياً حاد الذهن ، سريع الخاطر ، يتكلم فيسحر ، ويجادل فيقنع ، ويحدث فيخطف ، لم

يتجاوز الثلاثين من العمر نحيف ، ضعيف الجثة ، دميم الخلفة ، ذو أنف أفطس ،
وعينان صغيرتان وفم قد انشق الى أسفل الصدغين ، وأسنان بارزة كأسنان الخيل ،
وقد أعتّم بعمامة بيضاء شأن رجال الدين . قلت له : إني أتفاهل بظهورك بخبر لهذه الملة
وأتمنى ان تنال على يدك كل صلاح وسعادة ، فلم يفهم معنى ماقلته له وسأل داؤد بك :
« ماذا يقول هذا السيد ، وأي شيء يريد مني ؟ » - قال له : إنه يدعو لك بالخير ، وهنا
تشجع وقال لي بلغة ركيكة - إذ ان أهل بعشيقه لا يحسنون التكلم بالكرديّة وكان
حديثنا يدور بهذه اللغة - إني يا سيدي رجل فقير وليس لي علاقة بهذا الأمر ، وهذه
الجماعات المحتشدة في باعذرة جاءت من تلقاء نفسها .. قلت له : دع عنك هذا الخوف ،
ولنتكلم بصراحة وأعدك بأنني سأكون لك عوناً على جميع ما أنت بحاجة اليه . فسكت
برهة طويلة ثم قال : إني يا سيدي فقير وهؤلاء الناس هم الذين أرادوا بي هذا .

وقد اتضح لي ان الرجل ليس من أولئك الكواجك الذين لهم قدرة الاستهواء بدجلهم
وشعوذتهم ، بل هو فقير مسكين وقد لجأ الى هذه الوسيلة ليشبع بطنه او يهرب من
شر يلاحقه ، وقد اتخذ بعض أصحاب النفوس الشريرة آلة ييسدهم ، وشجعوه على
الظهور بهذا المظهر لأتارة الفتنة بين الشعب ليحصلوا من ورائها على مقاصدهم ، وكانت
هذه هي الحقيقة بعينها ، إذ رأينا كيف أخذت الأحقاد والأضغان الكامنة في النفوس
تظهر عارياً في فريق ضد آخر ، وكشرت الفتنة عن أنيابها وكادت تفتك بالمذنب والبريء على
حد سواء لا حباً بالكوجك ورغبة في تأييده في دعوته ، بل انقياداً لداعى الفتنة
لبس إلا .

أما الكوجك فقد أصبح آلة عمياء بيد أعوانه وهو لا يعرف شيئاً سوى أكل
الدجاج المشوي او المطبوخ على الرز وأصحابه لا يبخلون به عليه .

وقد شعرت الحكومة بما سيكون لهذه الحالة من نتائج وخيمة وقررت جلب الكوجك
الى الموصل .

أراد مدير ناحية « القوش » ان يرسله مخفوراً الى الموصل ولكنه أبى بحجة ان مروره
من فوق الجسر حرام ويجب عليه إما ان يطير من فوقه او يعبر الشط ماشياً عليه ، وهذا

لا يتيسر له إذا رآه غير يزبدي ، فلم يلتفت اليه مدير الناحية وأرسله مخفورا .
وقد اقتنى أثره جموع غفيرة من الموالين له ومن المنكرين عليه ايضا ، ولما مثل أمام
الحاكم البريطاني « فيلكسمن » وكله بضع كلمات اتضحت له حقيقة وأمر بالفور إطلاق
سراحه بكفالة من الأمير سعيد بك واكتفى بإسداء النصيحة له إن لا يعود الى مثل
هكذا أعمال تسبب التفرقة بين أفراد الشعب وتثير حفاظهم .

وقد ادعى الكوجك انه سلط على الحاكم الانكليزي ثعبانين عظيمين فوقف أحدهما
عن يمينه والآخر عن يساره فهابه وأطلق سراحه ، وزاد على ذلك انه أحضر أمه من
بيت الأموات وأراه إياها .

ومن غريب الاتفاق ان قامت في اليوم الذي جرى بالكوجك الى الموصل ومثل أمام
الحاكم عاصفه شديدة أرعبت الناس ، فادعى الكوجك أنه هو الذي أثارها ، ولو مسه
الحاكم بسوء لقلب هذا العالم وجعل عاليه سافله .

وقد هدأت الحالة بعد أن عاد الكوجك الى محله وتفرق شمل الحزب الملتف حوله
وانصرف الناس الى أعمالهم ، الا أنه لم يقر للكوجك قرار بعد ان ذاق حلو هذه الدعوة
وما زال يعمل في الخفاء ضد خصومه وفي طلبهم الشيخ الأكبر الذي أبى إعطاء
سجادة الشيخ عدي له ، فكان يذيع الأخبار السيئة عنه وينذره بغضب الآلهة عليه ،
والشيخ الأكبر يتلقى هذه الأخبار بشيء كثير من الوجل والخوف ولم يهدأ له روع
وكان يخيل اليه ان دعوة الكوجك صحيحة وستتحقق نبوءته فيه .



بابا شيخ الشيخ اسماعيل وعلى يمينه الأمير سعيد بك

﴿ موت بابا شيخ الشيخ اسماعيل ، وقتل كوجك سامان ﴾

بعد مضي شهر كامل على هذه الحوادث ذهبت الى « عين سفني » ، وحللت ضيفاً كجاري عادي في دار الشيخ اسماعيل ، ولما لم أره في محله ظننت أن حاجة عرضت له في محل ما وذهب اليها ، وعندما سألت أخاه الشيخ عثمان عنه أجابني بأن منيته قد عاجلته قبل بضعة أيام وقد فارق هذه الحياة التي لم تولد له سوى الأكدار والآلام . ولأأكتم القاريء أني حزنت جداً لهذا الخبر الذي لم أكن أتوقعه وأخذت أعزي اخوته وأولاده وأهل بيته على مصابهم به .

سألت أخاه عن مرضه وكم استمر فيه ، ولماذا لم يخبروني حتى أرسل له طبيباً من الموصل ؟ قال لي أنه لم يمرض كسائر الناس ، ويموت كسائر الناس ، قلت له إذن كيف

كان ذلك ؟ قال لي : تعلم أن الكوجك سلمان مازال يرسل اليه الأخبار التي كثيراً ما ترعجه وتقض مضجعه ، ولما ذهب الى قرية « دوغات » لأعمال الجص لمرقد الشيخ عدي (إذ من وظائفه إصلاح المرقد وإعمار ما ينتقض منه كل سنة) أرسل له خبراً بأن لا يتمب نفسه هذه السنة في أعمال الجص لأن عمارة المرقد سوف لا تتم على يده . وهكذا كان فانه مرض على فور وصل هذا الخبر اليه في قرية « يبيان » وبعد يومين أو ثلاثة أيام عاجلته منيته وذلك في يوم ١٨ مايس ١٩٢٣ .

وقد حمل نفسه على الأكتاف من قرية « يبيان » الى قرية « ايسيان » ودفن في مقبرة أسرته آل الشيخ نخر ، وهكذا ذهب ضحية الوم والخوف .

أما كوجك سلمان ، فقد سطع نجمه من جديد ، وأخذ منكروه يتوافدون عليه من كل حذب وصوب طالبين منه العفو والمغفرة على ما بدر منهم نحوه من جحود ونكران ولم يبق من البريذية لا من روحيتهم ولا من مرديتهم من لم يظهر له الولاء والاخلاص باستثناء أسرة الأمراء ، فقد كانوا يحملون له غيظاً في صدورهم ويسعون في الخفاء ضده .

وفي يوم ٦٥ حزيران ١٩٢٣ خرج صباحاً من قرية ايسيان قاصداً مرقد الشيخ عدي ومعه ثلاثة أشخاص من الموالين له ، وعند وصوله رأس الجبل المطل على وادي لالش الذي يضم المرقد المبارك ، كان قد كمن له في البناية القديمة التي يسمونها « مقابل شيخ عدي » أحد أولاد حسن فقير من شيوخ أسرة الشيخ بكر ، وعندما قرب منه رماه بطلق ناري وأرداه قتيلاً وقد هرب رفاقه الثلاثة تاركين جثته طعمة للوحوش والكلاب

في ذكر عوائدهم

« الكرافة والكريف »

الكريف ، بمعنى الصديق ، وللكرافة أهمية عظيمة عندهم . وقد يتكافأ المسلم واليزيدي بختن أحدهم ولد الآخر في حفننه ويسمى « كريف خوني » (١) أي كريف الدم . واليزيدي يحترم هذه الكرافة ويحرص على ما تحتمه عليه من واجبات ، فقد توجد بينه وبين كريفه المسلم وحدة تامة لا تقبل الانقسام ، وقد يسارع الى نجدة إذا أصابه مكروه أو عضته نائبة ، وقد يقابله المسلم بعين هذه الوجائب ويكون أميناً على عرضه ويساعده في ماله .

وإذا كانت الكرافة بين يزيديين فقد يدخل الواحد في محرمات الآخر مثل أخ الرضاة الى خمسة أجيال وربما الى أكثر من ذلك .

إلا بما يؤسف له أن الكرافة بين المسلم واليزيدي لم تبق على أصل وضعها وذلك لاهمال المسلم الواجبات التي تحتمها عليه الكرافة نحو كريفه اليزيدي وعدم اعتداده به وربما خافه ، هذا في الشيخان ، أما في سنجار فالأمر على عكس ذلك ، وقد يعتني المسلم بكريفه اليزيدي ويبره ، واليزيدي يضحى بماله وحياته في الذب عن كريفه المسلم والمحافظة عليه .

﴿ التحريم ﴾

يراد في أساس وضعه ردع الأمة عن الاعمال الخلة بأحكام الدين وجعل الدين محاطاً بسياج قوي من الارهاب كيلا تلعب به أيدي العابثين وسلطة التحريم مختصة بالأمراء وحدهم وقد يجرونها بحق أي شخص شأوا من أفراد الملة دون النظر الى مكانته الدينية والاجتماعية . ومن يحرمه الأمير يبقى منبوذاً محترقاً مهاناً ومحرم من حقوقه الدينية والمدنية ، ويحتمه أهله وأقاربه وحتى زوجته الى ان يموت . وإذا كان

(١) جاء في (تاريخ اديان) للكاتب التركي احمد مدحت افندي ان المغول يقدسون الدم ويعتونه اكبر أداة لعقد العهود والمواثيق بينهم ، وذلك بان يشرب الواحد من دم الآخر بضع قطرات يستخرجها من جسده . واكبر عيب لديهم ان يذبحوا قرباناً ويشربون من دمه . واخوة الدم معروفة عند جميع الاقوام المنتسبة من المغول ويطلقون عليها بالتركية (فان قارداشلى) .

من رجال الدين فقد تخلق لحيته وبحرم من حقوقه الدينية وبمقتنع مريدوه من الاتصال به واعطائه خيراتهم وربما يخرجونه من بينهم ، ففي عام ١٩٢١ حرم الأمير أحد الفقراء ونزع عنه خرقة الفقر لاثباته في مرقد الشيخ عدي عملاً يخالف الشريعة .

ويرجح ان الأمراء اتبعوا هذه القاعدة في الأعصر الأخيرة بعد ان أصيبوا بوهن في نفوذهم ، ولم تكد الملة تطيعهم في كل شيء ، وإلا ففي أول عهدهم بهذا الدين لم يكونوا بحاجة الى استعماها ، وكان اليزيدي يتحمس لدينه الى حد الجنون .

فن أين عرفوا هذه العادة وعملوا بها ؟ ألا يتبادر الى الذهن انهم أخذوها من رجال الكنيسة النصرانية الذين كانوا يعملون بها في القرون الوسطى بحق مخالفتهم بكل شدة وصرامة ؟ والجواب : ان الأمراء لم يثبت لهم اتصال برجال الكنيسة في دور من الأدوار التي سرت عليهم حتى يأخذوا هذه العادة منهم . والأغلب ان الحاجة هي التي دعتهم الى ابتكارها واستعماها . واذا كان لا بد من القول انها نقلت عليهم من الخارج ، فمن الأخرى ان تكون دخلت عليهم من الاسلام ، وقد ثبت أن النبي الكريم أسرى المقاطعة الثلاثة الذين خلفوا عن حرب تبوك ، وهم : كعب بن مالك ومرة بن الربيع وهلال بن أمية ، فامتنع المؤمنون عن مكالمتهم واعتزلتهم أزواجهم ، وبقوا على هذه الحالة خمسين يوماً - وقيل أكثر - الى ان نزلت الآية الكريمة : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ لهم من الله إلا اليه ... » اه . وهذه المقاطعة هي عين العادة التي نجدتها عند اليزيدية ويسمونها بالتحريم .

وسبق للأمير سعيد بك ان حرم نصرانياً من آل عبد النور كان يسكن قرية (مهد) ويشغل بالزراعة ، فاجتنبه الناس من اليزيديين وأصبح بينهم منبوذاً ونحلي عنه خادمه فأرضى الأمير بشيء من المال ورفع عنه التحريم .

﴿ البراءة ﴾

هي بحجم خرزة يصنعها القوالون من تراب مرقد الشيخ عدي ويهدونها الى اليزيدية عند زيارتهم السنجق ، ويحتم على كل يزيدي ان يحمل (براءة) يتخذها حرزاً له لدفع

المنكاره ، ويقبلها عند كل صباح ومساء ، وقد تكون أكبر ضمان لعشيرتين متناوئتين تريدان عقد هدنة بينهما ، وذلك ان تعطي الواحدة للأخرى (براءة) نوثيقاً عن كفها عن مناوأتها لها ، وقد تؤدي بعضاً عكس هذه الوظيفة ، أي أنها تكون دليلاً على استئثار القتال ، وذلك بان ترد عليها هذه البراءة .

واذا ظفر عدو بعدوه وعلم أنه يحمل براءة ، فقد لا يمسه بسوء حرمة للبراءة ، حتى ولو كان قد قتل أباه أو أخاه أو ولده ، وهذه العادة أكثر ما نجدتها بين يزيدية جبل سنجار . وذهب أحد كتاب الشيعة الى أن البراءة عند اليزيدية قد تقوم بعين الوظيفة التي تقوم بها (شد راية العباس) عند الشيعة ، ورجح ان تكون مأخوذة منها .

« تنمة وايضاح » - رأينا أن البراءة تقوم بوظيفة حفظ السلم والأمن وتقوية روابط التآلف والتآخي بشكل لا تستطيعه أية قوة . فالحروب والمنازعات لا تقوم إلا بعد استرجاع البراءة التي جرى تبادلها عند وقوع الصلح . وعند تعاطي البراءة لأجل الصلح نذهب الدماء هدرأ ، والاموال التي نهبت لا تعوض ، بينما القتل الذي يقع في حالة تعاطي براءة الصلح لا يعوض إلا بالقتل ، وقد يجري الصلح بعضاً ، ولكن قد يثار ذوو القتل لقتيلهم ولو بعد حين ، وقد يأخذ أحدهم ثأر أبيه الذي قتل وهو في بطن أمه ، وإذا لم يكن القاتل حياً ، فيؤخذ الثأر من ولده أو ابن عمه ، وعادة أخذ الدية ليست جارية بينهم ، وتعتمد دليلاً على الضعف ، ويعتقدون ان الشيخ عدي قد حرّمها .

ولا يشترط تعاطي البراءة بين العامة ، بل يتعاطاها الرؤساء ويسري مفعولها عليهم .

﴿ هل يعمل اليزيدية بسنة العاد ؟ ﴾

جرت العادة عند اليزيدية ان يطهروا أولادهم الذين يولدون حديثاً من دنس الولادة في حوض الماء المقدس في مرقد الشيخ عدي ، كمتطهرهم في هذا الحوض سائر الاشياء التي تكون قد أصابتها نجاسة ، والنجاسة بعرفهم مرور الشيء من يد المسلم ، وقد استغل بعض الكتاب النصاري عادة تطهير اليزيدية أولادهم على الوجه المذكور وعدوها (تعميداً) واتخذوها دليلاً على صلة اليزيدية بالنصرانية . ولما كان هذا التطهير الذي عبروا عنه بالتعميد مختصاً باليزيدية الذين هم قرييون من المرقد ، فقد أرادوا إيجاد

طريقة تحمل على الاعتقاد باتباعه من قبل البزيرية الذين هم بعيدون عنه ليتم تشميل عادة التعميد البزيرية قاطبة ، ومن هؤلاء الكاتب الانكليزي ه . و . آمبسن ، فإنه بعد ان ذكر في كتابه (طاؤوس ملك) : « ان الماء الذي يجري حول مرقد الشيخ عدى يستعمل فقط لانجاز سنة تنصير الاولاد الذين يولدون قرب المعبد حيث يؤخذون بعد سبعة أيام من ولادتهم الى الماء المقدس ويغطسون في إناء على شكل ديك ثلاث مرات ، وفي المرة الثالثة يلقنهم الكاهن بان يكونوا من أتباع يزيد وشهداء لعقيدته » ، وقال : « اما الذين يولدون في سنجار وفي المحلات الاخرى ، فقد يزورهم القوالون من وقت الى آخر ويقدمونهم بالماء الذي يأنون به في قراب معهم » ، وهذا قول يدل على غاية الخدق والمهارة ، ولكن ما قوله اذا أعلنناه أن عملية التنصير لم يكن ليعرفها البزيرية ويعملون بها ، والاناء الذي ذكره على شكل ديك لا وجود له ، ولم يسبق ان أخذ واحد من القوالين ماء مقدسا في قراب معه الى سنجار والاماكن البعيدة لتعميد او تقديس الاولاد الذين يولدون حديثا ، واذا كان يكفي لتعميد كل مولود حفنة من الماء ، فكيف يجب نقله من الماء الى المناطق السنى توجد فيها البزيرية ويرتادها القوالون بلا انقطاع ؟ .

إن صاحب كتاب (طاؤوس ملك) لم يكن وحده اول من أباح لنفسه اختلاق هذا الخبر عن البزيرية وأذاعه دون احتراز وتحفظ ، بل قاله آخرون غيره من الكتاب الغربيين الذين لم يتورعوا عن اختلاق أخبار غير صحيحة عن هؤلاء القوم ليدلوا على صلتهم بالنصرانية ، وفاتهم انهم أساءوا الى سمعة الأدبية اكثر مما أفادوا مصلحتهم وقد استرعى هذا الخبر نظر أحد البزيرية المتعلمين - وهو معلم في مدرسة بحزاني للبزيرية - وسألني عما يقصده هؤلاء الكتاب الغربيين عن اختلاقهم الأخبار عنهم ، ومنى كانت لديهم في مرقد الشيخ عدى أناء على شكل ديك يعمدون أولادهم فيه ، ويذهب القوالون بالماء المقدس في قراب الى سنجار والاماكن البعيدة لتعميد أولادهم الذين يولدون حديثا ؟ فالتزمت طريق التجاهل ، وقلت له ألم يكن (التعميد) متبعا

لديكم كما يدعيه هؤلاء النصارى ؟ - فأجاب : من الخطأ الفادح ان نسمي تطهير المولود الجديد من دنس الولادة في الماء المقدس في مرقد الشيخ عدي تعميداً ، وتطهير جميع الأشياء التي مستها نجاسة - بعرفنا - عادة متبعة منذ القديم . أنظر الى (الطواويس) التي يريدون إرسالها الى الجهات المختصة بها ألم يفتسوها في هذه العين ؟ ثم الموصى الذي يستعمله المسلم او الشيء الذي يمر من يده هل يجوز للبريدي استعماله ما لم يغسله فيها ؟ فهل نسمي ذلك تعميداً ام تطهيراً ؟ على ان عادة تطهير الأولاد في هذا الماء أهملت ولم يكده أحد يعمل بها بعد ان ظهر خطرهما ومات اكثر الأولاد من شدة البرد ، ثم اذا كان التطهير في هذا الماء يسمى تعميداً ، فلماذا يعمل البريدية بسنة الختان وغسل الموتى ؟

﴿ الختان ﴾

يجري الختان بعد مضي سبعة أيام على المولود ، ويجوز تأخيره الى بلوغه العامين وهو تقليد إسلامي أتبعوه منذ عهدهم بالاسلام ، وللختان ميزة كبيرة عندهم باعتباره الوسيلة الوحيدة للمكافأة بينهم ، وبينهم وبين المسلم ايضاً ، ولا يجوز القول أنهم كانوا يعملون به في مجوسيتهم الاولى وظلوا دائبين عليه ، وقد أثبت التاريخ ان المجوس لم يكونوا يعملون بسنة الختان ولا يعرفونه . وما جاء في التقرير الذي رفعته لجنة الحدود بين تركية والعراق الى عصبة الامم بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٢٤ عند الكلام عن البريدية من « أنها لم تستطع الجزم في أنهم اقتبسوا سنة الختان من الاسلام » وقولها « وربما - كما يظن ويكرام - أنها اقتبسته من مصدر أسبق من ذلك » فقد أخطأت فيه .

ويدعي ه . و . أميسن صاحب كتاب طاؤوس ملك ان الختان لم يكن من الفروض الدينية لدى البريدية ، وقد مارسوا هذه العادة موافقة لاتباع محمد (ص ٤٥) وذكر أنهم يختنون أولادهم بعد عشرين يوماً من تنصيرهم . فانظر الى هذه المكابرة والاستهتار بالحقائق ، فالتعميد الذي لم يستطع تعليل استعماله من قبل البريدية بسميه تنصيراً ، والختان الذي أخذوه من الاسلام منذ عهدهم به يدعي أنهم مارسوه موافقة لاتباع محمد وهذه شنشنة نجدها عند الباحثين الغربيين عامة ، إذ عندما يجدون في هذه الطائفة من عادات وتقاليد اسلامية ولا يريدون ان يعترفوا بأنها مأخوذة من مصدر إسلامي

يعملونها بمثل هذه التعليقات السخيفة التي لا تدل على أكثر من جهلهم وعنادهم .
ومؤلف كتاب النساورة (بادجر) ايضاً - وسيأتي الكلام عنه - ينفي كون المختار
الذي فرضه اليزيدية على أنفسهم من السنن الاسلامية ، وذلك لان العشرة الكردية
التي في (رضوان) لا يَحْتَقِنُون مع كونهم يزديين ، وهذا المنطق المغلوج يدلنا على ما
يحملة هذا الكاتب المتعصب من بغض وكرهية للاسلام ، وحق عليه وسنراه كيف
تهيج أعصابه ويصل الى حد الجنون عندما يقف على عقيدة إسلامية او تقليد إسلامي
عند هذه الطائفة فيحاول رده الى النصرانية ويمجزه الامر فيتبع آراء تدعو الى السخرية
والاستهزاء .

﴿ تعدد الزوجات والطلاق ﴾

أباح الشريعة اليزيدية للرجل ان يتزوج بأربع نساء وأن يطلقهن اذا شاء كما هو
جار في الاسلام . وللاُمير أن يتزوج بقدر ما يشاء من النساء اللاتي أباحتهن الشريعة له .
إلا أنه لا يجوز له تطليقهن لعدم جواز تزوجهن من غيره وقد يبقين في داره الى ان
يقضين نحبهن (١) .

وتبين المرأة بمجرد أن يلفظ الرجل كلمة الطلاق ، أو يقول لها أنت شيخني أو بيري .
ويجوز له أن يسترجمها بمجرد حصول التراضي بينها ولو طلقها أكثر من ثلاث . أما
الطبقة الممتازة - ونقصدهم الروحيين - فقد يراعون حكم الطلاق الثلاث الذي يجري
بالتتابع ، وليست العادة على من يطلق زوجته ثلاثاً أن يجري وراء استرجاعها باستحصال
فتاوى من رجال الدين كما هو جار في الاسلام .. والعدة عندهم لا عبرة لها ، والروابط
الروحية واهية جداً . وقد لا يأمن الرجل على حياته الزوجية من أن تعبت بها ايدي
المفسدين . وهذا ناشئ من عدم إعطائهم منا كحاتهم شكلاً دينياً او رسمياً يمنع المرأة من
التخلي عن زوجها متى شاءت .

ومما يدعو الى الغبطة والارتياح أن نجد هذه الحالة قد أخذت تزول تدريجياً في
الشيخان ، وقد يأتي الرجل والمرأة عند حاكم الشرع ويطلبان بمقدارهما النكاح درءاً

(١) تخاطب زوجة الامير بالام حتى ولو كانت في الخامسة عشر من العمر وكان المخاطب شيخاً كبيراً .
وكنّت اظن جواز تزوج امرأة الامير بعد موته من يخلفه بالامارة ، ولكن ظهر لي خلاف ذلك .

للفساد الذي يحذرانه في حياتهم الزوجية .

﴿ الاغتسال من الجنابة ﴾

الاجتسال من الجنابة فرض على كل يزدي وقد يباشره بسائق العادة وبصورة غير مباشرة دون أن يشعر بان هنالك سائقاً دينياً يضطره اليه ، اذ من المحال ان لا يغتسل بالاسبوع ولو مرة واحدة ، ويفتسل في أيام الأعياد والمواسم وعند زيارته مرقد الشيخ عدي ، وعندما يقصد محلاً بعيداً عن قريته ، وخاصة في أيام الصوم . والمرأة تراعي هذا الواجب اكثر من الرجل .

ويحرم على الرجل أن يقرب زوجته في حالة النفاس والحيض ما لم تغتسل ، ومدة النفاس عندهم أربعون يوماً ، وهذه تقاليد إسلامية .

بيد أن الغربيين الذين يرمون الى إبعاد هذه الديانة عن الاسلام لم يقفوا عليها ، وهو أول ما ينبغي أن يعلمه الباحث ، ولذا لم يظفروا بانصاف الحقيقة .

﴿ الأخوة الأخوية او الأبدية ﴾

حتمت التقاليد اليزيدية على كل يزدي أن يتخذ له أخاً وأختاً من رجال الدين بكل أمره اليها ويرجو بها الشفاعة يوم الآخرة . ومفروض عليه أن يصافحها عند كل صباح ويتحجب اليها . واذا أراد عمل ثوب فعلى أخته الأبدية ان تفتح رقبتها . وعندما يوافيه الموت يحضره أخوه الأبدى وأخته الابدية ويساعدان شيخه وبيره في غسله وتكفينه .

تذييل - من التقليد الجاري أن يكون زيق الثوب الذي يلبسه اليزيدي ، رجلاً كان او امرأة ، مدوراً . أما الذين هم بعيدين عن مركزهم الديني كيزيدية الشقيقات في ويران شهر وغيرها من الاماكن البعيدة ، فقد لا يعملون به .

﴿ غسل الأموات ﴾

بحري غسل الميت عند اليزيدية طبقاً لما هو جار عند الاسلام ، وقد يغسلونه بالماء الفاتر والصابون عضواً عضواً ، إلا أنهم يخالفون المسلمين في وضوئه . والذي يقوم بغسله شيخه وبيره ، ويعاونها أخوه الأبدى وأخته الابدية ويقرأ شيخه بعض الصلوات

والأدعية أثناء عملية الغسل .

وقد سكت دعاة النصرانية عن تعليمهم عادة غسل الميت عند البيزيدية لأنه يعارض
العهد الذي يدعونه لهم .

﴿ دفن الأموات ﴾

بعد أن يتم غسل الميت يحشون جميع منافذ وجوده بالقطن ويضعون شيئاً من تراب
الشيخ عدي على جبينه وفي عينيه ويدفنونه نحو المشرق ، ويكثر من الخيرات
والصدقات على روحه في اليوم الأول والثاني والثالث والسابع والاربعين من وفاته .
ويذبحون عدداً وافراً من الغنم والبقر ويتصدقون بها على الفقراء والمعوزين .
ومن السنن المتبعة أن يكفن بنسيج بلدي ويحرمون نسيجاً غيره ، إلا أنهم أخذوا
يتركون هذه العادة لعدم تمكنهم من الحصول على النسيج البلدي الذي قل عمله واستعماله
والعادة عند البيزيدية في سنجار أن يقصوا ذوائب المتوفي رجلاً كان أو امرأة ويلقونها
على قبره إلى أن تبلى ، والفتاة التي تكون في سن الزواج ، أو قد تزوجت حديثاً ،
يلبسونها أنفراً ملابسها ، وبعضهم يضعون عليها حلها ويدفنونها ، ويكثر من إطلاق
البنادق عند توديع الميت مقره الأخير إذا كان من ذوي الوجاهة .
وبعضهم يلبسون الميت ملابسه عند دفنه ويضعون له فراشاً في قبره .

﴿ العادة بعد الدفن ﴾

إذا كان المتوفي من ذوي الاعتبار والوجاهة ، يصنعون له تمثالاً من الأعواد يلبسونه
أنفراً ملابسه ويجلسونه في محل مرتفع ويجمعون حوله ، ويرتل القوالون أناشيدهم
أمامه ، والنساء يلطنن وجوههن ويندبنه بأغانين الشجية ويعددون محاسنه إلى أن
تنقضي ثلاثة أيام . أما إذا كان فقيراً فقد يكتفي القوالون بأجراء المراسم الدينية عند
دفنه ، ويؤزروه ذووه من وقت إلى آخر ويكون عند قبره .

وللميت حرمة كبيرة عندهم ، ولكن بعد أن يتم عزاءه لا يبكونه كثيراً ، وإذا
ذكروه ، يذكرونه بالترحم عليه كما هو جار عند الاسلام . وفي ليالي الأعياد والمواسم
يصنعون له طعاماً ويذهبون به إلى قبره ، فيضعونه عليه ويعودون ، وعند الصباح

يأتون بالمعاون وقد فرغ مما فيه .

﴿ مراسم الأفراس ﴾

للبيدية أفراس دينية تقليدية كثيرة ، أهمها ما يجرونه في الطوافات (سيأتي البحث عنها) وفي أيام الزواج ، وتكون أفراس الزواج بشكل عام يجتمع فيه أهل القرى المجاورة والبعيدة بدعوة خاصة تستمر ثلاثة أيام بليلاتها يضربون فيها على الطبول ويضربون بالزراي ويرقص الفتيان والفتيات على وقعها الحار بصورة مختلطة ، تذوب فيه الحشمة ، ويرتفع التحفظ ، ويكثر من شرب الخمر ، حتى ترى أهل قرية بكاملهم قد غلبتهم نشوة السكر واستولى عليهم الانس والفرح .

ومن متمات الأفراس ان يقيموا سباقا للخيل يشترك فيه المسلمون من أهل القرى المجاورة ، إلا ان هذه العادة أخذت تضعف شأنها وكادت تزول لفقدان الخيول عندهم .

والرقص عند النساء عادة محببة مرغوبة وقد يرقصن بصورة مجمعة او على الانفراد ومنهن ماهرات في الرقص وقد يتعلمنه على أساتذة ماهرين من القوالين .
والعادة ان يجتمع بضع فتيات ويرتلن أغاني شعبية بصوت عذب رقيق بحركن أوتار القلوب ويأخذن بالالاباب والعقول ، ويشترط لذلك عدم وجود مسلم يستمع اليهن .
وتقام الأفراس عند مجيء السنجق الى قرية ما فيجتمع أهلها في ميدان فسيح ويرقصون جماعات وأفراداً . وأفراس الزواج تكون في السنين الخصبة اكثر لما تتطلبه من نفقات لا يقوى عليها البيدي في السنين المجدية .

﴿ أملهم في المستقبل ﴾

للبيدية عقيدة خاصة في المستقبل فهم ينظرون اليه بعين ملؤها الطمأنينة والارتياح ويعقدون آمالهم الذهبية عليه ، إذ يعتقدون ان ما لا قوه من المسلمين منذ عهد ظهورهم من مظالم واعتداءات فادحة ستزول ويتسم لهم الزمن وينيلهم آمالهم وهناك ستنقاد كافة الامم والشعوب التي على وجه الأرض لهم ويحكمون سيوفهم في رقاب أعدائهم المسلمين وينتقمون منهم كما انتقم جددهم (بختنصر) من اليهود .

ولكن متى يكون ذلك؟ يكون عندما ينزل يزيد الى الارض ويصلح ما فسد منها ويرفع من شأنها . فمن أطاعه كتب له الفوز والنجاح ، ومن خالفه وعصاه كان نصيبه الهلاك والدمار .

وسيكون الامير الحاكم المطلق على المملكة اليزيدية المنتظرة وتكون البسميرية وزراؤه والبيرة والشيوخ عماله ، والقوالون سفراؤه ، والكواجك جباة ، والفقراء جنوده ، وباعذرة عاصمته ، ودمشق اكبر مدن مملكته .

إن هذه العقيدة هي وليدة الاضطهادات التي لاقوها من المسلمين خلال زمن طويل ، وعندهم شعور عام ورثوه من شيوخهم الأقدمين بعد أن فشلوا في دعوتهم السياسية فهم لا يزالون يتطلعون الى المستقبل لاعادة مجد الأمويين المندرس ،

في الأسيرة العروية ومطاشهم في التاريخ

(الشيخ عدي بن مسافر الأموي)

لم يكن أحد عرفه وعني بالبحث عنه إلا بعد ان ذاعت الرغبة بين جماعة من أصحاب الأقلام من شرقيين وغربيين في البحث عن الديانة اليزيدية ، وهناك عرفوه ، ولكن معرفة ناقصة ، وبحثوا عنه ، ولكن بحثاً مشوهاً لا ينطق بالاصابة والعادل ، فوصفوه بالكفر والاحاد ، وأنه دعى الناس الى الاباحية والفوضى ، وعدوه بمنزلة من ذلك الفارسي وابن عطاش وغيرهما ممن استخفوا بالشرائع ، وهدموا بتعاليمهم صروح الفضيلة والدين . ان الصاق عقيدة هؤلاء بهذا الرجل العظيم ترجع الى أمرين ، الاول : ما يشاهدونه اليوم في مريديه من فساد العقيدة ، فيذهبون الى أنه هو الذي غرس فيهم هذه البذرة وهو الذي أظلمهم وأبعدهم عن الاسلام . الثاني : ما يقرأونه من القصائد والمنظومات الممزوة اليه ، فيتخذونها حجة على إدعائه بالالوهية وأنه لم يكن مسلماً بالمعنى الصحيح ، ولو تعمقوا في دراسته ، وعرفوا ما قاله المؤرخون عنه ، واستمعوا الى أقواله ، ثم وقفوا على الاسباب التي أدت الى وضع هذه المنظومات ونسبتها اليه ، لما تورطوا في هذا الحكم .

نسبه ونشأته : هو أموي قرشي ، يرجع نسبه الى الملوك الروانيين ، فهو عدي بن مسافر بن موسى بن مروان بن الحكم (١) ، وقيل ابن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان الأموي بن الحسن بن مروان بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وقد وهم صاحب تاريخ المعبر في أبناء من غبر ، بأن جعل مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن عثمان بن عفان بن ربيعة بن عبد شمس بن زهرة بن عبد مناف . ولد في قرية « بيت فار » من أعمال بعلبك في الشام ، وعرف « بالهكاري » لسكنائه في جبل هكار شمالي الموصل ، وقد غلبت عليه الروح التصوفية وسلك طريق الارشاد . والغالب ان هذه الروح انتقلت اليه من أبيه « مسافر » الذي يروى عنه صلاح وتقوى في زمانه .

ان كل ما نعرفه عن نشأته الدينية هو أنه هجر قريته التي ولد فيها وهو شاب يافع واخذ بالسياحة وروض نفسه بأنواع المجاهدات ، فكان يجوب الصحاري والجبال ، ويقوم في المغارات ، ويكثر من العبادة حتى « سار ذكره في البلاد ، وتبعه خلق كثير ، وجاوز اعتقادهم فيه الحد ، وجعلوه ذخيرتهم في الآخرة ، ومال اليه أهل تلك النواحي ميلا لم يسمع بمثله » (٢) وصحب جماعة من الصوفية كعقيل المنبجي ، وحماد الدباس ، وأبي النجيب السهروردي ، وعبدالقادر الجيلي ، وأبي الوفاء الحلواني وغيرهم ممن كان عصره طامحاً بهم . وكان عبدالقادر الجيلي يعظمه ويشي عليه ويشهد له بالسلطنة على الاولياء وكان يقول : « لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لناها عدي بن مسافر » .

أما نشأته العلمية وشيوخه الذين أخذ عنهم ، فليس في كتب السير والتاريخ ما يدلنا عليه إلا ان الذي نعرفه عنه أنه كان من المبرزين في علم الشريعة والفقه والكلام والحديث وبعد من طراز ابن تيمية في عصره . وهو شديد الوطأة ، كثير المؤاخذة على المخالفين للسنة والشريعة وله رسالة في العقائد أودعها عقيدته (٣) .

مبدؤه الحزبي والديني : كان يتعصب للامويين ، وهو فرع دوحتهم ، فقد كان يلتزم

(١) هكذا ذكره بن خلكان في ترجمته وقال : هكذا أملاه علي بعض ذوي قرابته .

(٢) وفیات الاعيان لابن خلكان .

(٣) تجدها ضمن مجموعة في الفوائد في مدرسة الحبيات بالموصل .

جانب معاوية بن أبي سفيان ، ويقول عنه أنه خال المؤمنين ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان وحى الله تعالى ، وأمين الله على وحيه ، شهد النبي له بالجنة ومات وهو عنه راض ويعتقد الصلاح بيزيد ، ويرى أنه بريء مما رمي به من العيوب والنقائص إلا أن تعصبه للامويين لم يكن ليخرج به إلى حد الغلو والتطرف والوقية بالملويين وتوجيه المثالب اليهم ، بل كان يذب عنهم ويمنع الناس عن الطعن فيهم .

أما اعتقاده في الصحابة فكان يرى الأفضل هم الخلفاء الراشدون حسب ترتيبهم في الخلافة ويرد على من يقدم (علياً) على الثلاثة السابقين .

وكان يندد بالشيعة ويحمل على المعتزلة وينتقد ذوي البدع والاهواء ممن يخالف أهل السنة ، ويعتبر نفسه من أهل الحديث . وأوجد له طريقة تصوفية بناها على إصلاح النفس ومراعاة الاخلاق الفاضلة .

انقطاعه إلى جبل هكار وانصرافه إلى الارشاد : لماذا اختار الشيخ عدي جبل هكار موطناً لتتربط طريقته وهو عربي صميم خرج من البقاع في الشام ؟ وما صلته بالاكرد وكيف عرفهم ؟ يقال انه بعد سقوط الدولة الأموية هاجر البعض من رجال البيت الأموي مع مواليهم الاكراد إلى هذه الجبال وانزوا فيها خوفاً من العباسيين الذين كانوا يتعقبونهم ويكثرون القتل فيهم . وقد عرف (عدي) هذه الجبال وجاءها واختار السكنى فيها . والحقيقة ان الأمويين لم يسبق لهم هجرة إلى هذه الجبال لا قبل عدي ولا بعده ، ولهذا الكلام موضع آخر غير هذا . والذي نراه أن (عدياً) بعد ان أخذ على نفسه التطواف في البراري والقفار أوصله تطوافه إلى هذه الجبال فوجد فيها ظلام من الجهل لم تؤثر الدعوة الإسلامية فيها ولا يزال فيها أناس يدينون بالمجوسية ، فرأى من واجبه الديني أن يبشر بالاسلام بينهم ، واختار لاقامته ديراً للنصارى مهجوراً يقع وسط واد عميق يسمى « لالش » تكثر مياهه واشجاره ، وأسس زاويته فيه وأصبح موطناً له ولأهل بيته بعده . ثم لعبت بعده أيدي الأهواء في طريقته فتحوّل إلى دعوة سياسية نزاعة إلى الملك فنالت زاويته أيدي التخريب وتفرق أصحابه عنها ، ثم عادوا إليها واتخذوا قبره مزاراً يحجون إليه .

نهجه وسلوكه : لم نجد من طعن في نهجه وسلوكه ممن تناوله بالبحث من المؤرخين قاطبة ، والكل متفقون على تمسكه بالشرعة الاسلامية . يدلنا على ذلك شهادة الامام ابن تيمية بحقه ، وعقيدته المأثورة عنه ، والاقوال الصادرة عن لسانه . إلا ان تعصبه للامويين واعتقاده الصلاح يزيد وتبرئته مما رمى به من عيوب ونقائص كان سبباً لاطلاق اللسنة بحقه ممن لم يرنح لذكر يزيد وأهل بيته ويراها على عكس ذلك ويقدر فيه . وقد كان من الطبيعي ان يتأثر سالكو طريقته بهذه العقيدة ، فيعتقدون يزيد أنه من أئمة الهدى والمجاهدين في سبيل الله ويولونه محبتهم ويتعصبون له ثم يرفعونه الى درجة الألوهية يأخذون بعبادته ، ولم يكن عدياً ليخطر له بان غرسة محبة الأمويين في قلوب مريديه سيحدث هذا التطور بعد حين .

وهنا يرد سؤال وهو بعد أن رأينا عدياً هو الذي غرس في قلوب أصحابه الحب ليزيد وجعلهم يعتقدون بصلاحه ، هل يجوز أن نوجه اليه تبعة الزيف الذي حل بساحتهم؟ والجواب أن عدياً بريء من ضلال هذه الطائفة براءة الذئب من دم ابن يعقوب وإنما أراد بها خيراً وأصلح نفوسها ، ولو لم يدخل بينهم دعاة السوء ويحدثون هذا التغيير في عقائدهم ويأولون كلما نطق به شيخهم من قول بعكس ما أراد ، لما وجدنا لهذا الانتكاس أثراً فيهم ولحافظوا على عقيدتهم .

وضع الشيخ عدي طريقته المدوية تقية خالصة من كل ما يستطيع ان يطعن الطاعنون فيها ، وقد ذاعت في أنحاء الشرق وأتبعها خلق كثير وأصبح لها شأن كبير لو لم تلعب بها الايدي وتخرجها عن أصلها . وهذا ما يجعلنا ان نقول ان الشيخ عدياً كان حقاً بأئساً لم يبتسم له الحظ بعد وفاته كبقية أصحاب الطرق الذين نالوا شهرة واسعة بعد مماتهم اكثر مما كانوا عليه في حياتهم ، وليس في طريقته شيء من الاعوجاج يدعو الى ما ناله من سوء السمعة اكثر من أنه كان أموياً ويتعصب للامويين . أليس مما يدل على بؤسه تصدي بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل أولاً ، والمجتهد الحلواني ثانياً لحفر قبره واخراج عظامه واحراقها ؟ وهو لا ذنب له يستحق عليه هذه الاهانة سوى ان الطائفة المنسوبة اليه زاغت عن عقيدتها وأحدثت لها ديناً لا ينطبق على الاسلام . واذا كانت

هذه الطائفة زاغت عن عقيدتها ، فلماذا يحمل شيخها تبعة عملها ؟ وقد بلغ حد الفسادة في هدايتها وإرشادها وقام باصلاحها خير ما يقوم به شيخ طريقة ؟ ثم أي شيخ طريقة صوفية عومل بمثل هذه المعاملة القاسية بعد ان مضى أمد طويل على وفاته حتى أصبح وهو نائم في قبره هدفاً لاحتراصات سياسية ومذهبية كانت تحيى في صدر المملوك الأتاكى والمجتهد الايراني ولم ينجلا من ان يعملها هذا بالجهد في سبيل الدين ؟ وهل ان الدين تصدع وهدمت أركانه لسبب ما أصاب هذه الطائفة من الضلال ، ولا يمكن إصلاحه إلا بحفر قبر هذا الشيخ وإخراج عظامه وإحراقها ؟ كلا ، ولكنه الجهل والحق .

وصفوة القول أن الشيخ عدياً كان عظيماً في جميع مظاهره ، عظيماً حتى بعد موته ، ولكن يؤسف له أن المصيبة التي أبطل بها من زعم اليزيدية أنه آله واتخاذهم قبره مزاراً وحجهم اليه واعتقاد الناس به على عكس ما هو عليه من الصلاح والتقوى ، حيث كلما ورد اسمه على الألسن تلقته الأذهان بأنه شيخ اليزيدية ورئيسهم ومعبودهم دون ان يفهموا شيئاً عنه ، وهذا كله لا يلتزم وكبير منزلته وعظيم قدره ، وقد اندثرت طريقته بعد ان كان يتبعها خلق كثير في البلاد الشامية والمصرية ، ولم يبق لها أثر عدا ما تدعيه هذه الطائفة من الانتهاء اليها ، وشتان ما بينها وبين عقائدها الفاسدة .

هل كان الشيخ عدي صريحاً في دعوته ؟ : ظهر لنا ما تقدم أن الشيخ عدياً هو الرجل الفذ الذي ظهر في عصره وفاق أقرانه في زهده وورعه الذي جمع اليه وفور العرفان والعلم ، ولم بشر أحد ممن ذكره من معاصريه او كان قريباً من عهده وبحت عن حياته الدينية وسلوكه ، أقول لم بشر الى أنه كان يحمل زيفاً في عقيدته ، بل أجمعوا كلهم على انه ظاهري بحت يعمل بالسنة والشرعة ، بعيد عن النزعات الصوفية ودعاويهم التي لم يروا أنفسهم فيها مقبدين بقيد من قيود الشرع ، ولولا ذلك لما وجدنا الامام ابن تيمية يقول عنه « أن طريقته قدس الله روحه كانت سليمة ولم يكن فيها من هذه البدع شيء » وشهادة ابن تيمية لها قيمتها وليست ك شهادة الراهب راميشوع الذي أراد إرجاع البيت العدوي الى التبراهيمية المجوسية نسباً وعقيدة واتبعها كثير من كتابنا المسلمين دون

تحقيق وبنوا أبحاثهم عليها .

ورب قائل : أن عدداً لم يكن غير واحد من أصحاب الطرائق الذي كان عصره طامحاً بهم ، أمثال الشيخ الجيلي ، والسهروردي ، والحلواني ، والمنبجي ، والدباس ، والرفاعي ، وعلي الهيتي ، وابن وهب السنجاري ، وشعيب بن أبي مدين ، وقضيب البان ، وجايكير الكردي ، وعبد الله الشنكي ، وعبد الرحمن الطفسونجي ، ومطر الباذراني ، وماجد الكردي ، وغيرهم . وما واحد من هؤلاء إلا ورويت عنه أخبار تدل على طول باعه بالتصرف وإظهار الكرامات وهو مضطر الى مسايرتهم بهذه النزعة ليمتلك عقول أصحابه ولولا ذلك « لما تبعه خلق كثير وتجاوز حسن اعتقادهم به الحد حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون اليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعملون عليها » ، وهذا وإن كان وارداً ، إلا أن شهادة ابن تيمية التي أوردناها بحقه وعقيدته الماثورة عنه ، والكلمات المروية عن لسانه ، تنفي هذه المزاعم التي لم يكن منشؤها أكثر من الظن والوهم .

وهذه نبذة من أقواله : « لا تنتفع بشيء إلا اذا كان اعتقادك فيه فوق كل اعتقاد . وهنا يجمعك في حضوره ، ويحفظك في غيبته ، ويهديك بأخلاقه ، وينورك ويؤيدك بأطرافه ، وينور باطنك بأشراقه . وإن كان اعتقادك فيه ضعيفاً لا تشهد فيه شيئاً من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك عليك ، فتشهد صفاته هي صفاتك فلا تنتفع به ، ولو كان أعلا الأولياء درجة » .

ومنها قوله : « حسن الخلق معاملة كل شخص بما يؤنس ولا يوحشه ، فمع العلماء بحسن الاستماع وإن كان مقامه فوق ما يقولونه ، ومع أهل المعرفة بالسكون والانكسار ومع أهل التوحيد بالتسليم » .

وفي فرائد الجواهر ص ٨٤ و ٨٥ ورد هذا القول على هذا الوجه :

« الشيخ من جمعك في حضوره ، وحفظك في مغيبه ، وهذبك بأطرافه ، وأنار باطنك بأشراقه . والمريد من أنار نوره مع الفقراء بالأنس والانبساط ، ومع الصوفية بالأدب والانحطاط ، وحسن الخلق والتواضع في كل شيء ، ومع العلماء بحسن الاستماع ، ومع أهل المعرفة بالسكون ، ومع أهل المقامات بالتوحيد » .

ومنها قوله : « اذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات وتنخرق له العادات ، فلا تغفروا به حتى تنظروه عند النهي والأمر » .

ومنها : « من لم يأخذ أدبه من المؤدبين ، أفسد من اتبعه ، ومن كانت فيه أدنى بدعة فاحذروا مجالسته لئلا يعود اليكم شؤمها ولو بعد حين » .

ومنها : « من اكتفى بالعلم دون الاتصاف بحقيقته ، انقطع ، ومن اكتفى بالتعبد دون الفقه خرج ، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر ، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام ، نجا » .

ومنها : « أول ما يجب على سالك طريقتنا هذه ، ترك الدعاوى الكاذبة ، واخفاء المعاني الصادقة (١) » .

ومما جاء في « عقيدته » قوله في القضاء والقدر :

« لا يخلو أخذك وتركك أن يكون بالله أوله . فان كان به ، يبادل بالعطاء ، وإن كان له ، فاسترزقه بأمره . واحذر ما فيه الخلق ، فنتى كنت معهم ، استعبدوك ، ومتى كنت مع الله عز وجل ، حفظك ، ومتى كنت مع الأسباب ، فأطلب رزقك من الأرض . واذا كنت مع التوكل ، فان طلبت بهمتك ، لا يعطيك ، وان أزلت همتك ، أعطاك . واذا كنت واقفاً مع الله عز وجل ، صارت الأكوان خالية لك من المواطن ، وأنت في القبضة فان ، والكون كله فيك ولك » .
وفي قوله في الرد على القدرية والمجسمة :

« ونؤمن بما ورد في الكتاب والسنة ، ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها . فان كل ما تمثل في الوهم فهو مقسدره وخالقه . وهذا هو الذي اندرج عليه السلف قبل ظهور الأهواء وتشعب الآراء . فلما ظهرت البدع وانتشر في الناس التشبيه والتعطيل ، فزع أهل الحق الى التأويل وتقرير مذهب السلف كما جاء من غير تمثيل ولا تشبيه ولا حمل على الظاهر » .

وفي قوله عن القدرية واعتقادهم أن الشيطان خالق الشر : « وخلق تعالى إبليس عليه

(١) لوائح الانظار في طبقات الاخيار للشيخ عبد الوهاب الشعراوي (كذا) من علماء القرن العاشر الهجري في مصر ، وهو كتاب خطي موقوف على مدرسة آل بكر افندي بالموصل .

لللعنة وليس اليه من الضلالة شيء . قال تعالى : « واجلب عليه بخلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً » . وقوله تعالى : « أن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وأن جهنم لموعدهم اجمعين » لأنهم فتكروا في الكفر فعملوا إرادة ابليس لعنه الله وإرادتهم أقوى من إرادة الله تعالى . أراد الملعون ابليس المعصية فوجدت ، وأراد الله أن تكون فكانت ، فجعلوا ابليس الملعون وأنفسهم أقوى من إرادة الله . والقول بهذه المقالة تكذيب لقوله تعالى : « إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله » .

وفي قوله عن توحيد الباري عز وجل :

« لا تجري ماهيته في مقال ، ولا تخطر كلفيته ببال ، جل عن الأمثال والأشكال . صفاته قديمة كذاته ، ليس بجسم في صفاته ، جل أن يشبه بمبتدعاته وأن يضاف إلى مخترعاته ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . لا يسمي له في أرضه وسمواته ، ولا عدل له في حكمه وإرادته ، حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الفكر أن تحيط ، وعلى العقول أن تتصور إلا ما وصف به ذاته في كتابه العزيز أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم » .

هذا هو الشيخ عدي بن مسافر الأموي صاحب الطريقة العدوية ، وهذه هي عقيدته . وكانت وفاته سنة ٥٥٥ و قبل سنة ٥٥٧ ، وقد تجاوز التسعين ولم يخلف ولداً ويقال انه ظل أعزب ، وسنعود إلى الكلام عنه في البحث عن الشيخ شمس الدين الحسن أحد زعماء هذه الطريقة .

﴿ الشيخ العارف صخر بن مسافر الأموي ﴾

هو أخو الشيخ عدي بن مسافر الأموي ولم يذكر أحد من المؤرخين أنه جاء بلاد الهكارية ، والذي جاءها أبوه أبو البركات صخر الثاني الذي خلف عمه الشيخ عدياً في الطريقة ، والذي يغلب على الظن أن صخر الأول كان أيضاً معروفاً بين قومه بالصلاح

والتقوى وقد تحدث جماعة من المؤرخين عن صلاح أبيه مسافر ، وأنه انقطع في السياحة أربعون سنة ، ويجوز لنا ان نذهب الى ان انصراف هذا البيت الى العبادة والتقوى وتجردهم عن العلاقات الدنيوية هو الذي جعلهم في مأمن من اضطهاد العباسيين وظلمهم الذي أسرفوا فيه بحق بنى عمهم الأمويين ، ولو لم يتبعوا هذه الطريقة لما أبقوا عليهم وإذا لم تكن نرى فيهم نزوعا الى حب الرياسة طيلة ثلاثة عصور مضت عليهم فهذه الروح كانت كامنة فيهم وكانوا يترقبون الفرصة الملائمة لظهارها ، وسنرى كيف ظهرت على عهد الشيخ حسن ، وكيف جرت وبالا عليهم .

﴿ الشيخ ابو البركات صخر بن صخر بن مسافر الأموي ﴾

هاجر صخر بن صخر من (بيت قار) الى جبل الهكارية وصحب عمه الشيخ عدياً وخلفه بعد وفاته . وكان الشيخ عدي في حياته يشي عليه ويقسدهم ويقول فيه : « ابو البركات ممن دعي في الأزل وكان من السابقين الى الحضرة » ويقول فيه : « ابو البركات بخلفني » وفي تحفة الأجيال للسماوي : « ان الشيخ عدياً (١) كان أعزب ، ويروى انه سأل الله تعالى ان يجعل ذريته في أخيه صخر بن مسافر فاستجاب الله دعاءه ، وهكذا كان فان آل عدي الذين تناسلوا وكثروا هم أولاد صخر بن مسافر لا أولاد عدي . وقد ترجمه صاحب بهجة الأسرار بما هو بالحرف :

« كان من أجل مشائخ العراق ببلاد المشرق ونبلاء العارفين ، وأركان هذا الشأن وأئمة الدعاة اليه وأعيان العلماء بسبيله عالماً وعملاً وزهداً وتحقيقاً ، صحب عمه وهاجر اليه ، واليه كان ينتمي وخلفه بعد وفاته في المشيخة بزاويته في (لالش) بجبل هكار وكان يشي عليه ويقدمه ويعدده من ابدال الدهر ، لقي غير واحد من المشائخ وانتهت اليه رئاسة هذا الأمر في وقته في تربية المريدين السالكين وكشف مشكلات أحوالهم وتبيان مهمات أمورهم وتخرج عليه غير واحد من العلماء .

كان كامل الآداب ، حسن الاخلاق ، ظريف الشائل ، ذا بهاء وصمت وحياء ، محباً

(١) لا يعد اختيار الشيخ عدي العزوية دليلاً على انه أراد تطبيق هذا النظام على سالكى طريقته وهو عمل فردي اختص به . وما ذهب اليه مؤلف التصوف الاسلاوى وتاريخه (ص ٥٨) من ان الطريقة العددية هي من الطرائق التي اتخذت الرهنة نظاماً في حياتها التصوفية لم يكن صحيحاً .

لاهل الدين ، مكرما لاهل العلم ، وافر العقل ، كثير الكرم ، شديد التواضع .
وترجمه صاحب قلائد الجواهر بقوله :

« كان من أجل مشائخ العراق ببلاد المشرق ، ونبلاء العارفين ، صاحب الكرامات
الظاهرة والاحوال الفاخرة ، والمقامات الجليلة ، والانتفاص الروحانية ، الى ان قال :
« صاحب القدوة شرف الدين عدي بن مسافر رضي الله عنه وهاجر من البقاع العزيز
من قرية بيت قار الى جبل الهكار وخلفه بعد وفاته بلالش ، وكان يشي عليه ويقدمه
وقال فيه : « هو ابو البركات حقيقة » .
ومن أقواله المأثورة عنه :

« من سكر بكائس المحبة لا يصحو إلا بمشاهدة محبوبه ، فان السكر ليلة صباحه
المشاهدة ، كما ان الصدق شجرة عمرتها المجاهدة .

ومنها ، أصول المحبة في ثلاثة أشياء : الوفاء ، والادب ، والمروءة . فالوفاء انفراد
القلب بفردانيته والثبات على مشاهدته والمؤانسة بنور أزليته . وأما الادب : فمراعاة
الخطرات وحفظ الأوقات والانتقاع عن المقاطعات . وأما المروءة فالقيام على الذكر
بالصفاء قولاً وفعلاً ، والسر عن الاغيار ظاهراً وباطناً وحفظ الأوقات لرعاية ما هو آت
واستدراك الأوقات ، فإذا وجدت هذه الخصال في العبد وجد لذة الوصال وخاف
حرقة البين ، وهاج في سره نار الاشتياق .

سكن (لالش) الى ان مات ودفن عند عمه وقبره ظاهر بزار . وخلفه ولده عدي ابن
ابي البركات وكان على شاكلته في المناقب والفضائل . وذكر السخادي هجرته الى عمه بقوله
« وقد نزل الشيخ ابو البركات ابو هذه الذرية عند عمه عدي بن مسافر بالمكان المعروف
بلالش بجبل الهكارية » .

وقد زرت قبره أكثر من مرة وهو على يمين الباب المؤدي الى الخدع المدفون فيه
الشيخ عدي ويعرفه اليزيدية بالشيخ بركات (بسكون الراء) الا أنهم لا يعرفون
شيئاً عن حياته .

﴿ الشيخ عدي بن أبي البركات صخر بن صخر بن مسافر الاموي ﴾
يلقب بأبي الفاخر ويعرف بالكردي لتولده ببلاد الاكراد ، وقد عرفه صاحب كتاب
قلائد الجواهر « بالشامي الاصل والهكاري المولد والدار » وترجه بما هو بالحرف :
« الشيخ الاصيل ، كان من أعيان مشايخ العراق المعترين . صاحب كرامات وأحوال
الي ان قال عنه : صعب والده وأخذ عنه ، ولقي غير واحد من مشايخ الشرق ، وانتهت
اليه الرياسة في وقته في تربية المريدين بجبل الهكار وما يليه ، ونخرج بصحبته غير
واحد .

كان ظريفا ذا سميت وحياء ، محبا لاهل العلم ، وافر العقل ، شديد التواضع ، وأجمع
العلماء على تبجيله واحترامه وقصد بالزيارات ، واشتهر ذكره في الآفاق ، ولم أقف على
تاريخ ولادته ووفاته .

إن اجمال كتب التاريخ تعيين وفاة الشيخ أبي الفاخر وولده الشيخ أبي البركات يجعلنا
في تردد في تقدير سني توليها المشيخة في هذه الرواية ، واذا فرضنا ان الشيخ حسن
المتولد سنة ٥٩١ هـ والمتوفي سنة ٦٤٤ هـ كانت مشيخته نصف مدة حياته فيكون تاريخ وفاة
الشيخ أبي الفاخر سنة ٦١٤ او ما يقاربه وعلى هذا التقدير تكون مشيخة كل من
الشيخ أبي البركات وأبي الفاخر ستين سنة ، وقد قضى الشيخ أبو البركات الشطر
الأكبر من هذه المدة بالمشيخة بعد ان عرفناه مات مسنا .

ويجوز لنا الاعتقاد أن هذه المدة هي خير ما لاقته الطريقة العدوية في حياتها من
ازدهار واشراق بعد وفاة عميدها ، وقد ظلت محافظة على صفاء جوهرها ، ولم يعرف
الفساد والزيف طريقا اليها .. وظل هذان الشيخان دائبين على حسن سلوكهما مقتفين اثر
الشيخ عدي في الدعوة الى الاصلاح ومحاربة الضلال والجهل الى أن ظهر الشيخ حسن ،
وهناك دب فيها الفساد وغير صفاءها .

والشيخ أبو الفاخر هذا هو الذي جملة أحد الرهبان النصاري واسمه « راميشوع »
موضع قصة تاريخية كتبها الى صديق له في دير مار ميخائيل وساق نسبه الى القبيلة
التبراهيمية المجوسية وإن أباه - وأراد به الشيخ أبا البركات - كان راعيا لأغنام دير مار

يوحنا ويشوعسبران الذي بنى الشيخ عدي زاويته عليه . وسنورد هذه القصة مع تعليقا عليها في إيجازنا الآتية .

﴿ الشيخ حسن ﴾

هو ابن أبي المفاخر الشيخ عدي الثاني شمس الدين أبو محمد الحسن ويلقب بتاج العارفين . ولد سنة ٥٩١ هـ وانتقلت اليه الشيعة من أبيه الذي لم تعلم تاريخ وفاته . كان الشيخ حسن بمتاز بمواهب خارقة وذكاء نادر . عبر عنه مؤرخ (١) أنه ذو رأي ودهاء ، وله أدب وفضل وشعر وتصانيف في التصوف . وقد اختلى ست سنوات صنف فيها كتابه « الجلوة لأهل الخلوة » أودع فيها عقيدته التي خالف فيها مبادئ الاسلام . وقد فقد الكتاب ولم يعلم شيء عنه .

ونرجح انه اتصل بالشيخ ابن عربي (٥٥٠-٦٣٨ هـ) عند ترده الكثير الى الموصل ، وكان ابن عربي يقيم حينذاك بالجامع النوري يصنف كتابه « التنزيلات الموصلية » ومنه أو من غيره انتقلت اليه عقيدة وحدة الوجود فأودت به الى القول بالرجعة والحلول ، وبنى عليه مذهبه الذي عرف به . فلاقى في نفوس أصحابه قبولا ، واعتقدوا به وأكبروه ورفعوا به الى منزلة ما فوق البشر ، وأدخلوه في عداد آلهتهم السبعة وسموه دردايل .

إن قيام الشيخ حسن بهذه الدعوى مما أيده المؤرخون الذين تكلموا عنه ، حتى نبزه أحدهم بالمتأله . وبعد أن وجد نفسه بهذه المنزلة ، وفي جانبه جماعات كبيرة من المريدين يدينون به ، رأى ان ينفذ منوياته التي طالما تختلج في صدره ، وهي إيجاد انقلاب واسع في الدين والعقيدة والسياسة وفي كل شيء . أليست الغاية من وضعه هذا الدين هي تهينة الأسباب التي تمكنه من إيجاد هذا الانقلاب ؟

بده الصراع بين الشيخ حسن ورجال الحكم في الموصل : كانت الدعوة التي قام بها الشيخ حسن يرمي فيها الى غايتين على جانب من الخطورة ، الأولى : إيجاد انقلاب ديني واسع والقضاء على الشيعة التي يحمل لها العداء الشديد ، وقد ورث هذا العداء

من آباءه الأمويين . الثانية : الوصول الى الحكم واحياء مجد الأمويين في بلاد الجزيرة وجبال الحكارية ثم التوسع في الملك . فكان صراع شديد يندر بالخطر على هذه البلاد ولا سيما بلاد الحكارية مهد ظهور هذه الدعوة .

كانت سلطة الحكم بالموصل بيد بدر الدين لؤلؤ (١) فلم تخف عليه هذه الحركة وما تنذر به من خطر يهدد ملكه وأخذ يعمل على مقاومتها وخنقها وهي في مهدها واستعان بالحزب الشيعي في الموصل وعمل على تقويته وضمه الى جانبه وهي سياسة تدل على فطنة ودهاء عظيمين. ونحن لا نعتقد ان أرمنيته أوجدت في قلبه فراغا لحب البيت العلوي وشيعتهم ، وما إشارات القباب على أضرحة الأئمة والسادات العلويين في الموصل وجعل قبورهم مزارات وإرساله الخلع والهدايا الثمينة طيلة مدة حكمه الى مشهد الامام علي في النجف إلا قصد التزلف الى الشيعة وكسب ودهم .

وقد اشتد التنافس بين الحزبين الشيعي والعدوي في الموصل فكانت فتن عظيمة ذهب فيها نفوس كثيرة ، حزب مدفوع من زعيم له يعتقد فيه الألوهية ، هدفه نشر مبادئه وتحطيم المباديء التي يراها مخالفة له لتأمين أسباب وصوله الى الملك ، وحزب يدافع عن نفسه وعن مبادئه من عدو لدود يرى هلاكه على يده اذا ما فاز عليه .

كان التحمس الذي يبديه الحزب العدوي في دعوته من شأنه ان يضمن له النجاح في هذا الصراع ، إلا انه كان يعوزه شيء من الأناة والتروي ريثما تنضج دعوته ويقوى جانبه ، فكان تسرع الشيخ حسن في إظهار منوياته التي لم يطق صبراً على كتمانها ،

(١) كان أرمنياً مملوكاً لنور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل . دبر دولة استأذه ودولة ولده الملك الفاهر بن عز الدين مسعود ، فلما مات الفاهر سنة ٦١٥ هـ أقام ولده نور الدين ارسلان شاه بمحلة صورة وبقى أتابكاً الى ان مات بعد قليل فاستغل هو بالسلطنة وتوفي سنة ٦٥٧ عن عمر يناهز السنة والتسعين سنة ودفن بالموصل ثم نقلت رفاة الى مشهد الامام علي (ر.ع) ، وكان يظهر التشيع ويتعصب للشيعة . وكان يبعث كل سنة الى مشهد الامام (علي) بقنديل ذهب بألف دينار ، وشمعدان مطعم بالذهب والفضة . وقبل انه نذر في اوائل أمره انه كلما عاش سنة وهو ملك الموصل يكون للمشهد عليه قنديل . ولما مات عد ما ارسله الى المشهد فبلغ اربعين قنديلاً واربعين شمعداناً وعليها اسمه ، وكان مع ذلك يبعث الى المشهد بالصدقات الكثيرة .

ويروى انه لم يكن محمود السيرة ، ولا سالماً من الجريرة . وكان كثير القتل والتفويه ، ولم يكن قتله الشيخ حسناً إلا خوفاً من ان يتغلب عليه ويزيله عن ملكه الذي ملكه بصورة غير مشروعة .

ثم تركه مركز دعوته (لالش) وإقامته بالموصل مما أدى الى فشله ، اذ يحدثنا التاريخ أن (بدر الدين) قبض عليه وسجنه ثم خنقه بقلعة الموصل (سنة ٦٤٤) وقضى على حركته التي لو كتب له النجاح فيها لكان خطرهما عظيما .

تطور الحالة بعد مقتل الشيخ حسن : لم يكن بدر الدين مطمئنا من استقرار الحالة في جبل هكار بعد قتله الشيخ حسنا ، وكان يخاف من نشوب ثورة عنيفة يقوم بها أولاد عدي تزلزل ملكه ، وأخذ يوالي حملاته على لالش وينسك بهم ، وآخر حملة أرسلها كانت سنة ٦٥٢ فقاتلتهم قتالا شديداً وقتلت منهم جماعة وأسرت جماعة ، فصلب منهم مائة وذبح مائة ، وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب الموصل وأرسل من نبش عديا من ضريحه وأحرق عظامه (١) .

ان بدر الدين مع حاجته لاتخاذ اجراءات قوية لاتخاذ هذه الحركة والقضاء على أمان البيت العدوي ليأمن على سلامة ملكه ، لم يكن مصيبا في نبشه عديا من قبره وإخراج عظامه وإحراقها ، فقد أجيح بعمله هذا نار الحقد الكامن في نفوس أصحابه وزادهم تمسكا بمبادئهم ، فالتسع مذهبهم وعمل به معظم سكان الجبال الأكراد ولا يزال أثره باقيا حتى يومنا هذا ، وقد ورث أصحاب هذا المذهب البغيض والعداوة لأهل الاسلام كافة ولم يتصافوا معهم يوما ويطمئنون اليهم .

مصير البيت العدوي : كان رجال البيت العدوي يتمتعون بحياة عظيم وقدر رفيع ، ويعيشون في ترف ورخاء ونعيم لأقبال الناس عليهم ، وتقربهم بصفوة أموالهم اليهم ، وكان الأدب والعلم شائعا بينهم ، وقد حفظ التاريخ أسماء البعض منهم وغفل عن ذكر الآخرين . ولما حلت النكبة بهم بقتل بدر الدين عميدهم الشيخ حسنا ، ونوالي حملاته عليهم وتنكيله بهم ، تركوا مواطنهم وتفرقوا في البلاد حفظا لأرواحهم وصيانة لكرامتهم ، ويحتمل أن كثيرا منهم قتل في هذه الحملات ولم يعرف شيء عنهم . فأول من عرفناه هاجر من البيت العدوي (شرف الدين محمد) بن الشيخ حسن ، فقد التحق بخدمة السلطان عز الدين كيكائوس بن غياث الدين السلجوقي صاحب مملكة الروم بناء على

دعوة منه له ، وذهب (زين الدين يوسف) بن شرف الدين محمد وهو لا يتجاوز سن العشرين ومعه ولده الصغير (عز الدين) الى الشام ، فأُنعِمَ عليه بأمره كبيرة فلم يقبلها وآثر الانقطاع في قرية « بيت فار » القرية التي خرج منها الشيخ عدي الكبير ، ثم ترك الشام وذهب الى مصر وأسس له زاوية في القاهرة ، ثم سجن لسبب ما كان يدور حوله من الشائعات بأنه يسمى وراء الملك ، ثم أفرج عنه بعد ان أعتقل ثلاث سنين وتوفي في القاهرة ودفن في زاويته .

أما ولده (عز الدين) فقد نال عدة إمارات في الشام ، ثم آثر الانقطاع في المزة ، ثم سجن لعين السبب الذي سجن أبوه من أجله ومات في السجن .

وذهب (الشيخ مند) - ولم يتمكن من معرفة درجة قرابته من الشيخ حسن - الى الديار الحلبية ونشر فيها المبادي الزيدية بين أكراد « القصير » قريباً من انطاكية وفي « الجومة » و « كلس » (١) ، ونالت الزيدية توسعاً وإقبالا على عهد الجراكسة في حلب . وتقلد أحد أحفاد الشيخ منذ أمانة لواء حلب في أواخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة العثمانية (٢) وأصبحت الديار الحلبية من أهم المناطق التي انتشرت فيها الزيدية .

وهكذا تفرق رجال هذا البيت في مختلف الانحاء لا سيما في الانحاء الكردية ، فمنهم من اقتصر على نشر المبادي الزيدية ، ومنهم من عمل لنيل الملك ولكن تحت ستار الدين . إلا ان النجاح لم يكتب لأحد منهم .

اننا لا نرى في خروج البيت العدوي ومطالبتهم بالملك شيئاً يدعو الى الاستنكار وهم أحفاد الملوك المروانيين ووارثوا عزهم ومجدهم ، ومن حقهم ان يطالبوا بملكهم الذي أضاعوه ويسعون في استرجاعه ويرون الدولة العباسية قد أخذت تنهار وتفتتها الايدي من كل جانب . فقد دخلت مصر والشام في أيدي عصابة من مماليك الأتراك جي . بهم بالامس القريب من بلاد القبحاق وبيعوا في اسواقها بيد النخاسيين ، وبلاد الجزيرة بعد

(١) شرفنامه

(٢) تاريخ اعلام النبلاء للاستاذ الطباخ (٥ : ٣٥٥)

ان كان يحكمها « الاتابكيون » وهم من ممالك البيت السلجوقي دخلت بيد « بدر الدين لؤلؤ » المملوك الأرمني الذي حكمها بالنار والحديد ، وما يقال عن البلاد العربية يقال عن مملكة الروم وبلاد فارس وغيرها من الاقطار والممالك التي كان يشملها الحكم العباسي ، ودخلت في أيدي أناس دخلاء لم يكن لهم سابقة في الحكم .. إذن أليس من حقهم أن ينالوا نصيباً من هذا الملك المتداعي وهم أحق به من غيرهم ؟

إننا لا نشك بان نفوسهم الكبيرة كانت لا ترضى لهم بهذه المذلة بل تحفزهم للقيام بمطالبة ملكهم المضاع ، ولديهم قوة كبيرة من الاتباع والمريدين الذين يستعذبون الموت في سبيل نصرتهم ، وقد زادت صلة هؤلاء الاتباع والمريدين بهم قوة ورسوخا بعد ان جعلوهم يدينون بالعبادة لهم . وقد سلك « الشيخ حسن » هذه الطريقة عندما أعوزته العصبية ولم يكن له من بني جلدته قوة يعتمدها . غير أن هذه الطريقة كانت لها خطورتها ، ولم يكن ليلاقي صاحبها حالة وسطى ، فاما نجاح يرفعه الى الملك ، واما إخفاق يسوقه الى الموت . وقد أخفق ومات وقبرت أمانيه معه .

ماذا تكون النتيجة لو كتب للشيخ حسن الفوز والنجاح في دعوته ؟

وماذا تكون نتيجة دعوى يقوم بها رجل مونور أقصى همه الانتقام لاهل بيته الذين سلب منهم ممالكهم ، ونكبوا في عزم وسلطانهم ، وقد أصبحوا أصحاب طريقة تصوفية يعيشون على ما تجود به أيدي أتباعهم ومريديهم عليهم من نذور وخيرات وصدقات ؟ والبيت الاموي لم يخلق لهذا بل خلق للجهاد والسلطان ، خلق أبنائه ليكونوا ملوكا ، وهذه الفكرة لا تزال تدور في رؤوسهم منذ خمسة قرون ، ولا يزالون يسعون في تحقيقها ولذلك فالذي نراه ان لو ساعدتم الحظ ونالوا أمنيتهم لا وجدوا انقلابا عظيما في النظم الدينية والسياسية والاجتماعية ، وأصبح لمذهبهم نوبة تنهزم أمامها بقية المذاهب وينالها الشيء الكثير من الخذلان .

ولا نخطيء اذا قلنا ان كارثة المغول التي حلت بهذه البلاد - وذلك في نفس الوقت الذي قام به البيت العدوي بهذه الدعوة - كانت أهرن شرأ وأقل خطراً مما لو نال هذا البيت الفوز في دعواه لا بالنسبة الى الشيعة الذين يضمرون لهم العداوة والبغضاء منذ

زمن بعيد فقط ، بل الى طوائف السنة ايضا الذين يخالفونهم بالمعقيدة والمبدأ ويرونهم خارجين عنهم ، وسوف لا يكون عملهم مع أهل الشيعة الذين يدينون بحب علي وأهل بيته أقل وطأة من عمل الشاه الصفوي مع أهل السنة الذي شاهده التاريخ بعد مرور ثلاثة قرون .

واذا كانت شرذمة قليلة منهم حافظت على بقائها طيلة هذه المدة وكان لها من الخطر الذي شاهدها على حالة الأمن في هذه البلاد وأعجزت الحكومة العثمانية عن صد عدوانها ولا يزال بقاؤها ينذر بالخطر المستمر على المنطقة الجبلية في سنجار ، فاذا كان أمرهم فيما لو قبضوا على زمام الحكم في هذه البلاد وحصلوا على مبتغاهم ؟ لا شك ان أمرهم كان يضحى عظيما .

علمه وأدبه : أقام الشيخ حسن طريقته على مبادئ غاية في الاتقان ، وقد مر عليها سبعة عصور تماما ولا تزال تحافظ على أصلها . ولو وصل اليها كتابه (الجلوة لارباب الخلوة) لعرفنا أهدافه التي رمى اليها في وضع هذا الدين والآراء والنظريات التي أتبعها ولا شك أنها كانت على جانب من الخطورة وهي التي أوجدت هذا الانقلاب في الحياة الدينية في هذه الطائفة ويجوز ان كان له مؤلفات أخرى غير كتاب الجلوة ذهبت جميعها أثناء الحملات التي وقعت على لالش ولم يبق لها أثر .

وكان ينظم الشعر ويودعه احساساته وهو يضاهي شعر بن عربي وابن الفارض برقته وانسجامه والنزعة التصوفية الظاهرة عليه لو لم يكن قد دخل عليه من التحريف ما أدخل به ، فما اقتبسناه من شعره القصائد الآتية (١) :

تجلت لنا ليلي ونحن على الشعب وأول قلب هام في حبها قلبي
نظرت معانيها وحسن صفاتها وقد علمت ما بي ولم يعلموا صحتي
ومنها :

وإن كان ذنبي يا عواذل حبها خذوا حسناتي وانركوني على ذنبي

(١) اقتبست هذه القصائد وقصائد أخرى تروى عن لسان الشيخ عدي الكبير والشيخ زين الدين من مجموعة اشعار عثرنا عليها عند احد شيوخ اليزيدية في سنجار وهو من شيوخ اسرة الشيخ حسن وترجع انها ترجع الى العصر الثامن الهجري .

على جانب الوادي ومنعرج اللوى
وأنى لمشتاق الى من أحبه
غزال كحيل الطرف مسكنه قلبي
كما اشتاق يعقوب الى ساكن الجب
وله (١) :

خليلي إني للغرام حمول
وقد خافني دهري ولم أر مسعدا
ولا أحد أشكو اليه صبابتي
فبالله يا حادي اذا جزت (لالشا)
وعاينت أقماراً بدوراً طوالها
وغنج عيون والتفات شمائل
عسى يرحمون اليوم صبا متبا
وله :

لا تمزج الراح بالماء الزلال فما
لأنها ولدت في الأصل منه وما
واسمعت هديت كلاي أننى رجل
منها خلقت ومنى كان منشؤها
وله (٢) :

أعد ذكر من حل الثنية بالسقط
وصف بعض ما عاينت من فرط حسنه
وحدث (٣)
وأياك يا غاوي المحاسن ان تخطى

(١) من المرجح ان يكون ناظم هذه القصيدة الشيخ زين الدين بن الشيخ شرف الدين حفيد الشيخ حسن نزيل مصر.

(٢) هذه القصيدة هي من اروع ما نظمه الشيخ حسن وعليها مسحة تصوفية ظاهرة الا ان ايدي النساخ قد عبثت بها ، كما عبثت في قصائده الاخرى وقد اثبتناها مع المحافظة على الاصل . وقد نسب له صاحب فوات الوفيات بيتين من الشعر احدهما جاء في هذه القصيدة ، وقد جاء ايضاً معرقاً والآخر لم يرد وهذان هما البيتان :

سطا وله في مذهب الحب ان يسطو
ومن فوق اصحن الخد للنقط غاية
ملح له في كل عارضة قط
تدل على ما يفعل الشكل والنقط
(٣) لم يقرأ في الاصل .

أياسعد واعدل نحو منمرج اللوى
على خده بالشكل والنقط آية
اليها تناهى كل معنى وصورة
يلوح على خديه من نور قرطه
تبسم عن در فقلت لصاحبي
وله (١) من قصيدة مطلعها :

كم قلت لما شربت الراح مصطبحا
وصرت فردا بلا ثان أقوم به
أليس منشأ ذات الخال وبحكمو
فان ظهرت فذات الخال ظاهرة
فانظر إلي اذا ما رمت رؤيتها
وكل معناني معناها وصورتها
وله :

لام العذول على الحبيب وما درى
وبدا يعنفنى ويزعم أننى
كيف السلو وقد تملك مهجنى
ساجي اللوا حظ لو بدا لمعنى
حلو الشائل كالقضيبي قوامه
بعت الهدى والرشد فى عشقى له
وله :

لله ليلتنا والدار جامعة ونحن فى لنة ولت ولم تدم

(١) وهذه كالقصيدة التى قبلها الا ان التحريف فيها قليل . وقد نسب ابن طولون الحنفى الصالحى بيتين منها اليه عندما ترجمه استطراداً فى ترجمة محمد بن موسى بن محمد العدوي وهما هذين :

وصرت فردا بلا ثانى أقوم به
وكل معناني معناها وصورتها
فأصبح الكون والاكون تفخر بي
كصورتي وهي تدعى ابنتي وأبي

والراح نشربها من كف غانية اذا بدت خلت بدر آلاح في الظلم
تجلو علينا مداما مثل وجنتها قد حلت شربها في الأشهر الحرم
حلفت لما لحى اللاحى بقامتها أن لا أحول وتبريحي عن السقم
وقلت إذ ملكت رقي وما رحمت ذلي وقد علمت ما بي من الألم
الأمر أمرك بعد الله فاحتكمي إن صمت صمنا وإن أفطرت لم نصم (٤)

الرجوع الى الشيخ عدي الكبير :

بعد ان كتب الفوز لصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ على منافسيه البيت العدوي وقتل من قتل منهم ، وفرق شمل الباقيين منهم وخرب زاويتهم ، صنى الجول للأحزاب المعادية لهم وأخذوا يطلقون ألسنتهم فيهم ، ويكثرون من توجيه المثالب اليهم ، وكان نصيب الشيخ عدي من هذه المثالب أكثر من غيره . وقد مر بنا كيف انتبشه بدر الدين وأخرج عظامه وأحرقها وهو لا يستحق هذه الاهانة . واذا كان الذين خلفوه زاغوا عن عقيدتهم وسلكوا طريقا يخالف ما جاء به الشرع الاسلامي فلم يكن هو مسؤولا عنهم . والتاريخ يدلنا على أنه انتبش من قبره غير مرة عندما كان أصحاب السلطات الحكومية والقبيلية يهاجمون أتباعه وينالون منهم ؟ وهذا لم يسبق لصاحب طريقة غيره في الاسلام مطلقا . وقد أراد أصحاب الاحزاب المعادية لهذا البيت ان يزيدوا في إساءتهم اليه وأخذوا يذيعون على لسان الشيخ عدي بعض المنظومات والقصائد التي تدل على دعواه بالالوهية ليلفوا في أذهان الناس كفره ، وأنه هو الذى ساق قومه الى الضلال وأبعدهم عن الاسلام . يقول الامام ابن تيمية في وصيته الكبرى « وغلوا في الشيخ عدي بأشياء مخالفة كان عليه الشيخ عدي الكبير » ووضعوا على لسانه « أشياء باطلة نظما ونثرا خلافا لما كان عليه » وهذا النوع من الدعاية كان له أثره في أفكار العامة من الناس في ذلك العصر ، فلهجوا بهذه المنظومات والمنشورات واكثروا من الطعن بعدى باعتباره

(١) هكذا وردت هذه القصيدة ونسبها صاحب المجموعة الى الشيخ حسن . والشرط الاخير منها وهو « ان صمت صمنا وان أفطرت لم نصم يدور على ألسن الادباء وقد ضمنه الفاعر بن حجلة المغربي المولود سنة ٧٢٥ في بيتين من المجون جاء في ديوان الصباية على هامش تزيين الاسواق من ٢٤٢ مما يجعلنا نتردد في نسبة هذه القصيدة الى الشيخ حسن او يكون هو قائلها وقد ضمن هذا الشرط .

قائلها ، واذا كان البعض لم يعتقد بصحتها ولكن لم يكن يوسعه ان يصرح باعتقاده خوفاً من ان يتهم بالميل الى البيت العدوي ويناله الاعتداء .

وقد مرّت العصور والناس على سوء الظن بعدي والاعتقاد بشركه ولم يظهر من يدافع عنه عدا ما رأيناه من الامام ابن تيمية ، الرجل العظيم الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم .

وعندما كثر البحث عن الطائفة اليزيدية في عصرنا هذا ، تجد القول عنه وأخذ بعض المستشرقين المتطفلين على البحث عن الاسلام ورجال الاسلام يبحثون عنه وعن حياته الدينية وظهوره وينشرون القصائد المروية على لسانه ويعلقون عليها ويحكمون بها على كفره ، وهم أعجز من ان يدركوا حقيقته ويدرسوا عقيدته ، وكلما قالوه عنه استندوا فيه على أقوال جماعة من رجال الكنيسة في ما بين النهرين الذين يحملون البغض والكراهية لهذا البيت .

إن من أهم القصائد التي يروونها عن لسان الشيخ عدي هي التي تبدأ بقوله :

علمي أحاط حقيقة الأشياء وحقيقتي قد ما زجت آياتي

وهذه القصيدة وإن لم تكن لتخرج عن فحوى القصائد المروية عن لسان بعض المشايخ الصوفية من أصحاب عقيدة وحدة الوجود ، فعدي لم يكن من هذا النوع من المشايخ وهو ظاهري محض يعمل بالسنة والحديث أكثر منه باطنياً ، وقد تناول هذه القصيدة المستشرق الفرنسي (ف . نو) في كتابه (مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية) والكاتب الانكليزي السر برسي بادجر في كتابه (النساطرة) وغيرها وحكموا بها على كفره .

فمن أين أتى هؤلاء المستشرقون بهذه القصيدة والقصائد الاخرى المروية عن لسان الشيخ عدي مع ندرتها ؟ فيجوز أنهم أخذوها من اليزيدية عندما كانوا يكثر التردد اليهم دون ان يشعروا بهم ، او أخذوها من بعض النصاري الذين كانوا يأنثونهم ويوقنونهم على كتبهم . أما في الكتب الاسلامية فلا وجود لها البتة وقد وجدتها في مجموعة الأشعار القديمة التي أشرت اليها فأخذتها منها مع قصائد أخرى سأبحث عنها .

إن هذه القصيدة لم تبق على أصلها وقد لعبت بها أيدي النساخ وأدخلت عليها أغلاطاً فادحة ، وهذه هي :

وحيثما قد مازجت آياتي	علمي أحاط حقيقة الأشياء
مذ صار في البأساء والضراء	وجميع من في الكون تحت مشيتي
وأنا المحكم حاكم البطحاء	وأنا الذي قد قلت قولاً صادقاً
وأنا إلى وقبلوا قدمائي	وأنا الذي سجد الرجال لعزتي
وأنا الذي قد صحت في البيداء	وأنا المفيض على السموات العلى
وأنا بذاني أظهر الأشياء	وأنا الذي قد صرت فرداً واحداً
من ربي (١)	وأنا الذي جاء الكتاب مبشراً
طوعاً إلي وقبلوا قدمائي	وأنا الذي جاء الرجال بأسرهم
شهداً وقد دارت على الندماء	وأصبحت أئمة من سلافة ريقه
أهدي لمن طلب الهدى بهدائي	وبنوره أصبحت مصباح الدجى
وأسكنت نمرود نار لضيائي	وأنا الذي أسكنت آدم جنتي
وهديته لطريقتي وهديتي	وأنا الذي أهديت آدم صفوتي
يأتوا إلي يقصدون عطائي	وأنا الذي كل الوجود بأسره
والجود والاحسان من نعمائي	وأنا الذي حزت المعالي كلها
وجلست لقوة هيبتني وجلائي	وأنا الذي خشت القلوب لسطوتي
. (٢)	وأنا الذي قد جاءني سبع الفلا
. (٣)	وأنا الذي الثعبان نحوي قد أتى
وأفضت من خباها أعذب ماء	وأنا لكزت صخرة أرعبتها
مني كتاباً أهدى الثقلين	وأنا الذي أنزلت حقاً صادقاً
لما شرعت فكان من إعطائي	وأنا الذي أشرعت شرعاً حاكماً

(١) لا يقرأ في الأصل .

٢ و ٣) فيها إشارة الى ما يقال من (ان الحيات والهوام والسباع كانت تأتيه وتأنس بصحبته) والشرطين الآخرين من هذين البيتين لا يقرآن في الأصل .

وأنا الذي أجريت عيناً ماؤها
وأنا الذي أظهرتها بتلطفي
وأنا الذي قد قال لي رب السما
وأنا الذي أظهرت بعض عجائبي
وأنا الذي شتم الجبال قد عنت
وأنا الذي بكى الوحوش لهيبتي
وأنا (عدي) الشام ابن مسافر
والعرش والكرسي، وسبعاً والثرى
من هذه الاشياء تعلم قدرتي
لا تنكرون يا رجال وسلموا
من مات في مفرماً ألقيته
وأنا الذي من مات عني غافلاً
وأنا أقول بأنني فرد صمد
سبحان ذاتي والأمور مشيئتي
إني أنا الملك المعظم شأنه
أخبرتكم يا قوم بعض طرائقي
وأنا الذي قد قلت قولاً صادقاً
وأنا طلبت الحق صرت محققاً

أحلى وأعذب من جميع الماء
وبقدرتي سميتها «البيضاء» (١)
أنت المحكم حاكم البطحاء
من بعض فضلي تظهر الأشياء
طوعاً نروم محبتي ورضائي
عادوا سجوداً قبلوا قدمائي
قد خصني الرحمن بالأسماء
في طبي علمي لا إله سوائي
فلأني شيء تنكرون علاني
بعد القيامة تسعدوا بلقائي
وسط الجنان مشيئتي ورضائي
يلقي العذاب بذلة وغناء
أخلق وأرزق من أشاء برضائي
والكون قد أشرق بيمض عطائي
وجميع رزق الخلق تحت يداي
من زارني يخرج عن الدنيا
فالجنة العليا لأهل رضائي
ويحق مثلي بملك العليا (٢)

(١) أراد بها (العين البيضاء) في لالش، وحسب معتقد الزيدية أن ماءها يأتي من بيت المقدس ويسمونها (عين زمزم) وفي الفلائي (ص ٨٦) في البحث عن كرامات الشيخ عدي: «... فضرب برجله صخرة فتفجرت من ماء النيل...» أ. ا. هـ.

(٢) نشر كاتب عراقي سلسلة مقالات في عدد ٦ و ٧ و ٨ من مجلة «اليقين» البغدادية المحتجبة في سنتها الثانية عربها عن كتاب (معتقدات النسطوريين) للكتاب الانكليزي جي. جي. بادجر المطبوع سنة ١٨٤٢ فيما يتعلق بمعتقدات الزيدية أتى فيها على ترجمة لهذه القصيدة وهي توافق النص العربي الذي يسدنا تبدأ بقوله: «ان حكمتي تعرف الاشياء»، وامتزج صدقي بي. ان اصلي من نفسي، لم يكن القمر معي، جميع الخلائق رهينة أمري. بي كان العالم المسكون والصعاري، كل مخلوق خاضع لي، انا الفائل الكلام الصدق، أنا موزع القوى ووازع الكون...» أ. ا. هـ.

ونحن لا يهمننا ما في هذه القصيدة من ركافة واسفاف فضلا عما هي عليه من اختلال الوزن والقافية ، والأغلاط النحوية واللغوية المضحكة الفاضحة (١) بل الذي يهمننا ما احتوته من غلو فاحش في دعوى الألوهية ونسبتها الى الشيخ عدي بن مسافر الذي أجمع علماء عصره على صلاحه ، وفيها من الأقوال ما لا يصح صدوره إلا عن لسان أشد الناس زيفاً وأعظمهم إلحاداً وكفراً . وليس أسخف ممن يريد أن يجعل لقائهم مثل هذه المنظومة عذراً بأنها قد تصدر عن لسانهم في حاله الغيبوبة ، وقد استولى عليهم الوجد وفنت مشاعرهم في وحدة الذات الألوهية ، ولا يقولها إلا مخارق يريد أن يستهوي السذج من الناس ، او قد أصيب في عقله بمس من الجنون .

والشيخ عدي رضي الله عنه براء من كلتا هاتين الحالتين . ولننظر الى القصيدة الآتية وقد تنسب اليه ايضاً ومطلعها :

غير بنت الكروم يا ابن الكريم

يقول فيها :

يعلم العالمون أن علوم الناس فيها من بعض بحر علمي
سدره المنتهى محل مناجاتي فلهذا أنا السميع العليم
عز قدسي وجل إسمي ، أنا الجنة راحي ، والنار حر سمومي
سجدت لي الأفلاك حتى تعاليت ، بسجود الخدام للمخدوم
وجميع من في الوجود قال لي : يا رب أهدنا الى الصراط المستقيم
ويقول :

والبرايا طويتهما بعد نشر طي فتیان كهفها للرفیق

(١) من ذلك ما جاء في البيت الاول كلمة (آبائي) بدل (آبائي) ، وفي قافية البيت الرابع (قدمائي) بدل (قدمائي) على ان قدمائي ايضاً غلط في الاعراب لانه في موضع المفعول فيجب ان يقال وقبلوا قدمي . وفي البيت الخامس عشر كلمة (وجلاني) بدل (وجلاني) . وفي القطر الثاني من البيت التاسع عشر (كتابا اهدى الثقلان) فبدل (الثقلين) بالثقلان . وفي البيت الثاني والعشرين (تظهر الاشياء) فالقافية تقتضي كسر الهزة والاعراب يقتضي ضمها لانها في موضع الفاعل . وفي البيت الخامس والثلاثين (تحت يداي) بدل يداي ، على ان يداي ايضاً غلط في الاعراب لانها مضاف اليه فيقتضي ان يقول : تحت يدي . وفي البيت الذي بعده : (عن الدنيا) بدل الدنيا . وفي البيت الاخير : (يملك العلياء) فالقافية تقتضي كسر الهزة والاعراب يقتضي فتحها لانها في موضع المفعول به .

وأبو مرة اللعين عزازيل
شرقي مشرف على كل شيء
وأناذي بقدرتي لمن الملك
آمنوا يا عبادي لا تكفروا بي
أنا أسقى الكفار ناراً حمياً
وعدي أنا ومن سار أماني ومن مأموم

وهذه القصيدة أيضاً لا تقل غلوّاً وكفراً عن أختها التي سبقتها ، وقد أراد قائلها ان يورث الناس بصدورها عن لسان (عدي) وأتى فيها على اسمه كما فعل صاحب القصيدة التي سبقتها . والذي يفيدنا من هذه القصيدة البيت الذي يذكر فيه اسم (أبي مرة اللعين) عزازيل الذي عرفه اليزيدية ، أتباع طريقة عدي ، بآله الشر ومجدوه وعبدوه ، فهو يدلنا على أن هذه القصيدة قيلت قبل ان ندخل العقيدة الثنوية عليهم عندما كانوا ينظرون الى إبليس كما ينظر اليه أهل الاسلام . ومن هنا يفهم بان كثيراً من المظاهر التي نَجدها الآن في الديانة اليزيدية من الخطأ أن نرجعها الى (الشيخ حسن) الذي عرفناه بأنه واضع هذه الديانة ، وقد ثبت عندنا أن هذه الطائفة كانت حتى نهاية العصر الثامن الهجري تدين بالاسلام ، ولم تكن عبادة الشيطان معروفة لديهم ، وقد عرقوها بعد أن دخل العصر التاسع وربما بعده .

ومن الشعر الذي يروى للشيخ عدي قوله :

ذر اللوم والتعنيف في الحب لا تلحاً ودعني فاني فيك لا أقبل النصحا
لأنني أرى شرب الصبوح فريضة فعمش والهأ نشوان سكران لا تصحبا
يقول فيها :

سقاني بكاسات الهوى خمر الصفا فأصبحت فرداً ليس يثبت ما أمحا
فسبحان سبحاني وتعظيم قدرتي وجل جلالها أنا مالك البطحا
وقصيدة أخرى مطلعها :

يا نديمي هتكى وأصل جنوني من لحاظ الأتراك قد لحظوني

أنا وحدي فلا آله سوائي جل وصفي ، لكنهم وصفوني
يقول فيها :

ورجال التحقيق خروا سجوداً وأرباب الحضور قد شاهدوني
هذه حالة الجهالة حقاً ما عليهم لوم اذا جهلوني
وقصيدة أخرى مطلعها :

علمي علا فوق جميع الخلق ... والكون أصبح يزهو من إشارتي
جاء فيها :

سبحان سبحان سبحاني لقد ظهرت أسرار أسرار أسرار الكرامات
وقصيدة أخرى مطلعها :

أنا خلقت رجال الوقت ... والسبع أرضين خلقي والسموات
جاء فيها :

هذي شموسى على الأكوان ساطعة تهدي الحيارى وأسراى خفيات
وجاء فيها :

أنا المصور للأرحام كيف أشأ خلقاً فأظهر من خلقي عجوباتي
وهي ثلاثة وثلاثون بيتاً .

وقصيدة أخرى مطلعها :

أنا مهدي الورى فى الظلمات أنا كافي الأكوان فى الكائنات
وهي أيضاً ثلاثة وثلاثون بيتاً .

وقصيدة مطلعها :

أنا ذات الذوات لكل الذوات أنا كافي الاكوان فى الكائنات
أنا رب الأرباب والعرش جمعا والسموات جميعها مبتدعاني
وهي كذلك ثلاثة وثلاثون بيتاً .

وقصيدة مطلعها :

أنا الواحد الفرد المقدس سره لي الحمد سبحاني تقديس ذاتي

وهي سبعة أبيات .

ويروى عن لسانه قصيدة في الشعر العامي يقول فيها :

كاساتها من رضائي والكون من ذاتي والفقر
أنا الذي كنت وحدي في باب الملك دركاه (١) وكنت آخذ وأعطي وما خلق ديار
لما حضرت تناسوا مني وخافوا سطواني أحمد وعيسى وموسى وكل من في الدار
أصبحت في الكون يرجون رحمتي ومع رجاءهم يقولون العفو يا ستار
وعزتي وجلالي وحياة رأسي وقدرتي جميع أهل السنة في رحمتي أحرار

﴿ الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ شمس الدين الحسن أبي محمد ﴾

(بن الشيخ أبي المفاخر عدي الأموي)

لم يذكره أحد من المؤرخين عدا أبا الفرح ابن العبري في تاريخه مختصر الدول وعبر عنه بابن أبي المفاخر عدي وصححه العلامة المرحوم أحمد تيمور باشا في رسالته (اليزيدية ومنشأ نخلتهم) بأنه ابن الشيخ شمس الدين حسن مستدلاً على ذلك بما وجدته منقوشاً على باب زاوية الشيخ زين الدين يوسف في مصر في نسبه فقد كتب هناك (زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد بن شمس الدين حسن) ، يؤيد ذلك التقليد الموجود عند الطائفة اليزيدية ، أما تاريخ ولادته فلم نعلمه بالضبط ولكن بعد أن علمنا أن أباه شمس الدين حسن ولد سنة ٥٩١ هـ وتزوج في سن العشرين ، يمكننا أن نفرض ولادته سنة ٦١٢ أو ما يقارب ذلك ، وعندما توفي أبوه سنة ٦٤٤ كان في سن الثلاثين . وهذا السن يؤهله لأن يتولى الزعامة على هذه الطائفة بعد أبيه كما احتمله أحمد تيمور ، إلا أن زعامته لم تكن لتخلو من اضطرابات أولدها له الاختلاف القائم بين الحزبين العدوي والشيوعي ، ثم اصرار بدر الدين على التنكيل بأهل بيته لما كان يوجسه منهم من الريبة والخوف . ويجوز لنا الاعتقاد بأنه بعد قتل أبيه غادر الموصل وانتقل إلى لالش حيث تسنده قوة أتباعه الكثيرين وترك حزبه في الموصل عرضة لاعتداء مخالفيهم الشيعة فضعف شأنهم ولم يبق لهم قدرة على المقاومة ، أما في لالش فكان الأمر بالمعكس فانهم

(١) البواب أو الحارس .

جمعوا شملهم وقويت عصبتهم وأخذوا يهددون بدر الدين في ملكه ويشنون الغارة على بلاده حتى خافهم وجهز قوة كبيرة من عسكره وأرسلها اليهم (سنة ٦٥٥) فأخشت فيهم قتلاً وتدميراً وخربت زاويتهم كما سر بنسا ذكره في البحث عن الشيخ حسن ، وهنا أدرك البيت العدوي عجزهم عن المقاومة فتركوا أوطانهم وتفرقوا في البلاد ، فذهب شرف الدين محمد الى بلاد الروم حيث التحق بخدمة السلطان (عز الدين كيكاوس بن غياث الدين السلجوقي) فأقطعه مدينة (خرتبرت) ثم قتلته المغول سنة ٦٥٥ ولم يتجاوز من العمر أكثر من أربعة وأربعين سنة على أعظم تقدير .

ملحوظة : يفهم من التقليد الجاري عند اليزيدية أن الشيخ حسناً كان له اولاد آخرون غير شرف الدين وهم الذين تولوا زعامة هذه الطائفة بعده ، وقد بقيت فيهم الى حوالي منتصف العصر الحادي عشر الهجري ، ثم آخرخها منهم أولاد (الشيخ أبي بكر) الذي لم نتوصل الى معرفة درجة قرابته من هذه الأسرة . وهم لا يزالون يحتفظون بالزعامة . أما « شرف الدين » فقد انحاز عنهم ، وسلالته أصبح لها حقوق ووجائب غير ما لسلالة الشيخ حسن .

﴿ الشيخ نحر الدين بن الشيخ أبي المغاخر عدي الأموي ﴾

هو من رجال هذا البيت البارزين وقد ذكره ابن العبري في تاريخه عرضاً ولم يفدنا عنه شيئاً ، وبقينا نجعل حياته الدينية والسياسية ، وأثره في الدعوة التي قام بها أخوه الشيخ حسن ، ومكانته في الثورة التي قامت بوجهه ، والذي نستدله من التقليد الجاري أنه كان رجلاً متشرباً ، وله سعة في العلم . وما جاء في الفتوى المنسوبة الى الشيخ عبدالله الربتكي الكردي قوله « وأن مثل هذيانات الشيخ نحر هي للمول عليها ، وهي التي يجب التمسك بها » يمكننا أن نفهم منها أنه ساهم مساهمة كبرى في وضع هذه المبادئ ، إلا أن أحداً لم يتكلم عنه . وقد انحصر منصب الافتاء « المشيخة الكبرى » فيه وفي أسرته وهو حسب معتقد اليزيدية يعد السابع بين آلهم السبعة ، وقد ورد اسمه في « مصحف رش » بالملك « نورايل » المخلوق يوم السبت وهو خالق الانسان والحيوان والطير والوحش . ولأسرته مكانة مرموقة بين اليزيدية ومنصب « الشيخ الأكبر - بابا شيخ »

المختص بذريته يلي منصب الامارة في الدرجة الثانية .

﴿ الشيخ زين الدين يوسف وولده الشيخ عز الدين ﴾

جاء في كتاب « البزيدية ومنشأ نحلته » للعلامة المرحوم احمد تيمور باشا المصري في ترجمتها ما هو بالحرف :

« هما رجلان كبيران من آل عدي بن مسافر لم نذكرهما البزيدية في كتابيهم الجلوة ومصحف رش كما ذكروا الشيخ حسناً . أما زين الدين فهو كما في تحفة الأحياء للسخاوي في الكلام على تربته بالقرافة الصغرى : الشيخ الصالح العارف المحقق الرباني شيخ مشايخ الأسلام زين الدين أبو المحاسن يوسف بن شرف الدين محمد بن حسن بن عدي بن أبي البركات صخر بن صخر بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن الحسن بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن مبد شمس . ثم ساق نسبه الى معد بن عدنان ، الى ان قال الفرشي الأموي نزيل القاهرة .

والذي يفيد سياق هذا النسب أنه حفيد حسن المتقدم ذكره . غير ان نعت السخاوي له بتلك النعوت يدل على أنه كان في نظره مرضي العقيدة ، بعيداً عما كان عليه جده من المنكرات . ثم ذكر انه توفي سنة ٦٩٧ ، وأن القبة التي على ضريحه وافق الفراغ من عمارتها سنة ٥١٧ (١) ، وأنه قدم الى الشام فأكرم وأنعم عليه بأمره ثم تركها وانقطع على هيئة الملوك من اقتناء الخيل المسومة والخدم والحشم والملابس وعمل الأنسطة الفاخرة . ثم خاف على نفسه فترك ولده هناك ودخل الى القاهرة وأقام بها فأكرم بها .

وترجمة المقرئ (٧٦٤-٨٤٦) في خطه في كلامه على الزاوية العدوية وابن فضل الله العمري (٧٠٠-٧٤٩) في مسالك الأبصار استطراداً في ترجمة الشيخ عدي بن مسافر الأموي وذكر انه ابن أخيه (٢) . وخلاصة ما قالاه عنه أنه وفد من الموصل الى الشام وأنعم عليه بأمره كبيرة ثم تركها وانقطع في قرية تعرف بـ « بيت فار » وأنعم في الملاذ والنعم وعاش عيشة الملوك . وحكي أن بعض نساء الطائفة القيصرية (٣) كانت مغرارة

(١) الظاهر ان هنا تحريفاً بالنسخة فان النقوش على باب هذه القبة هي سنة ٧٢٥ كما يأتي (من الاصل) .

(٢) في هذا تساهل لان بينه وبين جده صخر اخي الشيخ عدي اربعة آباء ولكن من كانت من ذرية شخص فهو اياه (من الاصل) .

(٣) القيصرية وعبر عنهم ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار بالقيامرة جماعة من اعيان امراء-

به ، مطنبة في تعظيمه ، مغالية في الاعتقاد بصلاحه ، وأنفقت عليه أموالاً جزيلاً وكانت غير مصفية لمن يعظمها فيه ، فاحتال عليها اخصاؤها بأن حملوها في قفة وأشرفوا بها عليه وهو عاكف على المنكرات فما زادها ذلك إلا ضلالاً ، وقالت إنها يتدلل الشيخ على ربه وضاعفت له الاتفاق . قال ابن فضل الله : « وحكى لنا شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي الكاتب رحمه الله - قال : بعثت مع الأمير الكبير علم الدين سنجر الدوادار في أول الدولة الأشرفية (١) فأتيناه وهو في قرية مثل الملوك في قلعة - للتجمل الظاهر والحشمة الزائدة والفرش الأطلس وآنية الذهب والفضة والغضار الصيني وأشياء تفوت العد ، إلى غير ذلك من الأشربة المختلفة الألوان والأطعمة المتنوعة ، فلما دخلنا لم يحتفل بنا ، فأتاه علم الدين فقبل يده وهو جالس لم يقم له ، فبقى الدوادار قائماً يحدثه وزين الدين يسأله ، لا هو يجلس ، ولا زين الدين يقول له اجلس ، ثم أمره بالجلوس فجلس على ركبتيه متأدباً بين يديه ثم حلفناه وأنعم علينا بحملة طائلة تقارب خمسة عشر ألف درهم » .

قلت وقد كان تخلف منهم « عز الدين أميران » وأمر بدمشق ثم بصفد ثم بدمشق ثم ترك الأمرة وآثر الإنقطاع وأقام بالمزة وكانت الأكراد تأتيه من كل قطر بصفايا أموالها تقربا إليه ، ومنهم على ما حكى كان يجلس بين يديه ، ثم أراد الخروج على السلطان وتبعه طوائف من كل بلد وباعوا أموالهم بالهوان واشتروا الخيل والسلاح وآلات الحرب ، ووعد رجالاً ممن تبعه بالنيابات الكبار ونزل بارض اللجون ، وأتى السلطان خبرهم وأنهم على هذا لم يؤذوا أحداً في نفس ولا مال وإنما يبيعون أموالهم بالرخص ويشترون الخيل والسلاح بالغالي ، فأمر « تنكز » (٢) نائب الشام بكشف خبرهم وقص آثارهم ، وأمسك

- الأكراد منسوبون إلى (قير) بفتح القاف وسكون الياء وضم الميم وهي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط ولا حدم المدرسة القيمرية بدمشق وهي معروف بهذه النبة وتسمى هذه المدرسة اليوم بمدرسة (الققط) ويلفظها عامة دمشق الققاط (من الأصل) .

(١) هي دولة الأشرف خليل فلادون (من الأصل) .

(٢) هو الأمير سيف الدين أبو سعيد الأشرفي الناصري أحد ممالك الملك الأشرف ابن قلاوون عينه والياً على الشام عام ٧١٢ كان شديد البطش ماضى العزيمة نشر العدل والأمن في البلاد وأوجد مبرات كثيرة وقد خافه الملك الأشرف ودعاه بالحيلة إلى مصر وحبسه وقتله واستصفي أمواله التي تقدر ببضع ملايين من الدراهم .

السلطان من كان بالزاوية المدوية بالقرافة الى أن قال « واختلفت الاخبار فقيل أنهم يريدون سلطنة مصر ، وقيل بل كانوا يريدون ملك اليمن ، وقلق السلطان لأمرهم وأهمه الى أن أمسك « تنكز » نائب الشام « عز الدين » المذكور وأودع الاعتقال حتى مات وفرق الأكراد ، ولو لم يتدارك الأمر لأوشك أن تكون لهم نوبة .
وفي الخطط للمقريزي ان القبض على عز الدين كان زمن المنصور قلاوون ، وقال السخاوي سنة ٧٣٣ .

قلنا والذي ذكره عن الشيخ زين الدين وما كان منطويا عليه من الإنكرات يخالف ما نعت به السخاوي من النعوت الجليلة ، وكذلك حادثته مع الشهاب محمود وعلم الدين سنجر وحادثة افتتاح إحدى القيمريات به ، ذكر السخاوي انما وقعتا مع ولده عز الدين واختلفت أقوالهم في عز الدين فقال المقريزي وابن فضل الله العمري « وكان تخلف منهم الشيخ عز الدين أميران » أى تخلف بالشام فاقصروا بالتعريف به على جملة من الطائفة وقال السخاوي أنه ابن زين الدين كما تقدم ، ورأيت له ترجمة في الدرر السكامنة للحافظ بن جحر جاء فيها انه ابن بنت الشيخ عدى وهذا نصها :

« أميران عز الدين الكردي ابن الشيخ عدى قدم الموصل فولى بها الأسرة ، وكان قومه يأنون اليه من كل فج عميق ويتقربون اليه بالاموال ، ثم شاع انهم يريدون الخروج على السلطان فأمسك من كان منهم بالقرافة ، وكتب الى « تنكز » يكشف أحوالهم ، فأرسل الى عز الدين المذكور ، فسأله عنهم فقال يريدون أن يتفردوا بالمملكة فقال : وما السبب ؟ فقال هذا شيء يتخيلونه في نفوسهم . فقال له لم لا تمنعهم ؟ فقال يمتقدون في وفي جميع أهل يدي ، ولكن حظني بالقلعة يتقلل جمعهم ، ففعل فتفرقوا ، وصاروا بعد ذلك يحيثون الى البرج الذي فيه مجوس فيستنجدون له ، وكان حبسه سنة ٧٣١ ، وكان حسن الشكل ، تام القد ، صبيح الوجه » . انتهى .

هذا ما ذكره صاحب « اليزيدية ومنشأ نحلته » احمد تيمور باشا عن الشيخ زين الدين وولده عز الدين وما لقياه من حوادث على أيدي سلاطين المماليك وعمالهم في مصر والشام . ومن المرجح ان الشيخ زين الدين غادر الموصل بعين التاريخ الذي غادرها أبوه

الشيخ شرف الدين والتحق بخدمة السلطان عز الدين السلجوقي حيث لاقى بعد قليل حتفه وذلك في سنة (٦٥٥) وكان زين الدين حينذاك فني يافعا لم يتجاوز سن العشرين وابنه (عز الدين) الذي اصطحبه معه طفلا . ومن تتبع سير الحوادث التي جرت للبيت العدوي بعد قتل عميدهم الشيخ حسن ، لا يخامرهم شك في أن مغادرة الشيخ زين الدين وأبيه الموصل كان للتخلص من بدر الدين لؤلؤ الذي أظهر العزم على إبادة هذا البيت ليأمن غائلتهم على ملكه الذي أسسه على دعائم المكر والخبث وإزهاق النفوس وإراقة الدماء ، وإلى ذلك يشير زين الدين في قصيدة له :

يهددني لؤلؤ بقتلي تعمداً ومن ذا يخاف الموت تحت لوا كما؟

وهكذا فقد اختار زين الدين الهجرة الى الشام بعد ان اصطدم أهل بيته ببدر الدين وتبددت أحلامهم وأراد ان يتخذ الشام مسرحاً لدعايته الدينية والسياسية وهي مساعدة له أكثر من أي محل آخر ، لما يحمله أهلها من المحبة والاخلاص للأمويين ويؤثرونهم على المماليك الأتراك الذين لا يجدون لهم حقا في ملك وتأبى نفوسهم ان يخضعوا لهم . صادف مجيء (زين الدين) الى الشام عهد دولة المماليك في مصر والشام ، فالملك الظاهر بيبرس البندقدار حكم من سنة ٦٥٨ الى سنة ٦٧٦ ، وخلفه ابنه الملك السعيد ناصر الدين واستمر ملكه الى سنة ٦٧٨ ، ثم أخوه سلامش ولم يدم ملكه كثيراً . ثم ظهرت الدولة الأشرفية التي أسسها الملك الأشرف صلاح الدين بن خليل قلاوون ، وكان من الطبيعي ان ينظر حفيد الشيخ حسن الى هؤلاء الملوك بعين الاستخفاف وبجمل لهم في قلبه مقتاً شديداً ويعدهم غاصبين ملك آبائه وهم ليسوا سوى مماليك من ذراري الأتراك ، وكان نظره اليهم كنظره هو وأهل بيته الى (بدر الدين) صاحب الموصل الذي لم يكن غير مملوك أرمي بيع على نور الدين ارسلانشاه الاتابكي واصبح خادما له ، ثم مريباً لاؤلاه ، ثم وصيا على الملك ، ثم سلطانا . ولذلك لم يكن بالأمر المستنكر اذا أشيع عنه انه كان يسعى الى الملك ، وان ولده (عز الدين) كان يريد سلطنة مصر ، او ملك اليمن ، فترتاب حكومة المماليك منه وتبث الارصاد حوله ، فيخاف على نفسه ، وقد تلقى من المملوك الأرمي دروسا شديدة علمته كيف يكون انتقام هؤلاء الملوك قاسياً

ورهبيا ، فيترك الشام ويذهب الى مصر ويؤسس له فيها زاوية وينصرف الى الوعظ والارشاد كما هو شأن أصحاب الطرائق ، ظنا منه أنه بذلك سيدراً الشبهات التي تدور حوله . ولكن المماليك لم يكونوا لينخدعوا بذلك وهم يعلمون ان فكرة الملك لم تفارقه لحظة ، ورجال البيت العدوي لم يخلقوا ان يكونوا أصحاب طريقة صوفية ، بل خلقوا ليكونوا ملوكا ، والطريقة التي وضعها الشيخ عدى لم تكن إلا نقابا أسدلوه على وجوههم ليخدعوا الناس بها .

ومن الجائز أنه بعد ان وفد الى مصر وأظهر الانقطاع الى زاويته كان جماعة من المصريين ممن لم يرق لهم حكم المماليك يترددون اليه ويشجعونه على المضي في سبيل غايته ، وربما كانوا يعدونه بالمال ، وكان المماليك يتجسسون أعماله ويتلقون التقارير عنه ، وهو على ما يظهر انه لم يكن بالرجل الخفيف الذي يعرف كيف يتصرف بالأمور بل كان فيه خفة وغرور . فيكبس المماليك زاويته ويحبسون عليه ويودعونه الاعتقال ، وربما كان من أصحابه من أودع الاعتقال معه .

وقد وقع اعتقاله في أواخر سلطنة صلاح الدين بن قلاوون ، او على سلطنة الملك العادل (كتبغا) الذي خلفه - وهو عاشر ملوك المماليك في مصر - امتد ملكه من سنة ٦٩٣ الى سنة ٦٩٥ وقد أفرج عنه على عهد سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين ودام اعتقاله ثلاث سنين وبضعة أشهر .

كان الشيخ زين الدين عندما سجن قد ناهز الستين من العمر على أقل تقدير . وإنسان عاش عيشة الملوك وتقلب في أحضان العز والنعيم وذاق صفو الحياة ولذائذها لم يكن ليتحمل آلام السجن وشدائده ، لاسيما اذا علمنا ان سجانيه كانوا يتقصدون إساءته ويعاملونه بوحشة وقسوة كما يعامل القتل وقطاع الطريق دون ان يراءوا سنه ومكانته . وكان أهون عليه ان يرسله المملوك الأشرقي الى الموت كما أرسل المملوك الأرمني قبله جده الشيخ حسنا من ان يلاقي الآلام المبرحة في سجنه . فيرفع صوته عاليا بالبكاء والنحيب ويجعلنا على بعد الزمن نتألم له . والتاريخ يحدثنا ان البيت العدوي بالموصل لا قوا في سبيل دعوتهم من التعذيب والتقتيل ما لم يلاقيه أصحاب دعوة غيرهم ، ومن

يطلب أمراً خطيراً لا بد له من أحد أمرين إما ان ينال مبتغاه فينعم به ، وإما ان يحقق فيه ويموت وقد كتب لهذا البيت الموت ولكن موتاً شريفاً .

إن أصحاب التاريخ الذين ترجموا الشيخ زين الدين كالمقريري وابن فضل الله العمري والسخاوي وابن حجر ، وجميعهم قريبو عهد منه ، لم يبحثوا عن سجنه وهي أهم نقطة نجدها في حياته وقد استقيننا هذه المعلومات من منبعين لا يأتياها الشك الاول : القصص التي يتداولها اليزيدية ، والاشييد التي يرتلون في حفلاتهم والثاني : القصائد التي عثرنا عليها في المجموعة القديمة التي أشرنا اليها وهي صادرة عن لسان الشيخ زين الدين نفسه أما القصص والاشييد اليزيدية فهي وإن كانت مملوءة بالخرافات ففيها شيء من الحقيقة وخلاصتها ان الشيخ زين الدين - ويسميه اليزيدية زندين أصابه زعل من الشيخ عدي فركب فرسه « بوراً » وغادر لالش وفي أقل من طرفة عين أوصلته مصر فقبض عليه حاكمها وأودعه السجن . ولما شعر به الشيخ عدي مد اليه عصاه من لالش فتعلق بها ونجا من السجن وعاد الى محله . وقد يتخلل هذه القصة أخبار خرافية أخرى لا حاجة لذكرها (١) . أما القصائد التي قالها الشيخ زين الدين فقد تدلنا بوضوح على سجنه ، وما لاقاه في السجن من محن وآلام مبرحة جعلته يبكي بكاء الأطفال ويتمنى الموت ولم يكن بحاصل عايه . والشيخ زين الدين لم يكن بالشاعر ، والشعر الذي سنورده له لم يكن له قيمة فنية ، بل يكفي أنه يقص علينا فيه ما حل به من هوان وذل تلتاع لها النفوس وتشعر بالحزن عليه ، فمن ذلك قوله :

يقول ابن صخر الذي باب ماغفا	وعيناه من حر الدموع همول
أيا راكبا مني على متن ضامر	محجلة تطوى الفلاة عجول
إذا جزت للهكار تلتقى قبيلة	كراما وهم بين الجبال نزول
فاقرأ لهم مني السلام وخص من	يكفى « عدياً » وابتدره قؤول

(١) من ذلك يعتقدون ان اباہ الشيخ حسن عندما سمع بسجنه في مصر بكاه طويلاً ، وقد عجن التراب بدموعه واصبح له قبراً وهو قبر صغير نجده بجانب القبر الذي يرمزون به الى الشيخ حسن في قرية بجزائي .

ألا يا كريم الأصل جئتكَ قاصداً من أرض بها سجن الغريب يطول
تحملت من خل اليك رسالة تصح وما يخفى الحديث رسول
ويشهد الله والأقوام كلهم بأنني محب والبيان يطول
« وقد عبر ابن صخر عن نفسه وهو جده الرابع أو الخامس . والهكار جبل الهكارية
وفيه وادي لالش الذي يضم زاوية الشيخ عدي . والقبيلة ، أراد بها البيت العدوي .
وعدي الشيخ عدي ابن مسافر الأموي » .
وله من قصيدة يتشوق فيها الى أهله في لالش ويبتهم شكواه مما لاقاه في السجن
بمصر وقد طرأ عليها خلل كبير .

قف على (لالش) وتلك الطلولا	وأخبرهم عني وسلم وقولا
أنتم سادتي ومالي سواكم	حاشا لله ان آخذ عليكم بديلا
قد بقيت مضنى وجسمي نحيل	سأهراً باكياً وليلي طويل
قد بقيت في مصر بالسجن وحدي	آه واحسرتاه ما لي سبيل
هل ترى مخبر لأولاد عمي	عن غريب في السجن أضحي ذليل
تائه حائر بمصر كئيب	أسأل الله وهو نعم الوكيل
طال شوقي الى (عدي) وربعوا	في حمى لالش ونحن نزول
شقت البين شملنا فافترقنا	بعدما كان شملنا موصول
هل أرى سادتي بلالش جمعا	فلعل المموم مني تزول

فبجانب ما يشكوه من ألم الفراق والوحشة في مصر وهو يعاني فيها ذل السجن يظهر
تشوقه الى لالش وهو منبت عزه ومهبط أحلامه ومسرح أمانيه ، ويتمنى ان لو زالت
همومه وأتراحه وقد اجتمع شمله بأهله وذويه آل عدي لينعم بهم ، وماذا يجديه نفعاً
أخبار أولاد عمه بسجنه وكونه أمسى فيه ذليلاً وأولاد عمه في لالش ليسوا احسن
منه حالا وقد يلاقون من المحن والشدائد على يد خصومهم ما لا يقل عما يلاقه هو
في مصر ؟

ولنقرأ الآيات الثلاثة الآتية من قصيدة مطلعها :

رعى الله أيام التقارب والوصل وحي زمانا مر بالعز والفضل
وهي :

سلام عليكم يا أهيلي بلالش ، لقد هدني الشوق المبرح بالذل
سلام عليكم يا أهيلي بلالش ، لعلمكم يوما تفوزون بالوصل
سلام عليكم كل يوم وليلة سلام كعد الغيث والقطر والرمل

فما هذا الشوق الذي يحمله هذا الشيخ نحو أهله بلالش؟ وما هذا القلب الرقيق الذي يشبه قلوب الأطفال في حنوه اليهم؟ أم أثر عليه الاغتراب، وألم السجن وأهلب عواطفه وأوجد فيه هذا الحنين ولم يطق صبراً على كتمانته؟

والشيخ زين الدين شديد الاحساس ، شجي النفس ، غزير الدمع يرسل شعره ممزوجاً بالآهات والهمسات ، ثم لنقرأ له هذه القصيدة التي يدلنا فيها على حادث مهم جرى لهذه الطائفة جهلناه وهو يفيدنا من الناحية التاريخية :

سلام على ما قد تقضى من الزمن فيا حبذا من صالح ذلك الزمن
سلام غريب ذاب في السجن قلبه يحن الى قيس ويصبو الى يمن
ديار الصبي واللهم والشمل جامع فيا ويح قلب ذاب شوقاً الى الوطن
فكم من ليال بت فيها منما بأهل واخوان عليهم لنا بمن
فأعقبها حرب تجرعت مرها فلا خير في الذات يعقبها حزن
وما اقتتلت قيس ولا اقتتلت يمن

على طلل يزهو ولا عاطل الدمن
ولكننا المحبوب أضحي نزيلهم ومال الى قيس من اللحم واللبن
وحمل بنادي القوم فازداد قدرهم
وكان لهم في القدر في سالف الزمن
يقول :

فاسأل ربي أن يحل بارضكم ولياً يسليكم عن الأهل والشجن

ويوضح ما قد غاب عن كل عارف
ويكشف عن أسرار قوم تقدموا
ويشرح منها كل ما هو ظاهر
فإن كنتمو تمحو الذي كان بينكم
فعودوا الى العهد القديم من الوفا
كفى ما جرى منكم ومنهم جهالة
وأنتم بحمد الله في الدين أخوة
وأنتم هم أنصاره وحماته
وبعضكم قد زاغ عنه جهالة
فيا رب وفقهم لطوعك دائماً
وعجل لهم منك الخلاص تكريماً
عسى فرج يأتي من الله بفتة

تحفظه ميراث من جده حسن
رمتهم يد الاقدار في أعظم المحن
ويوضح من أسرارهم كلما بطن
والا فلا قيس يرد ولا يمن
فصدق الولا حق الى اللحد والكفن
فلا خير في الأحقاد والضرب والفتن
وشيخكم الشيخ الذي أسمه حسن
يقوم بأمر الله وهو لكم سكن
ومال الى قول الأباطيل وافتتن
بأموالهم والنفوس والروح والبدن
من السجن ان السجن للعظم قدوهن
فإن الرجا بالله للعبد مؤتمن

فهذا الحادث الذي يصوره لنا زين الدين في هذه القصيدة كان له أثره الشديد على حياة هذه الطائفة الدينية وقد جعلها على مفترق الطريق ، فاما ان تنبذ هذه العقيدة وتعود الى الاسلام ، واما ان تسير قدما في طريقها الذي شقه لها قدوتها الشيخ حسن . إذ ان الذي نفهمه منها ان جماعة من سالكي هذه الطريقة انحرفوا عن مبدئهم وأرادوا الرجوع الى الاسلام فلم يرض منهم الباقون وأرادوا إرغامهم على البقاء عليه ويرون ارتدادهم يؤدي الى حدوث وهن وصدع في هذا الدين وهو لا يزال في دور الطفولية وأخذوا يقاتلونهم ، وعلى ما دلنا الامام ابن تيمية ان قتالهم لهم كان شديداً وقاسياً فقد أراقوا كثيراً من دمائهم وأباحوا أعراضهم وأموالهم وقد دامت هذه الفتنة اكثر من ستين سنة فافلقت بال الشيخ زين الدين وأقضت مضجعه وهو في سجنه وأخذ يدعوهم الى الوثام والاتحاد والتمسك بمبدأ شيخهم الشيخ حسن وبسئل ربه ان يشرح صدرهم لمعرفة ما بطن من أسرارهم ويمحو الذي حدث بينهم ويعودوا الى العهد القديم من الصفاء والود ، وهم إخوان بهذا الدين ، وإن كان بعضهم زاغ عنه بسائق الجهل وفتنة الدعايات

الباطلة .

والذي نستنتجه من هذا : ١- ان هذه الفتنة دامت من عهد الامام ابن تيمية المتوفي (سنة ٧٢٦) الى الزمن الذي كان الشيخ زين الدين مسجوناً فيه بمصر وربما خبت نارها يوماً ثم اضطربت أياماً أخرى ، ٢- لقد كان لهذه الفتنة أثر سيء على حالة الأمن في البلاد فلم يسع الحكومة السكوت عليها وقبضت على جماعة منهم وألقتهم في السجن وقد طال سجنهم حتى وهن العظم منهم ٣- لم يكن زين الدين على تمام العقيدة وصحة المبدأ كما استدله احمد تيمور من نعم السخاوي له بالنعوت الجليلة وقد رأيناه يدعو الى مذهب الشيخ حسن والتمسك به ويعبر عنه بالقائم بأمر الله ، ويعمد الابتعاد عن طريقته زيفاً وضلالاً ، ويجوز أنه بشر بمذهب الشيخ حسن في الشام وفي مصر ولكن لم نعلم درجة نجاحه فيه .

وله ايضا من قصيدة يشكو فيها سجنه في مصر ويتشوق الى لالش :

طرقني طرائق الحداث	ورمتني بالصد والهجران
ورموني في مصر بالسجن وحدي	ليس لي مسعد سوى أجفاني
ليس لي مسعد سوى دمع عيني	وأنيبي قد أفلق السجان
كنت أرجو الوصال منهم دواما	لا بلى الله مسلماً ما بلاني
يا آلهي بالمصطفى سيد الرسل	و (بعدي) صاحب البرهان
هل عسى هل عساك تجمع شملي	في حمى (لالش) وعيشي هاني

وله قصيدة مطلقها :

كم وقفت على الطلول أبكيها مستصرخاً لجيب كان لي فيها
يبكي فيها محنته وتشوقه الى لالش وهي ستة عشر بيتاً .

وله قصيدة مطلقها : خليلي ما في القلب بهوى سوا كما ...

يشير فيها الى بدر الدين لؤلؤ الذي كان يريد قتله :

يهددني لؤلؤ بقتلي تعمداً	ومن ذا يخاف الموت تحت لوا كما
أنا الموت أحلى لي من الشهد طعمه	وأبرد من ماء الزلال سقا كما

وله قصيدة مطلعها :

بعثت رسولي نحوكم يا أحبني بيشكم شوقي وعظم صبابتي
يتشفع فيها بالخلفاء الراشدين وعدي والشيخ حسن لخلاصه من سجنه الذي طال
عليه ويختتمها بقوله :

فإن لم تجد لي بالخلاص تكرماً بحق النبي الهادي عجل منيني
وله من قصيدة مطلعها :

إذا لم يكن الدمع بالوجد ناطق فما ذاك إلا كاذب متملق
يصف فيها سجنه وما لاقاه فيه من ازعاجات جعلته يؤثر الموت على الحياة .
وسجن بكل الوصف عنه لأنه حصين منيع لم تسله البطارق
شنيع ، به قل ، وبق ، وبرغش وفار لما ادخره من الأكل سارق
وقد جمعوا فيه جنوداً كثيرة وما فيهم من يدعى الصدق صادق
سوى قائل هذه القصيدة (يوسف) مقبم على عهد الحبيب مفارق

رحم الله الشيخ زين الدين يوسف ماذا لاقاه من آلام ومصائب في سجن هذا
المملوك التركي لا لذنوب اقترفه او جريمة ارتكبها سوى ما كان يدور حوله من الشبهات
في تطلعه الى الملك وقد خدع هذا المملوك التركي بظهره الذي يضاهي مظهر المملوك واقبال
الناس عليه وخافه وألقاه في أعماق السجن طيلة مدة حكمه . وهب انه كان يريد الملك
وقد اطلع ابن قلاوون على نواياه وخافه وسجنه ، أما كان عليه ان يراعي مكانته وان لا
يعامله معاملة القتلة والنصوص وهو سليل البيت الأموي وله الحرمة الكبيرة في النفوس؟
ولكن قديماً قيل :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

﴿ في الزاوية المدوية في القرافة الصغرى في مصر ﴾

أتى العلامة احمد تيمور باشا في رسالته « اليزيدية ومنشأ نحلته » على بحث هام عن
الزاوية المدوية في القرافة الصغرى في مصر مع تصوير شمسي لها ، ذكر انها تعرف
بزاوية الشيخ عدي بن مسافر ، والزاوية المدوية ، ثم عرفت بالزاوية القادرية لسكنى

جماعة من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلي فيها وتوليهم شؤونها ، وانها تعرف الآن عند العامة بجامع سيدي علي ، ورجح ان يكون هذا الاسم محرف عن (عدي) ابن مسافر ، وذلك لأن بعض المتقدمين كان يعتقد ان ضريح (زين الدين) هو ضريحه ، والقبة التي فيها ضريح الشيخ زين الدين تقع في الجنوب الغربي ويحيط ببايها من الخارج وفي وجهته وعضادتيه أطار من الرخام منقوش بآيات كريمة ، وفي جانبيه تحت العتب عن يمين الداخل منقوش « لا آله إلا الله محمد رسول الله لا آله إلا الله سيدي عدي ولي الله » وعن يساره « سيدي عدي الوسيلة الى الله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم » وبعض كلات ذهبت من كلا الجانبين . وفوق هذا الباب من خارجه لوح منقوش فيه بالحفر « بسم الله الرحمن الرحيم . والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم . هذا مقام السيد الامام القدوة شيخ مشايخ الاسلام ، شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة ، فريد عصره شرفت بأقدامه مصر أحد شيوخ المسلمين زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد بن الحسن بن الشيخ عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر الأموي . نفع الله بركاته المسلمين . وذلك في ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبعمائة » .

وكان على الضريح تابوت تاريخي من الخشب المصنف بديع النقش منقوش به نسب الشيخ زين الدين وتاريخ وفاته ، احترق في الحريق الذي وقع بالقبة سنة ١٣٢٥ ، وقد نقل هذه الكتابة قبل الحريق أحد المراقبين بلجنة حفظ الآثار العربية بمصر ، وهذا نصها :

« هذا ضريح السيد الامام العارف الشيخ زين الدين يوسف بن السيد الشيخ شرف الدين محمد بن السيد الشيخ شمس الدين حسن بن السيد الامام الشيخ شرف الدين عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحكم الأموي قدس الله روحه ونور ضريحه . انتقل الى رحمة الله يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وستمئة » .

ذنوبي غزار لا أطيق لحصرها وغفوك يا مولاي أوفى وأزيد

وما هي ذنوبي ان أخاف وأنت لي آله ولي يوم الشفاعة أحمد
وعلى باب الزاوية وعلى وجهته لوح من الرخام مكتوب فيه بالحفر نسب الشيخ زين
الدين وتاريخ وفاته وبناء القبة ، وهذا نص ما فيه على ما قرأه مراقب حفظ الآثار :
« أنشأ هذه القبة المباركة على ضريح السيد الامام العارف المحقق إمام الموحدين تاج
العارفين زين العابدين أبي السمائل الشيخ زين الدين يوسف ابن السيد الامام العالم
العارف القدوة شرف الاسلام غوث الأنام الشيخ شرف الدين محمد ابن السيد الامام
العارف شيخ الحقيقة ناصر السنة قانع البدعة أبي محمد شمس الدين الشيخ حسن ابن
السيد الامام العالم العارف علم الأبرار غوث العباد تاج الزهاد شيخ شيوخ الاسلام أبي
الحسن شرف الدين عدي ابن السيد الامام العالم العارف الشيخ أبي البركات بن صخر
بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحكم الأموي القرشي قدس الله روحه ونور ضريحه .
وكان انتقاله الى دار الخلود وجوار الملك المودود في ثاني ساعة من نهار يوم الاثنين
ثالث عشر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وستماية . وبما أنشده في حالة عبوره : ذنوبي
غزار (البيتين اللذين سبق ذكرهما) وكان فراغ القبة في شهر شوال سنة سبع وتسعين
وستمئة » انتهى .

﴿ بقية الرجال الذين عرفوا من هذه الأسرة ﴾

إن أسرة عظيمة كالبيت العدوي لها ما رأينا من أخبار وحوادث مهمة في التاريخ
وأوجدت انقلابا خطيرا في النظم الدينية والسياسية والاجتماعية في معظم أنحاء كردستان
وفي الديار الحلبية والشامية وفي بلاد الجزيرة وخافها الملوك وقاوموها بشدة وعنف
ونكلوا بها ، لم يقتصر رجالها على الذين ذكرناهم فحسب ، بل يجب أن قام بينها رجال
آخرون أغفل التاريخ ذكرهم . وإذا رجعنا الى التقليد الجاري بين اليزيدية نخدمهم
بذكرهم لنا رجالا آخرين ، كالشيخ سجادين (سراج الدين) والشيخ آمادين (عماد
الدين) والشيخ بادين (بهاء الدين) والشيخ ناصر الدين والشيخ أبي بكر وغيرهم ...
فلهؤلاء سلالات معروفة بين اليزيدية يتمتع رجالها بامتيازات دينية كبقية الأسر ولهم
مهدون يقدمون لهم نذورهم وخيراتهم . وليس من شك ان كان لهؤلاء مكانة كبيرة

ولعبوا دوراً مهماً على مسرح السياسة والدين كغيرهم من رجال هذه الأسرة . ومن الجائز ان بقي منهم أناس ظلوا بعيدين عن هذه الديانة وضاع ذكرهم . أما في البلاد الشامية فقد عرف منهم حتى القرن العاشر الهجري ، أناس عددهم المرحوم العلامة تيمورباشا في رسالته « اليزيدية وأصل نحلته » نالوا مناصب مهمة في القضاء والحكم والسياسة ، وليس في أخبارهم ما يشعر نزوع أحدهم الى نزعة صوفية حميدة او غير حميدة وقد ظلوا بعيدين عن الطريقة العدوية وما طرأ عليها من تغيير وتحريف .

وفي ذخائر القصر لابن طولون ، وهو من رجال القرن العاشر الهجري ، ترجمة لأحد رجال هذا البيت وهو شمس الدين محمد بن موسى العدوي - نسبة الى آل عدي بن مسافر من قبل جده لأمه - قال عنه : « لبس مني خرقة التصوف العدوية وقد لبستها من فضلاء عصري ونهاه دهرى » وساق سلسلة هذه الخرقه الى الشيخ عدي ابن مسافر ، ثم ذكر من قبله الى النبي (صلعم) كمادة أصحاب الطرق في أسانيدهم ، ويظهر من كلام ابن طولون أن هذه الطريقة بقيت محفوظة في الديار الشامية نحو خمسة عصور تماماً ثم قضي عليها .

وفي درر الحب للرضى الحنبلي ، وهو كذلك من علماء القرن العاشر الهجري ، ترجمة للشيخ عز الدين بن يوسف الكردي المتوفى سنة ٩٤٨ هـ كان أمير لواء في حلب في أواخر الدولة الجركسية وفي أوائل الدولة العثمانية ، وهو من أولاد الشيخ مند أحد مشايخ اليزيدية المعروفين . وعلى يد الشيخ مند او أحد أولاده انتشرت الديانة اليزيدية في الديار الحلبية ، ولا يزال اليزيدية تلك البلاد يعملون بطريقته .

كتب اليزيدية الميمنية

تفحص كتب اليزيدية الدينية في الكتابين « الجلوة » و « مصحف رش » أي الكتاب الأسود . أما الجلوة فقد كتب بأسلوب سماوي كأننا جاء به الوحي خاطب به المعبود الأعظم عباده اليزيدية وتكلم عن قدمه وبقائه وقدرته ووعدته ووعيده وعن تناسخ الأرواح ، وفيه : شيء من الوصايا كدعوتهم الى الاتحاد والتآخي لمقاومة الذين ليسوا على ديانتهم ، ونبذ كتب الأجانب - أي ذوي الأديان السائرة - بدعوى أنها محرقة عن أصلها ، والتجنب عن ذكر اسمه وصفاته ، وعدم اعطاء كتبهم الى غيرهم لئلا يحرقوها ، والا احتفاظ بأكثر الاشياء عيناً . فظهر من ذلك عملهم بمبدأ الأمية .

أما مصحف رش وهو الكتاب الأسود فهو كتاب تاريخي طائفي حشر فيه بعض حوادث القوم وشيء من عاداتهم وتقاليدهم بخلاف كتاب الجلوة . اذاً فالاول يعد كتاباً سماوياً والثاني أرضياً ، وكلاهما يقربان شهماً من القرآن إلا أنها غير متحدي الغاية ، ولا متحدان في زمن الوضع ، ولا الواضع واحد ، وقد جاء في مصحف رش :

خلق السماوات والأرض وما فيها من بحار وجبال وأشجار ، وخلق الملائكة والعرش ، وآدم وحواء ، وارسال الشيخ عدي بن مسافر من الشام الى لالش ، وما كان من نزول « طاؤوس ملك » الى الأرض ، وإقامته ملوكاً لليزيدية ومقاومة اليهود والنصارى والمسلمين والعجم لهم . وفيه ان كافة الطوائف البشرية من نسل آدم وحواء . أما شيث ونوح وأنوش من آباء اليزيدية الاولين فهم من نسل آدم فقط وأصلهم من نوأمين ذكر وأنتى ، وكانت ولادتها بخارقة ، وان طوقانا أتى على اليزيدية بعد طوقان نوح ، وقد مضى عليه الآن سبعة آلاف سنة ، وانه كان ينزل في كل ألف سنة إله من السماء بشرع لهم الشرائع ويسن السنن ، ومن هؤلاء الآلهة السبعة « يزيد » الذي ينتسبون اليه . أما رؤسهم وأولهم فهو « الشيطان » المعبر عنه بطاؤوس ملك ، ومترتبة هؤلاء

دون مرتبة الآله الاعظم ، الواحد ، القهار ، الفعال لما يريد . وفيه شرائعهم وما أحل لهم وحرم عليهم في الزواج وغيره . وشرح أمر الطواف بسناجقهم « أي أعلامهم » في البلدان والقرى لجمع الصدقات ، وزيارتهم لقبر « الشيخ عدي » ، وما يفعلونه في عيد أول السنة من قطف « النور » الأحمر ، وذبح الذبائح ، وإطعام الفقراء وزيارة القبور .

إن واضع هذين الكتابين أو واضعها من الصعب معرفتها على الوجه الصحيح . وقد يعزو البعض كتاب « الجلوة » الى الشيخ شمس الدين الحسن بن أبي الفضائل عدي بن الشيخ أبي البركات العدوي الذي أضل هذه الطائفة بوضعه الشرائع الفاسدة لها ، إلا أنه يتعذر علينا التسليم بصحة هذه الدعوى . والكتاب الذي وضعه الشيخ حسن ، والذي ذكر ابن طولون الحنفي الصالح في كتابه « ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر » استطراداً في ترجمة « محمد العدوي » أنه أُلّف في بحر ست سنوات وسماه « كتاب الجلوة لأهل الخلوة » لا يجوز أن يكون عين كتاب « الجلوة » الذي بيدنا والذي لا يتجاوز ثلاث صفحات ، وقد عرف صاحب « فوائد الوفيات » الشيخ حسن هذا بأنه (من رجال العلم رأياً ودهاء وله فضل وأدب وشعر وتصانيف في التصوف) .

يقول العلامة المرحوم أحمد تيمور باشا في كتابه اليزيدية ومنشأ نحلته : « ولا ريب في أن كتاب الجلوة لأرباب الخلوة المنسوب الى الشيخ حسن ، هو غير الكتاب الذي بيدنا ، وأن الرجل على رقة دينه ذو عقل ودهاء وعلم وأدب لا ينحط قلمه الى مثل هذا السخف » .

وليس من شك في ان كتاب الجلوة الذي وضعه الشيخ حسن وغيره من الكتب الدينية التي كان يحتفظ بها هذا البيت فقدت في الا عصر الاولى من ظهورهم عندما كان « بدر الدين لؤلؤ » يوالي حملاته على لالش وينكل بهم ، وفي حملته الكبرى التي حملها عليهم سنة ٦٥٣ وخرّب زاويتهم . وما أحوالنا اليوم الى معرفة شيء من مؤلفاته وتصانيفه لنعلم منها زعته التصوفية وعقيدته وتعاليمه التي لاقت هذا الرواج العظيم بين أتباعه وأوجدت هذا الانقلاب في عقائدهم .

أما كتاب الجلوة ومصحف رش اللذان بيدنا الآن فهي ليسا بقديمين بل هما حديثان لم يعض على وضعهما أكثر من عصر ونصف عصر على أعظم تقدير .
ويغلب على الظن أن واضعيهما لم يكونا مسلمين ، بل مسيحيين من مسيحيي قرية «بحزاني» أو قسوسها الذين لهم اتصال بهذه الطائفة ووقوف على عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، ولم يكتبوا ما كتباه اعتقاداً على معلوماتها المكتسبة عن هذه الطائفة ، بل استندوا على ما أخذوا عليها عند أحد شيوخهم . وبعد أن أخذوا ما أخذوا منها ، أضاعوها حفظاً لما كتباه ، يدلنا على ذلك اللغة العامية المستعملة في هذين الكتابين ، والكلمات المبتذلة والتراكيب المفككة والتعابير السقيمة التي نجدناها فيها مما يدلنا على أن كاتبيهما ممن ليس لهم الملم بالعربية الفصحى ، ولا نكون مخطئين إذا اعتقدنا أن كاتبيهما لم يخرجوا عن القسس الذين كانوا يعيشون في القرى في ذلك العهد ، وليس لهم من العلم أكثر مما يسدون به حاجتهم ، وإلا فمن المستحيل أن يكون لمسلم اتصال بأحد أبناء هذه الطائفة ووقوف على عقائدهم ليكتب شيئاً من هذا القبيل عنهم وقد بلغ التنافر والتناكر بين اليزيدي والمسلم غاية القصوى في ذلك العهد .

وفي «عبد» ابليس» لنوري بك والي الموصل أن واضع الجلوة هو راهب نسطوري كان قد هرب من دير القوش وأسلم ظاهراً ثم ارتد ولحق باليزيدية وصار مقدماً بين رجالهم ، ويجوز أن يكون ذلك صحيحاً طالما علمنا أن كتاب الجلوة خرج من قبل نصراني إن لم يكن أحد قسوس بحزاني فهو هذا الراهب .

وعلى رغم ما تظهره هذه الطائفة من التكنم الشديد في معتقداتها وحرصها على إخفاء كتبها عن غير اليزيدية نجدناها قد أصبحت لا تملك ولا كتاباً واحداً ، وقد خرج منها «الجلوة» و«مصحف رش» ولم تكد تعرف شيئاً عنها ، والشئ العجيب أنها أخذت تعتقد أن الجلوة هي طائفة في دار أحد شيوخ آل الشيخ حسن في قرية «بعشيق» وقد يزورها الناس قصد الشفاء من أمراضهم وعاهاتهم .

ويذهب البعض إلى أن «مصحف رش» هو القرآن الكريم نفسه وقد وصفوه بكلمة «رش» ومعناه الأسود لتسويدهم بالحبر الأسود الكلمات التي لا يجوز لهم تلفظها في القرآن

أو وضعهم عليها الشمع وذلك عندما اتخذوه ككتاب قراءة لأولاد الشيخ حسن عندما يعلمونهم القراءة في صغرهم ، وهو خطأ ، و « مصحف رش » شيء والقرآن الكريم شيء آخر .

ويتعذر الوقوف على الباحث عن صورة خروج هذين الكتابين من أيدي البزيدية بعدما كانت أسرة الشيخ حسن تحتفظ بها ، ويروى أن أحد يزيدية قرية بحزاني كان قد سرقها وأراد أن يذهب بها الى البزيدية القاطنين أطراف حلب ففاجأته عصاة من اللصوص في الطريق وسلبتها منه . وحكى لي الشيخ « نذير » رئيس الأئمة أنه كان للملا حيدر رئيس الأئمة ولد أعضبته زوجة أبيه فأراد أن يكيد له فسرقها وذهب بها الى قرية « طغيتان » من قرى البزيدية في الشيخان وفقدنا منه . ويدعي آخرون أن سائحاً روسيا حل ضيفاً على « الملا حيدر » في بحزاني وسرقها منه ، ومها يكن من أمير فإن هكذا كتابين تتطلع اليهما الأنظار لا بد وأن تحتفظها الأيدي ولو وضع الف حجاب دونها .

وذكر السائح والمنقب الانكليزي هنري لا يارد في كتابه (نينوى وآثارها) أن (القوال يوسف) حكى له وهو في طريقه معه الى (باعذرة) أنه كان لدى البزيدية كتب كثيرة قبل المذبحة التي أوقعها فيهم أمير الصوران وقد أتلّفها الاكراد برمتها .. وهذا صحيح وقد أيدت الاخبار أنه كان لديهم كتب فقه وتفسير كثيرة منذ عهدهم بالسلام ويحتمل أن قد كان فيها كتب عقائد وتصوف لمشائخهم العدويين وقد بقيت سالمة من الثورات التي قامت في وجههم الى أن حلت فيهم كارثة الصوران .

وقد توصل الغرييون الى كتابي (الجلوة) و (مصحف رش) مع قصائد تعزى الى الشيخ عدي وترجموها الى لغتهم وعلقوا عليها الأبحاث الطويلة ونشروها على أعمدة صحفهم ومجلاتهم وبحشوا عن عقائدهم وأصول عبادتهم واكثروا القول عنهم . فمن بحث عنهم لأول مرة المستر اف . فوريس في مقالة نشرها في مجلة الجغرافية الملكية سنة ١٨٣٩ وأعقبه جى . بي بادجر في كتابه (معتقدات النسطوريين) المطبوع عام ١٨٤٢ ، والمنقب والبحاثة اي . اج لا يارد فقد تطرق للبحث عنهم في كتابه (نينوى

وآثارها) المطبوع سنة ١٨٤٩ ، وكتابه الآخر (نينوى وبابل) المطبوع سنة ١٨٥٣ وجي . جي فرايزر في كتابه (الغصن الذهبي) المطبوع عام ١٩١١ ، واي . بي سوان في كتابه (في البحث عن أحوال ما بين النهرين وكرديستان) المطبوع سنة ١٩١٢ و اغرام في كتابه (مهد البشرية) المطبوع سنة ١٩١٤ ، و اج . آر درايبور في مقالة له تحت عنوان (الدراسات الشرقية) في الباب الثاني من المجلد الثاني من كتاب (نظرات في معتقدات اليزيدية الاكراد) المطبوع سنة ١٩١٧ ، و و . ب . دبل يو . بي هود في مجلة (مؤسسة الطبيعيات الملكية) لسنة ١٩١١ ، وآي . دير في كتابه (البشرات) المطبوع سنة ١٩١٨ ، وآي . جوزيف في كتابه (معتقدات الشيطان) المطبوع سنة ١٩١٩ ، وبي . اج سبرنكت في كتابه (أسرار الطوائف في سوريا ولبنان) المطبوع سنة ١٩٢٢ .

ويوجد ترجمة انكليزية للكتابين الجلوة ومصحف رش وضعها « براوي » ثم ذيلها وطبعها المستشرق « باري » في لندن عام ١٨٩٥ ، وقد ترجم الأصل العربي الى الانكليزية المستشرق « اليزيا جوزيف » ووضع عليه كتابا سماه (النصوص اليزيدية) وطبعه في مجلة اللغات السامية الأمريكية ، وجمع المستشرق الفرنسي « ف نو » بين كتاب الجلوة ومصحف رش والمنظومة المعزوة الى (الشيخ عدي) والصلوات اليزيدية والعريضة التي قدمها اليزيدية الى الحكومة العثمانية عام ١٨٧٢ حول طلب أعفائهم من التجنيد الاجباري ووضع عليها كتابا سماه (مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية) علق عليها كثيرا من الحواشي التي لا يسع الباحث الاستغناء عنها . وترجم الأب انستاس الكرملي الكتاب الأسود والجلوة الى الفرنسية وطبعها مع أصلها وكتب كثيرا عن المعتقدات اليزيدية وعاداتهم وأصول ديانتهم في مجلة المشرق البيروتية ومجلات أوروبية أخرى .

ومن جملة الباحثين عن هذه الديانة الموسيو سيوفي قنصل حكومة فرنسة قديما في الموصل فقد نشر أبحاثا ضافية عنها في المجلة الآسيوية ، والموسيو بورتوكليان ، والسر مارك سايكس ، والمونسنيور صموئيل جميل ، وجوزيه فرلاني الباحث الايطالي ، وميكائيل انجلو الايطالي ، والاستاذ منزل ، وامبسن الكاتب الانكليزي ، والاستاذ السيد عباس

العزاوي ، واحمد تيمور باشا المصري وغيرهم .

وفي الرسالة المسماة « باليزيدية ومنشأ نخلتهم » للمرحوم احمد تيمور باشا ان احد الافاضل « عني به عيسى يوسف نزيل نيويورك » كان قد عثر على الكتابين الجلوة ومصحف رش وكانا مخطوطين باللغة العربية ونشرهما في إحدى المجلات الامريكية « اراد بها مجلة اللغات والآداب السامية الامريكية » مع الترجمة الانكليزية ، ولكن على ما قال انها تختلف بكثير عن الاصل من زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وحط ورفع ، وذكر ان احد علماء المشرقيات « بالخمسة » عثر على نسخة منها بالعربية والكردية فطبعتها بالنصين ، والترجمة في « فينا » .

فترى ان الذين بحثوا عن اليزيديين من مستشرقين وسياسيين ورجال استثمار وتبشير كثيرين وليس في الوسع احصاؤهم ، ولو اردنا ان نجمع مؤلفاتهم لملاّت مكتبة . ولم يتفق احد من هؤلاء مع الآخر ، وكانت غاية كل واحد منهم اظهار نزعته وميوله ، ويندر منهم من كتب لغاية العلم والتاريخ ، ولذلك فقد جاءت مؤلفاتهم جميعها بعيدة عن الصواب ، لاسيما ما كتبه رجال التبشير ، فقد أساءوا فيها الى الحقيقة وأتوا بأشياء كلها أراجيف وأضاليل ، وأصح من كتب عنهم كتابنا العرب المسلمون نذكر منهم العلامة أحمد تيمور باشا والاستاذ الفاضل السيد عباس العزاوي ، فقد توصلا الى معرفة هذه الطائفة معرفة تامة وببحثا عنها بحثا صحيحا ولم يتعديا الحقيقة والواقع فيها كتباه . ان ما يدعو الى الاسف الشديد أن كتاب الجلوة ومصحف رش بعد ان انتقلا الى بلاد الغرب وتناولتها الايدي بالترجمة والشرح والتعليق ، لم تتمكن من العثور عليها في بلادنا ، وقد أوقفنا صديقنا الفاضل أمجد بك العمري على رسالة بقلم أحد المسيحيين المدعو داؤد بن سليمان الصائغ كتبها عام ١٨٨٠ حشر فيها أشياء كثيرة من معتقداتهم وأسرا ديانتهم والعريضة التي رفعتها جماعة من وجهائهم الى الحكومة حول طلب اعفائهم من التجنيد ، إلا انه لم يبق الكتاب الا سود على حالته وقد تصرف به تصرفا مشينا وأدخل من عنده عليه أشياء كثيرة .

ان هذه الرسالة تحتوي على عشر ورقات بالقطع الكبير وقد كتبت رؤوس فصولها

بالمداد الاحمر مع نقوش رديئة قصد إملاء الفراغ فيها ، وتغلب فيها الكلمات العامية مع ضعف في التركيب وإهمال كثير من الحروف ، وهنا تقتبس كتاب الجلوة كما جاء بنصه :

- كتاب الجلوة -

كتاب الجلوة هو الموجود قبل كل الخلائق عند « طاؤوس ملك » وهو الذي أرسل الى هذا العالم « عبطاؤوس » لكي يميز ويفهم لشعبه الخاص أولاً بالتعليم مشافهة ، ونم بهذا الكتاب الذي لا يجوز لأحد من الخارجين أن يقرأه ويراه .

الفصل الاول

- ١- أنا كنت ، وموجود الآن ، وليس لي نهاية ، ولي تسلط على الخلائق ، وتديري مصالح كل الذين تحت حوزتي .
- ٢- أنا حاضر سريعاً للذين يشفون بي ويدعونني الى الحاجة .
- ٣- ما يخلف مكاني من الدنيا (١) .
- ٤- مشترك أنا بجميع الوقائع التي يسميها الخارجون شروراً لانهم ليست هي حسب صرامهم .
- ٥- كل زمان له مدبر بمشورتي (٢) .
- ٦- كل جيل يتغير حتى رئيس هذا العالم . والرؤساء يكون كل واحد بدوره ونوبته لكي يكمل وظيفته .
- ٧- أعطي رخصتي حسب الطبيعة لبني الانسان (٣) .
- ٨- يحزن ويندم الذي يقاومني ، جميع الآلهة ليس لهم مداخلة بشغلي ، ومنعمي عنها

(١) وفي نسخة اخرى : ما يخلو عني مكان من الامكنة

(٢) « : بشوري

(٣) « : أعطى رخصة حسب الحق للطبيعة المخلوقة بإخلاقها

قضية مهمة (١) .

- ٩- كانت جميع الكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها ، وزاغوا عنها ولو كتبها الانبياء والمرسلون ، لان كل واحد يعطي الآخر وينسخ كتابه (٢) .
- ١٠- الحق والبطل معلوم عندي حين وقوعهم بالتجربة (٣) .
- ١١- أعطي ميثاقي للذين يتكلمون علي ، وأعطيهم رأي المدبرين الخذاق ، لاني وكلتهم لآوقات معلومة عندي (٤) .
- ١٢- أذكر وأحرك الامور اللازمة في حينها (٥) .
- ١٣- أرشد وأعلم الذين يتبعون تعليمي ، فاذا سمعوا قولي ، ووافقوا مشورتي ، يجدون فيه لذة وفرحاً وخيراً لهم .

الفصل الثاني

- ١٤- أنا أكافي وأجازي نسل آدم بانواع أعرفها .
- ١٥- بيدي قوة وتسلط على جميع ما في الارض من فوقها ومن تحتها .
- ١٦- ما أقبل معاملة غير العوالم (٦) .
- ١٧- ما أمنع خير الذين جربتهم وهم حسب مرامي (٧) .
- ١٨- أظهر في جميع الأشكال والأنواع للذين هم أمنائي وتحت مشورتي (٨) .

(١) وفي نسخة اخرى: الالهة لاخرى ليس لهم مداخله بشغلي ومنعي عن مهم قصده .
مهما كان .

(٢) وفي نسخة اخرى : ليست الكتب الموجودة بين الخارجين هي حقيقة ، ولا كتبها الانبياء والمرسلون ، لكن زاغوا وبدلوا ومنعوا ، كل واحد يبطل الآخر وينسخه .

(٣) وفي نسخة اخرى : الحق والبطل معلوم وهما مشهوران من وقوعهما بالاختبار والتجربة .

(٤) « « : وعندي للذين يتكلمون عن ميثاقي وأخالفه حسب رأي المدبرين الخذاق الذين وكلتهم لآوقات معلومة عندي .

(٥) وفي نسخة اخرى : اذكر اموراً واحرم الاشغال اللازمة بيمينها .

(٦) وفي نسخة اخرى : ما أقبل مصادمة بعض العوالم .

(٧) وفي نسخة اخرى : وما امنع خيرهم مخصوصاً للذين هم خاصتي .

(٨) « « : أترأى بنوع من الأنواع وشكل من الاشكال للذين هم أمنائي وتحت شوري .

- ١٩- آخذ وأعطي ، أغنى وأفقر ، أسعد وأشقى ، وذلك حسب الظروف والأوقات .
٢٠- ليس من يحق له ان يتداخل في شيء من تصرفي .
٢١- أجلب الأوجاع والأسقام على الذين يضادوني .
٢٢- ما يموت الذي هو من حسي مثل الخارجين من بني آدم (١) .
٢٣- ما أسمح لأحد بان يسكن هذه الدنيا بأكثر من الزمن المحدود مني ، وان شئت أرسلته الى هذا العالم او غيره بتناسخ الأرواح .

الفصل الثالث

- ٢٤- أرشد من غير كتاب ، أهدي عيناً أحبائي وخواصي جميع تعاليمي (٢) .
٢٥- موافق للحال والزمان ، أقاصص الذين يخالفون شرائعي بعوالم الآخرة .
٢٦- بنو آدم ما يعرفون الأحوال المزمعة ، يسقطون أوقات كثيرة بالغلط .
٢٧- حيوانات البر ، وطيور السماء ، وأسماك البحر ، جميعهم بيدي وتحت ضبطي .
٢٨- جميع الخزائن والدقائق التي تحت الأرض معلومة عندي ، وأخلقها من واحد الى واحد لمن أريده .
٢٩- أظهر معجزاتي وعجائبي للذين يقبلونها ويطلبونها في وقتها .
٣٠- الأجنيبيون هم مخالفون ومضاددون لي ولا يبالون بذلك ، وهم ما يدرون هو ضرر عليهم لأن العظمة والثروة والغنى بيدي ، وأنا أختار لها من نسل آدم (٣) .
٣١- تدبير العوالم وانقلاب الأجيال وتغيير مدبريهم منظومة منذ القديم .

(١) وفي نسخة أخرى : ما يموت الذي حسي كسائر بني آدم .

(٢) وفي نسخة أخرى : بزيادة بلا كلوفة .

(٣) وفي نسخة أخرى : مخالفة ومضادة الاجنبيين لي ولا تباعى هو ضرر عليهم لانهم لا يدرون العظمة والثروة هم بيدي ، واختار من يليق لها من نسل آدم .

الفصل الرابع

- ٣٢- حقوقي ما أعطيتها لغيري من الآلهة (١)
٣٣- أربعة عناصر، وأربعة أزمنة، وأربعة أركان سمحت بها لأجل ضروريات الخلق
٣٤- كتب الأجانب من اليهود والاسلام والنصارى أقبلوا منها ما يوافق سنني، وما يخالف لا تقبلوه لأنهم غيروا فيه (٢).
٣٥- ثلاثة أشياء هي ضدي وثلاثة أشياء أبغضها.
٣٦- الذين يحفظون أسرار يبنالون مواعيدي.
٣٧- الذين يبنالون المصائب لا بد أن أكافئهم بأحد العوالم.
٣٨- جميع تابعي أريد أن يتحدوا برباط واحد لئلا تفسدهم الأجانب.
٣٩- يا أيها الذين آمنوا اتبعوا وصاياي وتعاليمي، انكروا أقوال الأجانب التي لست أعلمها وليست هي من عندي.
٤٠- لا تذكرن اسمي ولا صفاتي لئلا تذهبن، لأنكم لستم تعلمون ما يفعله الأجانب

الفصل الخامس

- ٤١- يا أيها الذين آمنوا أكرموا صورتي وشخصي لأنهم يذكركم بي.
٤٢- احفظوا سنني وشرائعي.
٤٣- أطيعوا أصغوا إلى خدائي بما يلقنوكم به، ولا تبجحوا به قدام الأجانب كاليهود والنصارى والاسلام لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيرونها عليكم وأنتم لا تعلمون.
٤٤- احفظوا أكثر الأشياء عيناً لئلا تتغير عليكم.

هذا هو كتاب الجلوة الذي أصبح محل اهتمام كثير من الغربيين الذين بحثوا عن

(١) وفي نسخة أخرى: الذين لا يتبعونني.

(٢) وفي نسخة أخرى: كتب الأجانب مقبولة نوعاً بالذي يطابق ويوافق سنني وما يخالفها هم غيروه.

هذه الطائفة ومعتقداتها ولم يوفه أحد منهم ما يستحقه من الدراسة ويعلم ما اشتمل عليه من تشريع وما رمى اليه صاحبه من غايات بعيدة كشأن غيره من أصحاب الشرائع. اذ مع ما يبدو فيه من السخافة ففيه من الأحكام الصارمة ما تدل على ان روحاً نائرة متمردة صاغته بهذا الأسلوب، وقد صدر بعض فقراته ب (يا أيها الذين آمنوا) تشبيهاً بالقرآن ليوم قومه بأنه لم يكن صادراً عن لسان بشر . وقد أصاب المرمى في الصرامة التي أبداهها في تقييدهم بهذه القيود التي لو تساهل فيها ، لما تم له ما أراد ، وللعبت الأيدي في مذهبه وقلبته رأساً على عقب وأزالته في أقرب وقت من الوجود .

ان كتاب الجلوة هذا الذي بيدنا الآن ، وإن كنا نرجح انه لم يمس على وضعه أكثر من عصر ونصف عصر على أعظم تقدير ، إلا ان الأحكام التي اشتمل عليها ترجع الى زمن تأسيس هذه الديانة ، وكأنه الذي لم يكن غير مسيحي عاش بين اليزيدية زمنًا ، ووقف على دخالهم وأسرار ديانتهم ، لم يأت بشيء جديد من عنده ، بل أخذ ما وقف عليه من مدونات لهم ووضعه بهذا الأسلوب الركيك السقيم .

ولكن أين هي تلك المدونات التي اقتبس هذا الكاتب منها هذه الفصول الخمسة وسماها بالجلوة ؟ والجواب أنها ذهبت نهب أيدي العابثين كما ذهب كتاب الجلوة الأصلي نفسه ، ويجوز أنه عثر على ما يسمونه « بالجلوة » ، وهو لم يكن طبعاً كتاب الجلوة لأرباب الخلوة المنسوب الى الشيخ حسن ، وسمى فصوله به ، وإلا من أين له معرفة بهذا الاسم والكتب الاسلامية التي جاء ذكره فيها قليلة وبعيدة المنال عليه ؟

وكثير من الباحثين من لم يعرف كتاب « الجلوة » قيمة تشريعية ويحيط منه ، على أن هذا الدين لم يحافظ طيلة هذه المدة على وضعه إلا بنتيجة ارتكازه على هذه المبادئ والأحكام الصارمة التي اشتمل عليها ، وهو عمل عقل غير عادي له خبرة تامة في الحالة العقلية والشعورية التي كانت سائدة بين هؤلاء الأقوام في ذلك العصر ودرجة استعدادهم لقبول هذا التطور في معتقداتهم . وأي دين قدر له البقاء طيلة هذه العصور في محيط ناصبته العداء فيه حكومته ، وأهل حضره وباديته ، وأراقت سيولا من دماء أبنائه ولم يؤثر فيه ؟ ألم يكن هو نتيجة ما أوصاهم به هذا الشارع بقوله :

« جميع تابعي اريد ان يتحدوا برباط واحد لئلا تفسد الأجناب » فكانه علم ما سيلاقه تابعوه من المقاومة الشديدة (من الأجناب) ودعاهم الى الاتحاد والتآزر لتقوى شوكتهم وبخافون على دياتهم . ولذا نجدهم كلما اشتد الضغط عليهم وحسدوا صفوفهم ، ونبذوا الاختلافات الموجودة بينهم ودافعوا عن أنفسهم بكل حماس وشدة وهذا المبدأ بعيد من ان يفكر به واضع الجلوة الذي عرفناه ، او يدرك مدى تأثيره على هذه الطائفة وما يدل على بعد النظر الذي امتاز به الشارع ، انه بعد ان اطمان من تمسك هؤلاء القوم بما أوصاهم به وأصبح لهم كيان قوي لا تستطيع ان تلعب به الأهواء ويظلم به طامع آخذ بخاطبهم على لسان معبودهم الذي كانوا أثرت هذه الاحكام من عنده بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا اتبعوا وصاياي وتعالجني ، أنكروا تعاليم وأقوال الأجناب التي لست أعلمها وليست هي من عندي » وهذا التحذير له قيمته وأهميته ، إذ كان يرى ان أقل اتصال يحصل لهم بهؤلاء الأجناب - وأراد بهم المسلمين طبعاً - يؤدي الى افساد عقيدتهم ، وزوال هذا الدين من الوجود . وتأميناً لهذه الأمانة ، اي جعلهم بعيدين عن هؤلاء الأجناب ، وعن تعاليمهم - التي ليست هي من عنده ولا يعلمها - رأى ان يسدل عليهم رداء كثيفاً من الجهل ويفرض عليهم الأمية المطلقة - باستثناء أهل بيته - ليبقوا في حماية عن معرفة كل ما يحيط بهم ، ومن المحقق ان لو لم يقيدهم بهذا القيد الشديد القاسي ويقضى عليهم بالعزلة عن الأجنيين عنهم ، ويحرم عليهم تعاليمهم لدخل عليهم الاصلاح في أول عهد ظهورهم . إن فرض الشارع عليهم الأمية كان له الأثر الشديد على حياتهم الدينية والاجتماعية طيلة سبعة عصور مضت عليهم ، ومما حاولت الحكومة اليوم ادخال التعليم عندهم لم تلق نجاحاً يذكر .

إن كل ما هو داخل في نطاق الحياة الانسانية في هذا العصر خاضع لقانون الارتقاء والتكامل ، وفي كل أمة ظهر علماء وفلاسفة نم على أيديهم رفع مستوى العقل البشري وتجرده من الأوهام والشكوك في معرفة حقائق الاشياء حتى الاقوام الهمجية في صحاري غوبي وتبت وفي أدغال الآمازون والكونغو فقد أخذت تلحق عنها رداء الجهل

وتدخل حياة جديدة باستثناء هذا الشعب الذي نبت في مهد الحضارة الاولى للانسان فلا يزال متمسكا بعاداته الهمجية ، ومحال عليه ان يظهر يوما استعداداً لقبول الاصلاح ويظهر فيه ذو دماغ مفكر يحارب هذه الخرافات ويدعو قومه للأخذ بمبادئ الحضارة . وهل من سبيل له الى ذلك وقد أفهمه الشارع ان ديانتهم ليست محررة في السطور بل محفوظة في الصدور ورجال الدين هم المأمورون بنقلها اليهم من طريق المشافهة ؟ فقد جاء في مقدمة كتاب الجلوة :

« الموجود (اي كتاب الجلوة) قبل كل الخلائق عند (طاووس ملك) وهذا الذي أرسل الى هذا العالم (عبطاووس) لكي يميز ويفهم لشعبه الخاص من كتبه أولاً بالتعليم مشافهة ، ومن ثم بهذا الكتاب الذي لا يجوز لاحد من الخارجين ان يقرأه ويراه . »

وجاء في الفقرة (٢٤) من الفصل الثالث :

« أرشد من غير كتاب ، أهدي غيباً أحبابي وخواصي جميع تعاليمي . »

وجاء في الفقرة (٤٣) من الفصل الخامس :

« أطيعوا ، أصغوا الى خدائي بما يلقنوكم به من علم الغيب الذي هو من عندي . »

وجاء في الفقرة (٤٤) من الفصل الخامس :

« احفظوا اكثر الاشياء عيناً لئلا تتغير عليكم . »

فهكذا بعد ان أوصاهم بانكار أقوال وتعاليم الخارجين عنهم وهم اليهود والنصارى والمسلمون ، وفرض عليهم الأمية المطلقة وأفهمهم ان العلم لم يكن في السطور بل في الصدور وانه يجب عليهم ان يتلقوه من خدامه رجال الدين ويحفظوه على صدورهم لئلا يتغير عليهم ، أخذ يحظر عليهم ايقاف أحد من أصحاب الاديان السائرة على كتبهم او المجاهرة أمامه بشيء من عقائدهم إذ نجده يقول :

« ومن ثم بهذا الكتاب الذي لا يجوز لاحد من الخارجين ان يقرأه ويراه . »

ويقول :

« احفظوا بالعلم الذي يلقنوكم به - أراد خدامه وهم الطوائف الروحيون - ولا تبيحوا به قدام الاجانب كاليهود والنصارى والاسلام ، لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي

ولا تعطوهم كتبكم لئلا يغيرونها عليكم وأنتم لا تعلمون .

وهذا منتهى البراعة وبعد النظر من واضع الجلوة فقد كان يعلم ان الخارجين عنهم سيفضحون سر هذا الكتاب عند أول ما يطلعون عليه ويفسدون عليه مذهبه لا محالة ، وقد صدق حسه ووقع ما كان يحاذره . إذ عدا ما كان من اطلاع الخارجين على كتابه وانفضاح أسرار ديانتهم فقد دخل الكتاب نفسه في أيديهم على رغم احتفاظهم الشديد به . ومع هذا فلا يزالون يظهرون التكلم في معتقداتهم ومحال عليهم ان يسمحوا لاحد ان يقف على شيء من عبادتهم . وهذا ما جعل الباحثين يتخبطون في القول عنهم وكل ما قالوه هو رجم بالغيب .

قلنا أن كتاب « الجلوة » لم يكن شيئاً عادياً لا يستحق الاهتمام والعناية ، وأن واضعه الذي لم يمس عليه أكثر من عصر ونصف عصر لم يكن إلا ناقلاً او مقتبساً ، وما تضمنه من أحكام ومبادئ يرجع الى أول عهد ظهور هذا الدين ، وإن واضع هذه الأحكام والمبادئ هو مؤسس هذا الدين نفسه .

ونظرة واحدة الى هذا الكتاب تدلنا على أن الغاية التي كان يرمي اليها واضعه هو بقاء هذا الدين بجانب الأديان السائرة مدى الدهر ، وربما أنه كان يرمي الى جعله ديناً عاماً تدين به الملايين من البشر ، وما هذه التعاليم التي نجدها في كتاب الجلوة الذي بيدنا إلا جزء من التعاليم التي اشتمل عليها كتاب الجلوة الذي وضعه مؤلفه في بحر ست سنوات .

فكر مؤلف « كتاب الجلوة لأهل الخلوة » - ومن شأنه ان يفكر - بأن بقاء هذا الدين على الوجه الذي أراده لا يتم له ما لم يسلك فيه طريقة لم يكن قد سبقه فيها أحد ، فبعد ان أوجب فيه على تابعيه الأمية وهبط بهم الى دركة الحيوانية وحصر العلم في أهل بيته ، سلك معهم طريقة الارهاب والاخافة والتوعيد ، فأفهمهم على لسان معبودهم الأعظم أنه إله شر ونقمة ، ومشارك في جميع الوقائع السيئ سميتها الخارجون عنهم - ضروراً وآثاماً ، وأنذرهم بتسليط الأوجاع والأسقام عليهم اذا ما خالفوه وعصوا

أمره ، ومن شأنه ان يظهر بهذا الشكل المملوء قسوة ورعباً وهو آله شر ونقمة لا إله
خير ونعمة ، اذ يقول لهم :

« لي تسلط على الخلائق وتدبيري مصالح كل الذين في حوزتي »
ويقول :

« يحزن ويندم الذي يقاومني »

ويقول :

« أجلب الأوجاع والآلام على الذين يضادونني »

ويقول :

« بيدي قوة وتسلط على جميع ما في الأرض من فوقها ومن تحتها »

ويقول :

« أغني وأفقر ، وأسعد وأشقي ، وذلك حسب الظروف والأوقات »

ويقول :

« أقاصص الذين يخالفون شرائعي بعوالم الآخرة » .

فهذه التخوينات والوعيدات هي التي أوجبت خضوعهم له ، وجعلتهم يرهبونهم
ويجتنبون ما نهاهم عنه . وأي شيء أعظم أثراً في النفوس من تخوينات ووعيدات
تصدر من إله عرف بالشر ، وليس لأتباعه ان يحظوا بأقل رأفة ورحمة منه ؟ فمبادتهم
له ، وذبحهم القرايين لأجله هو قصد إرضائه ، والتخلص من أذاه ، لا رغبة في نيل
إحسانه ، ويعلمون ان ذلك ليس من شأنه ، بل شأنه تسليط الاوجاع والآلام على
الذين يضادونه ويخالفون أمره ، وهو مصدر الشر ومنبع الآثام ، والمتسلط على
الخلائق ، وجميع ما في الأرض من فوقها ومن تحتها في حوزته ، وهو المغني والمفقر ،
والمسعد والمشتقي وكل شيء بيده .

وقد أراد الشارع ان يرفع من قيمة الآله المنبوذ في نظرهم ويزيدهم له خضوعاً
واستسلاماً ، فأمرهم على لسانه :

« لا تذكروني اسمي ولا صفاتي لئلا تذبخوا ، لأنكم لستم تعلمون ما يفعل الاجانب » .

فلماذا يكونون قد أذنبوا اذا ذكروا اسمه وصفاته ، وماذا يفعله الأجانب في مثل هذه الحالة ؟ ان اسم الشيطان لدى الأجانب - وهم المسلمون - مكروه عمقوت ، وقد لا يرد على ألسنتهم إلا مقرونا باللعنة ، ويصفونه بالشر والخبث والمكر ، ويتموذون منه . فجاراتهم لهم بتسميته بهذا الاسم ، ووصفه بهذه الصفات حط من كرامته ، ومن الأجدد أن يسمونه باسم يرفع من شأنه . وما هذا الاسم إلا « طاؤوس ملك » الذي يدل على التعظيم والتبجيل . وأما ما يفعله الأجانب فهو قراءتهم دوماً الآية الكريمة : « وكان من الكافرين وأن عليك لعنتي الى يوم الدين » و « اخرج منها فانك رجيم » و « إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » الى غير ذلك من الآيات التي تدل على تحقير شأنه والحط من قيمته .

ويجدر بنا أن نقدر فيهم روح الثبات والشجاعة والعزم الذي غرسه فيهم هذا المبدأ طيلة هذه المدة على رغم ما لاقوه من المحن والشدائد على أيدي الحكومات التي تولت أمرهم ، وقبائل المسلمين الذين نادوا بمعاداتهم ، وقد بلغ فيهم التعصب للشيطان أن حرموا حتى استعمال الكلمات التي على رويه كسلطان وقحطان وعدنان والكلمات التي تحوي حرف (الشين) و (الطاء) من اسمه . وقد يجتنب المسلم عن ذكر اسمه أمامهم بحاملة لهم ، واذا تعمد تسميته فقد لا يسلم من أذاخهم اذا وجدوا اليه سبيلاً .

يقول عن لسانه : « يا أيها الذين آمنوا أكرموا صورتي وشخصي لأنهم يذكراكم بي » فبعد أن منعهم عن ذكر اسمه وصفاته لئلا يذنبوا ، أمرهم أن يكرموا صورته وشخصه ، وهو التمثال المصنوع بشكل ديك أو بطة ، وحشهم على تكريمه واحترامه والسجود له ، وذلك لأن عملهم هذا يذكركم به ، فكأنما أراد أن يقول لهم : « إن احترامكم لصورتي ، هو عين احترامكم لي » وهذا هو مبدأ عبادة الطائوس عندهم .

إن عقيدة عبادة الشيطان عند اليزيدية لم تكن قديمة ترجع الى عهد الشيخ حسن الذي يعزى اليه وضع هذا المذهب ، وإن كنا لا ندفع عنه التعصب للشيطان شأنه في ذلك شأن البعض من رجال الصوفية الذين ظهروا قبله وعلى عهده ، وليس لدينا ما يدل على أن اليزيدية كانوا يعملون بهذا المبدأ على هذا الشكل حتى القرن التاسع الهجري ،

والأرجح أنهم عملوا به في هذا التاريخ أو بعده بشيء قليل . نستدل على ذلك بميت جاء في قصيدة تمزى الى الشيخ عدي بن مسافر سواه كان هو قائلها ام عزيت اليه، وهو: وأبو مرة اللعين عزازيل أبى السجود فكنيته بالرجيم

فهذه القصيدة وردت في كتبهم وكانوا يقرأونها ، وكانوا ينظرون الى الشيطان كما ننظر نحن المسلمون اليه ، ويلعنونه كما نلعنه ، فاذا علمنا ذلك ، وعلمنا أنهم ظلوا على عقيدتهم هذه فيه ، وظلوا يسمونه باللعين وينعتونه بالرجيم طيلة العصرين السابع والثامن الهجري ، بدليل ان المؤرخين الذين بحثوا عنهم في هذين العصرين وعددوا عوامل الفساد التي دخلت عليهم لم يذكرنا ان عبادة إله الشر دخلت عليهم ، وأوجدوا الطائوس ورمزوا به عنه ، وجب ان نبحت عن كيفية دخول هذه العقيدة عليهم ، ومن الذي أدخلها ؟ فالتاريخ لم يبحث عن هذا ، وقد سكت عنه بالمرّة ، والذي يلوح لنا ان الذي أوجد هذه العقيدة ودعاهم الى إتباعها ، هو أحد رجال البيت العدوي ، وعلى يده تم هذا الانقلاب العظيم ، وقد تم له بعد أن وجد عوامل الفساد تنخر فيهم ووجدهم على استعداد لتلقي ما يعليه عليهم من المبادي . السني تأتي موافقة لميولهم . ففي تاريخ « جودة » التركي ذكر لشخص اسمه (الشيخ نجر) قال عنه أنه ظهر في سنجار ووضع هؤلاء القوم الشرائع الفاسدة التي أدت الى انفصالهم عن الاسلام بالمرّة . ان المؤرخ التركي واهم في هذا الخبر ، اذ ان هؤلاء القوم لم يقدوا الى سنجار إلا وهم عاملون بهذا المذهب ، والشيخ نجر الذي ذكره ، هو أخو الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني ، واليزيدية لم تكن قد أخذت هذا الشكل على زمنه ، ولم يرد ذكر أحد من هذا البيت بهذا الاسم وظهر في سنجار في ما بعد .

ان أهم ما كان يرمي اليه هذا الشارع ، هو جعل هذا الدين محاطاً بالكتان لئلا يطلع عليه ذوو الأديان السائرة - لا سيما المسلمون - ويفسدونه عليهم ، ويعلم درجة إنكارهم له ، فيقول :

« احتفظوا بالعلم الذي يلقنوكم إياه، ولا تبيحوا به قدام اليهود والنصارى والمسلمين

وغيرهم ، لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي ، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيرونها عليكم وأتم لا تعلمون . »

والذين يلقنونهم إياه ، هم خدامه الذين ورد ذكرهم ، وهم الرجال الروحيون ، وقد رمى بهذا القول الى عدة مقاصد ، منها : إزلامهم بأخذ واجباتهم الدينية من الرجال الروحيين ، بعد ان أمرهم بالطاعة لهم ، حيث أدى الأمر الى اتساع نفوذهم وتصرفهم بأمور الدين كيفما يشاؤون وتشاء مصلحتهم .

ومنها : تقوية روح الخلاف والتناكر بينهم وبين المسلمين حتى يكونوا دائماً في معزل عنهم . فاذا ما تم لهم ذلك وانقطعت صلة التآلف بينهم تعذر على المسلمين الاطلاع على كتبهم .

يقول : « كانت جميع الكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها وزاغوا عنها ولو كتبها الأنبياء والمرسلون . »

وفي هذا تحذير لهم عن الاطلاع على كتب الغير بحجة أنهم بدلوا فيها وحرفوها عن أصلها ، ويعلم ان لو اطلعوا عليها لكان خطرهم عليهم عظيماً ولاختلت قواعده دينهم وتصديق بنيانه . أما قوله في محل آخر : « كتب الأجانب من اليهود والمسلمين والنصارى اقبلوا منها ما يوافق سننى وما يخالف لا تقبلوه لأنهم غيروا فيه » فليس فيه ما يفيد سوى معنى التأكيد عليهم بنقد هذه الكتب ، بعد ان يكونوا قد علموا انه ليس فيها ما يوافق سننه ، وقد دخل عليها التحريف والتغيير والتبديل ولم تبق على أصلها ، وكيف يتسنى لهم ذلك وقد أصبحوا جميعاً أميين باستثناء أفراد أسرته الذين أباح لهم التعليم دون غيرهم ؟

يقول : « أنا أكافى وأجازي نسل آدم بأنواع أعرفها .. بيدي تسلط على جميع ما في الأرض من فوقها ومن تحتها .. ما أقبل معاملة غير العوالم ، وما أمنع خير الذين جربتهم وهم حسب مرأى . »

إن وعده بمكافأة نسل عدوه الذى طرد من الجنة لأجله أمر فيه نظر ، والمسلمون الذين يستعيذون منه صباح مساء لا ينتظرون منه عطفاً ولا جزاء ويعلمون ان ذلك لم

يكن من خصائصه ، اما اذا كان قصد من (نسل آدم) شعبه الخاص فيجوز ان يتخذوا بهذه الوعود المعسولة ويزدادوا به ارتباطاً ، وهو الذي بيده تسلط على جميع ما في الأرض من فوقها ومن تحتها وقد تفرد بالحكم ولم يقبل معاملة غير العوالم ، وقد أراد بغير العوالم الحق تعالى الذي لا يقدر على شيء دونه ! والذين جربهم وهم حسب مرامهم الذين أخلصوا له ، ولا يمنع خيره عنهم .

يقول : « إن الذين يحفظون أسرارى ينالون مواعيدي ، والذين يتحملون المصائب لسببي لا بد ان أكافئهم بأحد العوالم » .

والقصد من حفظهم الأسرار هو عدم إباحتهم بشيء من الأحكام التي يلقنونهم بها خدامه ، وإخفاء كتبه عن الأجنب لئلا يطلعوا عليها ، ثم التجنب عن ذكر أسمائه وصفاته ، الى غير ذلك من المسائل التي لو اطلع الخارجون عليها لأفسدوا عليهم دينهم فهؤلاء الذين يحفظون هذه الأسرار هم الذين ينالون وعوده ، ثم ما أعظم المحن والمصائب التي لاقاها هؤلاء الرؤساء من أجله ؟ وقد أصبحوا محقرين منبوذين بنظر العالم ، واستحل المسامون دماءهم وأموالهم وأباحوا أعراضهم ، وطبقوا هذا الحكم عليهم بضعة قرون . فلاجل ان لا يتسرب الضعف الى قلوبهم ويتحملون هذه المصائب بجلد وصبر أخذ على نفسه مكافئهم ، اما في الدنيا او بالآخرة وهو أعظم ما يتمنونه .

يقول : « أطيعوا ، أصغوا الى خدامي بما يلقنونكم به من علم الغيب الذي هو من عندي » .

وقد أراد هنا بخدامه ؟ (الكواجك) المختصين بخدمته والذين هم على اتصال دائم منه . إذ قد يقيس لهم بنتيجة هذا الاتصال الاطلاع على أسرار الغيب على ما يمتقدونه ويدعونه . ومن هنا نشأ قيامهم بين الفينة والفينة بدعوى النبوة وتبليغ الاحكام التي كأنها وصلت اليهم من لدن المعبود الأعظم إما بطريقة الكشف او الرؤيا ، والملة من واجبها ان تصغي اليهم وتعمل بما يرضونه عليهم .

وقد أراد بذلك حفظ هذا الدين من خلل يطرأ عليه ، على يد هؤلاء الكواجك الذين هم أشد غيرة عليه لما خصهم به من قرب ، وجعلهم له خداماً . ورؤساء الدين جميعاً

حريصون على بقاء هذا الدين ، ويعلمون انه بزواله يضيعون مكانتهم وبحرمون من دخلهم الذي يأتيهم بلا تعب .



إن الشارع للدين اليزيدي - ليس مؤلف كتاب الجلوة الذي بيدنا - دل في وضعه هذه الأحكام على عقلية جبارة لا نجد لها في أمثال ماني ومزدك وغيرها من أصحاب الشرائع الذين ظهروا في الشرق الأدنى وفي بلاد فارس ودامت ديانتهم عدة عصور ، إنه يمتاز عليهم بعمد نظره ، ووقوفه على ذهنية الشعوب التي كانت في عصره . ولو ظهرت ديانة ماني ومزدك في العصور الأخيرة ، لما قدر لها البقاء بقدر ما قدر لديانة هذا الشيخ العدوي . على ان الذين بقوا من اصحاب ديانة الشيخ العدوي بعد الاضطهادات والمذابح التي قُلت عددهم لا ريب انهم سيبقون عما هم عليه الآن ، وسيحافظون على بقاءهم ما لم يدخل عليهم إصلاح واسع من الناحية الاعتقادية والثقافية والعقلية .

وضع الشيخ العدوي هذا الدين ، لا لغاية الدين نفسه ، بل ليتخذها سُلماً للوصول الى أمانيه التي كانت تتزاحم في نفسه ، ألا وهي نيل الجاه والملك والسلطان ، ويلوح لنا أنه كان قد درس جميع الأديان التي ظهرت في الشرق الأدنى وبلاد فارس في مختلف العصور ، ووضعها في بودقة ومصرها واستخلص منها هذا الدين بعد أن مرّجه بنظريات على جانب من الأهمية والخطورة ، لم يكن ليفكر بها غيره من واضعي الشرائع ، فعرف مدى تأثيرها على بقاء هذا الدين . ومن هنا ندرك سعة عقله وإدراكه ، ونحكم بأنه الرجل الفذ الذي ظهر في عصره . ولو قدر له البقاء لوقت آخر وتمكن من تطبيق جلوته - التي بقينا نحمل ما اشتملت عليه من أنظمة ومبادئ غير التي رأيناها - لعمر علينا إدراك مدى ذبوع هذا الدين بين الشعوب التي أظهرت استعداداً لقبوله ، ولا قبلت عليه الأقوام الفارسية واعتنقته ، وهي التي لا تزال تظهر حينئذ الى شرائع زرادشت ومزدك وماني وتود الرجوع اليها .

يذهب الناس الى أن ديانة اليزيدية ديانة سخيصة تجرد أصحابها من الكمال المطلق وانها تنزل بهم الى دركة العجاوات وغرضها الابتعاد عن التهذيب ، وهذا صحيح . والشيخ

العدوي لم يكن رائده وضع ديانة يدعو فيها الى الاصلاح والتهديب ، والدين الاسلامي قد كفّل ذلك ، بل ايجاد ثورة نفسية جامحة بين أتباعه الذين وثق من إخلاصهم له ولاهل بيته ليقوي بهم عصييته ، ويتخذ منهم قوة هائلة جبارة تقف في وجه مخالفيه ليتيسر له الوصول الى أمانيه التي تعتلج في نفسه . ولم يترك أحد من الكتاب والمؤلفين من شرقيين وغربيين في بحوثه عن الديانة البزيدية دراسة هذه الناحية ، فمنهم من اتخذ البحث عنها وسيلة للتبشير بالديانة المسيحية والطمع بالاسلام ، ومنهم من بحث عن الخرافات والاساطير التي اشتملت عليها ، ومنهم من بحث عنها لغايات استعمارية.. وهكذا أضاعوا أهم ناحية من نواحي البحث عن هذه العقيدة . وجدير بهذه الديانة أن تكون محل دراسة عميقة لتعرف منها الحالة السياسية والاجتماعية والشعورية التي كانت سائدة في العصور الوسطى للاسلام .

« العريضة التي رفعها ليف من وجهاء البزيدية في الشيخان »

« حول طلب اعفائهم من التجنيد الاجباري ، تثبتها »

« هنالما احتوته على اخبار هامة عن »

« معتقداتهم وأصول دياتهم »

كان البزيدية الى قبل نصف عصر او أكثر يجتنبون عن مخالطة غير البزيدي وبحرصون على كتم مبادئهم عنه . وعندما أخرجتهم الظروف على رفع هذه العريضة الى الحكومة وكشفوا بها عن كثير من أسرار دياتهم ومعتقداتهم ، تلقى الأيدى باهتمام زائد ، واتخذتها كوثيقة يرجع اليها عند البحث عنهم . ولذلك ما وجدنا أحداً من الباحثين عن هذه الديانة إلا وأتى بها ، ولكن بعد ان قدم فيها وآخر وحرفها عن مواضعها .

وقد اخترنا تعريب النسخة التي أوردتها المستشرق الفرنسي موسيو (ف . نو) في مجموعة نصوصه لقربها الى الصحة أكثر من غيرها ، فإنه بعد ان ذكر :

أن هذه العريضة كانت قد رفعت الى الاستانة بواسطة رؤف باشا والي بغداد ومشيرها في ١١ آذار عام ١٢٨٩ مالية عثمانية (٢٨ شباط ١٨٢٧ م) قال: في زمن السلطان عبد العزيز (١٢٤٥ - ١٢٣٩ هـ) أتى أمير الآلاي طاهر بك (١) من استانبول لجمع (١٢٠٠٠) جندي نظامي من اليزيدية الداسينين ، فاستدعى والي أشرافهم وأمرهم وقرأ الرسوم السلطاني عليهم ، فطلبوا مهلة عشرة أيام لكي ينظروا في هذا الأمر ، وبعد انقضاء الأيام العشرة ، قدموا الى مقام الولاية عريضة قالوا فيها :

نحن أبناء الأمة اليزيدية حيث بتعذر علينا القيام بالخدمة العسكرية التي تكلفنا الحكومة بها ، نؤثر ان نقدم الى الحكومة المساعدة المالية عوضاً عن الرجال كبقية المسيحيين واليهود ، والأسباب التي تحول دون الخدمة العسكرية هي كثيرة نذكر منها أربعة عشر سبباً :

الأول : يجب على كل يزیدی ، كبيراً كان أم صغيراً ، امرأة أم فتاة ، ان يحسج الى صورة « الملك طاؤوس » ثلاث مرات بالسنة ، أي في شهر نيسان وأيلول وتشرين الثاني ، ومن أهمل ذلك يعد غير مؤمن بالمذهب اليزیدی (٢) .

الثاني : اذا لم يزر اليزیدی قبر الشيخ عدي بن مسافر قدس الله سره ، ولو على الأقل

(١) ان فكرة تطبيق قانون التجنيد على اليزيدية ترجع الى المرحوم مدحت باشا عندما كان والياً على بغداد (من مارت ١٢٨٥ الى ايار ١٢٨٨) وان أمير الآلاي طاهر بك لم يأت من استانبول خصيصاً لهذه المهمة ، بل جاء من بغداد عندما كان رئيساً لاركان الجيش ، وقد أشار الى ذلك الكاتب التركي احمد مدحت افندي في كتابه (تاريخ اديان) بقوله :

« عندما كنا في بغداد كان اليزيدية يدعون بعدم وجود علاقة لهم بالاسلام وذلك قصد التخلص من الخدمة العسكرية ، فارسل مدحت باشا قوة تحت قيادة المرحوم أمير الآلاي طاهر بك الذي ارتقى الى رتبة المشيرة لاجل ارغامهم على التجنيد » ،

ولم نعلم ما اذا كانت النتيجة أعفوا عن التجنيد ام ارغموا عليه بناء على تنسيب وموافقة رؤف باشا .
(٢) ليس من الواجب على اليزیدی الحج الى صورة الملك طاؤوس (اي زيارة السنجق) بالسنة ثلاث مرات ، ولا يعد كافراً من أهمل ذلك ، وكثير من اليزيدية الفاطنيين في الاماكن البعيدة قد لا تنسب لهم هذه الزيارة الا نادراً ولم يخرجوا من دينهم .

مرة واحدة في السنة (١٥ - ٢٠ ايلول) يكون غير مؤمن عندنا (١) .

الثالث : يتحتم على كل يزیدی ان يفتش له كل صباح عند شروق الشمس على محل منزو بقدر ما يرى منه نور الشمس ويسجد له ، ولا يجوز ان يكون هناك مسلم أو يهودي أو مسيحي ولا غير مؤمن ، وإن أهمل ذلك يعد كافراً .

الرابع : يجب على كل يزیدی ان يقبل يد أخيه الابدي او خادم المهدي ويد شيخه وبيره (رئيسه) واذا ترك ذلك يعد كافراً (٢) .

الخامس : هذا أمر لا تجوزه شريعتنا : لما يبدأ المسلمون بالصلاة صباحاً يقولون « أعوذ بالله من اه » فإذا سمع أحد منا هذا وجب عليه إما ان يقتله او يقتل نفسه واذا لم يفعل ذلك يعد كافراً (٣) .

السادس : لما يموت أحدنا يجب ان يحضر موته أخوه الابدي وشيخه وبيره ، وأحد القوالين يقول له هذه العبارة « أنت أيها الساجد لملك طاؤوس تموت في الايمان الموجود عليه الذي تعبد ، أعني الآله السامي طاؤوس ملك لا في ايمان آخر . واذا أنك أحد وقال لك في الاسلاميه والمسيحية واليهودية او في ديانة اخرى لا تؤمن به ولا تتبعه لانك اذا عرفت ديانة أخرى ما عدا ديانة (طاؤوس ملك) الذي تسجد له وتقبه تموت غير مؤمن » (٤) .

السابع : عندنا ما ندعوه ببركة الشيخ عدي وذلك هو التراب الذي نأتي به من قبر الشيخ عدي ، فكل يزیدی لم يحمل من ذلك التراب شيئاً معه ، ولم يأكل منه عند كل

(١) اذا ما قولهم في اليزيدية القاطنين اطراف حلب ودياربكر وملردين وبديليس ووان وبلاد الروس ولم يزر واحدهم قبر الشيخ عدي في حياته ولا مرة واحدة ، هل يكونون غير مؤمنين ؟ ام ان هذه الصريفة مختصة بيزيدية الشيخان وحدهم ؟

(٢) يعد اليزيدي آثماً - لا كافراً - اذا أعرض عن تقبيل يد شيخه وبيره عمداً وقصداً . اما اذا كان اعراضه عن سهو وغفلة فلا اثم عليه . اما تقبيل يد اخيه الابدي فلم يكن واجباً .

(٣) لقد بالغوا فيه كثيراً ولو كان الامر كما ذكروا لوجب ان لا يمضي يوم الا وحادثة قتل مائة امامنا .

(٤) هذا صحيح ولكن كثيراً ممن لم يحضرهم شيخهم وبيرهم وبلغتهم بهذه الكلمات عندما يدرهم الموت هل يموتون على غير دينهم .

صباح يعد كافرأ . واذا مات أحد منا وليس معه من هذا التراب المبارك فيموت كافرأ ايضاً (١) .

الثامن : يجب على الذين يقومون بفريضة الصوم ان لا يصوموا إلا في وطنهم ولا يجوز لهم الصيام في محل آخر لانه يتحتم على كل واحد منهم في صباح كل يوم من الصوم ان يذهب الى بيت شيخه أو بيره وهناك يبدأ في صومه ويحل صومه مساء في بيت أحدهما حيث يشرب خمر شيخه أو بيره المقدس واذا لم يشرب كأساً أو كأسين لا يقبل صومه ويعد كافرأ (٢) .

التاسع : اذا سافر أحد أبناء الملة البزيرية الى بلدة غريبة وبقي فيها على الاقل سنة ثم يعود الى وطنه فلا يستطيع ان يعيش مع زوجته ثانية ولا يعطيه أحد منا امرأة ، واذا فعل أحد منا ذلك يعد كافرأ (٣) .

العاشر : من حيث اللباس ، فكما قلنا في العدد الرابع ان كل واحد منا له أخ الأبدية وله أيضاً أخت الأبدية ، ولما يخطط أحد منا قيصه لا يجوز ان يثقب الرقبة إلا أخت الأبدية بنفسها ، واذا لم تفتح هي ذلك لا يجوز لبس القميص ، واذا لبسه يعد كافرأ (٤) الحادى عشر : اذا صنع أحد البزيرية قيصاً له او شيئاً جديداً ولا يغسله في الماء المبارك الذى هو في محراب الشيخ عدى لايجوز لبسه ، واذا فعل ذلك كان غير مؤمن (٥)

(١) لو صح هذا الشرط لنفذ التراث الذي في مرقد الشيخ عدى وأصبح هاوية لا يدرك غورها. ومع هذا فكثير ممن يحمل بنادق صغيرة معمولة من هذا التراب لاجل البركة ويتخذها يزيدية سنجار أداة لتوثيق الصلح وبالعكس كما مر بنا .

(٢) لا صحة لهذا الشرط اصلاً ، واليزيدي لا يعرف (الحجر المقدس) ولا يشربه . والحجر محرم عليهم ايام الصيام بصورة مطلقة ، والعادة ان يدعو المريد شيخه او بيره للافطار عنده وليس بالعكس ، وهي ليس بعادة محتمة .

(٣) ليس كذلك . والقاعدة ان للمرأة التي يغيب عنها زوجها اكثر من سنة، الحق في ان تزوج من غيره . وهي ليست قاعدة الزامية ، ويجوز ان تنتظر أوبته ولو بعد اكثر من سنة ولا ترضى بديلاً بغيره لا سيما اذا كان لها اولاد منه . ولا مانع للرجل الذى تتخذ زوجته زوجاً آخر ان يتزوج من جديد وما قالوه لم يكن صحيحاً .

(٤) فكيف اذا لم تكن أخت الابدية حاضرة ويريد اخوها ان يصنع له قيصاً وهو بحاجة اليه؟ ولماذا يستعملون الاقصية الفرنجية المثقوبة رقبته ولم تفتحها يد الأخت الابدية ؟ وهل يعدون كفاراً ؟

(٥) تغسل الاشياء التي يعتقد باستعمال المسلم لها كالنوسى والملعقة وغير ذلك ، اما بقية الاشياء فلا .

الثاني عشر : لا يجوز عندنا اتخاذ الألبسة الزرقاء ، ولا نستطيع ان نمشط رأسنا بمشط مسلم أو مسيحي أو يهودي ، ولا نستطيع ان نحلق رؤوسنا بموسى غير مؤمن ، إلا اذا غسلناه بماء الشيخ عدى المبارك ، واذا لم نفعل ذلك نكون غير مؤمنين .

الثالث عشر : لا يجوز لليزيدى ان يدخل المراض ولا الحمام ، ولا يسوغ له ان يستعمل ملعقة او كأساً قد استعمله مسلم او غير مؤمن (١) .

الرابع عشر : أما بخصوص القوات ، فالبون عظيم بيننا وبين المذاهب الأخرى ، فأتنا لا نقدر ان نأكل السمك ولا القثاء ولا البامية ولا القرع ولا الفاصولية ولا الملفوف ولا الخس (٢) .

رئيس الملة اليزيدية الرئيس الروحاني للملة اليزيدية رئيس قرية مامرشان رئيس قرية ييبان

أمير الشيخان في ناحية الشيخان سليمان حسين

حسين شيخ ناصر

رئيس قرية خطارة رئيس قرية موسكان رئيس قرية دهكان رئيس قرية خورزا

أيوب مراد حسن زرمو

رئيس قرية باقصرة رئيس قرية خوشابا رئيس قرية بعشيقه رئيس قرية كاباره

علي الياس علو كوجك كسو

رئيس قرية سيناء رئيس قرية عين سفني رئيس قرية كبرنو رئيس قرية قصر يزدين

عبدو كركو طاهر شيخ خيرو

إن هذه المسائل التي احتج بها جماعة من يزيدية الشيخان وعلى رأسهم الأمير حسين بك والرئيس الروحاني للملة اليزيدية الشيخ ناصر بأنها مانعة لقبولهم التجنيد ، لم تكن لتعبر تعبيراً صادقاً عن معتقداتهم وقد بالغوا فيها قصد أن يضطروا الحكومة الى عفوهم

(١) لا جدال في انهم كانوا قبل يحرمون دخول المراض والحمام ، ولكن بعد ان اخذوا يكثرزون التردد الى الموصل والاختلاط بالمسلمين عدلوا عن هذه العادة . اما تحريمهم الكأس والملقعة التي يستعملها المسلم فلا صحة له ، ولو كان الامر كذلك لما اكلوا ولا شربوا في بيوتنا طيلة ايام السنة ولا دخلوا المطاعم والمقاهي وشربوا الشاي والقهوة هم والمسلم والنصراني واليهودي في فنجان واحد وقدر واحد .

(٢) اما الخس والملفوف محرمان عليهم حقيقة ، والسمك والفاصولية والقرع فيحرمهم اناس قليلون ، واما بقية الاشياء فيزرعونها ويأكلونها جميعاً دون استثناء .

عن الخدمة العسكرية وأخذ البديل العسكري منهم أسوة بالملل غير المسلمة ، وكانت الحكومة تشدد الخناق عليهم لقبول الخدمة العسكرية ولم تعترف بأنهم خارجين عن الاسلام .

وقد كان الاصرار الذي تبديه الحكومة في إرغامهم على قبول الخدمة العسكرية في نصف العصر الاخير في حكمها في العراق من أعظم المشاكل التي لاقوها في حياتهم . فألف نوري باشا الكريدي في ولايته على الموصل رسالة عن معتقداتهم وأصول ديانتهم سماها « عبدة ابليس » أوضح فيها الموانع التي تحول دون قبولهم الجندية ، وبرهن على ضرورة أخذ البديل العسكري منهم أسوة بالملل غير المسلمة ، وطبع هذه الرسالة في مطبعة الولاية (١) وبعث بها الى رجال الحل والعقد في اسطنبول بغية انزالهم عند هذه الفكرة ، فلم يلق نجاحا . وقد كثرت الأقوال في المحافل الرسمية عن الأسباب التي دعت هذا الوالي الى وضع هذه الرسالة ، وانتقد عليها .

(١) طبع منها اربعون نسخة في مطبعة الموصل سنة ١٣١٩هـ بصورة سرية كتب عليها « ولاي سلطنة سنيه به تقديم اولئقي اوزرة بالكز قرق نسخة موصل ولايت مطبعه سنده طبع اولئشدر » وقد اعاد طبعها (جلال نوري) السكاتب المشهور في مطبعة جهاد في اسطنبول وهي متداولة بالايدي .

﴿ فيما أخذته الديانة الزيدية من اعتقادات ومبادئ ﴾

﴿ من الأديان السائرة ﴾

يدعي أكثر الباحثين أن الديانة الزيدية ملفقة من مبادئ أديان مختلفة كالإيهودية والمجوسية والنصرانية والذي لفقها شيوخهم الذين قاموا بأمرهم . وينسبون ذلك إلى الشيخ عدي بن مسافر الذي يعتقدونه كافر ملحد ليس مسلماً . كما أن البعض يرجعونها إلى النصرانية ، ويدعون أنها بعد أن خرجت عن النصرانية دخل عليها هذا التلفيق ، وأن الإسلام هو واحد من الديانات التي شاركت فيه الديانة الزيدية . وسيرى القاري في أبحاثنا الآتية أننا نذكر بشدة كل ما يقال عن دخول عناصر أديان مختلفة على هذه الديانة حاشا الديانات التي تقول بالثنوية والتناسخ والحلول . وقد ترجع بالأصل إلى هذه الديانات وطابعها لا يزال ظاهر عليها ، ونعني بالديانات التي تقول بالثنوية : المجوسية ، والمناوية والمزدكية ، ولنشرح باختصار معتقدات هذه الديانات وما أخذته الديانة الزيدية منها .

وتقدم البحث عن الديانة البرهمية وهي وإن لم تقل بثنوية الآلهة ولكنها تعتبر الأصل لهذه الديانات ومنها ظهرت الزرادشتية التي ترجع الزيدية إليها .

﴿ البرهمية ﴾

ترجع البرهمية إلى العصور الأولى حيث انتشر العنصر الآري على ضفاف البنجاب وأنحاء الهند ، وهي مؤسسة على تمجيد القوى الطبيعية التي سحرت « الهندو » بمعظمتها وجلالها وترمي إلى حياة الزهد والتقشف ، والتجرد عن الهوسات واللذائذ ، وتقريب الروح إلى الفضيلة ، والتفرغ إلى العبادة . وقد كان من تمجيدها قوى الكون وافتتانها بمظاهر الطبيعة أن اتخذت لكل ظاهرة معبوداً هو القائم بتوليد تلك القوة أو المثل لها ، وهي قائمة به . ولم تكن منزلة الآلهة ثابتة ومستقرة ، بل تتغير وتتدرج نحو الارتقاء بالنسبة إلى الظاهرة التي ينالونها . فمثلاً أن الآله « آغي » لم يكن في بدء أمره أكثر من إله للنار فلهذا ظهر في مراسم تقديم القرابين أصبح من الآلهة

الذين توقد لهم النيران في المعابد وعادل المعبود « آندرا » في الاعتبار والمنزلة، وأخذت مكانته تتعالى تدريجياً حتى اعتقدوا انه أصبح إله النور المرئي في الرعد والبرق والشمس والقمر ، وأخيراً اعتقدوا انه القوة العظمى المولدة لهذه الكائنات ، القوة المولدة للسكل . أما الآله الذي تتمثل فيه الألوهية المطلقة فهو « برها » مصدر التجليات الكونية ومد كافة الآلهة بقوته الفيضة ، ويسكن الآن في أعلى شاهق في جبل (هالايا) في المكان المسمى « بمر المقدس » وهو محاط من جميع جوانبه بالحدود والنور .

والآثار التي أوجدتها البرهمية دينية كانت أم فلسفية وأدبية ، تعد من أرقى المدونات التي ظهرت في تلك العصور . وقد كان لسانهم السانسقريتي ميداناً خصيباً لكثير من سوانح الأفكار العالية ، ولا تزال الآثار التي كتبت بهذا اللسان تحافظ على موقع استثنائي بين الألسنة القديمة ، ويتعذر حصر الآثار التي عبرت عن سوانحهم المذهبية واحصاء الكتاب الذين نبغوا بينهم ووضعوا كثيراً من الأشياء الغزلية والحكايات المنظومة الفلسفية والحقوقية وغيرها . وتقتصر البحث على كتب « وه دا » المقدسة المعول عليها في المسائل المذهبية والاعتقادية والاجتماعية لما لها من العلاقة بهذا البحث .

تنقسم كتب (وه دا) الى أربعة أصناف :

- (الأول) المنظومات والقصائد التي تتضمن المناجاة ويقال لها : ريغ - وه دا
- (الثاني) المقاطيع المحررة على الأسلوب النثري ويقال لها : باجور - وه دا .
- (الثالث) المقاطيع الغنائية وهي التي تكون على شكل الهيات وتسمى : ساما - وه دا .
- (الرابع) المنظومات المختلفة ويقال لها : آثاروا - وه دا .

وجميعها كتبت بأسلوب شعري بديع يسحر القاري ببرقته وبلاغته ، فمن ذلك ما جاء في ارتقاء الروح الانساني وهبوطه وتصفيته من دنس الآثام والمعاصي أثناء انجذابه الى قانون التناسخ :

« ان الأرواح المتصفة بالحسنات تنال الصفة الروحانية ، والأرواح المغلوبة لهوساتها الخسيسة والمنغمسة في ظلماتها الكثيفة تنقص الروح الحيواني مع بقائها محافظة على صفتها الانسانية » .

ومنها ما يدل على خلود الروح الذي يعتقدون أنه يصعد الآله (آغنى) إله النار حيث نشأ منه أصول احراق الأموات ، قال موجهاً خطابه الى آغنى :

« فلتذهب العيون الى الشمس ، والنفس الى الهواء ، ولترجع بقية أقسام الوجود ، ما يعود الى السماء ، الى السماء ، وما يعود الى الأرض ، الى الأرض ، ولكن في هذا الموت يوجد شيء غير قابل للفناء ، يا آغنى ! ان ذلك يحتاج الى أشعة نورك ، ألا توصله الى ذوى الحسنات ؟... »

وجاء في البحث عن الجحيم :

« يدخل أرباب المعاصي (تاميسرا) وغيره من المحلات المربعة المخوفة ، ويمذبون في غابات ورق أشجارها من السيوف ، ويعرضون لصنوف الحن والآلام ، وتأكل لحومهم الطيور الجوارح ، ويمشون على الرمال المحرقة ويلتهمون النار ويلقون فيها الى ان تنضج لحومهم ، ويلاقون أشد العذاب ، وبعد ان تصفو أرواحهم من أدران الخطيئات التي ارتكبوها في تلطيف حواسهم بالاذواق الشهوانية ترقى الى الملا الأعلى » ومنها ما جاء في الاعتراف :

« اذا اعترف صاحب المعصية بمعصية وأعطى الصدقة وأظهر ندامة علناً يحق له ان ينال العفو والمغفرة » .

ومنها ما جاء في تمجيد الشمس التي يعبرون عنها باسماء كثيرة منها (سوريا) :
« تملأ أشعتها السماوات وترفع رأسها أمامها بكل عظمة وجلال وتظهر بهجتها ومهابتها أمام الآلهة والبشر وتزيدهم حيرة وخشية .

أيها المعبود الممتاز بالحماية والصيانة ، وما نح البهجة والسرور ! أنت الذي تملأ بنورك الصافي هذه الأرض التي يتجول عليها الانسان ، والفضاء الذين تنتعش حياته فيها ، لحظة من نظرك المملوء بالنور تشمل جميع الموجودات » .

وأهم ما في القوانين البرهمية تقسيم تابعيها الى طبقات أربع رئيسية ، فقد جاء في أحد هذه القوانين وهو قانون « مانو » :

« خلق الخلق من فمه ، ومن ساعده ، ومن نخذه ، ومن رجله قصد المحافظة على تمام

الخلقة واختص كل واحد من هؤلاء بوظيفة دون الآخر .

« فتعلم كتب ال (وهذا) المقدسة وقرائتها وتعليمها للصفوف المنحطة ، وتقديم القرابين الى الآلهة هو من اختصاص (القشاتريا) الذين يعبرون عنهم بالمحاربين وهم في نفس الوقت محظور عليهم الاستسلام لهُوساتهم النفسية .

« والرفق بالحيوانات ، وبذل الصدقات ، وذبح القرابين ، وقراءة الكتب المقدسة ، والمتاجرة ، والمراوحة ، وحرارة الأرض واستدراخ خيراتها ، من اختصاص الطبقة المسماة - وابسيا - .

« وخص الحق وظيفته واحدة بالصنف المعروف (بالسودرا) وهي خدمة الصنوف الثلاثة السالفة الذكر .

« ويوجد صنف آخر يقال له (البارياه) وهو أحط هذه الصنوف ويعبر عنهم بالمنبوذين يحترقون الحقيق الديني من الأعمال ، وينظر الآخرون اليهم بعين ملؤها الاحتقار والازدراء .

وتنحصر حياة البراهميين في أربعة أدوار ، ويقال لكل منها « آراسماس » .
الدور الأول هو الذي يستمد البرهمي فيها القيوض المعنوية من أستاذه ويقرأ عليه الكتاب المقدس (وهذا) ويقال له « قرين براهما » .

والدور الثاني هو الذي يدخل البرهمي فيها الحياة الزوجية ويقال له « غريماستا » .
والدور الثالث هو الذي يتجرد فيها عن الحفظ النفسية ويتجول في الصحاري والغابات حياته لمطالعة الآثار الالهية ويقوم بواجب العبادة ويقال له « دانا براستا » .
والدور الرابع هو الذي يحطم فيها القيود المذهبية ويحصر بقية حياته في السعي وراء إدراك القوة الالهية ويقال له « سانياسين » او « ييفشو » .

ورغم ما تنطوي عليه البرهمية من غايات سامية وشريفة وترمي الى حياة الزهد والطاعة وتقريب الروح الى الفضيلة ، فان الانقسام الذي أوجدته في المجتمع الهندوسي ، وفصل بعضه عن بعض بفروض وتقييدات دينية صارمة دعى الى انحطاطه مادياً وأدبياً وأبعده عن الحرية الصحيحة ، وقد أصبح بنتيجة هذا الانقسام متقاطعا فيما بينه ، وليس لأي

شخص ان يمزج او يختلط بمن هو أقل من طبقة فان ذلك يعد تنجيساً له .
هذه هي الديانة البرهمنية والمباديء التي ترتكز عليها ، وأهم ما هو ظاهر منها في
« اليزيدية » تقسيمها تابعيها الى طبقات مختلفة وتقييدها كل طبقة منها بقيود شديدة
صارمة ، ولكنها زادت عليها إن أوجدت في الطبقة الممتازة التي مختصم بالشيوخ والبرية
جزءاً آلهياً وفرضت على طبقة العوام - أي المريدين - الانقياد لهم كاتقياد العبد
لسيده والمخلوق لمخالقه ، وأوجب عليهم ان يشاركون في ثمار سعيهم وان لا يتحدثوا عنهم
بما لا يتفق وكرامتهم . والبراهمة لم تصل بقيودها التي وضعتها لطبقة « السوراه » الى
هذا الحد . ولم تعمل بها الزرادشتية ولا غيرها من الأديان القريبة منها . وليس من شك
أن جعل السواد الأعظم من هذه الطائفة منقاداً الى طبقة الروحيين يأمرهم بأمرهم وينتهي
بنواهيهم ، ومحظوراً عليه الزواج معهم ويكون أحدهم دائماً مهدداً بخطر (التحريم)
الذي يصدره زعيمه الديني بحقه فيحرمه من حقوقه الدينية والمدنية ويفقد مركزه
الانساني .. قانون قاس ليس أقسى منه في كافة الأديان !

واذا كان « السوراه » أخذوا يدعون الآن بحقوقهم الدينية والمدنية ويريدون
رفع هذه الوصمة عنهم ، فاليزيديون على العكس من ذلك فهم لا يريدون أن يتخلى
روحيوهم عنهم حال كونهم هم المسخرون لخير وسعادة أسيادهم .
وقدلت اليزيدية البرهمية في اتخاذ معبود أعظم على شاكلة (براهما) وهو (طاؤوس
ملك) الذي اعتقدت انه الآله السامي المتصرف بشؤون الكون ، وقد حل وجوده في
آلهة أحط منه درجة يأمرهم بأمرهم ويديرون شؤون الكون حسب إرادته ومشيتته
وهو حاضر في كل مكان وزمان .

وأخذت منها عقيدة التناسخ وخلود الروح وتقديس الشمس والسجود لها ، واعطاء
الخطيرات والصدقات للتكفير عن الذنوب وغير ذلك من العقائد ، وكان أخذها هذه العقائد
منها من طريق الزرادشتية التي سبقتها فيها وأصبحت هذه عقائد تعد زرادشتية محضة
واليك الكلام عن الزرادشتية :

﴿ الزردشتية أو الزرادشتية ﴾

كانت هذه الديانة منتشرة في جميع بلاد فارس وما حوّلها وقد اتبعها الملايين من البشر زهاء أحد عشر قرناً (٥٢٠ ق.م - ٦٤٢ ب.م) الى أن ظهر الإسلام ، وهناك أقل نجمها ونمّدت نيرانها ولم يبق لها أثر إلا في بعض أنحاء فارس النائية وبلاد الهند ، ولا يزال حتى الآن طائفة منهم في مدينة (بمباي) يسمون بالبارسي . وحسب ما دل عليه البحث أن هذه الديانة كانت موجودة قبل ذلك بزمن بعيد ، وقد دخلت في شكلها الأخير على أثر ظهور « زردشت (١) » المارقي من الديانة البرهمنية حيث كان قد ذهب الى مدينة « بلخ » وأذاع هذه الديانة ووضع كتابه (آفستا - الأستاق) (٢) المحتوي على كثير من

(١) ان حقيقة زرادشت لم تتحقق تماماً ولم يتأكد متى ولد وكيف عاش ومتى أُلّف كتابه الـ (آفستا) ، فالأخصائي الشهير في العقيدة الزردشتية المستر جاكسون يقول : ان زرادشت ولد في النصف الثاني من القرن السابع (ق.م) وتوفي في النصف الاول من القرن السادس (ق.م) . والروايات الزردشتية تفيد ان زردشت ولد في القرن السابع (ق.م) وشرع في بث تعاليمه ونشر ديانته على شواطئ نهر (أرمية) حتى مات .

وفي تاريخ الشرق الأدنى القديم (ص ٥٥٥) ان زرادشت ولد سنة ٥٩٩ (ق.م) تقريبا ، وفي أيام صباه صدر منه بعض معجزات وخوارق مما أدى الى ان قصد الكهان والسحرة اغتياله ، ثم اعتزل الناس وانزوى عنهم في محل مهجور ، واخذ في رياضة النفس . وفي الثلاثين من عمره دعى الناس الى معرفة الله وعبادته ، فلم يستجب لدعوته الا القليل ، فأوحى الله اليه ان يهاجر الى (بلخ) فنصر دعوته في بلاط الملك فاستجاب له اولا ابناء الوزير ثم للملك نفسه ، وقاومه رجال البلاط ثم انتصر عليهم بدخول الملك نفسه في دينه ، وقد تحمس الملك - وهو يشتاسب - لهذا الدين الجديد فتتابع الناس للدخول فيه .

وقد اختلف الباحثون في تعيين عقيدته « فيرى كثيرون انه تنوي كما يدل عليه ظاهر كلامه ، وقد ذهب الى هذا الرأي بعض كتاب الفرنج ومنهم من كتب في دائرة المعارف البريطانية في مادة (زرادشت) ومنهم من يرى انه موحد والى ذلك ذهب الشهرستاني والفيلسوفي في صبح الاعشى وغيرهما . ويقول الأستاذ هوج : (ان زرادشت كان من الناحية اللاهوتية موحداً ومن الناحية الفلسفية تنوياً) ولعله يريد بقوله هذا انه من ناحية العقيدة الدينية كان يرى ان للعالم آلهة واحداً ، ولكن اذا تعرض لشرح فلسفة العالم وما فيه من خير وشر يتطاحن وما الى ذلك فهو تنوي يرى ان في العالم قوتين « فجر الإسلام - (٢) يقال ان شرحه المسمى (زند ابستا) كتب على اثني عشر ألف جلد بالذهب وفيه وعد ووعد وأمر ونهي وغير ذلك من الشرائع والعبادات ، وكان محفوظاً في مدينة اصطخر (برسه بوليس) - احرق الاسكندر قسماً منه بعد انتصاره على دارا وفقد قسم منه - وبعد ظهور الاسلام عثر عليه احد علماء المشرقيات فترجمه من اللسان البهلوي الى الالسنه الفرية .

وفي مروج الذهب (ص ١١٠) ما يدل على ان اسمه كان معروفاً عند الاسلام ، وكان المجوس قد -

التعاليم التي يقال أنه كان ملهماً بها .

وإذا كان هذا الدين أخذ يميل الى الاندساس في بلاد فارس بزوال الدولة الفارسية ، فإن أثره كان لا يزال باقياً بين كثير ممن اعتنقوا الإسلام من الفرس في العصور الأولى للإسلام . وقد أرادوا أن يجعلوه أداة هدم وتقويض للعبادي . الاسلاميه ليتسنى لهم ارجاع ملكهم المضاع ومجدهم المندرس ، فتغلغل مبادئه في المعتقدات وأثرت على العقول والأوهام وظهرت آثارها في بعض المذاهب الدينية وبين المتصوفة وامتزجت في العقائد العامة من المسلمين .

وتتلخص ديانة (زردشت) بأن العالم تحكمه قوتان : قوة الخير ، وقوة الشر ، فالأولى تتمثل في الآله « آهورامزدا » وهو منبع خلال الخير كالنور والجمال والفضيلة والصحة والخصب والرخاء ، والثانية تتمثل في الآله « اهرمن » أو « دروج اهرمن » وهو مصدر الشر كالظلمة والوباء والموت والجذب والفقر والكذب والرياء والحسد وكل رذيلة . وهاتان القوتان تتجاذبان الانسان في حياته ، فان اتبع أعمال الخير وعمل عملاً صالحاً وطهر بدنه ونفسه فقد أخزى إله الشر واستحق الثواب من مزدا ، وإلا قوى روح الشر وأسخط عليه مزدا . ولذا فقد أوجب (زرادشت) على كل انسان السعي في إصلاح الأرض واستثمارها ، والتوفي عن الأوساخ والأدران ، واتباع الصدق في الفكر والقول والعمل ، والبعد عن الكذب وتنزيه النفس عن معايب السرقة والخديعة ، والاستهزاء بالناس والازدراء بهم ، والاجتناب عن بث العقائد الفاسدة والدين غير الصحيح . وأفهم أن للانسان حياتين : حياة أولى في الدنيا ، وحياة أخرى بعد الموت ونصيبه في حياته الأخرى نتيجة أعماله في حياته الأولى .

اما من حيث العبادة فقد أمر أتباعه بالاستغانة بذوي الأرواح الصالحة والاستعانة

عملوا للابستا تفسيراً عندما عجزوا عن فهمها وسموا التفسير زنداً ثم عملوا للتفسير تفسيراً وسموه يازنداً ثم عمل علماءهم تفسيراً لتفسير التفسير وسموه بارده . ولم يعرف الناطقون بالعربية شيئاً عنه بالتفصيل لانه لم ينقل الى لسانهم .

ويشتغل الان صديقنا الدكتور داؤد بك الجلي بنقل (الوندباد) ام كتب الابستا - الى العربية عن الفرنسية والفارسية ينتهي قريباً منه .

٣٣ لكي يتسنى لهم كبح جماح آله الشر والتخلص من شروره ، ودعاهم الى عبادة النار لأنها العنصر المقدس الذي تبدد به الظلمات وتطرد الاجنة والعفاريت وجعلها أكبر عبادة لهم ، وهذه الغاية أنشأوا بيوتاً عظيمة في كثير من أنحاء فارس يوقدون فيها النيران على مدى الدهور والأعوام ويقربون اليها القرابين لتشعلهم بعنايتها .
هذه هي خلاصة المباديء التي تسير عليها الديانة الزردشتية المجوسية ، فبأي منها شاركتها الزيدية ؟ شاركتها :

« اولاً » في الاعتقاد بوجود آلهين أحدهما للخير والآخر للشر ، إلا أنها خالفتها باتباعها آله الشر والعمل على إرضائه لا اعتقادها أنها في مأمن منه لأنه هو رؤوف رحيم . وقد أخذت هذه العقيدة من « المانوية » التي خالفت الزردشتية فيها .

« ثانياً » شاركتها في عقيدة التناسخ ، وهو المبدأ القائل بخلود الروح وتنقله من نوع الى آخر حسبما تقتضيه سيرته وأعماله ، ويتلخص هذا المبدأ عند الزيدية بأن الارواح منها صالحة ومنها غير صالحة ، فالارواح الصالحة بعد ان تقضي مهمتها في حياتها الاولى تنتقل الى أحد ذوي الصلاح والخير من الانبياء والمرسلين ثم تصعد الى الفردوس الأعلى حيث تستقر في الحل المعد لها . والارواح غير الصالحة تنتقل الى أجساد البهائم الخسيسة والسخرة الممتحنة بالذبح لكي تنال جزاءها وتعود الى حياة الدنيا ثانية وثالثة ورابعة ليمتحن بأعمالها فان أقلعت عن ذنوبها وآثامها وسلكت الطريق الموافق لمراضي العبود الاعظم وبقية الآلهة بحق لها الالتحاق بزمرة الصالحاء وتحظى في الدار الآخرة بالنعيم المقيم .

ولم يكن الجزاء المعد للارواح غير الصالحة عندهم ينحصر في تنقلها في صنوف الحيوان فقط ، بل قد تسقط في الدرك الاسفل من الجحيم وتلاقي هناك ألوان العذاب الى ان تتصفي من درن الخطيئات التي اقترفتها .

وبما لا مشاحة فيه ان إتباع الزيدية هذا المبدأ هو الذي ساقهم الى دعوى الارتقاء في تاريخهم الى الأزمنة المتوعدة بالقدم حتى قالوا ان جميع ذوي الارواح الصالحة من الانبياء والمرسلين وأهل الصلاح والتقوى كانوا على شريعتهم وقد إختصهم الآله السامي

بالقرب منه ، وقد ساقهم هذا الاعتقاد الى تصديق كثير من الحوادث التاريخية كالطوفان والقاء ابراهيم الخليل بالنار ، وقصة يوسف الصديق ، وحادثة المسيح ، وتخريب البيت المقدس ، وجلاء العبرانيين الى غير ذلك .

يقول البحاثة الانكليزي لا يارد : « ويعتقدون ان المسيح هو من الشيعة اليزيدية ، وكان ملكا عظيما ويصدقون بالتوراة ويقولون ببعض الحوادث التاريخية ، ويحترمون العهد الجديد والقرآن ، ويقولون بنبوة محمد ، ويعتقدون أنه من الآباء الاقدمين كابراهيم ، ويقولون ان المسيح سينزل الى الارض ويملكها ، وسيظهر بعده المهدي وسيكون له سلطة خاصة (١) ويحكم الشعوب التي تتكلم بالكردية وهم الطائفة اليزيدية » (ثالثا) أخذت منها مبدأ عبادة النار وعده عنصراً مقدساً ، واليزيدية لم يكن لديهم بيوت للنار يوقدون فيها على ممر الأعصار والدهور كما هو عند المجوس ، ولكنهم اقتصروا على ايقادهم السرج والقناديل على قبور أئمتهم وأوليائهم طيلة أيام السنة ، وإشعالهم النيران ليلة عيد « البيلنده » في بيوتهم واصطبلاتهم ونواديهم واجتماعهم حولها وتبركهم بها وتمسحهم بلبسها .

(رابعا) أخذت منها الاستغانة بالأحياء والأموات من الرجال الصالحين وتقديم الخيرات والندور والصدقات لهم ليشملوهم بعطفهم ويعيدوا أرواح الموتى منهم الى الحياة الدنيا طاهرة نقية ليتسنى لها الصعود الى الملكوت الأعلى وتنعم بما أعده الآله السامي لها من النعيم المقيم .

(خامسا) شاركتها في تقديس الشمس وتمجيدها والسجود لها عند أول بزوغها ، وتقبيل الأرض عندما تلتقي أنوارها الذهبية عليها . وعبادة الشمس هي من أكبر مظاهرهم وقد يعمل بها حتى الأطفال منهم .

(سادسا) شاركتها في إقامة الشعائر الدينية للموتى إيناساً لأرواحهم ، وفي تقديم النحائر والقرايين الى آلهتهم ليساعدوهم على قطع مراحل التنقل في الأجساد الأجنبية ، وينزلوهم منزلاً كريماً ويحسنوا لقاءهم في الدار الآخرة .

(١) كلها اوهام واليزيدية لا يقولون بها .

ان اشتراك اليزيدية في هذه العادات المجوسية ، لم يكن - كما قلنا - حصل عرضاً ، او دخلت عليهم من طريق آخر ، او عادات تصوفية أساءوا فهمها وحولوها الى هذا الشكل ، بل هي من أساسات دينهم قبل إسلامهم ، ومن سوء الحظ أنهم بعد ان دانوا بالاسلام وحسن إسلامهم ، عبت بهم دعاة السوء وشوشوا عليهم إسلامهم وجعلوهم يرجعون الى الورااء ويصافحون زرادشت من جديد ويتبعونه يوماً ما ، بعد ان أخنى الدهر على ديانتهم . والزمان كفيل بإيقاظهم من غفلتهم ورجوعهم الى أحضان أمهم الرؤوم بعد ان أعقوها زمناً وأسأوا اليها .

﴿ الثنوية المانوية ﴾

تعد المانوية من الأديان الفارسية القديمة التي تنزع الى وجود آلهين : أحدهما للخير والثاني للشر كما رأينا في الديانة الزردشتية . وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى « ماني » وهو بابلي الأصل وكان قد ولد بالمداين في قسبة شوشاني (عام ٢٤٠ م) (١) ، وعلى ما قاله البيروني في كتابه « الآثار الباقية » ان ماني ولد عام ٢١٥ او ٢١٦ (ب . م) وشب على المذهب الزردشتي ، وهو المذهب الذي كان شائعاً في تلك البلاد ، وجاء في فجر الاسلام ان ماني كان راهباً في حران ، وعلى هذا لا يستبعد ان يكون قد اعتنق المسيحية في آسيا الصغرى وأصبح راهباً ، وأخذ منها بعض المبادئ ومنهجها بالمذهب الزردشتي وأوجد هذا المذهب الذي عرفه (براون) بأنه « زرادشتي منصر أكثر منه نصراني مزردش » .

وحسبما يستدل من كلام ابن العربي أن ماني كان في البسدة على الديانة المسيحية ، ثم سرق ووضع هذه الديانة . وهذا نص ما قاله : « كان في أول أمره يظهر النصرانية ، وصار قسيساً بالأهواز وكان معلماً ويفسر الكتب ويجادل اليهود والمجوس والوثنيين ،

(١) ذكر ابن النديم في فهرسته ان ماني هو ابن فتق بابك بن ابي برزام من الحسكانية واسم امه (ميس) ويقال (اوتاخم) ويقال (مرمرم) من الاشغانية ، وقيل ان ماني كان اسقف قني والعريان من اهل حوحي ، وماني بادرأيا وباكسايا ، وكان احفد الرجل ، وقيل ان اصل ابيه من همدان انتقل الى بابل وكان ينزل المدائن في الموضع الذي يسمى طيسفون وبها بيت للاصنام . انتهى .
وطيسفون هو المحل الذي فيه ايوان كسرى ويقال له طيسفونج وطوسفون ، وكان على زمن البيوتات القدماء يسمى اكتيسفون .

ثم مرق من الدين وسمى نفسه مسيحيا ، واتخذ اثني عشر تلميذاً وأرسلهم الى بلاد المشرق بأسرها وزرعوا فيها علم الوثنية وهو ان للعالم آلهين أحدهما الخير وهو معدن النور ، والآخر الشر وهو معدن الظلمة ، وكان يقول بالتناسخ ، وان في كل شيء روحا مستنسخة ، وكان يفرض في تمجيد النار وتعظيم شأنها ويؤهلها للتسبيح والتقديس ، وهذا المذهب قد كان قديماً للفرس ولم يبتدعه ماني ، ولكن شيده بالحجج الاقناعية .. « اه .
والمناوية لم تعمر كثيراً كما هو الأمر في الزردشتية ، وقد انهارت عند ظهور الاسلام كما انهارت الزردشتية نفسها ، وبقي لها أثر ضئيل في بعض العواصم الفارسية وبغداد الى عهد المقتدر العباسي (٢٨٢ - ٣٢٠ هـ) حيث أجلى الباقون منهم من العراق فلتحقوا بخراسان . وعلى مرور السنين قلوا في بلاد فارس ولم يبق لهم ذكر .

ووجه الفرق بين الديانتين الزردشتية والمناوية باعتبار أنها تنزعان الى وجود آلهين متضادين أحدهما يعمل الخير والآخر يعمل الشر ، هو ان الزردشتية كما سبق لنا البحث عنها تنزع الى ان هذين الآلهين هما في جدال مستمر ليتغلب الواحد على الآخر ويتم له الفوز ويخضع العالم لحكمه . ولما كان واضح المذهب الزردشتي يرى ان هذا العالم هو عالم خير أكثر منه عالم شر ، وأن الانسان أقرب الى خلال الخير من الشر ، فقد حث تابعيه على الأعمال الفاضلة ليتم انتصار الخير على الشر ويسود السلم في العالم ، وترفع الحروب من وجه الأرض وتزول الأمراض والعاهات والفقر والحجاعات وينعم الانسان بحياة هنيئة سعيدة ، بينما ذهب واضع المذهب المناوي الى عكس هذا ، اذ يرى ان هذا العالم هو عالم شر محض وان عنصر النور مغلوب أمام عنصر الظلام وكل ما في العالم من خير ورحمة وسعادة وهناء هو عرضي زائل ، وأن المهيمن على العالم هو الشر فحسب حيث كان هذا التشاؤم الذي فطر عليه أثر ظاهر في مذهبه . إذ نجده قبل كل شيء حرم على تابعيه النكاح بغية استعجال الفناء ، وحظر عليهم الملاذ النفسية ودعاهم الى حياة الفقر والذل والمسكنة ، وأوجب عليهم ألا يدخروا أكثر من قوت يوم واحد ، وفرض عليهم صوم سبع العمر مع صلوات كثيرة ، ونهاهم عن ذبح الحيوان لما فيه من إيلاام ، الى غير ذلك من التعاليم التي أماتت فيهم روح الجهد والنشاط ، وأبعدتهم عن الحياة

العملية أو جعلتهم ينظرون الى كل ناحية من نواحي الحياة نظر كراهية واحتقار معتقدين ان بذلك سيتم لهم نيل السعادة الأبدية التي هي الغاية المثلى لكل انسان .
والآن لننظر ما هي علاقة اليزيدية بالمناوية ؟ يقول (اوزن بوري) أحد فلاسفة الغرب في كلامه عن اليزيدية : ان رائحة المناوية تشتم منها وهذا صحيح ، واليزيدية ليست إلا المناوية نفسها ، ولا فرق بينها سوى ما أخذته من الاسلامية أثناء مرورها من جانبها ، وما تركته الزردشتية فيها من معتقدات وتقاليد قبل ان تنضوي اليها ، لكنها تختلف عنها في انها لا تكثر الصوم والصلاة ، وفي كونها أمة محاربة لا يساعدها وضعها على الكسل والحمول ، فليست تقضي حياتها بالتعب وتختلف عنها ايضا في عدم تحريمهم الزواج ، وفي عدم اجتنابهم ذبح الحيوانات ، وإن كان هناك رواية ضعيفة تدل على أنهم كانوا في زمن ما يمتنعون عن ذبح الحيوانات ويقتصرون في معاشهم على السمن والعسل . واذا كانوا خالفوهم في هذه المسائل فقد وافقوهم في المبدأ القائل بأن هذا العالم هو محض شرور وآثام ، وأن إله الخير (النور) مغلوب لآله الشر (الظلام) خلافا لما قالت به الزردشتية وعملوا على إرضاء إله الشر ليبقوا في مأمن منه .
أما دعوة (ماني) قومه الى حياة النذل والمسكنة وتحظيره عليهم الملاذ النفسية فنجد أثره بارزا في حياة اليزيديين بأجلى صورة ، وقد أفرطوا فيها لحد أنهم حرموا الزينة على أنفسهم وعلى نساءهم واجتنبوا الطيبات من الرزق واقتصروا في معاشهم على خبز الشعير ، وحرموا القعود على فراش وثير وارتباد أما كن اللهو ودخول الحمام وكل محل يجدون فيه لذة روحية او نفسية . وبهذا ضربوا رقعا قياسيا في الزهادة وقد مضى عليهم بضعة عصور ولم يحيدوا عنها . وقد كان من نتيجة اتباعهم هذه القاعدة أن أخذوا ينظرون الى حياة الدنيا أنها مقر بؤس وشقاء ومحنة وبلاء ، الراغب فيها والطامع في زخرفها ونعيمها سيكون نصيبه البعد عما أعده الآله السامي لعباده الصالحين من السعادة الأبدية في الدار الآخرة .

﴿ المزدكية ﴾

هي المذهب الذي وضعه (مزدك) واشتهر بنسبته اليه . ظهر مزدك في مدينة نيسابور في فارس وأذاع مذهبه حوالي سنة ٤٨٧ م . فلاقى هوى في نفس (قباد) تاسع عشر الملوك الساسانيين وأذاعه وأخذ على نفسه حمايته فأنكره الناس واستهجنوه لما فيه من صنوف الاباحة . فتآمرهوا على قباد وأسقطوه من الملك وسجنوه نحو اربع سنين ، ثم أعيد الى الملك بسمي من أخته (١) وبعد وفاته عام ٥٣١ م خلفه ابنه (أنو شيروان) فطلب مزدكاً وقتله . وفي رواية أن الذي نكل به وبمن اتبعه هو (قباد) نفسه وقد دبر لهم مذبحة سنة ٥٢٣ م كاد أن يستأصلهم بها (٢) .

ان التعاليم التي وضعها مزدك لم تكن من الناحية الاعتقادية جديدة ومبتكرة ، بل استمدتها من الثنوية المانوية ، اذ كان يقول كما يقول ماني بالنور والظلمة ايضاً ، إلا ان مذهبه يختلف عن المانوية بما أدخله عليه من المباديء الاشتراكية ، فكان يرى ان الناس ولدوا سواء فليعيشوا سواء وأهم ما تجب فيه المساواة : المال والنساء .

ومن هنا نلمس وجه الشبه والمشاركة بين اليزيدية وبين تعاليم مزدك في الناحية الاعتقادية بوجود إلهين أحدهما إله النور والآخر إله الظلمة ، أو إله الخير وإله الشر ، وفي إباحة النساء ، إذا كان ما نقله المؤرخون عن اليزيدية صحيحاً .

والمؤرخون اختلفوا في أمرهم ، فمنهم من ذهب الى أنهم أحلوا الزنا مطلقاً ، ومنهم من ذهب الى أنهم كانوا يمكنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم ويستعملون ذلك بل يعتقدون فيه خيراً . وهذه العادة ليست موجودة الآن فيهم ، ويعتقدون ان الفعل الذي يجري بين الروحانيين وصنف الدهماء (المريرين) وبالعكس ليس أعظم كفراً منه . أنهم كانوا يعملون بهذه العادة قبلاً وقد تركوها .

هذه هي المذاهب التي شاركها اليزيدية في معتقداتها او أخذت عنها او ترجع بالأصل اليها ، وكلها تقول بثنوية الآلهة مع فروق واختلافات بينها ، وأكبر ظاهرة نجدها فيها

(١) قاموس الاعلام

(٢) فجر الاسلام

إثبات وجود آلهين متضادين والامساك عن الطيبات ، والقول بالتناسخ ، وطلب الفناء للوصول الى السعادة الأبدية .

﴿ الشامانية ﴾

لم يكن لهذا المذهب صلة بمذاهب الفرس الدينية ولا يعتقد بثنائية الآلهة ولا الحلول ولا التناسخ وقد أتينا على ذكره لاشتراك البزيدية معه في عبادة الشيطان والارواح الشريرة ليس إلا .

إن المذهب الشاماني هو أحد المذاهب المنتشرة في شرقي شمالي سيبيريا بين قبائل الياقوت والساموئيد الطورانيين وفي بعض الجزر الواقعة في البحر المحيط الهادي ، ويعتقد أصحابه بالأجنة والشياطين وكونهم أداة شر ، قد يوجهون شرورهم الى البشر ويوقعون الأذى به . وآلههم الكبير يسكن الشمس ، ولهم رهبان كثيرون يطلق على واحد منهم (شامان) يحمل بيده دوما ذنب حصان ، ويعلق في عنقه طبلا يضرب عليه لطرده الأبالسة والشياطين ، ويسمون آلههم الكبير (شامان) يحمل بيده دوما ذنب حصان ، ويعلق في عنقه طبلا يضرب عليه لطرده الأبالسة والشياطين ، ويسمون آلههم الكبير (بالباق توس) - ومعنى بالباق بالتركية الواسع وتوس الصدر - يقدمون له القرابين ويرجون منه الشفاعة والغفران .

وللشامانيين معابد يجرون فيها الأفعال القبيحة وهي لا تفرق عن دور البغاء ، يبيعون فيها مع المرأة كل عمل قبيح فاجر ويعدونه عبادة ، ويحظرون على غير الشامانيين دخول معابدهم ، وكذلك (اللاما) وهم الرهبان عند البوذيين (١) .

ومن عاداتهم أنهم إذا أرادوا ان يقدموا قربانا الى معبودهم ، ويكون على الأكثر حصانا ، يشدون قوائمه الاربعة بحبل ويجرونه بكل ما استطاعوا من قوة ، فن مسك الحبل او تعلق به يعتقد بغفران خطاياهم .

﴿ اعتقاد الصوفية في الاسلام بالشيطان ﴾

إن اعتقاد البزيدية بالشيطان لا شك أنه مأخوذ من الديانة المانوية المؤسسة على

(١) وكبيرهم يسمى (دالاي لاما) والخبر الاعظم يسمى (حامبا لاما)

استمداد القوى الشريرة الخفية لمحاربة القوى الخيرية والاستعانة بالظلمات على النور ، وقد عرف الاسلام الشيطان بأنه هدام يقضي على شعائر الدين ويزج الانسان في حمأة الضلال والنفي ويبعده عن الفضيلة ، حاشا غلاة الصوفية فانهم يبررون كل ما نسب اليه من أعمال ويتمصبون له ، ويرفعونه عما يشينه ويحطه من مكانته .

وقد تصدى بعض الباحثين الى تأويل تعصب الصوفية للشيطان بأن لهم من الآراء الشاذة والكلمات الموهمة ما لا يحتمل ظاهره ينطقون بها في أحوال تعرض لهم يسمونها بالغلو او الشطح ، وهي في الحقيقة ليست إلا نزوعا الى المنوية التي لا تزال آثارها عالقة بنفوسهم .

ذكر ابن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧هـ) في كتابه تفليس ابليس ان النظام - وهو من أكابر المتكلمين - زعم ان الله تعالى لا يقدر على شيء ، وان ابليس يقدر على الخير والشر ، وهذا القول يدل على تأصل روح المانوية في النظام أكثر منه شطحا (الفرق بين الفرق) .

وجاء في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة : « وكان أبو الفتح ابن محمد الغزالي الواعظ اخو ابني حامد الغزالي الفقيه الشافعي قاصاً لطيفاً وواعظاً مفوهاً وهو من خراسان من مدينة « طوس » قدم بغداد ووعظ بها وسلك في وعظه مسلكاً منكراً لانه كان يتعصب لابليس ويقول أنه سيد الموحدين ، وقال يوماً على المنبر من لم يتعلم التوحيد من ابليس فهو زنديق ، أمر ان يسجد لغير سيده فأبى :

ولست بضارع إلا اليكم وأما غيركم حاشا وكلا

وقال مرة اخرى لما قال له موسى أرني ! فقال لن ! قال هذا شمالك ! تصطفى آدم ثم تسود وجهه وتخرجه من الجنة وتدعوني الى الطور ! ثم تسمت بي الاعداء ، هذا عمالك بالأحباب فكيف تصنع بالاعداء ؟ وقال مرة ، وقد ذكر ابليس على المنبر : لم يدر هذا المسكين ان أغاثير القدر اذا حكمت أدمت ، وان قسي القضاء اذا رمت أصمت ، ثم قال على لسان آدم ينشد في قصته وقصة ابليس .

وكنت وليلى في صعود مع الهوى فلما توافينسا ثبت وزلت

وقال مرة أخرى : التقى موسى وابليس عند عقبة الطور ، فقال موسى : يا ابليس ! لم لا تسجد لآدم عليه السلام ؟ فقال : كلا ، ما كنت أسجد لبشر ، كيف أوحده ثم ألتفت الى غيره ؟ ولكنك أنت يا موسى سألت رؤيته ثم نظرت الى الجبل فأنا أصدق منك في التوحيد . وكان على هذا النمط في كلامه ينفق على أهل بغداد وصهار له بينهم صيت مشهور واسم كبير الى ان قال : وهذا النوع تعرفه الصوفية بالغلو والسطح . وروى عن أبي يزيد البسطامي منه كثير من ذلك قوله :

فمن آدم في البين ومن ابليس لولا كما
فتنت الكل والكل مع الفتنة يهوا كما

وفي شرح النهج ايضا : وكان من المسلمين ممن يرمى بالمرتزة من يذهب الى تصويب ابليس في الامتناع عن السجود ويفضله على آدم وهو بشار بن برد ، ومن الشعر المنسوب اليه :

الشمس مشرقة والارض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار

وجاء في الطواسين ما يوضح عقيدة (الحلاج) في الشيطان قوله :
« ما صحت الدعاوى لأحد ، إلا لابليس واحمد (صلى الله عليه وسلم) غير أن ابليس سقط عن العين واحمد كشف له عن العين » .

وفيه ايضا : قال الحسين بن منصور : لما قيل لابليس اسجد ، خاطب الحق : ارفع شرف السجود عني إلاك ، حتى اسجد له . ان كنت أمرتني فقد نهيتني . قال : فأني أعذبك عذاب الأبد . فقال : أأست تراني في عذابك لي ؟ قال : بلى . فقال : فرؤيتك لي تحملني على رؤية العذاب ، إفعل بي ما شئت . فقال : أجعلك رجيا . قال ابليس : أو است لك بحامد ، افعل بي ما شئت ، وأورد :

ججودي لك تقدس وعقلي فيك تهويس

فمن آدم إلاك ومن في البين ابليس ؟

وجاء فيه قوله : وما كان في أهل السماء موحد مثل ابليس .. حيث ابليس (تغير) عليه العين ، وهجر الألفاظ في السير ، وعبد المعبود على التجريد .. ولعن حين وصل الى التغريد ، وطلب حين طلب المزيد .. فقال له : (اسجد !) - قال : (لا غير !) -

قال : (وأن عليك لعنتي) ، قال : (لا غير) .. (مالي الى غيرك سبيل ، واني محب ذليل) ، قال له : (استكبرت) ، قال : لو كان لي معك لحظة ، لكان يليق بي التكبر والتجبر ، وأنا أنا الذي عرفتك في الأزل (اذاً خير منه) لأن لي قدمة في الخدمة ، وليس في الكون أعرف مني بك ، ولي فيك إرادة ، ولك في إرادتك ، إرادتك في سابقة إن سجدت لغيرك ، فإن لم أسجد ، فلا بد لي من الرجوع الى الأصل ، لأنك خلقتني من نار ، والنار ترجع الى النار ولك التقدير والاختيار .

وفي حوار جرى بين موسى وابليس على عقبة الطور ، قوله عن لسان ابليس : يا موسى ! الفكرة لا تذكر ، وأنا مذكور وهو مذكور ، وذكره ذكرى ، وذكرى ذكرى ذكره ، هل يكون الذاكرون ألامعاً ؟ خدمني الآن أصغى ، ووقتي أخلى ، لأنني كنت أخدمه في القدم لحظي ، والآن أخدمه لحظة ، ودفعنا الطمع عن المنع والدفع ، والضر والنفع ، أفردني ، أوجدني ، حبرني ، طردني لئلا أختلط مع المخلصين ، منعني عن الاغيار لغيرتي ، غيرني لغربني ، حرمني لصحبتي ، قبطني لمدحتي ، أحرمني لهجرتي ، هجرني لمكاشفتي ، كشفني لوصلتي ، وصلني لقطعتي ، قطعني لمنع منيتي .

وحقه ما أخطأت في التدبير ، ولا رددت التقدير ، ولا باليت بتغيير التصوير ، على هذه المقادير تقدير ، إن عذبني بناره أبدأ الأبد ، ما سجدت لأحد ، ولا أذل لشخص وجسد ، ولا أعرف صدأ ولا ولداً ، دعواي دعوى الصادقين ، وأنا في الحب من الصادقين .

قال أبو عمارة الحلّاج وهو العالم الغريب : تناظرت مع ابليس وفرعون في الفتوة . فقال ابليس : « إن سجدت سقط عني اسم الفتوة » .

قال فرعون : « إن آمنت برسوله ، سقطت من منزلة الفتوة » .

وقلت أنا « إن رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة » .

وقال ابليس : « أنا خير منه » حين لم يره غيري غداً - وقال فرعون : « ما علمت لكم من إله غيري » حين لم يعرف في قومه من يميز بين الحق والباطل - وقلت أنا : « ان لم تعرفوه فاعرفوا آثاره ، وأنا ذلك الأثر وأنا الحق ، لأنني ما زلت ابداً بالحق حقاً » .

فصاحبي وأستاذي ابليس وفرعون ، ابليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة البتة ! وان قتلت او صلبت او قطعت يداي ورجلاي فما رجعت عن دعواي .

اشتق اسم « ابليس » من اسمه ، فغير « عزازيل » فالعين لعلو همته ، والزاي لازدياد الزيادة في زيادته ، والالف ازادة في الفتنة ، والزاي الثانية لزهده في رتبته ، والياء يأوي الى سببته واللام لمجادلته في بليته .

قال له : « الا تسجد ؟ يا أيها المهيمن » قال : « محب والمحب مهين ، انك تقول مهين ، وأنا قرأت في كتاب مبین ، ما يجز علي اذا القوة المتين . كيف أذل له وقد خلقتني من نار وخلقته من طين ؟ وها ضدان لا يتوافقان ، وأنا في الخدمة أقدم ، وفي الفضل أعظم وفي العلم أعلم ، وفي العمر أتم .

قال له الحق سبحانه : « الاختيار لي لا لك » - قال : « الاختيارات كلها واختياري لك ، قد اخترت لي يا بديع وان منعتني عن سجوده فانت المنيع ، وان اخطأت في المقال فلا تهجرني فانت السميع ، وان أردت ان أسجد له فأنا المطيع ، لا أعرف في العارفين أعرف بي منك .

لا تلمني فاللوم مني بعيد	وأجر يا سيدي فاني وحيد
ان في الوعد وعدك الحق حقاً	ان في البدو بدو أمرى شديد
من أراد الكتاب هذا خطابي	فاقرأوا وأعلموا بأنني شهيد

هذا ما جاء في الطواسين عن عقيدة الحلاج في ابليس ، وهي لا كمقيدة النظام ومن هو على غرار فيه من انه يقدر على الخير والشر بينما الحق سبحانه لا يقدر على شيء . أو لا يقدر إلا على الخير ، وهي نزعة مانوية صرفة سرت اليهم من المانويين . والحلاج أسمى عقيدة وأنبل قصداً من هؤلاء ، ولا سبيل الى الطعن في عقيدته ، وكل ما يقوله في ابليس هو انه موحد ثابت على توحيده وان كان خالف الأمر وأصر على الامتناع .

والحلاج صوفي إلهي وعالم فيلسوف له لسان لا يفهمه إلا الخواص ، وعندما لم يفهمه بقية الناس ، حكموا بكفره واستحلوا دمه . واكثر المتصوفة في اعتقادهم بابليس هو على

غرار الحلاج - كما رأيناه في ابن الجوزي - ويعملون امتناعه عن الأمر بثباته على التوحيد ، وقد عدوه سيد الموحدين ، وعدده الحلاج صاحبه واستأذه . والحلاج هو أول من وضع هذه النظرية في ابليس وأخذها الغير عنه .

وفي الملل والنحل للشهرستاني (٤٧٩-٥٤٩هـ) مناظرة جرت على لسان ابليس والملائكة تدل على الزام ابليس الملائكة في تبرير موقعه مع الحق تعالى في امتناعه عن السجود الذي أمره به ، وعدم اجابة الملائكة له جواباً شافياً يدحضون به مزاعمه عدا كلاماً مقتضياً بعيداً عن روح المناظرة . وهذه المناظرة اذا كانت تدل على شيء فأنها تدل على ذبوع هذه الفكرة - اي الانتصار لابليس - بين اهل التصوف والمتكلمين في الاسلام وهذه هي :

« أعلم أن أول شبهة وقعت في الخليفة، شبهة ابليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالبرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين . وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليفة وسرت في اذهان الناس ، حتى صارت مذاهب بدعة وضلال . وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة : لوقا ومارقوس ويوحنا ومثي ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع عنه ، قال كما نقل عنه : اني سلمت ان الباربي تعالى إلهي وإله الخلق ، عالم قادر ، لا يسئل عن قدرته ولا عن مشيئته ، فانه مها أراد شيئاً يقول له كن فيكون ، وهو حكيم ، الا أنه يتوجه على مساق حكمته اسئلة . قالت الملائكة وماهي ؟ وكم هي ؟ - قال لعنه الله سبع ، (الأولى) منها : أنه علم قبل خلقي اي شيء يصدر عني ويحصل ، فلماذا خلقتني أولاً ؟ وما الحكمة في خلقه إياي ؟

و (الثاني) : اذ خلقتني على مقتضى إرادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته ؟ وما الحكمة في التكليف بعد ان لا ينتفع بطاعته ولا يتقرر بمعصية ؟

و (الثالث) اذ خلقتني وكلفني فالنزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة ، فعرفت وأطعت ، فلم

كلفني بطاعة آدم والسجود له ، وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي ؟ .

و (الرابع) اذ خلقتني وكلفني على الاطلاق وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم أسجد ، فلم لعنني وأخرجني من الجنة ، وما الحكمة في ذلك بعد ان لم أرتكب قبيحاً إلا قولي لا أسجد إلا لك ؟ .

و (الخامس) اذ خلقتني وكلفني مطلقاً وخصوصاً فلم أطع فلعنني وطرمني ، فلم طرقتني الى الى آدم حتى دخلت الجنة ثانياً بوسوستي فأكل من الشجرة المنهي عنها وأخرجته من الجنة معي وما الحكمة في ذلك بعد ان لو منعني من دخول الجنة لاستراح مني آدم وبقى خالداً فيها ؟

و (السادس) اذ خلقتني وكلفني عموماً وخصوصاً ولعنني ثم طرقتني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم ، فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني ، وتؤثر فيهم وسوستي ، ولا يؤثر في حوهم وقوتهم واستطاعتهم ؟ وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين ، كان أخرى بهم وأليق بالحكمة .

و (السابع) سلمت هذا كله ، خلقتني وكلفني مطلقاً ومقيداً ، وإذ لم أطع لعنني وطرمني وإذ أردت دخول الجنة مكنتني وطرقتني وإذ عملت عملي أخرجني ثم سلطني على بني آدم فلم اذ استمهلته أمهلني فقلت أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ، وما الحكمة في ذلك بعد ان لو أهلكني في الحال استراح آدم والخلق مني ، وما بقي شر ما في العالم ، أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر ؟ .

قال فهذه حجتي على ما ادعيت في كل مسألة ، قال شارح الانجيل فأوحى الله تعالى الى الملائكة عليهم السلام قولوا له انك في تسليمك الأول اني إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص ، اذ لو صدقت اني إله العالمين ما احتكت علي (بلم ؟) فأنا الله الذي لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل والخلق مسؤولون .

ومن يقرأ هذه المناظرة ليأخذ الشك في أمر ابليس وما يرمي به من جحود ونكران

ومخالفة للأمر ، ولا يسمعه من ان يدخله في زمرة الأبرار والصادقين الذين صدقوا في دعواهم ، وهو مخالف للنصوص القرآنية ، إلا ان للصوفية آراء شاذة يعبرون بها بطريقة المجاز لا ينطبق ظاهرها على باطنها مما تدعو الى أقوال شتى عنهم وتؤدي ببعضهم الى الكفر والقتل ، وقد أثرت هذه الآراء الشاذة على عقول كثير من الناس في مختلف العصور فظهر من ولم بأبليس ، وذهب بحقه مذاهب شتى وأصبح محل جدل عظيم ، فعده البعض شيطانا رجيا يستحق اللعنة كما عبر عنه الشرع ، وعده آخرون إلهًا . ومن هؤلاء الآخرين اليزيدية فقد عرفوه إلهًا سواء أكانت نتيجة تأثير هذه الآراء عليهم ام باعتبارهم مانوئين قد ورثوا هذه العقيدة من آباؤهم الأقدمين والاسلام الذي من جانبهم لم يستطع ان يستأصل منهم هذه العقيدة ، وقد غالوا فيه غلوًا كبيراً ورمزوا عنه بتمثال على شكل طاووس او ديك وحظروا على أنفسهم تسميته باسمه إجلالا له وتعظيما وقدموا له القرابين وأخذوا يعبدونه .

ومن هنا نفهم ان ما قيل عن عبادة اليزيدية للشيطان بأنه من نتائج مقاطعة اللعن التي منسوبة عليها الشيخ عدي فانجر ذلك الى احترامهم له واتخاذوه إلهًا خطأ ، وما ذهب اليه احمد تيمور باشا من ان يكون أحد شيوخهم ولع به فشاع بينهم وزادوا فيه ما زادوا لم يكن صحيحا ايضا ومثل هذه الأسباب لا تكفي لأن تولد عقيدة في نفوس قوم تكون أساسا لدين يتبعونه بضعة عصور .

﴿ وجه تسمية (اليزيدية) وتعيين الزمن الذي سموا به ﴾

اختلف الباحثون في وجه تسمية هذه الطائفة باليزيدية وتعيين الزمن الذي سميت به ، فمنهم من علل نسبتهم الى (ايزد) او (ايزدين) الذي يعبرون به عن إله الخير ، ومنهم من ذهب بنسبتهم الى مدينة (يزد) الفارسية التي كانت مركزاً للديانة (الزردشتية) والى أنهم في الأصل منها . وأورد المستر (لا يارد) عن (نوظائيس) المؤرخ اليوناني الذي كان عائشاً في القرن السابع للميلاد العبارة الآتية : « إن الامبراطور هرقلوس خيم بجنوده قريباً من مدينة « يزدم » وظن الماجور « رارلينصن » ان « يزدم » كانت من مدن « حدياب » ، فيقول « مارتان » قد تكون هذه المدينة أول مكان انتشرت

فيه الشيعة اليزيدية.. « ، وعلل القس سليمان الصائغ في مؤلفه « تاريخ الموصل » تسميتهم بانتسابهم الى إله كانوا يعبدونه اسمه « يزد » او « يزدان » مستنداً بذلك على ما جاء في تاريخ « كلدو وآثور » نقلاً عن « توما المرجي » في القرن التاسع للميلاد الذي ذكر في كتابه « الرؤساء » عن أهالي مدينة « موغان » أنهم كانوا يعبدون صنماً اسمه « يزد » فيقول المؤلف : قد يكون فيها ذكره « توما المرجي » أصل تسمية هذه الشيعة باليزيدية على ان كلمة « يزدان » تعني الإله بالفارسية .

وذهب الشيخ علي الشرقي النجفي في مقال له نشر في مجلة العرفان الى ترجيح إطلاق « يازيدية » عليهم بدلا عن « يزيديّة » لبعض اعتبارات وجدها مبررة لهذا الترجيح ، وهذه جميعها تعليقات غير صحيحة ، وقد أراد كل من هؤلاء الباحثين ان يختص بإيجاد نسبة لهذا الاسم منها كان فيه من غرابة وشذوذ ، حتى انك تجد صاحب رسالة (اليزيدية او عبدة الشيطان) يشير في رسالته الى ما ذهب اليه هبة الله الشهرستاني من ان يكون أصل هذه الكلمة « ايزديّة » نسبة الى « يزد » فتولدت الياء الثانية من الكسرة المجاورة فأصبحت « ايزديّة » .

وطالما نعلم ان هذه النحلة كانت في أول أمرها تشيع للأمويين ، وشيخها أموي ، وقد غرس في قلوبهم حب الأمويين ، واعتقدوا بيزيد أنه من أئمة الهدى وأهل الصلاح والتقوى ، ثم عدوه أحد آلهتهم السبعة وعبدوه ، فمن الخطأ ان نترك نسبتهم اليه ونسلك طرقا ملتوية ومظلمة لإيجاد نسبة بعيدة عن الصواب .

فتى وقعت هذه التسمية ؟ فالامام ابن تيمية عندما أرسل اليهم وصيته الكبرى ، لم يسمهم بهذا الاسم ، بل خاطبهم تارة بالعدويين وتارة بالمسلمين المنتسبين الى أهل السنة والجماعة ، وكتابها الدينيان « الجلاوة » و « مصحف رش » لم يرد فيها هذا الاسم مطلقاً ، مع اننا نرجح انها ألفا حديثاً .

وأول من وجدناه ذكرهم بهذا الاسم (١) أبو فراس عبد الله بن شبل بن أبي فراس بن جميل ، فإنه ألف كتاباً عام ٧٢٥ للهجرة (١٣٢٤م) سماه « في الرد على الرافضة واليزيدية »

(١) تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم .

ويجوز ان هذا الاسم أطلق عليهم قبل هذا .

وقد أراد مؤلف كتاب « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم » ان يصعد بتسمية هذه النحلة بهذا الاسم الى ما قبل ظهور الشيخ عدي مستدلاً على ذلك بما ذكره السمعاني المتوفى عام ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) في كتابه « الأنساب » من أنه لقي جماعة كثيرة بالعراق في « حلوان » ونواحيها من اليزيدية يتزهدون ويأكلون الحال وقلموا بخالطون الناس ويعتقدون الامامة بيزيد بن معاوية وكونه على الحق ... اهـ

ونرى من الجائز ان يكون قد وجد أناس يطلق عليهم هذا الاسم قبل ان ظهر الشيخ عدي وكانوا يعتقدون الامامة « ليزيد » وكونه على الحق ، وهم الذين لقيهم السمعاني وحدثنا عنهم ، إلا أنهم شيء واليزيدية الذين ينتمون الى الشيخ عدي شيء آخر . فاليزيدية الذين لقيهم السمعاني مسلمون صرفاً ولم يكن لهم طابع يعيزهم عن غيرهم من الاسلام ، وغاية ما يقال عنهم أنهم غلوا في حب (يزيد) كما غلت الشيعة في حب (علي) وأولاده .

واليزيدية الذين ينتمون الى الشيخ عدي يرجعون الى أصل مجوسي ، وبعد ان أسلموا أخذوا يعتقدون لا بامامة (يزيد) بل بألوهيته ، وأضافوا اليه آلهة آخرين ، وعكفوا على عبادتهم ، ونرى فيهم من المظاهر المجوسية والثنوية ما يجعلنا نقطع بعدم وجود أية صلة لهم قبل عدي ليس باليزيدية الذين ذكرهم السمعاني بل بالاسلام قاطبة . على ان التسمي « باليزيدية » لا يستلزم الانتهاء الى « يزيد بن معاوية » مطلقاً . فقد ظهر خلال العصر الثاني والثالث بيت عرف رجاله (باليزيديين) لم يكن لهم صلة لا بيزيد ولا بالأمويين (١) .

(١) اشتهر من هذا البيت رجال كثيرون كان لكل واحد منهم مكانة عظيمة في اللغة والادب والاخبار والنوادر اختصوا باقتنائهم الى البيت العباسي ، منهم : (ابو عبد الله محمد بن العباس بن محمد اليزيدي (٢٢٨-٣١٠) الذي كان مريباً لا ولاد المقنن بالله الخليفة العباسي وله تأليف منها « مناقب بني العباس » و « اخبار اليزيديين » ، وأبو عبد الله محمد ابن ابي محمد اليزيدي صاحب اليد الطولى في اللغة والقراءة والشعر ، وأبو اسحاق ابراهيم بن أبي محمد اليزيدي الاديب اخذ عن أبي زيد الانصاري والاصمعي وله تأليف عدة (را : قاموس الاعلام مادة يزیدی) وأبو عبد الرحمن عبد الله العدوي بن محمد اليزيدي له الشهرة الواسعة في النحو واللغة أخذ عن الفراء (١٤٤-٢٠٧) ووضع تأليف كثيرة وهو عم الفضل

﴿ في تعيين أصل المذهب اليزيدي وعلاقته ﴾ بالأديان الأخرى

ليس من دين جهله الناس واختلفوا في نشأته وظهوره ومعرفة أصله كالدين اليزيدي على رغم الأبحاث التي قام بها جماعة كبيرة من الكتاب الشرقيين والغربيين ، ولو جمعنا المؤلفات التي وضعوها عنه لأوجدت خزانة كبيرة ، ولأنجد اثنين من هؤلاء الكتاب اتفاقاً على رأي واحد فيه . والسبب أنه ظهر في زمن لم تكن قد دوفت حوادثه التاريخية تماماً والذين شهدوا ظهوره والحوادث التي اكتنفته لم ينتبهوا له أو انتبهوا له ولم يعيروا اهتماماً ، وقد حرص أصحابه على أن يجعلوا سره مكتوماً لئلا يطلع عليه غيرهم فيقف في سبيله وهذا ما أدى إلى أن يغفل الناس أمره ، وكلما قالوه عنه لم يخرج عن دائرة الحسد والتخمين .

وهنا نأتي على ما ورد من الأقوال عن أصل هذا الدين وعلاقته بالأديان الأخرى ، ثم نبين رأينا فيه :

١- يدعي اليزيدية أنفسهم أنهم من نسل الأمويين ، وأن الأمراء والشيوخ يرتقون بنسبهم إلى يزيد بن معاوية الأموي ، وأن ديانتهم سماوية أتى بها يزيد من لدن الآله الأعظم ، وبعد أن استقر في الشام ثلثمائة سنة حارب فيها خصومه وأعداءه وغلبهم ، نشر هذه الديانة وأبطل بقية الأديان من وجه الأرض ، وعلم أولاده القراءة والكتابة وحرّمها على بقية الناس وصعد إلى السماء وسيمود ثانية ، وبملا الأرض عدداً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ويرفع من شأن اليزيدية من جديد وينتقم لها من أعدائها .

أن دعوى اليزيدية بأنهم من نسل الأمويين غير صحيحة ، ولكن لا جدال في أن أمراءهم وشييوخهم أمويون خالصو الدم ، ويرتقون إلى مروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين . وما يعتقدونه في أصل ديانتهم يعد من القصص الخرافية ، وقد حصلت لهم

بن محمد اليزيدي أحد مشاهير النحويين . فاشتهر هذا البيت بهذا الاسم لم يكن معناه أنهم كانوا يحملون العقيدة يزيدية وكونه على الحق وكان اماماً وكان عادلاً ، بل عرفوا به لاختصاص جدهم (أبو يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدي) بتأديب أولاد (يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحسيري) خال المهدي العباسي (را : ابن خلكان) .

هذه الفكرة بعد أن اعتقدوا بأن يزيداً من أئمة الهدى وأولياء الله وكان إماماً عادلاً وجاهد في سبيل الله وغلب أعداءه .

٢- نسب البعض هذه الديانة الى (يزيد ابن أنيسة الخارجي) حتى ان الدكتور جوزيف الاسريكي اتبع هذا الرأي وزعم أنه وضع نظرية جديدة في أصل هذه الديانة .
وزيد ابن أنيسة كان صديقاً للمحكمة الأولى قبل الأزارقة ، وكان يقول أن الله سيبعث رسولا من المعجم وينزل عليه كتابا كتب قبل وسيترك ديانة محمد ويقبّع ديانة الصابئين المذكورة في القرآن . وكان يعد أصحاب الحدود من موافقيه ، وغيرهم كفاراً مشركين وعنده كل ذنب صغير أو كبير هو شرك .

ونسبة اليزيدية الى (يزيد ابن أنيسة) غلط فاضح . إذ أن مبدأه الذي عرف به لا ينطبق وهذه الديانة . فاليزيدية تقول بالحلول والتناسخ وعبادة الشمس والنار والاباحية والخواارج مجتهدون لا يعرفون من هذه الاعتقادات شيئاً . ولم يرو التاريخ ان قد كان لابن أنيسة اتباع وعملوا بمبدئه .

٣- ذهبت طائفة من الكتاب الى أن اليزيدية يرجعون الى القبيلة « التبرهية » من الناحيتين العنصرية والدينية ، وإن والد عدي وإسمه (مسفر بن احمد الكردي) هو تبرهي نسباً وعقيدة وينكرون صلة اليزيدية بأي دين آخر وهذا خطأ منهم ، إذ أن التبرهيين هم قوم وثنيون خرجوا من وراء النهر وأسلموا على عهد الملك « سبكتكين » وحسن اسلامهم ولم يذكر أحد من مؤرخي الاسلام قاطبة خبر مجيئهم الى هذه البلاد عدا ابن العبري في تاريخه السرياني « كرونيكون - سريا كوم » وقد أخذ هذا الخبر عنه راهب يدعى (راميشوع) في منتصف العصر الخامس عشر الميلادي ووضع قصة تاريخية استند فيها عليه وسنبحث عنه في محل آخر .

٤- ذكر مؤلف كتاب « طاؤوس ملك » ر . ه . وأميسن أن بعض الكتاب أكدوا بأن اليزيدية يعتقدون بأنهم من أصل صابئي أو كلداني ، وأنهم من الجاهليين ، وقد التفوا حول يزيد الجاهلي وأصبحوا نواة المذهب اليزيدي وقد عبر عن الجاهليين بالعرب الذين لم يتبعوا تعاليم محمد ومنهم كان الخليفة يزيد بن معاوية .

واتنا لا نريد أن تناقش الكتاب الذين ذكرهم أمبسن فيما ذهبوا اليه عن أصل اليزيدية - والعهد عليه - إذ ليس الغرض هو تعيين أصل اليزيدية من الناحية العنصرية بل من الناحية الدينية ، وما ذكره عن ديانته لا يستحق المناقشة إذ مها بلغ الجمل - لباحد ، لا نعتقد انه ينحط الى هذه الدركة من الهذيان .

٥- جاء في كتاب « عبدة ابليس » انوري باشا والي الموصل : أن « اوزه ن بوري » أحد فلاسفة الغرب يدعي بان اليزيدية ترجع الى (المانوية الثنوية) وأن راحة المانوية تشم منها .

وهو رأي أقرب الى الصواب من غيره وسنتكلم عنه في نهاية هذا البحث .

٦- ذهب السيد عباس العزاوي مؤلف تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم الى ان اليزيدية كانت موجودة قبل الشيخ عدي مستدلاً بذلك على ما رواه السمعاني في كتابه « الانساب » من انه لقي في (حلوان) وحواليها جماعة يقال لهم اليزيدية .

وفات الاستاذ العزاوي أن اليزيدية الذين ينسبون الى الشيخ عدي شيء ، واليزيدية الذين لقبهم السمعاني في حلوان شيء وان كانوا اشتركوا معهم بالاسم . وليس في وسعه أن يؤيد لنا كون اليزيدية الذين لقبهم السمعاني كانوا يحملون في يزيد عقيدة خاصة وكانوا يؤمنونه ويعتقدون بألهة آخرين غيره بل يجوز انهم كانوا يحملون هذا الاسم لاعتبارات قومية أو سياسية ليس إلا .

٧- أتى العالم الخطاط الموصل في مؤلف له عن اليزيدية حكاية طويلة خلاصتها ان الشيخ عدياً عندما أراد الذهاب الى « مكة » لاداء فريضة الحج جمع مريديه وقال لهم انه سيظهر عليكم شيطان في شكل انسان يشوقكم على الانحراف عن ديانته وحذرهم عن أن ينصاعوا له ويعملوا بقوله . ولما ذهب الى مكة وقع ما كان يحاذره وظهر لهم الشيطان على شكل الشيخ عدي وأفهمهم أنه قد نزل عليه الوحي في الطريق ، ورفع عن أتباعه التكاليف وأباح لهم المحرمات والشهوات وعوضهم عن الذهاب الى مكة باداء فريضة الحج بجبل « لالش » فانصاعوا له وأخذوا يعملون بما أشار عليهم به ، وهكذا خرجوا عن طريقتهم وسلكوا طريقاً مخالفاً للإسلام . وعندما عاد الشيخ عدي من مكة بعد أربع

سنين قضاها في مجاورة الرسول ، رأى ما حل باتباعه من الضلال والزيغ ، فحزن حزنا عظيما وأخذ يبذل لهم الوعظ والنصيحة بغية إرجاعهم الى سيرتهم الاولى فأعرضوا عنه وأخرجوه من بينهم وهكذا مات كمدآ .

والتفريق في هذه القصة ظاهر وهي خرافية أكثر من أن يكون لها صلة بالحقيقة . ويكفي لتكذيبها بقاء هذه الطائفة متمسكة بطريقتها بعد وفاة الشيخ عدي بزمن بعيد . وفي وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة الشيخ عدي : إن حفدته الى الآن بموضعه يقيمون شعاره ويقتفون آثاره والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وعظيم الحرمة .

٨- ذهب البعض الى أن الذي تمثل بشكل عدي وحل بين أتباعه بعد ذهابه الى «مكة» لم يكن ابليس بل راهبا نسطوريا من دير « القوش » اسمه « آدى » او « أدای » وهو الذي قام بالدور الذي ينسبونه الى ابليس ووضع لهم كتاب (الجلوة) الذي جاء موافقا لميولهم ودعاهم للعمل به وبذلك أخرجهم عن دينهم .

وهذه الدعوى مهدودة لعين الأسباب التي شرحتها آنفا ، كما ان علماء النصارى ينكرون صحة ظهور راهب من دير القوش قام بهذا العمل .

٩- حاول البعض إرجاع البيزيدية الى النصرانية ونفى علاقتها بالاسلام مستدلين على ذلك بما زعموا أنهم وجدوه من بعض المظاهر النصرانية فيها كالعماد والاعتقاد بالمسيح واحترام البيع والكنائس الى غير ذلك .

وقد عللنا في غير موضع بان هذه المظاهر لا أثر لها في البيزيدية مطلقا ، وننفي ما يقال عن اعتقادهم بالمسيح واحترامهم البيع والكنائس نفيا باتا ، وكذلك عملهم بالعماد ، وقد سبق تعليله .

١٠- أراد أحد كتابنا الأفاضل ان يقارنهم بالباطنية السبعية لقولهم بالباطن والظاهر والنسخ والحلول ولأنهم يحترمون عدد السبعة كجعلهم السناجق الموجودة عندهم سبعة ، والملائكة المدبرين لهذا العالم سبعة ، وأيام التكوين سبعة ، وتعبيرهم عن المسلمين بالاسماعيلية اقتداء بالسبعية القائلين بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهذه جميعها

مردودة كما سيأتي البحث عنها .

هذه جملة من آراء الباحثين في تعيين أصل البزيرية ، وترى أن كل واحد منهم اتبع رأيا لا يتفق والآخر وجميعهم لم يتوصلوا الى الحقيقة ، ومنهم من لمسها وحاد عنها ، وآخر جهلها واتبع رأيا على جانب من السخافة كالذي عد يزيداً جاهلياً فالتفت حوله أمثاله الجاهليون وأصبحوا نواة للمذهب البزيري . أما « اوزهن بوري » فهو أكثر إصابة من غيره إذ اشتهم بجدسه وفطنته رائحة (المانوية) من هذا الدين وأرجعه اليها .

وهذا هو الصحيح ، والى القاري بيان ذلك :

من دواعي الأسف أنه لم يكن لدينا ما يدل على حقيقة الدين الذي كان يتبعه سكان المنطقة الغربية من جبل هكار عندما وفد الشيخ عدي بن مسافر الأموي اليها بصورة صحيحة ، وهل كان الاسلام قد انتشر بين سكانها وعرفوه ؟ ام لم يكن قد انتشر بينهم ولم يعرفوه ؟ ام عرفوه ولم يتبعوه ؟ أما النصرانية فكانت قد انتشرت بينهم وأقبلوا عليها ، وكان لها أديرة وكنائس كثيرة (١) ، وهناك دين آخر وهو المجوسية التي كان سكان الجبال يدينون بها بصورة عامة الى ان ظهر الاسلام فهل كان قد أفل نجمها وزالت ام لا تزال باقية ويدين بها قسم من الناس ؟ فالتاريخ يدلنا على ان الاسلام بعد ان انتشر في بلاد فارس والعراق لم يقض على المانوية تماماً وقد بقي أثرها في كثير من بلاد فارس وفي عاصمة الخلافة الاسلامية ، وعلى زمن المقتدر بالله (٢٨٢-٣٢٠هـ) أجلوا أصحابها عن العراق بعد ان قتل البعض منهم وعذب الآخرون ، فهل شمل هذا الاجلاء أصحاب هذا الدين في العراق كافة ، ام بقي منهم أناس في الأماكن النائية ولم ينتبه أحد لهم ؟ فالذي يلوح لنا ان الشيخ عدياً بن مسافر الأموي عندما جاء جبل هكار ونشر طريقته وجد أناساً يدينون بهذا الدين وقد انقطعوا في هذه الجبال وهم وجلون من سلطة

(١) لا يزال كثير من المواقع في هذه المنطقة يسمى باسماء اديرة قديمة مندرسة ، منها : قرية « دير آلوش » وقرية (ديرا خطرا) واهلها مسلمون ، ومضيق (كلي ديري) اي مضيق الدير يذهب منه الى ناحية (برواري السفلى) وهو عظيم جداً ، ويوجد آثار دير قائمة في قرية (بيدول) على نهر اتروش . ومن الاديرة ما هو غير مندرس كالتى في قرية (بيدوزى) و (ميزى) و (آرخ) و (هرماش) و (تله) واهل هذه القرى نصارى . وعلى راس جبل الخير آثار ابنية قديمة ومثلها في جبال اخرى في الزردية لا نعلم هل كانت آثار اديرة قديمة ام غير ذلك .

حكومية تقتفي أثرهم وتوقع بهم ، فبذل لهم النصيح والارشاد ودعاهم الى الاسلام وحسن إسلامهم واعتنقوا مبادئه وأصبحوا من خيرة مريديه ، نستدل على ذلك بما جاء في مقدمة الكتاب الأسود ، وهو ثاني كتب هذه الطائفة الديني وهو : « في زمن المقتدر بالله سنة ٢٩٩ هجرية كان المنصور الحلاج والشيخ عبدالقادر الكيلاني ، في ذلك الوقت ظهر انسان اسمه الشيخ عدي في جبل الهكارية » فهذا الكلام على رغم ما فيه من خبط وخلط ومسح وتشويه يدلنا على ان لليزيدية ذكريات قديمة ترجع الى عهد المقتدر بالله بالوقت الذي لا يعرفونه ولم يكن لهم صلة به . فما هذه الذكريات التي يرجع مؤلف الكتاب الأسود اليها وينوه بذكرها ؟ والجواب على ذلك نجده في الفهرست لأبى النديم ، فانه قال : « لما انتثر أمر الفرس وقوي أمر العرب عادوا (اي المانويون) الى هذه البلاد لاسيما في فتنة الفرس وآخر ما انجلوا في أيام المقتدر فانهم لحقوا بخراسان خوفا على أنفسهم ، ومن بقي منهم ستر أمره ، وتنقلوا في هذه البلاد وقد قلوا في المواقع الاسلامية » .

فأبى النديم يدلنا بكلامه هذا على ان المانويين عادوا الى هذه البلاد بعد فتنة الفرس ، وقد أجلوا آخر مرة على زمن المقتدر بالله ولحقوا بخراسان وقد نوه صاحب الكتاب الأسود بهذه الحادثة وجعلها رأس تاريخ لما لأصحاب هذا المذهب من علاقة بهم ، وربما يكونون هم الذين « بقوا في هذه البلاد وسترأوا أمرهم » وانزروا في هذه البقعة بعد ان وجدوها خير مأوى لهم ، او لم يكونوا منهم بل كان لهم أوامر مبدأ وعقيدة تربطهم بهم ، وقد تأثروا من هذا الاجلاء وأخذوا يذكرونه ، وإلا فما هي علاقة واضع كتاب الأسود بالمانويين وجعل ظهور الشيخ عدي على زمن (المقتدر بالله) الذي تم هذا الاجلاء على عهده ؟ .

ورب قائل يقول أن الشيخ عديا عندما جاء جبل هكار لم يكن للعنوية أثر فيه وأن الذين اتبعوه هم اسلام صرف من العرب والاكراذ الذين يدينون بحب يزيد وسلمنا بهذه الدعوى ، فلماذا نجدهم بعد ان ابتعدوا عن الاسلام ظهرت عليهم المانوية بكل صورها وأعادوا دور (ماني) بشكله ورسومه ؟ فهل يجوز لنا القول أن ذلك دخل

عليهم عرضاً أم تلك تقاليد صوفية أسأؤوا فهمها ؟
وصفوة القول : أن المانوية هي أساس هذا الدين ومنها ولد وظهر للوجود ، وقد بقي
زمننا منصيفاً بصبغة الاسلام ، ثم زالت عنه هذه الصبغة بنتيجة الأحداث التي لحقت
به ، إلا ان لونها لا يزال باقياً . والزمن كفيل بإيقاظ أصحابه من رقدهم بعد ان
ينالوا نصيبهم من العلم الذي حرموا منه زمناً وبقبوا المكانة التي يستحقونها في المجتمع .
﴿ الزيدية في نظر الباحثين الغربيين ﴾

يجهد الكتاب الغربيون قرائحهم لمعرفة أصل الزيديين ، وكيف عرفت ديانتهم ، وهل هم
مستقلون من الوجهة العنصرية والدينية ، أم لهم قرابة مع الأديان والعناصر الأخرى .
فالبروفسور آي . في .. وجاكسن في جامعة كولمبيا والمؤلف الشهير عن الأديان الإيرانية
يذهب الى أن الديانة الثنائية شكلت مبدئياً بعض المشابهات بين الديانتين الإيرانية
والزيدية ، ولكنه بعد ان أبدى هذه النظرية وقف موقف المتشكك وأخذ يتساءل هل
ان الديانة الزيدية عرفت في بلاد ايران أم في كردستان ؟ ويجيب بنفسه على هذا السؤال
بقوله : أن كثيراً من الوثنيين الإيرانيين عبدة النار والشیطان والزر وسترين (الزردشتيين)
انقادوا ودانوا بالديانة الجديدة كأنها ديانتهم الخاصة . وقد يدل كلامه هذا على ان
الزيدية ظهرت بشكلها وتعاليمها في بلاد ايران ومن هناك انتقلت الى سائر المواقع التي
نجدها فيها الآن .

ويضيف « أمبسن » الى نظرية البروفسور جاكسن ان الطرق الدينية الزيدية
والمجوسية القديمة نشأت من الزرادشتية ، والتاريخ الزيدي الحديث متأثر من احتكاكهم
بالمسيحيين وخضوعهم الجزئي للحكم الاسلامي الذي سبب بعض التغيرات في عقائدهم
ثم يقول : ولا نعلم اذا كانت الأبحاث في المستقبل سوف تعزز هذه النظرية ، او تظهر
نظريات أخرى أصبح منها ، فلندع ذلك للمستقبل .

ثم يقول : ولأجل ان نصل الى نتيجة قطعية في أصل المذهب الزيدي نحتاج الى
دراسة وثيقة في احوال الشعوب لأن ذلك هو الطريق المؤدى الى معرفتها في آسيا
الصغرى أكثر من اتباع لغتها وديانتها . ويقول : ان الزيدية الدين لا يعرفون إلا النزر

القليل عن أنفسهم لهم تقاليد تنبيء بأنهم وفدوا من البصرة وهاجروا الى سوريا وقطنوا
اخيراً في سنجار، والتلال التي يقيمون فيها الآن، وليس لديهم أدلة أقل أو أكثر من ذلك.
ويقول : يؤكد بعض الكتاب بان اليزيدية لهم عقيدة خاصة بأنهم من أصل صابئي أو
كلداني ولكنهم يدعون بان كثيراً من تعاليمهم مستمدة من مذاهب أخرى ، ولا يزال
الكلدانيون المسيحيون والصابئيون يقيمون في العراق، والاخيرون يسكنون شواطئ
الفرات ، ومعهم أنهم أبرياء من عبادة الشيطان فليدبرهم بعض عادات مشتركة وبالأخص حفلة
التقدبس .

ويقول : وكاتب آخر يسمى ليوصل اليزيدية الذين هم كثيفو الشعر بالآشوريين الذين
نرى عادة في تماثيلهم اللحي الكثيفة ، وبالنظر الى قلة المستندات والجهل المستولي على
الشعب اليزيدي لم يتمكنوا أن يحصلوا على أية نتيجة عن أصلهم .
وبعد أن أتى على الاسطورة المنقولة عنهم بأنهم ليسو من سلالة هذا البشر منشأ ،
بل هم من أبناء آدم بينما باقي البشر هم أبناء آدم وحواء وان أمهم حورية هبطت من الجنة
وتزوجها آدم وتناسلوا هم منها ، قال : أن هذه المعلومات وان كانت متضاربة ومربكة
لكنها ثابتة . فاليزيدية هم خلف للوثنية القديمة وقد أخفوا ديانتهم ليتخلصوا من
الاضطهاد ، وكانوا دائماً يتجنبون المسلمين الايرانيين والعراقيين الذين لعنوهم لسبب
أعمالهم التي كانوا يعدونها حقيرة والتي تعود الى خليفتهم يزيد بن معاوية مؤسس ديانتهم .
هذا من ناحية تعيين أصل اليزيديين ، أما من ناحية تسميتهم فيقول :

ينسب بعض المسلمين اسم اليزيدية الى اتباع الخليفة الأموي (يزيد الأول) الذي
خلف أباه (معاوية ابن أبي سفيان) وهو الثاني من الخلفاء الأمويين الأربعة عشر ،
وكان معاصراً وتلميذاً (حواريا) لمحمد . ولكن لا يوجد برهان على أن (يزيد) أسس
خلال الثلاث سنوات ونصف من حكمه (٦٨٠ - ٦٨٣) ديانة جديدة أو اتبع ديانة
محمد .

ويقول : ويعتقد اليزيدية أنهم من سلالة الخليفة يزيد ، وهذا مما يدل على جهلهم ،
ليتخلصوا من اضطهاد السنة الذين لا يحلون « الحسين بن علي » كما تجله الشيعة ولرغبتهم

في الانتساب الى شخصية شريفة وممتازة (ص ٣٠).

ويقول : قال كاتب مجهول ان العرب الذين أتبعوا (محمدآ) أسموا الذين لم يتبعوا تعاليمه بالجاهليين ومنهم كان الخليفة (يزيد بن معاوية) وقد التف كثير من الجاهليين حوله وأصبحوا نواة للمذهب اليزيدي (ص ٣١).

ويقول : وبعض اليزيدية أنفسهم يؤكّدون بان مذهبهم لم يحمل قبلاً هذا الأسم ويقولون انه عندما دب الشقاق في ديانتهم ظهر خليفة يدعى يزيد بن معاوية وإمرأة مسيحية سمعت بالشيخ عدي وذهبت اليه ، واعتنقت ديانته وعلمتها أتباعه (ص ٣٦).

ويقول : ونظراً الى نظرية معاوية وهي : الأسطورة التي يروونها عنه من أنه كان خادماً لبني الاسماعيليين محمد (ص) وعندما كان يخلقه جرحه من رأسه وخوفاً من ان يراه لسع الدم بلسانه وهناك قال له محمد لقد أخطأت وسوف يأتي من صلبك من يكون عدواً لأمتي ، وإجابته له بأنه سوف لا يتزوج أبداً ، وأخيراً عندما تسلطت العقارب عليه ولدغته من وجهه جزم الأطباء بموته إن لم يتزوج ، فتزوج إمرأة في الثمانين ليأمن حبلها ، وفي اليوم الثاني ظهرت فتاة في ريعان الشباب وحملت (يزيد) ، فالسر جي . جي فريزر هو أكثر إصابة من بادجر في قوله بأن اسم اليزيدية أعطي الى هذه القبائل من قبل المسلمين للاستهزاء والسخرية ، وبادجر افترى بأنهم انتخبوا هذا الاسم لمسايرة تعصب الحكام المسلمين .

ويقول : ان الاعتقاد السائد بان اسم اليزيدي كان قد وضع من قبل الشيخ عدي بن مسافر الذي توفي سنة ١١٦٢ والذي يرجع المذهب الحاضر اليه ، ولكن بلا شك ان هذه العناثر كانت موجودة قبل ظهوره بزمن بعيد .

ويقول : وقد وضع الدكتور جوزيف الأمريكي قبل بضعة سنوات نظرية جديدة ومفيدة وهي أن اليزيدية هم أتباع « يزيد بن أنيسة » الذي كان صديقاً للحكمة الاولى قبل الأزارقة والذي كان يقول ان الله سيرسل رسولا من المعجم وينزل عليه كتابا كتب قبلاً ، وسيترك ديانة محمد ويتبع ديانة الصابئين المذكورة في القرآن . ونحن لا نريد أن نناقش هذه الآراء واحدة فواحدة وندل على موضع الخطأ فيها

إذ الخطأ يدل على نفسه بنفسه ، ومثلاً ما أكده بعض الكتاب من أن لليزيدية عقيدة خاصة بأنهم من أصل صابئي أو كلداني ، أو أنهم من الجاهليين وقد التفوا حول يزيد الجاهلي وأصبحوا نواة للمذهب اليزيدي ، أو أن لهم تقاليد تنفي بأنهم قدموا من البصرة وهاجروا الى سوريا ، وهذه كلها أقوال فارغة ليس لها قيمة من الناحيتين التاريخية والعلمية . وغريب جداً ان نجد البعض من هؤلاء الباحثين يذهبون مذاهب غريبة في بعض المسائل وآخرون يطلبون ويزمرون لهم بأنهم وضعوا نظريات جديدة ومفيدة كأنما عميت أبصار غيرهم عنها ، كمنظرية الدكتور جوزيف الذي يريد بها إرجاع اليزيدية الى مذهب « يزيد بن أنيسة » الخارجي وليس بين اليزيدية ومذهب هذا الخارجي أية صلة أو علاقة .

وإذا كان فيها ذكر هؤلاء الباحثون شيء من الحقيقة فهو علاقة اليزيدية بالزردشتية فقط ، ولكن هذه العلاقة قديمة ترجع الى زمن بعيد جداً أي قبل ان أصبحوا يزيديين وعرفوا بهذا الاسم ، وهم في الحقيقة مانويون كما يظهر لنا من اعتقاداتهم وأصول ديانتهم والمناوية هي التي خلفت الزردشتية في هذه البلاد وفي بلاد ايران وعاشت زهاء عشرة قرون . وطالما سماهم أميسن بالزرادشتيين ، فلا نرى بأساً في مجارته بتسميتهم بهذا الاسم . ولكن اذا وافقناه على هذا فلا نوافق على ان اليزيدية ظهرت في بلاد ايران ومن ثم انتقلت الى سوريا والعراق وآسيا الصغرى ، بل ولدت في الشيخان « قريباً من الموصل » وترعرعت في ربوعه ، وعندما ضاقت بها الأرض وحل ما حل بها من الولايات والنكبات هاجرت الى مواطن أخرى واستقرت فيها . نقول ذلك مع علمنا أن وطن الزرادشتية وكذلك المناوية القديم هو بلاد ايران ، ولكن يجب ان لا ننسى أن بلاد ما بين النهرين وكرديستان ايضاً كانتا موطناً لهاتين الديانتين .

والحقيقة التي لا جدال فيها أن اليزيدية ولدت في الشيخان من أبوين زرادشتيين وقد كفل تربيتهما الاسلام وأرضعها تعاليمه ومبادئه طمعاً بان يخلصها من شرك الوثنية ، وقد شبت على المباديء الاسلامية ، ولكن سرعان ما عادت الى سيرتها الأولى لفقدان الدين كفلوا تربيتها وانتقال أمرها الى أناس لم يكن لهم حظ في الاستمرار الى النهاية على

تهذيبها . ومن الطبيعي إن أخذت كثيراً من تعاليم الاسلام عندما ترعرعت في أحضانها وتأثرت بها من وجوه عديدة دينية كانت أم أخلاقية أم اجتماعية ، يبدو ذلك بالمقارنة بينها وبين الزرادشتيين الذين لم يتأثروا بهذه التعاليم ، وهؤلاء يقيمون في بلاد فارس وفي « بمبي » في الهند (١) .

نعم لقد عاد هؤلاء الى ديانتهم القديمة بعد ان تحولت وخرجت عن أصلها بنتيجة الاحتكاك الذي حصل لهم بالاسلام قرناً وبعض قرن وأصبح من حق الاسلام ان يطالبهم بما له من حق الكفالة والوصاية عليهم وأصدر أحكاماً قاسية بحقهم حيث أخذ يعرفهم بالمرتدين . وقد كان لهذه الأحكام أثر شديد في حياتهم الاجتماعية خلال بضعة قرون مرّت عليهم .

ومن الخطأ ان نعتقد أن الشيخ عدياً هو الذي سماهم باليزيديين ، أو أنهم كانوا يحملون هذا الاسم قبل ظهوره ، بل أعطي لهم من كتبة الاسلام في مبادي القرن الثامن الهجري وربما قبل ذلك بزمان قليل ، ولكن ليس بقصد الاستهزاء والسخرية ، ولا أنهم انتخبوا هذا الاسم لمسايرة تعصب الحكام المسلمين .

وعلى أثر إرجاعنا ايام الى الزرادشتيين يجب ان نتوصل الى معرفة جنسيتهم ، والزرادشتية ليست اسم لجنسية بل لديانة تضم كثيراً من الأجناس والعناصر أكان في بلاد فارس أم في العراق . والحق ليس لدينا مستند يدلنا بصورة صحيحة وأكيدة على أصل هذه الطائفة ، وقد تبدو لنا آراء نقصها على القاري . وكلها لا تخلو من فائدة (٢) .

١- بالدرجة الاولى أن يكونوا من الأكراد ونعلم أن محل ظهورهم ونشأتهم هي البلاد التي تسكنها الأقوام الكردية منذ القديم . وقد أدخلهم جميع الباحثين في خرائط وكشوفات الطوائف الكردية، وقد جاء في مفصل جغرافية العراق لطله الهاشمي (ص ١٠٩):

(١) قدر بعضهم عبدة النار الان في فارس بـ ٨٥٠٠ نسمة ، وفي (بمبي) وغيرها من بلاد الهند بما يقرب من مائة الف .

(٢) سنفرد بحثاً خاصاً عن اصل هذه الطائفة وجنسيتها ولغتها ، وما علقناه هنا لم يكن الا بسائق متابعة البحث .

«اليزيدية من الشعب الكردي».. ويعبر عن يزيدية الشيخان «بالداسنيين» والداسنيون هم الاكراد الذين كانوا يوجدون في سلسلة جبال «داسن» وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمه وتطلق الآن على جبال المزورية وإذا صحت نظرية الاستاذ «اولمستيد» بان عشيرة منوري ترجع بالأصل الى عشيرة «مسوري - موسري» الآشورية التي كانت في عهد الملك «مناخريب» فيما بين رافدي نهر «الحازر» يمكننا القول بان يزيدية الشيخان هم أحفاد تلك العشيرة الآشورية التي كانت تعيش في فجر التاريخ في هذه المنطقة.

أما يزيدية سنجار وطور عابدين وديار بكر وحلب وموش وسمرقند وبديليس وماردين الى ما وراء حدود وان فبلاد القوقاس لا جدال في أنهم يرجعون الى سلالات كردية وهم بالأصل من شعوب سلسلة جبال «زاغروس» الذين وجدوا في هذه الجبال منذ أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة سنة (١).

٢- يجوز أن نعدهم خليطاً من الآشوريين والميديين أصحاب هذه البلاد الأصليين وقد أثبت التاريخ أن الميديين وغيرهم من الشعوب الآرية وفدوا حوالي القرن العاشر والتاسع، وعلى رأي «كرزون» في القرن العشرين قبل الميلاد الى جبال زاغروس وأوقعوا سكانه الأصليين تحت سلطانهم، فغلبت جنسيتهم عليهم ومثلوهم بهم، ولما انقرضت دولة «آشور» على يد حكومة فارس والميديين سنة ٥٣٨ ق. م كان من الطبيعي أن يندمج الشعب الآشوري في الشعب الميدي لأن لم يكن كله نجس منه، والأكراد هم أحفاد الميديين (٢).

٣- من المؤكد أنه يوجد بينهم عرب حافظوا على جنسيتهم وهم طبقة الروحيين، وهؤلاء وإن أصبحوا أكراداً غير أنهم لا يزالون يحافظون على عنصريتهم ولم يخالطهم دم أجنبي (٣).

٤- أما يزيدية سنجار فيمكننا أن نستدل من الأخبار التاريخية والتقليد الجاري أنهم

(١) تاريخ الكرد وكردستان لامين زكي بك.

(٢) ميزوبوتامي - لاسير ولسن ١٩١٧-١٩٢٠ ص ١٢٧

(٣) را: البحث عن الطبقات الروحية.

وفدوا الى هذا الجبل من أما كن مختلفة في مبادي العصر التاسع الهجرى أى بمد غارة
«تيمولنك» بشي قليل وهم أكراداً قحاح خالصوا الدم ، وقد امتزجوا بسكان الجبل - ل
النصارى الآراميين والعشائر العربية المسماة بمد أن أرغموهم على قبول دينهم واختلط
دمهم بدمهم على خلاف يزيدية طورعابدين الذين حافظوا على دمهم .



الأمير سعيد بك وحاشيته

في مراقبهم أممهم ومسائهم

في الشيخان وسنجان

اتجه البشر في أدوارهم الأولى الى عبادة العناصر الطبيعية كالسما والشمس والقمر والنجوم والكواكب والسحب والارياح واتخذها آلهة معبودة ، ثم سارت الى جانبها عبادة الأسلاف والأبطال ، وأصبح لكل قبيلة وأمة آلهة يعنون بعبادتهم ، وعبادة الأسلاف والأبطال يراد منها الاستمداد من عظماء البشر وقادتهم الذين يحسبهم الناس قادرين على المعجزات والحوارق وتغيير حوادث الطبيعة التي ترهبهم وتخيفهم ، ومن هنا نشأ الاعتقاد بتقديس الأحجار والأشجار وفصائل الحيوانات وغيرها بصفتها تمثل هؤلاء الأبطال ، وكذلك عقيدة التناسخ والحلول وعملت بها معظم الأمم والأقوام في أدوارها الابتدائية وعندما ارتقى البشر وظهرت الشرائع التي ترمي الى عقيدة التوحيد لم يخلص من عبادة الأبطال نهائياً ، وقد اتخذت البوذية والزرادشتية والمناوية والمزدكية والمرفونية والتناسخية وغيرها هذه العقيدة ركناً أساسياً لها ولازماتها في جميع أدوارها ، حتى الاسلامية لم تتخلص من هذه العقيدة التي تغلغلت عند عوامها نتيجة الاحتكاك الذي حصل لها مع أصحاب هذه المذاهب ، فانا نراهم يستمدون العون من قبور الأولياء والصالحين .

واذا رأينا البريذية تنجح الى هذه العقيدة وتتخذ لها آلهة من أشخاص أبطالهم وتمكف على عبادتهم فلا غرابة في ذلك ، والاسلام الذي مر عليها سروراً لم يستطع ان يبحث منها هذه العقيدة ، فأصبح لا يجوز للبريذي ان يحل بقعة من الأرض ما لم يكن له فيها نصب يرمز الى أحد شيوخه وأئمة الذين يعتقد فيهم حلول الألوهية ليكون له شفيعاً عند معبوده الأعظم ويدفع عنه الحن والآلام والنواب ، فاذا ما حللنا مجتمعاً بريدياً واسماً نرى فيه مجموعة من القباب الضخمة قد شيدت على أضرحة من يعتقدون فيه حلول الألوهية من أسلافهم ، وهي على شكل القباب التي نراها عادة على

أضرحة رجال الاسلام ، ولا فرق بينها من حيث الغاية ، وزادوا على ذلك ان اعتقدوا بكثير من الأشجار والأحجار ، وسجدوا لكل مكان شريف ، واجتنبوا وطء الوادي الذي فيه قبر الشيخ عدي بنعالمهم ، وزاروا مبانيه المتداعية ولثموا أحجارها وعفروا وجوههم بترابها ، وقبلوا عتبة حجرة الامير ، وأعتاب حجر بقية البيرة والمشائخ ، وقدموا لسادن كل مرقد نذورهم وهباتهم وخيراتهم ، وأوقدوا السرج والشمع كل أربعاء وخميس ليس لأصحاب هذه المزارات فحسب بل لكثير من الاحجار والاشجار والمباني المتهدمة والرسوم الدارسة في وادي لالش المقدس ، واتخذوا هذه المراقد مستشفيات يأتون اليها بمرضاهم وذوي العاهات منهم لينالوا الشفاء من الراقدين فيها ، وهنا نذكر أهم المراقد الموجودة في الشيخان وسنجار .

﴿ المراقد والمزارات الموجودة في الشيخان ﴾

محمد رشان : يقع في سفح جبل مقلوب محاذيا لقرية (كليشين) وقد ذكره صاحب قلائد الجواهر باسم (محمد رشا) وقال عنه انه كان له صحبة أكيدة مع الشيخ عدي بن مسافر وكان يسميه بالكرددي ، وأسرته يتولون الآن سدائته ويعرفون بـ (بيرة محمد رشان) ، ويعتقد مسامو تلك الارجاء بتصرفاته ولا يخلفون به كذبا ... ويذهب البزيدية اليه في احتفالات شائعة في السنين المجدية لاجل الاستسقاء ويكون على رأسهم الامير وطائفة من الشيوخ والبيرة والكواجك ويقدمون له القرابين ويبقون ليلة ضيافته ويعودون في اليوم التالي ، ويعتقدون ان الامير او أحد أفراد أسرته يذهب ضحية هذه الزيارة في تلك السنة .

عبدرش : في قرية (كندالة) ومعناه العبد الاسود ، يزعمون أنه كان خادما للشيخ عدي وقد أطلعه على كثير من الاسرار ، وأدخله في زمرة الأولياء الأخيار .

الشيخ محمد : في قرية (كرخالص) وهو جد الأمراء الحاليين ويتصل نسبه بالشيخ أبي بكر وبسميه البعض بالشيخ محمد الكردي الاربلي ويعتقدون ان ترابه ينفع الرمد والقروح .

شيخ حنتوش : في (قرية عين سفي) ويسمونه : (شيخ حنتوش عربي) يعزون

اليه كثيراً من الكرامات ويعتقدون أنه اذا دفن يزيدي قريباً من قبره تلفظه الارض الى مكان بعيد ، وكان ان صادف موت أربعة أشخاص في قرية (عين سفني) بمرض التيفو قبل بضعة سنين فعزوا ذلك الى غضب الشيخ حنتوش عليهم لتفوط أحدهم قريباً من قبره فسارعوا الى إزالة الغائط .

وفي اليوم الرابع من هذه الحادثة أطلق شخص مجهول رصاصة على الأمير سعيدبك في مرقد الشيخ عدي جرحه في ساعده فعمروا عن ذلك بغضب الشيخ حنتوش عليه لأنه لم يلب طلب أهل عين سفني وذهب معهم الى مرقد الشيخ عدي ليتشفع به لرفع غضبه عنهم ، فسارعوا الى استرضائه بتقديم أربعة قرابين اليه .

الشيخ شمس : ويراد به الشيخ شمس الدين أبو محمد الحسن بن عدي الثاني واليه يرمز وضع هذه الديانة ، ويعرفه القوم تارة بالشيخ شمس الدين البترزي وأخرى بشمس يزيد بن أي شمس الآله .. له مزار نخم على ربوة عالية في قرية عين سفني وفي مواقع مختلفة في الشيخان وسنجان سيأتي ذكرها ، وقبره الحقيقي في المسجد المسمى باسمه في محلة الشيخ محمد بالموصل .

الشيخ منذ : في قرية عين سفني وهو من آباء طائفة من الشيوخ ، وروى لي أحد القوالين ولم أتأكد كده أن له مزار نخم في حلب .
الشيخ خال شمسان : في قرية عين سفني .

الشيخ امشاح : في قرية اشكفتيان يعمل الأمير له كل سنة «طوافه» يحضرها خلق كثير من اليزيدية والمسلمين ويقال انه من تلامذة الشيخ عدي ، وقد حل عليه ضيفاً عند مجيئه من «بعلبك» وبقي في ضيافته أربعين يوماً .

الشيخ نجر الدين : في قرية مام شقان .

الشيخ سن : في قرية ابيسان .

الحاجي رجب : في قرية بيرستك (١) .

(١) ذكرها صاحب الفلاند باسم (بيرستق) تقع في صدر الجبل الحاذي (عين سفني) على طريق باعذرة . كان للشيخ عدي فيها جامع وزاوية وقبرها قرية (بروق نبي فضل) نعتقد انها قرية (ابيسان) الحالية .

بيرافات : في قرية كيس قلعة .
 بيرمند : في قرية الجراحية (١) .
 شيخ محمد : في قرية دوغات .
 الحاج فارس : في قرية خطارة ويسمونه « حكي فيرس » .
 الشيخ سيباطي (٢) : في قرية باطط المسامة ومتوليه « الشيخ عبدال بن الشيخ عاشور » من قرية « بايره » وله مقام في مرقد الشيخ عدي .
 شهسوار : في قرية يبيان وهو محرف من (شاه سوار) أي فارس الفرسان .
 مهذار : « بوزان وهو اسم لجبانة كبيرة تضم قبور كثير من الصالحاء منذ القديم .
 شرف الدين : في قرية بيت نار .
 الشيخ عنزروت : في قرية على قمة الجبل بين (اشكفتيان) و (مرقد الشيخ عدي) .
 الشيخ شمسان : في قرية في سفح جبل مقلوب قريباً من قرية (جرش) المسامة يدعون ان الفريق عمر وهي عندما هدم قباب أوليائهم في الشيخان عجز عن هدم قبته وخرج منها نور أو شك ان يحرق القائمين بأعمال الهدم .
 ملك ميران : في قرية بعشيقه وله مقام في مرقد الشيخ عدي ، ويعدونه من أبرار اليزيدية .
 ناصر الدين : في قرية بعشيقه .

(١) تقع على بعد ساعة غربي قرية (باعذرة) كان فيها قلعة للامير (ابراهيم المهراني) لا تزال آثارها باقية ، و ابراهيم المهراني هذا كان معاصراً للشيخ عدي بن مسافر ومن تخلصيه . - القلائد -
 (٢) بامالة الطاء يعتقد اليزيدية انه محرف من (شخصي باطلي) او (شقصي باطلي) ويقصدون به الشيخ محمد المدفون في قرية (باطط) المسامة . وقد تضاربت الأقوال فيه ، فذهب من يقول انه من ذرية (الشيخ عبد القادر الكيلاني) ومنهم من يقول انه من ذرية عمر بن الخطاب . و (شقص) محرف من (شخص) ويفيد معنى الشيخ او الولي مطلقاً . و (باطلي) مخفف عن (باطط) فاذا ما قيل (شقص باطلي) فالمراد (شخص باطط) اي (الولي باطط) او (الاله باطط) .
 وفي معتقد اليزيدية ان الحضر والنضر سيكون يوم القيامة في هذه القرية ، وفي وسطها حجر كبير منحوت على شكل كرسي يعتقدون ان الشيخ عدي اسجد عليه ويضع عنده موازين القسط والعدل للناس .



مزار الشيخ محمد في بعشيقه

الشيخ محمد : في قرية بعشيقه ، يزعمون أنه « محمد بن الحنفية » (١) يعزون اليه حكاية على جانب من السخافة لا حاجة لذكرها . ومرفده من المشاهد التي يحج اليها اليزيدية ، وله أوقاف ينفق دخلها على الزوار ، ويصنع سادنه ليلة كل جمعة وليلة يحضرها كثير من الناس ، وله « طوافة » شائقة يجتمع بها ألوف من أهل الموصل والقرى المسلمة ، على أن القبر الذي يرمزون به عن « محمد بن الحنفية » هو قبر « الشيخ محمد الزراني » أحد الصالحاء (٢) .

(١) هو ابن الامام علي بن أبي طالب : ذهب اصحابه وتلاميذه فيه مذاهب شتى وحصروا الامامة به وانتقلها الى اولاده ، واعتقدوا به انه حي لا يموت ، والى ذلك أشار كثير بقوله : « وسبط لا يذوق الموت حتى . يقود الحبل يتبعها اللواء . تغيب لا يرى عنهم زمانا . برضوى عنده غسل وماء » . ومن اعتقادهم انه قد أحاط بالعلوم كلها ، وان أخويه الحسن والحسين قد اطلعا على الاسرار جميعها ، وانه يعلم التأويل والباطن . وهؤلاء هم الكيسانية والمختارونية .
(٢) را : معجم البلدان مادة باعشيقا .

الشيخ شيدك : في قرية بعشيقه وهما اثنان القصير والغريب ، ويقولون أن للأول تصرف بقطع الحمى ويزوره أصحاب الحيات ويخاطبونه باللهجة البعشيكية : « شيخ شيدك ! شيخ شيدك ! تقطع الحمى بيدك ، تقطعها إلا ما انفيدك » .. أي تقطعها والا ما نريدك ؟ فيقطعها .

الشيخ أبو قحوف : قريبا من تل بحزاني على طريق بعشيقه، يزعمون أن له كذلك تصرفا بقطع الحمى كالشيخ شيدك القصير ، إلا أنه لا يقطع حمى أحد ما لم يكسر أناء من فخار على قبره ، ولهذا عرف بهذا الاسم .

الشيخ شمس : في قرية بحزاني

الشيخ حسن :

الشيخ أبو بكر :

الشيخ سجاد بن :

الشيخ مند :

الشيخ ناصر الدين :

الشيخ عبد القادر :

الشيخ عبد العزيز :

عبد رش :

ست خجيجي :

عدي وهي التي أتت على زعمهم بحجرين كبيرين من بغداد عند رجوعها من زيارة الشيخ عبد القادر الكيلاني كل واحد علق بشمرة من ذوائبها (١) .

ست جبي : في قرية بحزاني ويراد بها الست حبيبته

سعيد ومسمود : في قرية بحزاني ، يقيم البحرانيون طوافة لها كل سنة .

الشيخ زندين : محرف من الشيخ زيد الدين ، يذهبون الى انه ابن الشيخ حسن ،

(١) سألت احد ظرفاء اليزيدية - وقليل ما هم - : أما كان الاخرى بالسيدة خجيجي ان تذهب بهكذا حجرتين من هنا الى بغداد معلقة كل منهما بذوائبها بدلا من ان تسلب بغداد حجرتها الوحيدتين ؟ فقال لي : وما أدراك ان لو كان في بغداد هكذا حجران لادعينا ان الست خجيجي ذهبت بهما من هنا .

والصحيح انه ابن الشيخ شرف الدين بن الشيخ حسن ، ويعتقدون انه مدفون عند أبيه في قرية بجزائي ، ويرددون عنه قصة خلاصتها : انه ركب فرس الشيخ عدي مرة واسمها « بور » وعند ما علا عليها نظر الى أعلى فرأى (العرش والكرسي) ونظر الى تحت فرأى (الكاو والماس) أي (الثور والسمة) فأوصلته الفرس في طرفه عين الى مصر وأخذت هناك تظهر على يده المعجزات وخوارق الآيات فشعر به حاكم مصر وقبض عليه وسجنه في جب عميق بعد ان كبله بالحديد . قد (الشيخ عدي) اليه عصاه من لالش فتعلق بها ونجا من السجن . وللقوالين منظومة بهذا المعنى يرتلوها في حفلاته .

الشيخ محمد العمري : في قرية باطط المسلة (راجع الشيخ سيباط) .
الشيخ موسى صور : ومنه الأشقر ، له مقام في مرقد الشيخ عدي وهو على معتقدهم ملك الهواء ورفيق عبد رش .

الشيخ ابراهيم الختمي : له مقام في مرقد الشيخ عدي ، يعتقدون انه أخو الشيخ موسى صور وكلاهما اولاد الشيخ شمس الدين . وقد ورد ان لأبي البركات عدي بن صخر ولد اسمه (موسى) فيجوز أن يكون هو المراد .

الشيخ طوكل : له مقام في مرقد الشيخ .

الشيخ كراس : « « « « ومعناه في الكردية الثوب .

لكدين بابا : « « « «

بهلوك بك دانا (١) « « « «

الشيخ ابراهيم الخوزستاني (٢) : له مقام في الشيخ عدي ، يعتقد اليزيدية انه كان ذا غنى زائد ، فأنقطع عن الدنيا واتصل بخدمة الشيخ عبد القادر وأصبح من خواصه .
خاتونة نحر : لها مقام في الشيخ عدي وهي على معتقدهم أم الشيخ شمس الدين والشيخ آماد بن (عماد الدين) .

(١) لعلم يقصدون به احد المجاذيب المشهورين وهو أبو وهب ابن عمر الصيرفي : عاش في بغداد على زمن هرون الرشيد وتوفي عام ١٩٠ هـ . يروي له معاورات مع هرون الرشيد تدل على سداد رأي وحكمة وتغل .

(٢) لعلم ابراهيم بن زيد الخوزي ، وهو من رجال الحديث . كنيته أبو اسماعيل توفي سنة ١٥١ هـ ويقال انه كان مملوكا لعمر بن عبد العزيز الاموي ثم اعتقه .



اسطوانة الحظ - ستون مرازا

ستون مرازا : ومعناه اسطوانة الحظ وهي صخرة على شكل اسطواناني في مرقد الشيخ عدي يعتقدون ان الشيخ عديا وضعها خصيصاً لتعيين حظوظ مريديه ، فمن حضنها فهو ذو حظ وافر وبالعكس ولذلك فقد أحاطوها بعنايتهم وقدموا لها أعطيائهم .

زينل بك جاف بوخال : له مقام في مرقد الشيخ عدي . ومعناه صاحب العين ذات الخال

الشيخ محمد الرحمانى : » » »

بير كه خوشابه : » » »

بوي قلندر : » » » ومعناه رائحة الدرويش

مار كوركيس : » » »

الشيخ بابك : » » »

شيخكي دوملي : » » » ومعناه ذو الكتفين او الجناحين
كوجك لالش : اي لالش الصغير ، بحكي اليزيدية ان الشيخ زندي بن
الشيخ حسن اغتاض مرة من (الشيخ عدي) فهجر لالش وجاء الى قرية (مام شقان)
واتخذها دار مقام له وسماها (لالش الصغير) كناية عن لالش التي فيها زاوية الشيخ
عدي وأقام فيها النصب والتماثيل تشبيها بها ، وقد يعملون فيها كل سنة طوافه للشيخ
عدي تكريماً له .

﴿ الزارات والمراقد الموجودة في جبل سنجار ﴾

الشيخ شرف الدين : في جبل سنجار ما بين قرية (البيتونية) و (علي دينا) في مكان
على غاية من الروعة والجمال تحفه الاشجار الوارقة وتجري فيه المياه الزاخرة وقد
يصنعون له (جماعية) يوم ٢٠ و ٢١ من شهر تموز الشرقي كل سنة تجتمع فيها الالوف
من يزيدية سنجار من الجوانا والخوركان وبحضرها كثير من المسلمين ، وله مقام في
مرقد الشيخ عدي في لالش يعتقدون ان ترابه ينفع الحصبية والجدرى .
الشيخ آماد بن : ويراد به الشيخ عماد الدين في قرية مهر كان وله مقام في مرقد الشيخ
عدي في لالش .

الشيخ شمس : في قرية (بشتكيري) يصنع اهل قرية (الجفرية) طوافه له كل سنة
شيبو القاسم : يقصدون به الشيخ أبا القاسم ، يقال أنه من السادة العلويين .
جليبران : ومعناه الرجال الاربعون (١) يقع بين قرية (مسم استر) و (كواسكان)
و (بردحلي) على رأس الجبل ويحجرون له طوافه أول أربعاء من شهر نيسان الشرقي من
كل سنة .

الشيخ بركات : في قرية (نخمي عوج) في سنجار .

الشيخ شمس : في قرية (جفرية) .

الشيخ حسن : في قرية (كاباره) قريباً من قرية قصر كي .

(١) وفي قرية « ادن » من قرى برواري العليا في قضاء العبادية يوجد قبور لاربعة شهداء ويسمونهم
« جل شهيد » واعتقادهم بهم عين اعتقاد اليزيدية بجليبران .

الشيخ دقيق : له مقام بين قرية (حمسكي) و (باره) في سنجار يقال انه ابن الشيخ حسن وقد خلق من التراب الذي بلله بدموعه عندما بكى على ولده (زندين) بعد رجوعه من مصر ووفاته .

الشيخ عبد القادر : في قرية (المنجونية) التي بنيت على أنقاض قرية (حيال القديمة) ينسبون اليه تسع قباب بعضها قريب من بعض وقد تهدمت إلا واحدة منها، والقائمون بتوليته أولاد (الشيخ رشو) ويرتقى نسبهم اليه .

محمد رشان : في شمالي قرية (تبه) في سنجار وفيه مقبرة يدفن عشيرتنا الهبابات والدلكان فيها أمواتهم .

الشيخ الرومي السنجاري : في شمالي جبل سنجار قريبا من قرية (آديكه) له مقبرة واسعة عليها غابة كثيفة من الأشجار لم تمتد اليها يد انسان منذ مئات السنين (١) ويعتقد أنه من رجال الاسلام الصالحين .

علي بن هاب : هو منزار إسلامي ، إلا أن البزيرية يشتركون فيه . ونقصد بالبزيرية (الهابيات) منهم وسكان قبلي الجبل ، وهو محرف من وهب يعتقدون أنه (علي بن أبي طالب) ويسمونه (سوار دندل) أي راكب الدندل ، و (سوار بري) أي فارس الصحراء ، مدفون في قرية (الأوهبي) في الصحراء قريبا من قرية (القابوسية) و (المستعجل) الاسلاميتين وعلى بعد ثلاث ساعات من جنوب سنجار عليه قبة لا تزال باقية . ويتناقلون عنه حكاية مؤداها : أنه بينما كان يوما يسقى بستانه كانت يد خفية توجه الماء الى جهة غير التي يقصدها ، فلما أعياه الأمر رفع بمسحاته بقدر ما تحمله من الطين وألقاه في الفضاء فتناثر هذا الطين على جلساء الشيخ عبد القادر الكيسلاني في بغداد ، فضحك الشيخ عبد القادر وقال : اردنا ان نداعب عليا بن وهب ، فداعبنا .

وقد ترجمه الشيخ محمد التاوفي في كتابه (قلائد الجواهر) وقال عنه : صاحب

(١) وهذا هو عين ما نجده في مقابر المسلمين الاكراد في الجبال بصورة عامة ، فقد يجنبون قطع شجرة من اشجارها وقد يمر عليها عصور ونيس وتسقط على الارض ولم يقربها احد . ومما يدل على فرط احترامهم للقبور ان العشائر الرحالة (الكواجر) عندما يذهبون في موسم الصيف الى جبال الزوزات يؤمنون انهم الثقيلة فيها فيعودون بعد بضعة اشهر ويجدونها دون ان امتدت يد اليها .

كرامات خارقة ومكانة جليلة ومكانات رفيعة له الطود الأعلى في المعارف والمحل الأعلى من الحقائق وهو أحد من أبرزه الله تعالى إلى الخلق وأوقع هيئته في القلوب .. ثم قال: سكن قرية البدرية من عمل سنجار وبهامات وقد نيف على ثمانين سنة ، وهو بدوي من ربيعة شيباني .

الشيخ أسود : وهو كذلك ممن بشارك اليزيدية الاسلام في الاعتقاد به وقبره وسط خرائب مدينة سنجار القديمة على جانب الطريق ، عليه قبة لا تزال تحافظ على جذعها وهو الشيخ سويد السنجاري الرجل الصالح المشهور واسمه الحقيقي نصر الله قال عنه صاحب القلائد : تخرج على ابن وهب الربيعي ونال مكانة رفيعة ومزلة سامية .. اهـ . الست زينب : يقع مزارها على ربوة عالية في شرقي سنجار تنقصب إليها الطائفة المعروفة بالبالوات ، فيقال (بالوات الست زينب) تفريقاً لهم عن (بالوات بير زكر) ويشترك يزيدي (الجوانا) في الطواف التي يقيمونها تكريماً لها . والمحل الذي يقع فيه مزارها على جانب عظيم من الروعة والمتواتر انه كان قبل ديراً للنصارى . واكد لي غير واحد أن علامة صليب معكوف لا تزال ظاهرة على احد جدرانها ، الا اني لم أراه . سلماتك بالك : هو صحابي ويعد الدروز الباطنيون من أساطينهم (١) ويعتقدون ان الهوية الآلهية قد حلت فيه . وفي عرف اليزيدية انه كان يسكن مغارة في (مضيق قجراغ) قريبا من البلد ويزورون هذه المغارة ويتباركون بها . ونرى ان هذه العقيدة دخلت اليزيدية من طوائف الشيعة الذين في الجبل وتنحصر يزيدي (الجوانا) دون (الخوركان) .

والجوانا يعظمون كل أثر اسلامي في الجبل حتى المنارة القديمة في البلد . وقد ورثوا هذا الشعور من آبائهم الاقدمين دون ان يعرفوا له سبباً ، اذ كان اهل سنجار قديماً يعظمون هذا الجامع ويعتقدون باستجابة الدعاء فيه (٢) .

(١) هو احد الخمسة الذين يعتقد الدروز الالهية فيهم والاربعة الباقين هم : المقداد بن الاسود ، وعمار بن ياسر ، وهاني بن مسعود ، وبهاء الدين الذي نصر هذا المذهب .

(٢) يقول ابن بطوطة (٧٠٣-٧٨٠هـ) وكان قد زار سنجار : « ومسجد هذا الجامع مشهور البركة ويدور نهر جار بهويشقه » وقد بني هذا الجامع على عهد الحكومة الاتابكية في سنجار من سنة ٥٢١ الى سنة ٦١٥ للهجرة .

كأنى بير آخايي: ينبوع ماء كبير في قرية « كولكان » قريباً من قرية « سم استر ». يذهبون الى أن (الشيخ عدياً) عندما جاء من ماردين قاصداً (لالش) حط رحاله فيه لذا أصبح بنظرهم مقدساً وأصبح كل ما هناك من شجر وحجر مقدساً . وعلى قرب من الينبوع صخرة منحوتة نحتاً طبيعياً على شكل كرسي يعتقدون أن الشيخ عدياً كان يجلس عليها وبجانبتها صخرة أخرى منحوتة على شكل معلف يزعمون أنه كان يربط فرسه (بوراً) عليها ، وفي شمالي الينبوع كهف مجوف يحفظ الفقراء خرقهم الخلفة فيه وهو أشبه (بخانه خرقى) عند يزيدية الشيخان .

وليس في الجبل منزله مثل هذا المحل ، فثبات النساء والفتيات من « كولكان » و « سم استر » و « كرسي » يجتمعن فيه ويتفیان أشجار الحور والبلوط الباسقة ويفتسلن في (كأنى بير آخايي) ويحملن منها الماء في قرب على ظهورهن الى بيوتهن ، والرعاة يوردون قطعان الغنم من ماء هذا النبع البارد ، وهنا وهناك شبان اليزيدية يعزفون على الطنبور ويرقصون رقصهم الشعبي على أصواته الشجية ، والنساء العواقر يصنعن أرجوحات صغيرة من الأعواد رمزاً الى استشفاعهن بالشيخ عدي لنيل بغيتهن ، ثم يعدن مساء الى بيوتهن وأفكارهن ملاءى بالأحلام والآمال .



هذا ما تمكنا من معرفته عن مزاراتهم ومشاهدهم ، وقد وقفنا على كثير منها عدا البعيد الذي لم يتيسر لنا الوصول اليه . ولهم مزارات كثيرة أخرى غيرها اكتفينا بما ذكرناه وهو المشهور عندهم ... أما اليزيدية الذين هم خارج جبل سنجار والشيخان كيزيدية الطسور وماردين ودياربكر وحلب ووان وبلاد القوقاس ، فلمهم عين هذه الزارات ولا يصح ليزيدي أن لا يتخذ له مزاراً يتوجه صباح مساء اليه ويطوف حوله ويسجد له ويطلب الرضا والشفاعة والخير والبركة منه .

ويختلف يزيدية سنجار عن يزيدية الشيخان باعتقادهم برجال الاسلام ، ولا سيما بالسادة العلويين وسبب اندماج كثير من المسلمين فيهم عند أول وفودهم الى جبل سنجار فسرى هذا الشعور اليهم على خلاف يزيدية الشيخان الذين ظلوا بعيدين عن أهل

الاسلام ولم يختلطوا . وقد يظهر يزيدية سنجار المحبة والولاء للأئمة العلويين
ويحترمونهم بصفتهم قرشيين وقد تجمعهم أوامر النسب بالأمويين الذين ظهر (يزيد)
منهم .

والكل على حد سواء في بغضهم الرسول النبي الكريم ، وذلك لاعتقادهم به أنه كثيراً
ما حارب ديانتهم ووقف في سبيل تقدمها . والبعض يقولون : أن علماء الاسلام الذين
قاوموهم بشدة وأباحوا دماءهم أخذوا تعاليمهم منه وهو لم يكن صديقاً لهم ، ولذلك لم
يروا له حقاً في محبتهم .

أعياد و المواسم

للبيديّة أعياد كثيرة معظمها أخذوه من الاسلام بعد تغييرات قليلة أوجدوها فيها . ولا غرابة في ذلك بعد ان علمنا صلتهم بهذا الدين وعمّهم به زمنا ليس بقصير . واذا أعرضنا عن جميع الاعتبارات التي تؤيد لنا أخذهم أعيادهم من المسلمين ، يكفيناما نجده فيهم من العناية العظيمة بيوم الجمعة ، فهم يعدونه من الأيام المقدسة وبحرمون الاشتغال فيه مطلقا ، وقد وافقوا الاسلام باتخاذهم عيد رمضان ، وعيد الأضحى ، والاحتفال ليلة القدر ، واقتبسوا عيد (البيانده) من الجوس ، وعيد خضر الياس من النصارى أسوة بالمسلمين ، وهذه أعيادهم :

عيد رمضان : يجرونه بعد صيام ثلاثة أيام من أول شهر كانون الأول الشرقي ، وهو من أهم أعيادهم يحتفلون به احتفالا عظيما ويبدلون فيه خيرات كثيرة ، ويتزاورون ويتعابون ، ويتمنون الغفران لأمواتهم ويوزرون قبورهم .

عيد البيلنده : ويسميه البعض منهم (البيرنده) وهو بعرفهم عيد ولادة الملك (يزيد) وهو مجوسي بجميع مظاهره ، يجزون فيه الخبز على شكل آلات الحراثة في التناير ويوزعونه على الفقراء ويطعمونه ثيرانهم المختصة بالفلاحة ، ويوقدون النيران في منازلهم ونواديهم وفي اصطبلاتهم ويدورون حولها .

والنصارى يعاقبة يجرون على مثل هذه القاعدة في عيد ولادة السيد المسيح ، فيخبزون كذلك الخبز في التناير ويوقدون نارا ذات لهب ويقرأ رجال الدين عليها تراويل وأدعية دينية ويقفزون من عليها ، ويجوز أنهم والبيديّة أخذوا هذه العادة من منبع واحد .

عيد الأموات : يقع في اليوم العاشر من شهر كانون الأول الشرقي ، يعملون فيه نوعا من الكعك ويوزعونه على الفقراء ، يعملون كعكة كبيرة ويضعون فيها (زيبية) ويحملونها على ظهر أحد أولادهم ، وبعد سبعة أيام يأتون برجل غريب ويفوضون اليه كسر ها

وتوزعها على أهل البيت ، فن ظهـرت (الزبيبة) في حضته يكون صاحب الاقبال والسمود .

عيد خضر الياض : يقع في أول يوم خميس من شهر شباط الشرقي ، يصومون فيه ثلاثة أيام ، والبعض يوما واحداً .

عيد الأربعين : يقع في منتهى أربعين الشتاء .

عيد رأس السنة : هو أول أربعاء من شهر نيسان الشرقي ويسمونه (عيد سر سالي) يجمعون فيه الفتيان والفتيات الزهور الحمر من الحقول ويعملون باقات صغيرة ويلقونها على أبواب منازلهم قصد التوفيق بينهم وبين إله الشر .

عيد الأضحى : ويسمونه عيد الحج وهو عيد الأضحى عند الاسلام . يتوافد البزيدية في اليوم السابع والثامن من شهر ذي الحجة الى مرقد الشيخ عدي ، وفي اليوم التاسع مساء يصعدون جبل عرفات ويسمونه جبل الحج وهو في شرقي المرقد وفي مقدمتهم (رئيس الأئمة) ورجال الدين يأخذون جميعا بالابتهاال والتضرع لأن يقبل « الشيخ عدي » حجهم ويغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم . ثم ينحدرون من الجبل والشمس قد آذنت بالغروب ، فيزورون « الحجر الأسود » على طريقهم ويقبلونه ، ومن هناك يدخلون الحرم الشريف فيفعلون وجوههم وأيديهم بماء زمزم المبارك « ينبع من زاوية مظلمة قريبا من قبر الشيخ بركات ويصب في حوض كبير وسط المعبد » ، وهكذا بعد إكمالهم هذه للناسك يأخذون باللهو والقصف طيلة تلك الليلة ، وفي الصباح يجرون مراسم العيد بمصافحة بعضهم بعضا ، وتقبيلهم أيدي رجال الدين وإهدائهم شيئا من النقود ثم يأخذون بأهبة الرجوع الى محالهم .

عيد الجماعة : هو من أكبر أعيادهم ، يقع في أول موسم الخريف (من ١٥ الى ٢٠ ايلول الشرقي) يجتمع فيه مئات البزيدية من الشيخان ودهوك وزاخو وسنجار وغيرها من الأماكن البعيدة في مرقد الشيخ عدي ويبقون فيه خمسة أيام في لهو وقصف متواصل لا يعرفون فيه هواة . وقد يواصلون نهارهم بليلهم في اللهو ولما ينال أحدهم نصيبا من الراحة . فبينما ترى مثلاً أهل قرية قد أووا الى فراشهم ليلا وهم يغطون في

النوم ، اذ يقومون من نومهم كالجائنين وترتفع أصواتهم بالغناء ويرقصون ويرقصون الى ان تنهك قواهم ثم يعودون الى فراشهم .
وقد جرت العادة ان يقيم أهل كل قرية او جماعة في المحل المعين لهم ولا يجوز لأحد الاقامة في محل يختص بغيره .
ومن المسنون ان يطلق الزوار عياراتهم النارية عندما يقربون من المرقد ايداناً بوصولهم فيهرع الذين سبقوهم في الوصول الى استقبالهم .
ويأذن (برشباكي) وهو التخت الذي يزعمون ان الشيخ عديا كان يجلس عليه فيستقبلونه في مظاهر شائقة ويوصلونه الى المحل المعد لتنصيبه .
ويجلس (الشيخ الاكبر - بابا شيخ) وسط الصحن المجاور للمرقد ويأتي الزوار ويلتمون يده ويقدمون له أعطياتهم .



الشيخ الأكبر - بابا شيخ جالس في الصحن المجاور لمرقد الشيخ عدي

وتكون الزيارة بواسطة (منورين) لقاء أجور يتقاضونها من الزوار .
ويعطي من قد نذر نذراً قطعة من الشاش الى منوره فيباركها له في ماء زمزم ويشدها على رأسه .

ويشترط على الزوار ان يخلعوا أحذيتهم عند اقترابهم من الوادي المقدس ، ولا يجوز لهم التقرب من نسائهم (١) ولا معاورة الحرة مدة إقامتهم في المرقد ، وذلك حرمة للشيخ عدي ، الا ان التقليد الجاري أباح لهم تهريب النساء والفتيات في هذا المحل باعتبار ان تلاقي الجنسين وتعارفهم لا يقيسر الا فيه ، أضف الى ذلك ان حرية الأشخاص هنا مضمونة من التعرض .

ولا يسوغ لأحد من الزوار ان يصنع له طعـاما مدة بقاءه في المرقد لأنه ضيف على الشيخ عدي (٢) .

وفي اليوم الرابع من هذا العيد يبتاعون شاة ويطبخونها وبعد ان ينضج لحمها يخرج أهل قرية عين سفني قطع اللحم من القدر بأيديهم ويضعونها أمام الأمير فيأكل منها ما طاب له والبقية يأكله الزوار .

وفي اليوم الخامس يجرون أفراح « القمغ » (٣) وذلك ان يصعد جماعة من اليزيدية « القائدية » (٤) الى رأس الجبل بكل سرعة ورشاقة ثم ينحدرون مثلها وهم يطلقون بنادقهم ، وهناك يأتي مسادن المرقد بشور فيقبضون عليه بقوة كيلا يفلت من أيديهم ويصعدون به الى الجبل تارة أخرى وهم يشبعونه ضربا بالعصي ثم ينحدرون به ويهدونه الى الأمير ، فيخلع عليهم معطفاً او زبونا او عباءة ، والزوار يهاجمونهم من كل جانب قاصدين اغتصاب ما خلعه الأمير عليهم وهم يدافعون عن أنفسهم بالعصي الى ان يصلوا الى باب المرقد فيكف الزوار عنهم .

وقد يستلم السادن الثور فيذبحه ويعمله عشاء للزوار (٥) .

- (١) اقتداء بالمسلمين الذين يعملون بالآية الكريمة : فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج .
- (٢) اخذ الزوار في السنين الاخيرة يأتون بطعامهم معهم من بيوتهم لاهمال هذه القاعدة .
- (٣) اظنها كلمة تركية الا اني رأيتها في بعض الكتب الفارسية وقد تدل على نوع من اللعب .
- (٤) يقال انهم اتباع (قائد) خادم للشيخ عدي او لتريته .
- (٥) ذكرت الباحثة (مس روزينا) في بحث عقدته عن النحلة اليزيدية . من انهم « يقدمون البقر قربانا للشمس » وقد وهمت فيه . وعقيدة اليزيدية بالشمس تقتصر على انها عنصر مقدس ويسجدون لها عند كل شروق وغروب . وليس من عادتهم ان يقرّبوا لها قربانا . والقرايين عندهم عادة تقرب الى الانصاب والتماثيل التي يرمزون بها الى آلهتهم . وذبحهم الثور يكون بالسنة مرة واحدة في هذه الحفلة . ولو انها لاحظت جيداً عملية مطاردة الثور في هذه الحفلة - وقد حضرتها بنفسها - وذبحه ، وكذلك ذبح اهل

ومن التقاليد المتبعة انه اذا أصيب أحد بجروح من أيدي القائلية او مات يذهب دمه هدرأ ولا يطالب به .

ويصعد (الكواجك) كل يوم الى الجبل ومعهم الحبال الملونة ويأتون بقطع الخشب على ظهورهم ليكون وقوداً لمطبخ الشيخ عدي .

ويكثر الخدام من إشعال المصابيح مساء كل يوم في أرجاء الوادي المقدس وعلى القباب والطرق والمباني المتهدمة .

وفي اليوم السادس يأخذ الزوار بالعودة الى أوطانهم ويأخذ (الطازية) وهم أهل قرية بمشيقة وبحزاني بتنظيف المرقد من الاوساخ والازبال التي تركها الزوار . وهذه كلها تقاليد دينية لا يجوز إهمال شيء منها .

تتمة : ولهم مراسيم تعبدية يجرونها في ليالي هذا العيد بغاية التكم ، يسمونها (سما) او (سمايي) - إشارة الى استمدادهم الفيوضات والتجليات من السماء - وذلك أنهم يجتمعون في الصحن المقابل لمرقد الشيخ عدي ويضعون شمعانا ويسمونهم (جقلتو) ، عليه وعاء مملوء مشرجاً وقد صف على جوانبه ذبالات كثيرة وفي وسطه ذبالة مصنوعة على شكل وردة كبيرة فيشعلون هذه الذبالات ويقفون حولها على شكل دائرة يكون في أولها (المطبخجي) وهو القائم بأعمال المرقد ، منفرداً لابساً ملابسه الرسمية (وهي تاج الشيخ عدي (١) وخرقة الشيخ أبي بكر) ويعقبه (يش امام) وقد مر ذكره و (مير حاجي - أمير الحاج (٢) يقف الأول الى اليمين والثاني الى الشمال ، ووراءهما « الشيخ الأكبر - بابا شيخ » و « إمامه » الذي يشترط ان يكون من أسرة الشيخ شرف الدين ثم يعقبها الكواجك اثنان اثنان ، ثم « بابا كوجك » كبير الكواجك منفرداً حيث يكونون عشرين ويدورون حول الشمعدان ببطء وفي خضوع وخشوع ثلاث مرات

عين سفني الشاة وطبخها واخراج لحمها بأيديهم من القدر وتقديمه الى الامير ، لعل ان عملهم هذا ليس له صلة بعبادة الشمس ، بل تقليد ورثوه منذ زمن الشيخ عدي وظلوا دائبين عليه .

(١) هو بحجم التيجان التي كانت تلبسها سلاطين العثمانيين وعلى شكلها كما نراه في رسومهم ، له اضلاع منحنية تنتهي بالقمة منه وقد صنع صنعا دقيقا .

(٢) يعينه الامير للقيام بالاعمال الادارية والانضباطية في المرقد ايام الزيارات ويشترط ان يكون من أسرة الامراء .

على ان تستغرق مدة الدوران أربع ساعات والقوالون يدقون بالدقوف دقا هادئاً ويمزفون على الشبابات عزفاً شجياً ويرتلون الاناشيد وهم جالسون أمام « دير مير » اي باب مرقد الشيخ عدي . ويستحيل بصورة باتة ان يسمحوا لاحد من الاجنبيين ان يطلع عليهم (١) ويستحب ان تستمر هذه العبادة الى بعد منتصف الليل وهو الوقت الذي تتجلى فيه الفيوضات ويكون الدعاء مستجاباً .

وفي صباح كل يوم من أيام الزيارات يؤتي من مطبخ الشيخ عدي بغداد لبش أمام وامير الحج وهما جالسان قرب « درمير » الاول من جهة اليمين والثاني من جهة الشمال والغذاء حساء موضوع في قصعتين خشب ، وفي كل قصعة ملعقة خشب ، والقصعة المختصة « ببش أمام » مصحوبة برغيف واحد من الخبز ، فيأخذ منه كسرة ويناوله الى أمير الحج فيأكل منه لقمة او لقمتين ثم يأتي الكواكجك ويرفعون القصعتين فتتهافت الكواكجك والقوالون عليها والسعيد من اصاب يده شيء من هذا الحساء والحسبها .

عيد الحيا : يصادف الليلة الخامسة عشرة من شهر شعبان وهي ليلة القدر يجتمع فيها اليزيدية في مرقد الشيخ عدي وفي مقدمتهم الامير وطائفة من رجال الدين ويصلون الصلاة المفروضة عليهم ، وذلك ان يؤمهم جميعاً « رئيس الأئمة » عندما يكون مستقبل القبلة ، ويصلي فيهم ست ركعات متواصلات بدون ركوع وبسجدة واحدة ويقرأ مائة مرة سورة الاخلاص في كل ركعة ، وبعد أن يأخذ المصلون نصيبهم من الراحة يأكلون ما يقدمه لهم سادن الرقد من طعام وفاكهة يستأقون صلاتهم فيصلون ست ركعات اخرى على الصورة الآتية الذكر ويزيد ببش أمام مرة واحدة سورة القدر على الركعة السادسة ، وهكذا يؤدون صلاتهم المفروضة عليهم ، ويعتقدون أنها تقوم مقام صلاة سنة كاملة ، وفي صباح اليوم الثاني يأخذون بأهبة الرجوع الى محلهم (٢).

(١) أعد نفسي اول من وقف على هذا النوع من عبادة اليزيدية لما يحيطونها بالتكتم الشديد حتى ان كثيراً من غير الروحيين لم يطلعوا عليها ويعرفوا شيئاً عنها .

(٢) ويعظرون على المسلم كذلك الاطلاع على صلاة ليلة القدر . وفي سنة ١٩٠٧ ذهبت مع الامير-

يتضح لنا من هذا أن واضع هذا المذهب لما أراد التخفيف على أتباعه في أمر العبادات أوجب عليهم قيام ليلة القدر باعتبار أنها تجزى عن عبادة سنة كاملة لما هو مأثور عما لهذه الليلة من شرف عظيم وقدر زائد ، وأن العمل فيها يكون ذا قدر عند الله ، وفيها تمحى ذنوب سنة كاملة . وفي الحديث الشريف : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله ما تقدم من ذنبه » كما جعل الصيام لهم ثلاثة أيام عملاً بالآية الشريفة : « ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » واليزيدية يحترمون هذه الليلة ويعدون لها من الليالي المباركة وإذا ما حلت لهم قرية في هذه الليلة تجدهم جميعاً كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً ، قد اجتمعوا هنا وهناك يتسامرون ويتحدثون ، وإذا كان بينهم أحد من القوالين ينشد لهم الأناشيد الدينية ، ويحكي عليهم أحاديث الخلقة والتكوين ، وما لشييوخهم من معجزات وكرامات وخوارق آيات ، ويستمتعون هكذا إلى أن يشرق وجه الشمس ، فيقدم لهم صاحب البيت الذي اجتمعوا عنده الطعام فيأكلون ويتفرقون .

على أن معظم هؤلاء الذين يقيمون ليلة القدر في بيوتهم لا يريدون أن يشتركوا في الصلاة التي تقام في مرقد الشيخ عدي لأنها تشبه صلاة المسلمين ، وشييوخهم لا يرضون منهم بذلك ويرمونهم بضعف العقيدة والخروج على التقاليد الدينية .

هذا في الشيخان ، أما في سنجار فقد يحبون ليلة القدر ولكن بדרך صلاة ، إذ تشترط الصلاة أن تكون في مرقد الشيخ عدي ، ويؤم المصلين فيها « بيش إمام مركة » (١) الذي يعبرون به عن رئيس الأئمة من أسرة الشيخ حسن . والذي يقوم بأحياء ليلة القدر في سنجار هو كذلك أحد شيوخ أسرة الشيخ حسن ويمرّف بـ « بيش إمام ايضاً » ، وليس له من المنزلة ما لبـ « بيش إمام مركة » ، ويسكن قرية « جدالة » وهو الشيخ برهم بن الشيخ

علي بك إلى المرقد . ولم أر من المختلئين بأحياء ليلة القدر أكثر من نحو سبعين شخصاً ، وكلهم من الشيوخ والبيرة والكواجك وثلاثة أو أربعة من المريدين ووجدت أن ليس من عاداتهم الوقوف مصطفين في الصلاة وقد يكلم الواحد الآخر ، ومن أعياء الوقوف ينسحب إلى زاوية ويدخن غليونه ، ومنهم من يذهب لقضاء حاجته ثم يعود لا كمال صلاته .

(١) (مركة) كلمة كردية ولعلها فارسية وهي معرفة من مرج أو مرجة العربية . وتفيد معنى المحل الذي يكون دوماً أخضرًا ممشوشاً . وقد أطلقوا هذا الاسم على مرقد الشيخ عدي ، فإذا ما قيل « شيخ مركة » فيراد به « الشيخ عدي » و « بيش إمام مركة » إمام مرقد الشيخ عدي .

جندي من ذرية « ابراهيم الختمى » الذي يعده البزيدية من الرجال الصالحين . والعادة ان يجتمع في داره جماعة من الفقراء والمتدينون من المريدين فينصبون الطاووس ويرتلون الاناشيد ويضربون على الشبابات ، وعند الصباح يغسلون وجوههم وأيديهم ويقدم لهم يش إمام غداء كما هي العادة فيأكلون ويتسللون الى بيوتهم بعد ان ينفضه كل واحد خبراته ويشترط عليهم الصيام ذلك اليوم .

ولما كان الحج من أهم فرائض الاسلام ، وقد بني على أساس التعارف والتقارب بين المسلمين ، وحيث لا يتفق ومرامى الشارع للدين البزيدي بجمل أتباعه في معزل عن العالم ، اتخذ لهم (لالش) بدلا من (الكعبة) يحجون اليه ، وأوجد لهم فيه عرفات ، وحجر الأسود ، وزمزماء فيقيمون مناسكهم طبقا لما هو جار عند الاسلام ، أو ليس الحج عند الاسلام يكون الى بيت الله الحرام ؟ فهذا « لالش » هو بيت من يعتقدون به الألوهية .

والذي يلفت النظر أن البزيديين بالوقت الذي جعلوا أعيادهم وفقا لحساب السنة الشمسية، ومثلا جعلهم الصيام الأيام الثلاثة الأولى من شهر كانون الأول في كل سنة، وعيد الجماعة أول يوم أربعاء من شهر ايلول الشرقي كذلك من كل سنة شمسية ، فقد جعلوا الحج يوم التاسع من شهر ذي الحجة موافقة للمسلمين .

﴿ الطوافات في الشيخان ﴾

ومفردها (الطوافة) وهي إظهار الشعور نحو النصب الذي يرمزون به الى أحد مشائخهم وأوليائهم ، ويفيد بالظاهر معنى الحج أو الطواف أو الاجتماع . وما من أهل قرية اتخذوا لهم نصبا ، إلا وعملوا له (طوافة) يحجرون فيها المراسم على الوجه الذي سنذكره ، وأشهر الطوافات سبع وهذه استأواها على الترتيب :
طوافة بعشيقه وبحزاني وعين سفي وجروانه ودوغات وباعذرة وخطارة .



مرقد الشيخ محمد الرذائي في بعشيقه ويعرفه البزيدية بقبر الشيخ محمد ابن الحنفية

أما طوافه (بعشيقه) فيجرونها تكريماً « للشيخ محمد بن الحنفية » وتكون في أول جمعة تلي رأس السنة ، وهي الجمعة التي تعقب أول أربعماء من نيسان الشرقي . وفي هذه الليلة يعزف القوالون على الشبابات والدفوف ويطوف البزيدية كباراً وصغاراً رجالاً ونساء حول مرقد الشيخ المحتفل به الى أن يشرق وجه الشمس وتصبح بعشيقه مأججة بالنساء والفتيان مرتديات ملابسهن البيضاء الناصعة ومتشحات بقلائد الشيخ وسلاسل الفضة ، وهناك الأمير وحاشيته ، وأعيان الملة ووجهاؤها يترنحون جيئة وذهاباً بينهم وعلائم البشر والسرور طافحة على وجوه الجميع . ثم تجري مزايده (الكوفندي) اي (البركة) ويقبلون فيها اشتراك غير البزيديين ، إلا انه ليس من الجائز تفويضها الى غير البزيدي من « البعشيقين » ومن يحوز سبق في هذه المزايدة يجوز له ومن حقه أن يقبض على يد أية فتاة ويرقص معها وليس لها أن تخالفه . ويختص سادن المرقد بالنقود التي تسفر عنها هذه المزايدة .

ومن أهم المراسيم التي تجري في الطوافات ، الرقص الذي يعبرون عنه بالدبكة (جوبي) والبيزيدية مغرمون به جداً خاصة الفتيات العذارى ، فقد يكون مسرحاً لظهور عواطفهن نحو من يحببنه ، ولا يقل ولع الشبان فيه عن الفتيات وهن على كل أكثر حشمة من الرقص الفرنجي الذي تتجلى فيه الخلاعة والتبذل . وتجري الدبكة بأن يؤلف الرجال والنساء حلقة في ميدان مستوي فسيح وقد تأسست الأيدي وأخذ الجنسان بالرقص على ضرب الطبول وصدح المزامير التي يقوم بها القوالون وقد توسعوا الحلقة فترام تارة يوسعونها وتارة يضيقون عليها حسبما تقتضيه حركة الرقص . وقد يحمى الوطيس وتشتد الحركة وتذوب الرزانة . وتتحول الى حالة لاشعورية فلا تتوقف حركة الرقص إلا وقد أخذ العرق يتصبب من أجساد الراقصات والراقصين .



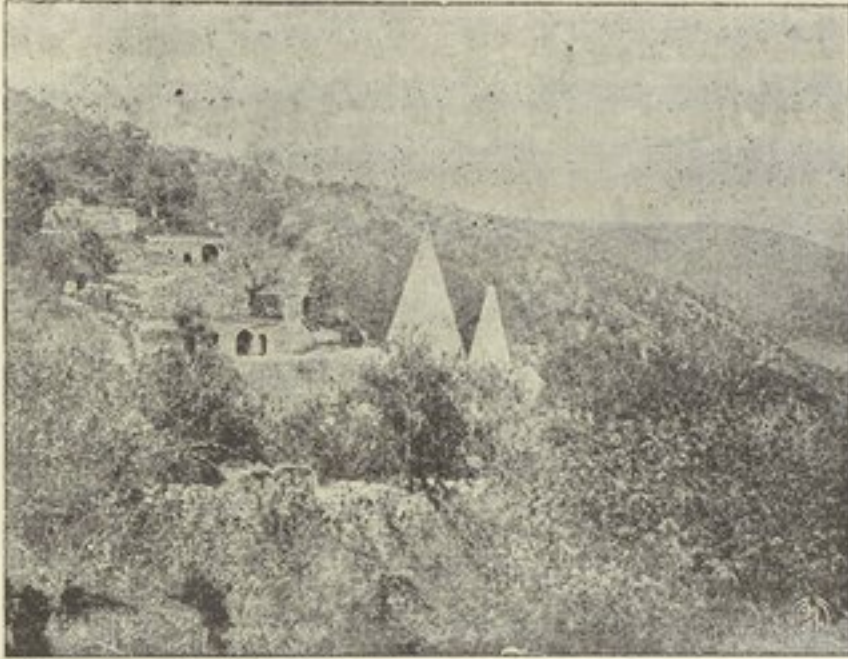
نوع من الدبكة

وفي هذا النهار يبذلون الطعام الوافر للزوار ويظهرون من السخاء ما لا يدخل تحت حصر .

وأهم « طوافة » في سنجان ، هي طوافة « الشيخ شرف الدين » وقد يشترك فيها الجوانا والخوركان وكثير من المسلمين وتجري فيها عين المراسم التي نجدها في الشيخان.

ولم يسبق لا في الشيخان ولا في سنجار ، حدوث ما يعكر صفو الأمن اثناء الطوافات
وقد تتآخى الأحزاب المعادية حرمة لصاحب الطوافة .
ولم تكن الطوافة منحصرة باليزيدية فقط بل يجربها الشبك في قرى الموصل والباواوات
في سنجار بصورة طبق الأصل وبشترك اليزيدية فيها كما يشترك المسلمون في طوافاتهم .
ويدعي احد كتاب النصاري ان « الطوافة » هي عادة نصرانية وقد أخذها اليزيدية
والاسلام منهم وعلى ذلك بأن النصاري كانوا قديماً يجتمعون في عيد أحد القديسين في
قرية فيها دير او كنيسة وقيمون الصلاة الاحتفالية الليل كله ، ويسمون ذلك الاحتفال
« شهرا » ومعناه بالآرامية السهر ، وعند مجيئهم وعودتهم يرتلون اثناء الطريق ترانيل
دينية ربما خالطها أغاني علمانية . وكان هذا الاحتفال يجري كل شهر وذلك لكثرة
القرى الموجودة على ذلك الزمن .
وقد وهم هذا الكاتب : ان الاحتفال بزيارة المراقدة هي عادة اسلامية صرفة وكثيراً
ما كانت قوافل الزوار تقطع المسافات البعيدة لهذه الغاية مرتلين طول الطريق - ق أغاني
ومدائح تتضمن الاشادة بفضل الولي الذي يقصدون زيارته .

معبد الشيخ عدي



معبد الشيخ عدي

في وادي لالش المقدس، وسط الجبال الشاهقة المكسوة بشجر البلوط والحور على خط عرض ٤٦ و ٣٧ وطول ١٨ و ٤٣ درجة وارتفاع ٣١٠٠ قدم يترأى لنا ونحن ذاهبون الى قرية « اشكفت هندوان » على بعد ميل او أقل قبة مخروطية الشكل على رأسها هلال من ذهب قد أخذ بريقه يتألق من انعكاس الشمس عليه . فنخرج بطريقنا لمشاهدة هذا الاثر الخالد سالكين طريقاً معوجاً يرتفع بنا تارة وينبسط أخرى سلكه مئات ألوف من الناس خلال الا عصر الغابرة قاصدين زيارة صاحب القبر المنزوي تحت هذه القبة ، وهو الشيخ عدي بن مسافر الأموي الذي أصبح إلهاً في معتقد البزيرية ، وفي صعودنا الجبل نقف حائرين امام تلك العظمة التي تجلت على هذا الوادي وجمال الطبيعة الذي شمله حتى بخال انا ونحن مجردون عن الخيال والحس أننا في عالم علوي غير هذا العالم، وهناك يلتوي بنا الطريق وتغيب عن أعيننا مزارع الارز والتبغ البانعة التي في أسفل الوادي

ونعبر قنطرة بسميها البزيدية بالكردية « بر صراطي » اي جسر الصراط حيث هناك يحلم المؤمنون منهم أحذيتهم دلالة على دخولهم منطقة الحرم الشريف ، ونسير بين أشجار حجبت الشمس بأغصانها الكثيفة وعطرت النسيم العليل بأريجها الزكي وقد شمل الكون سكون مهيب لا يعكره سوى تغريد الطيور وهدير العنادل وخرير المياه التي تصب في الوادي . ولا يطول بنا المسير إلا ونحن أمام باب صغير يؤدي بنا الى دهليز منهدم الاركان ومنه الى صحن قد عبثت به أيدي الزمان ، وجللت أشجار التوت الباسقة التي شهدت حوادث جساما في هذا الوادي ترجع الى بضعة قرون . وعلى يسار هذا الصحن ، وفي محل مرتفع منه حجرة عليها قبة مخروطية الشكل على رأسها هلال من ذهب - وهي غير القبة التي أشرنا اليها - يعزونها الى الشيخ شمس الدين أبي محمد الحسن بن الشيخ عدي الثاني الذي أيد المؤرخون قتله في الموصل عام ١٢٤٦ هـ ١٢٤٤ م وفي أسفل هذه الحجرة ، وعلى يمينها حجرة صغيرة على بابها رخامة محفور عليها آية الكرسي ، فيها ينبوع ماء يتدفق ماؤه العذب النعير في حوض كبير ، ثم يسير في قناة ويصب في الوادي ، ويطلق على هذا ينبوع « كافي اسبي » اي العين البيضاء وهو مقدس طالما هو داخل الحجرة ، فإذا خرج منها لا تبقى له تلك القدسية وقد يوردون فيه خيولهم وبغالهم أيام الزيارات ويفسلون فيه ثيابهم ، إلا أنهم لا يرضون من المسلم ان يغتسل او يتوضأ فيه .

وفي شمالي هذا الصحن صحن ثان ليس فيه من العمران سوى أروقة متصل بعضها ببعض يقيم الزوار فيها أيام الزيارات وبين هذين الصحنين حجرة واسعة لاقامة ذوي الوجاهة الذين يؤمنون المرقد الشريف أيام الزيارات ، وفوقها حجرة أخرى لعين الغاية . ومن هنا ندخل دهليزا منخفضا يبلغ طوله أربع أمتار الى صحن ثالث يمتاز عن الصحنين الأولين بنظافته وجدة بنائه حيث يقع فيه مرقد الشيخ عدي ، يتجه بابه نحو الغرب تماما وعلى جانبه الايمن شكل حية سوداء متدلّية من فوق الى أسفل ، وفي جهة الجدار قطع من الرخام (١) مرصوفة كتب عليها بالحفر كلمات إسلامية منها :

(١) لا جدال في ان هذه القطع من الرخام نقلت من محل اخر واستعملت في هذا الجدار ، والتاريخ الذي عليها هجري ، والذي يستلقت النظر هو وجود هذه الرخامات في المرقد ، واليزيدية لم يألفوا هذه

« السلطان يزيد رحمه الله » ومنها : « الشيخ عدي رحمه الله » ومنها : « أن هذا ضريح
الحاجي اسماعيل دونت على باب السعادة فأدخلوها بسلام آمنين في سنة ١١٩٥ » ومنها
« هذا ضريح سعد بن خاور ست زبانت في سنة ١١٩٦ » ومنها « أيا شمس علي بك ويا
فارس كونا نصيبي الحسن وحظ الحسين في هذه الدنيا والآخرة » ، وكتابات أخرى
صعب علينا قراءتها .

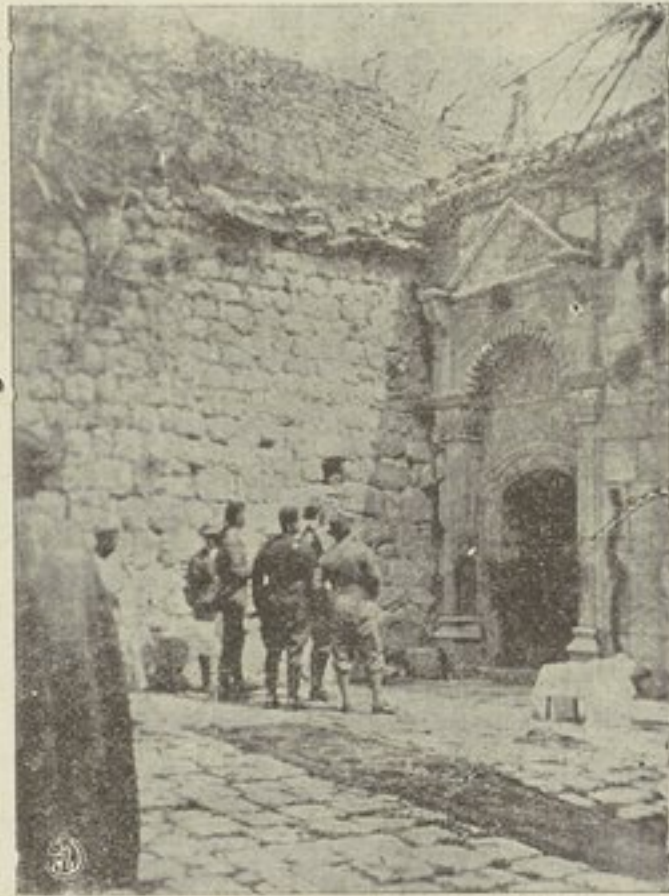


باب مرقد الشيخ عدي

أن هذا المرقد هو البناء القديم الذي كثرت حوله المجادلات في هل كان ديرا للنصارى
الفسطوريين وقد أسسه الراهب (إيوحنا) و (يشوعسبران) في فجر النصرانية ؟ ونحن

الكتابات في مرقدهم لا سيما إذا علمنا أن الحاج اسماعيل مسلم ، ولم يجوزوا دفن المسلم في معبدهم . أما
الرخامتان اللتان تحملان اسم يزيد والشيخ عدي فيجوز أن تكونا قديمتين .

لا يجادل في كون أنه لم يكن ديراً قبل ان حل فيه الشيخ عدي واتخذته مقاماً له كشأن كثير من المعابد التي « رددت في زواياها تراجم الوثنيين ، ثم طليت سقوفها ببخـور المسيحيين ثم بطنت جدرانها بصلوات المسلمين » إلا أن باب المرقد والدعامتين اللتين على جانبيه والنقوش المحفورة على هاتين الدعامتين وفي أعلاهما ، والأقواس التي على باب المرقد كلها أنشئت اخيراً وهي لا تفرق عن المباني المشادة في العصر الانابكي ، ولا تزال آثارها قائمة في أماكن كثيرة .



باب مرقد الشيخ عدي

يبلغ طول هذا البناء ثمانون ذراعاً وعرضه خمسين وهو مبني بطولا على سبع مناطق وعرضاً على ثلاث مناطق ، وفي صدر كل منطقة محراب متجه نحو القبلة تماماً ، وفي الجانب الأيسر منه مخدعان يدخل اليهما من باب واحد حيث نجد في الخدع الأول قبراً ينسبونه الى الشيخ بركات ، وهو أبو البركات بن صخر الذي خلف عمه الشيخ عدي بن

مسافر في هذه الرواية ، واليزيدية لا يعرفون شيئاً عنه ، ونجد قبراً آخر يعزونه الى الشيخ حسن البصري ، ولم نعلم صاحبه على وجه التحقيق ولعله قبر الشيخ عدي الثاني ابن الشيخ أبي البركات الذي جاء في مخطوطة الراهب راميشوع أنه قتل في (مراغة) كما سيأتي البحث عنه . ويدخل من هذا الخدع الى الخدع الثاني حيث ضريح (الشيخ عدي بن مسافر) قدس الله روحه ، تحيطه الهيبة والجلال وعلى ضريحه صندوق خشب عال لا يفرق عن قبور باقي الأئمة ، مغشى بقماش متين ، والقبة التي شاهداها عن بعد في مدخل الوادي تقسم على هذا الضريح ، وهي مبنية بالآجر وقد أجريت بعض التصليلات فيها .

ولهذا الخدع نافذة كبيرة محاطة بالرخام محفور عليها آية الكرسي بحروف كبيرة بارزة بالخط الثلثي كما يشاهد أمثالها في كثير من المراقد الاسلامية .

ولترك هذا البناء ونتوغل في الوادي فماذا نرى ؟ نرى ما لا يقل عن مائة وخمسين حجرة مبنية بالصخور الضخمة يختلف بعضها عن بعض من حيث البناء والوضع . فتنها ما هو قائم على صخرة منفردة لا يتصل بها أي بناء ، ومنها ما هو متصل ببعضه ، وأكثره عليه قباب متينة ومتقنة الصنع ، قسم منه لا يزال يحافظ على جدته ، وقسم قد آل الى الخراب ، ولا نستطيع ان نذهب بهذه المباني من حيث القدم الى الزمن الذي كانت فيه هذه الزاوية ديراً للنصارى ، بل شيدت على عهد آل « عدي » بعد ان كثروا وكثرت مواليتهم وأتباعهم وقصدهم الناس من مختلف الأقطار .

وما يدر بنا ان تكون هذه المباني شيدت على أنقاض حصون ومعقل أنشأها الآشوريون لصد الهجمات التي كانت تقع عليهم من الشرق من قبل الفرس الميديين الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر ؟ والآشوريون لم يكونوا ليغفلوا عما لهذا الوادي من الأهمية العظيمة من الناحية الحربية ويهملوا أمره . وفي عبده أبلت لنوري باشا والي الموصل أنه كان يوجد صخرة فيها كتابات آشورية وقد محاهها اليزيدية عمداً لئلا تجلب أنظار السواح الأجانب ويكثر التردد اليهم .

ويهمهم من هذا أن الراهبين يوحنا وبشوعسبران اللذين أسسا ديرها في هذا المحل لم

يكونا أول من وضعا أقدامها فيه وعرفاه ، بل كان معروفا قبلها وكان قد أصبح مسرحا لحوادث مهمة .

الى هذه المباني التي لم تزل آثارها قائمة يعدها البزيرية من المشاهد المقدسة ويזורونها ويتمسحون بأحجارها ويقبلون جذرائها باعتقادهم انها كانت مقاما للشيخ عبدالقادر الكيلاني والشيخ حسن البصري والشيخ شمس الدين التبريزي ومنصور الحلاج وقضيب البان ويسمون كل واحد منها باسم أحدهم ويوقدون له السراج مساء كل يوم .

ولا يجوز لأحد بصورة مطلقة ان يقيم ايام الزيارات في أي بناء شاء من هذه المباني بل التقليد الجاري يحتم على أهل كل بيت او أسرة ان تقيم في البناء الذي تعني به الى شيخها الذي تنسب اليه من حيث الطريقة او النسب .

ويوجد على قمة الجبل المؤدي الى (اشكفتيان - باعذرة) بناء مربع يسمونه (مقابل شيخ عدي) يذهبون الى ان الشيخ عديا كان قد اتخذ محل استراحة له عندما كان يتجول في الجبل ويكثر من زيارته .

وفي مساء كل ليلة يوقد السدنة السرج في الحرم الشريف والمزارات والطرق المؤدية الى المرقد ، وعلى الصخور والمباني ويكثر من ايقادها ليالي الأعياد والمواسم فيضاهي الوادي السماء بنجومه المتألقة .

وبالاجمال ان كل ما هنالك من شجر وحجر وتراب وماء يعد مقدسا بنظر البزيرية ويحرمون المشي عليه بنعالهم والتقرب من نسائهم ، وشرب الخمر الذي هو محلل عندهم ، ولا يجوز قطع شجرة من أشجارها باستثناء ما يحتاجونه لمطبخ الشيخ عدي ، ويجتنبون صيد الطيور والوعول التي توجد بكثرة فيه (وهذه نزعة اسلامية مضاهية لتحريم حرم مكة) .

﴿ نظرة في أصل هذه الزاوية ﴾

أجمع الكتاب من شرقيين وغربيين الذين بحثوا عن هذه الزاوية على أنها كانت قبل ديراً للنصارى وقد عاشت النصرانية فيه بضعة قرون ثم دخل بيد آل عدي الأمويين اما ان هذه الزاوية كانت قبل ديراً للنصارى فهي حقيقة لا اعتراض عليها ، الا ان النقطة التي يدور حولها الاختلاف هي كيفية خروج هذا الدير من أيدي أصحابه ومن هو الذي أخرجه واتخذته زاوية دينية اسلامية ومنى وكيف كان ذلك ؟ وبيننا نرى ان الروايات والأخبار مجمعة على ان أول من حل في هذا الدير واتخذته زاوية اسلامية هو الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، وقد حل فيه بعد ان وجده خالياً إذ ظهرت مخطوطة في الكلدانية لراهب يدعى « راميشوع » قلبت هذه الحقيقة رأساً على عقب وارجعت اخراج هذا الدير من أيدي أصحابه الى « الشيخ ابي الفاخر شرف الدين عدي بن ابي البركات » احذر جال البيت العدوي وكان اخراجه له بطريقة الاغتصاب والتغلب وأضافت الى ذلك اخباراً لم يكن ليؤيدها الواقع والتاريخ .

وقبل ان نبحث عن هذه المخطوطة نقتبس المقال الآتي لمواطننا الفاضل القس سليمان الصائغ من مجلة المشرق البيروتية من العدد العاشر لسنة العشرين لملاقته بهذا الموضوع : « وما يثبت عندنا استناداً على بعض مخطوطات « يشوعباب » (١) مطران إربل المعروف بابن المقدم ان مؤسس هذا الدير راهب من رفقاء ربان هرمزد الفارسي في القرن السابع للمسيح . وكان ربان هرمزد تهرب في دير (برعدتا) شرقي كرمليس على مسافة ساعة ونصف عنها وبعض أبنيته باقية الى يومنا هذا . ثم خرج وبرفقته ستة آخرون وهم : ابراهيم ، ويوصاداق ، وشمعون ، وأدون ، ويشوعسبران ، ويوحنا ، فشخصوا الى بيت عذرة فوجدوا هذا الموقع العجيب البعيد عن العمران ، وبقرية عين ماء جارية فكثوا هنالك بضعة ايام ثم افترقوا فسار ربان هرمزد الى القوش حيث أقام ديرهُ المعروف باسمه الى اليوم ، وذهب ويوصاداق وشمعون وأدون الى شمالي بيت عذرة فشادوا ديراً في

(١) شاعر آرامي كان يعيش في منتصف القرن التاسع الهجري وهو معاصر للراهب راميشوع الذي يعزى اليه وضع المخطوطة .

جبال قردو شمالي زاخو ترى الى يومنا هذا آثار كنيسة مع قلايته المنقورة بالصخر وتختلف عنهم يشوعسبران ويوحنا فثبتا في مكانها وشيدا ديراً نغم البناء وانضوى اليها عدد عديد من الرهبان وكان المرضى من القرى المجاورة يقصدون هذا الدير فينالون الشفاء من عاهاتهم ، ويستند الناظم في ذكره هذه المعجزات الى كتاب أخذته يدالضياع يدعوه بكتاب الأخبار . واستمر هذا الدير عامراً أهلاً بارهبان حتى ظهر الشيخ عدي في أواسط القرن الثاني عشر فطرد رهبانه واغتصبه منهم « وذكرها خمسة أبيات بالكلدانية وقال هذا نص عبارتها وأورد ترجمتها فقال : « وليت لبث الدير بيدنا حتى كان اليوم الذي أقبل فيه الشيخ عدي وقد تبعه خلق كثير من الأشياع والموالين وخضعوا له ، فأبتر أموالنا واغتصب ديرنا وما زال هذا الدير يعرف باسم الشيخ عدي في كل مكان الى يومنا هذا » . ولكن الراهب (مرتان) ذهب بقدم هذا الدير الى ما وراء ذلك حيث قال :

« ان معبد الشيخ عدي كان قديماً أهلاً على اسم (مار آدى) رسول الكلدان وأحد الاثنيين والسبعين تلميذاً » انتهى .

فهذه الاخبار التي أوردتها الخوري الفاضل عن تأسيس هذا الدير يجوز ان تكون صحيحة الا ان النقطة المهمة التي تقف عندها هي قوله : « ان الدير استمر عامراً أهلاً بارهبان حتى ظهر الشيخ عدي في أواسط القرن الثاني عشر (١١٥٠م - ٥٤٥هـ) فطرد رهبانه واغتصبه منهم » بينما ترى الراهب راميشوع يدعي في مخطوطته كما سنراه قريباً ان الدير كان مملوئاً بارهبان عام (١١٩٨م - ٥٩٥هـ) وقد خرج من أيدي أصحابه عام (١٢١٩م - ٦١٦هـ) والذي أخرجه (الشيخ عادي بن مسفر بن احمد الكردي التبرهي) الذي تربى في أحضان الدير بعد ان قتل رهبانه ونهب أمواله .

وهذا الخبر لا يتفق مع ما ذكره الراهب راميشوع في مخطوطته التي سنوردها قريباً الأمر الذي يجعلنا نتردد في قبول ما جاء فيها .

أن هذه المخطوطة لم تكن معروفة قبلاً ، ولم يتكلم أحد من الباحثين عنها ، ولم يكثر الكلام عنها إلا بعد ان أكثر اصحاب الأقلام الكلام عن اليزيديين . فأين كانت

مجموعة طيلة هذه المدة ؟ وكيف ظهرت للوجود ؟ ، فيقال ان أحد قسس النصارى عشر عليها في أحد أديرة ما بين النهرين وذهب بها الى كيليكيا ، ومن هناك انتقلت الى بلاد الغرب . وأول من تناولها المستشرق الفرنسي الموسيو « ف . نو » وبُحث عنها ، وضمها كتابه « مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية » المخصص في مجلة المشرق البيروتية (١٩١٥-١٩١٧) والمطبوع في باريس سنة ١٩١٨ ، ونشرها كثير من البعثات في المجلات والصحف ، إلا ان الذين حافظوا على أصلها قليلون وأكثرهم حذفوها وحذفوا منها .

كانت هذه المخطوطة مكتوبة باللغة الكلدانية وتمزى الى راهب يدعى (راميشوع) من دير « بيت عابي » (١) وجه خطابه فيها الى الربان يوسف في دير ميخائيل (٢) قريباً من إربل وذلك في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي (١٤٥٢) .

وتنقسم الى قسمين : الأول فيما يختص بزواية الشيخ عدي التي كانت ديراً لماريونا ويشوعسبران ، والحوادث التي جرت في نزعه من قبل الشيخ عدي وما آل اليه أخيراً أمر الشيخ وأولاده الذين قتلوا من قبل المغول وخروج الدير بالصورة النهائية من أيدي الرهبان حيث يقول : « وكيف لنا ان نمادي الذي وضع اسمه عليه لكونه خرج من حوزة النصرانية حيث أنه بقي الى نهاية هذا الجيل مسكوناً بأحفاده » . والقسم الثاني : يشتمل على بعض معتقدات اليزيدية وعاداتهم وأخلاقهم ، وهذا القسم لا حاجة لنا به .

﴿ تعريب المخطوطة المنوه عنها أملاها علينا أحد قسس النصارى تثبته بالحرف ﴾
فكتب بعون الله قصة دير (مار يوحنا) و (يشوعسبران) وكيف استولى عليه (عادي بن مسفر بن احمد بن بني أمية من قبيلة يزيد بن معاوية) إذ كنت طلبت مني

(١) يقع قرب (حربا) في مرج الموصل (يعرف بمرج أبي عبيدة عن جانبه الشرقي وهو موضع بين الجبال في منخفض من الأرض شبيه بالغور ، ونعتقد انه يقع في القر والزيار) أسسه راهب اسمه يعقوب أصله من لاشوم وهو محل يقع بين الزاب الصغير وكركوك .

(٢) أصله من قرية سوسنه بجوار آمد ، ترهب في جبل (انزلا) في أواسط القرن الرابع الميلادي ثم انتقل الى جبل (داسن) شمالي الموصل ، وعمر دير المعروف باسمه على بعد ساعة ونصف ساعة عن الموصل .

دفعات عديدة ، أيها الحبيب المحترم ، وأخي (الرهبان هرمن) الراهب الشهير في دير ميخائيل في ترعيل أن أكتب لك عن كيفية أخذ الدير الشهير لما ريوحنا ويشوعسبران وكيف كان ذلك ، أي كيف أخذه الشيخ عدي بن مسفر الكردي .

أيها الحبيب يوسف أيبين لك أنا (راميشوع) الشيخ ، أنه في سنة ١٥٠٩ يونانية المصادفة لسنة ١١٩٨ ميلادية كان الدير مملوءاً من الرهبان والكهنة والقسوس ، وموقعه فوق قرية « عين سفى » (١) في ذلك الجبل وفي شرقه نهر « الكومل » (٢) وقرية « خنس » (٣) على بعد ثلاث ساعات ، وكان للدير المذكور أملاك نحو ثمانين قرية وغنم تصعد الى « زوزان » (٤) وعددها (١٥٠٠) رأساً من غير المعز التي كانت تبقى في الدير لأجل إعاشة سكانه الرهبان . وله أيضاً جمال وبقر لا عدد لها حتى اشتهر ذلك الدير بكل مكان ، وكان راعي هذه الأغنام والد عادي المغتصب ، وقد تركه والده وهو في الرابعة من العمر في الدير وذهب الى زوزان حيث تعلم الكلدانية أولاً فأولاً من سكان الدير ، ولما بلغ أشده تزوج بابنة أحد عظماء التتر المشهورين وذلك لتقربه من رئيس الدير . وقد سلموه أشغال الدير كتنقسم الرحي وجمع الذخائر والزيت من القرى فمعظم قدره وذاع صيته عند الكبار والصغار خاصة لكرمه وسخائه حتى أحرز عزاً واسماً شهيراً .

كان والد (عادي) واسمه (مسفر بن احمد الكردي) من القبيلة « التبرهية » التي كانت

(١) مركز ناحية الشخان بالامس ومركز القضاء المسمى بهذا الاسم اليوم : تقع على بعد ثلاثين ميلاً شرقي الموصل وعلى الطريق المؤدي الى مرقد الشيخ عدي وهي قرية جسيمة ، وفيها عين ماء غزيرة يذهب اليزيدية الى ان سفينة (نوح) قامت منها .

(٢) تتجمع مياهه من ينابيع عدة في جبال المزورية وبعد مسير ثلاث ساعات يخترق جبل (شيخكة) من جبال قرية (خنس) الاثرية ثم يجري في السهل ويسقي مزارع قرى كثيرة .

(٣) قرية في لطف جبل شيخكة على نهر الكومل : فيها آثار قديمة ترجع الى عهد الآشوريين يؤمها السواح الاجانب لمشاهدة آثارها .

(٤) تطلق كلمة (زوزان) على مراعي خصبة في كردستان الشرقية يذهب اليها عشائر الاكراد المتجولة في الصيف لرعي ماشيتهم فيقال : زوزان كور وزوزان فراشين . وعلق المستشرق الفرنسي ف . نو : بأنه اسم جبل في كردستان يمتد مئتي ثلاثة ايام في شمال جزيرة ابن عمر وهو مشتهر في مناسخه وخصوبته ، والاكراد يقضون فيه فصل الصيف ويعملونه مقر انهم وراحتهم .

تذهب الى جبل زوزان وتنزل الى سهل الموصل في موسم الشتاء (١) وكانت الأمة البيزيدية التي هي من سكان جبل زوزان ايضاً ترافق والد عادي في الذهاب والمجيء من زوزان الى الموصل ، وكانوا يعتبرون كخدام لذلك البيت الكبير ، وكانوا يأتون بالهدايا لابن أميرهم عادي في موسم الخريف (تشرين الأول - تشرين الثاني) وكان عادي المذكور يقابلهم باللطف والحفاوة ويقدم لهم مأكلاً ومشرباً .

ولهؤلاء الناس ولم عظيم بالشرب ويبلغ عددهم (٦٥٠) خيمة من غير أتباع عدي المسلم وكان للدير المذكور عادة في كل سنة ان يذهب رئيسه الى الأراضي المقدسة في « اورشليم » مع بعض الرهبان ، وكان « عادي » ينظر في أعمال الدير كجاري عادته . ولما توفي أبوه تبلمت أعمال الدير ، وذلك ان أولاد « عادي » وهم شرف الدين محمد (٢) ونحصر الدين وشمس الدين ، تزوجوا بنساء مغوليات وتسلبوا على الدير وأخذوا يسبثون اليه ، وكان « عادي » ساكتاً عنهم ، فنزعت عن رئيس الدير عادي جميع شؤون الدير ولم يبق في يده سوى الغنم ، وعلى ذلك زاد عادي وأولاده بالاساءة الى الدير حتى أنه في بعض الأيام خطف بغلاً من الدير غير مكترث بما كان يصنعه الرئيس معه من الخيرات ، وأخيراً أساء بمعاملته مع الرهبان ايضاً ، ولم يستطع أحد أن يمنعه او يزجره ، وذلك لاشتباك الحروب الكثيرة في بلاد فلسطين على الأراضي المقدسة . ولما رأى الرئيس انه (أي عادي) لا يترك لهم راحة تهدده بان يشتكي عليه لدى الحكام في المدينة . وعندما سافر الرئيس مع الرهبان الى « اورشليم » وذلك قبل الصيام ، كان عادي يتسلط على الرهبان ويؤذيهم طمعاً في اموالهم وأملأهم ، وكانوا يعطونه كل ما يطلبه منهم خوفاً من بطشه ، اذ الزمان كان سيئاً

(١) علق (نو) على القبيلة الترية نقلا عن (كرونيكون - سرياكوم) لابن فرج بن العبري انه في سنة ٦٠٢ هـ : ١٨ آب ١٢٠٥ - ٨ آب ١٢٠٦ م : نزل الاكراد الذين يسمون بالترهسين وهم من جبال (مادي) بحوار (حلوان) وسببوا اضراراً عظيمة في نواحي الموصل ، فاجتمع عليهم جند الفرس وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . ان التيرهيين لم يعتنقوا الاسلام بل حافظوا على ديارتهم القديمة وهي الزردشتية المجوسية ، وكان بينهم وبين الاسلام عداوة شديدة .

(٢) لم يكن شرف الدين ابناً للشيخ عدي بل هو ابن الشيخ شمس الدين الحسن ابو محمد والشيخ عدي جده .

ورديثا وليس في استطاعة أحد أن يمنعه . وحدث في تلك الأيام أن أتى اربعة من لصا من اورشليم واتبعوا عديا ، وكانوا يطلعونه على الوقائع التي تجري في فلسطين وسوريا وكيف خربت القرى والمدن ويوقعونه على مجاري الأمور . فلما سمع عادي بهذه الأخبار عزم على أن يأخذ قضيبا ويلتزم به من الدير . وفي ذلك اليوم أقبل رسول من زعماء الأكراد المعروفين بالتيهيين سكان جبل مادي بجوار الزاب الكبير ، فدخل عادي الى الدير وطلب مأكلا ومشربا للزعم الذي أرسله في طلبه ، فأعطوه ستة اجمال من المؤونة مع ستة دواب لحملها ، وذهب معه ألف رجل من أهل بيته ، ولما وصل الى التيهيين عادوا ثانية الى هذه النواحي وخرّبوا وقتلوا وعاد بعدئذ هو وأهله ظافرا بالغنائم التي حصل عليها .

ومن بعد هذه التخريبات نهب الدير وقتل الرهبان ولم يترك احداً سوى راهب فقط ، وكان هذا الراهب مريضاً وطريح الفراش . وقد صمد عادي الى الدير مع جميع اهله في زمن الربيع أي بعد ثلاثة اشهر من حادثة القتل وتسلط على اموال الدير ونهبها باجمعها واتخذ الدير مقراً له ولأهل بيته بدون ممانع .

وحينما أتى رئيس الدير من اورشليم في شهر أيار ادخلوه وبعض الرهبان الذين كانوا معه عند عادي في المحل الذي كان يسكنه ، فسأله (اي عادي) من أنت أيها المسكين وماذا جرى لك ؟ فأجابه : أنا رئيس الدير الذي أنت فيه الآن وقد هجم اللصوص علي ثلاث مرات في الطريق وعملوا بنا كما تراه ، وقد أتيت لهذا الدير الذي هو لنا ، وليس لك حق أن تأخذه غضباً وتقتل الرهبان باجمعهم فيجب عليك ان تخرج منه بلا تأخير . فأجابه عادي : اني أخذته سيفاً لا وراثة ، فيلزم ان تخرج منه عاجلاً واصنع ما بدا لك وأغرب عن امامي حياً قبل ان اقتلك . فحينئذ خرج رئيس الدير هو ورفقاؤه وذهبوا الى بلاد فارس حيث كان رئيس الجنود المغولية ، فدخل امامه بثياب ممزقة وقد غفر رأسه بالتراب ، وكان يندب ويبكي بكاء مرأ على ذهاب الدير وقتل رهبانه . فلما رآه بانو (وفي نسخة أخرى اغلو) رق له وأمر عبيده أن يكرموه حتى تذهب جنود المغول الى اربل ، فأعطوه له ولرفقائه ألبسة ومؤونة تكفيهم ستة اشهر . وأقام سنة

كاملة في خراسان حيث كان المغول يتحاربون في تلك المدينة وفي خوارزم وذلك في سنة ٦١٩ هجرية اي بعد ضبط دير يوحنا ويشو عسيران بثلاثة سنين في ايام الملك الظاهر والمستنصر .

وبعد ان انتهت الحروب اعطيت الأوامر الى احد الأمراء وهو أخ « جنكيزخان » باحضار (عادي الكردي) لكي ينظر بسبب قتله الرهبان لذلك الدير العظيم . فسار الأمير يلحقه ألف فارس مغولي ، وعندما دخل الى « شهرزور » استراح هو وفارساه هناك وأرسل فارساً الى (عادي الكردي) ليوقفه على جليسة الأمر ويستقدمه اليه . فركب عادي عاجلاً وذهب الى الأمير (تومان) وعند وصوله سجد له على جاري العادة فسأله عن سبب قتله الرهبان واغتصابه الدير ، فأجاب (عادي) قائلاً : يا سيدي اني لم أقتل احداً منهم ولكن الاكراد التيرهيين حملوا على هذه البلاد فقتلوا ونهبوا وخربوا وذهبوا ، ولما رأيت انهم كثيرون ومخيفون فقد لازمت السكوت ونقلت اهلي الى الدير لكي لا يخرّب وسكننا فيه لكي نحفظه . فأمر الأمير بان يحمل (عادي) الى القاآن العظيم حيث كان في مدينة « مراغة » من اعمال فارس وقد حاكموه وقتلوه بلا شفقة ولا رحمة وذلك في موسم الخريف « تشرين الاول - تشرين الثاني » .

أما أولاد عادي فقد توجهوا نحو (نصيبين) قاصدين الأمير المغولي ومعهم ٥٠٠ فارس من أهلهم وأقاربهم فذهب (شرف الدين) والأمير (تومان) نواحي نصيبين ورجعوا الى الدير المذكور حيث رأوا المكان الذي أتى اليه ذلك الأمير ، وقدم (شرف الدين) و (شمس الدين) و (نغر الدين) أبناء عادي هدايا كثيرة الى ذلك الأمير ومن يصحبه لكي يسعوا في خلاص أبيهم ، وهم لا يعلمون شيئاً عن قتله .

وبعد أيام رجع هؤلاء الفرسان الى القاآن العظيم وعرفوه عن أبناء عادي الكردي وكيف أنهم شجعان وذوو بأس ومشغولون دائماً بالغزو ونحت أمرهم يوجسد (١٥٠٠) فارس ، فلما سمع القاآن العظيم وأمرأؤه الذين هم من آل جنكيز ذلك الكلام سكتوا له قليلاً وبعدئذ أمر القاآن العظيم الأمير « سوناني » ان يدبر المسألة بنفسه وقد عزم رئيس الدير والرهبان الذين معه في مراغة على ان يذهبوا مع « سوناني خان » حينما

سافر مع قواته العظيمة الا ان القاآن العظيم أمرهم ان يبقوا في فارس حتى يلقي ذلك الامير القبض على أولاد عادي وبميتهم ، وعندئذ يذهبون الى محلهم .. وقد قال القاآن العظيم ذلك بسبب المشاغبات والويلات التي كانت مستمرة حينئذ في بلاد الشرق وفي بلاد فلسطين . اما « بايجونوين » فقد قصد « أرزن الروم » مع قوة عظيمة من التتر حاملا الاوامر المشددة بقتل المسلمين . فجمع « عز الدين ايقونيوم » جموعا من المعديين والاكراد والتركمان وجعل عليهم قائدا « شرف الدين » بن عادي الكردي وأعطاه « حصن زائد » وأقام فيه الى ان وصل التتر فقاتلوه قتالا شديدا وأبادوا من جيوشه عددا عظيما وخرج من الحصن قاصدا « الجزيرة » فأدركه « انكورك نوين » وقتله . ازاء المحل الذي يسمى (قح) قبل ان يصل عز الدين .

وقد ورد من القاآن العظيم الى (بايجونوين) يأمره بالسفر الى « بابل » فأسرع حينئذ بجنوده وسار حتى وصل الموصل في موسم الخريف ولم يلحق ضررا بالاهالي لان الملك الصالح بن بدر الدين كان آتيا في تلك الايام من خدمة القاآن العظيم وأعطيت له (توركان خاتون) زوجة ابن خوارزمشاه وكانت في زي المغوليات .

وقد وقف شمس الدين بن عادي الكردي على قتل أخيه شرف الدين محمد من قبل عساكر التتر فأخذ إمرأته المغولية مع بقية نسائه وذهب ليلا الى الشام حيث توفي فيها

﴿ مأخوذ من التاريخ الذي في سراغة بدار البطريركية ﴾

تأخر هذا الامر بسبب اضطراب البلاد وملوك ذلك الزمن وقد توفي رئيس الدير في بلاد فارس في أحد الاديرة مع رفقائه الرهبان ، وبقي الدير عشرين عاما خرابا حتى قام « احمد » ملك التتر المسلم فذهب أبناء « شرف الدين » و « شمس الدين » مع أمهاتهم المغوليات اليه وتوسلوا به ، وتشفع لهم أمراء الاتراك لديه بخصوص إعادة الدير اليهم ، وقد سمح حينئذ برجعهم اليه فضبطوه من ذلك الحين الى يومنا هذا دون ان يجسر احد ان يبحث عنه شيئا .

وكان الشيخ عادي بالاسم مسلما لكنه متمسكا بالمذهب التبرهي ، وكان الذين يعتبرونه رئيسا لهم يطيعونه في كل ما يأمرهم به ، حتى كانوا يقولون انه من جنس الآلهة ، وفي

زمنه أبطل العلم إلا من أهل بيته وجعل لهم رؤساء يعلمونهم الايمان، ويجمعون منهم مقطوعه السنوي الذي فرضه عليهم والبعض لخدمة بيته . انتهت .

هذه هي المخطوطة التي تلقاها الباحثون من شرقيين وغربيين باهتمام عظيم وحكموا بها على اغتصاب « الشيخ أبي الفاخر شرف الدين عدي » ابن أبي البركات الدير المنسوب الى « مار يوحنا ويشوعسبران » . ومما يكن من أمر هذه المخطوطة من قدم وحدث قالذي نراه ان مؤلفها - سواء أكان الراهب راميشوع أم غيره ممن انتحل هذا الاسم - لم يؤلفها لغاية إظهار حقيقة جهلها الناس وانحصر علمه بها ، بل النيل من آل عدي الذين ورثوا هذا الدير وأسسوا زاويتهم عليه . ولم يدرس أحد من مؤرخي الاسلام وبحاثيهم هذه المخطوطة دراسة تامة ويقف على ما جاء فيها من أخبار متناقضة وآراء مغلوطة أريد بها الخط من كرامة هذا البيت والطعن فيه . وقد وافق أكثر الباحثين مؤلفها عليها وشاركوه في آرائه ، واذا أردنا ان نقول كلمة عن هذه المخطوطة ونفصح عن الأخطاء التي جاءت فيها ، فلم يكن القصد إلا انتصارا للحق وخدمة للتاريخ :

بعد ان ذكر مؤلف المخطوطة الأسباب التي ساقته الى كتابة هذه القصة الى الربان يوسف في « دير ميخائيل » وعرف موقع دير « مار يوحنا ويشوعسبران » تعريفاً جغرافياً ، وأوضح ما كان عليه من العظمة وكثرة الغناء والموارد قال : « أن الشيخ عادي بن مسافر الذي قام بعملية غصب الدير من أيدي أصحابه الرهبان وقتلهم جميعاً ، باستثناء رئيسهم الذي كان متغيباً ، كان بوقت ما في الرابعة من العمر ، وقد تركه أبوه وذهب الى جبال الزوزان لرعي الأغنام المختصة بالدير حيث تعلم الكلدانية من سكانه الرهبان . ولما بلغ أشده تزوج بابنة أحد عظماء التتر المشهورين وذلك لتقربه من رئيس الدير . وتسلم أشغال الدير وعظم قدره وعلا ذكره . . . وبعد ان ذكر أن والد عادي هو « مسفر بن احمد الكردي » من العشيرة التيرهيية التي كانت تذهب الى جبال الزوزان صيفاً ، وتنزل الى سهول الموصل شتاء ، ووصف أخلاق التيرهييين وعاداتهم وديانتهم ودرجة ولائهم لذلك البيت الكبير الذي ينتمي اليه عادي ، ومجيئهم الى عادي نفسه ، أخذ يقص على صاحبه الربان يوسف إعتداه عادي على رهبان الدير وإيذاه لهم طمعاً

في أموالهم وأملأهم . وبعد ان ذكر حوادث جرت له معهم ، ذكر نهبه الدير وقتله
رهبانه واتخاذهم مقرا له ولأهل بيته .

هذا ما قاله الراهب راميشوع عن الشيخ أبي المفاخر عدي بن الشيخ أبي البركات
وسماه : « بعادي بن مسفر بن احمد من بني أمية من قبيلة يزيد بن معاوية » وفي محل
آخر « من قبيلة التيرهية » واستيلائه على دير « مار يوحنا وبشوعسبران » واعتدائه
على أصحابه الرهبان . بينما نعلم ان الدير خرج من أيدي أصحابه قبل ذلك بزمن بعيد
ودخل في حوزة الشيخ عدي بن مسافر الأموي وأسس زاويته عليه ، وعاش ومات
ودفن فيه بتاريخ ٥٥٥ او ٥٧٠ للهجرة (١١٦٠-١١٦٢ م) واذا كان أقام فيه عشرين سنة
على أقل تقدير ، فيكون قد مضى على خروجه من يد أصحابه قبل التاريخ الذي عينه
بنحو ثمانين سنة وقد شهد على ذلك شاهد من أهله وهو « بشوعياب » مطران إربل
اذ يقول : « أن نزول الشيخ عدي على الدير كان في اواسط القرن الثاني عشر ، وما
زال هذا الدير يعرف باسم الشيخ عدي حتى يومنا هذا » فبعد ان يكون قد خرج
الدير من أيدي أصحابه بهذا التاريخ ، كيف يجوز لعادي ابن مسفر ان يستولي عليه ؟
ان بعض الكتاب الذين يريدون ان يجدوا حلا لهذا التباين يرون احتمال وقوع
استيلائين على هذا الدير . الأول : وقع على يد عدي بن مسافر الأموي ، والثاني وقع
على يد عادي بن مسفر الكردي التيرهى وهذا الاحتمال لو ورد يرد اذا فرضنا ان
الدير بعد ان أخرجه الشيخ عدي بن مسافر من أيدي أصحابه للمرة الأولى ، استعاد
أصحابه قوتهم وطردوه عنه وبقي في قبضتهم الى ان جاء عادي بن مسفر وأخرجه من
أيديهم للمرة الثانية . ولكن لا يوجد دليل على ان اصحاب الدير استعادوا قوتهم في
هذه الحقة وطردوا آل عدي من ديرهم وملكوه من جديد . والتاريخ يدلنا على ان
الشيخ عديا بعد ان توفي ودفن في زاويته خلفه ابن أخيه أبو البركات وعاش في هذه
الزاوية الى ان مات مسنا وقبره ظاهر يزار وخلفه ابنه أبو المفاخر عدي بن أبي البركات
بطل قصة الراهب . إذا فدعوى وقوع استيلائين على الدير باطلة وغير واردة .
وقد يرد احتمال آخر : وهو ان تكون زاوية الشيخ عدي في غير المحل الذي وقع

عليه استيلاء الشيخ عادي بن مسفر الزعوم . وهذا يجوز اذا وجد في البقعة التي عرفها لنا الراهب راميشوع تعريفا جغرافيا واديان بسميان « لالش » وفي كل واد دير يسمى باسم « مار يوحنا ويشوعسبران » وقد وقع الاستيلاء على كل دير على حدة .
وأراد كاتب فاضل ان يبرهن على صحة استيلاء عادي بن مسافر على الدير ووضع نظرية على جانب من الغرابة وهي احتماله ان تكون زاوية الشيخ عدي بن مسافر في موضع غير هذا الموضع ، فجاء شرف الدين أبو المفاخر عدي او غيره فوضع لأصحابه حكاية الدفن في هذا الموضع ليزدادوا تمسكا بوضع اليد عليه . ويجوز هذا الاحتمال اذا تفينا جميع الأخبار التي تدل على ان الشيخ عدي اتخذ زاويته في الدير الذي يدعيه النصاري في وادي لالش ، او يكون - كما قلنا - يوجد في هذا الوادي ديران بسميان باسم واحد .

والراهب لم يكن موفقا في دعواه عن استيلاء « عادي بن مسفر » على هذا الدير . وقد دل على تقسية تحتدم كيدا وعدوانا على هذا البيت وأباح لنفسه كل قول باطل عنهم . فقد طعن بنسبهم وجعلهم تبرهيون ، وطعن بسلوكهم وأنزلهم الى درجة اللصوص وقطاع الطريق ، ونفى عنهم الاسلامية وعدمهم مجوسا . وقال عنهم انهم كانوا رعاة لا غنام الدير ، وأن « عديا » تربى في كنف الرهبان وعاش على إنعاماتهم ، واخبراً كفر بنعمتهم وأساء اليهم ، ورماه بكل منقصة وسبة . على ان كلامه لا يغير حقيقة تاريخية ويحط من كرامة هذا البيت ، فنسبهم محفوظ ، وهم من أحفاد الملوك الأمويين وسلوك أبي المفاخر عدي ونهجه الديني لا غبار عليه . وقد وصفه مؤرخ اسلامي « بالشيخ الأصيل » وعده « من أعيان مشائخ العراق المعبرين وصاحب كرامات وأحوال » وقال عنه : « انتهت اليه الرياسة في وقته في تربية المريدين بجبل هكار وما يليه ، وتخرج بصحبته غير واحد . وكان ظريفا ، ذا سمت وحياء ، محبا لأهل العلم ، وافر العلم ، شديد التواضع ، وأجمع العلماء على تبجيله واحترامه ، وقصد بالزيارات ، واشتهر ذكره في الآفاق ... »

ولترك هذا جانباً وننظر في الخبر الذي ساقه عن قتل الشيخ عدي من قبل المغول

على شكايه رئيس الدير عليه . يدعي الراهب في مخطوطته ان استيلاء عدي على الدير وقع سنة ٦١٦هـ-١٢٣٧م ، وان رئيس الدير ذهب الى بلاد فارس لرفع ظلامته الى القاآن العظيم « جنكيزخان » سنة ٦١٩هـ-١٢٤٠م ، وقد بقي في خراسان الى ان حانت الفرصة وذهبت جيوش المغول الى بابل لاحضار عدي ، فأحضر الى « مراغة » حيث القاآن العظيم فحوكم وصدر حكم الاعدام بحقه دون شفقة او رحمة كما عبر عنه الراهب . واذا رجعنا الى التاريخ نجد ان جيوش المغول لم تأت الى العراق الا سنة ٦٣٣هـ-١٢٥٤م حيث تعرضت لأول مرة لمدينة إربل ، ولم يحقق مجيئها الى العراق قبل هذا ، فكيف نعلم ما قاله الراهب عن مجيئها للقبض على عدي وهو لم يتمد حينذاك بلاد ما وراء النهر ؟ ولنفرض ان الجيش الذي جهزه القاآن العظيم لاحضار عدي - ويبلغ ١٠٠٠ فارس مغولي ويقوده الامير تومان - تخطى البلاد التي مر منها دون ان يشعر به احد وجاء العراق وقبض على عدي وذهب به خلصة الى « مراغة » حيث القاآن العظيم ، فحوكم وقتل . إلا ان مجرى الحوادث يدل على ان القتل وقع على عهد « هولاكو » وهو الذي كان يقيم في « مراغة » وقد اتخذها عاصمة له وذلك في حدود سنة ٦٥٤هـ-١٢٧٥م ، فأين ذهب جيش المغول بعدي أأبقاه مسجوناً ؟ وهل بقي طيلة هذه المدة رهن التحقيق ونظر في أمره جنكيزخان ، ثم ابنه تولي خان ، ثم ابنه منكوقاآن ، ثم زوجته نوراكينا خاتون ، ثم هولاكو ، الى ان ثبتت إدانته وصدر حكم الاعدام بحقه ؟ وردم مملكته بأسرها ، وإفناء مئات الالوف من البشر يكفيه إشارة واحدة يصدرها هؤلاء الملوك ولا يحتاج الى محاكمات طويلة وعريضة ، ثم ماذا بهم هؤلاء الملوك أمر رئيس الدير واخراج الدير من يده وقتل رفاقه الرهبان حتى يأمر جنكيزخان أخاه بارسال هذه القوة الكبيرة للقبض على عدي الكردي فتذهب وتقبض عليه وتأني به فيحاكم ويقتل بعد ان يكون قد بقي اكثر من ثلاثين سنة في التوقيف ؟ وهذه البلاد لم تكن قد دخلت في حكم المغول ولم يعرفوها . وملوك المغول ليسوا من الغفلة بالدرجة التي يرسلون هذه القوة الى بلاد بعيدة عنهم وغريبة لدفع حيف عن رجل لا تربطهم به رابطة جنسية او دينية او تابعية .

يقول الاستاذ سر كيس: «من المحتمل ان يكون الشيخ عدى كهلا عندما استولى على الدير وشيخا عندما قتل». ونسبى أن المغول ليس من شأنهم ان يطيلوا توقيف أحد سنيا طوالا طالما في وسعهم معالجته بالسيف.

يقول عن الشيخ عدى بن سفر: «انه لما بلغ أشده تزوج بابنة أحد زعماء التتر المشهورين وذلك لتقربه من رئيس الدير».

ان أول دخول التتر بلاد الاسلام كان سنة ٦٢٠هـ - ١٢٤١م حيث كان طاعيتهم جنكيزخان يحارب خوازمشاه على ملكه ، وقد ظل هذا الجيش يحارب في بلاد ما وراء النهر وخراسان وبلاد فارس ، ولم يأت العراق إلا بعد ان استقصى هذه البلاد بكاملها وكان أول ظهور طلائعه في العراق سنة ٦٣٣هـ - ١٢٥٤م فاذا علمنا ذلك أين عثر عادى ابن سفر على ابنة عظيم التتر وتزوجها؟

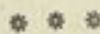
ويذكر: أن اولاد الشيخ عادى بن مسفر وهم: شمس الدين ونفر الدين وشرف الدين «لم يكن شرف الدين ابناً له بل حفيداً وهو ابن شمس الدين» تزوجوا بنساء مغوليات وتسلطوا على الدير. فاذا كان تزوج الشيخ عادى واولاده الثلاثة بنساء مغوليات فيجب أن يكون تزوجهم بهن بعد ان جاؤوا الى العراق أى بعد ان دخلت سنة ٦٣٣هـ - ١٢٥٤م وفي هذا التاريخ نجد الشيخ عادى مقبوضاً عليه ، وأولاده الثلاثة مشردون ولم يبق الدير بيد اصحابه حتى يتسلطوا عليه. ثم هل كان مجيء المغول الى هذه البلاد بغية الاستيلاء والفتح ام ليهبثوا عن أزواج لفتياتهم يزوجونهم منهم؟ وكانوا ينظرون الى المسلمين بكرامية واحتقار ويمدونهم أحط منهم محسداً ولم يقع ان صاهر احد منهم مسلماً حتى بعد أن ثبتت اقدامهم في هذه البلاد؟

* * *

لقد بنى الراهب قصته على أساس جعل بطلها عدياً ابن ابى البركات تيرهياً بعقيدته ونسبه. وأن الاعمال التي قام بها في اخراج الدير من ايدي اصحابه الرهبان والاعتداء عليهم كانت بمعاونة قومه التيرهيين. وكان التيرهيون ينزلون في موسم الشتاء الى سهول الموصل وينهبون صيفاً الى جبال الزوزان. والتيرهيون لم يثبت مجيئهم الى العراق

واقامتهم بسهولة الموصل . وكل ما يعرف عنهم ما قاله ابن الأثير : أنهم قوم وثنيون خرجوا من وراء النهر على زمن الملك سبكتكين (٥٠٠-٥٣٨٧هـ) وعبروا حدود مكرهان « اقليم في بلاد البلوج » وواصلوا غاراتهم على مسلمي تلك الأرجاء ، وعظم خطرهم على أهل مدينة فرشاور (تقع بين غزنة ولاهــور) وقد أسلموا على عهد الملك أبي المظفر شهاب الدين بن سالم الغوري (٥٠٠-٥٦٠٢هـ)

وجاء في التاريخ السرياني لأبي فرج بن العبري عنهم : أنهم من جبال « مادي » بجوار « حلوان » وأنهم نزلوا سنة ٥٦٠٢ - ١٢٠٦م الى نواحي الموصل وسببوا اضراراً عظيمة فاجتمع عليهم جند الفرس وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . فهذان الخبران - على ما فيها من تباين - ليس فيها ما يؤيد دعوى الراهب عن التبرهيين . وكأننا علم باستحالة نزول التبرهيين من جبال مادي الى نواحي الموصل على بعد المسافة ، فجعل مادي بجوار الزاب .



وقد أراد إيجاد علاقة لارسال « بابجونين » الى بلاد الروم مع قوة كبيرة من التتر لازالة الخلاف بين السلطان عز الدين كيكاس صاحب قونية وأخيه ركن الدين وتقسيم الممالك بينها - بالقبض على اولاد عادي وامانتهم . وكان ارسال هذه القوة على عهد هولاكو وهو في بلاد فارس يحارب الملاحدة الاسماعيليين . وهولاكو لم يكن اذ ذلك قد باشر أمر العراق وعرف اولاد عدي وشعر بخطرم وهمه أمرهم حتى يأمر قائده « بابجونين » بامانتهم . وكان شرف الدين محمد قد التحق بخدمة السلطان عز الدين كيكاس ودخل في عداد قواده ليتولى الدفاع عن مملكته ضد المغول وقد قتله « انكورك نوبن » وهو في طريقه الى « خرتبرت - خربوت » قاصداً السلطان عز الدين .

ويقول الراهب : ولما وقف شمس الدين بن عادي الكردي على قتل أخيه شرف الدين محمد أخذ امرأته المغولية مع بقية نسائه وذهب ليلاً الى الشام حيث توفي فيها . وشمس الدين لم يكن أخاً لشرف الدين بل أباً له . وقد وقعت قتلته في سنة ٥٦٤٤ - ١٢٥٦م على يد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في الموصل لأسباب سياسية كما سبق لنا

ذكره ، والذي ذهب الى الشام هو الشيخ زين الدين يوسف بن الشيخ شرف الدين
وولده عز الدين فتخلف عز الدين في الشام وذهب الشيخ زين الدين الى القاهرة حيث
توفي فيها .

يقول : وقد بقي الدير خراباً عشرين سنة حتى قام « احمد » ملك التتر المسلم فذهب
ابناء شرف الدين وشمس الدين مع امهاتهم المغوليات اليه وتوسلوا به ، وتشفع لهم بعض
أمراء الأتراك بخصوص إعادة الدير اليهم ، وقد سمح بارجاعه اليهم ، فضبطوه من ذلك
الحين ، ولم يجسر أن يعارضهم فيه أحد .

ان الذي ثبت عندنا أن زاوية الشيخ عدي لم يصبها خراب طالما كانت ابنا عدي
مقيمين فيها . ولم يثبت خروجهم منها ، وقد حمل بدر الدين لؤلؤ بجيوشه العظيمة عليها
أكثر من مرة ، وكانت آخر حملة أرسلها سنة ٦٥٢هـ ونكل بأصحابها وقتل وصلب
المئات منهم وظلت محافظة على وضعها . وقام فيها منازعات دينية عصبية انجرت الى
ثورات دموية دامت حتى أواخر الربع الأول من القرن الثامن الهجري وربما بعده ولم
يصبها وهن . فكيف يذهب أبناء شرف الدين وشمس الدين مع أمهاتهم المغوليات الى
السلطان « احمد » المسلم المغولي ويتوسلونه لإعادة الزاوية اليهم وبجيبهم الى ذلك ، والزاوية
هي في حوزتهم ؟ ثم اذا كانت الزاوية بقيت عشرين سنة خراباً فلماذا لم يستعيدها
أصحابها بعد أن يكون قد تخلى غاصبوها عنها ، والمغول يعطفون عليهم ؟



هذا أهم ما جاء في هذه المخطوطة ، وفيها أغلاط تاريخية أخرى لم تتعرض لها . والراهب
أراد منها أن يجعل البيت العدوي مسؤولاً عن اخراج الدير من أيدي أصحابه ، ويوجه
اليهم تهمة قتل الرهبان ونهب أموالهم وتحويل الدير الى معبد اسلامي ، إلا انه لم يكن
في ذلك مصيباً ولا محقاً .

والذي نستنتجه من سير الأخبار والحوادث أن دير « مار . يوحنا ويشو عسبران »
لم يدخل في يد آل عدي اقتحاماً واغتصاباً ، وقد جاء الشيخ عدي بن مسافر الأموي
ووجده خالياً وسكن فيه . والذي أخرجه من أيدي أصحابه - على ما ترجح - هم

الأكراد سكان هذه الجبال ، او الأكراد الذين يرنادون هذه الجبال لوقت معين
وينزحون في الصيف الى الشمال وهؤلاء قوم وثنيون لم يدينوا بالاسلام ، وكان
دأبهم الاغارة والنهب والعبث بالأمن ولا توجد سلطة حكومية تؤثر عليهم ونحمي البلاد
منهم . فوقع هذا الدير تحت رحمتهم ، فكانوا ينزودون منه ويقضون حاجتهم فيه ،
وأصحابه الرهبان لم يحركوا ساكناً ، وقد رأينا الى زمن قريب جداً كيف كانت
عشائر الأكراد القوية يعاملون النصاري في الجبال بجفاء وينهبون ما في أيديهم
ويتجاوزون على الأديرة والكنائس ويوقعون الأذى فيها . اذاً ما قولنا فيما كان
يوقعه هؤلاء الأكراد قبل ثمانية عصور في الأهالي الهادئة المطمئنة من اعمال العسف
والارهاق حتى انهم كانوا يهاجمون المدن ويسلبونها . ولذلك لم تكن مخطئين اذا اعتقدنا
ان تخريب الدير وقع على ايدي هؤلاء الأكراد ، وكان ذلك قبل مجيء الشيخ
عدي اليه . وعندما جاءه وجده خالياً وخراباً .
والراهب راميشوع الذي جاء بعد وقوع حادثة الدير بثلاثة قرون لم يعرف شيئاً عما
حدث في اخراجه من ايدي اصحابه وكل ما عرفه ان رآه قد دخل في حوزة آل عدي
فعدهم هم الغاصبون له وتكلم عنهم بالمعاطفة والخيال .

العشائر اليزيدية وفرقهم وقبائلهم

في سنجار والشيخان وبقية المواقع

ينقسم اليزيدية في جبل سنجار الى قسمين (١) الخوركان (٢) الجوانا وذلك من قبل السنة والشيعة عند الاسلام ، وهذا الانقسام يرجع الى أول عهد ظهورهم في الجبل وهو ليس من الدين والعقيدة بشيء ويمكن التفريق بينها عند أول نظرة يلقيها الانسان اليهم فالجوانا يظفرون شعورهم ويرسلونها على أكتافهم شديداً وشباناً ويلبسون على الأغلب قبعاً طويلاً وينتمون الى « الشيخ شرف الدين » ويعطون نذورهم وصدقاتهم الى سدة مرفده على عكس الخوركان . ويرفعون عن تزويج فتياتهم من الخوركانيين والتزوج بفتياتهم ، إلا اذا أعطى الخوركاني نذوره الى الشيخ شرف الدين وأصبح جوانياً ويدعى الجوانا الأفضلية والتقدم على الخوركانيين باعتبار أنهم وفدوا الى جبل سنجار على عهد الشيخ شرف الدين وعلى يدهم انتشرت اليزيدية .

ان عشائر الخوركان هم كما يأتي : (١) قيران (٢) سموقة (٣) هسكان (٤) آل دخي (٥) جلكا (٦) جلكان (٧) فقراء (٨) موسانه (٩) جفريه (١٠) حليقية (١١) هويرية (١٢) كوركوركا (١٣) مندكان (١٤) رشكان (١٥) شرفيان .

وهنا نبحت عن هذه العشائر واحدة فواحدة ثم نتكلم عن الجوانا .

« ١ » القيران : ينقسمون الى خمس فرق وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الإقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلمون
حكرش	حجي مرزة	سكينية	٧٠	٤٥٠	٧٠
	ابراهيم شيبو				
مالاسلو	مجو	مجنونية	٦٠	٤٠٠	٦٠

اسم القرية	اسم الرئيس	محل الإقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
محمي	مراد خليل	سكينية	٨٠	٥٥٠	٨٠
زندينان	بشار قاسم	وردية وغيرها	١٠٠	٧٠٠	١٠٠
شافى باقى	خلف ملكو	سكينية، جدالة	١١٠	٧٥٠	٩٠
			٤٢٠	٢٨٥٠	٤٠٠

ان كلا من الحكرشية ومالاسلو ومحمي هم من صلب والزندينانين وشافى باقى من صلب والزندينانيون يقطنون قرية الوردية وهم أهل ماشية ويشغلون بالزراعة وقلماء يشتركون في المنازعات التي تحدث بين الفرق الأربعة الأخرى ويعدون من أغنى عشائر القيران ، واليزيدية لا يميلون اليهم كثيراً ويحتنبون مصاهرتهم بدعوى انهم تخلفوا عن محاربة الفريق « عمر وهبي باشا » عندما حمل على سنجار عام ١٨٩١ بغية إرغامهم على تبديلهم دينهم ، ولهم ولع كبير بالقمار ويراهنون على نسائهم وفتياتهم (١) .

والحكرشية ومالاسلو كانوا الى عهد قريب في نزاع مستمر مع مالا محمي وشافى باقى وقلماء حصل اتفاق بينهم ويترأسهم الشيخ خضر بن الشيخ أعطو من أسرة الشيخ نحر « نحر الدين » ويرجم بالأصل الى قرية « باصفنه » في قضاء الشيخان - وهو خال الشيخ ناصر رئيس المسكان - ورأسه لم تكن ثابتة وكثيراً ما أخرجه القيرانيون من بينهم ، وهو لا يستند على عصبية عشائرية يقوى بها أكثر مما هو شيخ طريقة يرون طاعته واجبا عليهم ، ولم يكن أكبر خطراً على الأمن في جبل سنجار من تزعم هؤلاء الرجال الروحانيين فقد يستغلون سذاجة الشعب ويوجهونه حسب رغائبهم باسم الدين . فتعاني الحكومة صعوبات حمة في اخماد الثورات التي يقيمونها وهم لا يفتأون من إيقاد نارها واكثر الثورات التي كانت تقع في العهد العثماني بين قبائل الأكراد هي من هذا القبيل والموجد لها اصحاب الزوايا والتكايا المشائخ ، اما الآن فلم يبق لها وجود وآخرها ثورة البارزانيين وقد قضت الحكومة عليها .

(١) لم تكن هذه العادة منحصرة بالزندينانين فقط بل يتبعها آخرون غيرهم وقد ضعفت الان ولم يعمل بها الا القليلون .

(٢) سموقة : ينقسمون الى خمسة أنفاذ وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
لالو اسماعيل احمد مطو وحسين مطو	بارا	١٣٠	٩٠٠	١٠٠	
مالا محمود امسيخ بلو، ملكو احمد	»	٨٠	٥٠٠	٩٠	
رغيان حسن شمو	»	٦٠	٤٠٠	٦٠	
علي جرمكا	»	١٠٠	٧٠٠	٩٠	
اوسكي	»	٩٠	٥٥٠	٩٠	
		٤٦٠	٣٠٥٠	٤٣٠	

يعرف السموقيون بميلهم الى الهدوء والسكينة والبعد عن الشغب والتحزب. ويملكون مواشى كثيرة، ويشغلون بالزراعة، ومعيشتهم بسيطة للغاية، وهم أشبه ببدو العرب. ولقربهم من الحدود السورية فقد اشتغلوا طيلة سنى الحرب بالتجارة والتهريب ونالوا ثراء واسماً. وكانوا في حادثة ٩٣٥ نزحوا الى الأراضي السورية عدا قبيلة «علي جرمكا» التي يرأسها «حمو ملحم» ولاقوا عسراً وضيقاً شديدين ثم رجعوا الى أماكنهم. ويرأسهم الآن اسماعيل بن احمد مطو وجميعهم في طاعته، والقيرايين والسموقيون وفدوا الى سنجار منذ زمن بعيد وهم أكراد خالصوا الدم، ولا يعلم المحل الذي وفدوا منه.

(٣) المسكان : ينقسمون الى خمسة فرق وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
(أ) ابدالى	كو عمى	سنوني، كنى	٧٠	٣٥٠	١٢٠
(ب) ابدالى	ابراهيم خليل	كله خان	٢٥	١٠٠	٢٥
محكي	فارس شرو	سنوني، كنى	٦٠	٢٠٠	٧٠
شركان	احمد جرو	خانه صور	١٠٠	٣٥٠	٨٠
مشوبي	عبدالله فندي	سنوني، كنى	٧٥	٢٥٠	٩٠
سنديا	عبدالله النوري	شنانيك	٢٠	١٠٠	٢٠
		٣٥٠	١٣٥٠	٤٠٥	

وقد يقدر البعض نفوسهم بين الألفين وخمسمائة وثلاثة آلاف وهو مبالغ فيه . وهم أكثر عشائر اليزيدية ثروة وبساراً وعمومهم مسامون . ويعيشون عيشة البداوة ، ويرحلون في موسم الشتاء والربيع بأغنامهم الكثيرة الى أراضي الجزيرة ، وربما يتجاوزون الأراضي السورية انتجاعاً للرعى . ويرأسهم الشيخ خلف بن الشيخ ناصر باستثناء « الشركان » الذين لا يعرفون له رئاسة عليهم . وهو من قرية « بحزاني » قريباً من الموصل . وكانت رياسته عليهم دينية ، ثم تحولت الى زمنية .

ويأتي بعد الشيخ خلف بالرياسة على المسكان « كوعمي » وهو رجل عاقل ومدبر للغاية . وقد نفته الحكومة الى ألوية جنوبي العراق نحو ثلاث سنين ثم أعادته الى محله .

٤- آلدخي : وينقسمون الى أربعة أنحاذ وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الإقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
آلدخي	عثمان حنا فوك	خان منصور	٧٠	٢٦٠	٤٠
آلدخي	غانم قاسم	مامبسه	١٠٠	٨٠٠	٥٠
»	خديدة خرشي	شاميكه	٤٠	٣٠٠	٢٠
»	مواد فاطمي	كرسي	٢٥	١٢٠	١٠
			٢٣٥	١٤٨٠	١٢٠

لم يكن آلدخيون على شيء من القوة والمنعة وينظمون على الأغلب الى عشيرة أقوى منهم ، وهي قاعدة تتبعها العشائر الضعيفة في جبل سنجار ، وبدونها لا يستطيعون أن يحافظوا على موجوديتهم ، وكانوا قبل بضع سنين قد انظموا الى الفقراء بطريقة التحالف ولما قتل الفقير خديدة رئيس الفقراء بقوا دون محالف ، فطمعت العشائر القوية فيهم إلا أن الحكومة حافظت عليهم ومنعت اعتداءهم عنهم

وآلدخيون يرجعون بأنحاذهم الأربعة الى أصل عربي ويعتقد أنهم من قبيلة (آلدخي) التي هي فرع من عشيرة « اعبادة » العربية .

(٥) جلکا : ينقسمون الى ثلاث فرق وهذا بيانهم .

اسم الفرقة	الرئيس	محل الإقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
جلكا سموفاطمي، زلقو زرافكي	٥٠	٤٠٠	٣٠		
كوركوركا قرو عمر	٤٠	٣٠٠	٢٠		
» علي كوبو كوركوركا	٤٥	٣٠٠	٣٠		
	١٣٥	١٠٠٠	٨٠		

كان الجلكا الى زمن غير بعيد يعدون والكوركا عشيرة واحدة ، ثم اختلفوا بينهم وتنازعوا على قرية كاباره ، ولم تكن العلاقات الآن بينهم حسنة ، وهم على جانب من القوة .

(٦) جيلكان : يشتملون على (١٢٠) بيت ، ونفوسهم تبلغ زهاء (٥٠٠) نسمة ، ويملكون نحو (١٢٠) بندقية ، وفدوا قبل نحو ثمانين سنة من نصيبين وماردين ومنهم من طور عابدين وعاشوا في الكهوف والمغارات وبيوت الشعر ثم مالوا الى السكنى وتفرقوا في القرى ولم تكن لهم جامعة تجمعهم ويسكنون الآن في البلد ، وجدالة ، وقزلكند ، وكاباره ، وكاني بابا ، ودهولي ، وقويبي ، والمجنونية ، والنصيرية ، وملك . وسنبعث عنهم في محل آخر .

(٧) الفقراء : ينقسمون الى ست فرق وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم القرية	اسم الرئيس	عدد النفوس	الرجال المسلحون
مالازرو	سم استر	مراد مرخان	٥٠٠	١٠٠
مالا شيرو	جدالة	صيدو حوشيرو	٣٠٠	٦٠
مالا جندو	كرسي	حسن علي	٣٠٠	٦٠
مالا اوصو	اشكفتيان	مراد منت	٤٠٠	٨٠
مالا كاكو	جدالة	حسن كاكو	١٥٠	٣٠
مالا حنو	جدالة	-	٦٠	١٠
			١٧١٠	٣٤٠

(أ) يعد مالازرو من أقدم الفقراء في سنجار والباقون وفدوا من أماكن مختلفة منذ زمن بعيد .

(ب) لم ينحصر سكنى سم استر « سمى هستر » وبردحلي وجدالة بالفقراء وخدم بل يوجد بينهم من ليسوا منهم .

(ج) ان مالا أوصو لم ينحصر سكناهم في اشكفتيان فقط بل يوجد منهم في بردحلي وجدالة . وفقراء اشكفتيان هم حلفاء لمالاشيرو قديما ولا يزالون على حلفهم معهم .

(د) لم يكن لمالاحنو رئيس بل هم تابعون الى مالاشيرو .

كان الفقراء الى ما قبل نحو ستين عاما شردمة قليلة مستضعفين لا قيمة لهم من الناحية العشائرية وكانوا دوما هذفا لاعتداء عشيرة الموسقورة وعلى ديننا الى أن قبض الله لهم (هو شيرو) فلم شعثهم وجمع كلمتهم وجعل منهم عشيرة قوية مرهوبة الجانب .

كان هو شيرو رجلا عصاميا حالفه التوفيق ووافته الفرص وأصبح حاكما على سنجار فعظم شأن الفقراء ونوسعوا في الأراضي ، واكثروا من الزراعة وغرس الاشجار وتربية المواشي حتى أصبحوا أغنى الناس في الجبل ، وأكثروا من الزواج بالنساء فزاد عددهم ، واقتنوا جيد السلاح فقويت شوكتهم . وبعد وفاة هو شيرو انتقلت الرئاسة الى ولده « خديدة » فكان رجلا كيسا عاقلا فرغم من شأن الفقراء ، وأوجد اتفاقا بين بقية القبائل اليزيدية ، فساد الجبل السكون وعمه الأمن . إلا ان خطته التي سار عليها لم تكن لترق لبعض الفقراء الذين لا يميلون اليه كثيرا فمقدوا النية على اغتياله ليصفوا لهم الجو ويلعبوا دورهم الذي أرادوه . فما كان منهم إلا ان اغتالوه على يد صبي يقال انه لم يكن كامل الشعور . فاضطربت الافكار ، واختل التوازن العشائري في الجبل ، وأصبحت الحالة تنذر بالخطر . وكان من نتيجة ذلك ان أضاع بيت هو شيرو نفوذهم وليس فيهم من يسد الفراغ الذي حصل في قتل زعيمهم . وقد أعقبه برئاسة الفقراء أخوه الفقير « صيدو » إلا انه ضعيف الارادة ، ساذجا لا يقدر على شيء . وقد أجرى الصلح مع بيت « جندو » قاتلي أخيه وأعادهم الى محله وبذلك أزال النفور بين الفقراء وجمع كلمتهم من جديد ..

ان الفقراء في جبل سنجار لم يكونوا عشيرة واحدة ، بل يرجعون الى قبائل مختلفة فأكثرهم من عشيرة « الشرقيان » ، ثم يليهم سكان جبل سنجار الأصليين - ويرجع أن يكونوا نصارى الجبل القدماء - وفيهم من عشيرة « الدنادية » ومنهم هموشيرو . وقد قبلوا جميعهم رئاسة هموشيرو لما وجدوه فيه من الصفات التي تؤهله للرئاسة - وهي أن يكون شجاعا ، لا يعرف الهزيمة في الحروب ، صلب لا تلين له قناة ، عنودا لا يرحم عدوه اذا ظفر به - وهذه هي الصفات التي كان يمتاز بها ، وإلا فالتقليد العشائري لا يسمح لعشيرة ان تقبل رئاسة أحد ما لم تربطه بها رابطة العصبية والدم . واذا كان الفقراء اعترفوا برئاسة هموشيرو عليهم ، ثم برئاسة ولده خديدة ، ويعترفون الآن برئاسة الفقير صيدو بن الفقير هموشيرو ، فلكل فرقة رئيس لا يقل شأنًا عن ذكرناهم ، منهم: الفقير « مراد سرحان » كبير بيت زرو ، والفقير « حسن بن علي » كبير بيت جندو وعشيرته قوية للغاية ، و « حسن كاكو » كبير بيت كاكو وهو ذو ثراء واسع .

« ٨ » جفرية :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الإقامة	عدد النفوس	الرجال المسلحون
جفرية	-	جفرية	٣٥٠	٤٠

« ٩ » الحليفية :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الإقامة	عدد النفوس	الرجال المسلحون
حليفية	مراد ابراهيم	حليفية	٥٠٠	٥٠

ومنهم من يسكن في قرية كيلي مندى ودريزي ويمدون والجفرية شعباً واحداً ولم يثبتا لها مكانة قوية وقد يتحالفون تارة مع السموقيين ، وتارة مع الجللكا والكوركوركة وينضوون اليهم .

« ١٠ » المندكان : ينقسمون الى ست فرق ثلاث منهم يزيديون ، وثلاث مسامون وهذه اسمائهم :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	مقدار النفوس	الرجال المسلحون
شهوانية	خلف حسين رشك	شيخ خنس	٧٠	٥٠٠	٥٠
عزوي	قاسم حسين	ديلوخان	١٠٠	٨٠٠	٨٠
كلشي	قاسم مطو	حامية	٣٥	٢٠٠	٣٠
مالا باشوك	كريم باشوك	باشوك	٣٠	٢٠٠	٢٥
مالا فندي	خواس بن عمر	تل قصب فندي	٤٠	٣٠٠	٣٥
شيخلره	بيجو قاسم	قابوسية	١١٠	٨٠٠	٦٠
			٣٨٥	٢٨٠٠	٢٨٠

تعد عشيرة المندكان من سكان جبل سنجار الاصليين ، وكانوا يدينون بالاسلام واكثرهم يرجعون الى قبائل عربية معروفة ولا تزال أنسابهم محفوظة ، فالشهوانية هم من عشيرة الشهوان التي هي فرع من تغلب وكذلك العزوي والكلشي وعندما طغت موجة البزيرية على جبل سنجار جرفتهم كما جرفت غيرهم ، وقد عاد منهم الى الاسلام قبل نحو عصر ونصف عصر رئيسهم المدعو « هافند » وأسلمت معه زوجته وأناس من أهل بيته ، وعشيرته لم تر اسلامه عجباً ولم تبد منه استيحاشاً والروح الاسلامية لا تزال كامنة في نفوسهم ، وقد ظلت معترفة برأسته ورئاسة رجال بيته بعده ، وعندما كانت الحكومة العثمانية تشكل بيزيرية سنجار لم تكن لتستثنى عشيرته المسلمة وكانت تجري معهم كما تجري مع البزيرية حتى يروي لنا التاريخ أن الحملة التي أرسلها سليمان باشا والي بغداد سنة ١٢٠٩ هـ على جبل سنجار وأسرت منهم ستين امرأة وغلما وجواري أبكاراً .

وقد ظهر من ذرية « هافند » بيتان يقال للاول « بيت ياشوك » وللآخر « بيت فندي » وهم متمسكين باسلامهم ، وصلاتهم الودية مع المندكان البزيرية لا تزال محفوظة

وارتباطهم العشائري معهم قويا .

والمتدكان اليزيدية والمسلمون كان لهم في العهد الماضي قوة وشوكة وكانوا على اتفاق دائم مع «الهبابات» ، وفي سنة ١٣١٨ - ١٩٠٠ م جرى لهم موقف مع الفقراء ويرأسهم «حمو شيرو» فاندحروا اندحاراً شنيعاً وتركوا ذخائرهم ومواشيهم ومساكنهم بيدهم والتجأوا الى مدينة البلد ، وحلفاؤهم الهبابات لم يعاونوهم وتركوهم فريسة بيد الفقراء ، ويعدون في الحال الحاضر من أطوع عشائر سنجار ويشغلون بالزراعة وتربية المواشى وحالة المسلمين منهم خير من اليزيديين .

أما عشيرة (الشيخلره) فهم ليسوا مندكانيين وقد انضموا اليهم بطريقة الحلف وأصبحوا يعدون منهم وهم اكراد سنيون ويحافظون على صلاتهم ولهم جامع كبير في قريتهم (القاوسية) ومهنتهم الزراعة وتربية الماشية ويعدون أطوع العشائر في الجبل ، والمظنون أنهم وفدوا من تلغفر .

(١١) الرشكان : عشيرة رحالة تسكن ناحية زمار من أعمال تلغفر ، نزع قسم كبير منهم الى سنجار إبان الحرب العامة الأولى طلباً للعرى وهرباً من اعتداء العشائر المسلمة واستوطنوا قرية كنى ، وشنانيك ، وكله خان ، وكوهيل ، وكورلند ، وبرانه بصورة متفرقة ويبلغون زهاء (٤٠٠) نسمة وأكثرهم مسلحون بالبنادق ، وهم أهل ماشية وكانوا على العهد العثماني يدفعون الأتاوة الى العشائر المسلمة . وقد اعتدت عليهم عشيرة الجحيش وهم قاصدون الجبل سنة ١٩١٤ ونهبت أموالهم وقتلت منهم بضعة أشخاص وسببت أربع فتيات مم أعادوهن اليهم .

وبعد ان وضعت الحرب أوزارها عاد أصحاب الماشية منهم الى ناحية زمار وبقي الذين لا ماشية لهم في الجبل . والرشكان عشيرة قديمة ذكرها البدليسي في الفصل الرابع من كتابه (الشرفنامه) كانت تسكن ناحية (طنزة) من أعمال جزيرة ابن عمر وسمها بارشكى والرشكان وسنبحت عنها في محل آخر .

(١٢) الشرقيان : عشيرة كبيرة تسكن ويرانشهر في ماردين . نزع قسم منهم الى سنجار منذ زمن بعيد وانضموا الى الخوركان ، إلا أنهم لم يوجدوا لهم كيانا ، وقسم

كبير من الفقراء يرجعون اليهم وسيرد ذكركم في محل آخر .
هذا ما توصلنا اليه من معرفة عشائر الخوركان في جبل سنجار . أما (الجوانا) فقد
ينظمون من عشائر ثلاثة مهمة (١) الهبابات (٢) مهركان (٣) مالا خالتا « بيت خالد »
وهذا بيانهم :

(١) الهبابات : ينقسمون الى أربعة أنخاذ وهم كما يأتي :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الإقامة	مقدار النفوس	الرجال المسلحون
مالا عطو	مطو خلف	صباحية ، نصيرية		
	مراد عطو	شاروق		
	دقو خضر	شهابية		
مالا محمي	خضر صالحوك ، عمر خلف	قرلكنند ، جنعان		
مالا سني		
مالا عمروك	برجس بن خضر عمروك	قصر كي ، آجه		

٣٥ .

٨٥ .

يعدون الهبابات من أقوى عشائر سنجار وكان لهم هبة وصول ، وكثيراً ما أوقعت
الحكومة العثمانية فيهم وكبدتهم خسائر جسيمة بالأرواح والأموال ، وعندما أوجدت
الحكومة العثمانية تشكيلات ادارية في جبل سنجار واتخذت مدينة (البلد) مركزاً
للقضاء تقربوا منها واكتسبوا ثقتها واكثرهم يسكنون مدينة البلد والقرى المجاورة لها
وكانوا ولا يزالون المحور الذي تدور عليه الاتفاقات والمؤامرات في الجبل ، والجانب
الذي ينظمون اليه يكون على الاكثر هو الغالب ، وكان يرأسهم (خضر محمد كهية)
الذي أربى على المئة والثلاثين سنة من عمره ومات عام ١٩٠٥م وكان زعيماً بكل معنى
الكلمة وله نفوذ يشمل الجبل كله ، وكانت الحكومة تراعي جانبه وتنزل عند رأيه في
بعض المهمات ، وله الآن من الأولاد والأحفاد ما يزيد على المائة والخمسين نسمة وزعامة
هذه العشيرة تنحصر في أولاده نذكر منهم (دقو بن خضر محمد كهية) كبير قرية

الشاروق وهو ليس بالرجل المؤمن ، و (عطو بن علي بن خضر محمد كهية) يسكن كذلك في قرية الشاروق ، و (مراد بن عطو بن خضر محمد كهية) كبير قرية الشهائية وفيه كياسة وعقل ومطاع بين عشيرته ، و (مطو) بن خلف بن خضر بن محمد في مدينة البلد وقد انتخب عضواً في المجلس النيابي لسنة ١٩٤٧ عن قضاء سنجار .

ولم يكن بيت عطو ويراد بهم بيت خضر محمد كهية على اتفاق مع بيت محي وقد وقع بينهم حروب ذهب فيها نفوس كثيرة من الطرفين ولا أمل الآن في اتفاقهم . ويقال ان الهبابات بالأصل عرب من طي وهم اولاد من يسمونه (هبابا) بينما ذكر لي (صالح محمد عبدو) كبير مالاحي أنهم من نسل عمر بن الخطاب .

وفي حملة حافظ محمد باشا على سنجار سنة (١٨٣٥م) أسلم منهم ثلاثة أشخاص وهم: قاسو علي، وملا حسن، وحاجي سارة ، ويوجد الآن من أحفادهم نحو ثلاثين نسمة يدعون بالاسلامية ولكنهم لا يعرفون إلا اسمها ويجوز انه أسلم على عهد حافظ محمد باشا كثير من الهبابات البزديين ولكنهم ارتدوا .

(٢) المهركان : فرقة كبيرة تضم شعوبا وأنحاذ كثيرة تحمل هذا الاسم وهذا بيانهم :

اسم الفرقة الرئيس	محل الإقامة
مهركان داؤد الداؤد	بارانه ، زيروان ، مهركان ، تل يوسفكه ، شوركان ، زبده خان ، باجمي ، نميلي ، بكران ، جم جفران ، همدان ، باخليف

لم يكن المهركانيون عشيرة قائمة بذاتها بل مجموعة عشائر عدة أهمهم (علي فره) و(عسنة) و (كولكان) و (هسكا آبي) ويعدون من أقوى عشائر جبل سنجار وأكثرهم نفوذاً وأشدّهم خطراً . وما قامت الحكومة العثمانية بحملة على سنجار إلا وكان لهم نصيب منها . وقد ظلوا على أعمالهم العدائية بعد تبدل الحكم في العراق ورفعوا لواء العصيان في وجه الحكومة الحاضرة أكثر من مرة فنكلت بهم واضطرت رئيسهم الى الهرب خارج العراق

ثم قبضت عليه وأبعدته الى الألوية الجنوبية مرة ومرتين وثلاثاً ولم تكن هذه الاجراءآت لتشفى داء الجهل والتمرد المتأصل في نفوسهم ولا يزالون دائبين على أعمالهم الخلة بالأمن والنظام .

والهسكاآبي يعدون والمهركان عشيرة واحدة ، ثم افترقوا عنهم وأوجدوا من كل من أهالي قرية همدان وباخليف وقرية النحيلي وباجسة المسامتين وبيت محي من الهبابات جبهة ضدهم وجرى بينهم مقاتلات قل فيها أشخاص من الطرفين .

وعلى ما يدعيه الخيرون بأنساب اليزيدية ان الهسكاآبي والبكرانيين سكان قرية بكران وشوركان وجم جفران لم يكونوا بالاصل من عشيرة المهركان وانما التحقوا بهم منذ زمن بعيد لاعتبارات عشائرية وأصبحوا يعدون منهم والهسكاآبي هم من الهسكان السموقيين ، والبكرانيين من عشيرة الدنادية (دنا) بينما آخرون ينفون هذا القول ويؤيدون كونهم من عشيرة المهركان ، ويوجد بضع بيوت مسلمون في قرية همدان وباجسة يقال لهم « قسطومى » يرجعون الى الهسكاآبي أسلموا على عهد حافظ محمد باشا ، يبلغ نفوسهم نحو خمسين نسمة .

(٣) بيت خالد « مالاخالتا » ويعرفون « بالموسقورة » وهذا بيانهم :

اسم العشيرة	محل الإقامة	اسم الرئيس	عدد البيوت	عدد الأشخاص	الرجال المسلحون
موسقورة دهولى	حسين برجس	٣٥	٢٥٠	٣٠	
« قوبسي	آيدال رشو	١٢٠	٨٠٠	٦٠	
« طرف	مرادصيدو	٣٠	٢٠٠	٢٠	
« ناصرية	«	١٠	٦٠	٥	
« آديكة	جردوم	٢٥	١٦٠	١٥	
على دينا بورك	صالح خلف	١٠	٩٠	١٠	
« يتوني شرقى	حسن دربو	٤٠	٣٠٠	٣٠	
« يتوني غربى	ابراهيم ابراهيم	٢٠	١٥٠	١٥	
« نكري	بكر عبدي	١٥	١٠٠	١٠	

اسم العشيرة	محل الإقامة	اسم الرئيس	عدد البيوت	عدد الاشخاص	الرجال المسلحون
«	راشد	ششو خلف	٣٥	٢٧٠	٣٠
«	علي دينا	رشو قولو	٥٠	٣٠٠	٤٠
«	يوسفان	خلف علي مراد	٧٠	٤٠٠	٤٠
«	كري عربا	صالح كربو	٣٠	٢٠٠	١٥
«	قني	«	١٠	٨٠	١٥
«	كندی كيلى	قبا لوييسو	٢٠	١٦٠	١٥
			٥٢٠	٣٥٢٠	٣٤٥

يقال ان بيت خالد او كما يسميهم الاكراد (مالا خالتا) هم اولاد شخص يدعي (دنبلان - دومبلان) وقد خلف ستة اولاد وهم (١) موسقور (٢) علي دين (٣) حسن (٤) حسين (٥) خنى (٦) خفشى ، فالذين تناسلوا من موسقور عرفوا باسمه ، والذين تناسلوا من الاخوة الباقين عرفوا باسم علي دين ، والصحيح ان (الموسقورة) لا علاقة لهم ببيت خالد أصلاً ، واذا كانوا يعدون وإياهم من عشيرة واحدة فيختلفون عنهم بالنسب إذ حسبنا يفهم من كلام المؤرخ البدليسي ان عشيرة (الخالدي) او (بيت خالد) كانت في بدء أمرها تستوطن ناحية (حسنكيف - حصنكيفا) وفي أواخر القرن العاشر الهجري نزلت الى ناحية (أرزن) وكانت موجودة قبل هذا التاريخ بأكثر من عشرين الا انها لم تكن إذ ذاك من السعة والقوة كما عرفت به أخيراً ، وقد انتشرت في ديار بكر والبشرية وميفارقين (١) وسميت هذه المنطقة الواسعة بها (اي بلاد الخالدية) ونزح قسم كبير منهم الى سنجار وهم الذين عرفناهم ببيت خالد او مالى خالتا .

أما (الموسقورة) فهم من عشيرة (دنبلى) او (دنبلى بخت) او (بيت نبلان)

(١) بتشديد الياء : مدينة تقع على نهر يصب على نهر البوطان أحد روافد دجلة تقع على بعد (٧٠) كيلومتراً من شمال شرقي ديار بكر وهي قديمة ترجع الى عهد الرومانيين ويقال انها بناء الفرس وتعرف الآن بـ « سلوان » وقد اشتهرت في العصور الوسطى للإسلام وأصبحت مقراً لبعض ملوك على عهد العباسيين واتسع عمرانها ، وكثرت مساجدها ، ووصفها الشعراء في اشعارهم وفيها قبر سيف الدولة الحمداني وأمه .

ويعمدون أرفع نسباً وأعظم مكانة من بيت خالد إلا أن الأحداث التي عصفت بهم فرقتهم أيدي سبا ، وأضاعتهم مكانتهم ، إذ على ما يقوله البديليسي أنهم كانوا في بدء أمرهم يسكنون ناحية « طنزة (١) » من أعمال جزيرة ابن عمر ويتصل نسبهم بشخص يدعى « عيسى » من عرب الشام ، وفدها إلى « أذربيجان » واستوطنوا « سكن آباد » ويقول : وعلى أصح الروايات أنهم جاؤوا من « بختي » وعرفوا بين الأكراد « بدنبلي بخت » .

وقد اتسع نفوذهم وعظم شأنهم على عهد الحكومة « البائندرية » واستولوا على قسم من ولاية « الهكاري » وقلعة « باي » . وفي عهد حكومة الشاه طهماسب (٩١٩-٩٨٣هـ) أضيف إلى ممتلكاتهم أيلة « خوى » وفوضت إليهم محافظة القلاع والثغور . وقد اطلب البديليسي في البحث عن الأمراء الذين ظهروا منهم خلال القرن العاشر الهجري وما كان لهم من حوادث على عهد الملوك الإيرانيين ، لاسيما على عهد الشاه طهماسب الذي كان يتنكر لهم ويعمل السيف فيهم تارة ، ويعطف عليهم ويوسع في إقطاعاتهم أخرى ، وخلاصة ما يفهم من كلامه أن عشيرة « دنبلي » هي أصلب عوداً وأشد مراساً من جميع العشائر التي ظهرت على ذلك العهد . وقد استغلوا الحروب التي كانت قائمة بين الإيرانيين والعثمانيين وأحرزوا مكانة لم تكن من نصيب عشيرة أخرى غيرها . وفي عام ١٥٠٠ هـ تنقطع عنا أخبار البديليسي ولم نقف على ما آل إليه مصير هذه العشيرة وكيف رحلت هذه الشرذمة القليلة منها إلى سنجار وانضوت إلى بيت خالد وأصبحت تعد منهم .

(١) بليدة : قريبة من جزيرة ابن عمر تقع على الضفة اليسرى لنهر البوطان ظهر منها علماء كثيرون والنسبة إليها طنزي وفي وفيات الأعيان في ترجمة أبي الفضل عبي بن سلامة الملقب معين الدين الحصكفي (نسبة إلى حصن كيفا) : « خرج منها جماعة من المحدثين وغيرهم ونسبوا إليها . قال عماد الدين الأصفهاني السكاب في كتاب الحريفة منها : إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الطنزي وهو القائل :

واني لمشتاق إلى أرض طنزة وإن خاني بعد التفرق اخواني
سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها كحلت بها من شدة الشوق اجفاني

(انتهى)

ويوجد الآن في سنجار نحو خمسة عشر بيتاً من « الدنبلية » المسلمون يسكنون قرية « كرسى » و « كرى زركه » يقال أنهم جاؤوا من ديار بكر ولم تتأكد هل أنهم جاؤوا مسلمين وظلوا على اسلاميتهم ، ام جاؤوا يزيدية ثم أسلموا ؟ وفي شرفنامه (ص ٤٠٠) ان الدنبلية كانوا جميعاً على المذهب اليزيدي فرجع قسم منهم الى طريقة أهل السنة والجماعة وظل الباقيون على يزيديتهم .

وفي قاموس المحيط في كلمة (دنبل) أنها قبيلة كردية في حوالى الموصل ومنها « احمد بن نصير الفقيه الشافعي » و « علي بن بكر بن سلمان المحدث » الدنبيان .
خيسك : عشيرة صغيرة لا تتجاوز نفوسها على (١٢٠) نسمة تسكن قرية « تربكاه » و « بشتكيري » ويطلق عليها اسم « قفجكاه » ويقال ان قفجكاه هذا هو خادم الشيخ شرف الدين ومن ذريته . غير ان التقليد الديني لا يؤيد صحة هذا الخبر وهم في وضعهم لا يتميزون عن المريدين وقد يعيشون في حياد تام ويتبعدون عن الفتن والدسائس التي تظهر في الجبل ما لم يضطرون اليها .

﴿ العشائر الكردية المسماة في جبل سنجار ﴾

بعد ان طفت اليزيدية على جبل سنجار واكتسحت الديانتين النصرانية والاسلامية بقي للاسلامية فيه أثر ضئيل جداً وهؤلاء لم يحافظوا على بقائهم بقوة السيف ، بل بانضوائهم الى العشائر اليزيدية الوافدة ودخلهم تحت حمايتهم ، فن هؤلاء (الباباوات) في البلد وفي بعض القرى المجاورة له . وعشيرة كلب علي وعبدعلي وبيت ناصو والهلالية الذين ظلوا عاشرين مع عشيرة « الموسقورة » واستسلموا لهم وشاركوهم في سراتهم وضررهم ، ويحتمل ان قد بقي في الجبل غير هذه العشائر واندمجوا في اليزيدية وضاع أثرهم .

﴿ الباباوات (١) ﴾

ينقسمون الى فرقتين ، فرقة تسمى باباوات « بير زكر (٢) » وفرقة تسمى باباوات

(١) البابا بمعنى الاب وهو تعبير يستعمله الشيعة الرافضيون ، ويفيد معنى الربى ويشترط اطلاقه على من يحمل صفة السيادة . والبابا عادات يجمعها من مريديه وهو بمنزلة البير عند اليزيدية .
(٢) له مرقد في محلة الواقعة القديمة في مدينة البلد في سنجار . ويقال انه من ذرية الامام موسى-

« ست زينب (١) » وكلتا الفرقتين تعتقدان بألوهية «علي» والرجمة والحلول وتحللان الحُر ويعدون أنفسهم بكتاشية (٢) وهي الطريقة التي كانت منتشرة بكثرة في اسطنبول والأناضول وكانت لها الكلمة في البلاط العثماني على عهد السلطان عبد الحميد .

فكيف استطاع أصحاب هذا المذهب ان يعيشوا طيلة هذا الزمن في جبل سنجار جنباً الى جنب مع اليزيدية مع ما هم عليه من الاختلاف في العقيدة والمبدأ ، وشتان بين من يعبد (علياً) ويعبد (يزيداً) ؟ وكيف تمكنوا من ان يحافظوا على بقائهم ؟ والجواب : ان الضعيف يرضخ بحكم الضرورة لمن هو أقوى منه وينقاد له ويعمل بكل ما يرضيه ليكون في مأمن من اعتدائه ، وهذا ما كان من أمر هؤلاء الباباوات ، فقد استسلموا لعشيرة (الهبابات) اليزيدية القوية وعاشوا في كنفهم وقاتلوا في صفوفهم ، ووقفوا معهم جنباً الى جنب في محاربتهم الجيوش العثمانية وغيرهم من غزاة المسلمين وكانوا يقتلون ويقتلون في سبيلهم ، وزادوا على ذلك ان شاركوا في زيارة (الطائوس) وتقديم نذورهم وخبراتهم وصدقاتهم اليه ، كما ان الهبابات اليزيدية دافعوا عنهم وشاركوا في زيارة (بر زكر) واحتفلوا وإياهم (بالطواف) التي يقيمونها تكريماً له كل سنة . ويتعذر التفريق بينهم وبين اليزيدية سواء بلباسهم او حديثهم او عاداتهم فهل دام هذا التآخي بينهم الى النهاية ؟ واذا لم يدم فما هو سببه ؟ إننا لا نشك في ان الباباوات الذين عاشوا دهرأ طويلاً في كنف الهبابات ولاقوا منهم مودة وعطفاً الى حين نشوب الحرب العظمى الأولى لم يكونوا ليوجدوا صنيعهم معهم ويحفظوا لهم غاية الاخلاص والود . وعندما أخذ بعض النصاري يغدون الى الجبل من ماردين ونصيبين وجزيرة ابن عمر هرباً من اعتداء الأتراك ورأوا الوئام والاتفاق السائد بين المسلمين واليزيديين لم يرق لهم ، وأخذوا يوقعون الضغينة بينهم ويعملون على تنفيرهم البعض من البعض ليخلو لهم الجو ويصطادون منافعهم . وصادف ان تولى (حمو شير) حاكمية الجبل طيلة مدة

السكاظم ويدعي سددته انهم من ذريته .

(١) من المحتمل انهم يرمزون بها عن السيدة زينب بنت فاطمة الزهراء الا انهم لا يعرفون شيئاً عنها .

(٢) الطريقة التي أسسها الحاج بكتاش ولي احد كبار الاولياء ويقال ان نسبه يتصل بالامام موسى

السكاظم .

الاحتلال البريطاني فلاقت دعايات هؤلاء الدخلاء سبيلا الى نفسه فقلب للمسلمين عامة
ظهر المحن وفي ضمنهم الموصليون القاطنون في مدينة البلد ويربون على ثلثاية بيت وعاملهم
بما لا يتفق والتقاليد التي يتبعها اليزيدية منذ القديم مع مواطنيهم المسلمين وجرح
عواطفهم وأخرج موقفهم . وكان من نتيجة ذلك أن تولدت الكراهية والبغضاء في قلوب
فريق ضد الآخر ، وأخذ الهبابات يعاملون الباباوات بكل أذى وجفاء ناسين العهد التي
كانت بينهم .

والباباوات أناس وديعون مسالمون ، جادون في استئثار أراضيهم واكتساب معاشهم
من طريق السعي والعمل ، وتغلب عليهم روح الأمن والسكينة ، ولرؤسائهم مكانة
محترمة في نظر الشيعة في تلعفر ، والشبك في الموصل ، ويتقدمون اليهم بتقبيل أيديهم
وتقديم خيراتهم اليهم .

أما باباوات (بير زكر) فرئيسهم في الحال الحاضر (حسن بن زكر) الذي يزعم أنه
من سلالة جعفر الصادق ويقطن مدينة سنجار ، وهو رجل لين العريكة ، رضي الخلق ،
إلا أنه لا يتقيد بدين .

وأما باباوات (ست زينب) فكبيرهم (حسن بن يوسف كهية) وهو على جانب عظيم
من الفطنة والذكاء وله ذاكرة قوية وعقل راجح وقد كف بصره قبل بضعة أعوام .

ولنبعث الآن عن عشيرة كلب علي ، وعبد علي ، وبيت ناصو ، والهلالية ، ويقال
للمجموعهم (اعبادة) يسكنون منذ القديم بين عشيرة (الموسقورة) في قرية طرف
وآديكة وقويسى بصورة متفرقة وقد لا يفرق وضعهم معهم عن وضع الباباوات مع
الهاببات وربما يمتازون عليهم بجذب زعمائهم عليهم . وكان (صفوك) عظيم الجبل وكبير
الموسقورة يقربهم منه ويمطف عليهم . والجوانا جميعاً يجذبون على المسلمين على خلاف
الطوركان الذين لم يعطفوا يوماً على مسلم ويعاملوه بالحسنى . ويكفي الاعتداء الذي
وجهه القيرانيون على مجاوريهم (الكوابة) المسلمين وضبطهم أراضيهم وطردهم خارج
منطقة سنجار .

والموسقورة لم يبقوا على سابق ودعهم مع المسلمين وقد جفوا في السنين الأخيرة وأساؤوا العمل معهم .

﴿ العشائر المسالمة الأخرى في جبل سنجان ﴾

الخانونية او الخواتنة : عشيرة كبيرة تسكن صحراء سنجان منذ القديم ، ولسبب مجاورتها اليزيدية صارت نصف كردية ولم يعرف الى أية قبيلة من القبائل العربية ترجع في أصلها . وينحصر سكانها في قرية (الخانونية) التي سميت بها وفي قرية « جدالة » (١) في لطف جبل سنجان في الجهة القبلى منه . ولقرية (الخانونية) ذكر في التاريخ وكان لها قلعة صغيرة وفيها مسجد أو مساجد وتقع في وسط بحيرة الخانونية المشهورة ، يوصلها من البر طريق ضيق . وكان قد حاصرها حسن باشا والي بغداد سنة ١١٢٧ هـ - ١٧١٥ م عندما تحصن بها يزيدية شمالي سنجان وضررها بالمدافع ، وقد دخلت الآن في حوزة الجمهورية السورية بعد تحديد الحدود بينها وبين العراق .

أما قرية (جدالة) فقد أخرجها من يد حمو شبرو رئيس الفقراء واستقل فيها ، فموضتهم الحكومة بدلا عنها قرية « عين الحصان » الا ان الأقدار لم تساعد من الاحتفاظ بها تماما فتخلوا عن النصف منها الى الشيخ عجيل كبير مشايخ شمر ويعيشون الآن في حالة لا يحسدون عليها .



(١) جاء في معجم البلدان : انها قرية كبيرة عامرة على تل عال ، وعندها خات حسن عامر ، وأهلها نصارى ولها ذكر في الشعر القديم . قال رجل من بني حي بن النمر بن قاسط يهجو رجلا من بني يزيد فقال له خالد :

أيا جبلى سنجان هلا ذقتما	بركنيكما أنف الزيدي اجما
لعمرك ما جاءت زبيد لهجرة	ولكنها جاءت أرامل اجوعا
وتبكي على ارض الحجاز وقد رأى	جرائب خمس من جدال فأربعا

وقد زرتها اكثر من مرة فاعجبني حسن موقعها وبهاء منظرها ومياها التدفقة وسهولها المترامية وهي تقع في لطف جبل سنجان العالي الثري وبها على عدم انتظام مبانيها وضيق طرقها ، الا ان بيوتها نظيفة كالكثير من البيوت اليزيدية في سنجان ، وفيها خرائب قديمة لم يبق الا رسومها . وفي جنوب القرية على مضبة عالية أثر بناء كبير ارجح اما ان يكون ديراً للنصارى او قصراً لأمير . وقد زارتها بعثة معهد ليربول للآثار القديمة وبُحث عنها في تقريرها الذي رفعته الى الحكومة العراقية .

﴿ الدقوريون ﴾

لم تكن هذه العشيرة لتعرف قبلاً بهذا الأسم والمعروف أنها نخذ من « الخواتنة » ولما أفل نجم الخواتنة أخذت تدعي نفسها بالدقورية، وهي ليست من الدقورية ولا الدقورية منها، وقد تسكن مدينة البلد ونفوسها تناهز الثلاثمائة وأهلها اسلام سنيون ومهنتهم الزراعة وتربية الماشية ومناسباتهم مع البيزيدية حسنة وكذلك مع بقية العشائر المسلمة المجاورة لهم.

﴿ الشيوخ وعشائره وحالته الحاضرة ﴾

سميت هذه الكورة « بالشيخان » لكثرة شيوخها الروحانيين وهم الذين ترجع الديانة البيزيدية اليهم، وليزيدية الشيخان في سابق العهد صولة وجولة ورهبة وهيبة، وكانت العشائر المسلمة تخافهم ويحجبون في سكنها عنهم، وبعد ان غلبوا على أمرهم وقل عددهم وضعف نفوذهم انقلبت الآية وأخذوا يخافون المسلم ويبتعدون عنه وسرى في أبحاثنا الآتية ان أسباب ضياعهم قوتهم ومنعتهم هي النكبة الهائلة التي أوقعها فيهم أمير الصوران محمد باشا الراوندوزي المعروف بـمير كوره سنة (١٢٤٨هـ - ١٨٣٢) بينما وقع بيزيدية سنجار ما هو أشد وأقوى منها وصمدوا لها.

كانت مواطنهم التي يسكنونها قبل ان حلت كارثة أمير راندوز فيهم تبدأ من نهر الزاب الأعلى الى نهر خابور الحسنية بما في هذه المنطقة الواسعة من ناحية السورجية وعشائر السبعة وناحية الشيخان وجبل مقلوب وناحية السلفانية حتى نهر دجلة وكانت قصبة دهوك نفسها مسكونة فيهم وكانت نفوسهم تزيد على ١٠٠ الف نسمة بينما لم يتجاوز سكانهم الآن على عشرة آلاف نسمة.

ويزيدية الشيخان ينقسمون الى قسمين رئيسيين وهم الروحانيون والمريدون فالروحانيون هم الأمراء والبسميرية والشيوخ والبيرة وينتمون الى سلالات معروفة، والمريدون هم عامة الشعب ويرجعون الى عشائر متعددة، والغالب انهم وفدوا من أماكن مختلفة وهذه اسماؤهم واسماء عشائرهم:

١- باستكي: ويقال لهم « جهصاني » لم تتوصل الى معرفتهم وهم قليلون

- ٢- بله سيني : كذلك لا يعرف شيء عن أصلهم .
 - ٣- بيده يبي : كذلك لا يعرف شيء عن أصلهم وفي جبال الزورية قرية اسمها « بيده » ولا يعلم عن أنهم خرجوا منها قديماً وعرفوا بها .
 - ٤- ترك : يدل اسمهم على أنهم بالأصل ترك ولكن لا يعلم عنهم شيئاً .
 - ٥- حكارى : يجوز ان تكون نسبتهم الى « الحكارية » .
 - ٦- خيسكي : لم نتوصل الى معرفتهم .
 - ٧- دوسكي : معناه بالكردية ذي الكتفين او الهضبتين ولا نعلم القصد من هذه التسمية
 - ٨- دنا : ويقال لهم « الدنادية » وهم من أهم عشائر اليزيدية في الشيخان وعددهم كثير ، وقد ورد ذكرهم في تاريخ الأكراد ، ويقال أنهم وفدوا من ويران شهر في ماردن وعاد قسم منهم الى وطنهم وقسم نزع الى سنجار .
 - ٩- روبنشتي : يطلق مجازاً على صفيق الوجه قليل الحياء وهم نخذ من الدنادية .
 - ١٠- طازى : ورد ذكرهم في مواقع كثيرة وأصلهم عرب ، يقال أنهم وفدوا مع الشيخ عدي من الشام .
 - ١١- قائدي : أقدم عشيرة في الشيخان يقال أنهم اتباع او ذرية « قائد » خادم الشيخ عدي ولهم امتيازات خاصة في عيد الجماعة .
 - ١٢- كرني : لم نتوصل الى معرفتهم .
 - ١٣- ماموسي : لم نتوصل الى معرفتهم .
 - ١٤- هراقي : لم نتوصل الى معرفتهم .
- روزكي : جاء في « الشرفنامه » بحثاً مفصلاً عن عشيرة تسمى « روزكي » في ولاية بدليس وعن الحوادث التي جرت لها على عهد سلطنة السلطان سليم ياوز العثماني ومملوك الفرس ولا نعلم هل من الجائز ان تكون هذه العشيرة منها ومنى جاءت الى هذه الانحاء وكيف اعتنقت اليزيدية ؟
- هذه هي العشائر اليزيدية في الشيخان ، وترى ان جميعهم مشكوك في اصلهم ونسبهم وليس بالوسع ارجاعهم الى اصول معروفة باستثناء عشيرة « القائدية » و « الدنادية »

اللتان لهما كيان معروف . ولذا نجد العادات والتقاليد العشائرية مفقودة عندهم . وقد يكون الفرد مسؤولاً عن عمله ولا يجعل نفسه مقيداً بعمل غيره خلافاً ليزيدية سنجار ، فروح التعاون والتضامن قوية عندهم ، وتكون العشيرة بأسرها مسؤولة عن عمل يوقعه احد افرادها . وكم من غائلة حدثت بين عشيرة واخرى بسبب عمل فردي يقع بين شخص وآخر .

ان هذا التفكك والتخاذل الذي مني به يزيدية الشيخان هو الذي أدى الى ضعفهم وامتداد أيدي الأجانب اليهم فسلبوهم عقاراتهم وأراضيهم وجعلوهم لا يملكون شيئاً ، والرجال الروحانيين الذين قبضوا على مقدراتهم الدينية والدنيوية لا يفتأون من مص دمائهم وسيبقون هكذا ما لم تظهر معجزة تنقذهم من هذا السقوط المريع .

وهذه أسماء القرى المأهولة فيهم في قضائي دهوك والشيخان :

- (١) المان (٢) ألسيان (٣) بابيره (٤) باعذرة (٥) باقصره (٦) باورصيان
- (٧) بحزاني (٨) بعشيقه (٩) بقاق (١٠) بوزان (١١) بيبان (١٢) بيت نار
- (١٣) بيرستك (١٤) بيوز (١٥) تلخشف (١٦) جراحية (١٧) جروانه
- (١٨) جكان (١٩) جم بركات (٢٠) حسنية (٢١) خانك (٢٢) خرشنه
- (٢٣) خطاره كبير (٢٤) خطاره صغير (٢٥) خورزا (٢٦) خوشابا (٢٧) دهكان
- (٢٨) دهكان (٢٩) دوشيفان (٣٠) ديدبان (٣١) دوغات (٣٢) ريبي
- (٣٣) ركابة (٣٤) زينيات (٣٥) سرشكه (٣٦) سينا (٣٧) شاري
- (٣٨) شيخ خدرى (٣٩) صوركه (٤٠) طفتيان (٤١) عين سفني (٤٢) قصر يزدين
- (٤٣) قنغ (٤٤) كابارة (٤٥) كبرنو (٤٦) كرخالص (٤٧) كرشكست
- (٤٨) كرى بحن (٤٩) كندالة (٥٠) مام رشان (٥١) محمودان (٥٢) مشرفة
- (٥٣) مقبله (٥٤) موسكان (٥٥) مهد (٥٦) نصيرية .

ان هذه القرى ليست ملكاً لهم وقليل منهم من يملك ارضاً ويتصرف فيها باستثناء قرية « باعذرة » فهي ملك للأسماء ، وقد يحاول البعض اخراجها من أيديهم .

﴿ في ذكر العشائر البزيدية ومواطنهم خارج الشيخان و سنجار ﴾

موساه موسىسان : في قضاء زاخو يسكنون قرية « باجدة » و « باجدة » على نهر دجلة . كان لهم فيها مضى قوة وشوكة وكانوا يصلون بمغازيهم الى جبل مقلوب ، وقد سماهم صاحب كتاب أم العبر بـ « الكشاغية » .

هويرية : في قضاء زاخو يسكنون الخيام المصنوعة من بيوت الشعر « شعر المعز » ومهنتهم تربية الأغنام ، وقليل من يشتغل منهم بالزراعة وهم كثيرون يربون على خمسمية بيت وجميعهم يحملون البنادق . ويوجد منهم في ناحية « شريخ » وناحية الصلوية « ناورو » في قضاء الجزيرة في الجمهورية التركية وكلهم دعار ولصوص .

وقد سماهم صاحب خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان (ص ٤٢٤) بهاورى وهاوراكا وهويركان وهاوراكانيين وهو تحريف قاضح . واعتقد بوجود ١٨٠٠ أسرة منهم في « طور عابدين » و « نصيبين » نصفهم مسلمون والنصف الآخر نصارى وقد اعتمد في نقل هذا الخبر على « تراث الخلفاء » لسير مارك سايكس دون تحقيق .

ماسكي : في قضاء زاخو يسكنون قرية « ديربون » كان لهم رئيس اسمه درويش بوري عرفته ذو أخلاق سيئة . وماسكي عشيرة قديمة جداً كانت تسكن ناحية « طنزة » من أعمال جزيرة ابن عمر .

رشكان : يسكنون ناحية زمار في قضاء تلغفر ويوجد منهم في سنجار (وقد سبق البحث عنهم) وهم أهل ماشية وموصوفون بالشجاعة . وفي « شرفنامه » للبديسي في البحث عن حكام الجزيرة (ص ١٥٩) أنهم كانوا قبلاً يسكنون قلعة « ديرده » في ناحية « طنزة » وسماها بالرشكي ، ويرجعون الى مبادي القرن الثامن الهجري .

جيلكي : من عشائر البزيدية القديمة ، ذكرهم المؤرخ البديسي في البحث عن أماره « حصنكيفا » (١) الكردية وقال عنهم : أنهم احدى الثلاث عشرة عشيرة التي كانت

(١) حصن كيفا او كيبا بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على الدجلة بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر ، وهي كانت ذات جانبين وعلى دجلتها قنطرة . وهي الآن قصبة صغيرة مركز لناحية في قضاء ميديات ويسمى أهل تلك الجهات اسديف .

تخضع لهذه الامارة ويسكنون ناحية « هينم » أما الآن فيسكنون « طور عابدين » (١) - وهو موطنهم الأصلي - في قرية كفناس ، طاقا ، خرابيه ، آفشين ، بازار ، باجن ، شوشان ، كلي صورا ، كييوخ ، كلي كلي ، وهم على جانب من القوة والشجاعة ، وقاما استطاع مجاوروهم المسلمين من النيل منهم ، وذلك لمناعة جبالهم وحصانة معاقلمهم ، ووعورة المسالك المؤدية اليهم . وقد يعيشون في كهوف ومغارات نحتت في الأزمنة قبل التاريخ ، وهي واسعة جداً يستوعب البعض منها مئات النفوس . ولأهل كل قرية صهرنج أو أكثر يدخرون فيه من مياه الأمطار ما يكفيهم هم وماشيتهم طيلة أيام السنة . ومهنتهم تربية الماشية وقليل من الزراعة ، وهم منحطون في جميع مناحي الحياة ودأبهم السلب والنهب والفتك بكل من يقع في يدهم - راجع رحلتنا الى طور عابدين -

وطور عابدين هو من أهم المراكز الكردية وقد جاء ذكره في كتب المعاجم والتاريخ وكان الى حدود منتصف القرن الثالث عشر الهجري (١٨٣٤ م) وهو الزمن الذي قضى فيه على الإمارات الكردية ، مسرحا لحوادث هامة ، وقامت فيه أمارات كردية مختلفة ، ومنه انتقلت الكردية أولاً ، واليزيدية ثانياً الى جبل سنجار حيث كان حلقة اتصال بينه وبين البلاد الكردية الشرقية في قديم العهد .

بلكان : عشيرة يزيديّة تسكن قرية قولكا ويوجان في قضاء نصيبين .

داسكان : عشيرة يزيديّة قوية تسكن جبل داسكان قريبا من نصيبين ينزعها أناس من عشيرة « الجلكا » ويوجد منهم جماعة كبيرة في قرية « مزكفتي » و « تلبسي » في قضاء « القامشلي » في سوريا ومنهم في سنجار .

(٢) يقول المستشرق الميجر (صون) في كتابه « سياحة متكررة في ما بين النهرين وكردستان » ان ذلك الجبل المظلم والشاهق الذي كان يسمى (نيفات) والذي نسبناه الان - يقصد طور عابدين - في حوض (تيجرس) كان خدأ شرقياً لبلاد آشور في عهد ملكها (نيجلات بليسر) في سنة ١١٠٠ ق . م . ومعنى طور في التبتية ، الجبل . فيقال طورزينا وطورسينا وطور عابدين . وعلى ما جاء في قاموس الاعلام ان هذا الجبل يقع قريبا من نصيبين ويصل بجبل جودي وقد سمي بهذا الاسم اضافة الى مدينة تسمى (عابدين) في اللفظ منه وقد اندرست . وكلمة (تيجريس) التي تفيد معنى دجلة مأخوذة من (تيكر) الميذية ومعناها في الميذية والكردية والفارسية (تير) اي السهم ثم صارت (تيجرا) ثم تحولت الى دجلة ووجه التسمية ظاهر لان مياه دجلة تنطلق كالسهم من الشمال الى الجنوب .

وورد في خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان (ص ٤٢٤) اسم عشيرة (داسيكان) وقال عنها انها مؤلفة من (٩٠٠) أسرة من المساميين والنصارى واليزيديين وتكلم الكرمانجية وهو خطأ ، وهذه العشيرة هي يزيديّة صرفة وعدد أسرها مبالغ فيه .

شرقيان : يسكنون قضاء (ويرانشهر) التابع الى لواء ماردین ، وهم أكراد مستعمرون يقتنون الأغنام والجمال ويتجولون في البراري كالعشائر البدوية ويشغلون بالزراعة كالقرويين ، وهم أقل تعصبا من يزيديّة سنجار وطور عابدين وذلك لكثرة اختلاطهم بعشائر الأكراد المسلمة كالدقوريين والمليين وغيرهم . وعلى زمن ابراهيم باشا الملى (١) انخرطوا في سلك العساكر الحميدية ونالوا نفوذاً واسماً . وقد اجتمعت بكثير منهم وباحثتهم في عقائد فوجدتهم لا ينكرون على المسلم تلفظه الكلمة المنوعة ، ويجوزون نكاح أخت الزوجة بعد طلاقها او موتها وكذلك زوجة الأخ وابن العم بعد موتها خلافاً لليزيدية . ولا يجري النكاح عندهم إلا بعرفة علماء المساميين وأئمتهم ، وأكثر قسمهم بالنبي محمد (صلعم) وقد اعتنق رئيسهم (حسين افندي قنجو) الاسلام . وأهل بيته ولا تزال رئاسة الشرقيان منحصرة فيهم . والشرقيان عشيرة كبيرة تنقسم الى أخاذ كثيرة نذكرها فيما يأتي :

- ١- بلكان : يسكنون قرية منمنيك ، قورى ، ملى قجر ، كندناصو ، موزك ، كندأوزمين ، ججانه .
- ٢- آديان : يسكنون قرية كرمى .
- ٣- مروان : يسكنون قرية حجي زيد ، بيجانيك ، باشكوى .
- ٤- طورنان : يسكنون قرية اوج خان كبير ، اوج خان صغير ، أق مازو كبير ، أق مازو صغير ، نقط .

٥- ماسكي : يسكنون قرية بالوج ، برج ، كفريل ، هليلي ، قوزبرى ، قصر

(١) هو نجل محمود بك التياوي رئيس عشيرة المليّة العظيمة . كان في بدء امره لصاً يقطع الطرق على السابلة ثم أصبح اميراً للواء في العساكر الحميدية ، فامتد نفوذ وعظم سلطانه واتخذ مدينة (ويرانشهر) مركزاً له وشغل نفوذه المنطقة الممتدة بين ماردین واورفة وقرهجه طاغ ، ودامت ايامه حتى اعلان الدستور العثماني ، فشقت عصا الطاعة على الحكومة فارسلت حملة تاديبية كبرى ضيقت عليه الخناق في جبل عبدالعزیز فقبضت عليه واعدمته . ويقال انه مات حتف انفه .

حسين قنجو . ولا نعلم عما اذا كان لهذه العشيرة صلة بعشيرة (ماسكي) اليزيدية التي تسكن قرية ديرهبون في زاخو أم لا .

وأكثر (الفقراء) في جبل سنجار يرجعون بالأصل الى عشيرة الشريقان . وفي عشيرة الكر كرية فرقة تسمى (بالويان) تحوي عشرة بيوت يقال انهم بالأصل يزيديون من الشريقان وقد أسلموا .

دنا : تسكن ويران شهر ، أصلها من الشيخان ولم تتوصل الى معلومات مفصلة عنها . سوعاني : عشيرة كبيرة تسكن قضاء ماردين في قرية : كرنكو ، كدور ، قزل آجيق دوكركي ، سوعاني ، خربي كوي ، خلف يشار . ويتولى زعامتهم منذ القديم « بيت عمسو » المسلمون ، وهم بالأصل يزيديون وقد أسلموا ورؤسهم الآن شخص يدعى عيسى من هذا البيت .

داؤديان : يقطنون قرية كنفرى وقبك ، وديش في قضاء « ديرك » من أعمال ديار بكر خالتي : العشيرة الكبيرة المعروفة « بخالدي » وقد سبق لنا البحث عنها ، وهي منتشرة في كثير من أنحاء ديار بكر ويقال للمنطقة التي يسكنونها « الخالدية » وتنحصر في المواقع الآتية :

١- ديار بكر : في قرية كوشك جميل باشا ، بفججه جك ، صارى حسين ، جلبدار ، تل-حبوش ، مسلمانى ، جعفرى ، شيخ جوبان ، صيدكي ، قارقارتك .

٢- مياقارقين : باش كوي ، درك .

٣- بشيرية « المادين » : شمري ، باختمى ، عزكي ، عزكي .

٤- رضوان : داؤدية .

٥- سمرد : كافي صورك ، حمدونة ، بازوان ، صوريق ، خدوك ، قبان ، صيفه لي ، قوروغ ، حجري ، اريسكي ، دغر ، طخرية .

فهؤلاء جميعهم من العشيرة (الخالدية) ويجوز وجود قبائل اخرى بينهم ، واليزيدية انتشرت في حوضه دجلة العليا وروافدها انتشاراً عظيماً فتجد يوجدون بكثرة في (موش) و (صاسون) و (غرزان) و (ديرك) و (كنج) و (قلب) و (بطمان) وغيرها .

ويقع قضاء (قلب) في ديار بكر جنوبي قضاء كنج ويطلق بإضافته الى (بطلان) - وهو نهر تتجمع مياهه من جبال كنج ويصب في دجلة بعد ان يقطع ١٠٠ كيلومتراً - على أمانة كردية ظهرت في القرن التاسع والعاشر الهجريين ، وانتشرت اليزيدية فيها انتشاراً عظيماً وعرفت من أهم المراكز اليزيدية ، وقد عدها المؤرخ البديلي أمانة أموية وسماها (بالسلياني) نسبة الى الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموي (خلافته من سنة ٩٦ الى سنة ٩٩ هـ) بالوقت الذي يدعي ان مؤسسها أولاد عبيد الله بن مروان الحمار آخر الخلفاء الأمويين (خلافته من سنة ١٢٧ الى سنة ١٣٢ هـ) .

والبديلي في روايته هذه قلب حقائق تاريخية كبيرة وفسح لكثير من الكتاب المجال في دعوى نزوح رجال من البيت الأموي الى هذه الجبال بعد ضياع ملكهم واجتماع أنصارهم حولهم وقبضهم على زمام الحكم ، وهذه الرواية لا تهمنا لو لم يتخذها هؤلاء الكتاب أساساً لاقامة اليزيدية فيها .

يقول البديلي : هرب أولاد عبيد الله بن مروان الحمار من فلسطين - بعد ان أضاعوا ملكهم وبعد ان قتل مروان في قرية « بوضير » من أعمال مصر - وجاؤوا الى « وادي الخوخ » في ناحية « غزالي » في قضاء « قلب » وأسسوا أمانة في « قلب » على نهر بطلان وأصلوها حتى ضفة دجلة الشرقية ، وقد دانت لهم العشائر الكردية ومنهم عشيرة « بانوكي » القوية والتحق بهم أشبايعهم الكثيرون في مصر والشام واتسعت إمارتهم واجتمع تحت رايته ثمانية قبائل كردية عظيمة ، قسم منهم اتبعوا طريقة أهل السنة وقسم دانوا بالمذهب اليزيدي وكان ممن دان بهذا المذهب عشيرة « ابيسان » القوية التي خدمت هذه الامارة وعملت على رفع شأنها .

هذا ما قاله عن هذه الامارة وكيفية تأسيسها ، وبودنا ان نعلم كيف تمكن اولاد « عبيد الله بن مروان الحمار » من الهرب من فلسطين الى « وادي بطلان » وقطعوا هذه المسافات الشاسعة هم وأنصارهم ومواليهم وعيون العباسيين لم تغمض عنهم وكانوا يقتلونهم تقتيلاً أينما ظفروا بهم ويحتفرون أمواتهم من قبورهم ويضربونهم بالسياط ؟ فما هو الذي سهل لهم هذه الهزيمة وجاؤوا الى هذا الوادي وأوجدوا هذه الدولة تحت أنف العباسيين

وداخل مملكتهم ؟ بينما لم نجد احداً من مؤرخي الاسلام من أيد هذه الرواية وشارك
البديليسي فيها ، والبديليسي ليس لديه مصدر يأخذ منه هذا الخبر غير تواريخ الاسلام ؟
والغريب منه أن جعل الخامس من اولاد عبيد الله بن مروان الحمار الذين قاموا بهذه
الأمارة معاصراً للشاه اسماعيل الصفوي (٨٩٢ - ٩٣٠ هـ) حيث جعل مدة أمارة كل
واحد منهم مائة سنة . فاذا كان مجيئهم بعد انقراض دولتهم فلا نقدر لأمارتهم عمراً
أكثر من مائة سنة ثم انقضوا . واذا كانوا جاؤوا مؤخراً فأين بقوا طيلة هذه المدة
ولم ينتبه العباسيون لهم ؟ وهذا ما يدل على أن البديليسي كان على وهم في هذه الرواية ،
واذا كان هناك أمارة تسمى « قلب وبطمان » - وكتب التواريخ التركية لم تذكرها -
فلا يصح ان ندعى أموية .

﴿ العشائر اليزيدية ومواطنهم في الديار الحلبية ﴾

لم يكن انتشار المذهب اليزيدي في الديار الحلبية أقل من انتشاره في الجزيرة وديار بكر
وبدليس ووان وبقية المواقع ولقلة ارتياد القوالين ورجال الدين الذين اعتمدنا على أخذ
الأخبار عنهم عن تلك الأنحاء ، لم نتمكن من معرفة عشائهم وقبائلهم تماماً . والأخبار
التاريخية تدلنا على ان اليزيدية وصلت في سابق عهدها الى مرعش وحما وقريبا من
أنطاكية وعمل بها معظم قبائل الأكراد ، ونالت قوة وتقوذا على زمن « الشيخ عز
الدين الكردي العدوي » الذي كان أميراً للواء حلب في أواخر الدولة الجركسية وأوائل
الدولة السلجوقية (السلطان سليم ياوز) والشيخ عز الدين هذا هو من بيت (الشيخ مند)
الذي انتشرت اليزيدية في تلك البلاد على يده او على يد أحد أولاده . وهذه أسماء
المواقع المأهولة باليزيدية :

سروج : في قرية مس حجرك .

بره جك : في قرية زاك ، قوصطان .

كلبس : في قرية مهروي ، برج القاز ، باصقال ، كوكب ، قطمي ، قصطل ،
عرشوقيقار ، عبيدار ، أبو كعب ، كفر مازن ، كفر يزيدي .

عفرين : في قرية كند فقير ، يكثر فيها الفقراء ويسمونهم ايضاً (قره باش) وفي قرية

كبار ، وباسوفان ، وبافلون .

المعرة : ...

اعزاز : ...

الجومة : يكثر فيها اليزيدية .

عامودة : فيها ما لا يقل عن ثلاثين قرية لليزيدية وجميعها معمورة فيهم .

وقد علمت من أحد رجال الدين الذي ذهب في هذه الأيام الى اليزيدية القاطنين في هذه المواقع ودار بينهم ، أنهم في تناقص مستمر وقد اسلم منهم اربعين قرية واكثرهم في سهل (الجومة) واصبح اعتقادهم بالطاؤوس ضعيفا ولا يوجد بينهم من رجال الدين من يعطونه نذورهم وخيراتهم ، وقد أعلمني أمير الشيخان تحسين بك انه عازم على السفر الى هؤلاء اليزيدية ليقف على أحوالهم ويتدارك ما فاتهم من أمر دينهم وكم كنت أود ان أرسل معه احداً يسجل ما يشاهده ولكن لم يكن ذلك في المستطاع .

العشائر اليزيدية ومواطنهم في وان واطرافها ﴿

عشيرة البازفية : في قضاء وان في قرية شمس الدين ، قره كند ، دير جعد ، أوني ، عين ضاف .

عشيرة رشا : في لواء بايزيد

« محمودي (١) : في قضاء محمودي

(١) جاء في كتاب شرفنامه المؤرخ البديسي في مقدمته التي تبحث عن طوائف الاكرادوا وضاعهم واطوارهم ، أنهم جميعا على الشريعة الاسلامية والسنة المحمدية ، متمسكين بمذهب الامام الشافعي رضي الله عنه باستثناء بعض القبائل منهم كالداسنيين (سنام طاسني) ، والخالتيين ، والبسيان ، وبعض من البختي والمحمودي والدنبلي ، فهم على المذهب اليزيدي من مريدي الشيخ عدي بن مسافر الاموي . وفي قاموس الاعلام في كلمة (محمودي) انه اسم لقضاء تابع الى لواء الحسكاري يسكن فيه جماعة من اليزيدية يبلغ عددهم نحو (٢٥٠٠) نسمة وهم من عشيرة واحدة يسكنون قرية (سراي) على بعد (٩٠) كم. عن مدينة وان .

وزعم البديسي ان امراء (المحمودي) يتصل نسبهم بالسلطين المروانيين وقد نزحوا الى جزيرة ابن عمر الى حوالي اذربيجان على زمن (قره يوسف) مؤسس الدولة القره قوينلية واقتطعوا نواحي واسعة وحصونا ومعقل كثيره ثم انخرطوا في سلك امراء الشاه طهباسب ، وبعد ان تم لسلطين آل عثمان الاستتار ببلاد الاكراد ، اقروهم على حصونهم ومعقلهم ثم اخذ يضعف شائهم شيئا فشيئا الى ان انحسرت اقامتهم في قرية واحدة .

ويوجد في « كواشي » و « مكس » وهما قضاءان في ولاية وان ، جماعات كبيرة من اليزيدية إلا أننا لم نعرف أسماء عشائريهم والقرى التي يسكنونها .

﴿ اليزيدية في بلاد القوقاس والروس ﴾

علمنا من كثير ممن جاسوا خلال تلك الديار من شيوخ وقوالين وغيرهم ان اليزيديين هناك لم يعرفوا لهم حساباً ولا نسباً وقد لا تربطهم رابطة عشائرية عدا الرابطة الدينية . وقد أعلمني اسماعيل بك بن عبيد بك ، وكان قد ذهب الى تلك الجهات - ان اليزيدية الذين في (قارص) يقال لهم (سيبكي) وفي (الكساندرابول) (مهمدا) وفي سينك « سينك » وهذه أسماء القرى التي يسكنونها :

ارطان : ١- قارخون ، ٢- قورواآزار ، ٣- سيفلبات ، ٤- جوبان كره ، ٥- قامشلو ، ٦- قولو بك ، ٧- شاهميران ، ٨- قجار آباد ، ٩- كولكولكه بيوك ، ١٠- كولكولكه كوجك ، ١١- حكو ، ١٢- صابونجي ، ١٣- قشله سيران ، ١٤- قشله مارا ، ١٥- خان افاج ، ١٦- كند اطفيف ، ١٧- كلش بك ، ١٨- كلطو ، ١٩- تلك ، ٢٠- صيجانلو ، ٢١- بايسز ، ٢٢- عيارلو .

سينك :

الكساندرابول : ١- كروانسرا ، ٢- كوزل در ، ٣- آخر كلك ، ٤- سنكر ، ٥- كوربولاق ، ٦- بغداد ، ٧- ميرك بيوك ، ٨- ميرك كجوك ، ٩- قونداق ساز ، ١٠- جرجليس ، ١١- بامبي ، ١٢- جوبان كوره ماز ، ١٣- قوروبوغاز ، ١٤- جاموشلو كبير ، ١٥- جاموشلو صغير .

تفليس : ١- تيلاف ، ٢- كنججا ، ٣- كاخيت ، ٤- لوري ، ٥- سورمه لي محل ، تندورك .

باكو : صجي قبول

﴿ الشعوب والقبائل التي تدين باليزيديه ولم يعرف الآن شيئاً عنها ﴾

﴿ او بادت وعفى أثرها ، او يشك في يزيديتها ﴾

﴿ بينما لم يكن لها علاقة بهذا الدين ﴾

باصا : عشيرة كانت تسكن قضاء سمرد ، تحوي نحو ثلثماية أسرة ، يقال ان الحكومة العثمانية آبادتها عن بكرة أبيها في الحرب العمومية الأولى ولم يبق لها أثراً .
الصحبية : ذكرهم صاحب السلوك لمعرفة دول الملوك في وقائع سنة ٨١٧ هـ والآن لا وجود لهم .

الجرميان : ذكرهم ابن بطوطة في سياحته عند انصرافه من قره حصار (وسمها قل حصار) وقال عنهم : يذكر أنهم من ذرية يزيد بن معاوية ولهم مدينة يقال لها « كوتاهية » وهم دائبون على قطع الطريق . فاعتقد الاستاذ المزايي بيزيديتهم وأدخلهم في عداد الطوائف اليزيدية . وقد أراد ابن بطوطة بهم « الكرميان » أو أولاد (قره مان) الذين أسسوا دولة على أنقاض دولة سلاجقة الروم عام ٨٧١ هـ دامت نحو ١٧١ سنة ثم انقرضت على يد سلاطين آل عثمان بعد حروب ذكرها التواريخ . وليس ما يدل على ان أولاد قره مان هم من ذرية يزيد وكانوا على الديانة اليزيدية ، ويستبعد وصول اليزيدية الى « كوتاهية » على ما لها من البعد عن المناطق التي انتشرت فيها اليزيدية .

بابرية ، شقاقية : ذكرها أوليا جلبي في رحلته وعدها من يزيدية سننجار والآن لا وجود لها ، وفي المسالك ذكر لعشيرة كردية تسمى « بابرية » تسكن منطقة شهرروز لا نعلم عما اذا كانت البابرية التي قصدها أوليا جلبي ترجع اليها وقد وفدت الى سننجار ودانت باليزيدية ام غيرها ؟ وأما الشقاقية فيجوز انها ترجع الى عشيرة الشكاك الكردية التي تسكن غربي بحيرة « أرمية » وقد دان قسم منها باليزيدية عندما كانت تقيم في « ميفارقين » موطن اليزيدية القديم ، ثم هاجرت الى موش وملاز كرد (١) ووفدت الى سننجار ، وهناك احتال آخر وهو أن تكون من عشيرة « الشقاقي » التي كانت

(١) تاريخ جودت ج ١٢ ص ٤٠ وملاز كرد قضاء تابم الى لواء موش في ولاية بدليس .

تسكن ناحية فنك قرب جزيرة ابن عمر (١) وكانت من جملة الوافدين الى سنجار ، وهذا هو الأرجح .

الميران : احدى العشائر الكردية الاربعة التي كانت تسكن اماره « فنك » الكردية القديمة ، وأمراء « فنك » على ما قاله البديلي هم من نسل الأمير (آبدال بن سليمان بن خالد بن الوليد) الخزومي وكانوا في بدء أمرهم عاملين على ترويج المذهب اليزيدي ، وقد عدها الاستاذ العزاوي عطفاً على ما جاء في رسالة اسماعيل بك التي نشرها الدكتور زريق في كتابه « اليزيدية قديماً وحديثاً » يزيدي ، بينما لم يشر اسماعيل بك الى انها يزيديه بل مسلمة ، وقد جرى ليزيدية سنجار معها قتال عظيم في « وادي اخنيزير » قرب « تل الهواء » قتل منها ألف رجل . والميران عشيرة قوية تبلغ نحو خمسمائة بيت كانت تسكن قضاء جزيرة ابن عمر ، ورئيسها مصطفى باشا تمر الذي كان أمير لواء في العساكر الحميدية ، ويتولى الآن رياستها ولده نائف بك ، وقد نزحت الى المنطقة السورية بعد ان أقامت زمناً في العراق .

السيفانية : عبر عنها العزاوي بالسليمانية وعدها يزيديه . وفي غرائب الأثر في حوادث سنة ١٢١٤ هـ أنهم اسلام في الحال الحاضر . فاذا كان العزاوي قصد (السليمانية) القاطنين في قضاء زاخو والذين عبر عنهم البديلي في بحثه عن حكام زاخو (بالسلياني) فهم عريقون بالاسلام ولم يتحدث أحد عن أنهم دانوا يوماً باليزيدية ، واذا كان قصد غيرهم فلا يوجد عشيرة اخرى تحمل هذا الاسم .

الصارلية : طائفة من (علي اللهية) يظهرون التكتم الشديد في عقائدهم ، ويندر من وقف على شيء من عاداتهم وعباداتهم . وكل ما قيل ويقال عنهم هو رجم بالغيب ومن باب الخدس والتخمين ولا يقطع بصحته ، وينحصر سكنائهم في قرية قرقشة ، وكركان ، ووردك ، وتل اللبن على نهر الخازر .. وعندما كان يحكى لي عن تجنبهم عن ذكر الشيطان بسوء ، وسجودهم للشمس ، وعملهم بالاباحية ، كنت أحمله على عقيدة تصوفية فاسدة ورثوها من أسلافهم ، الى ان علمت أنهم كانوا قبلاً يدينون باليزيدية ، ويرجعون

الى العشيرة الدنادية المعروفة وقد أسلموا منذ زمن بعيد ، وهذا صحيح . واليزيدية في سابق عهدها وصلت نهر الزاب الأعلى وكانت هذه القرى مأهولة بهم ، إلا ان الغريب في الأمر اعتناقهم « العلى الالهية » مع وجود التناقض الشديد بينهم وبين اليزيدية . ويغلب على الظن أنهم أخذوا على الالهية من « الكاكشيين » المجاورين لهم في منطقة كركوك وقد بقي الشيء الكثير من معتقدات اليزيدية فيهم .

وما يذهب البعض الى أنهم و (الصارلية) في تلغفر شيء واحد فهو خطأ وليس في الصارلية الذين في تلغفر من العقائد التي تنافي روح الاسلام .

وقد يأبون تزويج فتياتهم من الغير بصورة مطلقة ، ويعيلون الى مصاهرة الشبك الذين يشتركون وايامهم في بعض العقائد ، والمرأة التي يتزوجونها تصبح في يوم وليلة صارلية في العقيدة والروح ويستحيل عليها إباحة شيء من أسرار هذه الديانة ، واذا عادت الى أهلها ولو بعد حين وأفشت شيئاً من أسرارها يتعقبونها ويقتلونها .

شيخان بكى : ومعناه أمير الشيخان وهم بيوت من الأكراد يسكنون ناحية (شمامك) في لواء اربل في قرية تسمى (كور) ينضوي اليهم نحو مائة بيت يطلق عليهم هذا الاسم ورئيسهم في الحال الحاضر عزيز اغا بن محمد اغا يدعون ان أصلهم من بيت الأمارة في الشيخان وقد نزحوا الى هذه الناحية بوقت لا يمكنهم تعيينه ولم تزل صلاتهم مع هذا البيت باقية ويتزاورون فيما بينهم ، ويدعون أنهم من نسل من يقال له (مير شيخ بكر) ومير شيخ بكر معروف لدى اليزيدية .

الكيبارية : ذكر الزاوي عطفاً على غرائب الأثر أنها يزيديّة تسكن سنجار وقد أسلمت مع رئيسها (آفند) ، ولعلّه أراد عشيرة (المندكان) التي سلم رئيسها آفند (ويقال له هافند) .

جمال دينا : جاء ذكرها في الرسالة المنسوبة الى اسماعيل بك ونشرها الدكتور زريق في كتابه « اليزيدية قديماً وحديثاً » وهي موجودة الآن في القوقاس إلا اننا لا نعلم عنها شيئاً .

السيبكية : نعتقد وجودها في بلاد القوقاس وقد ذكرها اسماعيل بك ولعلها عشيرة

« سيبكانلي » التي تسكن في شمالي بحيرة وان .

عمران : عشيرة قديمة في سنجار لم يبق منها الا أفراد قليلون وهم متفرقون ولا وحدة لهم ويحتمل ان يكون لهم صلة بعشيرة « عمرانلي » الكردية من عشيرة الملى وقد وفدت الى سنجار من « قرهجه طاغ » .

البلتينية ، الرمكان ، الحبصان ، النافذية : عشائر يزيديية انفرد بذكرهم الاستاذ الكرملي ولا نعلم شيئاً عنهم .

بسيان : من أقوى العشائر اليزيدية الذين ظهوروا في القرنين التاسع والعاشر الهجري ذكرهم المؤرخ البديلي في مواضع كثيرة من تاريخه ، كان لهم أثر مهم في تكوين أمانة « قلب وبطمان » وقد اندرس ذكرهم ونرجح أنهم اندمجوا في العشيرة الخالدية (الخالدية) او وفدوا الى سنجار وعرفوا باسم آخر .

مامهرش : جاء في خلاصة تاريخ كرد وكرديستان أنهم فرقة من عشيرة « ارتوش » يبلغون ٢٠٠٠ أسرة وهم يزيديية يقطنون العراق والأستاذ امين زكي بك نقل هذا الخبر عن « تراث الخلفاء الأخير » للسـر مارك سايكس الاخصائي في تاريخ الأكراد وهو على وهم فيه إذ لا يوجد فرقة من اليزيدية تسمى بهذا الاسم في العراق أصلاً ، واذا كان أراد عشيرة الأرئوشية الكردية الرحالة فهي مسلمة ولم تدن باليزيدية يوماً .
نجينان : جاء في الكتاب الآنف الذكر (ص ٤١٥) أنها عشيرة تقطن لواء سمرد تبلغ ٩٠٠ أسرة ويقال ان فيها عدداً من الأسر اليزيدية .

قزلان : عشيرة يزيديية ذكرها يوسف ضيا باشا الخالدي المقدسي في كتابه « الهندية الحميدية في اللغة الكردية » نعتقد أنها تسكن لواء سمرد .

يزيدي : ذكر صاحب خلاصة تاريخ كرد وكرديستان (٤٢٩) : « أنها مستقرة في شمالي وان » لم يعلم مقدار الأسر ، واسماؤها تشتغل بتربية المواشي ، إلا انه لم يشر الى أنها مسلمة ام يزيديية ؟

الجحيش : ذكر الأستاذ العزاوي أن هؤلاء عرب من طي وصار قسم منهم يزيديية . والجحيش لا يعترفون بذلك سوى أنهم كانوا قديماً حلفاء لطي و « الزبيديية » تجمعهم .

أما ان قسما منهم صاروا يزيدية فليس كذلك بصحيح ، ويقال ان فرقة « العوجان » من الجحيش كانوا قديماً يسكنون قرية « تبة » في سنجار ، ولما انتقل البزيدية اليه تركوا سكناهم واختاروا عيشة التنقل .

نيويوكان ، شورش ، هيودل : ثلاث عشائر يزيدية ذكرهم البدليسي وقال عنهم : يسكنون ناحية « كوركيل » في جبل جودي التابعة الى أماره (عزيزان) الكردية في جزيرة ابن عمر . أما الآن فلم يعرف شيء عنهم ، ولعلمهم هاجروا الى مواقع اخرى ولم يعرفوا .

تعليق وإيضاح : نسب المؤرخ البدليسي أماره « عزيزان - العزيزية » الى (عبد العزيز) بن سليمان بن خالد بن الوليد المخزومي . وزعم ان أباه (سليمان) هو الذي أسس أماره الجزيرة ثم انتقلت بعد وفاته الى أولاده الثلاثة : (مير حاجي بدر) و (مير آبدال) و (عبد العزيز) . فاستأثر الأول في أماره « كوركيل » ، والثاني في أماره « فنك » ، والثالث في أماره « الجزيرة » واليه تنسب أماره « عزيزان - العزيزية » . ثم يقول : وقد بقيت هذه الأسر الثلاثة عاملة بالمذهب البزيدي الى ان أدركتهم العناية الآلهية فعادوا الى الاسلام وسلكوا طريقة أهل السنة والجماعة .

هذا ما قاله المؤرخ البدليسي وهو على وهم فيه وقد ثبت تاريخياً ان سليمان بن خالد لم يأت بلاد الجزيرة ويؤسس أماره فيها وقد توفي على زمن خلافة معاوية ، والجزيرة لم تكن إذ ذاك قد ظهرت للوجود وقد تأسست في سنة ٢٥٠ للهجرة والذي أسسها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي وسميت باسمه . واذا فرضنا أنه أسس أمارته في بلاد الجزيرة ، فلم يكن من الأصول المتبعه في الاسلام ان تعطى البلاد التي يقع عليها الفتح بطريق الاقطاع الى رجال الفتح فينشئون أمارات عليها ويورثونها أولادهم . وبلاد الجزيرة فتحت على عهد خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٨ للهجرة والذي فتحها « عياض بن غنم » أحد قواد سعد بن أبي وقاص ولم يكن سليمان بن خالد الذي فتحها ، ثم هل يجوز لسليمان بن خالد بن الوليد وهو من أجداد العرب وشبل بني مخزوم ان يطلق عروبيته ويقيم أماره كردية ويصبح كردياً أعجمياً ويسمي أولاده بأسماء كردية بالوقت الذي كان

العربي يفاخر بشرف أرومته وكريم محتده. فإذا علمنا ان اولاد خالد بن الوليد انقضوا منذ الصدر الأول، وان ابنه الكبير سليمان مات مسموماً والذي سمه معاوية بن أبي سفيان كما ذكرته بعض التواريخ، أليس من الاعتداء والشطط ان ينتحل جماعات كبيرة من الاكراد وقبائل من العرب في نجد وسوريا وغيرها دعوى انتسابهم الى خالد بن الوليد ويمدون أنفسهم من ذريته؟ وكان العربي يذهب الى بلاد فارس وخراسان والهند والصين ويبقى محافظاً على عرويته وعادته وتقاليده ولا يرضى بها بديلاً؟

ان المؤرخ البديلي لم يلاحظ هذه الاعتبارات ويرى استحالة تأسيس ابن خالد بن الوليد المخزومي أمانة كردية ويورثها اولاده. فإذا رجعنا الى التاريخ نرى ان اولاد خالد بن الوليد ماتوا جميعاً في مرض الطاعون ولم يبق واحد منهم، فقد روى ابن قتيبة « انه كان لخالد ولد كثير فقتل الطاعون منهم اربعين رجلاً فبادوا » وفي أسد الغابة: « أخرج الثلاثة عن الزبير بن البكار أن ولد خالد انقضوا فلم يبق منهم واحد، وورث أيوب بن سلعة دورهم بالمدينة ».

وفي أشهر مشاهير الاسلام في التاريخ والسياسة لرفيق بك العظيم في الكلام عن بعض القبائل العربية التي تدعي الانتساب الى خالد بن الوليد (ص ١٨١):

« ويوجد لهذا العهد قبيلة رحالة في جهات حمص تسمى « بني خالد » ادعى مشائخها من بضع سنين انها تنسب الى خالد بن الوليد لأغراض لا محل لذكرها هنا، وهي دعوى كاذبة لا يقوم عليها دليل، إذ ولد خالد انقضوا جميعهم في الصدر الأول. والله أعلم ».

وهنا نجد مؤلف تاريخ الكرد وكردستان الاستاذ المرحوم أمين زكي بك يضع حداً لهذا الاختلاف ويوقفنا على وجه الخطأ في نسبة أمانة (عزيران - العزيزية) الكردية الى عبد العزيز بن سليمان بن خالد بن الوليد. ففي تعليق له على (ص ٣٩٥) من كتابه يقول: « الراجح عندنا ان وصفهم بالخالية نشأ من كون أنهم منحدرين من نسل الشعب « الخلدي - الكالدي » القديم الذي كان يشغل منطقة وان في القرون الخالية ».

﴿ اليزيدية في بلاد الصوران « سهران » وإربل ﴾

كان انتشار اليزيدية في هذه المنطقة أمر واقعي بعد ان انتشر في معظم بلاد الاكراد. وبلاد سهران مجاورة للشيخان مهد ظهور هذه الديانة ويفصلها عنه نهر الزاب. والاكراد قريين للدعاية.

ان انتشار اليزيدية في هذه البلاد لم يكن عاما وشاملا فكثير ممن لم يعتنقها ولو كان لها دعاء ماهرين لا انتشرت في هذه المنطقة بأسرها وعبرت من هناك الى بلاد ايران حيث تتصل باليزيدية التي دخلت بلاد القوقاس من طريق بايزيد ووان.

كانت قبائل سهران في ذلك العهد تتمتع بنفوذ قوي ولأسرائهم سلطة واسعة وهكذا كانت « إربلا » ومن الطبيعي ان هؤلاء الاسراء لم يكونوا ليرتاحوا لظهور هذا الدين ويرون فيه خطر عليهم.

وبحدثنا المؤرخ شرف خان البدليسي ان السلطان سليمان القانوني عند سفره لفتح بغداد كان قد خيم بجيشه قريبا من إربل ، فبلغه من أميرها « عز الدين بن الامير سيدي بن شاه علي بك » ما ساءه فأمر بقتله وعين (حسين بك) أمير اليزيدية بمحلله وأضاف الى أمارته أماره (سهران) التي كان يحكمها (قلبي بك بن سليمان بك بن مير سيدي بك) وأماره (صوماقلق) التي كان يحكمها (بير بوداق بن شاه علي بك) ، فكان تعيين هذا اليزيدي أميراً لثلاث أمارات يحكمها ثلاثة أسراء نصرأ عظميا لليزيديين ، ولكن هؤلاء اليزيديين لم يكن لهم من الفطنة والكياسة ما يمكنهم من استغلال هذه الفرصة ويقومون بدعاية واسعة لدينهم ويستميلون الناس اليهم ، بل بالعكس نجدهم أخذوا يحاربون المخالفين لهم بالعقيدة والدين ويستبيحون دماءهم .

يقول البدليسي : وقد وقع (لقلبي بك بن سليمان بك) أمير سهران حروب دامية مع الامير اليزيدي قصد استخلاص ملكه منه فلم يكن فيها موقفاً نفعياً والتجأ بشاه طهابس في ايران وترك شعبه في يد الامير اليزيدي يسومه العذاب ، يقول : ولما بالغ الامير اليزيدي في الاعتداء على السهرانيين وأسرف في القتل فيهم أرسلوا وفداً الى ايران يستحثون أميرهم للعودة اليهم ليساعدتهم على خلاصهم منه ، فلم يجبههم وذهب الى

اسطنبول ليعرض شكواه الى السلطان ويستعطفه على إعادة ملكه اليه فأمر السلطان بتعيينه حاكماً على (السواوة) من أعمال البصرة ولم يحقق رغبته .

وقد مات « مير بوداق » أمير « سوماللق » وخلف ابنه الامير « حسين » وبعد قليل مات وخلف ابنه « مير سيف الدين بن مير حسين بن مير بوداق » فأخذ هذا بحارب الامير اليزيدي بكل شدة وعنف وجمع جيشاً عظيماً من السهرانيين وهاجم قلعة (إربل) وكان الامير اليزيدي غائباً عنها فاستولى عليها وتم له ما أراد، ومهاول الامير استرجاع قلعة (إربل) فلم يوفق وفي معركة واحدة قتل من أعوانه اليزيدية خمسمائة نفرًا ونهب له أموالاً لا تدخل تحت حصر .

يقول البدليسي : ولما شاع في اسطنبول خبر هزيمة الامير اليزيدي أمام الامير السهراني وسقوط أمارته طلب السلطان حضوره وأمر بقتله .

وكانت هذه الحادثة خاتمة لحياة اليزيدية في إربل وسهران ولم يستطيعوا ان يسترجعوا نفوذهم فعاد الذين قبلوا اليزيدية من السهرانيين الى الاسلام ، والبقية ذهبوا الى الشيخان وخلت هذه المنطقة منهم .

ومن عبر التاريخ ان النكبة المروعة التي حلت بيزيدية الشيخان بعد ثلاثة عصور تماماً من هذه الحادثة كانت على يد هؤلاء السهرانيين أنفسهم وأميرهم « محمد باشا » المعروف بـ « مير كوره » هو من أحفاد « مير سيف الدين بن مير حسين بن مير بوداق » الذي أخرجهم من منطقة سهران . وهكذا ظل شبح الانتقام يتعقبهم الى ان حل فيهم .

﴿ في ذكر زعماء جبل سنجار وذوي النفوذ ﴾

والوجهة منهم وما لهم من الاخبار

أوجدت الحالة العشائرية في جبل سنجار زعماء أقوياء يوحدون كلمته ويذودون عنه ويقودونه الى المعارك ويحافظون على استقرار الوضع العشائري فيه . وذلك أمر محتم بعد أن أصبح هذا الجبل ساحة حرب ضروس ، وكانت الحملات والمغازي تتوالى عليه وقد حاق به الخطر من كل جانب . ولو لم يكونوا هؤلاء الزعماء لما استطاع هذا الجبل أن يحافظ على موجوديته ولا تهدم كيانه لأول مرة .

ولما كان هؤلاء الزعماء ليسوا من أرومة واحدة ، وتربطهم رابطة قومية واحدة ، فكان التنافس بينهم على الرئاسة شديداً جداً ، وكانت الحروب تقع بينهم دون انقطاع وتوقف . وقد يكونون يداً واحدة عندما يفاجم عدو من الخارج ، وبعد أن يدحرونه يعودون الى مقاتلاتهم .

وقد ظهر فيهم رجال ذوو بأس شديد عرفوا بمقدرتهم في الحروب وتنظيمهم الصفوف ما لا يوجد مثلهم في أكبر القواد ، وهذا الذي ضمن لهم النجاح طيلة هذه المدة . ولم ينحصر تفوقهم في فنون الحرب وحسب بل كان فيهم من ذوي العقول الراجحة والمدارك الواسعة ، ما لو نالوا نصيباً من الثقافة العصرية لأصبحوا من أكبر ساسة العالم . ولما كان استقصاء أخبار هؤلاء الزعماء وذكر ما لكل واحد منهم من الأخبار يستغرق زمناً طويلاً فنكتفي بذكر الزعماء الآتية اسماؤهم وهم يكفون عن غيرهم .

﴿ خضر محمد كهيبة ﴾

زعيم الهبابات ، كان يسكن مدينة البلد ، وقد شاخ وبلغ المائة من العمر ، وظل محتفظاً بسلامة عقله واصالة رأيه . وقد اجتمعت به أكثر من مرة وكان يقص علي حوادث عصر كامل شهدها بنفسه ، منها ثلاثين حملة عسكرية كبرى قامت بها الحكومة العثمانية على الجبل كان أشدها وأقساها حملة حافظ محمد باشا الذي كان أن يقضي بها على الشعب البزدي برمته . وقد كان يقص علي هذه الحوادث ويألم لها وأكثر ما يؤلمه ما كانت تجريه الجيوش من اعتداء على نسائهم ، وأسرعهم بالجملة .

وقد تولى رئاسة الهبابات ثمانين سنة كانت كلها حرب وضرب ، وعشيرته أقوى عشائر الجبل وأكثرها قدرة على القتال . وكان من عشيرته مطاعا ، ومن بقية العشائر محترما ومهابا . ولما كبر وهرم ترك الرئاسة الى ولده علي بن خضر محمد كهيبة ، وكان كأبيه رزينا هادئا عاقلا ، ولم يأت بعمل ما لم يستشر به اياه ، وكانت الحكومة ايضا تستشيرهم وتستعين به على قضاء كثير من المهمات . توفي سنة ١٩٠٤ م



- سمو شبرو في الوسط وعلى يمينه اسماعيل بك والهوري هرمن ورئيس القبران -
- وعلى شماله حسين بن علي خضر كنية ورئيس عشيرة المسكان -

﴿ سمو شبرو ﴾

زعيم الفقراء وكبير جدالة ، يرجع بالأصل الى عشيرة الدنادية في الشيخان ، وهو لم يكن في بدء أمره شيئاً مذكوراً ، وكان خادماً لدى صفوق زعيم الجبل المعروف . سكن قرية « زفكي » ثم انتقل الى قرية « ملك » وأخيراً جاء الى قرية « جدالة » التي أمست حتى النهاية مقراً له . والفقراء ليس لهم قيمة من الناحية العشائرية ، والبيزيدية يعطفون عليهم بصفتهم عباد متزهدين . وقد أوجدت لهم هذه الصفة حصانة قوية فكانوا لا يسألون عن أعمالهم التي يأنون بها ، فاستغل ذوي العصبية القوية مكانتهم واستعانوا بهم في الحروب فكان النجاح مضموناً للحزب الذي ينضمون اليه . كان « سمو شبرو » أول من قاد الفقراء الى المعارك ، فهابته الأحزاب وأخذت تحسب له حساباً فازداد الفقراء قوة وأصبح عنصراً فعالاً في الجبل وبسط نفوذه على كافة العشائر .

أن الذي هياً للفقير هو شيرو أسباب الزعامة المطلقة على الجبل مقابلته الكولونيل «لجن» عند مجيئه متنكراً الى الجبل ومقابلته في موقع يسمى «كفر حنكاري (١)» إذ قوى أواصر الولاء بينه وبين الانكليز وأصبح محل ثقتهم وعينوه حاكماً على جبل سنجار طيلة مدة الاحتلال البريطاني .

نعم لقد فوض الانكليز صديقهم الحميم قضاء سنجار وأطلقوا يده في ادارة شؤونه الادارية والاقتصادية وأخذ يحكمه حكماً اقطاعياً وهم يشرفون عليه عن كثب ويساعدونه في حل المسائل التي تستعصي عليه ، إلا ان الجبل الذي لم تغمض فيه عين الشر لحظة واحدة ، لم يكن ليرتاح لحكمه وهو لم يكن إلا واحداً من زعمائه الكثيرين والانكليز يعرفون ذلك جيداً ، ولكن اذا أرادوا شيئاً فعلوه وهم لا يريدون ان يخلوا بصداقتهم مع هذا الشيخ الفاني ويخرجوا عواطفه وهو في آخر أيام حياته .

كان الفقير هو صلب الارادة ، قوياً ، ذا مظالم كبيرة ، وآمال بعيدة ، متعصباً لديانته الى أقصى حدود التعصب ، يكره المسلمين ، لا يعرف رياء ولا مداجاة ، بلغ المائة والعشرين من عمره ولم يفقد شيئاً من حواسه ، وكان يأخذ كل يوم فأسه ويشغل الساعات الطوال في بستانه . إصطدم بأمر الشيخان سعيد بك وأراد إسقاطه من منصبه ولم يوفق . وأخرج «السنجق» من أيدي القوالين وحجر عليه عنده حولين كاملين ثم أعاده بعد ان تدخلت الحكومة بالأمر وشددت عليه ، وضبط قرية «جدالة» من أيدي اصحابها «الخواتنة» المسلمين فموضتهم الحكومة قرية «عين الحصان» بدلاً عنها .

﴿ الفقير خديدة بن هو شيرو ﴾

كان يشمل نفوذه قسماً كبيراً من الفقراء ان لم يكن كلهم . وكان يمثل أباه في حاكميته

(١) هذا ما شاع وردده الالسن عن مجيء الكولونيل لجن الى سنجار واجتماعه بالفقير هو شيرو ، وكان مجيئه على ما يقال برفقة اسماعيل بك امير اليزيدية ، وكان قد اتصل بالانكليز في سامراء . الا ان اسماعيل بك ينفي هذا الخبر وينكر ان قائد الجيش البريطاني في سامراء ارسل معه ضابطين بريطانيين احدهما طبيب والاخر مهندس فأتيا الى «جدالة» ومنها صعدا الجبل ووصلا الى محل يسمى «بير سويديكي» قريباً من كرسي وأحضرا هو شيرو وتباحثا معه . (اليزيدية قديماً وحديثاً)

على جبل سنجار ويساعده في اعماله . وهو لبق ذو ذكاء وفطنة يعرف كيف يستهوي الناس ويعمل على كسب مودتهم ، على عكس أبيه الذي كان بعيداً عن روح المجاملة وفيه من الصلف والكبرياء ما صرف الناس عنه . ولا أغالي اذا قلت اني لم أجد بين زعماء سنجار قاطبة على مثل ما كان عليه من رحابة الصدر ورجاحة العقل ، صريح في كلامه خاصة مع من يشق به .

والفقير خديدة لم يخل من خصوم أوجدتهم له أبوه في توليته الحكم ولا سيما الفقراء الذين كانوا يمتنون عليه في بلوغهم هذه المكانة بمعاضدتهم له ، وكثيراً ما أرادوا الوقيعة به . وقد ألصق الفقير « حسن كاكو » به تهمة تحريض بعض الفقراء على الحرب من وجه الحكومة الى المنطقة السورية ليستولي على أراضيهم في قرية جدالة فحكم عليه المجلس العرفي العسكري بالموصل عام ١٩٣٩ بالسجن الشديد ثلاث سنين وابقائه تحت مراقبة الشرطة ثلاث سنين اخرى ثم عفت الحكومة عنه بتاريخ ١٠ شباط ١٩٤٠ وأطلق سراحه .

ومن واجب العدل ان نعترف ان لو لم يكن حموشيرو وابنه خديدة لما استطاع الفقراء أن يتصرفوا في شبر واحد في قرية « جدالة » وينالوا هذه المكانة التي أصبحوا يغبطون عليها بل لظلوا على فقرهم وذلمهم ومسكنتهم يعيشون على أعطيات اليزيدية وصدقاتهم ..

لم يكن الفقراء لبروق لهم أن ينال بيت « حموشيرو » اكبر حصّة من اراضي « جدالة » وكانوا يزاحمونهم عليها ، وبالأخص بيت « فقير جندو » الذين يملكون قوة كبيرة بين الفقراء ، والفقير « خديدة » لم يكن يعبأ بهم ويرى حزبه أقوى منهم والكل يطيعونه ، فبيت بيت الفقير جندو أمرهم واغتالوه على يد صبي يقال انه غير كامل الشعور كما سبق لنا ذكره ، وهكذا ذهب هذا الرجل العظيم ضحية الخيانة والغدر .

﴿ الشيخ خلف بن الشيخ ناصر ﴾

ينتمي الى أسرة الشيخ سجاد بن (سراج الدين) الممتازة بحرمته العظيمة لدى اليزيدية ، وفد أبوه قبل ثمانين سنة من قرية « بعشيقه » الى سنجار وهو فقير ، وأخذ

يعيش على خبرات مردييه « المسكانيين » وبعد وفاته ترك من الأولاد صاحب الترجمة الشيخ خلف وأخيه الشيخ بركات ، فعهد المسكانيون أمر اعاشتها . وبعد ان دارت الأيام دورتها أصبح الشيخ خلف زعيما ، وأثرى ثراه واسعا وحصل على مكانة ممتازة ، وهو عاقل جدا بصير بالأمر ، لا يتكلم إلا عن روية وتفكير . وقد أولاه رجال الانكليز طيلة مدة الاحتلال ثقتهم وقدموه على بقية الزعماء في الجبل . وعندما جاءت لجنة تحديد الحدود بين تركيا والعراق فوضته الحكومة أراضي قرية كوهبل لقاء ما أظهره من حسن الخدمة والصدقة . فكان ذلك مما أثار حسد منافسيه ووشوا به أشياء دعت المجلس العرفي العسكري في سنجار بتاريخ ١٩٣٩/٧/٢٥ الى إصدار الحكم بحقه بالسجن لمدة سبع سنين بالأعمال الشاقة ووضعه تحت مراقبة الشرطة لمدة خمس سنين اخرى ، ثم عفي عنه بتاريخ ١٩٤٠/٢/١٠ وسمح له بالعودة الى محله . وفي (تشرين الاول سنة ١٩٤٣) تفتت الحكومة الى لواء ديالى ، وبعد أشهر عفت عنه . وقد أتهم في حادثة وقعت بين المسكانيين وأهل قرية « خانه صبور » فقررت الحكومة إبعاده ثانية الى لواء ديالى ، وبعد سنة أعادته الى الموصل ، ثم قررت إبعاده الى لواء بعقوبة ، وبعد سنة عفت عنه وأعادته الى سنجار .

ونرى ان حياة هذا الزعيم مليئة بالحوادث ، والذي جنى عليه كثرة حاسديه وتصلبه في أفكاره وهو ممن يؤمل منه استفادة عظيمة في حل المشاكل التي تحدث في الجبل لو أولته الحكومة ثقتها واعتمدت عليه .

﴿ صفوق ﴾

أفلت أيام حياته في مغرب العصر (الميلاي) المنصرم وكان زعيما بكل معنى الكلمة . واليزيدية يطلقون عليه اسم « باشا » لكبر منزلته ، وهو كبير عشيرة « موسقورة » ذات الشهرة الكبيرة في التاريخ ورئيس جبل سنجار على الاطلاق ، عاش ثمانين سنة وقد رأبته شيخا مسنكا تلوح عليه آثار الهيبة والوقار ، كان يسير في حياته العملية على سياسة التقرب من رجال الحكومة ، والعمل على ارضائهم على خلاف بقية الزعماء اليزيديين الذين لم يقابل أحدهم رجل حكومة طيلة مدة عمره ؟ وما أتى قائد عسكري ولا موظف

اداري الى جبل سنجار إلا وكان له صداقة معه ، وقد أوجد له « كرافة » مع القاعمقام احمد بك ، والمرحوم القاعمقام ابراهيم صدقي بك بختن ولديه في حضنيها ، وهذا لم يحصل لرئيس غيره في سنجار مطلقا . وكان متساهلا في عقيدته ، زوج اخته « عدلة خانون » من قائد عسكري كبير جاء الجبل ورآها وأعجبته ، وقد أنجبت ولدان يشغلان الآن مناصب عسكرية مهمة في الجمهورية التركية .

ان تقرب « صفوق » من رجال الحكومة وابتعاد بقية الرؤساء عنهم مما ساعده على توسيع نفوذه في الجبل والتنكيل بمخالفيه والحكومة من ورائه ، وقد أصيب بنكبة ألمية وهو في آخر ايام حياته ، إذ كان له ولد على غاية من الصباحة اسمه « برجسا » كان يرافق الفريق بكر باشا في حملته على سنجار عام ١٨٩٥م فصادفه جندي مونور بقتل صديق او قريب له في إحدى المعارك مع البزيدية وأراد ان يثار له فقتله فأثرت هذه الحادثة فيه الى ان مات .

ولشأ لبرجس ولداً اسمه « حسيناً » كان مرضى الخلق محبوبا وسار على سيرة جده صفوكا من التودد الى رجال الحكومة والعمل على إرضائهم وكان له فتاة على غاية من الملاحاة والجمال ، وقد علمها القرآن على يد أحد شيوخ الشيخ حسن واعتنى بتعليمها وتثقيفها ، وكان يتحدث بتزويجها من موظف حكومي كبير الا ان منيتها عاجلتها قبل ان تتحقق أمانى أبيها فيها .

﴿ داؤد الداؤد ﴾

هو حفيد عيسى اغا بن حسو اغا بن آدي بن دلا كبير (المهركان) وزعيم الجوانا وعشيرته (عسنا) او (عاسيتنا) وجده عيسى اغا من أشهر زعماء سنجار وأعظمهم قوة وأشدحم بأساً وأكبرهم مكانة وقد قتله أمير الآلاي عمر بك في حادثة قتل القاعمقام احمد بك هو وجماعة كبيرة من رؤساء سنجار ، وداؤد الداؤد رجل فيه غلظة وشراسة وحمق وغرور نخاصم مع (همو شبرو) بعد ان عينته الحكومة المحتلة حاكماً على سنجار ورفض طاعته بدعوى انه كبير مهركان ، وزعيم الجوانا وكبير بيت (آدي دلا) وهمو شبرو لم يكن غير فقير وفد ابوه من الشيخان ، وكان خادماً لدى (صفوق) كبير

الموسقورة ، وقد جرى له معه حروب دامت عشرين سنة فقبضت الحكومة عليه وأبعدته الى مدينة (الناصرية) حيث بقى فيها ثلاث سنين ثم أعادته الى الموصل ونفقه ثانية الى قضاء الشيخان وبعد سنة سمحت له بالذهاب الى محله . إلا أنه لم تطأ أقدامه الجبل إلا وأخذ من جديد يعقد المؤامرات ويقبض الثورات وبات الجبل في فزع وخوف فأرسلت الحكومة قوة كبيرة لاعادة الأمن وإرجاع كبير المهركان الى الطاعة فأبى وأصر على جهله وأعلن العصيان فنكلت الحكومة به تنكيلا شديداً وقبضت على جماعة من أعوانه وهم : (برجس حسين اوصي) كبير قرية شوركال و (قاسم علي) مختار قرية زبده خان و (بيدل حسو آدى) مختار قرية مهركان و (حجي عبدى) مختار قرية نقرى و (سليمان محمود) مختار قرية بكران و (عمر ميرخان) مختار قرية بشتكيري ، وحوكموا من قبل المجلس العرفي العسكري في سنجار وصدر حكم الاعدام بحقهم ونفذ فوراً وقد استسلم ٢٤٠ نفرأ من أعوانه مع أسلحتهم فزجوا في السجون وهرب داؤد الداؤد الى المنطقة السورية جريحاً مع زوجته وولديه .

بقى في المنطقة السورية نحو ثلاث سنين واختار الإقامة في قرية (من كفتى) ذليلاً حقيراً مهاناً ثم وجد له فرصة وعاد الى محله ولكنه سرعان ما عاد الى سببرته الاولى واصطدم بجماعة من الشمرين أعوان الشيخ نجيل الياور فقتل أناس كثيرين من الطرفين فقبضت الحكومة عليه وأرسلته الى لواء السليمانية ، ثم أعيد الى محله للمرة الثالثة فتنازع مع رئيس (المسكاآبي) فقبض عليه وأبعد في هذه المرة الى بعقوبة هو وولده هادي وبقى في بعقوبة وفي الموصل ثم في بعقوبة ثانية وبعد ان مضى عليه ثلاثة سنوات اخرى سمح له بالرجوع الى محله ، ويؤسفني ان اقول انه لم يكن في حالته الحاضرة بما ترتاح له الحكومة وقد يأتى بأعمال غير مأنوسة ولا نعلم ماذا ستكون عاقبته .

﴿ الشيخ خضر بن الشيخ عطو ﴾

لم تكن نشأته في سنجار لتفرق عن نشأة الشيخ خلف بن الشيخ ناصر رئيس المسكان وهو خاله . وفد أبوه من قرية « باصفنة » في قضاء الشيخان الى الجبل لجمع نذوره وخيراته من مريديه القبرانيين فوجد فيهم مرتعا خصبا نظراً لسذاجتهم ، فألقى عصا

الترحال بينهم وأثرى وحسنت حاله، ولما جاء دور ابنه الشيخ خضر ترأس عليهم وأصبح
قيرانيا .

كان أكبر مساعد لمحو شبرو عند توليه الحكم في سنجار وبقى مواليا له الى ان قضى
نحبه . وكانت الحكومة قد أبعدته الى « بعقوبة » نحو عامين ثم سمحت له بالرجوع
والاقامة في الموصل . ولما أعلنت الحكومة الأحكام العرفية العسكرية في سنجار وحكمت
على الشيخ خلف وجماعة من اخوانه ، خالجه الخوف من ان يشمله الحكم ايضا فهرب
الى المنطقة السورية في ٣٠ تموز ١٩٣٩ وبقى هناك الى ان هدأت الحالة ثم عاد الى محله .
وللشيخ خضر مكانة محترمة عند اليزيدية ، إلا ان القرانيين يرفضون رياسته عليهم
كما استأثروا منه وهو شيخ طريقة وليس له عصبية يحتمي وراءها .

وهو ممن سعد باتصاله من رجال الانكليز وكان يزورهم بدون وعد ويخاطبهم دون
كلفة ، وكان يملئ عليهم اخبارا خرافية ويتلقونها منه كحقيقة . وأكثر الأخبار التي
يتلقونها من رجال الدين اليزيدي هي من هذا القبيل وكل واحد منهم يملئ عليهم ما
يوحي اليه خياله . وترى ذلك فيما يكتبونه عنهم .

﴿ حاجة يزيدية جبل سنجار الى الاصلاح ﴾

ان ما ذكرناه عن القبائل اليزيدية في جبل سنجار وعن بطونهم وأنفادهم ومناسبات بعضهم مع بعض والأخبار المتعلقة بزعمائهم، يعطينا فكرة عن الوضع الاداري والعشائري في هذا الجبل . وهذا الوضع يتبدل على مدى الأزمان ولا يستقر على حالة واحدة . فبينما نراه هادئاً وقد شمل الجبل السكون اذ عصفت فيه الرياح الموحج واجتاحته الاغصير فتأخذ الحكومة الأهلية لتهدئة الحالة واعادة السكينة خوفاً من أن يتفاقم الأمر ويستعصي الحل . ورجال الادارة الذين يمارسون الحكم في هذا اللواء يقدررون هذا الوضع وهم دائماً يقضون لمجابهة ما يحتمل اظهوره من الحوادث الآتية ويعالجونها .

لقد أثبتت التجارب العديدة أن الخطة المتبعة في ادارة شؤون هذا الجبل لم تكن مجدية ، وأصبح من الضروري على الحكومة أن تنتهج خطة أكثر تفهماً لتأمين مقبة هذه الحوادث التي كثيراً ما تشغلها وتأخذ جانباً كبيراً من جهودها . والطريقة التي يجب عليها انتهاجها ليست استعمال الحديد والنار وإلقاء الرعب والرهبه في قلوب الاهلين كما كانت تفعله الحكومة العثمانية طيلة مدة حكمها هذه البلاد ثم خرجت منها بصفقة الخاسر ، بل الطريقة المجدية هي تثقيف هذا الشعب وادخاله حضيرة التقدم ، واصلاح حالته المعاشية والترفيه عليه . وهذان العاملان هما اللذان يكفلان اسباب نجاحه من الشقاء والبؤس اللذين حلا به ، ويؤمنان رفع مستوى هذا الجيل مادياً وأدبياً .

عاش هذا الشعب خمسة عصور تماماً وهو يقيه في بيداء الجهل ، وليس شعب على وجه الأرض فرض عليه الجهل وحر من التفكير غيره ، وهذا ما جعله غريباً في هذه الحياة وأصبح منبوذاً من كافة صنوف البشر ، وحر من حقوقه الانسانية ، وعاش قلقاً ، مضطرباً ملتماحاً وانعب غيره وأتعب الحكومة التي تولت أمره وشقيت الأرض التي يسكنها به ، وهو لم يكن له ذنب سوى جهله الذي فرض عليه فرضاً وتمسكه بمبادئه التي وجد آباءه عليها ، والظروف التي لازمت طيلة هذه المدة هي التي سببت له البقاء على هذا الجهل وهذه العقيدة .

ان هذا الشعب الذي أدرك القرن العشرين من حقه ان يحظى بعد الآن بحياة هادئة

حررة مهذبة ويلتحق بالركب الانساني المتحضر سواء أرضي منه زرادشت ومزدهك
وماني أم لم يرضوا ، وبقاؤه في حالته الحاضرة يعد لطفة سوداء في جبين الانسانية .
ان الوسيلة الوحيدة لا تقاذه هذا الشعب من هذه الجهالة وجمله عضواً نافعا في المجتمع
هو العلم ، والعلم لا يكون إلا بالمدارس فعلى الحكومة ان تكثر من فتح المدارس في هذا
الجبل وتجهزها بالمعدات المدرسية اللازمة وتنفق على الطلاب الذين يؤمنونها بسخاء
وتؤمن حاجتهم ، وتختار كل سنة عشرين طالباً ممن تتوسم فيهم الذكاء والنباهة وترسلهم
الى العاصمة لا كمال تحصيلهم وتجعل منهم أطباء ومهندسين وحكاما وموظفين اداريين
وضباطا وموظفي شرطة ، وترسل كل سنة منهم بعثة الى عواصم اوربا ليختصوا في
مختلف شعبات العلوم (١) وتقيم في الجبل كل سنة معرضاً زراعياً وصناعياً ، وداراً
للسينما ، ومحلات للملاهي ، ومستوصفات تكثر فيها الاطباء والصيادلة والمرضى والمرضات
وتجعلهم أداة للتبشير في العلم ، وهكذا لا يمضي طويل زمن إلا وتكون قد ظهرت
المعجزة في خروج هذا الشعب من عزلته ودخل معترك الحياة الحرة وأخذ يعمل بما فيه
خيرته وخير الوطن .

ان تهذيب يزيدي واحد وثقيفه يكفل صلاح الامة اليزيدية بأسرها .
إصلاح حالته المعاشية : ان تسلسل الظلم قروناً طويلاً على هذا الشعب وانهبال أسواط
النقمة عليه جيلاً بعد جيل لم يترك له مجالاً في إعمار مزارعه وتكثير أشجاره وتطهير
كهارزه بشكل يضمن له سعة الحال ورغد العيش وكان طيلة هذه المدة عرضة للنهب
والسلب . وقاما مضى عام او عامان وما حملت الحكومة العثمانية عليه بجيوشها الزاخرة
وتكبدت وكبدته خسائر بالأرواح والاموال . فكانت سياستها معه متجهة نحو تقليل

(١) كنت في صيف العام الماضي زرت قنصل الجمهورية التركية في الموصل ومعي « ميان خاتون »
الوصية على أمير الشيوخ ، ودار فيما بيننا الحديث عن اليزيدية القاطنين في تركيا . فذكر لي انهم لم يبقوا
على عقائدهم القديمة وقد أخذوا يقبلون الى العلم . والجمهورية التركية تستخدم ذوي الصفات منهم في
مختلف الوظائف ، ويعرف منهم طبيباً وهو صديق له وذكر لي اسمه . سأله : ألم يوجد بينهم مشايخ
وبيرة وقوالون ؟ قال : هؤلاء لا يجدون عندنا خبزاً ياكلونه . وكانت زيارتي له قصد ان أتمس السباح
لجماعة من القوالين لزيارة اليزيدية الذين هناك . ولما علمت انهم لا يجدون خبزاً ياكلونه عندهم لم أكله
في شائهم .

عدده بالقتل واخراج أمواله من يده بالنهب والسلب لتأمين عاقبته ، فتركوا مساكنهم القريبة من ذيول الجبل ولجأوا الى القرى المنيعه وعاشوا في ضيق ، وعسر عليهم معاشهم ، ولما تبدل الحكم ونالوا حريتهم وخرجوا من عزلتهم رأوا الاراضى الزراعية القريبة من ذيول الجبل قد دخلت في أيدي غيرهم وأصبح واحد منهم بحاجة الى قطعة أرض يزرعها فلا يحصل عليها ، فاشتدت فيهم الفاقة وعضهم الجوع ، ووقعوا في اليأس فلجأوا مكرهين الى الاعمال التى تدعو النعمة عليهم .

ان هذا الشعب بقدر ما هو محتاج الى الثقافة والعلم يحتاج الى الأكل والشرب واللبس وهو ليس بحاصل عليه طالما قد سدت بوجهه ابواب العمل . فالأراضي التي كافح عليها عصوراً طويلاً وعجن ترابها بدمه لم تبق له ، والقني (الكهاريز) التي كانت تجري لبناً وعسلاً انظمرت ولم تكند تصلح للعمل ، والقرى التي بقيت بعيدة عن تناول الأيدي الأجنبية في الجبل دخلت في أيدي مترعبيهم وحرمت عامتهم منها . فإذا ما تم له الانتباه الذي ينتظره وخرج للحياة الحرة من جديد ، فلسوف لا يرضى لنفسه البقاء في هذا العسر والضيق لا سيما وان نفوسه قد اخذت تزداد بنسبة مبسوطه وسيبلغ بعد ربع قرن ضعف ما هو عليه الآن . وبالنظر الى هذه الاعتبارات فقد أصبح واجباً على الحكومة ان تأخذ باعداد اسباب رفاهية هذا الشعب وإدخال وسائل العمران عليه ويكون ذلك بالصورة الآتية :

- ١- منحه ما يحتاجه من الأراضي الزراعية في شمالي الجبل وجنوبه على ان يعوض اصحابها الذين دخلت في أيديهم اراضي اخرى غيرها .
 - ٢- تطهير الكهاريز المندثرة في شمالي الجبل وجنوبه وتبلغ نحو مائتين وخمسين عدداً وجعلها صالحة للعمل .
 - ٣- تأسيس شركات زراعية تجهزهم بالآلات الزراعية الميكانيكية وتمودهم على استعمالها .
 - ٤- إقراضهم من المصرف الزراعي المبالغ الكافية لتحسين زراعتهم وتكثير مواشيهم .
 - ٥- تشجيعهم على تكثير الاشجار وإبلاغها الملايين ، وهي ثروة الجبل الطبيعية .
- فإذا ما حصل لهم ذلك ونالوا نصيباً من الثقافة والعلم أصبحوا من خيرة الشعوب

واعترفهم الوطن وعملوا على رفع مستواه وحصلت الحكومة على شعب غيور منتج .

اما يزيدية الشيخان فيختلف وضعهم عن يزيدية سنجار . فهنا لا تجدد للعصبية العشائرية أثراً وقد يعيشون في هدوء وسكينة . والتعصب الديني قليل فيهم ولو رفع عنهم الضغط الذي يلاقونه من رؤساء دينهم لدخل عليهم التطور الديني والثقافي الذي ينتظرهم بأقرب وقت . على ان رؤساء دينهم تقسمهم يشعرون بهذه الحاجة ، وليكنها عندما تتعارض ومصالحهم يقفون سداً حائلاً أمامها .

ولا احتمال لاصلاح حالتهم المعاشية وتقدمهم في الحياة أكثر مما هم عليه الآن طالما لا يملكون حق التصرف في أراضيهم ويشتغلون على حسابهم وهم دائماً وأبداً محكومين بالفقر .

- في هالة اليزمى النفسية في الشيخان -

- واستكانته وقبوله الذل -

كان هؤلاء القوم فيما مضى معتصمين بقوتهم وعصبيتهم ، وليس من السهل إلحاق أقل أذى بهم . ولما غلبوا على أمرهم ونالتهم الأيدي من كل جانب ، تمررت اليهم الذلة والمسكنة ، وتأصل فيهم روح الضعف والخنوع ، وأخذ وجهاء الموصل يسلبونهم أملاكهم وأراضيهم ويجعلونهم خداما لهم .

ناهيك ما كانت الحكومة السابقة تعاملهم به من الظلم الفادح والاعتداء الفظيع وهم لا يستطيعون ان يبدوا حراكا ويدافعوا عن أنفسهم . وما مضى يوم إلا والسجون غاصة بهم لسبب التهم التي يوجهها اليهم المتنفذون لسلب البقية الباقية في أيديهم من عقار ومملك ، ومص آخر قطرة من دمهم وصنوف القضاة والحكام آلة بيد هؤلاء المتغلبة يحركونها وفق رغبتهم .

كان من أكبر علائم الضعف في الحكومة العثمانية في آخر عهدها في العراق ظهور هذه الطبقة من اصحاب الوجاهة والنفوذ . وكان العدل الاجتماعي بهان ويداس بالأرجل في سبيل ولية يولمها وجيه ، او هدية يقدمها ، او خدمة خسيصة يقوم بها . وولية واحدة تجمل رقاب مئات من هؤلاء البؤساء خاضعة له ولأولاده وأحفاده .

كان هؤلاء البؤساء يهانون في شرفهم ودينهم وعزتهم ، وكان السيد الوجيه يجهز على آخر ما تملكه أيديهم من مال ومتاع كيلا ينال أحدهم ثراء وتحدثه نفسه يوماً ما بالخروج عن طاعته . وكان يتسلط على أعراضهم ، ويسب معبودهم لأنهم ليس لهم كرامة تستحق الصيانة عنده . رأيت مرة وجيهاً أمر بربط كبير قرية بالجرجر (وهو آلة ثقيلة يجرها بغلان قويان تستعمل في دوس البيدر) فكان يدور به بمنتهى طاقته . . ورأيت مرة أمر بشد أربعة من مزارعيه بالحبال وصب على رؤوسهم الدبس وأوقفهم امام الشمس المحرقة لأنهم سرقوا من محصولاتهم . . ورأيت مرة أمر بجمع دجاج إحدى قراه وكانت مائتين

وثمانين دجاجة وأرسلها الى بيته العامر بالموصل لأنه أمرهم ان يربطوها كيلا تقرب من البيادر وتلتقط الحب ولم يمتثلوا أمره ... ولا يزال أحد أبناء هؤلاء الوجهاء ، وهو من اصحاب العقارات الواسعة يحدثنا عن حلقه لحية أحد مزارعيه لقصور بدر منه نحوه .

هذه هي حالة هؤلاء البؤساء فيما مضى ، ويمثل هذا العسف والجور سلبت اراضيهم من أيديهم واصبحوا صماليك لا يملكون شيئاً ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وفقدوا كل كرامة في الحياة .

وبعد ان تبدل الحكم في العراق وزال عنه شبح الماضي ، واستعادت فيه الأقليات المستضعفة حريتها ، ظل البزيرية دائبين على ما هم عليه من الهوان والذل وزادوا خضوعاً لآسيادهم ، ولم يرضوا ان ينزعوا طوق العبودية من أعناقهم وصدق عليهم قول الشاعر :
عبد رق مارق يوماً لعنق لو تخليت عنه ما خلاكا

﴿ درجة الجبن المستحكم فيه ﴾

بقدر ما هو عليه البزيردي من الصبر على المكاره ، والجلد على الشدائد ، نراه من ناحية اخرى شديد الخوف رعديداً جباناً لا يجرأ على مناوأة احد من غير بني جلدته ، وذلك لسبب ما يداخله من الوهم بأن دمه قد أبيض في معتقد المسلم ، وأن المسلم سيقضي عليه لا محالة اذا ظفر به . حتى كثيراً ما كنا نرى في عهد الحكومة البائدة كيف يناصر احد رعاة المسلمين أهل قرية منهم العداء وليسوا بقادرين على دفع أذاه عنهم . وهذا ما زاد طغام ذلك العهد جرأة وإقداماً على إيذائهم وسلبهم اموالهم واجراء كل فعل منكر معهم .

أما الحالة بينهم فهي على العكس من ذلك ، وقد لا يحجم أحدهم عن قتل صاحبه لسبب نافه لا يستحق الذكر ، وهنا يصدق عليه القول المشهور « أسد علي وفي الحروب نعامة » ، وهو أمام الرجل المسلم أضعف من نعامة ، وقد لا يقدر على مجابهته حتى ولو كان بأقوى منه . ولم يستحكم فيه هذا الجبن وهذا الضعف إلا عندما لاقى إغراضاً من الحكومة عن الأخذ بناصره ، وانصافه من غريمه وهو محكوم عليه أبداً

ودائما بالحرمان من حقوقه مع المسلم وحجته عليه باطلة حتى لو أن السماء أيدته فيها .
ولا تنكر أن تبدل الحكم في هذه البلاد غير حالته النفسية ، وأزال الى درجة سلبية
الجبن والخوف المستحكمة فيه ، إلا أنه لا يزال ذلك الانسان المهان المستضعف بنظر المسلم
ولا يتجنب الرجل المسلم ايذاءه كلما وجد اليه سبيلا .
أما الحالة في سنجار والمواقع التي يكون لليزيدية فيها عصبية قوية فهي على العكس
من ذلك ، وقد يكون المسلم فيها مهانا ذليلا ، وقد لا يستطيع البقاء ما لم يحتم ييزيدي
بدفع الاعتداء عنه .

﴿ درجة تحمله للشدائد ﴾

إن من أهم الأسباب التي زادت اليزيدي بؤسا وشقاء ، تمسكه بالتقاليد التي ورثها
من آباءه وروح الاستسلام الذي غرسه فيه رؤساء دينه ، حيث أخذ يعتقد ان أقل
إهمال او تقصير يبديه نحو أحد رجال الدين يجعله عرضة لغضب الآلهة ولا ينال السعادة
التي أعدها الآلهة السامي في الدار الآخرة لعباده المخلصين . ولذا نراه يعاني طيلة ايام السنة
الشدائد الصعاب في تحصيل معاشه واذا بالكوجك والقوال وأخو الآخرة والشيخ والبير
والبسمير والفقير وخادم الأمير يأتونه يأخذون منه عائداتهم المفروضة عليه ، وعند
حلول كل عيد وموسم يصنع الطعام الوفير إكراما للنصب الذي في قريته ويكثر من
إطعام الطعام عندما يأتي السنجق الى قريته ، ويخبز الخبز ويرسله الى سدنة المرقد المبارك ،
ويعطي الخيرات الى الأمير ، وعند زيارته السنجق ، وذهابه الى مرقد الشيخ عدي ،
ويرسل الغلال الى الشيخ الأكبر ، ويمنحه مقداراً من النقود ، وهكذا ما تنقضي عليه
السنة إلا وقد زهقت روحه . واذا باحثه أحد في شقائه يظهر له الارتياح ، ويعد نفسه
من السعداء ، لأن طاؤوس ملك سيضعه في طبق على رأسه يوم القيامة ويدخله الجنة
بلا حساب وعقاب .

أما في سنجار فيقتصر اليزيدي على اعطاء خيرات الى السنجق ، والرسوم المفروضة
عليه الى شيخه وبيره .

﴿ معيشته ﴾

إن معيشة اليزيدي خشنة جداً ، وقد يأكل الخبز قفاراً أو مع البصل (١) ولا تطمح نفسه الى لذائذ الأطعمة مهما يكن عليه من السعة والرخاء . ويأكل خبز القمح أيام الأعياد والمواسم . وفي الأيام السائرة يأكل خبز الشعير مع وجود القمح عنده ويعده من نوع الزهد والقناعة اذ يعتقد أن أشياخه كانوا يأكلونه ، وأن الشيخ عدياً كان يأكل الخرنوب . ويصنع الطعام المعروف بـ « الكشام » (٢) في موسم الشتاء ويعده من ألد المأكولات وأطيبها . وإذا كان لديه بقرة أو عدد من الماعز والضأن ، يجمع سمحه ويبيعه ولا يسمح لأهله أن يأكلوا منه . ولا يذوق طعم اللحم إلا اذا حصل على ميتة . ويلتقي مع اللحم أيام الأعراس والأعياد ، وعند مجيء السنجق الى قريته . وإذا كان موسراً يكثر من تهيئة الطعام أيام الطوافات ، وعندما يحل ضيف عنده من ذوي الوجاهة ، أو موظف حكومي ولا يتجاوز الشرطي . ويبالغ الأمير في اكرام ضيوفه ، إلا أن معيشته الخصوصية لا تتميز عن بقية اليزيدية .

﴿ تجنبه اللذائذ وخلوده الى حياة الفقر والذل ﴾

تختلف الديانة اليزيدية عن غيرها لكونها مبنية على الزهد والتقشف والبعد عن الملاذ النفسية التي تحول دون ارتقاء الروح الى عالم الخلود حيث تتصل بالملكوت الأعلى وتحظى بالسعادة الأبدية والنعيم المقيم . وما هذه الأرض في نظرهم إلا مهداً للشقاء والبؤس ، ومصدراً لصنوف البلاء والحن ، والراغب فيها ، الطامع في زخرفها ونعيمها سيكون نصيبه كنصيب غيره من ذوي الأديان السائرة ، البعد عما أعده الآله السامي من السعادة لعباده الصالحين .

(١) لم تكن رغبة اليزيدي في الاكثار من اكل البصل عن عقيدة دينية او دنية كما يدوم البعض ، لرخص ثمنه . والاخبار التي اوردها صاحب تاريخ اليزيدية وأصل نخلتهم نقلاً عن اوليا جلبي من ان البصل حرمة فائقة لدى اليزيدية ، وان من ضرب امامهم البصل يجمع فكسره يخشى عليه ان يقتل ويمرر راسه كما فعل بالبصل ، وان الغني اذا مات يغسل بماء البصل لا اصل لها .

(٢) طعام يستعمله الاكراد ، وهو عبارة عن اقراص صغيرة مصنوعة من نصيل اللبن والمدقوقة يحففونها في موسم الصيف على السطوح ، ويدخرونه في آنية خزف ، وبطبخونه موسم الشتاء مع الثوم والسمن ، ويسميه البعض (طرخينه) والمدقوقة - بر مهبش قليلاً « مقشور » .

وهذه العقيدة هي أساس المباديء التي تسير عليها هذه الديانة ، حيث حدى الأمر بالرجال الروحيين الذين بشرعون الاحكام منهم الى وضع سنن وقواعد على غاية من القسوة والفضاضة ، تناولت حتى أعمالهم الحيوية وأرغموهم على اتباعها ، من ذلك انهم حرموا عليهم كل عمل يجدون فيه لذة روحية او نفسية فيها ما يحجب اليهم هذه الحياة الفارغة ويزيدهم تعلقاً بها ، وقضوا عليهم بالاستكانة الى حياة الفقر والذل والمسكنة لينتم لهم الوصول الى الغاية المثلى التي يرمي اليها كل انسان وهو الفوز بالآخرة ، ومن هنا نشأ تجنبهم أشياء كثيرة بزعمهم انها مفسدة لدينهم كارتياح أمانا كن اللهو والطرب كمسارح الرقص والسينما ، ودخول الحمام ، والقعود على فراش وثير ، والزينة والتبرج ، كافتناء النساء الحلي الذهبية ، ويتحاشون لبس المنسوجات الملونة خاصة ما يخالطها شيء من الحرير لأنها من زخارف الدنيا ويقتصر سرون على لبس الأبيض الفضفاض لانه لباس أهل الجنة .

﴿ المرأة غير البزيدية في نظرم ﴾

﴿ ونفور المرأة البزيدية من هو على غير دينها ﴾

نما هو جدير ان يعد من حسناتهم تحريمهم النظر الى وجه المرأة غير البزيدية بميل واشتهاء ، لاعتقادهم ان في ذلك لذة خبيثة تجر بصاحبها الى الخروج عن الديانة لا محالة فكيف إذن ان يكون لهم مناسبة غير مشروعة معها ؟ ولذلك فقد كان من دواعي هذا التحريم ان تعيش المرأة المسلمة معهم أبد الدهر وليس من المتصور ان يمسوها بسوء ، او ينظر أحدهم اليها نظرة خبيثة ، وهي في نظرم نجسة قذرة ، والواجب على كل مؤمن بشريعة (طاؤوس ملك) ان لا يقربها ويدنس نفسه بها .

ومن هنا نشأ تشديدهم النكير على المرأة البزيدية ان تخالط من هو على غير دينها ، او تجتمع به على انفراد ، او تكلمه بلطف وبشاشة ، او تظهر له الود ، واذا وقفوا لها على صلة غير مشروعة به ، ولو على طريقة الشبهة ، يبتذونها وربما يقتلونها ، واذا ماتت يقبرونها بعيداً عن أمواتهم ، ولا يجرون عليها صدقة ، وذلك لأنها خرجت من زمرة المؤمنين .

وهذا ما أدى الى كمن العداوة والبغضاء في قلب المرأة الزيدية ضد الرجل المسلم او النصراني ونفورها منه واذا خاطبها بيا بنتي أو يا أختي تغضب وتعد ذلك نقصاً في دينها ولم يكن نفور الرجل البيدي عمن هو ليس على دينه بأقل من المرأة البيدية ، وقد ينكر عليه إذا قال له يا أخي او يا ولدي وبجوابه بكل جفاء وغلظة : أخي الكلب وأبي الحمار ، واذا أراد ان يكون معه رقيقاً وظرفياً يقول له : أنا لا أصير لك أخاً ولا ولداً وكل منا على دينه .

وإذا أراد أحدهم التبرؤ من أمر يقول : إن كنت كذا فأكون مسلماً او نصرانياً فيجابه مخاطبه : حاشاك من ذلك .

﴿ في الاحكام والقوانين المتبعة في مسائل النكاح ﴾

للزيدية قوانين صارمة في مسائل النكاح لا توجد عند غيرهم من ذوي الاديان الاخرى قاطبة ، وهي مرتكزة على أساس الطرائق التي بني عليها هذا الدين ، والاسلام لم يأت بها وقد أباح الزواج بين المسلمين بصورة مطلقة مع مراعاة الكفاءة فقط ، ويجوز ان الزيدية أخذت قوانينها الصارمة من الديانة البرهمية التي قسمت تابعيها الى صفوف عدة وجعلت بينهم حواجز وفوارق كثيرة قصد حفظهم من الاختلاط بالغير لا سيما الروحيون الذين أرادت ان ترفهم عن بقية الصفوف وتجعل منهم طبقة ممتازة لها التفوق على غيرها ، إلا ان الزيدية تجاوزت البرهمية في قوانينها أشواطاً بعيدة وأوجدت حواجز بعيدة حتى بين الروحيين الذين يضمهم نسب واحد .

إن القاعدة الأساسية التي سارت عليها الزيدية في هذه القوانين هي تحريم الزواج بين طبقة العوام الذين عرفناهم بالمريدين وبين الصفوف الروحية . والغاية هي حفظ السلالات الروحية من الاختلاط بغيرهم ممن هم أحط منهم محتدأ ، وأن لا يندس دمهم بدم غير شريف . وقد توسعت في هذه القوانين وحرمت التزاوج بين صنف وآخر من الروحيين أنفسهم وزادت عليها بأن وضعت لكل أسرة من الروحيين قانوناً خاصاً تسير عليه . خذ لذلك مثلاً (البيرة) ، ويبلغون نحو أربعة عشر أسرة ، فعدا عن أنها لم تجوز تزاوجهم مع غير البيرة بصورة مطلقة ، فقد حصرت زواج أسرة (ببر حسن

نمان) فيما بينهم وحدهم . وكذلك أسرة (بير محمد رشان) فقد حرمت عليهم الزواج إلا مع أسرة (بير جروانه) وحرمت زواج هاتين الأسرتين مع الغير بصورة مطلقة . أما بقية البيرة فلا مانع لهم من الزواج بينهم .

أما المشايخ ويتميزون عن البيرة باعتبارهم من أرومة واحدة ويضمهم نسب واحد فقد جعلتهم ثلاث شعب رئيسية وحرمت الزواج بين شعبة وأخرى كما حرمت بين الشبيخة والبيرة ، والبيرة والمريدين .

ومن الصعب أن نفهم معنى لهذا التشريع الذي باعدت به بين أهل بيت وآخر ممن ينتمون الى أرومة واحدة ، وباعدت به حتى بين البيت الواحد كما فعلته من تحريم الزواج بين ذرية (الشيخ نقر الدين) وذرية (الشيخ شمس الدين) مع أن الشيخ نقر الدين هو أخ للشيخ شمس الدين الحسن بن الشيخ عدي الثاني . ولا نستطيع القول أن هذا التشريع وضع جزاءً دون أن يرمي صاحبه الى غاية لم نكد نذكرها اليوم . وحفظ هذه السلالات من الاختلاط بالأجناس المنحطة يأتي بالدرجة الثانية . ومن الجائز أنه راعى تشكيلات الطرائق التي لا يزالون يتحدثون عنها وإن لم يكونوا يعرفون إلا شيئاً عنها كما لا نعرفه نحن .

وقد زاد الشارع في القيود التي وضعها في أمر الزواج بأن منع الزوج بأخت الزوجة بعد موتها أو طلاقها وزوجة الأخ والعم بعد موتها وأخت الفتاة المخطوبة وإن لم يدخل بها وعد الزوج بها حراماً . ومن قال لزوجته أنت شبيخي أو ييري فقد تحرم عليه . وإذا حصل (مكافرة) بين أسرتين فقد تدخل الواحدة في محارم الأخرى الى خمسة أجيال وعند البعض أكثر من ذلك .

إن هذه القيود التي وضعها الشارع للدين اليزيدي لم يسبقه أحد اليها من المشرعين أصلاً لما اشتملت عليه من قسوة وصرامة . فان كانت أفادت بها الشارع في حفظ السلالات الروحية من أن يتسرب اليها الفساد باختلاط الغير بها ، وفي حفظ الطرائق الدينية التي هي الأساس لهذا الدين - ، فقد أساء الى المجتمع اليزيدي أكبر إساءة ، وقد شملت إساءته الطبقات الروحية أكثر ، إذ يجعلهم خاضعين لهذه القيود الشديدة في

مسائل الزواج حكم عليهم بالانقراض . فأسرة (بير حسن ممان) التي حرم عليها الزواج مع الغير يجوز أن كانت على عهده من الكثرة ما يغنيها عن مصاهرة من لم يكن من أسرتها أما الآن فيخضوعها لهذه القوانين الصارمة أصبحت لا تتجاوز عشرين بيتاً في مختلف البقاع ، وكذلك أسرة (بير محمد رشان) وأسرة (بير جروانه) فقد انحصرت كل واحدة منهما في خمسة أو ستة بيوت ، وبعد جيل واحد أو جيلين ستفنى هذه الأسر ولن يعرف شيء عنها .

وهذا ما نقوله ايضاً عن طبقات المشايخ ، فالأمراء والبسميرية يسبرون بخطى سريعة نحو الزوال وسيدر بهم الفناء بعد جيل أو جيلين اذا بقوا متمسكين بهذه القوانين ولم يحيدوا عنها ، فاما أن يجتنبوها ليعيشوا او يتمسكوا بها ليموتوا .

وها ان التاريخ يحدثنا عن أسر كثيرة كانت موجودة في بدء ظهور هذا الدين ثم انقرضت وزالت من الوجود . وفيها أن الأسر الأرستوقراطية التي كانت تنضم بعضها الى بعض بالزواج طمعاً بالمحافظة على الألقاب والاسم والثروة كانت تنحط شيئاً فشيئاً الى ان انمحقت فلم يبق لها أثر يذكر .

وقد عد علماء الفسيولوجيا ان الزواج الذي يقع بين الأسر على وجه الانحصار يكون سبباً لنمو الأمراض والعلل بينها . من ذلك ما جاء في كتاب قانون الزواج نقلاً عن العلامة الدكتور يوحنا ورتبات :

« ان تحريم الزيجة بين الأهلين والأقربين ، كما تحت عليه جميع الأديان ، هو من الأمور الصوابية ، لأنه ثبت من المشاهدات المتعددة ان الزيجة بين الأقارب مضرّة بالنسل ولو كانت بين أولاد العم والخال ، ولا سيما اذا تكررت في الأسر كما هو مشهور في أهل العشائر من بلاد سوريا الذين حصروا زيجتهم منذ اجيال عديدة في أسر قليلة ، وكانت النتيجة الجنون والصرع والفالج والتشوه الخلقي فيما بينهم » .

﴿ تهريب النساء والفتيات ﴾

إن تهريب النساء والفتيات عند البزيرية ولا سيما في سنجار عادة مألوقة لا يرون فيها عاراً ومنقصة وقد تدعو بيئتهم وحالتهم الاجتماعية اليها ولا يمكنهم اجتنابها ، وكثيراً ما

تسهل الأمهات في سنجار اسباب تهريب فتياتهن لمن يقع عليه اختيارهن من الرجال . وفي اليوم الثاني يتم الصلح بتوسط أحد الشيوخ او ذوي النفوذ والمكانة من الرؤساء . اما اذا كانت المرأة التي يقع عليها التهريب ذات زوج ، فقد يعتور الصلح شيء من الصعوبة وربما ينجر الى نتائج سيئة . ومن الطبيعي ان التهريب لا يمكن ان يقع قسراً بل باتفاق الطرفين ويكون على الأكثر أيام الأعياد والجماعية في مرقد الشيخ عدي في الشيخان وفي الشيخ شرف الدين في سنجار حيث هناك يسهل تلاقى الجنسين وتكون الحرية الشخصية مطلقة غير مقيدة ، وانكل ان يفعل ما يشاءه ضمن حدود الآداب والشرعة . ومما يستحسن من الفتاة التي يقع عليها التهريب إرغام زوجها على إجراء الصلح مع ذويها وتأديته الصداق لهم كاملاً غير منقوص ، واذا لم يفعل تركه وتعود الى أهلها وهي واثقة من انهم لا يمسونها بسوء .

ولا يؤخذ من كلامنا ان التهريب متبع في جميع الحالات ، كلا ! فأكثر الفتيات قد لا يرضين به حرصاً على سمعة ذويهن ، اذ مع كثرة ذبوعه بينهم قد لا يخلو من معرفة ما .

والاسلام الاكراد القاطنون في جبل سنجار ، ككلب علي وعبدو علي والهلالية وبيت ناسو وكذلك الباباوات والدقورية والخواتنة والمندكان يقدون اليزيدية في التهريب ولا يستنكرونه .

﴿ حالة المرأة الاجتماعية عند اليزيدية ﴾

إن حالة المرأة الاجتماعية عند اليزيدية منحطة جداً ، وهي كالأشياء المهمة ، تباع وتشترى ويتصرف بها الرجل كما يشاء وتشاء مصلحته وليس لها ارادة في ذلك . وقد يزوجها وليها ممن يقع اختياره عليه ، ولا يمنحها فلساً واحداً من صداقها ، واذا مات زوجها ترجع اليه وزوجها ثانية وثالثة ورابعة الى ان تزول عنها خاصة الانتفاع وتدخل في مصاف المعائن . وللزوج ان يبيع زوجته ويقامر عليها ويرهنها ، وتجري هذه القاعدة على الفتيات غير المتزوجات ، إلا ان ذلك منحصر في بعض عشائر سنجار وفي جبل الطور ، وربما كان موجود قبلاً بين غيرهم ايضاً . وقد تدخل المرأة في ميراث عدة

اشخاص من ذوي قرباها ، فان أرادوا زوجها من يقع اختيارهم عليه ويتقاسمون مهرها ، واذا رغب احد مورثيها فيها فيختصها لنفسه ويؤدي لبقية الورثة ما يخصهم من ثمن مهرها .. وقد تحرم من الميراث الذي يخصها ، فثلا اذا انحصر ميراث أبيها فيها فقد يمنعها عنه ولد عمها الذي يجتمع معها بالآب الرابع والخامس حتى انه يرثها هي نفسها ، واذا لم يكن لها ولد عم فيرثها الأمير ومالها ويزوجها من يشاء ويختص بمهرها (١) وتحرم من ميراث زوجها ، وتعود بعد ترملها الى وليها تسحب وراءها ذيل البؤس والحرمات ، وكأنها ما أقامت عنده إلا لتضمن رغباته الشهوانية وتلد له اولاداً يخلفونه بعده ، واذا أحب اولادها مقامها بينهم وكانت لها طرادة تطعم فيها الرجال يؤدون مهرها ثانية من مالهم الى وليها ويجررونها منه .

والمرأة البزيدية على رغم ضياع حقوقها وعدوها بمنزلة الحيوانات السائمة ، فهي أبداً صاحبة السلطان في البيت ويكون الزوج خاضعاً لها ولا يسمعه مخالفتها . وأهون شيء لديها ان تتركه وتبحث لها عن زوج آخر غيره .. وقد لا يعرض وليها من مراعاة إحساسها قبل الزواج وينزل عند رغبتها فيمن يختاره بعلاها وذلك خوفاً من ان ترفع عليه لواء العصيان وتحطم الأغلال التي أوثقها بها وهناك يفقد منفعتهم من ورائها .

﴿ كيفية عقد النكاح عند البزيدية ﴾

إذا سألت أحد البزيدية عن كيفية اجراء عقد النكاح عندهم ، يجيبك بأنه من المتحتم الديني ان يجري بمعرفة شيوخ أسرة (الشيخ حسن) الذين حصر الشارع للدين البزيدي هذه المهمة بهم وحدهم ، واذا سألتهم لماذا لا يهتمون بهذا الواجب الذي حتمته الشريعة عليهم ؟ يجيبك بأنه لما كان من المتعذر وجود هؤلاء الشيوخ في كل آن بين الملة فقد جرت العادة ان يكون الزواج مبدئياً بمجرد وقوع التراضي بين الجافين ، على ان تجري المراسيم المعتادة عندما يقوم شيوخ آل الشيخ حسن بدورهم السنوية بين الملة ، إلا ان معظم البزيدية لا يهتمون كثيراً باجراء هذه المراسيم بعد ان يكون قد تم زواجهم .

(١) لقد ابطلت هذه العادة الان ولم يكد الاسماء يعملون بها .

هذه هي القاعدة في عقد النكاح عند البزيرية ، وقد حدا بهم التساهل الى عدم الاهتمام بها ، وأصبح عقد النكاح عندهم عبارة عن حفلة رقص يكثر فيها شرب الخمر وأكل الخمر والزبيب ويسمونها بالكردية (عرق وشيريني) دون ان يكون للمراسيم الدينية أثر فيها .

ولما كان الزواج على هذا الشكل ضرباً من الفوضى لا يخلو في كثير من الأحيان من توليد مفساد في حياة هذه الطائفة الاجتماعية ، حتى قد يترك بعض النساء أزواجهن ويتزوجن ممن تصبو نفسهن اليه ، ولا سبيل الى تخطيطتهن على عملهن ، وذلك لان زواجهن لم يكتسب صبغة دينية حتى يرغمن على المحافظة عليه . وبناء على ما كان لهذا الوضع من التأثير السيء على كيان هذه الطائفة حيث لم يكد أحد منهم يأمن على حياته الزوجية من ان تعبت بها أيدي المفساد ، فقد ضج فريق من عقلاء هذه الملة من هذه الحالة المضرة ، وأخذوا يصرون على الأمير ان يضع حداً لها . وعلى ذلك فقد أصدر البيان الآتي الذي خاطب به شيوخ آل الشيخ حسن الذي يعود عقد النكاح اليهم :

« الى جميع شيوخ الشيخ حسن في ملة البزيرية المحترمين :

بناء على اللزوم الذي تراهي لنا بخصوص عقد النكاح الذي سيجري في المستقبل ، نرشدكم الى النقاط الآتية :

١- عندما يعقد النكاح يجب ان يكون بحضور شاهدين عن الوكيل للبنت التي يعقد النكاح عليها .

٢- يجب ان يحصل التراضي والقبول فيما بين الشاب والبنت أولاً ثم يعقد نكاحها .

٣- ان البنت التي يعقد نكاحها يجب ان لا يقل عمرها عن خمس عشرة سنة .

٤- من الآن وصاعداً نرجو إلقاء نظركم الى ما عرضناه آنفاً ، ولي وطيد الأمل

بأنكم ستقومون به حرفياً . وعند عقد نكاح أي بنت كانت او شاب بدون رضاها ،

سوف تجري المعاملة القانونية بحق هؤلاء ويكونون عرضة للعقاب والسلام .

أمير الشيخان

في ١٢ أيار ١٩٢٩ م

سعيد

ومع اهمال هذا البيان ذكر كثير من المسائل التي يجب مراعاتها في اجراء عقد النكاح كموافقة ولي الفتاة على تزويجها وتعيين الصداق الذي تستحقه (١) فقد خطا الأمير فيه خطوة كبيرة نحو الاصلاح المنشود لهذه الطائفة ومشى وروح العصر باقدام وجرأة لم تكن نتوقمها فيه من قبل . وهل أدل على ذلك مما نص عليه من وجوب (حصول التراضي والقبول بين الشاب والبنت أولاً ، ومن ثم يعقد نكاحها) حيث أراد بذلك القضاء على العادات السقيمة المتبعة في إرغام الفتاة على الزواج ممن يقع اختيار أيها عليه ويمنحه من الصداق أكثر من غيره ؟

ونص على ان لا يكون عمر الفتاة أقل من خمس عشرة سنة وهو السن الذي عده كافياً لنيل الفتاة رشدها فيه لتحسن انتخاب الرجل الذي تتخذه بعلاها . ونزع منزعا إسلامياً بتقييده اجراء عقد النكاح (بحضور شاهدين عن البنت) منعا للتلاعب المتوقع حدوثه في أمر حيوي كهذا يتوقف اصلاح أمة بأسرها عليه . ويفهم من هذا ان روح البيديتها يمكن قد تردت وعلاها الصداق فهي على استعداد تام لاسترجاع صفاتها والرجوع الى المبادئ الاسلامية التي أضاعتها ، وهذا ما يبشر بان المرأة البيديية لا بد وأن تنال حريتها المسلوقة وتنبوأ المسكنة التي تستحقها في المجتمع آجلاً كان او عاجلاً .

﴿ الزواج عند البيديية ﴾

يجري الزواج عند البيديية بعد أن تتأكد الرغبة بين الشاب والشابة في اقترانها مبدئياً ثم يأخذ ذورهما في إنجاز هذه الرغبة وإجراء الخطبة وتعيين الصداق واليوم الذي يتم فيه الزفاف الى غير ذلك . ولا ننسى ان الاصل في الزواج عندهم هو حصول موافقة الولي عليه والفتاة لا إرادة لها ، ولكن قد لا يخلو في بعض الاحيان من النزول عند رغبتها منعا للفساد المحتمل وقوعه .

(١) يتراوح مقدار الصداق لدى البيديية من خمسة عشر ديناراً الى مائة دينار بالنظر لسعة حال الزوج ومكانة الزوجة ونصيبها من المال . وكان الأمير اذاً امرأً ألزم فيه جميع طبقات الشعب ان لا يتجاوز الصداق ١٥ ديناراً الا ان احداً لم يعمل به .

والعادة المتبعة بعد ان يؤدي الصداق المتفق عليه ، والذي يجب ان يكون القسم منه دراهم والبقية أبقاراً وغنماً (١) يؤخذ بأسباب الزفاف ، فإذا كانت العروس في نفس القرية تذهب طائفة من النساء يصحبهن عدد من الرجال الى دارها ويأتين بها ماشية ويبدأ وهن يزغردن لها والرجال يطلقون بنادقهم ، وإذا كانت في قرية أخرى تذهب كوكبة من الفرسان يصحبهم امرأة او امرأتان ممن يمتن الى العريس بصلة القرابة ويأتون بها وقد أركبها فرساً واحتضنتها واحدة من تلك النساء ، وهي مغطاة ببرقع خفيف ، وعند مغادرتها القرية يرميها الأولاد الصغار بالحجارة والسرجين إشارة الى فراقها أهلها فراقاً أبدياً لا رجوع بعده ، وقبل ان يوصلونها الى دار زوجها يذهبون بها الى دار الشيخ او البير الذي في القرية ، وفي (باعذرة) الى دار الأمير (٢) لزيارته وإذا صادفوا في طريقهم مقاماً لأحد المشايخ إلا بد لهم كذلك من زيارته ، وتستمر حفلة الزواج ثلاثة أيام يليها ينغمس فيها شبان القرية وكهولها بالرقص والسكر .

وعندما يدخل العريس حجلة الزفاف اول عمل يبدأ به ، ان يضرب العروس بحجرة

(١) اشبه الامر على صاحب كتاب (طاؤوس ملك) عندما ذهب الى ان اليزيدية لا يملكون في الاوقات الحاضرة شيئاً من النقود وان المبادلة في الاشياء لا تزال مستعملة عندهم ، وانهم لا يتداولون النقود الهندية والتركية الا نادراً ومن حين الى آخر . اذ المبادلة في الاشياء وخاصة تأدية الصداق على الوجه الذي ذكرناه عادة متبعة عند جميع العشائر حتى ولو انهم يملكون نقوداً .

(٢) أراد بعض المفرضين ان يفسر زيارة العريس دار الامير بما لا يتفق والحقيقة والواقع اذ ذكر (اسماعيل بك) في رسالته التي ضمنها الدكتور قسطنطين زريق كتابه (اليزيدية قديماً وحديثاً) ص ٣٨ بان مفتش العدلية سأل : « هل عندكم عادة اذا تزوج احد اليزيدية يحضر امرأته اول ليلة يتكحها الامير علي بك ، وهذه عوض هدية ، وهذه تكون مباركة ؟ » . واليزيدية فيهم من الشمم والاباء وعزة النفس ما يرفعهم عن عمل سائن كهذا لم تكن تجريه سوى الاقوام الهمجية . وفي كتاب قانون الزواج ص ٨١ : « ان بعض الشعوب المنحلة في سلم المدنية يفوضون اجتناء زهرة البكرة من الزوجة التي يسترون بها الى الكهنة او اخلافهم وان (غوملي كاريري) ذكر في سياحته حول الارض انه شاهد في جزر (فيليبين) اناساً اختصاصيين ينقدونهم راتباً كبيراً ليقوموا بإزالة بكارة البنات لانهم يعتبرونها حاجزاً يحول دون ملاذ الرجل ، وكانت الملوك عند (الفينيقيين) هو الذي يقوم بهذه الوظيفة .. وهي التي كانت في بعض مقاطعات الهند خاصة بالسكينة والبراهمة فقط حتى لم تكن لبعض منهم مهنة سواها .. وكانوا يعتبرون العذارى غير طاهرات ، فيلتمن ان يؤدين كفارة يومية الى ان تظهرهن نفس فاضلة » ولعل ان سؤال مفتش العدلية من اسماعيل بك كان لهذه الغاية . ويجوز ان قد كانت هذه العادة موجودة بين هذه الطائفة في فجر ظهورها وقد تركت .

صغيرة إشارة لتأييد سطوته عليها ويكسر هو أو أهله رغيفاً من الخبز على رأسها عند أول دخولها الدار لتكون محبة للفقراء ، وبعد أن يجري الزوج المعاملة الزوجية يطلق عياراً نارياً إعلاناً لانجازه عمله

ولا يجوز أن يكون الزفاف ليلة الاربعاء ولا في شهر نيسان ومحظور على البزيدي بصورة مطلقة التقرب من زوجته ليلة الاربعاء طيلة السنة ، والتقليد الجاري أن يخرج رجله النجني من سرواله عند الجماع ويكون آنما اذا أخرجها كليتها .

ولا يهتم البزيدي لعلامة البكارة وليس من العادة أن يحاسب زوجته عليها . ولا صحة لما ذكره (أمبسن) من أنه عندما يتم الاتفاق على الزواج يضع الخطيب حلقة في إحدى أصابع خطيبته وأن العريس يذهب لزفاف عروسه بنفسه ، وأن أم البنت تضع ستاراً على العريس وابنتها وهكذا يقودونها الى خارج البيت وهناك يدخل أولاد القرية ويأخذ كل واحد ملعقة ويضعها في عمامته ، وأن العروس تركب حصاناً مع زوجها عندما يذهب بها الى بيته ، وبعد وصولها البيت تغطي من الرأس الى القدم بستر كثيف وتوضع وراء ستار آخر في زاوية مظلمة حتى تبقى هناك ثلاثة أيام لا ترى أحداً سوى امرأة تقوم بخدمتها . فهذه كلها أشياء مصطنعة اصطنعها هذا الكاتب ليوم قارئيه بأنه وقف على أسرار لهذه الطائفة لم يقف عليها أحد غيره .

﴿ تعدد الأزواج والطلاق عند البزيدية ﴾

أن تعدد الزوجات وجعلهن أربعاً، والطلاق كلاهما جاريان عند البزيدية كما في الاسلام، إلا أن الطلاق لم يكن لديهم ثلاثاً بل واحداً . وقد تبين المرأة ويسترجعها زوجها ويطلقها ويسترجعها أكثر من ثلاث مرات باستثناء الطبقة الممتازة التي تتمسك بديانتها، فقد تعمل بالطلاق الثلاث ولا تعرف رجوعاً بعده ، ويستنكف أحدهم عن أن يسترجع زوجته التي طلقها ونكحت زوجاً آخر غيره .

والبزيدية اذا كانوا يعملون بعادة تعدد الأزواج ، فقليل منهم من جمع بين زوجتين في آن واحد ، وذلك لمعجزهم عن إعالة أكثر من زوجة واحدة حتى أصبح فردية الزواج عندهم تقليداً متبعاً باستثناء الرجال الروحانيين قلما يوجد بينهم من لم

يملك زوجتين وأكثر ، وسببه أن الشريعة اليزيدية لما كانت قد حرمت زواج الأسر الروحية مع السواد الأعظم من صنف المريدين ، وحتى مع بعضهم بعضاً - سوى بعض الاستثناءات - فقد تدعو الحاجة أحياناً إلى أن يقتني الرجل الواحد منهم امرأتين وأكثر عندما تكثر النساء ولا يجدن من يصح لهن الزواج به ، وقد يقع خلاف ذلك إذ قد يحرم الرجل من الروحيين الزواج إلى أن يموت عندما لم يجد له زوجة من سلالة .

﴿ الصحة والجمال ﴾

يمكن أن يقال أن الصحة والجمال عند المرأة اليزيدية في الشيخان منعدمين بالمرّة ، وأكثرهن مصابات بالصفرة ومرض الطحال لتأثير الملاريا عليهن ، والذي يذهب بطراوتهن وجمالهن كثرة اشتغالهن بأعمال شاقة لم يكن قد خلقن لها . حتى نجد المرأة التي لا تزال في ريعان الشباب قد هزلت وهزمت ونحوات إلى عجوز شمطاء لا أثر للطراوة عليها . ولا ننسى أن جودة الغذاء وحسن المعيشة لها دخل كبير في صحة المرأة وجمالها ، والمرأة اليزيدية محرومة من كليهما لسوء حظها .

وأغلب النساء قصيرات القامة ، ضعيفات هزيلات لهن وهن صفار عيون واسعة ساحرة ولكن ما أسرع ما يفقدنها لتأثير الشمس والغبار عليهن في موسم الصيف حيث يكثرن الاشتغال بدرجة تفوق مقدرة الرجال .

ويوجد فيهن من قد جمعت صفات الحسن والجمال بكل معانيها من قدر شيق ، وخصر نحيف ، ووجه صبيح ، وعيون كحلأ ، وثدين بارزين ، ولكن هؤلاء قليلات جداً . أما النساء اللاتي ينتمين إلى السلالات الروحية فحدث عن دمايتهن ولا حرج ، والسبب هو كما جاء في البحث عن الأحكام المتبعة في النكاح من أن القيود التي تخضع لها هذه السلالات من تحريم مصاهرة الغير ، وحصر الزواج في أسر لم تتجاوز بعضها بضع بيوتات ، كل ذلك أدى إلى إنقاص القوة الحيوية فيها وأصبحت نساؤها فأقدات لرونق الحسن وجوهر الجمال مع تلبسهن بمختلف العلل والأمراض .

أما النساء السنجاريات وحتى الجيلكيات ساكنات جبل (الطور) فقد أضفن إلى كمال صحتهن فرط البهائم والجمال ، وأكبر دليل على صحتهن أن المرأة السنجارية قد لا تفقد

الانتاج الجنسي إلا في سن الحسين . وقد يكون جاهلن على الأغلب خلقياً طبيعياً غير مجلوب بتطرية وتصنيع . ولكن مما يؤسف له أنه قد يذبلن ويدركهن الهرم لسبب إنها كهن في أشغال مضيئة متمعة لا تساعدن عليها غضاضة وجودهن ، وقد تلبهن الطبيعة ما وهبتهن من صباحة وملاحة جزاء لهن على عدم اعتدادهن بنفسهن .

﴿ نفوسهم ﴾

اختلفت الآراء في تقدير نفوس اليزيديين ، فمنهم من بالغ فيه ومنهم من ذهب الى عكسه ، وطالما لا يوجد احصاءات صحيحة فلا يمكن تقدير نفوسهم بالضبط . وحسبنا نستنتجه من الأخبار والحوادث ان نفوسهم بلغت في القرن الحادى عشر والثاني عشر الهجري نحو مليون نسمة ، وقد قلوا بنتيجة الحروب التى قامت في وجههم خلال هذه المدة ، وتقدر نفوسهم الآن بنحو مائة ألف في جميع المناطق التى يوجدون فيها ، وهم في تناقص مستمر وسوف لا ينتهي هذا العصر إلا وقد أصبح هذا الدين من الأديان البائدة ويبقى اسمه في التاريخ .

اما في لواء الموصل - في قضاء الشيخان وهو مركزهم الدينى - وفي قضاء دهوك وسنجار فتقدر نفوسهم بنحو ٣٠ الى ٣٥ الف نسمة منهم عشرة آلاف في الشيخان ودهوك والبقية في سنجار ، بينما كانت نفوسهم قبل خمسين سنة في الشيخان ودهوك اكثر ، وفي سنجار أقل وسبب ازديادهم في سنجار هو اعتدال مناخهم وصحة أمرجتهم ، وفقدان الأمراض الوبائية فيهم ، فمعيشتهم بسيطة للغاية ، ونسائهم لا يقعدن عن الحمل إلا في سن الحسين والخامسة والحسين بالاضافة الى ذلك بقاؤهم في نجوى من الحملات التى كانت تقوم بها الحكومة العثمانية عليهم وتكثر من القتل والأسر فيهم ، وسوف لا يمضي عليهم اكثر من ربع قرن إلا ونجد نفوسهم قد بلغت هذا العدد وضافت الأرض فيهم .

﴿ لباسهم ﴾

يقتصر اليزيدي في لباسه على الأبيض الفضفاض الذي يعتقده لباس أهل الجنة ويحرم الملابس الملونة لا سيما ما فيها شئ من الزرقة ، وكانوا قبلاً يحرمون الملابس الحريرية ، اما الآن فقد عدلوا عن ذلك .

والعادة ان تكتسي المرأة ثوباً وسروالاً من المنسوج القطنى الأبيض وتلبس فوقه في موسم الشتاء مقطنة من (البازة) اتقاء البرد وتعم بعمامة من الشاش الأبيض وتتقنع بقناع من المنسوج الرقيق ويسمونه « لجك » - وهى كلمة فارسية تفيد عين المعنى - أما الفتيات العذارى فلا يعتمن ولا يتقنعن ، وقد يعصبن رؤوسهن بقطعة من القماش الأحمر او الاسود وربما يتخمرن به ، فإذا تزوجت لبست العممة البيضاء . والمرأة البزيدية في سنجار تكبر من عمتها ، والعادة ان تكون حافية الرجلين وبعضهن يلبسن الحذاء في الصيف وينزعنه في الشتاء حذراً عليه من البلى .

اما نساء بيت الأمير فقد يلبسن الملابس الحريرية والاثواب القز الحمراء والخضراء وعليه معطف قصير من القطيفة ويلبسن في الشتاء القنادر والجوارب .



فتاتان يزديتان

ورمى المرأة اليزيدية الوحيد سروالها الأبيض ، فإذا نزعته واستبدلته بقميص آخر
فمعناه أنها أسلمت . أما طائفة الرجال فقد لا يخلو لباسهم من البساطة وعدم التكلف ،
فالأغلبية منهم يلبسون السروال والقميص بمفردهما والأغنياء يلبسون ملابس الجوخ
وهي سروال ومعطف قصير وفي الشتاء يلبسون الفرو والعباءة ويختلف لباس الرأس
عندهم ، فالشيوخ يلبسون العمامة البيضاء وكذلك الكواجك ، والبقية بصورة عامة



انسان من الكواجك

يلبسون يشماغ احمر منهم من يعتم به ومنهم من يلبسه مع العقال . وفي سنجار يلبس
«الجوانا» قبعاً طويلاً وهو على شكل مخروط ويشدون عليه كوفية سوداء أو يشماغاً أحمر .
والفقراء يلبسون على أجسادهم خرقة من صوف ، يصبغونها بأوراق شجرة في جبل
سنجار يسمونها «زركوز» ولا يجوز نزعها حتى عند النوم ويستحب نزعها في

حالة الجماع .

واليزيدي في سنجار لا يهمل لبس السروال مطلقاً ، أما في سنجار فقليل منهم من يهمل لبسه حتى النساء إلا اذا حضروا مرقد الشيخ عدي لأجل الزيارة فيحتم عليهم لبسه تأديباً .

والرمز الوحيد لليزيدي رجلاً كان أو امرأة أن يكون زبق قميصه مدوراً ، أما اليزيدية الذين في الأماكن البعيدة فقد لا يعملون به .

﴿ نبذة من عاداتهم وتقاليدهم منها ما ورد ذكره ومنها ما لم يرد ﴾

١ - إذا ولد لأحد ممولود لا يجوز له اخراج شيء من بيته ولا مباشرة عمل من أعماله الى مرور سبعة أيام .

٢ - يحرم على اليزيدي النظر الى وجه المرأة غير اليزيدية ومداعبة المرأة التي حرمها الشريعة عليه من جنسه .

٣ - يحرم على اليزيدي دخول بيت الخلاء (١) .

٤ - » » دخول الحمام .

٥ - » » الدخول الى المسجد والمدرسة وكل محل يذكر فيه اسم الله ويتلى فيه القرآن .

٦ - » » البصاق في وجه انسان كان أو حيوان .

٧ - » » الدخول الى محلات الأنس والملاهي كالمرقص ودور التمثيل (٢)

٨ - » » النوم بالاحاف والقعود على فراش وثير باستثناء الأمير وأفراد أسرته (٣) .

٩ - » » صدق المعاملة وحسن المعاشرة مع كل من هو خارج عن لواء يزيد

(١) وذلك على زعمهم حذراً من اختلاط بول الرجل ببول أحد محارمه ، ويحتمل حتى من قضاء الحاجة في المكان الذي تقصده المرأة .

(٢ و ٣) هذه هي نزعة صوفية ورثوها من اسلافهم والديانة اليزيدية مبنية في اصل وضعها على تدليل النفس وانكار القات والبعد عن اللذات والشهوات . وفي الوصايا العشرة للديانة البوذية : « يجب ان لا تحضر حفلة رقص او غناء » و « ان لا تقتني المقاعد والمساند الفخمة » .

١٠- يحرم على البعض من اليزيدية أكل لحم الديك والحمامة والفزال والأرنب والسمك واليقطين والفاصولياء واللوبياء ، ومحرم على اليزيدية قاطبة أكل الخس (١) واللهانة ولحم الخنزير .

١١- يحرم على اليزيدي اسناد فعل منكر الى أحد رجال الدين .

١٢- » » البحث عن أسرار الديانة اليزيدية مع غير اليزيدي .

١٣- » » أن يلفظ أحد أمامه كلمة (شيطان) وكل كلمة على وزنها ورويا كيقطان وسلطان وشهيان (اسم قرية قريبة من المرقد) وكل كلمة تحتوي على حرفين أو أكثر من هذه الكلمة كمشط وشخاط وطشت وشط وغير ذلك .

١٤- يحرم على اليزيدي ان يلفظ ، او ان يلفظ أحد أمامه كلمة لعن ولعنة وملعون .

١٥- » » اللباس الأزرق وكل ما فيه شيء من الزرق (٢)

١٦- » » الاستنجاء بعد قضاء الحاجة (٣)

١٧- لا يوجد لدى اليزيدي ما يسمى بالنجاسة مطلقاً ويعتقدون ان الأصل في الأشياء الطهارة ، واذا كان القلب طاهراً فكل شيء طاهر .

١٨- يحرم على اليزيدي ان يقبل مخاطبة من ليس على دينه بيا أخيه وبأولدي .

١٩- » » ان يطلع احداً من الغير على عبادته .

٢٠- » » ان يطلع احداً من الغير على زيارة السنجق .

(١) يعلمون تحريمهم الخس لانه يتغذى من الزبل . ويحكون ان الشيخ عديا عندما كان يمر من بستان فيها نبات سأل عن اسمه قالوا له خس ، قال فليخس ومن ثم حرموا اكله . وفي الفصل والاهواء والنحل (٤ : ١٤٠) ان في الكيسانية طائفة تسمى (النحلية) نسبوا الى الحسن بن علي بن درسمند النحلي ، من احدى كور افريقيا معلنون كفرهم لا يأكلون من الثمار ما زبل اصله .

(٢ و ٣) سألت احد شيوخهم : لماذا تقولون : « مسلمان بي أوله » وهي كلمة كثيراً ما يرددونها ومعناها ان المسلم لا دين له ولا ايمان - قال لي : لانه يلبس الازرق ويستنجي بعد قضاء الحاجة . قلت له : وما هو سبب تحريم ذلك ؟ قال لي : لا ادري .. اما تحريمهم لبس الازرق فلا شك انهم ارادوا به مخالفة الشيعة الذين اعتادوا لبس السواد ايام عاشوراء حداداً على شهيد الاسلام الحسين رضي الله عنه ، والازرق قريب من الاسود ، او اقتداء بالامويين الذين شعارهم الملابس البيض على عكس العباسيين .. وأما تحريمهم الاستنجاء فلا نجد له تعليلاً معقولاً سوى احتمال موافقتهم طائفة من (على الالهية) الذين يعملون به ، اذ يعتقدون ان الماء هو مرآة جمال الله وصورته ولا يجوز ان يدنس بعمل مكروه كالاستنجاء .

٢١- يحرم على البزيدي الاحتلاق بيد غير يزيدي، وكذلك الموسى الذي يستعمله ما لم يظهر بالماء المقدس (١)

٢٢- يحرم على المرأة اليزيدية بقية الطعام الذي يأكله غير اليزيدي وسؤر الماء الذي يشربه (٢)

٢٣- يحرم على البزيدي ان يلفح فرسه من حمار، او يقتني فرساً لفتح من حمار (٣)

٢٤- » » الاختلاط بمن هو ليس على دينه دون حاجة ضرورية .

٢٥- » » التعلم باستثناء أسرة الشيخ حسن (٤)

٢٦- يحرم على المرأة اليزيدية اكتساء الملابس الملونة والحريية ويقتصر لباسها على ثوب وسروال من المنسوج القطني الأبيض وتتقنع بقناع من الشاش الرقيق وتسميه (لجك) وقليل منهن يكتسبن المنسوج القطني الموصللي الأحمر ويعرف بالصابوري .

٢٧- أكبر علامة فارقة لليزيدي ان يكون زيق قميصه مدوراً .

٢٨- أعظم قسم عند البزيدي هو : (طاؤوس ملك) ، (علم يزدين) ، (يزيد) ،

(١) قلت لأحد شيوخهم : يظهر لي ان تحريمكم الاحتلاق بيد المسلم نفاً على ما يظهر من قتل احدرعاع المسلمين يزدياً عندما كانت يحلفه، وقد انجر هذا التحريم الى الموسى الذي يستعمله المسلم، وحيث انه لا يوجد اليوم احتلالاً لاجراء عمل كهذا، فلماذا لم تعدلوا عنه؟ - قال هذا أسرلاً يستطيعه سوى طاؤوس ملك!!

(٢) اذ يعتقدون ان بقية هذا الطعام والماء عندما يدخل جوف امرأة متزوجة ام فتاة باكرأ ينطبق اثر آكله او شربه في الجنين الذي في بطنها او الذي سيخلق فيما بعد وينسخه على شكله . حتى انهم يروون حكاية مؤداها : ان حسن البصري لما مات اخذت روحه تحوم على شاطئ نهر تريد لها مكاناً تاوي اليه ، ولما جاءت بنته وملائت جرتها من النهر ، أوت الروح الى الجرة . وعندما شربت منها دخلت روح أبيها فيها فعملت على الفور . وبعد تسعة اشهر ولدت ولداً كان نسخة طبق الاصل لابييه .

(٣) وذلك بزعم منهم ان البغل حمل الحطب الذي أعد لاحراق ابراهيم الخليل ولكنهم في نفس الوقت لا يرون مانعاً من اجتناء البغل .

(٤) ان كثيراً ممن ايقظتهم الحوادث من يزيدية الشيطان وسنجار اخذوا يشعرون بسخافة هذا المبدأ ويدركون ضرورة تعليمهم اولادهم الا انهم لم يجدوا في أنفسهم الشجاعة ورجال الدين واقفون لهم بالمرصاد ويخندونهم سوء العاقبة . وقد احدثت الحكومة اربع مدارس في الشيطان ومثلها في سنجار ولم تلق نجاحاً وقد اغلقت المدارس التي في سنجار سنة ١٩٤٢

(الشيخ عدي) ، (الشيخ شمس) ، (محمد رشان) ويزيدية سنجار يحلفون (بالشيخ شرف الدين) و (يزيد صور) (١) والعموم يحلفون (بالبراق) و (بخزقة الفقير) و (دركه شيخ عادي) اي باب تربة الشيخ عدي .

٢٩- ومن الايمان المغلظة عندهم ان يخطوا دائرة على الارض (٢) ويدخلوا فيها الشخص المراد تخليفه ويوجهون اليه هذه الكلمات : « ان الشيخ عدي ويزيد والشيخ حنتوش العربي لا يشفعون لك ، وقيص (نسيم) اليهودي في عنقك ، ويده على رقبتك وعيونك ويكون في الآخرة أخاك بعد شيخك إن لم تقل الصحيح » .

٣٠- ومن أعظم ايمانهم ان يأخذ الشخص الذي يجب عليه اليمين قبع فقير ويضعه على رأس شاة ويقول : إنه يواقع هذه الشاة يوم القيامة اذا كان فعل كذا .

٣١- اذا أجذبت السنة يذهب الأمير وحاشيته وجماعة من رجال الدين الى مرقده (الشيخ محمدرشان) للاستسقاء وينحرون له النخائر ويتضرعون اليه لينزل عليهم المطر ويروي حقولهم وزروعهم إلا أنهم يعتقدون انه سيذهب الأمير او أحد أفراد أسرته ضحية هذا الاستسقاء تلك السنة .

٣٢- ومن عاداتهم اذا أمسكت السماء ان يغير نساء قرية على أخرى وقد تزيين بزي الرجال وحملن أسلحتهم وينهبن ما بشأن فيأتي أصحابها ويستردونها .

٣٣- وفي هكذا سنة تصنع الفتيات دمية ويزينها بقلائد الودع والخرز ويطن بها البيوت ويغنينها لتسقيهم الغيث مدراراً (٣)

(١) يسندل من وصفهم يزيداً بكلمة (صور) ومعناها الاخر انه كان اشقر اللون . ويقولون انه كان في وجهه اثر الجدرى .

(٢) لهذه الحطة قصة اسطورية كان للجهل المستولي على عقولهم اثر في ادخالها على معتقداتهم وذلك انهم يعتقدون ان الشيخ عديا كان يخط خطة او دائرة على الارض ويدخل فيها مع من يشاء من مريديه لاستئاع وعظ الشيخ عبد القادر في بغداد . وبينما كان يوما يسمع وعظ عبد القادر في الحطة ككجاري عاداته حتى عنقه حتى كاد رأسه ان يمس الارض واخذه الوجد فساله احد خواصه عما جرى له ، اجابه : سمعت الشيخ عبد القادر يقول : « قدي على رقبة كل ولي » . هذا هو مبدأ عقيدة الحطة عند اليزيدية وقد توسموا فيها واصبحت من اهم معتقداتهم .

(٣) يصنع مسلمي هذه الارزاء مثل هذه الدمية ويسمونها (ام الغيث) ويغنونها بقولهم : (ام الغيث اغيئنا ! لو لا المطر ماجئنا !) والاكراذ يسمونها (بوك باران) اي عروس المطر ، ولعلها محرقة من

(فيما يتعلق بالأمير)

٣٤- ينذر الطفل الصغير أبواه الى الشيخ عدي اذا أصيب بمرض او عاهة ، فاذا تشافى يكون ملكاً للأمير ، فان شاء أبقاه في خدمته ، وإن شاء تركه الى أبويه لقاء مبلغ من المال يتقاضاه منها (١)

٣٥- تنذر المرأة العاقر نفسها الى الشيخ عدي ، فاذا صار لها ولد يكون ملكاً للأمير على الصورة الآتية الذكر (٢)

٣٦- للأمير الحرية التامة في كل ما يفعله وليس لأحد ان يخالفه او يعارضه في شيء (٣)

٣٧- محظور على البزيدي ان يفوه بكلمة تخل بجرمة الأمير مطلقاً ، واذا رأى منه ما ينكره عليه فعليه ان يحمله على محمل حسن وان لا يسيء الظن به .

٣٨- محظور على البزيدي ان يخالط من قضى الأمير بتحريمه والسعي وراء مصلحته.

٣٩- يعد الأمير وارثاً لمن ليس له أحد من الذكور من عصبته (٤)

٤٠- يستأثر الأمير بغير النساء اللاتي ليس لهن أحد من ذوي أرحامهن (٥)

(بيت باران) اي اله المطر .

وكانوا في الجاهلية اذا اجذبت ستهن وامسكت السماء عنهم يعمدون الى السلع والعشر فيحزمونه ويعقدونه في اذناب البقر وضرمون فيه النار فتتفرق البقر وهم يعدون ورائها ويدعون الله ويستسقونه وانما يضرمون النار في اذناب البقر تفاؤلاً للبرق بالنار ، وكانوا يسوقونها نحو الغرب دون سائر الجهات ، قال اعرابي :

شفعنا بيقور الى هامل الحيا فلم يغن ذاك الامر ، بل زادنا جدبا
فعدنا الى رب الحيا فاجادنا وصير جذب الارض من بعده خصبا
وقال آخر يعيب العرب بفعلهم :

لا در در اناس خلب سعيهمو يستمطرون لدى الازمات بالعشر
اجاعل انت يبقورا ملعة ذريعة لك بين الله والبشر ؟

وفي القاموس « والتسليع في الجاهلية كانوا اذا استنوا علقوا السلع (وهو نوع من الشجر) مع العشر بيران الوحش وحذروها من الجبال واشعلوا في ذلك السلع والعشر يستمطرون بذلك » والعشر شجر ينبت في بلاد اليمن والحجاز سريع الاشتعال ، بطيء الانطفاء . والبيقور اسم جمع للبقرة كبقار وبقير وباقورة .

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) : هذه هي قواعد دينية واجبة الانواع ، وكان الامراء طيلة العصور التي مرّت يعملون بها . وعلى زمن الامير سعيد بك الغيت ولم يكده احد يعترف بها ولو طال عهده بالامارة

٤١- كلما يخلفه الأمير من ملك وعقار ومال يرثه الأمير الذي يخلفه وليس لأحد من أهل بيته حق في أن يختص بشيء مما يتركه (١)

٤٢- يختص الشيخ الأكبر (بابا شيخ) بملايس الأمير بعد وفاته .

٤٣- للأمير أن يتزوج بما شاء من النساء ممن أباحتهم الشريعة له ولا يجري عليهن الطلاق ، وليس لمن أن يتزوجن بعد موته .

﴿ في الأحكام المتعلقة بالنكاح ﴾

٤٤- لا يجوز لليزيدي أن يصاهر كريمة اليزيدي ولا أحداً من ذوي رحمه إلى خمسة أعقاب .

٤٥- لا يجوز لليزيدي أن يتزوج زوجة أخيه بعد طلاقها أو موته عنها .

٤٦- » » » » زوجة ابن عمه بعد موته عنها .

٤٧- » » » » أخت المرأة التي خطبها ولم يتزوجها .

٤٨- لا يجوز لليزيدي أن يتزوج المرأة التي خطبها أخوه ولم يتزوجها .

٤٩- لا يجوز لليزيدي أن يتزوج من الأسر الروحية وبالعكس وذلك من أشد الكفر

٥٠- تحرم المرأة اليزيدية على زوجها إذا قال لها أنت شيخني أو ييري .

٥١- يجري النكاح بمعرفة شيوخ آل الشيخ حسن ، أما الآن فقد أهمل ولم يعمل به إلا القليلون .

٥٢- لا عدة للمرأة المطلقة أو المترملة (٢) .

٥٣- يجري الطلاق أكثر من مرة ويكون الرجوع بموافقة الزوجين (٣)

٥٤- يحرم الزواج ليلة الأربعاء ، وفي شهر نيسان (٤) ويجتنب اليزيدي الفراش ليلة

لألفى قواعد أخرى كثيرة غيرها .

(١) كانت هذه القاعدة متبعة عندما كان الأمير قبا على مرقد الشيخ عدي وليس له أن يتصرف بالنذور والخيرات أكثر من حاجته وما يبقى منها يعود إلى الملة . أما الآن وقد تغيرت الحالة وأصبحت النذور والخيرات وقفا على الأمير ينفقها في سبيل أهوائه ومشتبهاته ولم يكذب يعترف بأحقية أحد غيره فيها فكان من نتيجة ذلك أن بطلت قاعدة انتقال وراثته إلى الأمير الذي يخلفه وانحصرت وراثته في أولاده .

(٢) (٣) جاء في تفسير الرازي أن الرجل بالجاهلية كان يطلق امرأته ثم يراجعها قبل أن تنقضي عدتها ولو طلقها ألف مرة ، فكانت القدرة على المراجعة ثابتة له .

(٤) أن اتباع اليزيدية هذه العادة وعملهم بها كبداً ديني على جانب من الغرابة ، وعمل الغرابة ارتكازها على نظرية علمية قديمة إذ ذهب بعض العلماء إلى أن المواليد التي تحمل بهم أمهاتهم في الفصل الربيعي يأتي غالبيتهم مجانين أو بلهاء ، ذلك لأن الأبوين يقضون الفعل الجنسي في هذا الفصل بمعدة زائدة وجهد عنيف حتى

كل أربعاء .

٥٥- يستأثر البيزدي بمهر الفتاة التي هو وليها ولا يكلف بأعمال شيء لها من الحلبي والملابس بل يشترط ذلك على الزوج .

٥٦- يختلف بدل المهر بالنظر لجمال المرأة فقط وليست الكفاة بأمر ذي بال ، عدا الكفاة الدينية .

٥٧- اذا لم يتألف الزوجان فعلى ولي الزوجة ان يعيد المهر الذي أخذه ويسترجع المرأة التي زوجها .

٥٨- اذا عسر على ولي المرأة إعادة المهر فوراً فيفترق الزوجان وينتظر الزوج ريثما تلقى زوجته لها زوجاً آخر وهناك يسترجع مهره .

٥٩- اذا أعرضت المرأة المترملة عن الزواج واختارت البقاء ثيبة حرصاً على أولادها فلوليها الحق ان يأخذ مهرها ثانية من أولادها .

٦٠- لولي المرأة الحق في ان يجبرها على الزواج بكر أو كانت ام ثيباً ، فان رغبت عن الزواج ولديها مال فعليها ان تؤدي المهر الذي يستحقه وليها من ذلك المال .

٦١- لم يكن تهريب النساء بالامر المستنكر لدى البيزدية اذا وقع ضمن الحدود الشرعية وكثيراً ما قد يلجأ الرجل بالفتاة او المرأة التي يهربها الى مرفد الشيخ عدي فيكونا في مأمن من التعرض ، وتهريب النساء في سنجار اكثر منه في الشيخان .

٦٢- تطمح المرأة بنظرها الى غير زوجها اذا ما كرهته ولم تأتلف معه ، ويكون هواها مع غيره ، فتتركه وتذهب الى أهلها ريثما يتم افتراقها عنه (١) .

ان الرومان كانوا يحرمون الزواج في شهر مايو لاعتقادهم بان الزواج في هذا الشهر يكون تعباً ويتخلق عمله بالحدة والفراسة والطياشة . في حين ان الطب الحديث لم يقر على هذه النظرية .

(١) ان عادة الطموح - وهي ان ترهد المرأة زوجها وتسمى في استبداله بغيره - نتيجة طبيعية لارغام المرأة على الزواج ممن يقع اختيار ذويها عليه دون مراعاة احساسها وعاطفتها . واذا كانت المرأة البيزدية لا تعمل بهذه الفاعلة كثيراً فلم يكن ذلك اداء منها وترفعاً بل انها تجد لها مجالاً أو سماً في نيلها امانتها وهو هربها مع من ترغب فيه تاركة زوجها وراءها . وقليل منهم من يرضين به اما لعدم جراتهن على الهرب او حرصاً على سمعة ذويهن . وهذه العادة شائعة بين العرب الذين يعيشون في حالة البدو منذ القدم ، وقد ادركوا ما سيكون لعدم دوام اللفة بين المرأة وزوجها من نتائج وخيمة واستسلموا لطموحها . والزواج الذي تكون قد طمحت زوجته وايقن انه من الصعب عليه ان يعاشرها ويتخلى عنها بعد ان يكون قد استوفى المهر الذي قدمه لها كاملاً غير منقوس . وهي عادة مستحسنة لاقوام قضت عليهم حالتهم الاجتماعية ان يعيشوا بمجدين من كل نظام وقيد .

﴿ في الأحكام المتبعة في الميراث ﴾

٦٣- الدرجة الأولى في الميراث البنون ، ثم الأخوة ، ثم الأقرب فالأقرب من أولاد العم .

٦٤- ليس للنساء حق بالميراث طالما يكون للمتوفي أحد من عصبته .

٦٥- النساء يدخلن بالميراث كبقية الأشياء .

٦٦- ليس للمرأة حق في ميراث زوجها .

﴿ في أحكام وقواعد مختلفة ﴾

٦٧- تعد (البراءة) أكبر ضمان للصلح بين الأفراد والجماعات ، فإذا ما أعادت جماعة (براتها) للأخرى تصبح معها في حالة عداوة ، وتكون الأموال والأرواح مباحة بينهم ولا يجري التعويض عليها إلى أن يتم الصلح ويتعاطى الطرفان المتعاديان البراءة من جديد .

٦٨- إذا حظى عدو بعمدوه ولو كان قاتل أبيه وكان يحمل (براءة) فلا يمس به بسوء حرمة للشيخ عدي .

٦٩- ينحصر تعاطي (البراءة) بين الجماعات بالرؤساء فقط ، والأفراد يكونون خاضعين لحكمها وإذا حدث قتل بين فرد وآخر فالجماعة بأسرها تكون مسؤولة عنه .

٧٠- القتل الذي يقع غيلة وغدراً لا يعوض إلا بالقتل حتى ولو بعد عشرات السنين .

٧١- لا يجوز للمريد أن يبدل طريقته . فمثلاً إذا كان متمرداً على أحد شيوخ آمادين (صماد الدين) لا يسوغ له أن يتركه ويتلمذ على أحد شيوخ الشيخ نخر (نخر الدين) .

٧٢- يتنازل الشيخ عن حقوقه في مريده من خبرات وصدقات ونذور إلى شيخ آخر من نفس السلالة التي ينتمي إليها لقاء بمن يتقاضاه منه ويسقط حقه فيه .

٧٣- المريد بقرة حلوب لشيخه ورثه منذ القدم ويورثه أولاده إلى الأبد .

٧٤- يجوز إشهار السلاح في وجه الشيخ والبير وضربهما في حالة اشتراكهما في قتال ما ، أما الفقير فلا يشهر عليه السلاح .

٧٥- كل امرأة يزيدية أو رجل يزيدي ثبت تهاونه في أمر الدين وذلك من طريق

اتصاله بمن هو على غير دينه اتصالاً غير بريء يحرم من المراسم الدينية عند الدفن ولا تجري عليه صدقة ويدفن بعيداً عن أموات اليزيدية .

٧٦- تستسلم المرأة اليزيدية للاعتداء الذي يقع عليها من الرجل الاجنبي ولا ترفع صوتها خوف العار والسبة ولا تعذر اذا انفضح أمرها ، فاما ان تقتل او تنبذ .

٧٧- تعيش المرأة المسلمة مع الرجل اليزيدي وليس من المحتمل أن يمسه بسوء . واذا ثبت عليه ما يخالف ذلك تحرم عليه زوجته ، واذا لم يكن متزوجاً يبقى اعزب الى ان يموت .

٧٨- ليس للرجل ان يسيء الظن بزوجته وعليه ان يحمل كل ما يلاقيه منها من عمل غير اعتيادي على حمل حسن إلا اذا اصطدم بالحقيقة البارزة .

٧٩- ان قاعدة استبدال الأزواج مع اجراء توازن بينهم بالماشية او المال لا تزال متبعة بين يزيدية الطور ، أما في سنجار والشيخان فيندر العمل بها ، ومن المحتمل انها كانت موجودة قبلاً .

٨٠- لم يكن فيما قبل حق لولي الفتاة التي يقع عليها التهريب في طلب المهر من يهربها بل تكون له غنيمة باردة ، أما الآن فلا .

٨١- للمرأة ان تزوج من غير زوجها الذي يتغيب عنها اكثر من سنة ويعد نكاحها الأول لاغياً .

٨٢- يرهن (الزنديقاتيون) وهم فرقة من عشيرة القيران في سنجار ، وكذلك السموقيون نساءهم وفتياتهم في القمار ويبقيين في يد المرتهن الى ان يستوفي بدل الرهن . والمرتهن الحق في ان يزوج الفتاة التي بيده لمن شاء ويستوفي حقه من مهرها وما زاد يعطيه الى وليها ، وهذه العادة اكثر شيوعاً عند يزيدية طور عابدين .

٨٣- ترغم الفتاة التي يقع عليها التهريب زوجها على تأدية مهرها الى ذويها واذا تباطأ تركه وتعود الى اهلها .

٨٤- عندما يزفون عروساً من قرية يجتمع الفتيان والفتيات ويمدون وراها ويرمونها بالحجارة والسرجين الى ان تباعد عنهم .

٨٥- عندما يأتون بالعروس الى دار بعلمها يكسرون على رأسها رغيفا من اوراق لتكون محبة للفقراء والمساكين .

٨٦- يجتنب الزيدي الجماع والنوم وقضاء الحاجة وهو مستقبل مرقد الشيخ عدي
٨٧- يعد الزيدية أنفسهم «الشعب الممتاز» وهم ليسوا من أولاد حواء بل أهمهم حورية نزلت من الجنة وقد خلقوا قبل البشر بأربعة آلاف سنة ، وان أبناء آدم الذين ولدوا من حواء جميعهم أنجاس لا يجوز لهم مؤاكلتهم ولا معاشرتهم ومناكحتهم ، إذ هم أنقى منهم دماً وأطيب عنصراً ويفأخرون بعدم تسرب الداء الزهري اليهم .

٨٨- يعتقد الجهال من المسلمين ان من لا شيخ له فشيخه الشيطان ، ويعتقد الزيدي ان من لا شيخ له فشيخه المسلم .

٨٩- الزيدي مفطور على البخل إلا ما ندر وقد يكرم مشوى الضيف الذي يوجس منه خوفاً او يتوسم فيه وجاهة .

٩٠- يحتفظ الزيدي بكل ما هو قديم ويحتب استعمال الأشياء الحديثة ، فاستعمال البنترول في الأكن المقدسة بدلا عن دهن الزيت، وتكفين الموتى بالمنسوج الفرنجي بدلا من المنسوج البلدي ، واستعمال الأواني الخزفية بدلا من النحاسية بدون ضرورة حرام عليه .

٩١- ليس بنظر الزيدي شيء واجب الحرمة (كالخرقة) التي يلبسها الفقير ، وقد يضع قطعة منها على شجرة او منزل او زريبة او حقل فيبقى مصوناً من التعدي ما دامت قطعة الخرقة عليه .

٩٢- المسلم بنظر الزيدي غشاش خداع كذاب ولا يرضى منه بقول الصدق ولو أتى له بالآيات الساطعة والمعجزات الباهرة .

٩٣- الزيدي سريع الغضب سريع الانتقام ليس مع المسلم فقط بل مع بني جلدته ، وقد يضم الشر أعواماً لمن يسيء اليه الى ان تتاح له الفرص ثم ينتقم .

٩٤- يقعد الزيدي متربعا على الأرض ويأتم اذا مد رجله أمام جليسه ، ويجتنب البصاق على الأرض ويعده كفراً .

- ٩٥- يجتنب اليزيدي السب والشتم واستعمال الألفاظ البذيئة ويعده كفراً .
- ٩٦- يجتنب اليزيدي النوم مع المسلم في غرفة واحدة ، ومؤاكلته ، والذهاب معه في طريق منفرد إلا إذا كان أقوى منه . أما الآن فقد تركت هذه العادة .
- ٩٧- إذا صحب يزيدي كريفاً مسلماً له في طريق وحرص على حياته بجعله وراه كي لا تظني عليه شهوة الانتقام ويغتاله . هكذا كان ، أما الآن فلا .
- ٩٨- يحرم اهل قرية خطارة (في الشيخان) زرع العدس وحصاده ونقله الى محل البيدر ودياسه إلا أنهم لا يرون مانعاً من اكله .
- ٩٩- تحرم عشيرة (دومي) في الشيخان الشرب من ماء نهر (الكومل) وغسل الثياب فيه ، والزرع عليه .
- ١٠٠- يحرم على اهل قرية (بابرة) استعمال الملابس التي يكون فيها سواد مع بياض وهي التي يسميها العامة بـ « البقعا » وتشمل هذه القاعدة حتى الحيوانات ، فاذا ولد لأحد من نعجة فيها سواد وهي بيضاء او بقرة فيها بياض وهي سوداء عليه ان يذبحها فوراً او يعطيها الى شيخه .



الرهلات والمحادثات

كنت تعرفت الى أحد شيوخ أسرة (الشيخ حسن) وذهبت ذات يوم الى قرية (بعشيقه) لزيارته فلاقيت منه حفاوة وكراما لا أزال أذكرها له ، وأكثر يزيدية القريتين بعشيقه وبحزاني يمتازون عن يزيدية الشيخان بميلهم الى التوادد والتعارف وصدق اللهجة والصراحة لكثرة ترددهم الى الموصل واختلاطهم بالمسلمين والنصارى ...

ذبح مضيفي مساء ذلك اليوم ديكاً على شرفي وهو أكثر ما يستطيع ان يفعله يزيدي فقير بضيغه ، وكان من الطبيعي ان يدور حديثنا تلك الليلة حول المسائل الدينية اليزيدية التي كانت هي الغاية من هذه الزيارة ، فأخذت أسأل الشيخ عن أشياء لم أجد بأساً في سؤالها منه ، فكان يجيبني عليها بكل صراحة . سألته عن احتفاظ أسرته بالقرآن الكريم واعتقادهم به ، وهل ان الكتاب الأسود (مصحف رش) هو القرآن نفسه - كما يزعمه البعض - ام هو غيره ؟ أجابني : ان أسرته تحتفظ حقيقة بالقرآن منذ عهد جدهم الشيخ حسن ويعلمونه أولادهم كيلا يخرج العلم من بيدهم ، كما أوصاهم به جدهم ، الا أنهم لا يؤمنون به وذلك لسبب التحريف الذي دخل عليه ، وقد أمرهم الشارع ان لا يقبلوا من كتب الأجانب ما فيها ما يخالف سننه . اما (مصحف رش) فهو غير القرآن ، وكما ان القرآن أنزل على نبي الاسلام فمصحف رش أنزل على (يزيد) الذي أرسله طاووس ملك هادياً لشعبه .

- قلت له : طالما تعتقدون ان القرآن هو كتاب منزل وقد أنزل على (محمد) فلماذا لا تصدقون بنبوة (محمد) وتقبضونه ؟

- أجابني : اننا لا نصدق بمحمد ولا نتبعه لأنه حارب ديانتنا ووقف في سبيلها ولو استطاع لقضى عليها .

- قلت له : هل كانت ديانتم موجودة ذلك الحين ، وهي على ما تدعون من صنع يزيد ، ويزيد لم يكن قد ظهر على عهد محمد ؟

- أجبني : هذا هو موضع الخطأ عندكم وديانتنا أقدم بكثير من الاسلام وترجع الى زمن ابراهيم الخليل الذي نعه من آباءنا الأقدمين و (يزيد) ليس هو الا مجدد أرسله (طاووس ملك) لاصلاح الخلل الذي أصاب ديانتته بعد ان أفسدها (محمد) بتماليجه مم أودعه الألوهية .

- قلت له : اذا لماذا لم يرسل طاووس ملك مجدداً آخر بعد يزيد ، وقد مضى على يزيد ثلاثة عشر عاماً ، ليزيل عن ديانتته ما عراها من الخلل والفساد ، ويقبها من التدهور والاضمحلال ؟

- أجبني : هذا ما لا نزال نترقبه ، وهل ان ارساله (الكواجك) من وقت الى آخر للقيام بواجب الاصلاح ، هو غير مقدمة لارساله (مجدداً) يكون له سلطة واسعة في ايجاد انقلاب هائل على وجه الأرض تكون الحروب العالمية كجرة قلم بالنسبة اليه وبحارب الأمم والأقوام المعادية لهذا الدين ، ويبيدها بالوباء والطاعون ويخلص أمتة من الاضطهاد الذي لاقتة طيلة هذه العصور الطويلة ويجعلهم الآمرين الناهين على وجه الأرض .

قلت له : هذا لا أحاججك فيه ، ولكن قل لي من سيكون هذا المجدد ؟

أجبني : من يكن فليكن ، أليس هو الذي سيرسله طاووس ملك ويمده بقوة من عنده ؟ وما أدراك أن سيكون واحداً من اهل بيتنا او غيره من الشيوخ الذين ينظروننا .

قلت له : ماذا سيكون وضعكم مع الملل الخارجة عنكم فيما اذا قويت شوكتكم وأصبح صولجان الحكم بيدكم ؟

قال : هذا يتوقف على الوضع الذي سيتخذونه نحونا ، فن انتقاد لنا نجا ، ومن خالفنا هوى ، وسوف لا ننسى الذين أساءوا الينا ونكيل لهم بعين الصاع الذي كالوا لنا به . قلت له : هذا شيء كثير ، وسيحدث من ورائه أمور تؤدي الى فلال واضطرابات تجعل الأمت منعدماً بين الناس في هذه البلاد .

أجبني : هذا هو الذي يريد .

قلت له : من هو الذي يريد هذا ؟

قال : هو الذي تعرف . (يشيرون اليه بصفة الغائب في كلامهم مع الأجانب) .

قلت له : ولماذا ؟

قال : لأنكم أسأتم الى شعبه ، ولم تؤمنوا به ، وأنكرتم عليه قوته ، وأفسدتم شرائعه ولم يتقدم أحد منكم يوماً بقربان اليه حتى في أشد ساعة ضيقه وحرجه .

وهنا أحجمت عن الكلام معه ، بعد ان كنت أعرفه رجلاً منزناً حليماً هادئاً وقد أصبح نمرأ ضارياً كأنه يريد أن يهجم علي ويفترسني ، وأخذت ألوم نفسي لاني أنا الذي هيجت شعوره ، وما كان أغناني عن الحديث معه في هذه المسائل .. وقد أردت أن أغير مجرى الحديث معه فسألته عما يدعيه بعض رجال النصرانية عن وجود علاقة لهم معهم ؟

أجابني : كلا ! لم يكن لنا علاقة بهم أصلاً .

قلت له : يدعون انكم تحترمون العهدين القديم والجديد وتقرأونها ؟

أجابني : اتنا نعتقد ان الكتب الدينية التي بيد الخارجين عنا قد حرفت جميعها عن أصلها وقد أمرنا الشارع ان نجتنبها ولا نصدق بها إلا ما وافق منها ديانتنا .

قلت له : اذاً لا صحة لما يدعونه من ميلكم الى الأخذ بالنصرانية فيما اذا أخرجتكم الظروف وتخلينم عن ديانتكم ، أليس كذلك ؟

وهنا أخذ الغضب وتغيرت ملامحه وأجابني : ان ما يدعيه النصارى هو كذب واختلاق ، ولا يوجد ما يقرب بيننا وبينهم من مشاركة في الدين والعقيدة والتقاليد والتاريخ وفي كل شيء ، فصلاتنا غير صلاتهم وصومنا غير صومهم . ولنا كعبة نحج اليها كما يحج المسلمون الى كعبتهم وهم ليس لهم ذلك ، ونحتن كما يحنون المسلمون ، وهم لا يعرفون الحتان .

قلت له : اذاً أنتم أقرب الى الاسلام من بقية الأديان ؟

فابتسم وقال : نحن لا نجعل هذا ونعترف اننا كنا وإياكم على دين واحد إلا انكم افترقتم عنا وخالفتمونا في عبادة إله الشر ، فلنا منكم انكم في نجوى من غضبه وما أردتم إشراكه بآله الخير في عبادتكم ، وعددتم ذلك كفرأ . وهذا هو أساس الفرق بيننا

وبينكم ، ولو انكم عدتم وأحسنتم الاعتقاد به ، وشاركتونا في عبادته ، لزال الاختلاف وأصبحنا على دين واحد .

قلت له : لنفرض انكم على اصابة في عبادتكم إله الشر ، وما عكوفكم على هذه التماثيل والأصنام وتقديعكم اليهم النذور والهبات والصدقات إلا ليشفعوا لكم عنده ويقربوكم اليه ، فأية نعمة دفعها عنكم ؟ وأية نعمة شملكم بها ؟ وأنتم تتقلبون في الذل والفقر وليس بين الأمم قاطبة من هو أسوأ حالا وأكثر شقاء ، وأشدّ عناء منكم ؟

أجابني : اننا لا نطمع في نعيم الدنيا كما تطمعون أنتم فيه ، وسننال نصيبنا في الدار الآخرة مما فقدناه في الحياة الدنيا من نعيم وسعادة ويضعنا الشيخ عدي في طبق على رأسه ويدخلنا الجنة بدون حساب .

كان الوقت قد تجاوز نصف الليل وقد غلبني النعاس ، فأويت الى فراشي ونمت نومة هادئة وعند الصباح عدت الى الموصل وأنا أذكر لهذا الرجل الحفاوة التي شملني بها .

﴿ ملاقة مع الشيخ علي الشيخ الأكبر (بابا شيخ) ﴾

(في مرقد الشيخ عدي)

كنت اجتمعت بالشيخ علي الشيخ الأكبر في مرقد الشيخ عدي وأنا إذ ذاك مقبم فيه ضيفاً على الأمير علي بك بن حسين بك استرجاعاً للصحة من مرض كان قد أصابني ، والشيخ علي هذا معروف لدى كل من خالطه بدمانة الخلق ورقة الحاشية مع وقار وحشمة ينذر ان يجده انسان في غيره من البزيرية .

كان طويل القامة معتدلاً ، ذو لحية رقيقة قد دب فيها المشيب ، يعم بعمامة بيضاء تحتها طاقية سوداء صغيرة من التي يستعملها خصيصاً الرجال الروحيون من البزيريين ، وحزام أسود من صوف فيه حلقات صغيرة ، وهي الرمز الوحيد الذي وقفت عليه لبابا شيخ ، وكان قد جاء الى مرقد الشيخ عدي لاجراء تصليحات فيه حسبما يجتمه عليه واجبه الديني وهو مريض يتعذر عليه المشي دون عصا يتوكأ عليها ، وأودى به ذلك المرض بعد بضعة أشهر .

وجدت الفرصة سانحة للتحدث معه في بعض المسائل عن البزيرية في هذا المحل الخالي

من أحد عدا بضعة عمال من اليزيدية يشتغلون في اصلاح بعض المباني ، وزمرة من الفقراء يذهبون ويحيثون بكل هدوء وسكينة لقضاء الأشغال المختصة بهم . قلت له : يشوقني جداً ان أتباحث معكم في مسائل طالما تختلج في خاطري غير اني لا أجد من الكياسة ان أزججكم من أجلها في حالة مرضكم هذا ، فابقسم ابتسامة رقيقة وقال لي : ان ذلك مما تصبو نفسي اليه ، وكم أعد نفسي سعيداً بمحادثتكم في هذا المحل الرائع الجميل وأخذ بيدي وأجلسني في ظل شجرة من أشجار التوت الباسقة فحجبت عنا الشمس بأغصانها الكثيفة حيث لا عين ترمقنا ، ولا أذن تنصت إلينا ولا نسمع سوى خرير المياه وحفيف الأشجار وتغريد العنادل .

وهذا ما دار بيننا من الحديث :

قلت : تعلمون جيداً ان التطورات التي حصلت في حالة البشر الاجتماعية أيدت لنا عدم امكان بقاءنا من الآن وصاعداً تحت الشرائط التي نعيش فيها ، واذا لم نمش بخطى سريعة نحو الاصلاح والرفق اقتداء بغيرنا من الملل فلن يحق لنا ان نقبوا المكانة التي نستحقها تحت الشمس ، وسنبقى أحقاباً طويلة خاضعين لغيرنا يقودوننا كما تقود الرعاة البهائم ، وبما ان اليزيدية هم شعب له مكانته في هذه البلاد ، وله ما لغيره فيها من الحقوق فما رأيكم لو نبذوا العادات التي أصبحت مضرّة بهم ، وأخذوا يتدرجون في الاصلاح أسوة بالملل التي تجاورهم ، على ان لا يمس تدرجهم هذا بأساس دينهم ، والدين الصحيح بعيد عن ان تؤثر عليه الاصلاحات التي تدخل عليه الخير وتبعد عنه الشر . قال : ان ما ذكرته صحيح لا اعتراض لي عليه وكم أود ان تساعدنا الظروف ونأخذ بمباديء الاصلاح الذي تشير به لننفض عنا غبار الذل والاستكانة ونصبح أمة لها حق الحياة كغيرها من الأمم ، ولكن دون ذلك ، ويا للأسف ، عقبات ليس من السهل اجتيازها ، فتي أردنا القيام بذلك نزل بنا قدمنا ونسقط سقوطاً لا رجاء لنا من القيام بعده .

- اذا أردتم ان تتسلموا هكذا اوهام وخاوف ، يجب ان تعلموا انكم سوف لا ترحون مقيمين على ما أنتم عليه دون ان تترجحوا عنه قيد شعرة ، لأن الاصلاح

لا يمكن ان يأتيكم عفواً ، بل يجب ان تسعوا اليه وتبذلوا كل غال ورخيص في سبيل الحصول عليه .

- تعلمون بأن الملة لا إرادة لها في هكذا مسائل ، وأن القول الفصل هو لرجال الدين الذين هم وحدهم لهم الحق في ان يشقوا لها الطريق الذي يجب ان تسلكه سواء أكان من الناحية الدينية ، ام من الناحية الاجتماعية ، ورجال الدين البزيدي ، كما لا يخفى عليكم مقيدون بقيود شديدة لا يمكنهم ان يتساهلوا فيها ، وبصفتي اكبر رئيس ديني ، بعد الأمير ، اذا أردت ان أتساهل في بعض المسائل التي اجدها مضرّة بنا فمن الصعب ان اجد من يوافقني عليها ، وربما اتهموني بالكفر وأناروا علي الرأي العام .

- نعم ان ما تقولونه صحيح ، وكثيراً ما حدث أن ناهض طغام الناس وجهلاًؤهم رجال الاصلاح ووقفوا عثرة في سبيلهم وتبطلوا عزائمهم ، إلا أنكم طالما تعتقدون بوجود الاصلاح للملتكم التي عاشت قروناً طوالاً تحت كابوس الجهل والذل ، فالواجب يقضي عليكم ان تسبروا في شجاعة نحو هدفكم المطلوب وتقوموا بواجبكم .

- يؤسفني ان أقول لكم ان هذا لا يمكنني أصلاً ، إذ لا يسعني وأنا أكبر رئيس ديني ان أنخطئ حدود وظيفتي المحددة وأقدم على عمل ينكره علي غيري . أنظر عندما أرادت الحكومة ان تفتح مدرسة في قريتنا (عين سفني) في العام الماضي ووقف الأمير وجماعة من رجال الدين موقف المعارض ، كيف كنت في طليعتهم وعارضت في فتح هذه المدرسة . معارضة شديدة بدعوى ان الشارع للدين البزيدي لم يبح لنا التعلم ، فهل كنت على إصابة في هذه المعارضة ؟ كلا ! انني أعلم ان المبدأ الذي نسير عليه في تحريم التعليم منذ عصور هو الذي أضر بنا ، ويجب ان نعدل عنه ونقتسوى مع بقية الأمم بارتياح مناهل العلم ليكون لنا حق المساواة معها في هذه الحياة ، إلا أنني لم أخرج من صفوف المعارضين كيلاً أنهم في التساهل في أمر الدين الذي يعدوني الحارس الأمين عليه .

- ما هو قصد الشارع للدين البزيدي من تحريمه التعلم على هذه الملة ونحن نراه قد أحبط بها الى منتهى دركات الغباوة والجهل ؟

- أن الشارع لم يكن على خطأ في تحريمه التعلم على هذه الملة وفرضه الأمية عليها ، إذ

لو أباح لها التعلم لمسح لها المجال للاطلاع على الأديان السائرة والاخذ بها ، وهناك يتطرق الخلل والفساد الى هذه الديانة ، كما أنه لو لم يجعل هذا الدين مكتوماً وبحظر على أبنائه إباحة شيء منه للغير ، لانكشف أسرارها ، ووجد أعداؤه سبيلاً للنيل منه . والدين اليزيدي لم يحافظ على وضعه طيلة هذه المدة إلا بسبب بقاءه مكتوماً . وهذا نبيكم محمد (صلم) ألم كتم دينه ولم يجاهر به إلا بعد ان قويت عصبته وتمكن من سحق خصومه وأعدائه ؟ إلا ان الدين اليزيدي لم يجد له جواً صافياً منذ ظهوره حتى يتمكن من نشر كلمته وتقوية مركزه ، وكلما أراد ان يمشي الى الأمام ، لاقى من خصومه الأقوياء ما أعاقه عن سيره .

- ما هو سبب مناهضة المسلمين لكم ؟ ووقوع الحوادث الآلمية بينهم وبينكم ؟
- بعد ان وصل بنا الحديث الى هذا الحد ، يمكنني ان أعترف لكم بأن ديانتنا لم تكن لتختلف عن الاسلامية بشيء ، والشيخ عدي هو رجل مسلم ويجتمع مع نبيكم بإسالة واحدة ، ولما كان الشيخ عدي أموياً وكان يتعصب للأمويين ، فقد أخذ حكام ذلك العهد يناجزونه العداء ويسئون اليه ، وزادوا على ذلك ان تجاوزوا على زوايته واعتدوا على أصحابه ، وأرادوا ان يصلبوا أحد اولاده لخالفته لهم وإنكاره عليهم أعمالهم ، لو لم يرفعه الله تعالى اليه ويقه شرهم . وهذا ما دعا ان يقيم البيت العدوي وأعوانهم حرباً عواناً على من عاداهم وأنكر عليهم دينهم . ومن هنا نشأت الخصومة بين الجانبين وأخذ فريق يناوي الآخر ويناهضه ، واشتد الصراع ، وسفكت الدماء ، وكاد ان يقضى على أمتنا لو لم تعدم الآلهة بنصر من عندهم وشبثون أقدامهم وقد كان للفتاوى التي يصدرها علماء الاسلام الاكراد قصد إهاجة الرأي العام الاسلامي أثر سيء على حياتنا الدينية والاجتماعية ، وأخذ الاكراد الصوريون والبهدينيون وحتى الاكراد البوطانيون يشنون حروبهم علينا دون رحمة ولا هوادة ، والحكومة من ورائهم كانت ترسل الحملة أثر الحملة وتنكل بنا وهي موطدة العزم على إبادةتنا . دامت هذه الحالة اكثر من عشرين ونحن في أشد الحرجة ، وهناك كانت حملة (حافظ باشا) على سنجار وحملة (أمير رواندز) على الشيخان فكانتا القاضيتين علينا إذ سلبتنا كل ما لنا من قوة وسلطان

وأسقطتنا من شامخ عزنا ومجدنا (وهنا أخذت الدموع تنساقط على لحيتي) .
- لقد حركت كامن شجواكم بجديتي هذا معكم ، وأقسم لكم أنني آسف على ما أصابكم
من ظلم وغدر في تلك العصور الحمجية المظلمة . أما وقد مضى ذلك العهد وأصبح في ذمة
التاريخ ، فهل تجدون اليوم ما يحول دون تقربكم من المسلمين وتفاعمكم معهم ؟ وأعتقد
انكم بذلك تنالون بغيتكم في مضمار الحياة .

- هذا ما لا أحاججكم فيه ، وكل من له ذرة من العقل يوافقكم عليه . إلا ان تقربنا
من المسلمين وتفاعمنا معهم ، لا يعود علينا بأكثر مما نضيقه ، والبزدي الذي يكثر
معاشرته المسلم والاختلاط به لا يكون مرغوباً بين قومه وذويه ، ويعدونه عاقاً لدينه ،
ويزدرون به .

- إني أعتقد أن الذي أضربكم ، وحرمكم من كثير من حقوقكم التي لا ينازعكم فيها
أحد هو عملكم بمبدأ « الأمية » الذي افقرتم به دون العالم قاطبة ، والآن وببعد أن
ثبت لكم ان هذا المبدأ لم يوصلكم الى نتيجة إيجابية في الحياة ، وسوف لا يوصلكم
اليها الى الأبد ، فما رأيكم اذا عدلتم عنه وأخذتم بتعليم ناشئكم ؟ اما اذا كنتم تريدون
الاصلاح مع بقائكم على ما أنتم عليه فهذا لا يمكن أصلاً .

- الحق أقول لكم اني أريد الاصلاح الملتي بمعناه الشامل ، أريد أن نكون على قدم
المساواة في جميع مظاهر الحياة مع الأمم والشعوب الأخرى . إلا اني لا أستطيع ان أغير
أو أوافق على تغيير شيء مما فرضه علينا الشارع خوفاً من أن يحل غضب الآلهة علي ،
وأكون هدفاً لطعن الأجيال الآتية فيما اذا اولدهذا التغيير رد فعل في حياتنا الدينية
والأولى أن تترك مقدراتنا لحكم الظروف ، وهي وحدها التي تهيب لنا اسباب التطور
الذي ننتظره .

وهنا انتهى بنا الحديث . وفي اليوم الثاني أخذت بأهبة الرجوع الى الموصل حيث
كنت ملت الى الشفاء .

﴿ ملاقاته مع القوال « حسين » بن القوال « آدو » ﴾

﴿ الباعذري ﴾

جرت العادة منذ القديم أن يرسل أمير الشيخان كل سنة « سنجقاً » الى اليزيدية القاطنين في بلاد الروس لجمع نذورهم وخبراتهم . وآخر « سنجق » أرسله كان قبل نشوب الحرب العالمية الاولى بزمن قليل ، واختفت معالم هذا السنجق وطمس خبر القوالين الذين ذهبوا به خلال سني الحرب وبعدها ، وأخذت الظنون تحوم حول ذهابهم ضحية الولايات التي أولدتها الحرب وانقطع منهم حبل الرجاء ونسي خبرهم . إلا ان الأمير سعيد بك كان يعتقد خلاف ذلك وانهم لا يزالون على قيد الحياة . وفي عام ١٩٢٧ أرسل قوالين من قرية بحزاني الى جهة « أريفان » للبحث عنهم ، ولكن هذين القوالين ايضا ذهبوا ولم يرد منها خبر . وبعد ان انصرفت الافكار عن هذه البعثة ولم يعد أحد يذكرها ، ورد الى الأمير كتاب من القوال « حسين بن القوال آدو » من أريفان يعلمه أنه ورفاقه على قيد الحياة عدا شخصين منهم ، وان القوالين اللذين أرسلها اخيراً للبحث عنهم قد التحقوا بهم ، إلا ان حكومة الروس السوفيتية قد حجرت عليهم ولم تدعهم يخرجون من بلادها ، وطلب من الأمير اتخاذ وسيلة لاجل ارجاعهم الى محلمهم . فراجع الأمير رجال السلطة من الانكليز في العراق وطلب اليهم التوسط لدى حكومة الروس بالأمر فأجابوه ، وبعد مخاضات دامت نحو سنة وافق الروس على اخراجهم من بلادهم وأركبهم باخرة تجارية وأرسلوهم الى جزر بريطانيا ومن هناك جاؤوا الى العراق وقد مضى عليهم خمسة عشر سنة .

قصدت مرقد الشيخ عدي يوم ١٣ حزيران ١٩٣٠ بغية الملاقاة مع القوال حسين والوقوف منه على يزيدية تلك البلاد ، فوجدته رجلاً في مقتبل العمر بحسن التكلم بالتركية والروسية وشيئاً قليلاً من الأرمنية والجركية ، قد هذبته الاغتراب وأوسع في عقله . وبعد ان أفهمته الغاية التي أتيت الى المرقد المبارك من أجلها ، أجابني أنه سوف لا يدخر وسعاً في ايقافي على كل ما أروم الاطلاع عليه ، ووعدني بأن يجتمع بي ليلاً بعد ان تغمض العيون ويأوي الناس الى مضاجعهم .. وقد بر بوعده وجاء وأنا على أحر

من الجمر في انتظاره ، فسلم ووقف أمامي مصلباً يديه على صدره ، وتلك عادة يراد بها احترام الشخص المقصود مقابلته ، فأمرته بالجلوس قريباً مني . وبعد إجراء التمهيدات المفتضية في مقابلات كهذه ، أخذت ألقى عليه الأسئلة الآتية وهو يجيبني عليها :

س : كم كانت مدة إقامتكم في بلاد السوفييت ؟

ج : خمس عشرة سنة .

س : هل واصلتم الأمير بأخباركم طيلة هذه المدة ؟

ج : نعم ! اتنا لم نذكر وسماعاً في مواصلته بأخبارنا منذ اليوم الذي وطأت أقدامنا هاتيك البلاد ، وأرسلنا له مئات المكاتيب والبرقيات ولم نحصل على جواب واحدة منها حتى أخذ يخيّل لنا ان الحرب العامة لم تبق أثر إلاّ حد من شعبنا وقد أبادتهم جميعاً . ولكن اتضح لنا أخيراً ان حكومة السوفييت هي التي كانت تمنع إرسال مكاتيبنا خارج بلادها .

س : كم كان عدد القوالين الذين قاموا معك بهذه الرحلة ، وهل عدتم جميعاً أم تخلف أحد منكم هناك ؟

ج : كنا سبعة قوالين : خليل بن القوال خدر ، ورشو بن القوال مراد ، والياس بن القوال برو ، وحجي بن القوال علي ، وحسين بن القوال مادي ، وخادمكم أنا . وقد مات منا القوال علي بن القوال رشو ، والقوال حسين . ولما انقطعت أخبارنا عن أمير الشيخان ، أرسل القوال حسن بن القوال خدر والقوال رشو بن القوال حجي (كلاهما من قرية بجزاني) للبحث عنا ، وجاءا واجتمعنا بنا ، إلا أنها لم يكونا أسعد حظاً منا بإيقاف الأمير على خبر عشورهم علينا ، بل سدت دونها سبل المخابرة كما سدت دوننا الى ان من علينا بالرجوع الى أوطاننا .

س : كيف كانت حالتكم هناك ؟

ج : حسنة جداً ولم نلاق ضيقاً إلا في العامين الأخيرين إذ شددت الحكومة المراقبة علينا وأساءت معاملتنا بحجة اتنا غرباء ومن رجال الدين .

س : ابن كان محل إقامتكم ؟

ج : لم نبق مجتمعين في محل واحد ، بل اختار كل واحد منا المحل الذي طابت له الإقامة فيه خوفاً من ان نجلب الانظار الينا ، وكان محل إقامتي قرية (كروانسرا) في ولاية الكساندرابول .

س : ما هي المناطق التي يسكنها اليزيدية هناك ؟

ج : هي - تغليس ، أريفان ، الكساندرابول ، باكو ، باطوم .

س : ألم تعارض حكومة السوفييت اليزيدية في أمورهم الدينية وعبادتهم ؟

ج : لم يكن تدخل السوفييت في الامور الدينية كما تسمعون بل لكل فرد من أفراد الشعب الحرية التامة في ان يتمتع بعتقيدته ودينه فاذا كنتم سمعتم بمعارضتهم في تشييد المعاهد الدينية وبمعارضتهم لرجال الدين ، فذلك صحيح ، الا انهم لم يقصدوا بذلك مناهضة الأديان والقضاء عليها بل توجيه الناس الى الاعمال النيرة وتخليصهم من الكسل والعطالة وان لا ينصرفوا الى الدين وحده ويكونوا عضواً عاظلاً في المجتمع ، ويكفي ان أذكر لكم ان في قرية (كروانسرا) مزار للشيخ سجادين أراد اليزيديون إدخال بعض الإصلاح عليه فلما علم بذلك الحاكم أمر بهدمه وفي الغد قدموا له عريضة طلبوا فيها مساعدتهم على أعمارهم من جديد ، فأمر الحاكم بقبض الذين وقعوا على المضبطة وأرسلهم الى محل مجهول .

س : هل ترون ان يزيدية تلك البلاد سيعضون بالنواجذ على دياتهم ، ام ينقادون لمجرى التطور الذي حصل في حالة الشعوب التي يضمها النظام السوفيتي ويتساهلون فيها ؟

ج : لا استطيع ان أبدي لكم رأياً صحيحاً ، الا ان الذي أعرفه ان التعصب الديني الذي نجده في بلادنا لا أثر له هناك وقليل من يعرف له شيخاً او يبرأ ويقوم بواجباته نحوه ، وهذا لا يبشر بخير في المستقبل .

س : هل يمكنكم ان تصوروا لي حالة اليزيدي الدينية والاجتماعية في تلك البلاد ؟

ج : يؤسفني ان أقول لكم ان رجال الدين الذين هم في تلك البلاد ليس لهم ما لرجال الدين عندنا من قيمة مادية او أدبية ، فوظائفهم محدودة ولا سبيل لهم الى ممارستها ، والشعب اليزيدي لا يقدم لهم النذور والخطرات التي فرضتها الشريعة عليه وقد يعيشون

على كد إيمانهم ، واليزيدي يتمتع بعين الحقوق التي يتمتع بها غيره من ذوي الأديان السائرة ، وليس على رأسه سيد بشاركه في محصول سعيه ، ومعيشتة راقية جداً والمرأة اليزيدية تتمتع بحريتها الكاملة وتلبس ما يروق لها من الألبسة الحريرية ذات الألوان الزاهية ، وقد لا تنفر من معاشرة الرجل الذي لم يكن على دينها ولا تعامله بغلظة وجفاء والتعليم اجباري ويندر أن تجد بين ناشئتهم الجديدة من لا يحسن القراءة والكتابة .

س : من هم الذين يوجدون من رجال الدين في تلك البلاد وكيف وجدوا فيها ؟

ج : يوجد كثير من الشيوخ والبيرة وبيت واحد من البسميرية ، والذين لا وجود لهم هم الفقراء والكواجك والقوالون ، أما كيف وجد هؤلاء هناك فذلك لا أعلمه ، ولكن لا جدال في أنهم هاجروا من ناحية الشيخان منذ عهد بعيد . فقد يوجد بينهم من أسرة الشيخ حسن والشيخ أبي بكر والشيخ نضر والشيخ شمس والشيخ ناصر الدين والشيخ سجادين ، والأسرتان الأخيرتان توجدان على الأكثر في منطقة أريفان .

ويوجد من البيرة أربع أسر ، الأولى أسرة بير حسن بمان ، الثانية أسرة قضيب البان ، الثالثة أسرة بير ايسيبيا ، الرابعة أسرة بيرافات (بير عرفات) . فالأسرتان الأوليتان أو شككتا أن تنقرضا في الشيخان ولم يبق منها سوى افراد قلائل ، والأسرتان الأخريتان يوجد منهما افراد ليسوا بقليلين في الشيخان وسنجار (١) .

والبيت الوحيد الذي يوجد من (البسميرية) بيت (آلي بك) وكبيرهم الآن يوسف بك الذي قلده حكومة الروس السوفيتية مناصب كبيرة في الدولة ويسكنون مدينة الكساندرابول .

(١) قبل أن وقت على هذا الخبر كنت اعتقد أن انتشار اليزيدية في هذه البلاد النائية وقع بنتيجة دعاية قام بها أحد اولاد الشيخ حسن الذي يعزى اليه هذا الدين ، وقد هاجر إليها كما هاجر غيره من أهل هذا البيت إلى الديار الحلبية والشامية والمصرية لنفس هذا الدين فمنهم من نجح ومنهم من أخفق . إلا أنني لم أكن مقتنعاً برأني هذا إلى أن علمت أن اليزيدية بعد أن انتقلت من الشيخان إلى جبال البوطان واعتنقها كثير من قبائل الاكراد كالدنبلي والمحمودي والتحقوا بالدولة الفرعونيلية . ثم انخرطوا في سلك امراء الشاه ملهماسب واقتطعوا معازل وحصون في ايران نزحوا إلى تلك البلاد واتخذوها موطناً لهم . وقد كان من الطبيعي أن يرافق هؤلاء في رحلاتهم وتنقلاتهم جماعة من شيوخهم وبيوتهم ليعيشوا على صدقاتهم وخيراتهم كما هي الحالة هنا أو كي لا يدعوم دون مرشد فتغلب الأيدي بهم وتخرجهم من دينهم .

س : هل يوجد هناك مقامات للمشائخ كما هو هنا ؟

ج : لا شك أنه ما من شيخ أو ولي له مقام في الشيخان وفي سنجار إلا ونجد له مقاماً مشهوداً هناك ، غير ان هذه المقامات قد خرب أكثرها والحكومة لم تسمح بأعمارهم من جديد .

س : ما هو اعتقادهم بيزيد والشيخ عدي وطاؤوس ملك وبقية المشائخ الذين يفتنون الى البيت العدوي ؟

ج : لم يكن اعتقادهم بهم قوياً ، وقد يجلون الشيخ عدياً كثيراً . ولا يستنكرون من الرجل الأجنبي اذا وردت على لسانه الكلمة المنوعة ، والصحيح أنهم لا يعرفون الكلمة المنوعة ولا يتكلمون بها ، وهذه العادة لا نجدها إلا في بلادنا .

س : ما هو اعتقادهم بالأمير ؟

ج : يمكنني ان أقول لكم ان الاعتقاد فيه لم يكن واحداً ، فالقدماء من البزيدية الذين ظلوا محافظين على تقاليدهم القديمة يعتقدون فيه أنه من نوع الآلهة ، وأما الناشئة الجديدة الذين استهوتهم المدنية الحاضرة فهم على العكس من ذلك وقد يعدونه بشراً مثلهم حتى أنهم قد لا يعباون بزيارة السنجق وينظرون اليه كشيء من الأشياء .

س : هل صحيح ان حكومة السوفييت أخرجت السنجق من أيديكم ؟

ج : كلا وقد احتفظنا به الى حين رجوعنا الى بلادنا .

وهنا انتهى بنا الحديث ، وكان بودي ان أسأله عن أشياء كثيرة أخرى ، ولكن خوفاً من انتباه الحراس الذين أقامهم الأمير لحراستنا تلك الليلة أذنت له بالانصراف بعد ان شكرته على المعلومات التي أدلى بها إلي .

﴿ جدال طريف ﴾

في اليوم الثاني من رحلتي هذه ، بينما كنت والأمير جالسا على « عين البيضاء » وقد أظلتنا اشجار التوت الباسقة التي شهدت حوادث جساما في هذا الوادي ترجع الى ما قبل بضعة عصور ، وكانت ثمارها الشهية تتساقط علينا ونحن نلتقطها باشتهاء ، دار فيما بيننا الحديث عن الشيخ حسن والشيخ شمس . قلت له : انكم تعبرون عن الشيخ حسن

بالشيخ حسن البصري ، والشيخ شمس بالشيخ شمس الدين التبريزي وهذا خطأ فالشيخ البصري والتبريزي لا علاقة لهما بكم ولم يدخلوا في دياركم . - قال لي : كيف لم يكن للشيخين البصري والتبريزي علاقة بنا ، ولم يدخلوا في ديارنا ، ونجهل نحن ذلك وأنت تعرفه ؟ - قلت له : هل اذا جهلتم أمراً يجب ان يجهله غيركم ايضا ؟ فاحتدم الجدل فيما بيننا وأخيراً اتفقنا على ان نجعل رئيس الأئمة الشيخ نذيراً حكماً بيننا . فاستدعاه الأمير وكان أرمداً ، وقال له : ألم تقل أن الشيخ حسناً هو الحسن البصري ، والشيخ شمس هو الشمس التبريزي ؟

فأجابه : أو ليس كذلك يا سيدي ؟

قال له : اصغ اذن لما يقوله فلان (وأشار إلي) :

قلت له : هل لك ان تعلمني من هو (حسن البصري) هذا الذي تتمتع أسرته بكنيةكم بعين الحقوق والوجائب الدينية التي تتمتع بها بقية الأسر المنتمية الى البيت العدوي ؟ قال لي : طبعاً هو من البيت العدوي .

قلت له : كيف يصح ان يكون من البيت العدوي وقد أثبت التاريخ ان الشيخ عدياً هو أموي من نسل مروان بن الحكم وقد توفي سنة ٥٥٧ هـ ودفن في لالش من أعمال الموصل ، والحسن البصري هو من التابعين وأبوه يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، وأمه خيرة مولاة ام مسلمة زوج الرسول وقد توفي بالبصرة سنة عشر ومائة ، وبينه وبين الشيخ عدي (٤٤٠) عاماً ؟

أجابني : هكذا يقولون يا سيدي !

قلت له : من هم هؤلاء الذين يقولون هكذا ؟ وألست أنت واحد منهم بصفتك من هذه الأسرة ؟ ثم قل لي : ما هي علاقتكم بشمس الدين التبريزي ، وشمس الدين التبريزي هذا خرج من بلاد فارس ، وجاء الى قونية ، وتلمذ عليه الشيخ جلال الدين الرومي ، وذهب من هناك الى الشام ، ثم عاد ثانية الى قونية وتوفي فيها مقتولاً سنة ٦٤٥ للهجرة اي بعد وفاة الشيخ عدي بقسمين سنة ، وبعد مقتل الشيخ شمس الدين الحسن العدوي بسنة واحدة ، ولم يذكر التاريخ محيئه الى هذه البلاد واتصاله بالبيت العدوي ؟

فلم يجر جواباً وظل واجماً .

قال له الأمير : ما لك لا تتكلم ونحيب فلانا (مشيراً الي) على ما يقوله ؟

بيش امام : بماذا أجيبه يا سيدي وما يقوله لا يقبل الجدل والرد ؟

الامير : اذا فأقول لك كلها هكذا مزيفة و (فلان) يعرف اساطين ديننا خيراً منا ومنك ؟

وكان جمع من اليزيدية حاضراً وبعض منهم حائق ، وبعض منهم مبتهج . فالحائق ، حائق علي لتدخلني بأمر لست من اختصاصي على زعمه ، والمبتهج ، مبتهج لسبب الفضل الذي اصاب بيش اماماً وهم يحقدون عليه .

وكأنما أراد ان يغير مجرى الحديث وقال لي : كيف تقول ان الشيخ شمس الدين مدفون في قونية بينما هو مدفون في تبريز ؟

قلت له : هب انه مدفون في تبريز او كاشغر او شنقيط وهذا لم يكن موضوع البحث ولكن قل لي ما هي علاقتكم به وكيف أتيتم به هو وأهل أسرته طائراً من تبريز وأشر كتموه في صحبة الشيخ عدى واتخذتم له قبراً في لالش ؟

فالتفت الأمير اليه وقال له بالكردية : « خدي جافيتيه كور بكت » أي : أعمى الله عينيك ! أرايت كيف كانت ابجائك هكذا كلها لا صحة لها ؟

وهناك اعترف الأمير بصحة ما قلته ، وسألني عن حقيقة الحسن البصري والشمس التبريزي ، وكيف عرفهم اليزيدية ؟

قلت له : لا تستغرب يا حضرة الأمير اذا قلت لك أن الحسن البصري وشمس الدين التبريزي والشيخ حسن العدوي والشيخ شمس كلهم يطلقون - بعرفكم - على رجل واحد .

قال لي : كيف ذلك ؟

قلت له : يلقب الشيخ حسن العدوي بتاج العارفين الشيخ شمس الدين الحسن ، وقد عرفتموه بالشيخ حسن والشيخ شمس او الشيخ شمس الدين ، وعندما اخرجتكم الظروف على أن تنسوا اسمه ونهملوا ذكره استعظم عن اسم الشيخ حسن العدوي بالشيخ حسن البصري ، وعن الشيخ شمس بالشيخ شمس الدين التبريزي .

الأمير : الآن تحقق عندي انك تعرف أساطين ديننا خيراً منا ، ولكن هل ندلني على الظروف التي أحوجتنا الى أن ننسى اسم الشيخ حسن وفي الحقيقة أرى ان اسمه لم يرد كثيراً في أناشيدنا الدينية كغيره .

قلت له : هذا سر من الأسرار اليزيدية ولا أستطيع أن أبوح به إلا بيني وبينك ..
كان قد استولى على الحاضرين الوجوم واخذوا يتهايمسون فيما بينهم عما يكون هذا السر الذي يعرفه رجل مسلم وهم لا يعرفونه ، حال كوني لا أرى من المجاملة أن أبوح به للأمير نفسه وسوف يعده تحدياً مني على أسرته (١)

﴿ صدور الأمر باخراج مرقد الشيخ عدي من ايدي اليزيدية ﴾

وجعله من جديد مدرسة اسلامية - ذهابي الى المرقد الشريف

لأجل هذه الغاية وحديثي مع الأمير علي بك

عندما أوفدت الحكومة العثمانية الفريق عمر وهبي باشا سنة ١٨٩٢ قائداً للإصلاحات في القطر العراقي ، وجاء الموصل ، كان اول عمل قام به دعوة اليزيدية الى الاسلام ، ولما رأى منهم عنقا وإعراضاً استولى على مقدساتهم ، وأخرج مرقد الشيخ عدي من أيديهم واتخذهم مدرسة اسلامية ، وجعل امرها تابع الى مديرية المعارف بالموصل . وقد اختارت مديرية المعارف المرحوم امين افندي القره طاغي ليكون مدرساً في هذه المدرسة وأخذت على عاتقها الاتفاق على الطلاب الذين يدرسون عليه .

استمر العالم القره طاغي دائماً على التدريس في هذه المدرسة نحو سبع سنوات وهناك تنازلت الحكومة عن هذه الفكرة وأعادت المرقد الشريف الى اصحابه اليزيدية بناء على ما سبق لهم من المراجعات للاستئذان . وفي عام ١٩٠٦ عندما كنت مديراً لتاحية الزورية تلقيت أمراً من والي الموصل يقضي باخراج مرقد الشيخ عدي من أيدي اليزيدية وجعله من جديد مدرسة اسلامية وتعيين مدرس لها من الأكراد . وقد وقع اختياري على المرحوم سليم افندي الزاويتي ، فاستصحبته معي وذهبت الى المرقد

(١) اذ هم الذين حظروا على « الفوالين » ذكر اسمه في أناشيدهم الدينية بعد ان غصبوا منصب الامارة من اهل بيته وذلك لكي ينسى الشعب اسمه ولا يتحدثون عنه بينما يوجد في مجاميعهم كثيراً من هذه الأناشيد وقد أهلوا انشادها .

الشريف : وأحضرت الأمير علي بك وأوقفته على الأمر وطلبت اليه أن يخلي المرقد من سدنته الفقراء والكواجك ، فعارض بشدة واحتج على هذا العمل المخالف للحق والعدل ، وآخر ما قاله : اننا لا نترك معبدنا بمجرد كلامكم ، وما لكم إلا أن تخرجونا منه بقوة حرا بكم .. ولكن حادثة غريبة حدثت تلك الساعة كانت الفاصل لهذا الخلاف . وذلك أن أحد الطلاب الذين حضروا مع المدرس سليم افندي ، علا فوق صخرة (تقع مقابل عين البيضاء ، يزعم اليزيدية أن الشيخ عدياً كان يجلس عليها وهي مقدسة بنظرهم) ورفع صوته بالأذان مؤذناً بصلاة الظهر ، وأردفه بالصلوات والتسليمات المعتادة كما أن المدرس سليم افندي ورفاقه الطلاب الذين جاؤا معه - وكانوا اربعة - وأفراد الجند رمة شتموا عن سوادهم وبدأوا يتوضئون في العين البيضاء ، ثم وقفوا صفاً في الردهة المواجهة لمرقد الشيخ شمس يؤمهم المدرس سليم افندي وصلوا صلاة الظهر . وهناك رأيت السدنة يتراكمضون وهم حاملون ألحفتهم على ظهورهم تاركين المرقد الى هؤلاء المسلمين الذين دنسوه بأذانهم وصلاتهم - على زعمهم - . وقد رأيت الكواجك استاعيل (١) وهو شيخ هرم بلغ المائة من العمر يمشي الهوينى ودموعه تتساقط على لحيته يريد الالتحاق برفاقه . فاقتربت منه وسألته عن سبب مغادرته المرقد ؟ أجابني : وهل يجوز لنا البقاء فيه بعد أن دنسه هؤلاء المسلمون الا كراد بكفرهم ؟! . قلت له : كن واثقاً يا كريمي العزيز أن الشيخ عدياً وأولاده الذين خلفوه وصريديه علت أصواتهم بالأذان في هذا الوادي ، وأكثروا فيه الصلاة والعبادة أكثر من مائة سنة . فأجابني : إننا لا نريد أن نسمع هذا الأذان ونرى هذه الصلاة في معبدنا ، وأخاف عليكم من أن تغضب الآلهة عليكم وتنتقم منك وأنت شاب في مقتبل العمر ..

اما الأمير علي بك وكبير السدنة حسن فقير فلم يغادرا مكانها وقاما تلك الليلة بضيافتنا

(١) كنت افضي الساعات الطوال مع هذا العجوز في كل زيارة تقع لي لمرقد الشريف ، وكان يقص علي فيها الواقعة الالمية التي أوقعها امير راوندوز في يزيدية الشيخان ، ثم قتل الوالي محمد باشا اينجه - بيرقدار الامير علي بك مع جماعة من زعماء الانكشارية ورؤساء الاكراد في الموقع المعروف بـ « كراب » وغير ذلك من الاخبار التي كنت أفتق الى الاطلاع عليها . وكان هو قد أدركها وشاهدها مشاهدة عيان . وقد اخذني الاسف عندما علمت ان اهل القرية (مازدينا) الاكراد قتلوه ظلماً وعدواناً هو ويزيدي آخر اسمه (مرزا) يسكن قرية (بربر) دون ان يراعوا شيخوخته الفانية .

وقادتنا ومهما اعتذرنا اليهم فما كان جوابهم لنا سوى اننا ضيوف على الشيخ عدي لا عليهم والواجب يقضي علينا بقبول هذه الضيافة ، وقد أنوا بكبش الى أحد أفراد الجاندرمة وطلبوا اليه ان يذبحه ليعدوه عشاء لنا لعامهم ان السلم يحرم ما يذبحه البزيدي إلا ان المدرس سليم أفندي والطلاب الذين جاؤوا معه وحتى أفراد الجاندرمة أبوا أكل طعامهم واكتفوا بأكل خبز ذهب أحد الطلاب وأتى به من قرية (اشكفت هندوان) المسامة .

وجاءني حسن فقير ، وكانت الشمس قد مالت الى الغروب ، وطلب الي السماح بإيقاد السرج والشموع في صحن الحرم الشريف وعلى القباب والطرقات والأماكن المقدسة فأجبتة الى ذلك وقلت له على سبيل المجاملة ، اذا كانت لك حاجة فاني مستعد لمعاونتك ، فأبتسم ابتسامة تنم عن ألم وحزن وذهب لاداء مهمته ، ومن الغريب اني وجدته تلك الليلة يكثر من اشعال الذبالات على الصخرة التي علاها المؤذن خلافا للعادة إذ لم أرهم أوقدوا عليها غير ذبالة واحدة فيما مضى حيث جعلها تشتعل نوراً وناراً الأمر الذي دلني على أنه أراد تطهيرها من الدنس الذي أصابها ، او قصد ارضاء آلهتهم من الالهانة التي أصابتهم .

وبعد ان أكلنا عشاءنا وشربنا القهوة المرة ، المرة تلو المرة ، كلمني الأمير علي بك على انفراد بما يأتي :

- اني وأبم الحق لم أكن أنوقع منك هذه المعاملة القاسية وأنت كريفا العزيز الذي نعقد عليه آمالا كبيرة للعطف على قضيتنا .

- ثق يا كريفي باني لا أزال أتمنى ان أكون عند حسن ظنكم ، واذا لاقيتكم مني عملا بخالف رغائبكم فأود ان لا تحملوه على سوء نية وقصد وتستأثرون منه ، وتعلمون اني موظف صغير ومضطرب لتنفيذ الأوامر التي أتلقاها من مرجعي .

- نعم أنا لا أجادلكم فيما تقولونه ، ولكن لماذا لم تكتبوا الى مرجعكم ان مرقد الشيخ عدي هو معبد البزيرية المقدس وكعبتهم التي يحجون اليها ، ومن الظلم الفادح اخراجه من أيديهم واتخاذ مدرسة اسلامية ، بينها يوجد مدارس اسلامية كثيرة مندرسة وفي

وسم الحكومة احياءها اذا كانت رغبتها منصرفة نحو ذلك حقيقة بدلا من ان تتخذ هذا المرقد المبارك مدرسة وتحرم عشرات الألوف من اليزيدية من الوصول اليه .

- ان ما تقولونه صحيح ومطابق للحقيقة والواقع ، ولكن لا يخفى عليكم اني موظف صغير ، وليس من شأني ، ولا من صلاحيتي ان أقوله ، ومن حقكم أنتم وحدكم ان تقولوه وتحتجون عليه .

- اذا سلمنا أنكم معذرون بمعارضتكم الأمر الصادر اليكم ، فلماذا لم تمنعوا هؤلاء الاكراد من الأذان والصلاة في هذا المرقد وتعلمون انه مخالف لديانتنا (١) .

- هل تعتقدون اني أقوى على منعهم من الصلاة في هذا المحل لأنه مخالف لديانتكم ؟ واذا منعتمهم هل تفكرون بأنهم ينقادون لأمرى ولم يبادروا الى تكفيرى ، والمسلم يؤدي وجائبه الدينية أينما شاء .

- اني أكرر التماسي عليكم ان تبهنوا للحكومة على عدم امكان اتخاذ هذا المرقد مدرسة اسلامية وتقنعوها بجمعها في محل آخر غيره وبذلك تكسبون صدقة اليزيدية بأسرهم وتسدونهم منة يشكرونها عليها الى الأبد .

- قلت لكم ان وظيفتي لا تساعدني على ان أقوم بمثل هكذا اقتراح على من هو فوقى ووظيفتى هي تنفيذية صرفة ، وما لكم إلا ان تتفاهموا مع والي الولاية بنفسكم وتقنعوه بفساد هذه الفكرة .

- اني أعلم جيداً ان القصد من تبليغ هذا الأمر اليكم ليس هو اخراج معبدنا من بلادنا واتخاذ مدرسة اسلامية حقيقة بل هم أرادوا ان يدعوني الى هذا (التفاهم) الذي تشير به علي ، والحق اني سئمت هذا التفاهم وسئمت الملة من ان تقوم بمساعدتي عليه - اني لم أشر عليكم باتباع هذه الخطة الا حرصاً على مصلحتكم وقد تحقق عندي ان الحكومة تعتمد التعدي عليكم .

وبعد حوار طويل قنع بالذهاب الى الموصل للتفاهم مع والي وقد وعدته ان لا أقوم

(١) اليزيدي يستنكر سماع الأذان ويحجب المرور من جوامع المسلمين . من ذلك ان الامير علي بك كان اشترى دار محمد العفاس المثل على جامع الشيخ ابي العلاء بالموصل بالفليحة عثمانية ليقم فيه عندما يحضر الى الموصل . ولما سمع صوت المؤذن من الجامع ترك الدار ولم يسكنه .

بعمل يزعمهم ما لم يعد من مهمته وبعد مضي ستة ايام عاد من الموصل حاملاً أمراً من
الوالي (١) يقضى بلزوم المحافظة على الحالة القديمة في مرقد الشيخ عدي وترك الحرية
التامة لأصحابه البزيدية في اجراء شعائهم الدينية وهكذا انتهت المسألة .

﴿ الاجتماع يزيدى متنصر في مرقد الشيخ عدي ﴾

جمعتني الصدق في عيد الجماعة في مرقد الشيخ عدي برجل مسيحي عليه مسحة من
الدين ، وهو على ما ظهر من حديثه ولهجته وهندامه انه من أهل لبنان ، وقد اكثرت
السؤال مني عن عقائد البزيدية وعاداتهم وتقاليدهم وصفوفهم الروحية ، وكنت أفيض
له بالمعلومات عن ذلك ، وفي اليوم الثاني بينا كنت على أهبة الرجوع الى الموصل طلب
الي ان أصحبه معي في سيارتي فلبيت طلبه بالرغم عن ان السيارة كانت مثقلة بالرفاق .
ولما وصلنا الموصل طلب الي ان أضرب له موعداً ليفضي الي باخبار مهمة لم أكن في
غنى عنها . وفي اليوم الثاني جاءني في الميعاد الذي ضربته له وأول كلمة فاه بها بعد ان
أخذ محله : هل تعلم يا سيدي اني لم أكن مسيحياً بالأصل كما علمته مني بالأمس ، بل من
اولئك القوم الذين احتفلت بعيد جماعتهم ؟

قلت له : وقد أخذني الحنق عليه ، اذاً ما كان أغناك عن تلك الأسئلة التي القيتها علي
وأنت أدري مني بها ؟

قال لي : لا وهم الحاضرين من البزيدية باني لم أكن منهم .

قلت له : وما هي مصلحتك في ذلك ؟

قال لي : نعم اني كثيراً ما اضطربت وساو متنى المخاوف عندما كنت أرى أقربائي في

(١) اني لا ازال احتفظ بهذا الامر الذي هو بمثابة وثيقة تاريخية لها علاقتها بتاريخ هذه الطائفة ،
وهذه صورته :-

مزوري ناحيه مى مدير لکنه

فتوتلو افندى

شيخ عدي حضر تلرنيك مرقد مباركلاري من القديم يزيدى طائفة سنك محل عبادتي اولسنه نظراً
مدرسه اسلاميه به قليله اللرندن اخراجى موافق اولدينى ملاحظه ايديليكنندن حالت قديعه به مراعاتنا
يزيديلرك الله ابقاسيله مراسم دينيه لرنيك اجراسنده سربست براقلرلى توصيه اولنور .

٢٣ تشرين الثاني ١٣٢٢

الحتم

ذلك الجمع الحافل وأنا أعرفهم جميعاً وهم لا يعرفونني ، وقد ازدادت مخاوفي عندما ناولني ابن عم لي لفافة تبغ وهو يحدق في حني خيل لي انه سيأخذ بتلابيبي ويرميني على الارض ويدوسني تحت قدميه وأنا ذلك الذي فارق دينه وألحق بأسرته طاراً لا يمحى .

قلت له : هل بوسعك ان تعلمني من هم أقاربك ؟

قال لي : اني من أسرة شيوخ الشيخ ... و ... هو عمي و ... هو أخي .

قلت له : كيف فارقت يزيديتك واهتديت الى هذا الدين ؟

قال لي : تعلم يا سيدي ان الشريعة اليزيدية أباحت لاسرتنا وحدها التعليم دون اليزيدية قاطبة ولذلك فقد كان من الطبيعي ان أتعلم القراءة منذ صغري ، وحيث جرت العادة عندنا ان يكون التعلم بالقرآن الكريم فقد كانوا يحذرونني من قراءة الكلمة الممنوعة فيه بحجة ان قراءتها كفر وخروج من الدين ، قلت لعمي مرة : اذا كان قراءة هذه الكلمة كفر لماذا أدخلوها في القرآن ؟ فانهزني وهددني بالضرب اذا عدت وتكلمت بمثل هذا الكلام مرة اخرى ، الا اني والحق لم أحفل بتهديده وأخذت أبحث عن السر في تحريم هذه الكلمة وأخذت استظهرها هي وكلمات اخرى تشابهها ، ولم أزل أرددتها على لساني عندما لم يكن احداً قريباً مني .

وفي ذات يوم وأنا مع اخي الشيخ ... بالموصل سمعت أناساً كثيرين يرددون هذه الكلمة من مسلمين ونصارى دون احتراز وتقيد قلت لأخي : ألا ترى هؤلاء الناس كيف يلفظون هذه الكلمة جهاراً ولم يؤنبهم أحد عليها وينهاهم عنها ؟ قال لي بغضب وحدة : ما شأنك وهؤلاء ؟ وهل تريد ان تكون كافراً مثلهم ؟

وهناك أخذ يترأى لي أن في الأمر سرّاً غامضاً ولكن عقلي الصغير لم يساعدي على فهمه . اذ ما معنى أن جميع ذوي الأديان من مسلمين ونصارى ويهود يلفظون اسم « الشيطان » ويذكرونه بالملق والازدراء ويستعيذون منه ومن شروره وهذه الشرذمة القليلة التي يعبرون عنها بـ « اليزيدية » تحمل له منتهى الاحترام وتتحاشى عن ذكر اسمه . وهي على قول الشاعر :

بمثلك الحب الشديد لناظري فأتق اجلالاً كأنك حاضر

ثم هل من المعقول أن يكون البشر قاطبة على الضلال في نظره الى هذا الخلق وتوجيه اللعنة اليه صباح مساء ونكون نحن البيزيدية على حق واصابة في اتخاذنا إياه معبوداً وعكوفنا على عبادته ؟ وكما اتسعت مداركي وأخذت أدرك كنه الأشياء وحقائقها ازدادت شكوكي وأوهامي في هذا المعبود وبدأت أشعر في نفسي حاجة للابتعاد عنه . كنت قد بلغت الثامنة عشر من العمر ، ولم يبق لدوي علي تلك السلطة القاهرة وكنت أتردد الى الموصل وهي كما تعلم على بعد ثلاث ساعات عنا ، واجتمع بشبان النصاري والمسلمين وأصفي الى أحاديثهم ، وأستوضح منهم ما عصي علي فهمه في كثير من المسائل وكانوا يجاوبوني عليه . وقد ذهبت مرة مع صديق لي مسيحي الى الكنيسة وشتان ما ظهر لي من البون بين عبادتهم التي كانت تفيض هيبة وجلالا ، وعبادتنا الآله المصنوع من النحاس - ذلك الآله الذي يحمله القوالون في حقبة على اكتافهم ويدورون به في القرى والجماعات ويرقصون له ويغنون له ويرغمون المسلة على إعطائهم دراهم له .

خرجت ذات يوم من قريني (٠٠٠) مصمما على أن لا أعود اليها ، والحق اني كنت قد هيات أسباب سفري الى خارج العراق ، ولكن الى أين ؟ لا أدري . فاستشرت صديقي المسيحي فأرشدني الى الذهاب الى ماردين حيث ألتقي راحتي في «دير الزعفران» وأجد ضالتي المنشودة هناك ، وزودني بكتاب الى أحد معارفه في الدير . وهكذا كان فقد سافرت الى ماردين والتجأت الى الدير ، فتلقيت فيه مبادي العلوم وقرأت دروساً في علم اللاهوت ، فاستنارت مداركي ، وانكشفت عن عيني حجب الأوهام والأضاليل ، وهدأت الثورة العنيفة التي كانت تثور في نفسي . وبعد خمس سنوات تركت الدير وذهبت الى جبل لبنان ، ودخلت ديراً للعارفين ، إلا اني مللت حياة الترهيب فتركت الدير وأخذت أبحث لي عن عمل أرزق به ، وأخيراً اهتديت الى أحد المحلات التجارية وأخذت أعمل فيه ككاتب لقاء راتب يسد حاجتي وزيادة . ولا أكتفك أن طول الاغتراب أخذ يؤثر في ، فأتيت الموصل ، وها أنا مقيم فيها منذ أكثر من شهر وسأعود الى لبنان بعد أيام قلائل .

قلت له : وما الذي حدا بك الى الذهاب الى مرقد الشيخ عدي في هذا الموسم الذي يجتمع فيه مئات اليزيديين ولا يخلو من أن يعرفك واحد منهم ويلحق الأذى بك ؟
قال لي : أعلم ذلك جيداً يا سيدي ولكن الانسان مهما يفارق دينه ويقطع كل ماله صلة بأهله وذويه ، فلا تزال عاطفة الحنو تحبش في نفسه نحوهم ويريد مشاهدتهم ، وقد ذهبت الى مرقد عدي مدفوعاً بهذه العاطفة ليس إلا ..

قلت له : أخاف أن تكون هذه العاطفة التي جاشت في صدرك وملأت مشاعرك وحواسك فيها شيء يتجه نحو ديانتك القديمة ، نحو ذلك المعبود النحاسي الذي كنت تعبده ، وكنت كلما تجولت في مرقد الشيخ عدي بين تلك الطلول البالية والآثار الدارسة وكما عرجت على مرقد الشيخ عدي وعانيت هلاله الذهبي ، وتفيأت أشجار التوت الباسقة قرب عين البيضاء ، ووقفت على حوض ماء زمزم المبارك وشاهدت العذارى يغتسلن فيه كنت تتمثل بقول الأحوص :

يا بيت عاتكة التي اتعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل
اني لأمنحك الصدود وإنني قسما اليك مع الصدود لأميل

قال لي : محال أن يكون شيء من ذلك ، ولو أن في نفسي شيئاً من تلك الديانة لما كان لي مانع من أن أعود اليها نادماً مستغفراً .
قال ذلك وفي نفسي شك من صحة ما قاله .

➤ رحلتي الى طور عابدين (١) ➤

أشرت في محل آخر الى الرحلة التي قمت بها الى (طور عابدين) مع كريف لي من يزيديّة سنجار يدعى الفقير « زندين » من قرية بردحلي قصد الاطلاع على عادات سكانه اليزيدية وأخلاقهم ومشاربهم . وكنت أعتقد ان مصاحبة (فقير) في هكذا رحلات بين قوم مها بلغت فيهم الوحشية والهمجية يجب ان تكون سالمة من الخطر وذلك بالنظر

(١) تفيد كلمة (طور) بالنبطية) معنى الجبل وتضاف الى اسماء اخرى فتكون علماً لبعض الجبال .
كطورسينا ، وطور زينا . وقد ورد في (شرفنامه) باسم (طور) وحده وهو من اهم المراكز الكردية وقام فيه امارات كردية ذات شأن . وفي قاموس الاعلام : انه سمي باسم مدينة تدعى (عابدين) في سفح جبل جودي قريباً منه .

لما للفقير من مكانة عندهم، إلا ان الأخطار التي لاقيتها دلتي على خلاف ذلك، وللقاري الكريم بيانه :

في اليوم الثامن من شهر نيسان ١٩٠٠ غادرت وكريفي البزدي جبل سنجار من طريق (كوهبل) وتوغلنا في صحراء نصيبين الواسع الأرجاء ، وفي المساء وصلنا مخيم أحد رؤساء عشيرة الشيتية الكردية وهو (المصطفج) ونزلنا ضيوفاً عليه . وقد أحسن وفادتنا وبالغ في إكرامنا بدرجة تفوق الوصف والمصطفج هو من اشتهر بكرمه وسخائه بين عشيرته في ذلك العهد ، وفي صباح اليوم الثاني واصلنا سفرنا في الطريق وبعد منتصف النهار أخذنا نتسلق هضابه الجرداء ، وكان الطريق الذي سلكناه ذا تعاريج والتواءات وأودية ومنحدرات شديدة ، وجوادي بمشي بي الهوينا مخافة ان تزل رجله ويهوي بي في أحد هذه الأودية . وهناك مالت الشمس نحو الغروب ، وأخذت تلك الجبال الصامته منظرأ مرعباً ، واستولى علي الخوف ، وتذكرت ما قاله لي (المصطفج) في الليلة الماضية من أني سوف لا أكون مبتهجاً من هذه الرحلة .. سألت صاحبي الفقير متى نصل أول قرية من الطور ؟ أجابني : بعد قليل ، ولم تساعدني أفكاري القلقة وهو اجسمي المضطربة من الكلام معه أكثر من ذلك ، ولا أدري هل أنه كان مثلي بحس بوحشة هذه الطريق ، أم كان فكره مشغولاً في الدرامم التي يريد جمعها من مريديه الذين لم يأتهم منذ العام الماضي .

وبعد ان أوت الشمس الى مضجعها - وإن شئت فقل أكلت دورتها عن نصف الكرة التي نعيش عليها وأخذت تضيء عوالم أخرى غير عالمنا - وصلنا قرية تسمى (آفشين) ومعناه (الماء الأزرق) وحللنا ضيوفاً على رجل اسمه (جروك) كبير هذه القرية ، وأدخلونا خيمة صغيرة ممزقة وقد رفعت على عمد واحد ، وأردت ان أرمي نفسي على فراش وجدته فيها طلباً للراحة من التعب الذي أصابني في الطريق ، فحذبن أحداهم من يدي وأمرني بالانتظار ريثما يأتيون بفراش لي ، وهناك جاؤوا لي بفراش قذر رث لا يصلح ان يكون جلا للحمير ورماله في جانب من الخيمة وأمرني بالجلوس عليه . قلت في نفسي هذه أول بادرة من بوادر (عدم الابتهاج) الذي أنذرني المصطفج به .

سألني مضيفي : هل جئت لشراء خرافنا ؟
قلت له : لم أكن قصاباً ولا تاجراً بل جئت مع كريفي الفقير لأجل زيارتكم .
قال لي : وماذا تبغي من زيارتنا ؟
قلت له : التعرف اليكم وإيجاد صلة صداقة بيني وبينكم إذ لعلني أحتاجكم في أحد الأيام
أو تحتاجونني .

قال لي : وكيف لنا ان نصدق بأنك لم تقصد بنا شراً من هذه الزيارة ؟
قلت له : ثق يا كريفي العزيز بأنني لست ممن يقصدون الشر بأحد ، وكيف لي ان أقصد
بكم الشر وأنا رجل موصلني بعيد عنكم ولا علاقة لي بكم ؟
وهنا تكلم صاحبي الفقير الذي ساءني سكوته بقدر ما ساءني هراء هذا الرجل وقال :
ان فلاناً (مشير إلي) له صداقة مع كافة رؤساء سنجار ويحبونه جميعاً ويحبهم ، ولم يغه
بكلمة أخرى غيرها .

وبعد برهة وجيزة أتى صبي بقصعة فيها شيء من الحساء مع رغيف من خبز الشعير
ووضعه أمامي وقال لي بصفة الأمر : كل عشاءك باسم طاووس ملك ! فلم ألتفت إليه ،
وأخذت أحتمي الحساء بنهم زائد وقد بلغ بي الجوع غايته . ولما فرغت من الطعام ،
جاء الصبي ورفع القصعة ووضعها أمام كلب كان قد ربض أمامي فأكل البقية باشتهاء
أكثر مني . وقد توثقت من أنهم أنصفوني حقاً ولم يشر كوا الكلب في الأكل معي ،
وأنا ذلك المسلم المنبوذ في نظرهم .

سألني مضيفي : ما هو جنس جوادك ؟

قلت : لم يكن من الجياد الأصيلة .

قال : بكم اشتريته ؟

قلت : هو لصديق لي يزدي من أهل سنجار ولم أدر بكم اشتراه .
وفي الصباح منحته مجيدين مع كمية من السكر والقهوة وطلبت منه أن يأت بجوادي
لكي نسافر .

قال : إني لست بمعطيك إياه وقد أخذته لقاء حمار لي كان قد سرقه رجل مسلم مثلك

قبل عامين .

قلت : وما علاقتي بهذا السارق ، وما هي الرابطة التي تربطني به ؟

قال : كلاهما مسلمان ولا فرق بينكما .

وعندما لم يبق لصاحبي الفقير صبر على وقاحة هذا الجلف ، أخذ يكلمه بكلمات قارصة وشتمة على عمله هذا الذي عده انتهاكاً لحرمته وانتقاصاً من حيثيتي وأنا كرهته الذي يقضي عليه الواجب بالمحافظة عليه ورفع الأذى عنه ، ورمى قبعه على الأرض قصد استئزال الغضب عليه . ولكن الرجل قابله ببرودة زائدة ولم يعبأ به . وبعد أخذ ورد دام أكثر من ساعة أعطيته ثلاث مجيديات بمن حماره الذي سرقه رجل مسلم مثلي منه قبل عامين وغادرنا قرية آفشين بعد ان كدت أذهب أنا وجوادي ضحية تمرد هذا الرجل الخبيث .

قلت لصاحبي الفقير ونحن في الطريق : هل كل ما سنلاقيه من الجيلايين - سكان جبل الطور - في نجولنا بينهم هكذا ، لا يخلو من اخطار ومخاوف ؟ فأشار لي برأسه اشارة لم أدر ماذا قصد ، إنها الانكار ام التصديق ، إلا أن آثار الغضب كانت بادية على أسارير وجهه . ولماذا لم يغضب وهو مسؤول - إن لم يكن مادياً - فأديباً عن الاعتداء الذي يلحق بي طالما أنا معه وتحت حمايته ؟

وبعد نحو ساعتين وصلنا قرية « شوشاني » وكانت الطريق التي سلكتها وعرة جداً وجوادي الذي بات خاوياً ، صار لا يمشي بقوة ونشاط كذي قبل بحيث صرت أخشى أن يكبو بي ويكسر عظامي وأنا على كثرة تعودي على الأسفار والتجول في البراري والقفار ، كثير الوهم ، شديد الخوف من امتطاء الجياد ، وما امتطيت جياداً إلا وهلع قلبي خاصة اذا كان الطريق وعراً كطريقنا الذي سلكتناه .

ولم أكن في « شوشاني » أحسن حالا من « آفشين » فقد أجلسوني على فراش على حدة واجتنبوا مؤاكلتي واستمعوني كلمات قارصة لا شيء سوى كوني مسلماً ، وكم كنت أنزعج عندما يوجهون إلي بعض الأسئلة التي يقصدون بها الهزوء بالاسلام ، وكنت أجدني مضطراً لحجوبتهم بما كان يرضيهم ويثاج صدورهم ، وكانوا يرمون فضلة

طعامي للكلاب كما فعلوه في (آفشين) . وافترق مرة انهم رموا فضلة طعامي أمام كلب
فشعه مرة واخرى وبال عليه ومضى ، فضحكوا وضحكت معهم قال لي أحدهم: أرايت
كيف أبى هذا الكلب ان يأكل فضلة طعامك ؟ قلت له : نعم وهو يتنجس من المسلم كما
تتنجسون أنتم منه . وسمعت ان أنوسم في الكلام معه وأعترف له بأنهم يحقون بمعاملهم
هذا مع المسلم ، بعد ان كان هو الذي بدأ به معهم ، وهو الذي عدلهم نجسين واجتنب
مؤاكلتهم ، إلا أني آليت على نفسي ان لا أنحدث معهم بأي موضوع خوفاً من ان
يعثر لساني بكلمة تثير غضبهم وهناك يتحقق الخطر الذي كنت أخافه .

وقد عولت على الاصفاء الى حديثهم وحوارهم بدلا من الكلام معهم ، إلا ان حديثهم
كان كله هراء نمججه النفس وتنفز منه الروح ويمكنني ان أحصره في كلمتين : المساومة
بالنساء ، والمفاخرة بالدعارة .

.....
.....

حوار تأباه الغيرة وتنكره الآداب ، يمثل لنا درجة انحطاط هؤلاء القوم وانغماسهم في
الطمعجية التي كان عليها البشر في دوره الابتدائي . وبماذا يتميز هؤلاء الوحوش عن
الاقوام قبل التاريخية ، وهم يقيمون في الجبال ، ويسكنون المغارات التي تحتها آباؤهم
الاولون ، وهم جماعات مبعثرة ، يغيرون على بعضهم بعضا ويعيشون فساداً في الأرض .
وهل كانت البشر في العصور المظلمة على غير هذه الحالة ؟ وألم تكن المرأة لديهم متاعاً
مشتركا بين افراد القبيلة الواحدة دون ان يحسوا بعاطفة الغيرة عليها ؟

أما انها كهم بالصوصية والدعارة ، فمن لم يسبق له منهم ما أثر بارزة فيها ، يرمونه بالجبن
والندالة ويحتقرونه واذا كان له زوجة تزدرى به وتسمى باستبداله بغيره ، وقد سمعت
خلال الليالي الثلاث التي قضيتها بينهم من أحاديث الدعارة ما اقشعر جلدي منه فرقا
وخوفاً وأخذ الرعب يدب في ولم أكد آمن على حياتي ، وقد زاد خوفي في الليلة الثالثة
التي قضيتها مضطرباً ، إذ عندما كنا أزمعنا على السفر في صباح اليوم الثاني لم أجد
حصاني في محله ولما سألت صاحبي الفقير عنه قال لي لا أدري ، وقد علمت ان مضيفنا

عرضت له حاجة في محل قريب وقد أركبه أحد أقاربه وأرسله لقضاها ، وقد اختار
الفقير زندين الصمت وأخذ ينتظر معي رجوع الجواد ، وربما انه أراد ان يؤنبهم على
عملهم هذا غير المألوف إلا انه رأى السكوت أوفق لمصلحتنا . ومضى النهار ولم يظهر
للجواد أثر فقال لي صاحبي اننا سنضطر على المبيت هنا هذه الليلة ، قلت له لا بأس في
ذلك ولكن هل تؤمل رجوع الجواد ؟ أجابني : سري . وقد أمضيت ليلتي على آخر من
الجر لما كان يخالجي من الوهم من ان يغدر أحدهم بي وماذا يهمهم قتلي واعتقادهم في
قتل المسلم كاعتقادنا ونحن صغار بأن من قتل سام أبرص تخضر يده يوم القيامة ؟ ومن
منهم لا يطلب أجر الدنيا وثواب الآخرة في قتل مسلم ليس له قيمة بنظرهم اكثر من
سام أبرص ؟

تزامت هذه الافكار في مخيلتي وكدت أجن منها لولا ما كنت أعال نفسي بأني في
حماية فقير يرون من الواجب الديني حرمة ، ورعاية الشخص الذي أتى به معه ، ولم
يدخل جفني الكرى الى قريب الفجر ومهما كنت أريد طرد هذه الأوهام والوساوس عني
كي أنام ساعة او ساعتين ، وأمامنا سفر طويل يحتاج الى شيء من النشاط والقوة ، لكن
البراغيث كانت تلذعني لدعاً موحماً وتزيد في تعذبي وايلابي وارقي .

وكأنما شملت البراغيث من دمي وأصبحت لا تعي من فرط سكرها وأرمت في الازبال
والاقدار التي نشأت فيها وغلب على النعاس وكدت لم أذق طعمه منذ أول الليل ، واذا
بطلق ناري يرتج منه الفضاء يوقضي من نومي ، فارتعد جسمي من هولاء وظننت انه
خرق أحشائي ، او لم تكن النتيجة التي أنوقمها طلق ناري ، او خنجر يغمده في أحشائي
أحد هؤلاء الاوغاد لتخضر يده يوم القيامة ؟

تلملت في مضجعي فلم أجدها بمعنى عن الحركة ، فسكنت أعصابي نوعاً ما وأخذت
أبحث عن هذا الطلق الذي وقع قريباً مني ، واذا بضجة عالية تثيرها النساء ، والرجال
تعدو كالذئاب حاملين بنادقهم . قت من محلي وقصدت المكان الذي اجتمعت فيه النساء
وهن يصرخن ويولولن ، فوجدت مضجعي في فراشه مضرجاً بدمائه وقد فارق الحياة .
كان صاحبي الفقير واقفاً على بضع خطوات عني فتقدمت منه وسألته عما حدث أجابني

ان مضيفنا له أعداء كثيرون وقد جاء احدهم الى هنا خلصة وقتله كما ترى ، قلت له : وما سيكون وضعنا تجاه هذا الحادث ؟ قال لي : سيكون كما هو ، قلت له : ألم تفكر بأنهم سيتعرضون لنا ؟ قال : وما علاقتنا في الامر ؟ قلت له : وهل ان أعمال هؤلاء الوحوش تنطبق على قاعدة او اصول ؟ قال لي لا تفكر بهذا طالما أنا معك .. بيد اني لم أكن واثقاً من صحة ما يقوله ، وقد تحقق عندي انه لا يستطيع ان يدفع أقل أذى عني منذ أخذ كبير قرية (افشين) مني بمن هماره الذي زعم ان مسلماً مثلي سرقه منه قبل عامين ، قلت له أرجح مغادرة القرية الآن ، قال لي : وهل أنت مصر على ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : فلنسافر إذن ، وكانوا قد أنوا ليلاً بجوادي وربطوه في محله ، إلا انه قد هزل بدرجة لم يستطع معها ان يحملني ، وكيف لا يهزل هذا الحيوان المسكين ولم يذق طعم العلف منذ اليوم الذي حللنا فيه الطور ؟ وقد قامى أتعاباً مضنية لم يقاسمها حيوان آخر غيره ؟ بيد اني كنت اعتقد ان المزعجات التي لاقيتها لم تخل من نحوسته ، ولبعض العرافين الذين يمارسون طباع الخيل من بدو العرب آراء خاصة في سمعها ونحسها لا يسمع الانسان التصديق بها .

غادرنا (شوشاني) وأخذنا نسير ، ولكن الى أين ؟ لا أدري . قلت لصاحبي : ما رأيك في العودة الى سنجار ؟ قال لي : هذا أمر يعود اليك . قلت له : اني أرجح العودة الآن . وهناك ترك الطريق التي سلكنها وعرج بنا الى طريق اخرى وواصلنا سيرنا بقلب مغمم بأمل الرجوع سالمين الى سنجار . وكنت نارة أقطع الطريق ماشياً وتارة أركب بغلة كريفي الفقير وذلك لان جوادي كما ذكرت قد اصبح من الضعف والهزال بدرجة لا يستطيع معها حملي . وما أشد سروري عندما تركنا (الطور) وراءنا ودخلنا صحراء نصيبين . وعند المساء وصلنا نخيلاً لعشيرة (الشيتية) يرأسه رجل اسمه (ملك) فبقينا عنده على الرجب والسعة وبالف في إكرامنا ، وفي مساء اليوم الثاني وصلنا سنجار بعد ان كنت قطعت الأم في الرجوع سالماً اليها .

« تنمة » - مما يجب ان أسجله هنا ان هذا الجواد الذي شاركني في هذه الرحلة المشؤومة وتحمل معي آلام الجوع والتعب والشقاء ، هو لكريف لي من يزيدية سنجار

وهو خلف بن الياس بن خضر محمد كهيّة ، وأبو عطفو خلف زعيم الهبابات . ولم ينفك
شؤمه عن ملازمة صاحبه الى ان ساقه الى الموت ، إذ قتل في معركة جرت له مع صالح
محمد عبده رئيس قزلكند وهو راكب عليه . وقد لاقيت الموت وجهاً لوجه في مرافقتي
له في رحلتي الى (طور عابدين) ولكن حظي غلب شؤمه .

﴿ بحث خطير مع الأمير سعيد بك بن علي بك ﴾



الأمير سعيد بك

اعتاد الأمير الشيخان (سعيد بك) ان يسهر الى آخر الليل وربما يطلع عليه الفجر وهو
جالس بين أزواجه وأصدقائه من البريديّة الذين يأنس بهم ويشق اليهم . واذا غلبه النوم
لم يكن ليعتمد على حراسته أحد غير زوجته (شمي) بنت حسين بسمير ، فكانت تحشو

بندقيتها وتقف على رأسه الساعات الطوال الى ان ينتبه من نومه ، وقد يمزو البعض ذلك الى ما يخالجه من الخوف من أعدائه الكثيرين ويفتالونه تحت جناح الظلام كما اغتالوا أباه قبلا ، وفي ليلة اشتدت أرياحها واحلوا لكت ظلماتها ، وهطلت أمطارها وأنا في قصر الإمارة نائم في الحجرة المطلّة على الوادي إذ بأحد يطرق الباب طرفاً خفيفاً فانتبهت من نومي وفتحت الباب فإذا بالأمير سعيد بك ، فدخل وجلس على كرسي قريب مني وخطبني بقوله : لقد أزعجتك في زيارتي لك بمثل هذا الوقت من الليل ، قلت له : كلا وأنا سعيد بهذه الزيارة التي أوّمل ان يساعدني الحظ وأسدي لك خدمة يكون لك نفعاً من ورائها قال لي : اني لا ازال أرقب فرصة تمكّني من الاجتماع بك لابوح لك بأشياء طالما تحتلج في خاطري ، والآآن جئتك لاجل هذه الغاية ، فأود ان تصغي الي وتشير علي بما يجب علي عمله ، قلت له : تفضل وأنا مصغي الى كل ما تقوله ، قال تعلم اني وليت هذا الأمر صغيراً ولم اكن قد بلغت الحلم ، وكانت أمي التي هي بمثابة وصي علي تدير اعمال الإمارة بدلا عني بكل روية وكياسة .

ولما كبرت أخذ البعض من زعماء الملة ممن لم يرق لهم البقاء في معزل عن التدخل في شؤون الإمارة يطلبون الى أمي التخلي عن اعمال الإمارة وتركها لي بصفتي الأمير الشرعي الذي لا يحق لأحد غيره النظر في شؤون الملة الدينية والدنيوية . وقد نزلت أمي عند رأي هؤلاء المخالفين ونوليت الأمر بنفسي . وهناك وجد هؤلاء المخالفون لهم مجالاً لمقاومتي بشنى الطرق والوسائل ورموني بأشياء لا صحة لها . وقد كان من جراء ذلك ان افتتح باب المعارضة والاختلاف بين الملة على مصراعيه وسقطت هيبة الإمارة وابتعد عنا اصداقنا المخلصون ، إلا افراداً قليلين بقوا محافظين على صداقتهم وولائهم . فأجبتهم : اني لا زلت منذ زمن اريد ان اباحثك في هذا الأمر ، إلا اني اتجنبه لئلا أرى بالتدخل في ما ليس من شأني ، وطالما انت احببت ذلك فأقول لك ان الملة ليس من شأنها ان تقاوم اعمالك وترميك بما يحط من كرامتك بوقت من الأوقات ، وجل رغبتي في ان يكون لها امير فطن حازم تعزّبه وتنضوي الى رايته ، واية فائدة تجني من وراء مقاومتها اعمالك ، والشرعية قضت عليها ان تخضع لأمير سواء أنت كنت ام

غيرك ؟ نعم يجوز أن يظهر أحد من بيت الامارة وينازعك على منصبك كما وقع غير مرة إلا ان الملة ليس من اختصاصها التدخل في أمور كهذه ولها أن تلتزم الحياد وتجتنب عن كل ما يفرها ، ويجوز لها أن تدافع عنك فيما اذا كانت تعتقد الصلاح في احتفاظك بمنصبك . أما اذا كانت الملة نفسها مستاءة منك وترى بقاءك أميراً عليها مضر بمصلحتها فلا شك انها ستبحث عن غيرك ممن يوفي هذا المنصب حقه من هذه الأسرة وتعاضده في اسقاطك من هذا المنصب .

- إني لم آت على عمل يضر بمصلحة الملة حتى تستاء مني وتعاضد غيري على اسقاطي من مناصبي ، وغايتي الوحيدة الترفيه عليها ونيلها نصيبها من السعادة والراحة والهناء ، ولي على ذلك أدلة لا يستطيع أحد إنكارها إلا الذين أعماهم الحسد والغرور ..

- إن كل أحد يا عزيزي يرى في نفسه الكمال المطلق ، ولا يرضى بالانتقاد الذي يوجه اليه مهما كان حقاً . فكيف اذا كان مثلك زعيماً دينياً مطلق الارادة والتصرف وقد عودته التقاليد الدينية على أن يرى خضوع كل أحد من أفراد شعبه واجباً عليه وهو لا يرضى بانتقاد أحد ممن هو دونه وينكره عليه وربما يرميه بالكفر من أجله . أما إذا كان الانتقاد من أحد مثلي لا يهمه سوى مصلحتك ، فالواجب يقضي عليك بأن تقبله قبولاً حسناً وتعمل به ، واجتماعك بي في مثل هذا الوقت من هذه الليلة معطوف على هذه الغاية . أليس كذلك ؟

- نعم !

- إسمح لي اذن أن أقول لك أن الشعب مستاء منك لسلوك الذي لا يراه يلتئم والتقاليد الدينية البزيدية ، ينتقد أعمالك التي خالفت بها من سبقك من الأمراء من الناحية الدينية والدنيوية . والشعب البزيدي الذي يتمسك بديانته الى أقصى حدود التمسك لا يرضى من أميره أن يتحدى القوانين الدينية الى هذا الحد .. إن الحقيقة مره ولا يرضى كل أحد بها . ولذا اذا صارحتك بالحقيقة ، أود أن لا تؤاخذني . والصراحة هي الداء الناجع لك .

- تفضل وقل ما يبدو لك وستجدني كلي آذاناً لما تقوله ، واني لم أزعجك بزيارتي هذه

الليلة إلا لأسمع منك ما فيه صلاح أمري، ولو لم آنس فيك مودة نحوي لما أوقفك على دخيلة نفسي .

- إن الرأي العام اليزيدي مستاء منك من وجوه عديدة ويمكنني أن أحصرها في ثلاث أمور ، الأول : تبذيرك الخيرات والصدقات التي تصل اليك من طريق (السنجق) وصرفك إياها في غير موضعها . الثاني : استبدادك في حل مهام الأمور التي تتعلق بالشعب ولم ترض بمشاركة ذوي المصيبات القوية لك بالرأي . وقد تركتهم وراءك ظهرياً واعتمدت على أناس لا قيمة لهم . الثالث : اصرارك على اتباع بعض الأعمال التي أصبحت مضرّة بالشعب ولم ترد أن تحيد عنها . وها إني أبين لك هذه الأمور واحداً فواحداً لتتأكد من صحة ما قلته لك :

فتبذيرك الخيرات والصدقات وصرفك لها في غير موضعها ، لا تستطيع أن تنازع فيه . فانت يدخل عليك بالسنة ما لا يقل عن خمسة آلاف دينار من بدل ضمان (السنجق) وإيجار القباب في مرقد الشيخ عدي والنذور والخيرات والهبات والصدقات التي تصل اليك من ذوي الوجاهة واليسار من الملة وأنت غارق في الديون وقد يعجزك في أكثر الأوقات تدارك دينار واحد ، فإذا أرادت أن تحاسبك الملة على هذا المبلغ الجسيم الذي يدخل عليك كل سنة وتسألك في أي مشروع خيري أو عمل اصلاحي أفقته ، ماذا سيكون جوابك لها ؟ ان الملة تعطيك هذه الخيرات والهبات والعطايا بصفتك قبا على مرقد الشيخ عدي على ان تنفقها على عمارة مرقده ، واطعام الزوار الذين يؤمونه من مختلف الأنحاء ومساعدة الفقراء والمعوذين من أفراد الملة ، والترفيه على المحتاجين من أسرة الأمراء، فهل تستطيع ان تؤيدي اتفاقك فلساً واحداً في هذا السبيل ؟

ان المرقد المبارك قد آل الى الخراب ، ولم يبق فيه حجرة واحدة معمورة ولا جدار قائم ولم يملك أمر اصلاحه ، وكم أشرت عليك باحداث بناء في احدى جوانب المرقد يقتصر على اربعة غرف وردة لاقامة الزوار الأجانب وذوي الوجاهة من الناس الذين يأتون من الأماكن البعيدة للزيارة والتفرج وأنت تشكو قلة المال ولم تحدث شيئاً وهذا نقص كبير تعاتب عليه .

ثم بينما لم يكن التقليد الجاري يجيز ان يصنم الزوار من الزيدية طعاما لهم مدة إقامتهم في المرقد أيام الزيارات بل ان يكونوا ضيوفا على الشيخ عدي ، فقد أبطلت هذه القاعدة ولم يأت زائر إلا وطعامه معه ، وأبطلت كذلك عادة إطعام سكان قصر الأمانة من افراد الأسرة ومنعت اعطياتك عنهم الأمر الذي أدى الى وقوعهم في مخالب الفقر والحاجة وأنت لا يهملك أمرهم حين ان تأمين إعاشة أفراد الأسرة والترفيه عليهم هو واجب ألزمتك التقاليد الدينية به ، وقد حافظ الامراء الذين سبقوك على هذا الواجب ولم يسبق ان شكى أحد أفراد من أسرته جوعاً وفقراً على عهدهم .

ان الشريعة التي إئتمنتك على هذه الموارد الجسيمة لم تبج لك التصرف فيها كما تشاء وتنفقها في سبيل الأعمال التي حظرتها عليك ، بل لك ان تختص منها بما يكفي لإدارة بيتك والبقية تنفقه في وجائب أخرى عينتها لك ، منها ما ذكرته لك ومنها ما لم أذكره ، أما اذا خالفت ذلك فتكون قد خالفت التعاليم الدينية وهضمت حقوق شعبك وأسأت اليه ، وشعبك الذي هو بمثابة دافع ضرائب ينتظر منك ان تقوم بوجائبك نحوه ، وأنت لم تفعل ذلك .

أما عدم اعتيادك على وجهاء ملتك واستعاضتك عنهم بمخالات من الناس ووضعك ثقتك فيهم ، فهو من أقوى الأسباب التي أدت الى امتعاض الشعب منك ومقاومته لك . فهل من إصالة الرأي ورجاحة العقل ان تعرض عن زعماء أقوياء ، لهم مكانتهم الدينية والاجتماعية وفي مقدورهم ان يثيروا الشعب ضدك متى شاؤوا ، وتقترب منك أناساً لم يكونوا في العير ولا في النفير ؟ وقد يقترب هؤلاء منك ليعيشوا على أعطياتك لهم ، ومتى أعرضت عنهم لا كوا سمعتك بشتى المفتريات كما وقع أكثر من مرة ؟

أني كثيراً ما نصحتك بإزالة الخلاف القائم بينك وبين الفقير « حمو شير » ، لا بل بينك وبين زعماء جبل سنجار جميعهم ، والتفاهم معهم ، فما أفاد نصحي لك شيئاً وبقيت مصرراً على خلافك معهم . أن مخاصمتك زعماء جبل سنجار لا يضر بهم أكثر مما يضر بك ، إذ بقدر ما يسود التفاهم بينك وبينهم ، ويتقربون منك وتتقرب منهم ، تقوى كلمتك ويعتز جانبك وتزول الفتن التي تدور حولك ، ويقبلون على زيارة السنجق وتكثر

هباتهم وأعطياتهم له .

قل لي يا كريمي العزيز ، ماذا تفعل اذا رفض يزيدية سنجار زيارة السنجق سنة واحدة ومنعوا هباتهم له ، او أخرجوه من أيدي القوالين طالما أنت مصر على نزاعك معهم ؟ ألم يؤثر ذلك على مركزك الديني وبحرملك من مورد كبير لا يمكنك ان تعيش دونه ؟ - وهل تعتقد يا سيدي ان لو استطاعوا سبيلا الى هذا لفعلوه ؟ إلا أنهم يعلمون ان السنجق ، هو سنجق الشيخ عدي ، وأنا لم أكن أكثر من حارس عليه ، والشرعية اليزيدية لم تبج بقاءه بيد أحد غيري ، وهم مضطرون الى إعطاء خيراتهم له . - ولكنهم يدعون انك قد اتخذته لك ملكاً خاصاً واستأثرت بندوقه وخيراته وصدقاته ، وهو يعود الى الملة بأسرها . والملة متى شئت أخرجته من يدك وأودعته الى غيرك من أفراد هذه الأسرة ممن يقع اختيارهم عليه وتثق باخلاصه وأمانته أكثر . ألم يكتب لك هو شيوخ قبل بضعة اسابيع بهذا الموضوع ، فلم اذا لم تجاوبه وتذله على فساد رأيه ؟

- أن هو شيوخ وغيره من زعماء سنجار الدينين والمدنيين لم يجهلوا حكم الشرعية حتى أدلهم على فساد رأيهم ، وهم يعلمون جيداً عدم جواز إخراج السنجق من يدي وايداعه الى غيري من افراد أسرنا طالما أنا على قيد الحياة ، وهذه نقطة مهمة في حياتنا الدينية ، وليس في إمكاني ان أبوح لك فيها أكثر من هذا .

- نعم ، تريد ان تقول أنك بصفتك تمثل الشيخ عدياً من الناحية الألوهية باعتبارك أميراً شرعياً على هذه الملة ، فتوليكن السنجق أمراً لا ينازعك فيه أحد ، وفي حالة إيداعه ليد آخر غيرك من هذه الأسرة لا تكون الزيارة اليه مقبولة ، ولا النذور والصدقات التي تقدم اليه صحيحة ، أليس كذلك ؟ - نعم ، هو ما تقوله .

- إذن يجب ان تجاوب هو وشيوخ وغيره من زعماء سنجار على ما كتبوه اليك وتدلهم على خطأهم ليعودوا الى حكم الشرعية ويذول سوء التفاهم القائم بينك وبينهم . - وأية قيمة لهم حتى أجابهم على كتابهم الذي تحدوا فيه حكم الشرعية ، وخرجوا

فيه على العرف والقانون ، وليس من حقهم ان يكتفوا رئيسهم الديني ويجعلونه مطية سهلة الانقياد لهم ؟

- هذا هو موضع الخطأ فيك ، يا كريفي العزيز ، وكيف لا يكون لهم قيمة وهم سرقة قومك وقادتهم ، واذا أرادوا شيئاً فعلوه واذا لم يريدوه فليس من قوة ترغهم عليه ، ومتى شاؤا أعلنوا عدم اعترافهم بك وأقاموا غيرك .

- تعلم ، يا كريفي العزيز ، ان اسقاط الأمير عن منصبه ليس بالأمر الهين ومعناه مخالفة الشيخ عدي في قبول من اختاره ممثلاً عنه على شعبه وهذا كفر في عقيدتنا . والشيخ عدي لم يحتر عنه ممثلاً على شعبه إلا من يرى فيه الصلاح وهو الذي يسيره في عمله . ثم لقد أوجبت الشريعة على كل يزيدي مؤمن بطاووس ملك ان يزور السنجق الذي يرمن به عنه بالسنة ولو مرة واحدة ، ومن يتخلف عن زيارته يعد كافراً ويحبل غضب الآلهة عليه وعلى ذويه . ولذلك فكل ما يقال عن رفض يزيدية سنجان زيارة السنجق كلام فارغ ، وسبق السنجق مقدساً ومحترماً ويزوره اليزيدية ويطلبون الشفاعة عنده الى قيام الساعة ..

- تقول انه لم يكن في مقدور أحد من ابناء الشيعة اليزيدية ان يرفض قبول من اختاره الشيخ عدي ممثلاً عنه على شعبه ، وتعد هذا العمل كفراً ، ولكن ما قولنا اذا أجمعت الأمة على ان هذا الممثل لم يقيم بواجب التمثيل كما ينبغي ، وقد خان الأمانة الملقاة على عاتقه وأفسد فيها ؟ ثم الذي أفهمه من كلامك ان اليزيدية طالما هم مجبورون على زيارة السنجق ، وتقديم نذورهم وخيراتهم اليه ، ومن تخلف عنهم يعد كافراً ، فاستياؤهم منك ورضائهم عنك سيان بنظرك ، أليس كذلك ؟ وعليه أقول لك : ان هذه القاعدة يجوز أن تكون متبعة منذ نحو خمسين سنة ، اي عندما كان الأمير بنظر اليزيدية المثل الأعلى للالوهية وليس في طاقة أحد بمخالفته ، او يتحدث عن عيوبه . أما الآن فقد انقلبت الآية ، ولم يبق للأمير ذلك النفوذ وتلك الحرمة ، وأخذ كل احد يتحدث بنقائصه ، ولم ير من الأئمة الكلام عن عيوبه كما نشاهده الآن من اصرار الملة على مخاصمتك وخروجها عن طاعتك . فهل سبق للأمير ان خاصمه احد من افراد الملة

وجاهر بالخروج عن طاعته . اسمح لي يا صديقي أن اقول لك : انك أنت الذي اخرجت
الملة على ان تناقشك الحساب عن اعمالك ، وجعلتها تتحدى حدود الطاعة معك . ماذا
تريده الملة منك ؟ تريد منك وبعد كل شيء أن تحافظ على التقاليد التي سار عليها
آباؤك قبلك ، تريد منك ان تباعد عن كل ما يشين سمعتك وبخط من كرامتك ، تريد
منك ان لا تتعدى حدود الشريعة في عمل من اعمالك وأنت وازعها الديني الاكبر ،
وقدوتها الصالحة ، والمنحدر من سلالة عدي بن مسافر ، والجالس على تخت يزيد
وخليفته في الارض ، واليك ينتهي نبل البيت الأموي وشرفه . فإذا ما أتيت عملاً
بخالف السنن والتقاليد الزيدية ، عدوه منك تحدياً لشعائر الدين وخرجوا عليك ، ومن
حقهم ان يخرجوا .

إن موقع الشيخ الأكبر (بابا شيخ) الديني يعد في الدرجة الثانية من موقع الأمير
وكان « للشيخ ناصر » على عهد جدك حسين بك منزلة كبيرة ومكانة مرموقة ، وكان
جدك يحترمه ويعمل بمشورته . ولما توفي خلفه ابن أخيه « الشيخ علي » في هذا المنصب
وكلنا صاحبنا وأعجبنا برجاجة عقله وإصالة رأيه . وكان الأمير « ميرزا بك » والدك
يجلّله ويحترمانه . وعندما توفي أقمت بمحلته ابن أخيه « الشيخ اسماعيل » لقاء مبلغ كبير
من المال . وكان الشيخ اسماعيل هذا مثالا للزهد والطاعة ، يصوم اربعين الصيف والشتاء
ويجتنب شهوات الحياة ، ويقتفي سنن الاسلاف وقد قضى نحبه ولم يمس عليه في منصبه
أكثر من عام ونصف عام . فبيت له هذه المسكنة الدينية أليس من الحيف ان تحرمه حقه
من هذا المنصب وتوجهه الى غيره ممن لا شأن له وليس له من الكفاءة والوجاهة ما يبرر
رفعه الى هذا المنصب الخليلي ؟ تتذكر كم من مرة أشرت عليك ان لا تخرج هذا المنصب
من هذا البيت وأن توجهه الى « الشيخ حسين » ابن الشيخ اسماعيل الذي أجمع الرأي العام
على صلاحه وألمعته الآلهة العلوم الاثني عشر منذ صغره وحفظها على صدره او بالأقل
توجهه الى عمه « الشيخ سليمان » وهو والحق كفوه له وقد تلتى الأمرار من أمه « دايكي
فات » وقد أخذتها هي بطريق الالهام من الآلهة ، فما أصغيت لي وخالفت التقاليد المتبعة
وأهت الرأي العام عليك ولم تكتف بهذا بل أحدثت تغييرات هامة في بعض المناصب

الدينية ووجهت بعض الوظائف الى غير مستحقيها وأوجدت كثيراً من البدع في الحياة
اليزيدية مما أوجب غضب الآلهة عليك .
والآن لنأت الى تمسكك بالعادات التي أصبحت مفسدة بصالح الملة ولم تكد الظروف
الحاضرة تمكنك منها :

لقد قدر لهذه الملة ان تعيش في حالة الجهل والبؤس والشقاء منذ فجر ظهورها ولم يكتب
لها ان تتمتع بحياة حرة هنيئة رغيدة ، وقد ألفت مقالبيدها الى من يكون أميراً عليها
والامير هو الذي يشق لها الطريق التي تسلكها في الحياة ، وقد كان والدك خير راع
لهذه الملة وقد أمضى حياته في كفاح مستمر في سبيل راحتها ودفع الاذى عنها ، ولا
تفتض اذا قلت أنك أصبحت غريباً عن هذه الملة وأصبحت هي غريبة عنك ولم يهتمك
من أمرها سوى جعلك اياها بقرة حلوباً مما أصابها من عجاف وهزال ، وقد يأخذك
الغضب ويشد بك الحنق اذا خالفك احد منها او عارضك بشيء وسرعان ما تجري عليه
(التحريم) تلك القاعدة التي لم تكد إجابات هذا العصر تستسيغها وتترك عليها ، وقد
اتخذت هذه القاعدة وسيلة لاخافة خصومك دون ان تلاحظ ما تولده من نتائج مفسدة
لك .. مضى على والدك اكثر من عشرين سنة في الامارة ولم يحرم احداً من الملة على
رغم ما كانت الحاجة تدعوه الى تطبيق هذه القاعدة بحق كثير من يضادونه في أعماله
فهل من الاصابة ان نحرم أهل قرية بكاملهم لسبب امتناعهم عن تأدية ما لم يملكونه من
المال اليك ؟ (١) وهل من المعقول ان نحرم أسرة عرفت منذ القديم باخلاصها وتقانيها
لبيت الامارة لخالفاتها لك في سلب فتاة يقيمة مالها ؟ (٢) نعم أنا لا أنكر ان (التحريم)
هو حق من حقوقكم أنتم أيها الأمراء ، وكان الذين سلفوا منكم يستعملون هذه السلطة

(١) ثم اهل قرية « كر خالص » حرّمهم جميعاً لامتناعهم عن اعطاء الاعانة لتعبير مرقد الشيخ عدي
ثم عفا عنهم على التماسي منه .

(٢) كان الامير علي بك قد تنازل لشيرين بنت عيدو عن حق وراثته في مال أبيها الذي مات دون ان
يترك وارثاً من الذكور . ولما ماتت شيرين ولم تترك كذلك ولداً وهبت مالها لبنت اخت لها تربت في
حجرها ، وقد تزوجت هذه البنت من ابن حجي لاسو من وجهاء قرية عين سفي ، فأنع الامير سعيد بك
بتصرفها بالمال الذي وهبته لها شيرين بحجة انه يرجع اليه من أبيه الذي تركه لشيرين موقناً . فتصدى حجي
لاسو للدفاع عن البنت ومنع الامير سعيد بك عن معارضتها . ولما نظرت المراجع الرسمية المختصة بالفضية
رفضت دعوى الامير وأقرت البنت على مالها .

بحق اي من كان دون قيد او شرط . ولكن يجب ان تعلموا انكم الآن في زمن غير الذي مضى والشعب السيزيدي هو غير الشعب الذي كان ينظر الى أحدكم كآله ويرى خضوعه له فرضاً دينياً عليه . ولذا فتمسكك بسلطة التحريم وجعلها أداة للارهاب والاختافة عمل مضى زمنه ، ومن مصلحتك ان تعلن للشعب تنازلك عن هذه السلطة وتحصرها في المسائل التي لها مساس مباشر في القضايا الدينية فقط وبذلك تجعل الشعب في مأمن منك وتكسب وده وعطفه .

- ما كنت أعتقد ان سيخفي عليك ان تنازلي عن سلطة التحريم بجعلني وأفراد الملة على حد سواء ويزيل هييتي من النفوس ويفسح لخصامي المجال في ان يوغلوا في مخاصمتي ويوجهوا كل نقيصة الي وأنا لا استطيع ان أقابلهم بشي .

- هذا أمر سيقع لا محالة ، فان لم تحتره عن رضى وقبول سترغمك الملة عليه ، والملة هي مصدر القوة ، واذا أرادت شيئاً فعلته وعملك له من تلقاء نفسك خير لك من ان ترغم عليه ... ثم هنالك مسألة دعوى ورائتك لمن لم يكن لهم وارث من الذكور من عصبتهم ، فهذه الدعوى تثير نقمة الملة عليك بقدر ما تثيره مسألة التحريم ، إذ لا يخفى عليك ان نظام الحكم والتطور الاجتماعي والعقلي أخذ تدريجياً في رفع سوية الفرد العقلية وجعله يعرف ما له وما عليه من حقوق وواجبات ، حتى نراه بينما لا يعرف قبلاً غير أميره ، وهو بمنزلة آلهه ومعبوده وواضعه وهو الذي يقضي بينه وبين غريمه ، وكلمة تخرج من فيه يعدها حكماً سماوياً لا يقبل النقض والابرام ، نجده الآن يتردد الى رجال الحكم والقضاء ، ويجوس دواوين الحكومة لمطالبة حق أضاعه ، او إزالة غبن أصابه ، حتى انه لم يتورع من مخاصمتك أنت بنفسك أمام المحاكم كفرد عادي ، كما وقع في قضية دعوى ورائتك لشبرين بنت عيدو من قرية عين سفني وخروجك منها بصفقة الخامس .

- يجب ان تعلم أنه طالما في عرق ينبض ، فمن المستحيل ان أتنازل عن سلطة التحريم ، وعن حق ورائتي للذين لم يكن لهم وارث من الذكور من عصبتهم ، وكانت والدتي قد ذهبت الى بغداد هي و «درويش محبوب» وسائق السيارة اوهانيان الأرمني ، ورفعت

عريضة الى المندوب السامي وأخرى الى وزير الداخلية عبد العزيز بك القصاب ، طلبت منها فيها تثبيت حقوقنا التقليدية التي تتمتع فيها منذ القدم وهي بمثابة قانون واجب الاتباع بين الملة .

- وبماذا أجابها ؟

- أجابها بأنها سيدرسان هذا الطلب ويعلمانها بما سيقر الرأي عليه بواسطة متصرف الموصل .

- إن كنت تعمل بنصيحتي ، أشير عليك ان تتنازل عن هذا الحق المحكوم عليه بالبلى قبل ان ينزعه الشعب منك، وتسمى في إزالة الخلاف القائم بينك وبين زعماء جبل سنجار وبينك وبين يزيدية الشيخان وتنزل عند رغبتهم في انتهاجك في حياتك الدينية والدنيوية خطة نزهة شريفة ليس فيها ما يدعو الى الانتقاد، وتحسن التصرف في الخيرات والهبات التي تصل اليك من طريق (السنجق) وترفعه على المعوزين والمحتاجين من افراد الأسرة، وكل واحد منهم يرى لنفسه الحق في الأمانة وإن كانت الفرص والظروف ساقتها اليك، وتقضي عنك دعاة السوء الذين يسمعون دوماً في تكبير صفو العلاقات بينك وبين الملة ، وتستعيبض عنهم بأناس أوفياء مخلصين يرون مصلحتك فوق كل شيء ، وتعقد في كل سنة مؤتمراً من زعماء الأمة وعقلائها ومفكرها للبحث عن الاصلاحات التي تحتاجها الملة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية وتطلب معاونة الحكومة عليها ، وتسمى في إزالة الاختلافات القائمة بين يزيدية سنجار وزعمائهم على أساس تأمين حقوق الطبقات الضعيفة فيه ، وبذلك تثبت للشعب اليزيدي حبسك وإخلاصك فيصفو لك الجو وتميش في دعة وأمن والسكل ملتفون حولك عاملون على تقوية نفوذك .

ولم ينته بنا الكلام ، إلا وقد أصبح الصباح وأتى الخادم « حجي سلو » بالشاي الذي اعتدت شربه باكرآ ، فانصرف الأمير ولم أعلم ما أوجده حديثي من الانطباعات في نفسه .

في الأخطاء والأوهام

التي وقع بها الكتاب الشرقيون والغربيون في أبحاثهم عن اليزيدية

بحث طائفة كبيرة من كتاب ، شرقيين وغربيين ، عن اليزيدية ، ووضعوا كتباً ورسائل كثيرة عنهم وعن نحلتههم وعقائدهم وتاريخهم وطرق عبادتهم وعاداتهم ، فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ ، والذي أصاب ، أصاب من ناحية وأخطأ من ناحية أخرى ، والغربيون لم يبحثوا عن اليزيدية لغاية العلم والتاريخ ، بل بحثوا وهم مندفعون بروح تبشيرية أو استعمارية أو سياسية ، واعتمدوا على مصادر غير صحيحة وغير موثوقة ، وغيروا ما كتبوه وحرفوه وأضافوا إليه أشياء من عندهم حسب ما أملته عليهم أهواؤهم ونزعاتهم .

وكتابتنا الشرقيون لم يأتوا بأقل مما أتى به الغربيون واتبعواهم في آرائهم رغماً على أنهم أقرب منهم إلى هذه الطائفة وأكثر اتصالاً بهم ، وبوسعهم أن يدرسوها دراسة وثيقة ويعرفوا ما جهله عنهم الغربيون وليس أكبر نقصاً من أن يجهل انسان قومًا قريبيين منه ، ثم يأخذ ما جهله عنهم من الأجانب الذين هم أكثر منه جهلاً بهم ، وهذه شذوثة في كثير من كتابنا ، فقد يأخذون بأقوال الأجانب فيما يتعلق ببلادنا ، ويعرضون عن أقوال مؤرخينا الذين هم أدري بها ، وإذا تعارض خبران لمؤرخين يرجحون ما يقول به الأجنبي ، فكأن كلامه حجة لا يأتيها الباطل .

على أن كتابنا الذين بحثوا عن اليزيدية لم يكونوا جميعاً من هذا الطراز ، ففيهم من أصاب الحقيقة وخالف ما قاله الأجانب ، ومع هذا فلم تكن دراستهم لتخلو من أغلاط وأوهام ، فقد جهلوا عنهم شيئاً كثيراً خاصة في تاريخهم وعقائدهم وأصول ديانتهم .
إن أكثر ما يروق لي من هؤلاء الكتاب الأستاذ البجائي يعقوب نعموم سركيس ، فقد نشر عن هذه الطائفة وديانتهم مقالات هي نتيجة بحث دقيق وتحقيق عميق أصاب فيه

الهدف وابتعد عن الاسفاف والسرف . وكذلك العلامة المرحوم احمد تيمور باشا مؤلف رسالة (اليزيدية وأصل نخلتهم) والأستاذ السيد عباس العزاوي مؤلف كتاب (تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم) فيمد أثرهما أحسن ما كتب في هذا الموضوع ، فقد خالفنا جميع الباحثين في تعيين أصل هذه الطائفة وأبأوا خطأهم فيما قالوه عنهم . وقد عقدنا هذا الفصل لنضع آراء الكتاب من شرقيين وغربيين على محك النقد والتحجيص لندل فيه على من أصاب منهم وأخطأ ، ونبين هل كان خطأهم عن تعمد وقصد او عن نقص في الدراسة والبحث .

﴿ الأستاذ السيد عباس العزاوي ﴾

وكتابه « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم »

ليس منا من لا يعرف الأستاذ عباس العزاوي وجهوده المتواصلة في البحث والتحقيق والتأليف ، وقد وضع تأليف عدة في مختلف مناحي العلوم ، كان لها أثرها في النهضة العلمية والعقلية في جيلنا الحاضر . ومن تأليفه القيمة كتابه « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم » فهو أمتع ما وقع عليه نظري من مؤلفاته الكثيرة ، ومن الواجب ان أقدر له جهوده التي بذلها في سبيل هذا العمل المجدي الذي جاء فريداً من نوعه ، لو لم يتمسك بآراء عن أصل هذه الطائفة لم يكن ليقره عليها النقد التاريخي ، ويعتمد على اخبار غير صحيحة تعمد أصحابها اختلاقها لغايات شخصية ، ويتلقى أخباراً من أناس اتصل بهم بطريقة الصدفة ويبني أساس أبحاثه عليها . واذا أردنا ان نعلق بعض ملاحظاتنا على ما كتبه ، فلم يكن القصد منه انتفاصه ، بل الاشارة الى انه اتبع آراء لم تؤيده فيها الحقيقة والتاريخ .

فبعد ان توسع في بحثه عن (تمحيص الاقوال عن اليزيدية) وذكر في (نتائج ما تحققة عنهم) من أنهم (مسلمون متزهدون .. توارثوا تقاليد قومية ودينية صوفية ، واعتبارات سياسية مزوجة بحب الامويين) قال : « وإلا فالمؤرخون لم ينقلوا عن مجوسيتهم شيئاً ، وإنما ذكروا تعصبهم ليزيد كما تعصب غيرهم للامام علي رضي الله عنه » ، ثم قال : « وعلى كل حال لا يحتمل انهم عريقون بالمجوسية ، ولا يعول على

التقاليد الموروثة باعتبارها ديناً قديماً لهم ، ولكن يفسر ما وجد مخالفاً للإسلام ، فيقال أنه منقول عن جاهليتهم الاولى .

وجاء في قوله عن أصل البزيرية في التاريخ :

« فأول من ذكر هؤلاء السمعاني المتوفي عام (٨٥٦٥ - ١١٦٦ م) في كتابه الانساب » ا.هـ

وفي حاشية له علقها على هذا القول :

« ظهر لي مؤخراً ان ابن قتيبة تعرض لعقيدتهم في كتاب (الاختلاف في اللفظ) كما يأتي النقل عنه . وفي تاريخ (سني الأرض والانبياء) نعت الحزب المعارض للعباسيين بالبزيريين (ص ١٣٩) ، (وفي التنبيه والاشراف) ما يشير الى هذه الناحية ايضا .

هذا هو ما قاله الاستاذ العزاوي عن أصل البزيرية . على اننا اذا وافقناه على انهم مسامون مزهدون ، وقد ورثوا تقاليد قومية ودينية صوفية ، واعتبارات سياسية ممزوجة بحب الأمويين وانهم كانوا يتعصبون لبزير كما تعصب غيرهم لعلي رضي الله عنه ، لا نوافق على انهم لم يكونوا عريقين بالمجوسية ، ولا يعمل على التقاليد الموروثة باعتبارها ديناً قديماً لهم ، وان ما يوجد فيهم مما هو مخالف للإسلام منقول ومأثور عن جاهليتهم الاولى . واذا كان المؤرخون لم ينقلوا عن مجوسيتهم الاولى شيئاً فديانتهم التي يتبعونها والعادات والتقاليد التي يسرون عليها تنطق بمجوسيتهم بلا مراد ، وما أبداه من الاعتقاد بان البزيرية الذين هم بين ظهرانينا الآن يرجعون بالأصل الى جماعات من الاسلام كانوا يتعصبون للأمويين ، وان تسميتهم بالبزيرية لم يكن حديثاً بل يرجعون به كذلك الى زمن بعيد ، مستدلاً عليه بما جاء في الانساب للسمعاني ، وفي الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة لم يكن صحيحاً ، اذ ان البزيرية الذين ذكرهم السمعي وابن قتيبة لم يكونوا يحملون العقيدة التي نجدتها في اتباع البيت العدوي ، وكان لهم احزاب منظمة وجمعيات سرية تعمل في الخفاء لمناصرة الأمويين كما عليه العلويون ، وعلى ضعف شأنهم فقد كان العباسيون يتعقبون آثارهم ويدسرونهم تدميراً أينما ظفروا به ، وكان شأنهم أشبه بالفقاع التي تظهر على وجه الماء وسرعان ما تذوب وبزول أثرها . غير ان الاستاذ العزاوي لم يرد ان يعترف بهذه الحقيقة ، ويريد ان يجعل من بزيرية السمعي وابن

قتيبة وغيرهم من اتباع الأمويين ومناصريهم ، ممن لم يتحقق موجوديتهم ، وحتى من الأمويين أنفسهم نواة للزيدية الذين ظهروا في جبل هكار على يد (آل مسافر) معزراً نظريته بنصوص وجددها كافية لهذا الغرض وذلك ما نقله عن الاستاذ (محمد علي عوني) المعلق على كتاب « شرفنامه » لشرف خان البدليسي وهو قوله : « وعلى ما يفهم من نص الشرفنامه ومن اقوال العارفين بتلك الجهات وبهؤلاء الناس ، ان عدة من قبائل الاكراد المشهورين بالشجاعة والفروسية هاجرت في عهد الأمويين الى جهات الشام للالتحاق بخدمة الخلفاء فاستوطنت هناك مدة ثم عادت الى موطنهم الاصيل عند سقوط دولة الأمويين ، واحتصانهم مع اتباعهم بالجبال والبلاد الحصينة . وقوله : « ومن راجع الشرفنامه رأى الكثيرين من أمراء الاكراد أمويين نسباً ، وتحقق ان الأمويين جاؤوا الى هذه الجبال بعد ضياع ملكهم ، فتولوا رئاسة القبائل من الاكراد وبالرغم عن ان الشرفنامه لا يصح ان يكون مصدراً من مصادر التاريخ وهو مملوء بالأغلاط والأخطاء ولم يتحرر صاحبه فيه الحقيقة التاريخية ، فليس فيه ما يدل على ان عدة من قبائل الاكراد المشهورين بالشجاعة والفروسية هاجروا في عهد الأمويين الى جهات الشام للالتحاق بخدمة الأمويين ثم عادوا الى أوطانهم بعد سقوط دولة الأمويين وليس فيه ما يدل على ان كثيرين من أمراء الاكراد أمويون نسباً وانهم جاؤوا الى هذه البلاد بعد ضياع حكمهم فتولوا رئاسة القبائل من الاكراد ، كما ان أحداً من العارفين بتلك الجهات لم يؤيد صحة هذا الخبر ، وهذه كلها اقوال اختلقها المعلق على كتاب شرفنامه وأخذها الاستاذ العزاوي عنه ولم ير حاجة لمراجعة الشرفنامه والتحقق من صحتها .

ان كل ما ذكره البدليسي في كتابه الشرفنامه هو ما رآه محتملاً عن اتصال نسب عشيرة (المحمودي) الكردية بالسلطين المروانيين (ص ٣٨٨) واتصال عشيرة (دنيلي) بشخص يدعى (عيسى) من عرب الشام (ص ٣٩٩) ثم تعليقه هذا الاحتمال بقوله عن أمراء (المحمودي) انهم (على رواية) من اولاد عم حكام الجزيرة اولاد (خالد بن الوليد) و (على احد الأقوال) انهم من الشام ، (وعلى بعض النقول) انهم هاجروا مع بعض

القبائل والعشائر من جزيرة ابن عمر الى أطراف (اذربيجان) ... وقوله عن عشيرة (دنيلي) : أنهم (على رواية) جاؤوا كذلك من جزيرة ابن عمر الى نواحي اذربيجان فهل في كتاب شرفنامه ما يدل على ان الكثيرين من أمراء الأكراد أمويون وأنهم جاؤوا الى هذه البلاد بعد ضياع حكمهم وتولوا رئاسة القبائل من الأكراد ؟ كلا ! وقد قص علينا حكاية مجيء أحفاد (مروان الحمار) آخر سلاطين بني أمية من فلسطين مع جماعة من أنصارهم ومواليهم الى مدينة (قلب) شمالي ديار بكر وتأسيسهم فيها إمارة (قلب وبطمان) واشتغالهم بالأمراء السليمانية نسبة الى (سليمان بن عبد الملك بن مروان) وهي قصة ملفقة مصطنعة لا يصح ان يقال عنها غير خرافية لا نصيب لها من الحقيقة اصلا ، والتاريخ لم يؤيدها ، وسنبحث عنها في محل آخر .

وعلى فرض ان المعلق لم يأت هذا الخبر من نفسه وكان نقله صحيحا فكيف يجوز الاعتماد على خبر ينفرد بروايته ومؤرخ واحد ولم يتكلم عنه آخر غيره ويؤيده فيه ؟ والبديهي لم يذكر في (شرفنامه) ان أمراء الأكراد أمويون أكثر منهم عباسيون ، وان كنا ننكر عليه هذا القول ايضا ، ولا واحد من المؤرخين او العارفين بتلك الجهات - على حد قوله - يؤيده فيه ، فمن ذهب الى أنهم ينتمون الى البيت العباسي من أمراء الأكراد (١) أمراء الحكاري ويعرفون بالشمدينانيين (ص ١٢٦) ، (٢) حكام الهادية ويعرفون بالبهاينانيين (ص ١٤٥) ، (٣) حكام كليس (ص ٢٨٦) ، (٤) حكام جشكزك (ص ٢١٤) ويقول أنهم أولاد ملكيش أحد أولاد الخلفاء العباسيين ، وفي رواية أنهم من سلالة الأمير ساليق بن علي بن قاسم من فروع السلاطين السجوقيين ، (٥) حكام مرداس (ص ٢٣٢) يقال أنهم من أولاد العباس رضي الله عنه وغيرهم ممن ينتسبون الى خالد بن الوليد ، والى السيد حسن الازرق من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومنهم من ينتسب الى البرامكة ، والى أناس من بغداد وغيرهم .

يقول الاستاذ العزاوي : « وفي أيام الأمويين كانوا - اي قبائل الأكراد - عضد الدولة وقوتها المكيئة ... وبسقوطها عادوا الى أوطانهم ، وهم لا يزالون مخلصين للدولة الأموية ، داموا على موالاتهم لهم الى هذه الأيام ، وقد التجأ اليهم جماعة من الأمويين

فيهم من الاسرة المالكة ، وبعد ان داخلهم معتقدات صوفية « بدأ فيهم الغلو كما بدأ في غيرهم فصاروا على طرفي نقيض » حتى « أدركهم الشيخ عدي وسمى جهده في اصلاحهم ودعاهم ان يتركوا السب والطعن المر » .

والاستاذ العزاوي سلسل هذه الحوادث وأوصلها الى هذه النتيجة استناداً على ما رواه المعلق على الشرفنامه نفسها ، والشرفنامه ، كما قلنا ، لم يتكلم لا صراحة ولا ايماء عن نزوح قبائل من الاكراد ، لا قليلة ولا كثيرة ، الى عاصمة الامويين ومساعدتهم في أعمالهم العسكرية والادارية والسياسية ، ولا عن ظهور رجال ذوي كفاءة ودربة ودراية منهم كان لهم أثر بارز في هذه الدولة ، ومنى استخدام الامويون في أعمالهم الادارية والسياسية وقيادة الجيش أقواماً من غير العرب حتى يصح القول ان الاكراد أصبحوا عضدها القوي وقوتها المكيئة ، وليس في وسعه ان يورد لنا نصاً تاريخياً يؤيد فيه عودة هذه القبائل الى أوطانهم بعد سقوط الدولة الأموية ، والتجاء جماعة من الأمويين ، منهم من البيت المالك وتشكيلهم أماره كردية ضمن حدود الدولة العباسية ، فإذا أجابنا بالنفي ، وليس له ان يجيبنا بغيره ، فكيف له ان يحقق صحة ما استنتجته من سلسلة هذه الاخبار من ان الغلو بدأ في هؤلاء الاكراد وفي ضمنهم جماعة الأمويين ممن هم من الاسرة المالكة كما بدأ في غيرهم ، وأراد بهم الشيعة ، فصاروا على طرفي نقيض حتى أدركهم الشيخ عدي وسمى جهده في اصلاحهم ؟

والحقيقة ان احداً من أكراد هذه الجبال ، لا من جنبائهم ولا من ذوي الشجاعة منهم سافر الى بلاد الشام على عهد الامويين والتحق بخدمتهم ، وليس من هؤلاء الاكراد من ينتمي الى الامويين ، ومن الاعتداء على التاريخ القول بان جماعة من الامويين وفيهم من الاسرة المالكة التجأوا الى هذه الجبال بعد ضياع حكمهم ، وليس ما يدل على ان الشيخ عديا عندما جاء الى جبل هكار وجد أناساً على طرفي نقيض مع الحزب الشيعي يعملون على مناهضة العلويين والتعصب للامويين ولم تظهر هذه الروح وتنمو بين أصحاب عدي إلا على عهد أخلافه من البيت العدوي .

وجاء في البحث عن الوقائع التاريخية (ص ١١٠) :

« قلنا غير مرة ان اليزيدية لم يحسن العثمانيون إدارتهم ، وكانت طريقتهم في إدارتهم أيام العثمانيين الحصول على الرسوم والأعشار الأميرية بالقهر والنهب باسم ضرائب الحكومة ، او بالقاء الشقاق والنزاع عندما يشعرون بضعف او وهن في الادارة لا تخاذهم وسائل لدفع البعض البعض واستخدام أحد المناوئين ضد الآخر . والحاصل أن المهم الوحيد هو السيطرة والنجاح والغلبة بأي وجه كان وإن أدى ذلك الى تخريب الديار ، وتمزيق الأشلاء . » لذا تدعي الحكومة ان هؤلاء اليزيدية محبوبون على الشقاء والشقاق منذ القدم ، والحال انهم منقادون ولا هم لهم سوى مشاغلهم ، فهم أطوع الأقوام ، وليكنها لم تتخذ وسيلة لتمدينهم وإصلاحهم .. وقد اتخذت الرؤساء وراعت طريق التفاهم معهم لأنهم الفقراء وأخذ الأموال منهم بالباطل ، وبطريق الاشتراك معهم واستخدامهم كجيش لهم عليها . »

وفي هذا تحامل شديد على العثمانيين ، واذا وافقناه على انهم لم يحسنوا ادارة اليزيدية ويتخذوا طريقة لتمدينهم وإصلاحهم ، لا نوافقهم على انهم كانوا يستحصلون الضرائب منهم بالقهر والعنف والنهب او بالقاء الشقاق والنزاع بين البعض والبعض واستخدام المناويء ضد مناوئيه ، لان هذا لم يقع البتة . اما يزيدية الشيخان فهم في الحقيقة قوم وديعون منقادون ولا هم لهم سوى مشاغلهم ، ولم نعهد ان استوفت الحكومة ضرائبها منهم بالطريقة التي ذكرها وقد حصلت لهم هذه الطاعة وهذا الانقياد منذ زمن بعيد بعد ان كانوا على غاية الشراسة ، وقد تصدى رئيس قبيلة منهم لقتل وال مع مائة نفر من عسكره ونهب أثقاله دون ان يخشى عقاباً . واما يزيدية سنجار فهم على العكس من ذلك وقد ضربوا الرقم القياسي في البغي والعتو ويمدون من أشقى الاقوام ودأبهم ايقاع الشغب والفساد منذ اليوم الذي وطأت اقدامهم هذا الجبل ، ولم نعهد ان الحكومة العثمانية تمكنت من تحصيل ضرائبها منهم في الدور الذي ادركناه من عهد حكمها أكثر من مرتين او ثلاث مرات وذلك عندما تقوم ببعض الإصلاحات ، والتحصيلات كانت عرضاً لا مقصودة بالذات ، وكانت تتبع معهم سياسة اللين والرفق كي لا تكون قد

أهاجتهم وساقطهم الى العصيان . وقد أرادت ان تحصل بعض الضرائب منهم عام ١٩٠٠ م على زمن الوالي حازم بك وذهب معارن الوالي حمدي بك الباباني و ابراهيم صديقي بك قائممقام القضاء مع فوج من النظامية تحت قيادة (البكباشي) محمود اغا الى قرية (كرسي) ولكنهم عادوا في اليوم الثاني الى مركز القضاء دون ان يتمكنوا من تحصيل فلس واحد وسببه الاختلاف الذي ظهر بين قائد الفوج وقائمقام القضاء أولا ، والخوف الذي حصل لهذا القائد الباسل من القيام بهذه المهمة بقوته القليلة التي كان يخشى عليها خطر البريذية نانيا ، حتى قيل ان الخوف استولى عليه عندما سمع ليلا عدة طلقات تصدر من القرية اعتقد انها انذار له بلزوم الرجوع الى مركز القضاء .

وقد أجرت بعض التحصيلات في آخر سنة حكمها الموصل بقوة كبيرة أرسلتها تحت قيادة القائمقام العسكري الحاجي ابراهيم بك وعززتها بمجموع كثيرة من العشائر إلا انها لم تحصل منهم على أكثر مما أنفقته على هذه الحملة على رغم ما اظهرته من البطش والقوة ، وقتلته من النفوس .

ويفهم من هذا ان العثمانيين لم يكن يوسعونهم أن يراعوا طريقة التفاهم مع رؤساء سنجار ليستميلونهم نحوهم ويتخذونهم آلة بيدهم لأخذ أموال الفقراء بالباطل وبطريق الاشتراك معهم ، ولم يسبق في التاريخ أن تقرب أحد رؤساء البريذية لا في سنجار ولا في محل آخر من الحكومة العثمانية وعاضدها على الوقيعة ببني قومه او ساعدها على تحصيل ضرائب منهم ، بل يكون دائما يداً واحدة معهم ويقا تل في صفوفهم ، ويدفع أذى الحكومة عنهم ، واذا لم يفعل ذلك لم يكن يزديداً .

ويقول في بحثه عن (طبقات البريذية وسائر أحوالهم) :

« وان الحكومة تستميل هؤلاء الرؤساء فيؤدون التكاليف الأميرية بمقايولة معهم . وأحيانا يتفق هؤلاء الرؤساء مع موظفي الحكومة في الهجوم على العصاة من اهل القرى الاخرى فتحصل الضرائب الأميرية بصورة الجبر ، وهكذا يساعد هؤلاء على استرداد الأموال المنهوبة او المغصوبة من الأهلين واستعادتها . »
ويقول :

« وفي هذه الحالة قد يتخذون ذلك وسيلة للوقية وأخذ الانتقام من عادائهم فيستعينون

بقوة الحكومة والأدلة العيانة كثيرة .

والاستاذ المزاولي وهم في هذا الخبر وليس في وسعه ان يورد لنا دليلاً عياناً واحداً عليه ، وعذره اعتماده على أناس لا يوثق بهم (وما آفة الأخبار إلا روايتها) ولو انه وقف على حالة اليزيدية الدينية والعشائرية والتقليدية ، لما رضي لنفسه هذا القول اذ لا فرق بين من يتفق من اليزيديين مع الحكومة ويسهل لها اسباب الوقعة ببني جنسه وبين من يختار الكفر لنفسه ، وقد تصيبه لغنة الأجيال ليس هو فقط بل أولاده وأحفاده
وفي ص ١٣٢ :

« المعروف المتواتر عنهم بصورة لا تقبل الارتياب ، أنهم لا يفرقون عن المسلمين بالايان بالله وبالأنبيا والملائكة ، إلا في احترامهم الشيطان ، وهذه نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شاعت بينهم » .

نعم ، لا ينكر أحد أنهم لا يفرقون عن المسلمين بالايان بالله وبالأنبيا والملائكة وهم مسلمون بالمعنى الصحيح ، ولا يجادل في ذلك إلا مكابر جاهل . إلا ان القول بان احترامهم الشيطان هو نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شاعت بينهم لم يكن صحيحاً ولا نوافق الاستاذ عليه ، ولسنا بحاجة الى تفسير كل ما نجده في هذه الطائفة من معتقدات مجوسية بأنها تقاليد صوفية كانت قد شاعت بينهم ، ونعلم ان احترامهم الشيطان ورمزهم عنه بالطاؤوس وعبادتهم له هو ضرب من عبادة الاصنام وقد عادوا وتمسكوا بهذه العادة بعد ان انصرفوا عنها منذ بضعة عصور . ثم اذا سلمنا جدلاً ان احترامهم الشيطان وعبادتهم الطاؤوس هو نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شاعت بينهم ، فما قولنا في سجودهم للأحجار والأشجار ، وكل مكان شريف وتقديسهم النار ، وسجودهم للشمس عند بزوغها وغروبها ؟ فهل انه كذلك نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شاعت بينهم ؟

وجاء في البحث عن التناسخ ص ١٣٨ :

« قلنا ان التناسخ لازم او مقارن لمذهب غلاة المتصوفة وكثير من معتقده ، فلا تفاوت بينهم في الظهور » .

ويقول : « ولا يزال يقول بهذا القول كثيرون من غلاة المتصوفة ، وهؤلاء منهم »
ونحن لا نجادل في سلوكهم طريقة تصوفية على زمن مرشدكم الكبير وربما بعده أيضاً
وأثرت فيهم تعاليمه ، أما أخذهم عقيدة التناسخ من المتصوفة فلا ! ونعلم أنهم بالأصل
مانيون ، والديانة المانوية تركز في أساس وضعها على التناسخ . ثم من أين سرت عقيدة
التناسخ الى المتصوفة اليس من المانوية ؟

وما ذهب اليه نوري بك من أنهم يقاربون النصارى في التناسخ ليس معناه أنهم
أخذوا هذه العقيدة من النصرانية وهم أعرق من النصرانية بها ، و« ان احترامهم الكنائس
النصرانية وأعزة النصارى » قول شائع ولكن لم يقم عليه دليل .

أما قصة (حسن البصري) وحمل بنته بولد يشبهه بطريقة التناسخ فنشأها الاضطراب
الذي ساقهم الى ان ينسوا اسم (الشيخ حسن) ويهللون ذكره حيث أخذوا يعرفونه
باسم حسن البصري ، والا ما هم والحسن البصري وما علاقته بهم ؟
وجاء في البحث عن صومهم وصلاتهم ص ١٤١ :

« ومن المستغرب جداً ان ينسى هؤلاء ايام الصوم وأوقات الصلاة ، ولكن من طالع
حالة العشائر عندنا وما هي عليه ، من التهاون في أمر العبادات على الأغلب لا يستغرب
من تحول العادة عند هؤلاء » .

وهذا قياس غير صحيح ، إذ لو فرضنا ان العشائر تهاونوا في أمر العبادة فلماذا ينسى
هؤلاء ايام الصيام وأوقات الصلاة وهم قوم متصوفة ، وأهل طريقة ، وقد قرأوا القرآن
وتفقهوا في الدين والطريق لهم نهج واضح لا كالعشائر الذين يعيشون في حالة البداوة
ولا يعرفون واجباتهم الدينية ، ويندر وجود عالم متفقه بينهم يدلهم على واجبات دينهم
على ان عشائر العرب الرحالة في جزيرة ما بين النهرين وعلى ضفتي الفرات وسورية الذين
يديشون بالسنية مع عدم وجود عالم بينهم يدلهم على واجبات دينهم فهم أشد تمسكاً بالصيام
والصلاة من أهل المدن . والحقيقة ان ترك اليزيدية الصوم والصلاة هو عمل رجعي
ساقهم اليه ميلهم الى العودة الى أحضان أمهم المجوسية بعد ان ضلوا السبيل ، وأدخل
أناس في عقولهم ان الشيخ عدياً رفع عنهم التكاليف الدينية من صوم وصلاة ، وأغناهم

عن الذهاب الى (مكة) بزيارة (لالش) الى غير ذلك . وفي فتوى الشيخ عبدالله الربكي
« انهم ينكرون القرآن والشر » و « يصرحون بان لا فائدة من الصلاة » .
وبالآخر يقول : « ثم حصل لهم من آمال عقليتهم من المتصوفة الذين يرون رفع
التكاليف خصوصاً انهم أميون » والصحيح ان الذي دعاهم الى رفع التكاليف هم مشائخهم
الذين أرادوا بهم التخفيف في أمر العبادات تطميناً لرغائبهم . ألا ترى كيف جعلوا لهم
صيام ثلاثة ايام من أقصر ايام السنة بدلا عن صيام شهر رمضان ، واستعاضوا لهم عن
صلاة سنة كاملة بصلاة ليلة القدر في المرقد المبارك ، وأغنواهم عن الذهاب الى مكة لأداء
فريضة الحج بزيارة لالش ؟ والأمية لا علاقة لها بهذا الموضوع وان كانت هي العامل
الكبير في إدخال هذه البدع عليهم .

وأورد في ص ٣٧ بحثاً مطولاً عن (مقاطعة اللعن) وما كان له من أثر في حياة هؤلاء
القوم الدينية واستنتج منه تحريمهم أشياء عديدة (كالصبيغ بالنيل) لأنه يجر الى تسميته
(أكل الخس وتسميته) لقربة من أخس الذي يجر معناه الى اللعن و (طرح نوى النمر
الذي يأكلونه الى الورا) لأنه يؤدي معنى الرجم الى غير ذلك من المسائل العشرة التي
ذكرها وهو استنتاج غير صحيح ، ولكل من هذه المسائل العشرة أسباب خاصة تدعو
الى تحريمها حسب معتقدهم ، والأغرب من هذا ذهابه الى ان احترامهم الطاووس هو
من نتائج مقاطعة اللعن وهو خطأ ، واحترامهم الطاووس وعبادتهم له هو خضوع
لآله الشر وعمل على ارضائه وليس له علاقة بمقاطعة اللعن البتة .

وذهب الى ان عقيدة (الشیطان عند اليزيدية) وعبادته هي كذلك من نتائج مقاطعة
اللعن وأراد تارة ان يعمل دخولها عليهم من النصرانية ، وتارة ان غلاة المتصوفة كانوا
يعملون بها وقد أخذوها عنهم وعجيب من الأستاذ ان يعمل كما يجده في هذه الطائفة
من معتقدات شاذة بأنها تقاليد صوفية او نتيجة لمقاطعة اللعن التي مررنا عليها شيخهم ،
حتى اعتقادهم بالشیطان والعبادة له ، كل ذلك لينفي علاقتهم بالجوسية . واذا سلمنا بان
غلاة المتصوفة كانوا يعتقدون بالشیطان ويعبدونه - وهو قول يقبل التعليل - فما علاقة
النصرانية بهذه العقيدة حتى يأخذوها منهم ، ولم يثبت لهم اتصال بهم في دور من أدوار

حياتهم؟ وهذه الدعوى لم يقم بها سوى الأستاذ، ولم يؤيده أحد فيها .
وجاء في (ص ٢١) بحث لتخت يزيد، قلت : أن توجيه هذا التخت الى يزيد كذب
اختلفه اسماعيل بك الذي كان يؤم الناس بأنه أمير للبزيدية . وكان قد طلب من الحكومة
أخذ هذا التخت من متوليه وإعطائه له بصفته من ذرية يزيد ووارث له . ولعل القاري
يستشعر بان لهذا التخت قيمة كبيرة تضاهي مثلاً قيمة التخت الذي ينسبونه الى الشاه
اسماعيل الصفوي والذي دخل في حوزة سلاطين آل عثمان او غيره من الأسرة التي
ينسبونها الى أكاسرة الفرس او ملوك الهند . كلا أنه لم يكن أكثر من أعواد نخرة
يربطون بعضها ببعض وهو لم يكن تختاً بالمعنى المعروف ، بل إطار لشباك يعزونه الى
الشيخ عدي لا الى يزيد ، وهو الآن في حوزة رجل من قرية بحزاني .

وجاء في ص ٣٨ :

« يقضي محيطهم وتدعو بيئتهم قسراً ان يلازموا تلك الأمية الموافقة او المقارنة
للأمية لفظاً ولعلمها السبب في تحريم القراءة والكتابة » .

ان المحيط والبيئة لا تقسران الانسان على ان يلازم الأمية، كما ان المقارنة اللفظية
للأمية لا تستلزم تحريمهم القراءة والكتابة ، واذا أردنا ان نعمل بهذا المبدأ لفسدت
مدلولات جميع الأشياء وحصلت فوضى في كافة المعاني . وفرض الأمية على هذه الطائفة
- باستثناء أسرة واحدة - هو مبدأ صارم اتخذناه واضع هذه الديانة بغية إبقائها في
معزل عن الأديان السائرة ، والحيلولة دون اقتباس شيء منها ، وكتاب « الجلوة » نص
بصراحة على ذلك .

وجاء في سياق كلامه عن الأمراء (ص ٩٢) وعما حصل لهم من الميل الى التعلم
والموانع التي حصلت في سبيل ذلك :

« أنه لا يؤمل في هذه الطبقة الرجوع الى دينهم الأصلي ما دام بعض الأجانب
يغطون الحقائق عنهم بحجاب من الأطماع من ناحية ، والمهاشة معهم سياسة اخرى ،
والفرض والبحث المستحكم من ناحية اخرى » .

وهذا ما كنت أنا ايضاً اعتقده ، ولكن ظهر لي بعد ذلك انه ليس هنالك أجنب

يتدخلون في شؤونهم من هذه الناحية ويعارضون نشر التعليم فيما بينهم ، بل الذنب هو صرامة المبدأ الديني الذي قضى عليهم بالجهل الأبدي والاعدام الأدبي الدائم. وأعتقد ان لو عالجت الحكومة هذه المعضلة بطريقة تلائم عقولهم لقضت على الأمية التي يرزحون تحتها عصوراً طويلاً بأقصر وقت . والقوم متحفزون للأخذ بأسباب المدنية ويريدون لهم حياة تجعلهم على قدم المساواة مع الغير ، إلا أنهم يجهلون الطريق الذي يسلكونه ويحتاجون الى من يأخذ بيدهم .

وجاء في البحث عن المزارات والمراقص ص ١٤٣ :

« وفي هذه الأيام حدث اختلاف بين أمير البزيرية سعيد بك وحموشيرو ، وذلك ان كان قد أخذته (أي السنجق) الحكومة وأعطته موقتاً الى حموشيرو فلم يعده الى أمير الطائفة البزيرية . وكان أخذه ليطوف به في قرى سنجار ويعيده ، ولكنه لم يعده الى مرجعه الأصلي وأساء معاملته » .

ليس من واجب الحكومة ان تتدخل بأمر السنجق وتأخذه من الأمير وتعطيه الى حموشيرو ولو موقتاً ، ولا من اختصاص حموشيرو ان يطوف بالسنجق في قرى سنجار بل ان حموشيرو أخرجه من أيدي القوالين قسراً عندما ذهبوا به الى سنجار وحجر عليه عنده لسبب الاختلاف القائم بينه وبين الأمير من جهة النذور والخيرات التي تجمع باسمه وينفقها الأمير في أمور لا يرجى للملة تقع من ورائها وقد أعاده اليه بعد ان أبقاه عامين عنده .

ومما يجب ان نشير اليه ان حموشيرو لم يعد السنجق الى متوليه الشرعي عن رضى منه وقد عزم على الاحتفاظ به مهما كلفه الامر ، إلا ان ظهور أسباب قسرية اضطرته الى اعادته ، فأتى به ولده (خديدة) وسلمه الى قائم مقام سنجار فأرسله هذا بدوره الى متصرف الموصل ، وقد ذهب به وكيل المتصرف خليل عزمي بك الى الأمير في باعذرة (في ٢٠ ايلول ١٩٣٢) وسلمه اليه ، ولذلك فما قاله الاستاذ من « ان تدخل الحكومة بالامر كان للاختلاف الواقع على الامارة فأخذت السنجق واحتفظت به الى يتم الصلح » لم يكن صحيحاً .

وجاء في البحث عن زيارة السنجق ص ١٤٥ :

« وان الدراهم التي تجمع في هذا السبيل تكون لمضيفهم ومن هذا يخرج بدل الالتزام والكوجك الذي هو ضيف لصاحب الدار ، وكذا القوال ، وما بقي منه فإنه يكون لصاحب الدار كتبرك له وربح » .

لم يكن الشارع للدين البزيدي قضى بجمع دراهم من أتباعه باسم السنجق على زمنه بل فرض عليهم (مقطوعاً سنوياً يؤدونه لتأمين حاجيات بيته) ويجوز ان الذين خلفوه من أهل بيته لما رأوا من أتباعهم تهاونا وتباطؤاً في اعطاء هذا المقطوع وقد كثروا وتفرقوا في البلاد ، استبدلوه بخبرات تجمع باسم السنجق يؤديها كل من يدين بالبزيدية والعادة ان يرسل رئيس الطائفة السنجق الى الجهة المختصة به مع طائفة من القوالين يصحبهم معتمد له ، فيجمعون النذور والخبرات من أفراد الملة ويأتون بها اليه ، ثم استبدلت هذه العادة باعطاء السنجق الى القوالين بالضمان ببديل يتفق عليه ، فيؤدي القوالون بدل الضمان وما يزيد يكون ربحاً لهم ، وكثيراً ما يلاقي القوالون خسارة عندما لم يكن الاقبال على زيارة السنجق عظيماً ، إما لردائة المحصول تلك السنة ، او لظهور حالات تؤثر على الأمن ، ومن هنا يتضح ان هدف القوالين الوحيد هو تأمين ربح كبير لهم من التزامهم السنجق حتى كثيراً ما يرهقون الزوار بتكليفهم خبرات خارج طاقتهم ، فكيف يكون ما يبقى من الدراهم التي يجمعها القوالون بعد اخراج بدل الالتزام متبركاً وربحاً لصاحب الدار الذي ينزل السنجق عليه ضيفاً ، وما هي علاقة الكوجك بهذه الزيارة حتى تؤدي مصارفه من فضلة التبرعات ؟ بينما يتحمل صاحب الدار خسارة فادحة في هذا السبيل . إذ لا يكون نزول السنجق ضيفاً عليه إلا بعد تبرعه بمبلغ كبير من المال يفوق به أهل قريته ، وشم قيامه بواجب الضيافة التي تضطره الى نفقات كبيرة .

ان المدرسة التي أحدثت على عهد الفريق عمر وهي باشا في زاوية الشيخ عدي دامت من سنة ١٣٠٩ هـ الى سنة ١٣١٤ هـ ولم يكن لنوري بك والي الموصل شأن فيها وولايته على الموصل من سنة ١٣١٨ الى سنة ١٣٢٠ هـ وكان قد عزم على احياؤها من جديد إلا انه عدل عن ذلك ، ولم يظهر أحد من البزيدية الاسلام حتى يكون في عداد الطلاب

الذين حصلوا العلم في هذه المدرسة (ص ١٨٤) والطلاب الذين حصلوا العلم في هذه المدرسة كان معظمهم من اكراد الجبال ومنهم من كان من أهل الموصل .

ان القبائل اليزيدية الأربعة الذين ذكرهم الكرمللي وهي: (١) البلتينية (٢) الرمكاف (٣) الجهمسان (٤) النافذية لاوجود لها ، وقد أخطأ في ضبط اسماء بعض القرى وصححها كما يأتي :

طفقيا - طفقيان ، تلخش - تلخشف ، مقاب - مقبلي ، زينيتا - زينيات .

ولم تكن حادثة اسلام مرزا بك وقعت عام ١٨٩٩ بل عام ١٨٩٢ والذي أسلم معه أخوه بديع بك وشخص آخر من اتباعه فقط . وإسلام علي بك وثمانين من الأكابر لم يقع ص (١٦٢ ، ١٦٣)

وتوهم الاستاذ في ضبط اسماء بعض القرى نصحها كما يأتي :-

في سنجار : بهيل - كوهيل ، جامان - جنعان (كنعان) ، قصيركي - قصركي ، كنده كيلی - كندی كيلی « بالكاف الفارسي » ، ملك - ملك « بالكاف العربي وكسر الأول والثاني » ، بشتيكر - بشتيكري « بالكاف الفارسي » ، نمل - نميلي ، سكينه - سكينية .

وأهل بكران جميعهم يزيدي وليس فيهم مسلم واحد وكذلك قرية تبه .. ولم تكن (كرسي) مقام الأمير بل مقامه في باعذرة في الشيخان .. وعين الغزال قرية اسلامية صرفة .

في الشيخان : جردانا - جروانا « بالواو » ، دوشيقان - دوشيفان « بالفاء الفارسية ومعناه الواديان » ملاجه برا - ملي جبرا « الل هو الكتف او الهضبة وجبر ، المزغل » و (سميل) قرية اسلامية كانت قديماً تسكنها عشيرة القايدية من اليزيدية وقد خرجت من أيديهم سنة ١٨٣٥ في حادثة أمير راوندوز .

وجاء في صحيفة (١٤٧) ما نقله عن نوري بك عن جواز الفسق في مرقد الشيخ عدي وعليه تقول : ان تجوزهم الفسق في مرقد الشيخ عدي وخارجته ذكره كثير ممن بحث عن هذه الديانة كالمقريري في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) والمارديني

في تاريخه (ام العبر) والشيخ عبد الله الربتكي في فتواه ، والسويدي في (حـديقة
الوزراء) والكاتب الانكليزي ج . ب بادجر في كتابه (النساطرة) وغيرهم . والاستاذ
العزاوي كذب وقوعه في المرقد المقدس ونحن نؤيده فيه . أما خارج المرقد فلا نكذبه
ولا نؤيده . وما ذكره الشيخ عبد الله الربتكي في فتواه من « أنهم يمكنون شيوخهم
من زوجاتهم ومحارمهم ويستحلون ذلك بل يعتقدون به » ليس بصحيح ويمدونه كفرآ .
ولو لم يكن رائدنا الاجتناب عن ذكر الأشخاص لذكرنا هنا كيف أوصى الأمير وآخر
من الروحيين في مجلس عشائري كانا محكمين فيه في (عين سفي) إنزال عقاب صارم
بأحد شيوخ البزيرية لأسناد فعل منكر وقع له مع امرأة من شيوخ آل الشيخ نخر
وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنين وحرم من وظيفته . على اننا واثقين من ان التهمة
التي وجهت اليه وساقته الى السجن لم تكن صحيحة ، غير ان تسرع زوج المرأة الى
قتلها لمجرد ارتياحه من سلوكها دعا المجلس العشائري الى تأييد الفعل المسند الى المتهم
وإنزال العقاب به .

وما يدل على استنكارهم الفعل الذي يقع لأحد المريدين مع امرأة من الروحيين ،
نذكر الحادثة الآتية :

في قرية بعشيقية بيت ينتمي الى امرة (الشيخ نخر) المعروف بمكانته لدى البزيرية ،
ومن هذا البيت شخص يدعى الشيخ ابراهيم بن الشيخ خضر وهو في الأربعين من
العمر ، له أخت اسمها (عمشة) نزلت من زوجها قبل ثلاث سنين وهي في سن الخامسة
والعشرين . وقد وصل الى علمه وجود علاقة غير شريفة لها مع شخص يسمى (الياس
بن مراد) من المريدين ، فدعاها الى بيته وطعنها عدة طعنات ثم ذبحها كما تذبح النعاج
وذهب الى الشرطة وخنجره يقطر دماً واعترف بجريمته . وبعد التحقيقات التي تجري
عادة في هكذا مسائل لم تحصل الأدلة السكافية لادانة المتهم (الياس) بارتكابه فعل الزنا
مع المذكورة عمشة ودافع عن نفسه بأنه مرید لها وهي شيخته وتعد بمنزلة أمه ، فأفرج
عنه وألزم بدفع (٤٥) ديناراً كدية تعطى الى أخيه المقتولة وأولادها وحكم على القاتل
بتاريخ ١٢٩٠/٢٩٤٠ بالسجن لمدة ثلاث سنين حسب قانون حسم منازعات العشائر .

ونورد مثالا ثالثاً على المناسبات غير المشروعة التي تقع لواحد من الروحيين مع امرأة من العوام - اي المريدين - :

عثر في قرية (جدالة) في سنجار على أحد شيوخ أسرة (الشيخ حسن) واسمه (ابراهيم بن الشيخ حمدي) في حالة الزنا مع امرأة من المريدين اسمها (خشو بنت سليمان بن محمود) وهي زوجة (مندو) بن حمو شبرو فقبضوا عليها وذهبوا بها خارج القرية وأخذ الرجال والنساء والأولاد يرمونها بالحجارة الى أن أمانوها ورموا جثتيها فوق المزابيل فأكلتها الكلاب والوحوش (وهذا هو الرجم الشرعي عند الاسلام) .

فهذه المسائل الثلاثة تدلنا على ان فعل الزنا بين الروحيين أنفسهم ، وبين المريدين وطبقة الروحيين ، وبالعكس مما لا تجوزه الشريعة البزيدية وتعاقب عليه . وقد يقع بين المريدين إلا انه لا يفرق عما يقع من نوعه بين أهل القرى والعشائر المسلمة وقد يبدو تفضيلاً عنه لا سيما اذا كان محاطاً بالكتان .

ان القصة التي رواها قسطنطين زريق في كتابه « البزيدية قديماً وحديثاً » ص ١٧٠ عن اتصال اسماعيل بك بالجيش الانكليزي عندما كان مرابطاً قرب سامراء وما يتخللها من أخبار ، صحيحة لا غبار عليها . ولو أحسن اسماعيل بك سلوكه بعد ان وضع الانكليز ثقتهم به ، لتحققت أحلامه الذهبية ونال منصب الأمانة الذي لم يوفه صاحبه حقه .

لم يشبه الأمر على المرحوم احمد تيمور باشا عندما ساق نسب الشيخ حسن على هذا الوجه : (وجده أبو البركات ابن أخي الشيخ عدي) أو (وجده صخر أخو الشيخ عدي أي جده الأعلى) وما الفرق بين هذا وما قاله الأستاذ (وذلك ان أبا البركات هو صخر بن صخر وهذا الأخير هو أخو الشيخ عدي) وهل ان الاشتباه حصل في عدم ذكره أبا البركات باسمه واكتفى بذكر كنيته ؟

وجاء في ص ١٧٨ : « واليوم يقوم بأمر ذلك (حموشيرو) فانهم يتلقون أمور دينهم منه » .

ان حموشيرو لم يكن أكثر من فقير ومن صنف المريدين ، واذا كان قد نال منزلة

كبيرة في سنجار ، فذلك لسبب تقدمه عند الانكليز وتولية حاكمية الجبل طيلة مدة الاحتلال البريطاني ، أما من الناحية الدينية فلا قيمة له ، وهو الذي يتلقى أمور دينه من الرجال الروحانيين ، وإذا لاقى شيخاً أو برآ فحتم عليه ان يحترمه ويقبل يده .

لم يكن استيجار السنجق من الأمير والتطواف به من اختصاص الكواجك ، بل من اختصاص القوالين ، وكذلك الرقص واتخاذ مراسم الأفراس (ص ١٧٩) .

أن واضع كتاب « الجلوة » هو على ما نرجح أحد قسس بحزاني ، أو النصاري المقيمين فيها . وللنصارى المقيمين في بحزاني اتصال وثيق باليزيدية ووقوف على عقائدهم أكثر من غيرهم .

ولم يختص أهل بغداد بتسمية المرحاض (بالأدبجانة) حتى يعده دليلاً على ان كتاب الجلوة كتب في بغداد لاحتوائه على هذه الكلمة وأهل الموصل جميعاً وأهل القرى يسمون المرحاض بالأدبجانة .

لم يكن كتاب « الجلوة » سخيلاً ، وإن كتب بلغة عامية . بل فيه من الأحكام الصارمة والمباديء الشديدة ما أدى الى صيانة هذه الديانة من تطرق الفساد والخلل طيلة هذه المدة . وإذا كان اليزيدية لا يعرفون شيئاً عنه ، فأعمالهم ومعتقداتهم لا تخرج عنه . يقول : « ومقدمهم الديني الذي يقيم في ناحية (مركة) من أنحاء الشيوخان يتولى رئاسة خدمة مرقد الشيخ عدي .. كذا جاء في عبده إبليس » .

أن (مركة) أو (ميركة) ليست ناحية بل اسم يطلق على مرقد الشيخ عدي ومعناه (الغوطة) أي بقعة من الأرض تكون دوماً معشوشبة . ولعل ان هذه الكلمة محرفة من (مرج) التي تفيد عين المعنى والجيم يلفظ في اللغات الآرامية على الأغلب كافاً . أو (المرغ) ومعناه الروضة أو البقعة الكثيرة النبات كالمرغة .

و (ميركة) قرية في جبل مقلوب كان يسكنها اليزيدية قبلاً ، واسم قضاء (معمورة الحמיד) حسب التشكيلات القديمة .

وإذا ما قيل (شيخ مركة) فالمقصود رئيس الطائفة اليزيدية الذي يسمونه (أمير الشيوخان) على ان رئاسة المرقد لم تعد اليه ، بل هو الرئيس الروحاني لجيم اليزيدية الذين

على وجه الأرض . وقد يتولى المرقد على الأكثر أحد الفقراء بقيمة الأمير بالنيابة عنه .

﴿ المستر جورج . برسي بادجر وأبحاثه عن اليزيدية ﴾

نشرت مجلة « اليقين » البغدادية المحتجبة في الجزء السادس والجزئين اللذين يليانه من سنتها الثانية تعريفاً لا لبس فيه عن اليزيدية للمستر برسي بادجر الذي جاء هذه البلاد عام ١٨٤٢ وبقي فيها حتى أواخر سنة ١٨٥٠ تجاوز حدود الصدق وسلامة الذوق فيما أورده فيها من آراء سقيمة لم يقصد منها سوى إثبات عدم وجود صلة لليزيدية بالاسلامية ، وأنها نصرانية بجميع مظاهرها ومعتقداتها وطفوسها وأصول عبادتها . والاجانب الذين كانوا يرتادون هذه البلاد في تلك العصور المظلمة كان ارتيادهم إما لغاية التبشير ، او لمقاصد سياسية ، وقليل منهم من كان يختار عناية السياحة لغاية البحث والاستطلاع او التجارة والاكتساب . والمستر بادجر كان حسبما يظهر من أبحاثه مبشراً أكثر منه تاجراً او محترفاً او عالماً ببحثة ، ويجوز انه كان يحمل بجانب مهمته التبشيرية مهمة سياسية كما رأيناه في (لا يارد) الذي لعب دوراً مهماً في السياسة وهو لم يكن غير عالم أثري أجازته الحكومة العثمانية بإجراء الحفر والتنقيب في خرائب نينوى ونمرود .

وبادجر لم يكن مبشراً بارعاً ، إذ قضى نحو ثمانية سنين في الموصل كان يتردد فيها الى مواطن اليزيدية ويخالط رؤساءهم وأمرأهم وبنينهم بمسؤول الاثماني ولم يتمكن من تنصير واحد منهم . وآخر ما كان منه بعد ان أخفق في مهمته سجل على اليزيدية ميلهم الى النصرانية ، وأنهم يظهرون عدم المبالاة عندما يدعون اليها ونفي علاقتهم بالاسلامية نفياً باتاك مستدلاً بأدلة أوهى من بيت العنكبوت وترك تنصيرهم الى الكنائس ريشاً تنقبه من رقادها .

والغريب في الأمر ان الأخبار التي أذاعها عن اليزيدية لم يستقرأها بنفسه او يستقيها من منابع موثوقة ، بل التقطها من الأقواء وأخذها من عوام الناس الذين لا يباح لهم الكلام في المسائل الدينية وبنى أبحاثه عليها .

فقد ذكر في صدر مقاله - بعد ان عرف بناء معبد الشيخ عدي الخارجي المظلل بأشجار التوت المتفرعة الاغصان وتعرفه بسادن المعبد الذي كان يتبعه خادمان من

الرجال وعدة خدم من النساء - أن للخدم أزياء كأزياء الرهبان ، محـزومة خصوصهم بالزنابير ، وفي رؤوسهم العمام ، ولباس السادن يشبه لباسهم ، والعمامة البيضاء شعاره الخاص .

وهذه اشياء لم تكن صحيحة ، فالخدم هم كسائر الزيدية ليس لهم أزياء خاصة ، حتى ولا رجال الدين - الذين يتميزون على غيرهم بلحاهم الكثة الطويلة - باستثناء (الفقراء) الذين يلبسون خرقة سوداء قائمة - والزمار ، لم يكن موجوداً عندهم ولا يعرفونه ، وكلهم يشدون على خصوصهم حزاماً من صوف ، وإذا كان لا بد له من ان يعبر عن هذا الحزام بالزمار « فالزمار رمز لمذهب الزرادشتية (١) » وليس نصرانياً والزيدية متأثرة الى حد بعيد بالزرادشتية وصنوف الروحانيين يضعون فيه حلقات صفراء من النحاس ، والعمامة البيضاء شعار اسلامي أخذوه من الاسلام منذ أول عهدهم به ، ولم يكن استخدام النساء في المرقد معروفاً عندهم وليس من المألوف ان ترتاد النساء المرقد عدداً أيام الزيارات .

قال : « وفي هذا الخدع قبر كبير عليه كتابة عربية تعجبت إذ رأيتها مقتبسة من القرآن » .

فما هو سبب هذا التعجب الذي استفزه ؟ لأنه رأى هذه الكتابة العربية المقتبسة من القرآن على قبر أحد أعزة النصاري او براهمة المنود ، او حامبالاما الشامانيين وكان يريد ان يراها إما بالكلدانية او الهندية او البوذية او أية لغة اخرى ؟ ولكن ما أسرع ما يزول عنه هذا التعجب وتهدأ أعصابه ويسكن روعه عندما يعلمه كبير القوالين « ان ما اقتبس من القرآن كان لوقاية المرقد من ان يدنسه المسلمون » وهذه براءة في التفضيل وإذا كان يعتقد ان سيجد لتضليله هذا محلاً في عقول قرائه الغربيين ، فالشرقيون يهزأون منه ويعلمون ان الآيات القرآنية تكتب عادة في المعابد الدينية الاسلامية وعلى قبور الأئمة والصلحاء من رجال الاسلام وليس في الأمر ما يدعو الى الاستنكار ، ثم اذا فرضنا ان ما قاله كبير القوالين صحيح فماذا أفادتهم هذه الكتابة العربية في وقاية المرقد

(١) را : في التصوف الاسلامي وتاريخه تأليف نيكولسون وتعريب ابو العلاء عفيفي ص ٢٥

من ان يدنس المسلمون ، وقد تجاوزوا على المرقد اكثر من مرة وهدموه واحتفروا
عدياً من قبره وأخرجوا عظامه وأحرقوها على مرأى منهم ؟
وذكر ان حواراً جرى له مع سادن المرقد حول بعض المسائل الدينية ، ووقف على
أخبار هامة عن الديانة اليزيدية منه ، ونحن ننكر جريان حوار له مع هذا السادن واذا
كان جرى ، فقد جرى في مخيلته ، والبحث عن المسائل الدينية مع غير اليزيدي لا تجوزه
الشريعة اليزيدية مطلقاً ، ثم ما هي قيمة هذا السادن ومكانته في الدين حتى يأخذ هذه
الأخبار منه ، على ان ليس هذا الخادم الصغير بل الخادم الكبير لا يعمل على كلامه ،
وقد حضرت الشريعة عليه الكلام عن الديانة اليزيدية ، وهذا هو الحوار الذي زعم انه
جرى له مع السادن :

- ابن الشيخ عدي ؟

- ابن محمد ؟ ابن عيسى ؟ ابن علي ؟

- عيسى في كل مكان ، فما علاقته بعدي ؟

- ان كان عيسى في كل مكان فكذلك عدي .

- من اين أتى الشيخ عدي ، ومن أبوه ؟

- ليس للشيخ عدي أب .

يقول : وبعد ان أخذني العجب من جوابه قال لي : لماذا تتعجب فهل لعيسى أب ؟

يقول : فعدت وقلت له : من أمه ؟

- ليس له أم .

- بهذا قد فضلته على عيسى الذي أمه العذراء مريم .

- الشيخ عدي أكبر من عيسى لأنه من دون أبوين ، بل من نور .

- متى مات الشيخ عدي ؟

- لم يموت ولن يموت ..

- ماذا سيصبح بعد الموت ؟

- لا أعلم .

- أتعقد بالجنة والنار ؟

- نعم !

- من خلق الخير ؟

- خدا (الله) او الشيخ عدي .

- من خلق الشر ؟

- طاؤوس ملك .

- متى ينتهي الشر ؟

- عند فناء العالم .

- هل للعالم نهاية ؟

- نعم !

- كم يحكم الصالح ؟

- سبعون سنة .

- ماذا يكون بعد الملك طاؤوس ؟

- يعطيه الله مكانا آخر .

- أصحيح إباحة الفسق عندكم ؟

- أجاب الخادم الصغير : يعمل الرجال والنساء كلما يشتهون في أرض الشيخ عدي .

فتصدي الخادم الكبير وأشار الى حجر على الجبل وقال لي : عندما يجتاز اليزيدية ذلك الحد فانهم ملزمون بنسيان هذه الأشياء جميعها .

- هل أنت متزوج ؟

- الخادم الصغير : لا .

- من هو الذي وراهك ؟

- هو ابن أخي .

- هل يباح لك الزواج ؟

- نعم ، لكن لا يباح للسادن فقط ان يتزوج .

- لماذا تستعمل هذه الذبالات على القبور ؟
- دلالة على الاحترام .
- متى تسمون ؟
- عند الولادة .
- متى تختننون ؟
- في القرية التي نولد فيها .
- متى تغطسون في الماء ؟
- عندما نأتي الى الشيخ عادي أولاً ، وفي كل وقت بعد ذلك .
- ماذا تدعون في صلاة الحج ؟
- لا نصلي ، وإنما يصلي القوال ولا نعرف ماذا يقول .
- أتعبدون الشمس ؟
- نعم عند شروقها .

فاليزيدي الذي كتب له الجهل أكان سادناً من العوام ام روحياً وساقه جهله الى ان يحبل الأشياء التي تدور حوله ، أنى له ان يجاوب على الاسئلة التي وجهها اليه جناب المستر بهذا الاسلوب العلمي الذي لا يقدر عليه إلا اكبر متعلم حيث نراه يقول على الفور وبدون تأمل ان عدياً لم يكن من أب وأم بل خلق من نور ليفضله على عيسى الذي أمه العذراء ، واعتقاده بالجنة والنار ، وان الذي خلق الخير هو الله او الشيخ عدي وان الذي خلق الشر هو طاووس ملك ، وان انتهاء الشر عند فناء العالم ، وان للعالم نهاية وان الرجل الصالح يحكمه سبعين سنة ، فن أين لتي هذا السادن الفيلسوف وجري له معه هذا الحديث الذي دل فيه على عبقرية فذة ؟ على ان لو أتينا اليوم على أكبر شخصية من رجالهم الروحيين والقينا عليه هذه الأسئلة لما استطاع ان يجيبنا عليها ، ولو ادعى ان حواراه جرى مع أحد الكواجك لا مع هذا السادن الصغير لقلنا انه أجابه على طريق الوحي والالهام كما هو من اختصاص الكواجك .

والأنكى من هذا تسجيله على لسان السادن الصغير إباحة الفسق في مرقد الشيخ عدي

حيث يقول (عن لسانه) على سؤال وقمه : « نعم يعمل الرجال والنساء كل ما يشتهون في أرض الشيخ عدي » وتصدى الخادم الكبير لتعميل هذا الخبر بعد ان أشار الى الجبل : أن اليزيدية ملزمون بنسيان هذه الأشياء كلها عندما يجتازون هذا الحد . ونحن نستجير بالله من هذه الفرية التي تدل على انعدام الذمة والوجدان في هذا الرجل . فاذا كان أراد ايقاف الغير على درجة انغماس هذه الطائفة بالجهل حيث أنها تجوز الفسق في أقدم محل لها لا بل كعبتها التي تحج إليها ، فيمكنه ان يورد هذا الخبر على طريق النقل دون ان يؤيده بحوار جرى له مع سادن المعبد . والحقيقة ان الفسق في أرض الشيخ عدي يعد من أعظم الكبائر ، ولا يحتمل اجترأ أحد عليه مطلقاً ، حتى أنهم يجتنبون شرب الخمر الذي هو محلل لهم في هذا المكان ولا يقربون نساءهم مدة إقامتهم فيه أيام الزيارات - كما هو حكم الحج عند المسلمين - وقد أشاع هذا الخبر عنهم أعداؤهم الذين رموهم بكل فرية لسبب الحروب والمعاركات التي قامت بينهم ، ولكنهم لم ينصفوا .

وقد حارل عبثاً المقارنة بين اليزيدية لاقتباسهم الآيات القرآنية على الوجه الذي سلف ذكره وطائفة النصاري الذين زعم أنهم سموا (مار بهنام) بخضر الياس ، وكنيسة (مار منى) بالشيخ منى قصد الحيلة بالمسلمين ، وقد طاش سهمه في بث هذه الدعاية الخبيثة بين المسلمين والنصارى ، والنصارى أنفسهم ينكرون هذه الدعوى ويقولون بأن مسلمي هذه الديار أشد عناية منهم بالشيخ منى وبالخضر الياس وبشاركونهم في أعيادها . قال : « أي ذا كر هنا اسم عشيرة (داسن) وهو لقب يلقب به النصاري والمسلمون ، وهم يستعملون هذا الاسم ولا يعرفون شيئاً عن منشأه » .

نقول : إذا فالذي يعرف منشأ هذا اللقب واستعماله هو جنابه والمسلمون والنصارى الذين يلقبون به على زعمه ، قد يستعملونه ولا يعرفون شيئاً عنه ، أليس كذلك ؟ وهذا منتهى الجهل والغباوة من هذا الرجل وهو جدير بالسخرية والشفقة في آن واحد ، وما أجدر به ان يقول لايرلاندوين أتم لاثنين ، وللبرتغاليين أتم اسقوجيون وهو لقبكم الذي تلقبون به وقد تستعملون هذا الاسم ولا تعرفون شيئاً عن منشأه . أما تقيه الداسنية عن يزيدية الشيخان فهو أشبه بنفي البريطانية عنه ، وقد عرفوا بهذا الاسم

بجبل عظيم في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي فيه خلق كثير من طوائف الأكراد
يقال لهم الداسنية - معجم البلدان -

وقال : « نسب بعض اليزيدية قومه الى يزيد بن معاوية وهذه خدعة منهم ليحميمهم
المسلمون » .

وقال في محل آخر : « ان احتفال اليزيدية بموت يزيد بن معاوية حيلة جرت لمسالمة
التعصب الأعمى ومقاومة الحكم المسلمين » .

نقول : أن نفي صلة اليزيدية بيزيد بن معاوية وجعل احتفالهم بموته حيلة جرت لمسالمة
التعصب الأعمى ومقاومة الحكم المسلمين جهل منه ، واذا أردنا ان ننفي صلتهم بيزيد
ونسبتهم اليه الى من يجب ان ننسبهم - على رأيه - من الفرق النصرانية ؟ ثم اذا كانوا
بحاجة الى ان يجاروا تعصب المسلمين الأعمى بانتسابهم الى شخصية إسلامية كبيرة ، فلماذا
لم ينتسبوا الى أحد العلويين او الى غير يزيد من الأمويين ؟ أم اعتقد ان العالم الاسلامي
قصر محبته على يزيد بن معاوية وحده دون غيره ؟

قال : « ولهذا الغرض نسب أحد القبور التي في الشيخ عدي الى حسن البصري واني
متأكد من ان المدفون به رجل من اليزيدية له سلالة في بمشيقا » .

نقول : من أين تأكد يا ترى هذا الخبر ، والتقليد الديني حظر على اليزيدية قاطبة دفن
أمواتهم في مرقد الشيخ عدي وحتى قريباً منه ، واذا عاجلت أحدهم منيته في هذا المحل
يذهبون بجثته الى قريته .. أما حسن البصري المتوفي عام ١١٠ للهجرة فهو مدفون في
ناحية الزبير من أعمال البصرة وقبره ظاهر بزار ، وما يقوله اليزيدية عن قبره وبقيّة
قبور الأئمة والصلحاء في المرقد فهي أنصاب وضعوها للرض عنهم . وإلا فكلنا يعلم ان
أصحاب هذه القبور مدفونون في بقاع مختلفة من الأرض ، وحتى اليزيدية أنفسهم يعلمون
ذلك . ولكن هذا الرجل حريص على ان يظهر نفسه بمظهر البهانة المحقق ، ويدعي بأشياء
كأنما لم يتوصل أحد الى معرفتها غيره ، كدعواه أن اسم (داسن) لقب يلقب به
المسلمون والنصارى وقد يستعملون هذا الاسم ولا يعرفون شيئاً عنه .

وقال : « قال لي الشيخ ناصر مرة إنا يزيديّة نعبد الله ، وأشار الى الشيخ عدي الذي

ثبت في علمهم اللاهوتي أنه يمثل الله. وقد علمت هذا من كلام جرى لي مع خدعة المعبد وكثير من اليزيدية. فعلى هذا يكون قبر الشيخ عدي خرافة وأسطورة، وكلمة الشيخ حيلة يقصد بها مخادعة المسلمين الذين يضطهدونهم».

نقول: أما ذهابه إلى أن قبر الشيخ عدي خرافة لثبوته في علمهم اللاهوتي أنه يمثل الله، فهو منتهى السخافة ولا نعتقد أن أحداً يسلّم بهذا الكلام الهراء وينفي وجود هذا القبر بسائق هذه العلة، اللهم إلا إذا فرضنا وجود صاحبه خيالياً ابتدعوه لهذا الغرض. نقول هذا في حالة رفض جميع الاعتبارات التي تؤيد وجود هذا القبر في هذا المحل.

وأما قوله أن كلمة (الشيخ) حيلة ابتدعوها قصد مخادعة المسلمين، فإن استعملهم هذه الكلمة لم يكن حديثاً بل يذهب بالقدم إلى زمن نشأتهم، وقد استعملوها في إسلاميتهم وفي يزيديتهم. ولم يعرف موطنهم (بالشيخان) إلا لكثرة الشيوخ الذين قاموا فيه منهم. وطريقتهم الصوفية - التي لا يجادل فيها أحد غيره - أسسها هؤلاء الشيوخ ولهم سلالات معروفة ويرجعون جميعاً في نسبهم إلى واضع طريقتهم.

أو ليس من المضحك أن كل ما وجده هذا الرجل من عادات إسلامية في هذه الطائفة حمل متابعتهم لها على حيلة وخدعة للمسلمين، فكأن المسلمين حتى أغبياء كما يتصوره حضرته حتى تؤثر هذه الحيل عليهم إذا كان نعمة حيل.

وقال: «وأشك كل الشك في وجود كتاب مقدس لهم، فادعائهم به أرجح أن يكون كذباً أرادوا به كيد المسلمين من بغضهم لهم لأن المسلمين يعدون من ليس لهم كتاب يستحقون لكل نوع من أنواع الاضطهاد والاهانة».

نقول: سماح الله هذا الرجل مبشراً كان أو بحانة أو أي شيء.. ما أشد حنقه على الاسلام، وأعظم بغضه للمسلمين! أما ترى إلى أي درجة ذهب به الخبث والكيد حتى أخذ يدعي أن دعوى اليزيدية بوجود كتاب مقدس لهم كذب أرادوا به كيد المسلمين؟ ولو علم أنهم أهل سنة وجماعة وكان لديهم «تفسيرات كثيرة ومؤلفات دين وفقه» وبعد أن داخلهم الشك في عقائدهم على أيدي دعاة الضلال والسوء الذين دخلوا بينهم من لا يملكون خبثاً وتفاقاً وتضليلاً عنه، وأضاعوا هذه التفسيرات والمؤلفات، أخذوا

يعملون بكتاب « الجلوة » ومصحف « رش » ، لما تورط في هذا الخبر الذي دل به على جهله .

وأما قوله : لأن المسلمين . الخ فذلك بهتان منه ، وكل من له إلمام بأحكام الديانة الإسلامية يقرب أن الإسلام يأبى اضطهاد غير الكتابيين عدا ما كان من حرمانهم من بعض الحقوق التي فرضها لهم .

وقال : « والقوال يزمر بالنأي والطنبور في اعيادهم الكبيرة ، وقد تعلموها من النصارى يدل عليها ما في الزبور من الكلمات » .

نقول : ما هو يا تري وجه تعلمهم الزمر بالطنبور والنأي من النصارى ، وهذه العادة أكثر شيوعاً عند اصحاب الطرق الصوفية من الاسلام كالفادرية والرفاعية والمولوية وغيرهم ، والعدوية تعد واحدة منهن ؟ أم أن هذه الطرق أيضاً تعلمت الزمر بالنأي والطنبور من النصارى ؟ واستدلالة على ذلك بما في زمرهم من الكلمات التي في الزبور لم يكن صحيحاً ، والتراتيل التي ينشدونها في حفلاتهم تقتصر على الاشادة بفضائل شيوخهم وأساطين دينهم وليس فيها ولا كلمة من الزبور . ثم ما هم والزبور ، ومن أين يعرفونه ؟ وإذا كان حضر حفلاتهم وسمع ترانيلهم مرة ، فقد حضرناها ومسمعاها عشرات المرات ولم نجد فيها ما يحقق صحة دعواه . وإذا وافقناه على ترتيبهم كلمات من الزبور في أناشيدهم فلماذا لم يكونوا قد أخذوها من القرآن الذي يقرأونه ، والقرآن مشحون بالآيات والكلمات التي تشابه ما جاء في الزبور ؟

وقال : « ويعرضون أيديهم للهب النار ويمسحون وجوههم به كما يفعل النصارى بالبخور في كنائسهم » .

نقول : وهذا افتراء منه . والحقيقة أنهم يقدسون النار عملاً بالتقاليد المجوسية التي لا تزال عالقة في نفوسهم ، ومن بحث عنهم من الغربيين لا يجمل هذه الحقيقة . تقول الباحثة الانكليزية « مس روزيتا » في مقال لها نشرته عن هذه الطائفة : « وهم يقدسون الشمس ويقبلون الشيء الذي تسقط عليه أول أشعتها ، وللنار أيضاً علاقة بعبادتهم ، وتلاميذهم دائماً يمررون أيديهم خلال اللهب ويمسحون وجوههم بها » .

قال : « وهذه الأسماء التي يضمونها كالشيخ أبي بكر والشيخ محمد .. الخ. أسماء خيالية ابتدعوها ابتغاء للتوفيق بينهم وبين المسلمين لأنهم لا يؤمنون بنبيهم ولا بقرآتهم ونحن واثقون من أن شيوخهم كانوا قبل النبي بزمان بعيد » .

نقول: وهذا استنتاج ثمين آخر له جدير بالتقدير، ولنا نعلم هل هو نتيجة استقرائه أم دله عليه الخادم الصغير الذي أوقفه على كثير من الأسرار الدينية وجعله يتكلم بها بكل جرأة ؟

إن استعمال اليزيدية هذه الأسماء لم يكن حديثاً وقد ابتدعوها بغية التوفيق بينهم وبين المسلمين ، بل قديمة ترجع إلى أول عهد نشأتهم ، وكان آباؤهم يسمون بها ، وليس لهم أسماء أخرى غيرها ، وإذا كانت لهم أسماء أخرى يسمون بها ، كان عليه أن يدلنا عليها وهو البحاث الضليع الذي يعرف عن المسلمين أكثر مما يعرفون عن أنفسهم . ثم لماذا لم يستعمل النصارى الذين هم على مقربة منهم هذه الأسماء بوقت كانوا أكثر منهم حاجة إلى مجارة المسلمين وكسب عطفهم ؟

وانوافق على أن اليزيدية لا يؤمنون بنبي الاسلام ولا بقرآتهم ، فهل إن استعمالهم الأسماء الاسلامية يكفي للتوفيق بينهم وبين المسلمين ؟ وهذه نظرية لا نجد لها محلاً غير عقلية الغنية بمعارفها ، الخصبية بمواهبها .

أما أنه واثق من أن شيوخهم كانوا قبل النبي بزمان بعيد فهو قول يدل على جهله بتاريخ هذه الطائفة جهلاً تاماً ومثله لا يناقش عليه . ويظهر أن « مس روزيتا » أخذت هذه النظرية منه إذ نجدتها تقول في مقالها الآنف الذكر : « وإمامهم يسمى شيخ عدي المظنون أنه عاش قبل محمد بعدة سنين » .

ثم لم يكن (حسين بك) رئيس اليزيدية أخاً للشيخ ناصر كما ذكره ، ولا يوجد صلة قرابة بينهما فحسين بك هو من أسرة (الشيخ أبي بكر) ، والشيخ ناصر هو من أسرة (الشيخ نحر) ، والأمراء هم القابضون على السلطتين الروحية والزمنية وأسرة الشيخ نحر وبقية المشايخ تابعون لأمرهم .

وما ذكره من إصرار الحكومة التركية على تجنيدهم فهو نتيجة افتنائها بأنهم من الفرق

الاسلامية الضالة وكانت ترمي الى تجنيدهم أسوة بغيرهم .

ولم تكن النمايل التي يتجولون بها تابعة لأمر الشيخ ناصر ، وليس هو الذي يأمر بنقلها وعرضها في الأماكن ويأخذ العشر من الصدقات والهبات التي تحجب بواسطتها ، بل تابعة لأمر أمير الشيخان وحده ، ولا يجوز لأحد غيره ان يتدخل في أمرها .

وقال : « ان اختلاط اليزيدية بالنصارى وخضوعهم للحكم الاسلامي يعد تغييراً في أفكارهم وسننهم ، فقد اقتبسوا من الفريق الآخر ما ليس عليه أجدادهم » .

وكأنه يريد ان يقول ان اليزيدية قبل ان يختلطوا بالنصارى ويخضعوا للحكم الاسلامي كانوا محافظين على عقيدتهم ولما خضعوا للحكم الاسلامي اختلت فيهم العقيدة واقتبسوا من الاسلام من المبادئ الفاسدة ما ليس عليه أجدادهم وهو قول هراء لا معنى له ، أفليست الديانة التي كانوا عليها على زمن أجدادهم هي المجوسية الفاسدة ؟ فما هي السنن والأفكار التي تغيرت فيهم بعد خضوعهم للحكم الاسلامي ؟ هل يريد غير تمسكهم ببعض المبادئ الاسلامية التي انتقدوها وحمل متابعيهم لها على الخدعة للمسلمين ليأمنوا شرهم ؟ إذن فحضرتهم يرجح بقاءهم على المجوسية وتمسكهم بدين آبائهم على خضوعهم للحكم الاسلامي وليس عليه ببعيد ان يرى المجوسية أصلح من الاسلامية التي يحمل لها في نفسه المقت والكرهية ولو حاق بيده لما ترك لها أثراً .

وقال : « ان احترامهم للمسيح ، اعتراف به وهم يجهلون ذلك كل الجهل » .
نقول : ان احترامهم السيد المسيح دخل عليهم من الاسلام الذي يدعو الى احترام كافة الأنبياء والرسل والتصديق بهم ، وطالما وجد فيهم هذا الاحترام للسيد المسيح أما كان من الأجدر به ان يبشر به بينهم ويدعوهم الى المسيحية بدلا من بقائهم على الوثنية المعقونة ؟ أم انه بشر به بينهم ولم يلق أذنا صاغية فعاد وهو يتعثر في أذياله ؟

ثم اذا كان الاحترام للسيد المسيح معناه الاعتراف به ، فأنا أول من يحترمه ، فهل يستلزم احتراي هذا له ان أكون مسيحياً ، وأجهل كل الجهل كون اني مسيحي ؟

وقال : « ان اختلاط اليزيدية بالنصارى اكثر من اتصالهم بالاسلام » .
وهذا صحيح ولا ننكره عليه ، واليزيدي ما ركن الى صداقة النصراني إلا عندما

شمله الاضطهاد الذي كان يلاقيه وايه على يد رجال الحكم وزعماء القبائل في تلك المصور المظلمة، والخصيبة اذا شملت اكثر من واحد تجمع بينهما مها يكن بينها من الفوارق وإلا فالديانة اليزيدية لم تسمح له بصداقته أصلاً وكتاب « الجلوة » نص على ذلك .

وقال : « اما اغتسالهم بالماء فهو مأخوذ من التعميد كما أعلمني به بعض الناس » .

نقول : لما كان الاستاذ اعتاد ان يعمل المظاهر الاسلامية التي يجدها في اليزيدية بأنها نصرانية ، ولما لم يجد فيهم ما يسمونه « بالتعميد » وهو الركن الاساسي للنصرانية ، أدى به ابتكاره الى القول بان اغتسالهم بالماء مأخوذ من التعميد ، إذآ فالتعميد موجود عندهم لأنهم يغتسلون ، وعلى هذا التقدير ، فيكون موجود عندي وعند الفاري . وعند الناس جميعاً لاننا نفتسل ، أليس كذلك ؟ ولو قدر له وعثر على حوض المستر أمبسن مؤلف كتاب طاووس ملك ، والذي وصفه لنا بأنه مصنوع على شكل ديك ، ويجرون فيه التعميد ، لما احتاج الى اصطناع هذا الخبر عن لسان بعض الناس .

وقال : « ويحترمون المهدين الجديدين والقديم » .

ان الذي نعرفه عن اليزيدية انهم يحرمون القراءة ، وقد اتخذوا الاثمية ديناً لهم ، وقد حظر عليهم شارعهم قبول كتب الاجانب من مسلمين ويهود ونصارى وأسمهم ان لا يقبلوا منها إلا ما يوافق سننه وهم متمسكون بهذه القاعدة ولم يجيدوا عنها ، فن ابن عرفوا المهدين الجديدين والقديم ومن أدخلها عليهم ؟ وهل قرأوها وفهموا ما جاء فيها حتى يحترموها ؟ والغالب أنه في زيارته لهم أهداهم نسخة من كتاب المهدين الجديدين والقديم - كما هي عادة المبشرين في توزيع الكتب المقدسة - فأخذوه ، فعد أخذهم له احتراماً منهم له ، وما درى ان مصيره كان كمصير الكتب المقدسة الاسلامية التي تقع بأيديهم .

ويقول : « ولم يكن صيامهم ثلاثة ايام متواليات من شهر كانون الأول سوى احتفال بموت يزيد » .

فما معنى هذا الاحتفال بموت يزيد، بينما لم يكن انتسابهم له إلا قصد الخدعة للمسلمين ونوقيهم من تعصبهم الاعمى ومقاومة حكامهم المسلمين ؟ على ان الاعتبار التي جعلتهم

يتخذون الصيام ثلاثة ايام معلومة . وقد تكلمنا عنها أكثر من مرة . ورجال الدين منهم يعترفون بفرضية الصيام ، وأن الحق تعالى فرض عليهم صيام ثلاثين يوماً ، إلا أن طاووس ملك خففه عليهم بأن جعله ثلاثة ايام .

وقال : « والراجح أنهم لا يحترمون الاسلام ، وإن كان بعضهم يقرأ القرآن لأجل تعلم لغة حكمهم » .

فبعد أن ذهب بدعواه الى احترامهم السيد المسيح ، والمهدين القديم والجديد ، من الطبيعي أن ينفي احترامهم الاسلام ، أو ليست الغاية هي تثبيت هذه النتيجة ؟ على أننا كنا نود أن يكون أكثر إصابة في أخباره ، ويعترف أن عدم احترامهم الاسلام وحتى مجاهرهم بالعداء له ، سببه إساءة المسلمين لهم وإصرارهم على مقاتلتهم لتخليهم عن عقائدهم الفاسدة التي يرونها مخالفة للاسلام ، ويمدونهم مسلمين . وهذا الذي أولد في قلوبهم البغض والكراهية للاسلام وعدم الاحترام له .

أما أن بعضهم يقرأ القرآن لأجل تعلم لغة حكمهم فقد أخطأ فيه ، ولا نعتقد أن الجاهل يأخذ بهذا الرجل الى هذا الحد . ولكنه ليس جهلاً ، بل استهتاراً بالحقائق . فقراءة القرآن كانت في العهد الذي وجد بينهم فيه منحصرة في أسرة واحدة ولا يوجد في هذه الأسرة من يحسن القراءة أكثر من شخص واحد أو اثنين ، والتكلم مع الحكماء لم يكن منحصرأ في هذين الشخصين لأنها يعرفان لغتهم ؟ ثم ما قوله إذا أعلمناه أن لغة الحكماء في ذلك العهد تركية وليست عربية ؟ والحكام جميعهم ترك ولا يعرفون من العربية كلمة واحدة ؟

وبعد أن ذكر أن النقوش التي على تماثيلهم مؤرخة بالتاريخ الهجري وأنهم « يعدون يوم الجمعة من ايام الأسبوع المقدسة جداً » قال : « وهم يقدسون يوم الجمعة وفاقاً للمسلمين » .

أن هذه النقوش ، هي التي عبر عنها في محل آخر بالكتابات العربية وتعجب إذ رآها مقتبسة من القرآن . هي لم تكن منقوشة على التماثيل ، بل كتابات على الحيطان . ومن الطبيعي أن تكون مؤرخة بالتاريخ الهجري ، والمسلمون لا يعرفون غير هذا التاريخ .

وعندما كتبوا هذه الكتابات كانوا مسلمين ولم يعرفوا ديناً غيره .

أما قوله : « انهم يعدون يوم الجمعة من أيام الاسبوع المقدسة جداً » ثم يعود فيقول : « وهم يقدسون يوم الجمعة وفقاً للمسلمين » فهو من مناقضاته . وقد يلجأ الى هذه المناقضات عندما يضطر لتعليل الأشياء على غير حقيقتها . ولنسلم انهم يقدسون يوم الجمعة وفقاً للمسلمين ، فلو لم يوافقوهم في تقديسهم هذا اليوم ، فما كان المسلمون يفعلونه معهم ؟ وقد وافقوهم - على دعواه - في حجهم وصومهم وصلاتهم ، وكتبوا الآيات القرآنية على جدران معابدهم ولم ينالوا ودعهم وعطفهم ، وما برحوا يقاتلونهم بصفتهن مرتدون ويريدون ارجاعهم الى حضيرة الاسلام .

قال : « ولا يعد الختان الذي فرضه اليزيدية على أنفسهم من السنن الاسلامية ، لأن العشيرة الكردية في دجلة لا يختنون » وقد أراد بالعشيرة الكردية في دجلة ، أهل قرية « رضوان » اليزيدية الذين تكلم أكثر من واحد من كتاب النصارى عن تركهم سنة الختان ، وعبر عنهم بالعشيرة الكردية في دجلة ، واليزيدية الذين في حوضه دجلة يبلغون عشرات الألوف . وقرية « رضوان » خليط من مسلمين ونصارى أرمن ، ويزيدية ، واليزيدية منهم لا يربون على خمسة وعشرين بيتاً ، وقد هاجروا على أثر حادثة الأرمن في الحرب العامة الأولى وتفرقوا في حوضه نهر « البوطان - بهتان » ومنهم من جاء الى سنجار وانضوى الى عشيرة الخالتيه وجميعهم متمسكين باليزيدية ، عاملين بسنة الختان بكل أمانة . وكل ما في الامر ان رئيساً لهم - لم أذكر اسمه - على جانب من الغنى والثروة أراد التحجب الى رئيس طائفة السريان النصارى في رضوان وبني لهم ديراً على ضفة نهر البوطان على نفقته ، وجاراهم في تعطيل سنة الختان عن أولاده فتحدث النصارى عنه ، وأكثروا محبتهم له ، ورفعوه الى درجة قدس ، إلا ان اليزيدية مقتوه وعندما مات منعوا دفنه في مقبرتهم ، كما ان النصارى لم يرضوا بدفنه بين أمواتهم . وقد التقط الكتاب النصارى هذا الخبر وبالغوا فيه ، فكان من جملة هذه المبالغات ان وجدنا الراهب « بادجر » يذهب بدعواه الى ان الختان الذي فرضه اليزيدية على أنفسهم لا يعد من السنن الاسلامية ، لأن العشيرة الكردية في دجلة لا يختنون ، فهل أكثر استهتاراً من هذا

الرجل بالحقائق مجرد أن يؤيد دعواه الباطلة ؟
وبالآخر قال : « وهم يظهرون عدم المبالاة عندما يدعون الى المذاهب النصرانية ولكن
كل شيء ممكن انشاء الله وهداية هؤلاء عن الوثنية سيكون عندما تتيقظ الكنائس
من رقادها وتشمر عن ساعدها » .

وهذا هو بيت القصيد من بحثه هذا الذي بذل فيه كل جهد و طاقة ليدل على نصرانية
هذه الطائفة ، وينفي علاقتها بالاسلام ، ويعمل كل ما وجده فيها من مظاهر اسلامية
بأنها مأخوذة من النصرانية . وقد رأى شعباً مهملاً منسياً ليس له من يغار عليه ويقوده
الى ساحل السلامة ، فعمده لقمة سائغة وسال لعابه له . وما درى أن الولد العاق لا بد له من
العودة الى أهله ، وأهله لا ينكرونه مهما أهملوه ، ويغارون له اذا امتدت يد غادرة اليه .
وهنا نريد ان نعلم ما هو الذي صنعه خلال ثماني سنين قضاهما بينهم ومناهم بمسؤول
الأماني ، وما هو التغيير الذي أوجده في عقائدهم ؟ والجواب انه لم يتمكن من تنصير
يزيدي واحد ، ولم يجد سبيلاً للقيام بمهمته التبشيرية . وكل ما كان منه ان اقترح على
الأمير حسين بك وشيخ المشايخ الشيخ ناصر ، فتح مدرسة في عين سفي فرد اقتراحه
وعاد بحقي حنين الى بلاده . واذا كان أخذ ينتظر تيقظ الكنائس من رقادها ، فنحن
نتنظر خروج هذا الشعب من أميته وانصرافه الى تحصيل العلم ليقرأ تاريخه ويقرأ ما
كتبته في هذه الصحائف له ، وهناك يعرف مكانته في المجتمع الاسلامي ويتبأوها
من جديد ...

﴿ البزيرية - أو - عبدة الشيطان ﴾

رسالة نشرها احد الكتاب البغداديين عام ١٩٢٩ (١٣٤٧ هـ) سماها (البزيرية - أو -
عبدة الشيطان) لا يسعنا من ان نلقي نظرة خاطفة اليها ، نزع فيها صاحبها منزعا جاري به
بعض الكتاب ممن أرادوا إبعاد هذه الطائفة عن الاسلام ونفي صلتها عنه . ولو لم نخش
من ان يكون هكذا رسائل تأثير على حقائق كبيرة لها مساس بالمجتمع الاسلامي لما
اقتصدنا حضرة الكاتب الأديب .

١- جاء في الكلمة التي صدر بها رسالته : « ان في قضاء الشيخان بلواء الموصل جماعة

يدعون باليزيدية يتراوح عدد نفوسهم بين السبعة والعشرين والثلاثين ألف نسمة .
والصحيح ان اليزيدية في الشيخان لم تتجاوز نفوسهم اكثر من خمسة آلاف نسمة ،
وفي تقرير لجنة الحدود بين تركية والعراق الى عصابة الامم ان عدد اليزيدية القاطنين في
لواء الموصل حسب الاحصاء البريطاني والعراقي من ٢١ الى ٣٠ الف وحسب الاحصاء
الرسمي (١٨٠٠٠) وهذا العدد جمع بين يزيدية دهوك والشيخان وسنجار .

٢- يرجح في بحثه عن اليزيدية : « ان كلمة يزيدية مشتقة من الكلمة الفارسية او
الكردية (يزدان) التي تعني الله ، وهذا وهم منه ، والصحيح ان نسبتهم الى يزيد بن
معاوية الاموي الذي اتخذوه إلهاً ، وما احتمله الشهرستاني من ان تكون كلمة يزيدية
« ايزدية » فتولدت الياء الثانية من الكسرة المجاورة ، نسبة الى « يزد » فهو ايضا لا يقوم
عليه دليل .

٣- وذهب في بحثه الذي صدره بعنوان (مشاهداتي) الى ان أصل هذه الطائفة هي
هي قبيلة كانت تدين بالمجوسية اسمها (ترهايا) ولما بدأ نجم المجوس يتضاءل تمسكت
بعقائدها حتى اذا نبغ فيها بعض الرجال والمشائخ نظموا شؤونها الدينية ولفقوا عقائدها
من مختلف الاديان وأوجدوا المذهب اليزيدي .

وقد غمز بالرجال والمشائخ الذين نبغوا من القبيلة التبرهية وأوجدوا المذهب اليزيدي
من مختلف الاديان ، بآل عدي بن مسافر الاموي الذين يحمل لهم في نفسه الكراهية
الشديدة - كما ستجده في أقواله التي نقلها عنه - فضحى في سبيل كراهيته حقائق
تاريخية كان الابداسي لا يتعدى عليها ، وإرجاع هذه الطائفة الى القبيلة التبرهية
خبر اختلقه أحد رهبان النصارى ، فتناوله الكتاب المغرضون لهذا البيت ولا كوه بالسنتهم
قصداً لخط من كرامتهم وفي عدادهم هذا الكاتب الفاضل .

٤- قال : « لا صحة لما يثبت به البعض من أنهم أخذوا بعض الظاهر من الديانة الاسلامية
كالصوم والصلاة ، وما يشاهد عندهم الآن انما يفعلونه تقية لجواربهم المسلمين لا تديناً .
ولو وقف برسي بادجر على هذه الصراحة من هذا الكاتب لقبله من بين عينيهِ وبارك
فيه ، وهمس في أذنه : « انا الذي وضعت هذه النظرية ، ولي فيها غاية ، مع علمي ببطلانها

فما هي غايتك انت منها ؟ » .

واذا كان لا بد لنا من تنبيه هذا الكاتب الفاضل الى الخطأ الذي وقع فيه وإفهامه حقيقة أمر هذه الطائفة ودرجة علاقتها بالاسلام نشيره الى الوصية الكبرى لابن تيمية التي خاطب بها جماعة الشيخ ابي البركات عدي بن مسافر الأموي رضي الله عنه ففيها ما يقنعه بفساد رأيه .

٥- وقال في محل آخر : « واسم اليزيدية الحقيقي محرف من (يازيدية - ي) التي وردت تسميتهم بها في عدة مواضع من كتابهم المقدس وهي منحوتة من لفظ (يزدان) التي تعني الله والكردى يلفظ يزدان هكذا : (يزد - آن) ثم تحرف اللفظ فيه يازيدية ، فيزيدية » .

ان كلمة « يازيدية » لم ترد في كتابهم المقدس ولا في موضع واحد ، فضلا عن عدة مواضع الاسم الذي يدلنا على انه لم يقف على هذا الكتاب ولم يره بعينه ، أما اذا كان لاقوم كتاب مقدس غير الجلوة ومصحف رش وقد وجد هذا الاسم فيه فما أحراره ان يدلنا عليه ، أما كلمة « يزدان » فهي فارسية صرفة وشعب من شعوب الاكراد لا يعرفها ولا يتكلم بها ، وحتى الفرس لا ينطقون بها ويمبرون عن ذات الجلالة بكلمة « خدا » في كلامهم وفي كتابتهم فكيف يلفظ الكردى هذه الكلمة هكذا ... وهكذا ثم تحرف اللفظ فصار هكذا ، وظهرت كلمة اليازيدية ثم اليزيدية ؟ وماذا عليه لو جعل نسبة هذه الكلمة الى يزيد وخلص من هذا المسخ والتشويه ؟

٦- قال « وقد شاهدت القرآن العربي الكريم في كثير من بيوتهم وقد وضعوا على كلمة (شيطان) و (التعموذ) و (اللعن) المتكررة فيه قطعاً من الشمع تحاشياً من رؤيتها » . وهكذا بعد ان ينفي هذا الكاتب ما يدعيه البعض من انهم أخذوا الصوم والصلاة من الاسلام ، ويقول ان ما يفعلونه تقية لجاورهم المسلمين يدعي بأنه شاهد القرآن العربي الكريم في كثير من بيوتهم . فاذا لم يكن لهم علاقة بالاسلام ، لماذا يضعون القرآن العربي الكريم في كثير من بيوتهم ؟ الأريضة ، أم للتقية ، أم للتبرك ؟ على ان القرآن الكريم لا يوجد منه إلا نسخة واحدة في دار رئيس الأئمة في بحزاني ومحظور إرامتها

لأحد حتى اليزيدية أنفسهم .

يقول الأستاذ الكرمل في كلامه عن مصحف رش : « هو بعض صحف من القرآن حرقوها بأن حذفوا منها اسم شيطان ولفظة اللعنة ونحو ذلك ، ولم يطلع عليه أحد الى يومنا هذا (١٨٩٨) حتى من اليزيدية غير الفقيه الأكبر . وفي مطاوي سنة ١٨٩٢ وغرة سنة ١٨٩٣ أراد الفريق عمر باشا ان يعرف ما في هذا الكتاب ... فلم ينل أملا » .
٧- وقال : « تاريخ هذه الطائفة قديم اختلف فيه المؤرخون اختلفهم في أصل ديانتهم » .

لم يختلف أحد في تاريخهم أصلا اذا استثنينا بعض الأغبياء من الأتباع الذين يريدون إرجاع شيوخم الى ما قبل النبي بزمن بعيد وذلك لغايات خبيثة . أما الاختلاف في ديانتهم ، فترجمه الى أسباب ثلاثة : (الأول) المبشرون النصاري الذين يريدون إرجاع هذه الطائفة الى النصرانية . فهو لاء : يدعون ان العادات والتقاليد والمعتقدات الاسلامية التي نجدها فيهم دخلت عليهم من طريق غير مباشر ، وقد أخذوها وعملوا بها قصد الخدمة بالمسلمين لينالوا عطفهم ، ويأمنوا شرهم ، وقسم يدعون انها تحوي عناصر أديان مختلفة كالاسلامية والنصرانية واليهودية والمجوسية وغيرها وهي الى النصرانية أقرب . السبب (الثاني) : الكراهية التي يحملها قسم من الكتاب الشرقيين لبيت الاموي ومقتهم لآل عدي ، حيث ينكرون على الشيخ عدي القيام باصلاح ديني حقيقي بين هذه الاقوام الوثنية ودعوتهم الى الاسلام ويرمونه بالباطنية ، ويدعون انه هو الذي نظم هذا المبدأ ولفقه تلفيقاً ، وينكرون ان هذا المذهب أخذ صبغة إسلامية صحيحة ثابتة ، ثم أدركته عوامل الفساد وأثرت عليه . السبب (الثالث) تصدي بعض الكتاب للبحث عن هذه النحلة دون روية وعلم ، اذ أخذوا ما قاله غيرهم وخطبوا خطب عشواء وأضرروا اكثر مما أفادوا .

هذا هو أساس الاختلاف الذي عني به الكاتب الفاضل ويراني معذوراً اذا قلت ان الأسباب الثلاثة تجمعت في رسالته الصغيرة التي وضعها .

٨- قال : « ومن غريب ما شاهدته في ديار هذه الطائفة تحريم الكتابة على جميع

أفرادها ، فلا يجوز أن يسكن البلد الواحد أكثر من متعلم واحد يحسن القراءة ليقوم بما يحتاج اليه السكان .

وكانما يريد أن يلقي في روع القاريء انه أمضى شهوراً وأعواماً في تجوله في ديار هؤلاء القوم وزار نواديهم ، وطاف مجتمعاتهم ، واختلط بهم اختلاطاً وثيقاً ووقف على دخائلهم ، ثم أخذ يدعي تارة انه شاهد القرآن الكريم في كثير من بيوتهم ، وتارة يدعي انه شاهد تحريم الكتابة عليهم جميعاً ، عدا واحداً متعلماً يحسن القراءة في البلد الواحد ليقوم بما يحتاج اليه السكان .

والأخبار التي يرويها أكثر الكتاب عن هذه الطائفة هي من هذا النوع ، وإذا كان هذا الكاتب كتب ما كتبه بعد زيارة قام بها الى باعذرة لم تدم أكثر من نهار واحد وعاد مساءً أدراجه الى الموصل ، فما نقوله في من يكتب عنهم عن بعد ولم تكن قد وطأت قدماه أرضهم ، وانصل بشخص واحد منهم ؟

والقراءة محرمة عليهم جميعاً باستثناء أسرة الشيخ حسن الذين يوجد الآن منهم من يحسن القراءة والكتابة اربعة اشخاص ، واشخاص آخرون تعلموا القراءة والكتابة اخيراً في المدارس التي أحدثتها الحكومة بينهم ولا يتجاوزون عدد اصابع الكف .

٩- وقال : « ولليزيدية طقوس غريبة تضاربت فيها الأقوال ، وقد جمعت شيئاً منها وقد وقفت على بعضه بنفسي ، ونقلت بعضه عن جملة المؤلفين » .

فما هي تلك الطقوس الغريبة التي تضاربت فيها الأقوال ؟ وما هي التي وقف عليه منها بنفسه ، والتي نقلها عن جملة المؤلفين ؟ أما التي وقف عليها بنفسه فقد علمناها وهي مشاهدته القرآن الكريم في كثير من بيوتهم ، ووضعهم قطع الشمع على الكلمات الممنوعة عندهم نحاشياً عن رؤيتها ؟ ونم مشاهدته - بغرابة - تحريم الكتابة على جميع افرادها حيث لا يجوز أن يسكن البلد الواحد أكثر من متعلم واحد يحسن القراءة ليقوم بما يحتاج اليه السكان ؟ . وأما الشيء الذي نقله عن جملة المؤلفين وان لم يدلنا عليه ، ويدلنا على المؤلفين الذين نقل عنهم ، فمن الواضح ان الذي نقله هو ارجاع هذه الطائفة الى القبيلة التبرهية المجوسية ، وجعل مشائخهم الذين نظموا شؤونهم مجوساً تبرهيين ، وان المظاهر

الاسلامية التي نجدها فيهم يفعلونها تقية لمجاوريتهم المسلمين لا تديناً الى غير ذلك من المسائل التي ترمي كلها الى تقي علاقة هذه الطائفة بالاسلام ، والذين نقل عنهم هم أعداء الاسلام امثال بادجر والراهب راميشوع وغيرها .

١٠- وقال : « والصوم عندهم ثلاثة ايام متوالية في شهر كانون الأول من كل سنة ، ولعلمهم يقصدون بهذه البدعة تطبيق الآية الكريمة : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » فهم يصومون ثلاثة أيام باعتقاد انها تجزي عن ثلاثين يوماً » .

فبعد أن وجدناه يذهب بدعواه الى أن ما يشاهد فيهم من المظاهر الاسلامية كالصوم والصلاة يفعلونه تقية لمجاوريتهم المسلمين لا تديناً ، نجد هنا يقول انهم يصومون ثلاثة أيام من أقصر أيام السنة اعتقاداً منهم انها تجزي عن ثلاثين يوماً حسب ما جاء في الآية الكريمة ، وفي هذا إقرار منه باعتقادهم بفرضية الصيام ، ، وانهم يعرفون القرآن ويعملون به إلا انهم يعملون به حسب ما تقتضيه أهواؤهم .

وهكذا بالوقت الذي نراه يصرح بأسلاميتهم تصريحاً لا شائبة عليه يرجع فيردد ما قاله من ان « ما يشاهد عندهم الآن من المظاهر الاسلامية إنما يفعلونه تقية لمجاوريتهم المسلمين لا تديناً » وهذا ما يدل على انه قد ارتبك عليه الأمر وأضاع القصد ورائده تقي علاقة هؤلاء القوم بالاسلام ، والظعن (بعدي) وإنكار اسلاميته مهما أتى في ذلك من المناقضات .

١١- ذكر ان الأمراء يلون المشايخ بالمرتبة الدينية وهو خطأ ويعدده البيزيدية كفر ولا يقولون به . والامراء وان كانوا والمشايخ يجمعهم جد واحد وجميعهم من أرومة واحدة ، إلا ان اسرة الأمراء لها امتيازاتها الخاصة ، ويعد الأمير خليفة الشيخ عدي ويعتقدون به القدسية وأن جزءاً إلهياً قد حل فيه .

١٢- وقال « فالشيخ خادم تربة الشيخ عدي ويشترط فيه أن يكون من سلالة الامام حسن البصري وله زنار (شارة) يضعه على صدره وعلامة يمسكها بيده فاذا رآه جماعته خروا له ساجدين » .

ولسنا ندري هل أنه وقف على هذه الاشياء بنفسه عندما زار ديار هؤلاء القوم أم

نقلها عن جملة المؤلفين . ولما كان قد أخطأ فيها وجب أن ندله على أن الشيخ لم يكن خادماً لتربة الشيخ عدي ، بل الذي يقوم به هذه الخدمة طائفة الفقراء والكواجك ، ويشترط أن يكون على رأسهم (جاويز) تشترط عليه الإقامة في المرقد طيلة مدة حياته ، وأن لا يكون متزوجاً وذلك لعدم جواز اجتماع الجنسين في المرقد . ولم يكن للشيخ شارة يضعها على صدره ، بل شارته حزام أسود من صوف فيه حلقات من النحاس يشده على خصره ، وليس له علامة يمسكها بيده ، وليس من العادة أن يخرج جماعته ساجدين عندما يرونه ، بل أن يقبلوا يده ، ولا يشترط على كل يزيدي أن يقبل يد أي شيخ كان ، بل يد شيخه الذي يتلمذ عليه .

١٣- ولم تكن وظيفة الفقير جمع البنين والبنات لتدريهم على ضرب الدفوف والرقص بل ذلك من اختصاص القوالين .

١٤- وقال « عندما دخلت تركيا في حربها مع الروس عام ١٣١١ هـ جاء أحد قوادها المدعو طاهر بك الى الموصل لتجنيد نوابغ الولاية على اختلاف نحلها ، ولكن اليزيدية امتنعوا عن التجنيد بدعوى ان ديانتهم لا تساعد على ذلك ورفع الرؤساء منهم عريضة الى أمير الآلاي العسكري تضمنت الموانع الشرعية التي تحول دون ذلك » .

أ- ان دخول تركيا الحرب مع روسية وقع عام ١٢٩٣ هـ وليس عام ١٣١١ هـ .
ب - لم يكن محيي طاهر بك الى الموصل لتجنيد نوابغ الولاية على اختلاف نحلها ، بل لتجنيد اليزيدية خصيصاً ، وكان ذلك بزمان ولاية مدحت باشا على بغداد (من مارت ١٢٨٥ الى مايس ١٢٨٨) .

ج - لم يرفع اليزيدية عريضتهم التي تحتوي على الموانع الشرعية لقبولهم التجنيد الى أمير الآلاي طاهر بك ، بل رفعوها الى المشير رؤف باشا الذي خلف مدحت باشا في ولايته على بغداد ، وذلك في تاريخ ١١ آذار ١٢٨٩ - ٢٨ شباط ١٨٧٢

١٥- وقال : « ولدى إيمان المراجع الايجابية نظرها في هذه العريضة التي رفعت مع كمية كبيرة من الدراهم ، قبلت هذه المعاذير وأعفتهم عن التجنيد ، فباتوا في مأمن من هذه الجهة ، وهم يقدسون حتى الآن اليوم الذي قبلت فيه عريضتهم ويحترمونه » .

لم تعف الحكومة هذه الطائفة عن التجنيد بوقت من الأوقات ، وكانوا طيلة هذه المدة يستعطفونها لقبول البديل العسكري منهم أسوة بالملل غير المسلمة ، وكانت ترفض طلبهم وتعدم مسلمين ولا فرق بينهم وبين الدروز والبكتاشية والقزلباشية وغيرهم ممن كان يسري عليهم قانون التجنيد . فإذا علمنا ذلك اتضحت لنا درجة صحة الخبر الذي ساقه حضرة الكاتب عن اعطائهم كمية كبيرة من الدراهم وقبول معاذيرهم وعفوهم عن التجنيد وشم تقديسهم حتى الآن اليوم الذي قبلت فيه عريضتهم واحترامهم له .

١٦- وقال : اختلف المؤرخون في أصل الشيخ عدي الذي تنتمي اليه الطائفة اليزيدية اختلافاً بيناً ، وأورد نبذاً من اقوال طائفة من الكتاب والمؤرخين عن نسبه ونهجه وسلوكه تمهيداً لابتداء رأيه فيه ، وخلاصة ما قاله :

(أ) ان الشيخ علي الشرقي النجفي وجماعة من المسيحيين فيهم انستاس الكرملي والقس سليمان الصائغ اعتمدوا على صحة الرواية التي جاءت في مخطوطة الراهب النسطوري في تعريف نسب الشيخ عدي رئيس الطائفة اليزيدية .

(ب) ان الشيخ عدياً الذي احتل دير الرهبان - اذا صح ما جاء في المخطوطة - هو غير الشيخ عدي الذي أتى من بيت فار في (بعلبك) وسكن جبال الهكارية . وأن الأول كردي تيرهي قتل عام ١٢٢٣ م ، والثاني عربي توفي عام ١١٦٠ م ويجوز أن يكون الشيخ عدي الأموي قد اتخذ زاويته في مقام الشيخ عدي الكردي الذي احتل الدير ودفن فيه بعد مقتله .

(ج) لم ير من الكياسة أن يناقش احمد تيمور باشا فيما يراه عن تصوف الشيخ عدي بن مسافر وكونه من متصوفي زمانه ، ولكنه يرى إشكالا في ارجاعه اليزيدية الى الصوفية بعد ان استدلل على أن أصلهم من عشيرة مجوسية وقد تمسكوا بمقائدهم بعد أفول نجم المجوسية بدلائل تكاد تمسك باليد .

هذه هي النتائج التي توصل اليها هذا الكاتب اللوذعي في نتيجة ابحائه عن اصل الشيخ عدي الذي تنتمي اليه الطائفة اليزيدية وأودعها رسالته (اليزيدية - أو عبدة الشيطان) وليس من شك في ان روح بادجر والراهب راميشوع ستطيب اليها وهي في رسمها

ويشعني بادجر المعلوم وراميشوع المجهول ان يكون على غرار هذا الكاتب ، كتاب آخرون
كثيرون ينسجون على منواله ، ويؤيدونها فيها قالا ، عن أصل هذه الطائفة وعن شيخها
الأموي .

وهنا نبين الاخطاء التي أتى بها هذا الكاتب وترك للقارىء الحكم في هل انه أتى بها
خطأ وجهلاً أم قصداً والتزاماً :

أولاً - استشهد بالشيخ علي الشرقي النجفي والراهب الكرملّي والقس الصائغ على صحة
ما روته المخطوطة المنسوبة الى الراهب النسطوري عن الشيخ عدي ونسبه ونشأته ، بينما
لم تتكلم المخطوطة عن الشيخ عدي ونسبه ونشأته حتى يظهر هؤلاء الكتاب الثلاثة
اعتمادهم عليها ولذلك فهم لم يعتمدوا ولم يشهدوا ، وعلى فرض صحة ما قاله عنهم فاعتمادهم
لا يغير وجه حقيقة تاريخية متفق عليها .

ثانياً - لقد قصرت المخطوطة أبحاثها على الشيخ عدي الثاني وعدته تبرهياً في نسبه ،
مجوسياً في عقيدته ولم يكن تعرضها للبحث عن الشيخ عدي بن مسافر الا عرضاً وهو لم
يكن المقصود لديها بالأصل والذات . فوضع الكاتب عدياً بن مسافر بمحل عدي الثاني
ووصفه بالأوصاف التي وصفته بها المخطوطة خطيئة لا تغتفر .

ثالثاً - جوز ان يكون الشيخ عدي بن مسافر الأموي المتوفي عام ١١٦٠ اتخذ زاويته
في مقام الشيخ عدي الكردي التبرهي الذي احتل الدير وقتل عام ١٢٢٣م ودفن فيه بعد
مقتله ، الأمر الذي يدل على ان التاريخ بنظره يمشي الى الوراء لا الى الأمام .

رابعاً - لا يرى من الكياسة ان يعارض احمد تيمور باشا الكاتب المصري في عده (عدياً)
من متصوفي زمانه وارجاعه اليزيدية الى الصوفية لأنه استدلل على صدق نظريته بدلائل
تكاد تلمس باليد وليست هذه الدلائل غير مخطوطة الراهب التي أملاها عليه بغضه لهذا
البيت ورامم فيها بكل ما يشينهم ويحط من قدرهم وكرامتهم معرضاً عما قاله مؤرخو
الاسلام كابن الأثير وابن خلكان والامام ابن تيمية والتاوفي الجنبلي وغيرهم عنه .

ان الخطأ الذي وقع فيه الأستاذ ناشي من اقتصاره البحث على مخطوطة هذا الراهب
ولو راجع كتب الاسلام ووقف على ما كتبوه عن عدي وشيعته اليزيدية لأنصفهم

وأنصف التاريخ ، ورفع عنه اعتداه الاجانب واعتداه نفسه . ولا حاجة لأن نشير الى مؤلفات الاسلام الكثيرة ويكفي ان ندله على الوصية الكبرى للامام ابن تيمية التي خاطب بها جماعة الشيخ عدي بعد ان وجد الفساد يدب في عقيدتهم ، وأراد إصلاحهم ، ففيها ما يعطيه قناعة بان هذه الجماعة كانوا زمناً من خيرة الاسلام ، وكانوا يعملون بالسنة والحديث وقرأون القرآن ويجادلون فيه وكان يرجو إصلاحهم .

ان هذه الوصية هي من أهم الوثائق التي تبطل ادعاءات الاجانب الكاذبة وتفصح نواياهم التي تحمل سمّاً زعافاً للاسلام ، فقد خاطب صاحبها الامام رضي الله عنه هذه الطائفة « بالمسلمين المنتسبين الى السنة والجماعة المنتمين الى جماعة الشيخ العارف القدوة ابي البركات عدي بن مسافر الأموي رحمه الله » وأشار فيها الى من كان « فيهم من أهل الصلاح والتقوى ، وأهل القتال المجاهدين ما لا يوجد مثلهم في طوائف المبتدعين ، وفيهم من له الاحوال الزكية والطريقة المرضية ، وله المكاشفات والتصرفات وفيهم من الاولياء المتقين من له لسان صدق في العالمين » وما على من يريد الوقوف على حقيقة أمر هذه الطائفة وما كانت عليه في بدء أمرها من التمسك باهداب الدين الاسلامي وما آل اليه اخيراً أمرها من الابتعاد عن هذا الدين إلا ان يقرأ هذه الوصية وهناك يظهر له فساد رأي الكتاب الاجانب ومن أتبعهم من كتابنا المسلمين .

ولننظر الآن فيما قاله عن لسان البزيرية بان قبر الشيخ عدي خرافة اكثر منه حقيقة وهذا نوع من البراعة في تحريف الحقائق ، فالبزيرية لم يقولوا به ، ويعدون من يقول به كافراً والذي قاله (بادجر) لبديل به على ان القوم اتخذوا عدياً رمزاً عن ذات الله عندما أُرِدا نفى وجوده ، وقد أخذوا عنه ورواه عن لسان البزيرية بالوقت الذي لم يتيسر له الحديث مع واحد منهم عدا « القوال رشيد » الذي زعم انه دله على معلومات عن حقيقة المذهب البزيري لقاء جنيهين أعطاهما له . وقد أجاد في إصاغة هذه الرواية بان عززها في خبر آخر وهو ظهور ملك صالح عليهم وإدخاله في عقولهم بان هذا القبر هو قبر الشيخ عدي ثم صاروا يحجون اليه ، على ان خرافة الملك الصالح ، او الراهب الفار من دير (القوش) او (الشيطان) تروى بشكل آخر وقد مزجها برواية (بادجر) وأوردها كحقيقة راهنة .

﴿ أولياء جلبي وإخوانه عن اليزيدية ﴾

نقل صاحب تاريخ اليزيدية وأصل نخلتهم عن « أولياء جلبي » السامح التركي اخباراً عن يزيدية سنجار في سياحته اليهم عام ١٠٦٥ هـ ليس فيها ما ينطبق عليهم في الحال الحاضر ، وقد تعمد المبالغة فيها ليقال انه أتى باخبار طريفة لم يسبقه أحد فيها . وأوليا جلبي لم يكن ذا مكانة علمية وثقافة عالية بل كان في أول نشأته مؤذناً عند أحد الوزراء ثم صار إماماً وجاب بلاد الأناضول والشام ومصر والعراق وذهب الى ايران وعلى عهد السلطان محمد الرابع (١٠٥١ - ١١٠٤ هـ) رافق هيئة السفارة التي ذهبت الى (فينه) ومن هناك طاف بلاد الألمان والفلنك ، والدانمارك ، والسويد ، والبولون ، والروس ، وعاد الى اسطنبول من طريق القريم ووضع سياحته المشهورة التي قال شمس الدين سامي بك في قاموس أعلامه عنها انها لا تخلو من مبالغة .

ومما قاله عن يزيدية سنجار : « انهم وسخون وفي رؤوسهم القمل والصواب واكثرهم قصيرو القامة ، وليس لهم رقاب واضحة ، فكأن رؤوسهم خرجت من اكتافهم ، وان الأكراد هناك يسمونهم باهل الشوارب الثمانية إشارة الى ان لهم حاجبين وشاربين وشعراً يخرج من أنوفهم وآخر من آذانهم ، جلدهم اسمر غامق وأسنانهم كالسنان الخيل ، وولدهم أسمر لحد العشرة من عمره ، فاذا تجاوزها كان كبن العشرين أشعر ، وان نساءهم لا يضعن اولادهن قبل مرور سنة كاملة . »

والحق ان أحداً غير « اوليا جلبي » لم يستطع ان يصم أحداً بهذا الشكل اللاذع وهو بارع في هذا الفن وله اليد الطولى فيه .. أما انهم وسخون وفي رؤوسهم القمل والصواب يجوز ان يكون صحيحاً . وأهل القرى والبوادي أكثرهم على هذا الوصف ، والنظافة هي من مميزات أهل الحواضر والمدن . إلا ان وصفه لهم بقصر القامة ، وأنهم ليس لهم رقاب واضحة ، وكأن رؤوسهم خرجت من أكتافهم ، فهو تشنيع واختلاق ، وكل من عرفهم ينكر عليهم هذا الوصف . وقد يتميزون عن شعوب الأكراد قاطبة بضخامة جثثهم ، واعتدال أقومتهم ، وطول أعناقهم ، حتى شبههم نوري باشا في كتابه « عبده » ابليس « بالأرمن الذين في وان وبدليس . وهم على غاية من الصباحة والملاحة . وقد

انتهت في شبانهم الرشاقة واللطافة ، وقد يتخذ « الجوانا » منهم غداير يرسلونها على أكتافهم فتزيدهم ملاحه وسحرأ . فأين هذا من نعمهم بذوي الشوارب الثمانية ، وإن ولد لهم أسرد لحد العشرة من عمره ، فإذا تجاوزها كان كابن العشرين ؟

واسنا نعلم ماذا قصد بقوله : أن نساءهم لا يضعن أولادهن قبل مرور سنة كاملة ؟ وإذا كان يريد أن يدل على نقص في خلقتهن وضعف في بنيتهن ، فلا يكون ذلك سبباً في تغيير سنة الله في مدة الحمل وجعل المرأة في مصاف البقر والحير ، ولكن أين له أن يعلم أن المرأة البزيدية في سنجار قد لا تنقطع عنها العادة الشهرية إلا في سن الحسين والخامسة والحسين ؟ وذلك لاعتدال صحتها وقوة بنيتها . ولم يوال ولاية بغداد والموصل حملاتهم على سنجار إلا قصد سبي نسائه وفتياته للاستمتاع بهن لما عرفن به من الجمال البارع والحسن الساحر .

قال : « وللكلاب عندهم حرمة ، فإذا وضعت المرأة أرضعت إبنها بحليب كلبة سوداء ، وإذا ضرب أحدهم كلباً يخشى عليه أن يقتل ، وفي كل بيت خمسة كلاب إلى عشرة . وفي باديء الأمر يقدمون الأكل إلى الكلاب ثم يأكلون فضلاتهم . وتنام الكلاب معهم . وقد تبلغ قيمة الكلب الأسود عندهم ألف قرش أو عشرة بغال . فإذا ولدت الكلبة يتخذ لها مهرجان ، وإذا مات كلب أسود يغسلونه بماء البصل ويكفنونه ويذهبون به إلى المقبرة فيدفنونه ويتخذون له مأتماً ، ويطعمون خيرات لروحه كباباً (مشويًا) يوزعونه على الكلاب الباقية ، وكل من يموت يوضع في كفه شعر الكلب .. »

وهذا منتهى الغلو في التشنيع ، ولا نخال أن قوماً أظهروا مثل هذه الحرمة لكلابهم مهما بلغ بهم التوحش ، ولا ينكر أن القبائل التي تعيش في البراري ورؤوس الجبال يعطفون على الكلاب بصفتهن الحراس الأمينين لهم ، ولا يرضى أحد أن يمس آخر كلبه بأذى وسوء ، إلا أنهم يقدمون أولاً الطعام إلى كلابهم ثم يأكلون فضلاتهم ، وإذا مات كلب يغسلونه بماء البصل ويكفنونه ويدفنونه ، ويتخذون له مأتماً ويطعمون لروحه خيرات كباباً مشويًا ، وإذا وضعت المرأة ترضع إبنها بحليب كلبة سوداء ، وكل من يموت يوضع في كفه شعر الكلب ، وإذا ضرب أحد كلباً يخشى عليه من القتل ، فذلك

لم يقم منذ خلق الله البشر وخلق الكلاب ... فإذا كانت حرمتهم للكلاب على هذا الوصف هي عقيدة دينية ، فكيف ومن أين دخلت عليهم هذه العقيدة ولا نجد لها أثراً بينهم ؟ وإذا كانت عادة جروا عليها وحدهم ، فلا احتمال لذلك ، وهم قوم ذوو شتم وإباء ولا يرضون لأنفسهم مثل هذه الحطة والمعة ؟

قال : « وللبصل والجبن عندهم حرمة كبيرة ، وذلك أنهم يحملون البصل والجبن غذاء لهم . ومن ضرب أمامهم البصل يجمع فكسر رأسه يخشى عليه أن يقتل ويمرر رأسه كما فعل بالبصل . وأغرب ما عندهم أن الغني لو مات يغسل بماء البصل ، ويفرس البصل في قبره .. »

إن اتخذهم البصل والجبن غذاء لهم ، ليس فيه ما يعابون عليه ، وجميعنا نأكل الجبن والبصل ، وحتى أوليا جلي نفسه . وإن من ضرب أمامهم البصل يجمع فكسر رأسه يخشى عليه أن يقتل ويمرر رأسه كما فعل بالبصل ، فهو خبر مختلف لا أصل له . وقد أجريت هذه العملية فعلاً أمامهم في ولائهم التي حضرتها أكثر من مرة ، فلم أجد منهم من يستنكرها . ثم ما هي البركة التي يجدونها في البصل حتى يستخرجوا مائه ويفسولون أمواتهم الأغنياء فيه ؟ أم لرائحته العطرة الطيبة ؟

وقد توهم عندما رأى بصلاً مغروساً في قبر وظنه من ذلك البصل الذي يخشى على من كسر منه رأساً يجمعه أن يقتل ويمرر رأسه وهو أن يكون على الغالب من بصل السوسن أو النرجس الذي يزرع في القبور عادة ، كما نشاهده في مقابر المسلمين في الجبال . وهذا كله ما يدلنا على أن أوليا جلي قد تعمد اختلاق هذه الأخبار عن يزيدية سنجار ، وقد نقلها صاحب تاريخ البزيرية وأصل نخلتهم عنه وأشار إلى أنه بالغ كثيراً فيها . وقد نقل عنه حديث الحية (ص ٧٠) بعد أن ألقاها نوح في النار وأحرقها ، وهو لا يقل سخافة عن بقية أخباره .

﴿ الشيخ علي الشرقي النجفي وأبجانه عن البزيرية ﴾

ترجع معرفتي بالشيخ علي الشرقي إلى سنة ١٩٢٤ عندما كنت قائماً قاضياً في قضاة الشرطة في لواء المنتفق .

والشيخ علي الشرقي معروف بأدبه الجم وعلمه الغزير وفكاهته الحلوة ، وهو مع ذلك ولوع بالبحث والتنقيب عن الديانات الشرقية ومنها اليزيدية التي كثرت رغبة البحث عنها . وكنا نتداول البحث عن تاريخ هذه الطائفة ومسائلها الدينية ، وقد حصل لديه مجموعة معلومات عنها .

وقد أودع معلوماته الثمينة في مقال نشره في الجزء السادس من المجلد الحادي عشر من مجلة العرفان الفراء سنة ١٩٢٦ شباط (١٣٤٤ شعبان) تحت عنوان (اليزيديون او البازيدية) وتكرم وأهداني منها نسخة مما أوجب مزيد شكري وامتناني له . فبعد ان ذكر في مقاله اجتماعه بي في مدينة (الشطرة) التي بلغها في اصطيفاه في ضواحي نهر الغراف المبارك وما دار بيني وبينه من السمر الأدبي الذي كان الموضوع البكر منه تاريخ اليزيديين ومسائلهم الطائفية ، انتقل الى البحث عن اجتماعه ببغداد بالفاضل البجاعة الاستاذ يعقوب نعوم سر كيس من بيوتات المسيحيين المنزه بها والقديمة في العراق ، ووقفه لديه على كتاب مأخوذ بالتصوير الشمسي في تاريخ اليزيدية أهم ما وجدته فيه من فصول كتابهم المقدس كتاب (الجلوة) المحظور قراءته حتى على أكثر الخاصة منهم ، وعثوره على مستند تاريخي يتعلق بتاريخ (الشيخ عدي) ونشأته الأولى في مجلة وضيفة دار السلام عدد ٣١ المجلد الثالث عن مخطوط قديم باللغة الأرمنية نقل الى الفرنسية ومنها الى العربية ثم قال : وتصفحت شيئاً من تاريخ الملل الاسلامية وما جاء في كتب الآداب والنحل ، وقرأت شيئاً من آراء المستشرقين في هذه الطائفة مثل ما كتبه الموسيو بورتوكاليان ، والسر مارك سايكس وكثير من أمثالهم . والخلاصة التي توصل اليها في نتيجة تدبعاته ودراساته ، حصرها في مقال الذي نحن بصدد البحث عنه ، يحتوي على خمسة فصول لم تستغرق أكثر من سبع صفحات .

الفصل الأول : (اسم هذه الفرقة) :

يقول فيه : « اشتهرت هذه الفرقة باسم (اليزيدية) فقبل انه نسبة للأُموي يزيد بن معاوية ، وانهم يقدسونه . ويمكن ان يكون هذا وهماً نشأ بين جماعة من الكتاب ومنشأه أن هذه الطائفة تقدر الشيخ عدياً وهو أموي كما تنسبه النسخة التي بأيدينا ، فوهم

بعض الكتاب أن عدياً أحدث طريقة تقديس أشياخهم ومنهم يزيد .
أقول : ان نسبة (اليزيدية) الى يزيد بن معاوية الأموي ليس فيها شيء من التوهم ،
وقد اتضح ان الشيخ عدياً الذي تقدسه هذه الطائفة أموي ، واذا لم تكن طريقته مبنيّة
على تقديس الأشياخ الأمويين ومنهم يزيد ، فالذين أعقبوه من أهل بيته وتولوا
الارشاد بعده كانت طريقتهم مركزة على تقديس هؤلاء الأشياخ وتأليهم ومنهم
(يزيد) الذي اعتقدوا بألوهيته . وفي هذه النسبة من الوجاهة ما يجعل القول بنسبة
هذه الطائفة وديانتهم نارة الى (يزيد بن أنيسة الخارجي) وتارة الى مدينة (يزد) في
فارس ، او الى كلمة (يزدان) التي تطلق على البارئ تعالى بعيد عن الاصابة .

وبعد ان نفى الاستاذ إمكان إصابة هذه الاقوال جميعها ذهب في تسمية هذه الطائفة
مذهباً على جانب من الغرابة وهو تسميتها بازيدية (بالباء) بدلا عن يزيدية وذلك
لاعتبارات ثلاثة وجدها مبررة لهذه التسمية . وهي أولا - عشوره في النسخة القديمة
المأخوذة بالتصوير الشمسي على لفظ بازيدية (بالباء) اكثر من ٢٠٠ مرة ، ثانياً - ذكر
هذه النسخة بلادهم القديمة حسب ترتيب سناجقهم ، وجعل سناجقهم السابع على مملكة
وان وبازيد وحكاري حيث لم يكذبك بنسبتهم الى (بازيد) . ثالثاً - عدم وجود
تطبيق حقيقي لنسبة يزيدية غير تصادم ظنون وشكوك ، يقول : وقد نحت اسم
(بازيدية) وتحرف الى (يزيدية) ، ولذلك فهم بازيدية (بالباء) لا يزيدية ، على أننا
اذا وافقنا الاستاذ على توجيهه هذا يجب ان نسميهم (بازيدية) لا (بازيدية) لتصح
النسبة الى (بازيد) معرضين عن جميع الاعتبارات التي نجعلنا نرفض صحة هذا التوجيه
ونحن مدينون بالشكر للاستاذ يعقوب نعوم سر كيس صاحب هذه الرسالة فإنه أزال
الالتباس في هذه التسمية إذ ذكر في مقال له نشر في مجلة لغة العرب البغدادية في البحث
عن هذا الكتاب ما هو بالحرف :

« وما اكثر غلطات هذا المخطوط في الكتابة فضلا عن غيره ، فإنه كتب في سطور
(ص ١) (الانبياء) بمعنى (الانبياء) والاولية (للاولياء) ونخاصمه (عند كلامه
عن آدم وحواء) في (نخاصما) فمن كان على هذا الجهل فله ان يكتب (بازيدية) بالياء

وليس بالبلاء - عن يزيدية .

وفي الفصل الثاني عن (جنسيتهم) يقول :

« يظهر ان جنسيتهم كردية ، ويمكن ان يقال أنهم قوم كردي خاص باق على قدمه ، وأكثر عاداتهم وتقاليدهم عين العادات والتقاليد الكردية ، وقد أشير لهم في خريطة الألوان البشرية بلون غير اللون الكردي ، ولكن الخريطة التي أصدرتها جمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩١٠ تشير اليهم الى الاكراد بلون واحد ، إلا ان الاختلافات السياسية حول الموصل بناء على أساس القوميات إدعت أنهم يشكلون جسماً مدمجاً من الاكراد والأتراك ، وجاء في النسخة القديمة ان مبادي هذه الفرقة كانت معروفة قبل الشيخ عدي في قبيلة كردية من القبائل القاطنة شمال العراق وهي قبيلة ترهايا .

أما أنهم قوم كردي خاص باق على قدمه فلا نخالفه فيه ، وأما ان الاختلافات السياسية حول الموصل بناء على أساس القوميات إدعت أنهم يشكلون جسماً مدمجاً من الأتراك والترك فلم يك وارداً ، ولم يندمج الاكراد بالترك يوماً ، وهم آريون والترك طورانيون والسياسة التي اتبعها الأتراك مع الاكراد في العصر الأخير زادتهم بعداً عنهم .

وما جاء في النسخة القديمة من ان مبادي هذه الفرقة كانت معروفة قبل الشيخ عدي في قبيلة كردية من القبائل القاطنة في شمال العراق فهو المبدأ الذي نجاهر به . وكانت هذه الفرقة مجوسية ، وعندما أدركها الشيخ عدي هداها الى الاسلام . إلا انها لم تكن القبيلة المعروفة « بترهاية » إذ التاريخ لم يؤيد مجي هذه الفرقة الى شمالي العراق . وسواء كانت هذه الفرقة هي التيرهاية « تيرهية » أم غيرها ، فالمبادي التي نجدتها في اليزيدية الآن هي مجوسية لا غبار عليها .

وفي الفصل الثالث عن « إحصائهم ومواطنهم » يقول :

« عدد نفوس البازيدية اليوم يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ ألف نسمة » .

إن هذا العدد في لواء الموصل فقط ، وتقدر نفوسهم خارج العراق بنحو ٧٠ الى ٨٠ ألف نسمة .

يقول : « وكانوا أوفر من ذلك ، ولكنهم أنفقتهم الاضطهادات ، وقد هلكوا في

العشرين الثامن عشر والتاسع عشر في المعارك التي نشبت بينهم وبين الترك وثم العرب وبالحجزرة التي تلت ذلك .

أقول : أن نفوسهم في القرن السادس عشر والسابع عشر كانت تقدر بمليون نسمة ، والاضطهادات التي أشار إليها هي التي أوقعها أمير الصوران « محمد باشا » الراوندوزي عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) في يزيديّة الشيخان ، أهلك فيها منهم نحو ١٠٠ ألف نسمة . يقول : « ولغتهم كردية ، وهي اللغة المقدسة عندهم ، ويعتقدون أنها لغة الله ، وبها تكلم مع آدم . ولكن تطرقت اليهم اللغة العربية من طريق الكتابة ، لأنه لا توجد لغة كتابية كردية . فاللغة العربية عندهم لغة اللاهوت ، والمؤسسون لطريقتهم عرب مثل الشيخ عدي ونفر الدين وشمس الدين وشرف الدين وأضرابهم » .

أما ان لغتهم كردية وهي مقدسة عندهم ، ويعتقدون أنها لغة الله وبها تكلم مع آدم ، فهو صحيح ، ولكنهم لا يمارسون القراءة ولا الكتابة حتى يمكن القول أن اللغة العربية تسربت اليهم من هذا الطريق . والذين يعرفون العربية هم أهل قرية بعشيقه وبحزاني وأصلهم عرب وفدوا من الشام على عهد الشيخ عدي كما هو متواتر ومعروف . وكذلك قليل من أهل الشيخان وأقل منهم في سنجار ، تعاملوا العربية بواسطة مجاورتهم للعرب المسلمين .

واليزيدية لا يعرفون اللاهوت ، ولا يوجد بينهم لاهوتيون ، ويرتل القوالون في حفلاتهم الدينية بعض الأناشيد باللغة العربية ، ولكنهم لا يفهمون لها معنى . والشيخ « شرف الدين » لم يثبت له اشتراك في وضع هذا الدين وقد قتله المغول وهو في سن الثانية والعشرين كما سبق ذكره .

ونأخذ على الأستاذ إدخاله « عدياً » في عداد مؤسسي طريقتهم ، وقد أراد طبعاً الديانة اليزيدية ، والشيخ عدي هو الذي هداهم الى الاسلام وطريقته لا مطمئن فيها . وقد شهد جماعة من علماء الاسلام بصحتها . والمؤسس الحقيقي لهذه الديانة هو الشيخ شمس الدين الحسن الذي نوه بذكره المؤرخون .

وفي الفصل الرابع في البحث عن « عقيدتهم » يقول :

« ولم تزل عقيدتهم رمزاً مقفلاً في وجه الباحثين ، ويظهر أن فيها تلفيقاً كثيراً من المجوسية واليهودية والاسلامية ، ويمكننا القول ان (البازيدية) المعروفين بعبدة الشيطان ، لأنهم يقدسون الملك طاووس . ومعلوم ان طاووس الملكة هو الشيطان ، و (البازيدية) لا تتلفظ بلفظ الشيطان ولا تنهجه ، هم أولاً من بقايا المجوس ، والمحافظة لهذه القبيلة ، هي القبيلة الكردية التي تلقبها النسخة اليزيدية بقبيلة ترهايا » .

ونحن نتفق مع الاستاذ على ان عقيدتهم كانت رمزاً مقفلاً في وجه الباحثين ، حتى أنهم جهلوا حقيقة شيخهم الشيخ عدي بن مسافر ورموه بشئ المفتريات والأباطيل ، أما الآن فلا ! إذ ان كثرة الأبحاث والتتبعات أوصلتنا الى معرفة هذا الدين ، وحلت لنا الرمز المقفل في وجه معتقداته ، وإن كان البعض لا يزال يضل في البحث ويحيطه بسياج من الشكوك ، فهم قبل كل شئ مجوس ، ثم لحقتهم الثنوية الماوية ، وعندما ظهر الشيخ عدي بن مسافر دعاهم الى الاسلام ، فأسلموا وحسن اسلامهم ، وظهر فيهم علماء وحفاظ ومحدثون وغزاة ومجاهدون ، وأهل تقوى وصلاح ، ثم دخلتهم عوامل الفساد ففسدوا بالشك اليهم وأخذوا تدريجياً يرجعون الى المجوسية التي يظهر ان مرشدهم الكبير عندما تولى أمرهم لم يستأصل جذورها منهم تماماً وأصبحت ديانتهم ذات طابعين مجوسي واسلامي الا ان الطابع المجوسي فيها أصبح أوضح أثراً .

وما اعتقده ان ديانتهم ملفقة من المجوسية واليهودية والمسيحية والاسلامية يدل على انه يشك في اسلاميتهم ويعتقد انهم بنسبة ما أخذوه من الاسلام أخذوه من النصرانية واليهودية على اننا اذا تعمقنا في هذا الدين ودرسناه درساً وافياً لم نجد فيه اي تلفيق من اي دين بل هو اسلامي صرف ، فتاريخه مضبوط ، والقائمون به رجال البيت العدوي ، وعلى يدهم ولد وتدرج حتى أخذ هذا الشكل ، فإذا كان فيه تلفيق من اليهودية والنصرانية فيجب ان يكون حصل على يد رجال هذا البيت . ورجال هذا البيت لم يكن لهم مصلحة في تلفيق دينهم الذي وضعوه من هاتين الديانتين ، وغاية الذين اضلوهم إرجاع هذا الدين الى المجوسية القائمة على تأليه الأشياء والأشخاص ليحيوا في نفوس أصحابه هذه النزعة وينزلوا أنفسهم عندهم بمنزلة الآلهة وقد حصل لهم ما أرادوا .

إن أول من أوجد هذه النظرية ، أي نظرية اشتراك عناصر أديان مختلفة في هذا الدين وعمل على ترويحها الكتاب الأجانب أمثال براون ، وجوزيف ، وفرلاني ، وكابوت وتبعهم الدكتور رزيق فذهب الى هذا الرأي كتابنا الشرقيين كالمسألة المرحوم احمد تيمور باشا والعزاوي والشرقي ، ولو أحاط كتابنا إحاطة تامة بهذا الدين ، لما أتبعوا هذا الرأي وعملوا على ترويحها ، وسنزيد في هذا البحث ايضاحا عن ذلك .

يقول : « ثم نبغ بينهم من رجال الباطنية عدي بن مسافر الأموي فنظم مبدأهم ولفقه تلقيقاً » .

ان سلوك الشيخ عدي الديني وطريقته تنفي هذه المزاعم . وواحد من مؤرخي الاسلام لم يشر الى أنه كان باطنياً يقول بالأباحية ورفع التكليف وغير ذلك من مستلزمات الباطنية وقد سار على نهجه الشيخ ابو البركات صخر بن صخر ، وولده عدي بن ابي البركات ولم يرو عنها اعتراف او زيف . وكان الناس يميلون اليها ميلاً عظيماً وبحسنون الظن فيها الى ان ظهر الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني بن ابي البركات ، وهناك وعلى يده تطورت هذه العقيدة وخرجت عن أصلها .

ان دعوى كون الشيخ عدياً بن مسافر باطنياً وكونه نظم هذا المبدأ ولفقه تلقيقاً قال به جماعة من الكتاب الاجانب ووافقه عليهم عليه البعض من كتابنا الشرقيين والآخر بأقوال هؤلاء الاجانب ونفي شهادات أعظم الاسلام كالامام ابن تيمية والمؤرخ ابن الأثير وابن خلكان لا يدل على اصابة وعدل .

وما قال الاستاذ : « انهم يقدسون النار ويمبدون الشمس بالسجود لها في كل صباح ومساء » واستدلالة عليه : « بوجود علاقة متينة بينهم وبين المجوسية » فهو صحيح وقد قطع كل محجة لمن يريد إرجاع هذا الدين الى أصول مختلفة ويعملون ما يجدونه فيه من عادات وتقاليد وعقائد تعليلها غير صحيح ، إلا اننا لا نتفق معه على « ان الشيخ عدياً جرحهم الى الباطنية ، لانهم يقولون بالباطن والظاهر والذسخ والحلول ، ولأنهم يحترمون عدد السبعة ، فالسناجق عندهم سبعة ، والملائكة المدبرون لهذا العالم سبعة ، وأيام التكوين عندهم سبعة ، ولأنهم يعبرون عن المسلمين بالاسماعيليين . فيظهر انهم من

الباطنية الممتازة ، ولعلها باطنية أسسها ذلك الشيخ الأموي مقابلة للباطنية التي أسسها العلويون ، ولأن سرهم ودينهم مكتوما ، والتقية عندهم أكيدة شديدة ، وهو مبدأ (محمد المكتوم) من الباطنية ، ولأنهم يحترمون كثيراً من مشايخ الطرق الباطنية كالشيخ الجيلاني ، والشيخ حسن البصري ومنصور الحلاج .

ونرى فضيلته يميل كثيراً إلى جعل عدي باطنياً ويدخله في عداد المشايخ الباطنيين ، وأنه هو الذي جر قومه إلى الباطنية . وإذا أردنا أن نطلب منه الدليل على ذلك فلا نظن أنه يدلنا على أكثر مما يشاهد في أصحابه من العقائد الفاسدة التي تخالف ما جاء به الإسلام . على أنهم إذا كانوا يقولون بهذه العقائد فليس معناه أن الشيخ عدياً هو الذي وضع بذرتها فيهم وهو الذي دلم عليها . وقد شهد ابن تيمية بأن : « طريقة قدس الله روحه كانت سليمة وليس فيها من البدع » فهل بعد هذه الشهادة محلاً للشك في عقيدته وسلوكه ونهجه ؟ وشهادة ابن تيمية لها قيمتها وهو قريب عهد منه ، ومعرفته به أصح من معرفة « بادجر » وشهادته أقدم من شهادته .

أما أن الشيخ عدياً وضع هذه الطريقة مقابلة للشيعة الاسماعيلية التي أسسها العلويون وجر إليها قومه ، فلا نتفق وحضرة الاستاذ عليه . وإذا كان قومه يقولون بسبعة آلهة ، وأن أيام التكوين عندهم سبعة ، فذلك لا يعد دليلاً على أنهم يحترمون عدد السبعة وأنهم قد ضاهوا الاسماعيلية فيه وهذا وقع من باب الصدفة والاتفاق .

ثم لم يكن القصد من تعبيرهم عن المسلمين « بالاسماعيليين » إرجاعهم إلى اسماعيل بن جعفر الصادق بل جعلهم من أولاد نبي الله « اسماعيل » ليميزوا أنفسهم عنهم من الناحية العنصرية . وهم يدعون أنهم من عنصر خاص غير هذا البشر ، وأن أمهم « حورية » نزلت من الجنة . وقد عبر كتابهم « مصحف رش » عن الرسول الكريم نبي الاسماعيليين . ولم يكن لجعل سرهم ودينهم مكتوما علاقة بمبدأ « محمد المكتوم » وكل ما هنالك أنهم جعلوا دينهم مكتوما كي لا يتسرب الفساد إليه . وهذا ما نجده في كثير من الجمعيات السرية التي تقوم على مبدأ السياسة والدين فقد يحرصون على أن يحيطوه بالكتان خوفاً من ذبوع أمره .

وما قاله عن عملهم بالتقية وانها عندهم اكيدة وشديدة ، فبوسعنا ان نطمئنهم بانهم لا يعرفون التقية ولا يعملون بها . والتقية عادة تلجأ اليها كل أمة ضعيفة ومضطهدة ، واليزيدية لم يكونوا كذلك .

واذا كانوا يحترمون كثيراً من مشايخ الطرق كالشيخ الجيلاني والحسن البصري والحلاج وغيرهم ، وأدخلوهم في عداد آلهتهم ، فقد حصل لهم هذا الغلو في هؤلاء المشايخ بعد ان فسدت عقيدتهم وآل أمرهم الى أناس أبعدهم عن الاسلام .

يقول : « وعندهم شعار سنوي وهو تضحية المعجل الأبيض وهذا يشبه مسألة المعجل المهان عند الدروز » .

ان احترامهم المعجل او الثور وتضحيته ، عادة كان يعمل بها كثير من الأمم السالفة . وكان الصائبة الحرايبون يذبحون في اليوم السادس من عيد رأس السنة ثوراً لآلهتهم القمر ويأكلونه آخر النهار (١) ، واليزيدية يذبحون ثوراً في « عيد الجماعة » ويأكلونه تبركا ولكن لا يشترط ان يكون أبيض .

يقول : « وهم يعتقدون في الشيخ عدي كما تعتقد النصيرية في الامام علي » . أقول : قد يتفقون مع النصيرية ومع كثير من فرق الشيعة المتطرفة في كثير من معتقداتهم . ولكن لا يصح ان يقال انهم اقتبسوا هذه العقائد منهم . والمشاركة بمبدأ واحد لا يستلزم فيه الاقتباس ويجوز انهم والشيعة المتطرفة أخذوا هذه العقائد من منبع واحد .

يقول : « ويحترمون يوم الجمعة ويقدمون مكة وعرفات وزمزم ، ولكنهم يدعون ان الشيخ عديا نقل الى بلاده بصورة معجزة مكة وعرفات وزمزم » .

أقول : ان احترامهم يوم الجمعة هو مظهر من مظاهر الاسلام ، وكانوا الى قبل ثلاثة عصور - عندما لم تكن صبغة الاسلام قد زالت عنهم - يصلون صلاة الجمعة في مساجدهم وفي كتاب « الرد على الشيعة واليزيدية » لأبي فراس بن جميل الذي ذكره الاستاذ العزاوي في كتاب « تاريخ اليزيدية » انهم كانوا قد اختلفوا فيما بينهم في فرضية صلاة

الجمعة وعدم فرضيتها ، واذا كانوا قد تركوا صلاة الجمعة فيمعدون يوم الجمعة من أيام اعيادهم ويحرمون الاشتغال فيه . ومن هذه المظاهر : الحج الى بيت الله . اذ عندما انقطعوا عن الذهاب الى مكة لأداء فريضة الحج ، استعاضوا عنها « لالش » ورمزوا عن « عرفات » بجبل يقع شرقي المرقد ، وعن « زمزم » بالعين البيضاء وهي عين هناك واعتقدوا ان ذلك من معجزات الشيخ عدي وكراماته . وقد ورد ذكر العين البيضاء في قصيدة ينسبونها الى الشيخ عدي بقوله :

وأنا الذي أجريت عينا مأوها أحلى وأعذب من جميع الماء

يقول : « ان قضية البازيدية مظهر من تلك المظاهر ، فكانت ديانة متكونة من خليط الديانات ، وملفقة تلفيقا غريبا ، وفيها ادماج وتداخل عجيب لجميع العناصر » . أقول : مر بنا القول ان هذا الدين ليس فيه ما يقال عنه تلفيقا وإدماجا وتداخلا من أي دين من الأديان ، عدا الأديان التي تقول بثنوية الآلهة . وهنا نكرر ما قلناه آنفا عن بطلان هذه الدعوى ، إذ مما لا شك فيه ان الأستاذ عني بقوله : « خليط الديانات » اليهودية والنصرانية وهما الديانتان اللتان يدعي الباحثون وجود أثرهما في هذا الدين أكثر من أي دين آخر . فاذا رجعنا الى أول عهد هذا الدين والظروف التي كانت محيطة به ، نجد حياته الاسلامية كانت قصيرة جداً لم تبلغ المائة سنة ، وهذه المدة لا تكفي لأن تؤثر اليهودية والمجوسية فيه ، ويأخذ منها ، وهو متحمس لمبادئه منتهى التحمس وامتزاج وتلفيق كهذا يحتاج الى زمن طويل ، وبعد ان قطع علاقته عن الاسلام وظهر بمظهره الذي هو عليه الآن ، نراه قد حفر على نفسه الاختلاط مع كافة الأديان ، إسلامية كانت او يهودية او نصرانية وعاش في معزل عنها . فاذا علمنا هذا ففي أي دور من أدواره حصل له هذا التلفيق والادماج مع هاتين الديانتين ؟ واذا أعرضنا صفحا عن هذه الاعتبارات ونظرنا في العقائد التي يقال انها دخلت عليه بالطريقة التي يعينها الاستاذ فلا نجد ما يحقق هذا الرأي . يقول الاستاذ « انهم أخذوا الخير والشر وعبادة الشمس من المجوس » وهذا صحيح ، والمجوسية هي الأصل لهذه الديانة قبل ان عرفت الاسلام . وأما قوله انهم « أخذوا السلم والنصيحة والتعميد من النصارى »

فلا تنفق وإياه عليه ، اذ لو كان دينهم يأمرهم بالسلم والنصيحة ، فن الاخرى ان يأخذوها من الاسلام الذي أرضهم أفاريقه وأنشأهم في أحضانه . ثم ما هم السلم وحياتهم كلها حرب وضرب وطمع وقتال ، وقد قتلوا من الاسلام وقتل الاسلام منهم مئات الألوف ، فهل نمر عن هذا بالسلم والنصيحة ؟ أما التعميد فكذلك لا وجود له عندهم ، ولا يعرفونه ، وقد تكلم عنه كتاب النصارى وادعوا عملهم به وهو غير صحيح . وعندى ان احد الرواد الأجانب حضر المرقد المبارك ، ورآهم يطهرون اشيائهم التي مستها نجاسة في العين البيضاء وهكذا كانوا يفعلون في طفل صغير ولد لهم حديثا ليظهره من دنس الولادة فظنه تعميدا وأذاعه ، فأخذ منه غيرهم من الكتاب النصارى ممن لاقى هوى في نفوسهم وجعلوه شريعة لهم .

وما يقوله عن انهم « أخذوا الحج والفقهاء عن الاسلام » فان عملهم بالحج معلوم وهو زيارتهم مرقد الشيخ عدى في اليوم التاسع من شهر ذى الحجة لكل سنة واقامتهم مناسك الحج فيه طبقا لما هو جارى في الاسلام ، وأما قوله اخذهم الفقهاء من الاسلام فلم نفقه القصد منه . فاذا كان قصد الفقهاء بمعناه المعروف ، فالقوم لا يققهون من الدين شيئا حتى يخصهم به ..

ثم ما معنى تخصيص اخذهم الفقهاء والحج من الاسلام وترك بقية المظاهر الاسلامية التي نجدونها فيهم كعملهم بسنة الختان ، وصيامهم ثلاثة ايام في كل سنة بدلا من صيام شهر رمضان وصلاتهم ليلة القدر في مرقد الشيخ عدى اعتقاداً منهم انها تجزى عن صلاة سنة كاملة ، وابتنائهم بأربعة نساء وعماهم بمادة عقد النكاح والطلاق ، وقراءة أسرة الشيخ حسن القرآن ، وتسميتهم أولادهم باسماء اسلامية وغسلهم أمواتهم وتكفينهم عند الدفن ؟ ولو تيسر له مخالطة يزيدية سنجار لرأى الطابع الاسلامي عليهم ظاهراً قاداتهم وتقاليدهم وما آكلهم ومشاربهم اسلامية لا غبار عليها ، فهم يعملون بعبادة (السلام) كما هو جارى عند المسلمين ، ويقول أحدهم للآخر ويقولون للمسلم في حديثهم معه (رحمت البايته) اى رحم الله أباك ، ويقولون لشارب الماء (عافيت بيت) اى عافاك الله ، ويقولون لمن يأتي من مكان بعيد (بخير هاتي) اى أتيت بخير ، ويفسلون

أيديهم قبل الطعام ، وان لم يعرفوا الطهارة ، ويحتنبون التبول وهم وقوف ، الى غير ذلك من المسائل الكثيرة .

يقول : « وقد أخذوا من الشيعة خاصة التقية » .

والتقية كما قلنا آنفاً عادة يعمل بها الضعيف المضطهد عندما يشعر باعتداه يقع عليه من هو أقوى منه .. وهي سجية كامنة في النفس يعمل بها الانسان بسائق الغريزة دون ان يجد حاجة لأخذها من غيره . واليزيدية لم يكونوا في سابق عهدهم ضعفاء أذلاء حتى يعملوا بهذه العادة بل كانت القبائل المسلمة المجاورة لهم تعمل بها معهم .

يقول : « وقد أخذوا من اليهود تحريم كثير من المأكولات » .

وهذا ما يردده اكثر الباحثين وينزلونه بمنزلة الحقيقة ويمدون الكلام عنه فضولا . على ان الأمر ليس كذلك ، وكل ما قيل ويقال عن هذا لا نصيب له من الصحة . فاليهود الذين عاشوا في ذل ومهانة طيلة حياتهم لم يتصلوا بهؤلاء القوم حتى يصح القول ان عادة تحريم المأكولات سرت منهم اليهم . فاليهود يحرمون ثلثاية وستون نوعاً من المأكولات ولم يحرم اليزيديون واحداً منها . وكل ما هنالك ان بعض الشيوخ منهم ، - وليس كلهم - وقسم من مريديهم يجتنبون أكل بعض المأكولات موافقة لشيوخ طرائفهم ، فعلى بعض الباحثين دخوله عليهم من اليهود . فشيوخ الشيخ حسن بحرمون أكل لحم الغزال لعدم إياه من غنم الشيخ شمس الدين وعيونه تشبه عيونه . وبحرم بيرة جروانة أكل لحم الديك لمشايبته بديك العرش . وشيوخ الشيخ نحر بحرمون أكل السمك لأن يزيداً عندما أراد ان ينصب خيمته في البحر ولم يجد ما يركز أوتادها عليه تطوع ومد عنقه له . وبحرم شيوخ شيخ سينا أكل لحم الأرنب لأن الشيخ سينا كان يتقزز من أكله ، ولأنه كان السبب في ذهاب الشيخ زين الدين الى مصر . وبحرم شيوخ الشيخ شرف الدين أكل لحم الحمام لأنه كان ينقل الرسائل بين الشيخ زين الدين يوسف والشيخ عدي في لالش . وبحرم شيوخ الشيخ نحر أكل اليقطين لأن الشيخ نحر الدين زرعه في بستانه ، ويقال لأن النبي يونس استظل فيه عندما لفظته الحوت . وبحرم اهل سنجار أكل اللوبيا لأن الجنزير عطسها من أنفه وكذلك الفاصولياء لأنها

واللوياء من فصيلة واحدة . واليزيدية قاطبة يحرمون أكل الخس لنجاسته وزادوا عليه في السنين الأخيرة اللهاة . وأسرة الأمراء لا يحرمون من هذه المأكولات شيئاً مطلقاً عدا الخس واللهاة . ونرى ان تحريم هذه المأكولات عند اليزيدية لم يكن عاماً بل يخص افراداً من الشيوخ ومريديهم لا يتجاوزون الواحد من المائة من مجموعهم ، وإباحته لا يعد إثمًا يعاقب عليه كما لو تأخر عن زيارة الطائوس ، أو أهان خرقة فقير ، أو حلف كذباً بمزار ما .

يقول : « وقد أخذوا من الوثنية السجود للصور » .

والصحيح أنهم يسجدون للتماثيل التي يرمزون بها عن الطائوس ، ويسجدون لقبور مشائخهم وأئمتهم وكل مكان شريف على زعمهم ، وهي عادات وثنية لا جدال فيها . يقول : « ويحترمون النبي محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) والقرآن الكريم ، كما يحترمون المسيح والصليب ، ولا شك أنهم من الباطنية الفاسدة » . ان احترامهم محمداً والقرآن الكريم لم يكن صحيحاً ، ويعدون محمداً أكبر أعدائهم ، لأنه - على زعمهم - عارض الديانة اليزيدية ولم يوفق . أما القرآن فقد ينكرونه وقد نهام الشارع عن التصديق به لأن أصحابه المسلمين بدلوا فيه وحرفوه عن مواضعه وإن كانت أسرة منهم تقرأه ، وفي فتوى الشيخ عبد الله الربتكي - سيأتي ذكرها - « وإن وقعت كتب الاسلام بأيديهم يلقونها في القاذورات بل يمزقونها ويتغوطون ويبولون عليها وذلك مشهور لا ستره عليه (١) » . وما يدور على الألسن من أنهم يحترمون المسيح والصليب فهو خطأ وقد أشاعه عنهم بعض دعاة المسيحية واعتقد الناس بصحته .

ورجال الدين اليزيدي - ونقصد بهم الشيوخ - يحملون احتراماً للأئمة العلويين - باستثناء الرسول - باعتبارهم إياهم قرشيون وهم والأُمويون من أرومة واحدة ، وهذا أكثر ما نجده في سنجار . ويطعنون بالنصرانية وذلك لان رؤسائهم الروحانيين لم ينسبوا الى سلالات معروفة ومعينة ، أي ان الصفة الروحية عندهم ليست وراثية ، (١) لا وجود لهذه المادة فيهم الان ولعل أنهم كانوا يعملون بها في العصر الذي كان صاحب الفتوى فيه .

وقد يناها أيا كان من النصارى وهذا نقص كبير في نظرهم .
والآن ننظر فيها ذكره تحت عنوان « ترجمة الشيخ عدي ونشأته او دير مار يوحنا »
وهو الفصل الخامس من كتابه :

يقتصر هذا البحث على المخطوطة التي يعزونها الى الراهب راميشوع من دير بيت
عابي ، يقال أنه كتبها الى صديق له يدعى الربان هرمز في دير ميخائيل من أربل عام
٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) وسنأتي عليها معربة من النسخة الكلدانية ونبحث عنها وعن الغاية
المقصودة من وضعها . والاستاذ الشيخ الفاضل يعتقد بصحتها ويرى عليها مسحة
تاريخية ، وقد أيد لي ذلك بحديث جرى لي معه . وحيث طال بنا الكلام عن مقال
الشيخ الاستاذ فنكتفي هنا بهذا ونشير الى ما رأيناه من الاوهام في هذه المخطوطة :
جاء فيها : في سنة ٥٩٠ للهجرة (١١٩٣ م) كان دير واقع في أعلا جبل من قرية عين
سفنة بناحية الموصل - وفي النسخة الكلدانية : أن الدير كان مملوءاً بالرهبان سنة ١٥٠٩
يونانية الموافقة لسنة ١١٩٨ م - ٥٩٥ هـ .

وجاء فيها : وكان لهذا الدير ٣٠ قرية و ١٠٥٠٠ خروف وعدد وافر من البغال والبقر .
وفي النسخة الكلدانية : وكان للدير أملاك نحو ٣٠ قرية وغنم تصعد الى زوزان وعددها
١٥٠٠ رأس من المعز .

وجاء فيها : وكانت في ذلك العهد قبيلة « زردنايا » تمت الى أمية ، وهذه القبيلة تسكن
جبل زوزان وتتصل بال عدي بلحمة النسب . والنسخة الكلدانية ليس فيها هذا الخبر .
وجاء فيها : وذهب الى خراسان وقابل قائد الجيوش المغولية وكان اسمه « اغاتول » .
وفي النسخة الكلدانية « باتو » وفي الفرنسية « اغاتو » .

وجاء فيها : وأطلعوه على ان أبناء عدي دعار وقطاع طريق وانهم أصحاب جراءة
وجسارة وهم على رأس ١٠٥٠٠ فارس . وفي النسخة الكلدانية : وتحت إسمهم ١٥٠٠
فارس . الى غير ذلك من اختلافات ناشئة من سهو الكتاب والمربين .

﴿ السائحة الانكليزية (مس روزيتا) وأبحاثها عن اليزيدية ﴾

نقتبس المقال الآتي من كتاب للسيدة (روزيتا) المتجولة الانكليزية التي جاءت العراق في الأعوام الأخيرة وكتبت عن أصحاب النحل والأديان الموجودة فيه ومنهم اليزيدية الذين لا يجوز لها ولغيرها من الرحالة الذين يجوسون خلال هذه الديار ان يبروا بهم من الكرام ولم يبحثوا عنهم ، وهذا ما كتبتة :

« اليزيدية وكما يطلق عليهم عادة (عبدة الشيطان) هم شعب غريب الأطوار يسكن في جوار الموصل ولا يعلم عن اعتقادهم الديني في الحقيقة إلا الشيء القليل ، وليس بين الاوربيين من يعرف هل انهم يعبدون الشيطان حقيقة ام يخافونه ، وأكثر ميلهم الى الانكليز وذلك لأن الممثل الانكليزي كان قد ساعدهم قبل عدة سنوات . والمسلمون دائما على ضد معهم ، وقد يعاملونهم بكل ما في استطاعتهم من قسوة قصد إبادتهم وقد قبض (الباشا) السابق على رئيسهم الكبير المسمى (الشيخ ناصر) ولكن تخلص بأن وضع رجم آخر في محله كان تحت سلطته ، وقد احتل هذا الرجل العذاب دون ان أفشى أمر سيده . واليزيدية يثنون على المستر (رسام) الذي كان معاون القنصل في الموصل فانه أنقذ هذا الرجل بدراهم من عنده وقد دفع اليزيدية له هذا المبلغ اخيراً الأمر الذي أدى الى تقوية الصلات بين اليزيدية والانكليز منذ ذلك الحين ... وقد كان لليزيدية قلعتان احدهما في الجبال غربي الموصل ، والاخرى على مسيرة أربعة وعشرين ساعة شمالاً ، وكان لهم قبيلة قوية جداً وقد نقص عددهم بنتيجة الغارات التي شنّها الاكراد عليهم والمذابح التي أوقعوها فيهم بين حين وآخر حيث لم يبق منهم إلا الثلث . وبما ان المسلمين يقاومون بشدة أي دين غير سماوي فقد وقع اليزيدية الذين هم من هذا القبيل تحت رحمتهم وقاسوا منهم الاضطهاد عدة قرون . وقد استسلموا أخيراً لهذا القضاء ولم يروا أية فائدة من مقاومة المسلمين .

ويعتقد اليزيدية بوجود كائن أعظم ولكنهم لا يعبدونه مباشرة ، فاسم (الله) تسمعه دائماً على شفاههم ولكنك لا تسمع اسم (الشيطان) منهم أبداً وهم يمتنعون عن ذكر اي كلمة تبتدي بحرف الشين كما انهم لا ينطقون اي كلمة فيها هذا الحرف ، بل يستبدلون

تلك الكلمات بكلمات أخرى غيرها . وقد ذكر (لا يارد) في رحلته مثلاً لذلك وقد كان واقعاً وسط زحام من اليزيدية في عيدهم السنوي حينما رأى صبياً يتسلق شجرة وكان في حالة خطر حيث قال : بينما كنت أنظر الى فوق شاهدت الخطر المحدق بذلك الصبي فناديت الرئيس ليستدركه ، إذ كان هذا الشيء وكنت على وشك ان أكمل الكلمة المستعملة غالباً في الشرق بحق الصبيان المخاطرين ولكنني تداركت نفسي سريعاً بعد ان خرجت هذه الكلمة من فمي . ويستمر بقوله : ان تأثير ذلك كان بادياً على أوجه الجميع ، وكانوا يرمقوني بنظرات حادة ، ولكن لحسن الظن انه كان محبوباً لدى اليزيدية ولذلك ساءحوه على تلك الهفوة ، إذ انهم يستأثرون جداً اذا استعمل أحد هذا الحرف ، حتى انهم غالباً ما يقتلون مستعمليه تعمداً .

وحينما يريدون ان ينطقوا بكلمة (الشيطان) يقولونها بكل احترام (طاؤوس ملك) أو (الملك القادر) ورمزهم الديني له (طاؤوس ملك) وهو بطة محفوظة لديهم بكل احترام . ويقال ان (الشيطان) هو رئيس الملائكة وانه مزود بسبعة ملائكة يستوزرهم ولهم نفوذ على الأرض ، وهؤلاء هم : جبرائيل ، ميكائيل ، رفائيل ، عزرائيل (عزازيل) ، دبرائيل ، اسرافيل ، شمكيل . والمسيح ايضاً لديهم في عداد الملائكة ، ولو انه ليس من هؤلاء السبعة . ويعترف بأنه تزيار يزي رجل وهم في حضور الاسلام ولا يعتقدون بصلبه بل يصرحون بأنه صعد الى السماء قبل الصلب . والبعض يقولون بان الملك جبرائيل أخذ محل اليسوع على الصلب . وآخرون يقولون بان « جودة » (؟) كان الضحية الحقيقية وهم ينتظرون قدوم المسيح وظهور الإمام وهذا الاعتقاد الأخير هو معتقد الاسلام . وإمامهم (الشيخ عدي) المظنون انه عاش قبل محمد بمدة سنين ، ولا يعلم عن تاريخه إلا الشيء القليل . وهم يقدسون الشمس ويقبلون الشيء الذي تسقط عليه أول أشعتها . وللنار ايضاً علاقة بعبادتهم ، وتلاميذهم دائماً يمررون ايديهم خلال اللهب ، ثم يقبلونها ويمسحون وجوههم بها .

ولديهم اربع طبقات دينية وهي وراثية وتشتمل على البيرة والشيوخ والقوالين والفقراء (١)

(١) لم تكن صفة الفقر وراثية وعنى لسكل يزیدی ان يكتسب هذه الصفة اذا نذر نفسه لحياة الزهد والفقر .

(١) البيرة : وهي كلمة مأخوذة من الفارسية ومعناها الرجل المعمر وهي تأتي بالاحترام بعد شيخهم الكبير او رئيس مذهبهم . ويعتقد بان هؤلاء القوة بشفاة مرديهم ولديهم القوة ايضا باشفاء المرضى والمجانين ، ويظن بانهم يقودون الى حياة الطهر ولذلك يحترمهم الشعب كثيراً .

(٢) الشيوخ : ويأتون بعد البيرة في المرتبة الدينية ويرجع بانهم يعرفون من العربية قليلا لأن مصلحتهم تقضى كتابة تراويل تنشد في المراسم الدينية ، وهم يحرسون قبر الشيخ عدي ويأتون بالوقود لحفظ النار المقدسة والمؤونة للذين يسكنون مرقد الشيخ عدي (١)

(٣) وهذه الدرجة ربما كانت اكثر الدرجات فعالية وهؤلاء يعرفون بالقوالين او الوعاظ ، وواجبهم التجول من قرية الى اخرى لتعليم المباديء الزيدية وكلهم موسيقاريون ويتعلمون هذا الفن منذ صغرهم وهم يعزفون على الدف والمزمار ، وكلتا هاتين الآتين مقدسة لديهم وقد يقبلونها ويعررونها على الجمهور ليقبلها ايضا ، ويلبسون لباساً أبيض وعباءة سوداء بينما الشيوخ لا يلبسون إلا الأبيض . وهم رجال وقورون بلحي طويلة ويشغلون كسفراء للشيوخ (٢) فيذهبون سنوياً لجمع النذور والصدقات . وشعارهم الديني « صولجان » (٣) علامته بطة معدنية ، ويقاخرون بأنه ليس في مقدور أعدائهم اغتصاب هذا الشعار من أيديهم ، ويذكرون أنه في حادثة حدثت لأحد القوالين وقد طارده العرب في الصحراء ، وبينما هو في مثل هذه الحالة، وقف ثم ترجل وأخفى حقيقته التي كان فيها الرمز الديني في الارض ، ثم وجد طريقه وهرب . وبعد مضي ستة اشهر تمكن من إرجاع تلك الحقيبة وذلك بمسيره ليلاً الى الصحراء .

(١) بعد الشيوخ بالدرجة الاولى في المراتب الدينية بصفتهم يرجعون بسلااتهم الى البيت العدوي ، والبيرة يأتون بالدرجة الثانية ولا يشترط ان يعرفوا العربية وترتيل الاناشيد الدينية من اختصاص القوالين . وحراسة قبر الشيخ عدي تعود الى الفقراء والكواجك . وقطع الاحطاب ونقلها من اختصاص الكواجك وبعد الزيدية النار عنصراً مقدساً ولكن لم يكن عندهم تاريخ ينفذون بها .
(٢) والصحيح انهم ينوبون عن الامير في جمع النذور والصدقات عندما «طوفون بالسنبق بين الملة في مختلف الانحاء ويجوز ان يقوم بهذه الوظيفة غير القوالين .
(٣) ما اشد ولم لغريين يجعل هكذا صولجان شعاراً لرؤساء هذا الدين والحقيقة انهم لا يعرفونه ولا يستعملونه .

والآن لماذا يضع اليزيدية هذه القيمة الكبيرة في هذا الشمار ؟ الحل الممكن له قدمه لي الدكتور القديس « كلير تسدال » الذي ذكرني بتقليد اسلامي قديم بان (الطاؤوس) هو الذي سمح للشيطان بدخول الجنة ، وهذا يقوي الظن القائل بان اليزيدية يعبدون إله الشر حقيقة .

وآخر طبقة من رجال الدين يدعون (بالفقراء) وهؤلاء يلبسون خرقة خشنة سوداء أو سمراء قائمة تصل حتى الركبة . ويقضي منصبهم عمل كل الاعمال الواطئة المرتبطة بمرقدة الشيخ عدي من كدس البنات وتنظيفها وترتيبها وإيقاد المشاعل المقدسة (١) وهذه المشاعل يقدمها الحجاج الذين يزورون الضريح وقت الخطر أو المرض ويتبرعون سنويا بما يلزم لهذه المشاعل (٢) وبما يقومون بأودهؤلاء الفقراء وتوقدهذه المشاعل بعد غروب كل شمس فتعطي منظر مجموعة من النجوم متألقة في سفح الجبل ، اذ ليست هذه المشاعل توقد في الحرم وفي الصحن فقط بل هي منتشرة على الصخور وفي الزوايا المظلمة من الغابة وينها يذهب الفقير من مشعل لآخر لا يقاده يمرر الرجال والنساء أيديهم خلال اللهب ثم يمسحون بها وجوههم وجبايهم . واذا كان لديهم اولاداً يفعلون بهم كذلك ايضا . وهذا يذكرنا بالفرس القدماء الذين يتشابهون معهم في كثير من الوجوه... » الى آخر ما أوردته من الاخبار المعروفة والمتواترة عن هذه الطائفة معرضين صفحاً عن ايراد البقية منها ، اذ فيها اقتبسناه دلالة كافية لفهم الروح التي أوحى لهذه الكاتبة ما خطه يراعها ، وهي الروح الغريبة التي تتحسس دائماً بحس الكيد والعدوان عن الشرق والاسلام دون مراعاة لحقيقة او انتصار لحق .

ذكرت ان اليزيدية اكثر ميلهم الى الانكليز وذلك لأن الممثل الانكليزي في الموصل كان قد ساعدهم مادياً قبل عدة سنين ، ونوسعت في الكلام عن ذلك وأوردت قصة

(١) ان تنظيف المرقدة من الاوساخ هو من وظائف الكواجك . وفي ايام الزيارات يقوم بهذه الوظيفة النازيون اهل قرية بعثيفة وبجزاني .

(٢) ويقالون تبرع المسلم ، وكمن مرة تبرعت بكمية من دهن الزيت لمرقد الشيخ عدي وقبلوه مني بزياد الارتياح .

انقاذ مستر رسام الذي كان معاوناً للقنصل الانكليزي في الموصل ، اليزيدي الذي وضعه الشيخ ناصر بدلاً عنه في السجن عندما قبض (الباشا) السابق عليه حيث كان عمله هذا داعياً الى تقوية العلاقات بين اليزيدية والانكليز ذلك الحين .

والانكليز كانوا في الحقيقة يتصنعون العطف على اليزيدية منذ زمن بعيد ، وقد احتج سفيرهم لدى الباب العالي على المجازر التي كان ولاه الموصل وبغداد يوقعونها في جبل سنجار ، إلا ان هذا الاحتجاج كان المراد منه فتح باب للتدخل في سياسة الدولة عندما يلمسون ضعفاً منها وليس حباً بسواد عيون اليزيدية . وكانوا يظهرن مثل هذا العطف على دروز حوران ، والطيارين النصاري ، والأرمن ، ويدعون حمايتهم لهم ..

أما قضية انقاذ المستر رسام اليزيدي الذي وضعه الشيخ ناصر بدلاً عنه في السجن ففيها نظر ، والشيخ ناصر لم يكن رجلاً عادياً حتى يخفي أمره على (الباشا) الذي قبض عليه ، فينجو من السجن ويضع يزيدياً آخر بمحلله ، واذا خفي عليه أمره فلم يكن ليخفي على رجال حاشيته وموظفيه .

وفي تاريخ الموصل نقلاً عن (لايارد) ما يوضح حقيقة أمر الشيخ ناصر والقبض عليه وسجنه ، فقد جاء فيه :

« ثم حمل عليهم (اي يزيديّة سنجار) كريدي محمد باشا ١٨٤٥ (١٢٦١هـ) فأخش فيهم قتلاً والتى القبض على زعيمهم الشيخ ناصر ولم يطلقه حتى شفّع به المستر رسام وكيل الدولة البريطانية في الموصل فأطلق سراحه على شرط ان يفديه اليزيدية ، ففدوه بمبلغ من المال » .

والمسلمون لم يكونوا على ضد مع اليزيدية ، كما إدعته الكتابة الموهوبة وهم يحملون لهم مودة ورحمة ويمدونهم اخواناً لهم فيما مضى بالدين ويتمنون خروجهم من عزلتهم ليكونوا عضواً نافعاً في المجتمع ، وما تلك الاختلافات التي دامت لهم معهم دهرأ طويلاً إلا نتيجة لسوء الادارة التي كانت تتبعها معهم الحكومة . إذ هي التي كانت تحت العلماء على اصدار الفتاوى بدمهم كفاراً لتبرر أعمال العنف والفسوة التي تجريها بحقهم ، وهي التي كانت تحرض العشائر والقبائل المسلمة على قتالهم عندما كان يعجزها أمرهم . أما وقد

زال ظل تلك الحكومة من ربوع هذه البلاد وكف العلماء عن اصدار فتاويهم وانصرف المسلمون عن قتالهم ، زالت تلك العداوة من القلوب ووثق البيدي بصحبة المسلم واطمان اليه وعاشره معاشرة ود وأخاء ، وركن اليه وقد قابله المسلم بعين هذه الروح وعطف عليه وواساه في محنته .

ونشك في صحة الرواية التي نقلها عن (لا يارد) عندما رأى صبياً يتسلق شجرة وكان في خطر وجريان الكلمة الممنوعة على لسانه . إذ على فرض ان لا يارد كان يحسن العربية فاليزيدية لا يعرفونها ويتكلمون بها ولا يارد نفسه لا يعرف الكردية . واليزيدي يستاء من المسلم والنصراني اذا لفظ الكلمة الممنوعة أمامه قصداً وتعمداً ، اما اذا جرت على لسانه عفواً فلا عتب عليه ، ولم نقف على يزيدي قتل مسلماً لهذا الغرض .

واذا لم تكن السيدة قد حرفت هذا الخبر عندما نقلته عن لا يارد كما حرفته في قصة وضع الشيخ ناصر يزديا بدلا عنه في السجن ، فيجوز ان لا يارد اصطنعه من نفسه . وقد أخطأت في قولها : « والمسيح ايضاً لديهم في عداد الملائكة ولو انه ليس من هؤلاء السبعة - اي الملائكة السبعة المزود بهم طاووس ملك » .

وهي أكثر جرأة من الكتاب الغربيين الذين بحثوا عن إيجاد علاقة لليزيدية بالنصرانية وواحد منهم لم يجد في نفسه شجاعة لهذا التصريح . فن أبن عرف اليزيدية المسيح وما هي علاقتهم به حتى يدخلوه في عداد ملائكتهم ؟ ولماذا لم نجد منهم من يدور ذكره على لسانه ؟ واذا كانوا يعدونه من ملائكتهم فلماذا لم يقيموا له تمثالا كبقية أعزتهم وقيم القوالون له حفلات يرتلون الأناشيد باسمه ؟ أليس هو من ملائكتهم ؟

أما ان اليزيدية لا يعتقدون في حضور الاسلام بصلب المسيح بل يصرحون بأنه صعد الى السماء قبل ان يصلب فليس هنالك سبب يحملهم على كتم هذه العقيدة عن المسلم حتى ولو كانوا يعتقدون بها صدقا ، وهم لا يهمهم أصلب المسيح ، أم صعد الى السماء قبل ان يصلب ولا يفكرون به . وما قالت عن انتظارهم قدوم المسيح كما ينتظر المسلمون (الشيعة) قدوم الامام المنتظر فهو ادعى الى الاشفاق عليها من السخرية وربما الى الحالين معاً . ومتى عرف اليزيدية المسيح وما هي علاقتهم به حتى ينتظروا قدومه ؟

والصحيح أنهم ينتظرون قدوم « يزيد » ليعيد اليهم مجدهم الغابر ويخلصهم من الذل والهوان الذي حل بهم . وقد سرت اليهم هذه العقيدة من الشيعة الذين ينتظرون قدوم الامام المنتظر ، والشيعة أخذوا هذه العقيدة من اليهود فانهم ينتظرون ظهور المسيح ليجمع شملهم من شتات الأرض ويعيد اليهم مجدهم . والمسيح الذي ينتظرونه هو ليس السيد المسيح الذي يؤمن به النصارى بل ملك جبار كأحد ملوكهم الأقدمين .

تقول : « وإمامهم يسمى (الشيخ عدي) المظنون انه عاش قبل النبي بعدة سنين ولا يعلم عن تاريخه إلا الشيء القليل » . وهذا الخبر أخذته من برسي بادجر الذي أراد ان ينفى صلة الزيدية بالاسلام بقوله « واقتنا واثقون من ان شيوخهم كانوا قبل النبي بزمن بعيد » فكأنه لم يكفها ما في كلام بادجر من مسخ وتشويه زادته من عندها مسخاً وتشويهاً وجعلت حتى تاريخ الشيخ عدي مجهولاً ولا يعرف منه إلا الشيء القليل ، وما أدري أكونها امرأة أم لأنها جاءت متأخرة بنحو عصر عن زمن بادجر كانت أكثر جرأة واقداماً على قلب الحقائق فبينما يكتفى بادجر بأصعاد شيوخ هذه الطائفة - دون تسمية - الى ما قبل النبي بزمن بعيد نجدها تصعد (بالشيخ عدي) الى ما قبل النبي بعدة سنين وتضيف اليه بأنه لا يعلم عن تاريخه إلا الشيء القليل ، والكتاب الغريبي يبيحون لأنفسهم في بحثهم عن تاريخ الشرق ورجالات الشرق كل قول باطل لاسيما اذا كانت البحث له صلة بالديانة الاسلامية ولا يجدون في عملهم ما يعابون عليه ، ودعوى أصعاد الشيخ عدي الى ما قبل النبي أشبه بدعوى أصعاد ماريوس ونسطوريوس عند النصارى الى ما قبل المسيح بزمن بعيد او بعدة سنين مع وجود الفارق في هذا المثال .

أما حادثة مطاردة العرب أحد القوالين في الصحراء وهربه منهم بعد ان أخفى حقيقته التي كان فيها الرمز الديني (الطاؤوس) في الأرض ، واسترجاعه له بعد ستة أشهر بمسيره ليلاً الى الصحراء لا أصل لها ، وقد كذبها عليها القوال الذي أراد ان يجعل نفسه بطل هذه الحادثة واعتقدت بها ، والرمز الديني - وهو السنجق او التمثال الذي يرمزون به عن طاؤوس ملك - ليس هو ملكاً للقوال حتى يتصرف به كما يشاء ويتركه في الصحراء ويذهب ويأتي به أنى شاء ، بل يعود الى الملة بأسرها والملة تحافظ عليه

بأرواحها ودمائها ، واذا أرادوا ان يذهبوا به الى جهة ما يباركونه أولاً بالماء المقدس في مرقد الشيخ عدي ويسرون به تحت حراسة قوية من قبل أحد رؤساء العشائر الى ان يبلغوه مأمنه . وبعد ان يتمضوا مهمتهم يعودون به بنفس الطريقة ويضعونه في المحل المخصص له في دار الأمير ويسمونه (خانه طاووس) وعيون الحرس ترصده .

وخلاصة ما نقوله ان هذه السيدة الفاضلة وقفت خلال مدة وجيزة قضتها بين هؤلاء القوم على أشياء مهمة عنهم واطلعت على معتقداتهم وطرق ديانتهم ودرست ما قاله الغير من الكتاب الأجانب عنهم إلا ان الذي أقصد عليها ، رغبتها في خلق دعاية لقومها الانكليز بايجاد علاقة قديمة بينهم وبين البزيديين وانهم كانوا يظهرون عطفاً عليهم ، ثم التدليل على عدم وجود صلة للبزيديين مع الاسلام وان ديانتهم ترجع الى ما قبل الاسلام حاذية بذلك حذو غيرها من الكتاب الأجنيبيين حيث أساءت الى حقائق تاريخية كان عليها ان لا تتحداها .

﴿ تاريخ (ام العبر) للشيخ عبد السلام المارديني (مفتي ماردين) ﴾

﴿ الشويبي المعروف بابن المهديوب من علماء ﴾

(القرن الثالث عشر الهجري)

عرف السيد عباس المزوي في كتابه (تاريخ البزيدية وأصل نحلته) ص ٧٩ تاريخ أم العبر بأنه تاريخ عالم يبحث عن الأنبياء والأئمة والمجاهدين ، والملوك الماضين وشئ الملوك ، وآل جنكيز ، وفيه نبذة عن أحوال تيمور ، وآل سلجوق ، وآل بويه ، والدولة الصفارية ، والدولة الفاطمية ، والغزنوية ، وآل عثمان ، والأرتقية ، والقره قوينلية ، والآغ قوينلية ، وعن خروج الشاه اسماعيل ، وحكام ماردين ، وهو خاتمة الكتاب كما يستفاد من فهرسته . وفي خلال سطره بحث عن ولاية بغداد ، وقال في آخره : « وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب يوم الأربعاء غرة شعبان سنة ١٢٥٨ هـ » وفي الكتاب بيان عن قبائل ماردين وفي هذا الفصل تكلم عن الأكراد وأوضح عن البزيدية ونقل

عنه ما يتعلق باليزيدية ما نصه :

« وأكثر الأكراد من أهل السنة والجماعة .. ومنهم طائفة تعرف باليزيدية ظهرُوا في الشام في زمن بني أمية كالحالدية ، والدنبلية ، والمحمودية ، والطاسنية ، والبسافية ، والكشاغية ويعرفون الآن بالموسسان ، والشرقيان ، والسنجارية ونحوهم ثم عادوا إلى بلادهم وأظهروا مذهبهم . ويعدون أنفسهم من مهدة الشيخ عدي بن مسافر وهو من سلسلة الخلفاء الروائية .. » .

نقول : وهذا نسخة طبق الأصل لما ذكره البديلي في كتابه الشرفنامه ، إلا أن الأستاذ صاحب تاريخ أم العبر زاد من عنده أربعة قبائل أخرى غير التي ذكرها البديلي وهم الآخرين ، ونعده له مهارة فائقة . ولم نعلم كيف ثبتت له ظهور هذه القبائل الثمانية في الشام على زمن بني أمية وعرفوا باليزيدية ؟ وكيف تحقق عنده أنهم بعد أن عادوا إلى بلادهم أظهروا مذهبهم ؟ وما هي المآخذ التي استند عليها ؟ وهل لديه مستمسك غير تاريخ البديلي الذي مسخ ما نقله عنه ؟ على أنه لو عرف غير هذه القبائل الثمانية لضمها إليها وادعى كذلك أنها ظهرت في الشام على زمن بني أمية وعادت إلى بلادها وأظهرت مذهبها .

ولكن كم هي الحقيقة مظلومة وليس من يرحمها !

إن الأبحاث التي قام بها المفتي الشويبي عن النحلة اليزيدية لا تدل على أنه عالمٌ حصيفٌ مدققٌ يستقصي الأخبار ويضعها بعينته عن النقد والمؤاخذه ، بل عالمٌ تقليدي لا يعنيه البحث ولا يلزم نفسه به . فإنه بعد أن ذكر : « أنهم ينكرون الكتب السماوية ويبغضون علماء الظاهر وكتبهم ، ولهم كتاب يسمى بالجلو (وصحيحه الجلوة) ويزعمون أنه من مؤلفات الشيخ عدي ، وهو بريء منه ، وقد أحل لهم فيه الخمر والزنا إذا كان عن تراض ، وحرم عليهم الصوم والصلاة ، وأن الواجب طهارة القلب لا غير ، ويحرمون الحج ، ويمكنون شيوخهم من أزواجهم لأن يرزقهم أولاداً ، ويستحلون ذلك ، ويفتخرون به ، ويصفون الله بالآكل والشرب والنوم وغيرها » قال : « ومذهبهم يشبه الحلولية ويحبون النصاري ويستحسنون بعض عقائدهم ويظهرون الإسلام » .

وهذا ما أخذ من الأفواه ونقله عن فتوى الشيخ عبد الله الربتكي وهو المأخذ الوحيد الذي اعتمد عليه ولم يتم بالبحث والتحقيق عن واحدة من هذه المسائل ليتأكد صحتها . أما الشيخ الربتكي في كلامه عن حب اليزيدية للنصارى واستحسانهم بعض عقائدهم يقول : « والظاهر أن مذهبهم على ما استقرأت وتفحصت يؤول إلى الحلول ويؤولون النصارى ويستصوبون بعض عقائدهم » ونحن لا نجادل في أن مذهبهم يؤول إلى الحلول وهو من أساسات دينهم قبل أن اتصلوا بالاسلام ، وأما موالاتهم النصارى واستصوابهم بعض عقائدهم فالربتكى غير مصيب فيه . والفحص والاستقراء يكون بالملزمة الدائمة والاتصال الوثيق وهذا لم يتيسر له وقد عاش منقطعاً في بيته وكان بيته مدرسته . واليزيدية قد لزمو العزلة في مواطنهم ولم يتقربوا من أحد أصلاً . وقد ثبت أن كثيراً من المسلمين من أهل الحاضرة لم يكونوا قد شاهدوا يزيدياً في ذلك العصر ، إذن كيف كان الفحص والاستقراء الذي إدعاه الربتكى لنفسه ؟ فإذا كان من طريق السماع وما أخبرت به الكتب فقد إدعى به آخرون غيره ولم يصيبوا .

وبما قاله : « أنهم ينطقون بالشهادتين وذلك جائز عندهم لدفع الشر » فقد أخذ من ذلك من الشيخ الربتكى ، فقد جاء في فتواه « أنهم قد يظهرون الاسلام ويتلفظون بالشهادتين ويصلون تقية لمذهبهم » واليزيدية قطعوا علاقتهم من الاسلام ولم يصلوا ويلفظوا الشهادتين منذ كتب الربتكى فتواه بنحو عصرين ، فمن أين أتى بهذا الخبر ؟ ثم يأتي العلامة المقتي الشوبى بعد مائة عام ويأخذه منه ويرويه ؟ وعلى فرض أنهم كانوا في العصر الذي كان فيه الربتكى يصلون ويلفظون الشهادتين لدفع الشر ، فأى شر دفع عملهم هذا عنهم وكانت تراق دماءهم وتنبأ أموالهم وتسبى نساءهم دون حساب ؟ قال : « واليزيدية على أربع فرق . منهم : من يفضل الشيخ عدياً على يزيد . ومنهم بالعكس . ومنهم من يزعم أن الشيخ عدياً هو الله تعالى . ومنهم من يدعى أنه نبي وأنه أفضل من الأنبياء » ثم ألقى بهم فرقة خامسة وقال : « ومنهم من يزعم أنه بمنزلة الوزير عنده ، لا يصنع الله شيئاً إلا بمشورته ويسمونه الشيخ هادي » .

واليك ما جاء في فتوى الشيخ الربتكى : « ثم اني سمعت غير واحد ممن استكشف

مضمورات صدورهم الخبيثة يقولون أنهم ثلاث فرق : (إحداهما) غلاتهم الذين قالوا أن
عدياً ابن مسافر هو الله . و (ثانيها) الذين يقولون أنه ساهم الله في ألوهيته فحكم السماء
بيد الله وحكم الأرض بيده . و (ثالثها) هم الذين يقولون أنه ليس الله ، وليس شريكاً
له ولكنه عند الله بمنزلة الوزير الكبير لا يصدر من الله أمر من الأمور إلا برأيه
ومشورته . »

وترى أن المفتي الشوبني زاد من عنده فرقتين آخرين وهو أكثر من الربتكي براعة
واليزيدية ليس فيهم هذا الانقسام ولا يعرفونه حتى في الأعصر التي سبقت « الشوبني »
و « الربتكي » وكل ما لديهم تشكيلات طرائقية يرجعونها إلى شيوخهم يراد بها جعل
الطبقة التي يسمونها بالمريدين ، وهم سواد الشعب ، تابعة لشيخ يضمن لها النجاة من
الآرزاء التي تصيبها لقاء أعطيات يفرضونها عليهم ، وهم جميعاً يعملون بعقيدة واحدة
ولا فرق بينهم . وينقسم يزيدية سنجار إلى قسمين رئيسيين وهما « الجوانا » و « الخوركان »
وهذا الانقسام قبيلي لا صلة له بالدين .

قال « ويفضلون أبلّيس على الملائكة حتى إن من ذكره بسوء فهو كافر عندهم .
يفضلون يزيد بن معاوية على سائر الأنبياء ، ويفضون الحسن والحسين ومن هم من
أولاد الأشراف ، ويفضون أهل العلم ، ويحبون المشائخ والأولياء ومن ينتسب إليهم
من الصوفية وأهل الطرق ، ويسجدون لكل مكان شريف » وهذا أيضاً لم يكن نتيجة
بحثه واستقراءه بل أخذه من الشيخ الربتكي . وقد أخطأ في قوله عن بفضلهم الحسن
والحسين ، ومن هم من أولاد الأشراف ، ويجوز أن قد كان ذلك في عهدهم بالاسلام
وبعد أن دخلوا اليزيدية نسوا الحزبية وتساوى بنظرهم كل من يسمى مسلماً . إلا أنهم
خصوصاً آل البيت بالكرامة بصفتهم قرشيون ويكثر من التسمي باسم الحسن والحسين
وعلياً وأكثرهم استعمالاً لهذه الأسماء الأمراء (١) .

قال : « وفي لالش عين تسمى (عين البيض) وهي بمنزلة ماء زمزم » .

(١) نذكر منهم ثلاثة في الحياة وهم : حسين بك بن ميرزا بك وابنه علي وحسن بك بن حسين بك بن
حمزة بك ، ومن الأموات : علي بك حسين بك بن علي بك بن حسن بك وأربعتهم أمراء وحسن بك بن حسين
بك وهو الذي قتل أخوته وعمه في قرية خطارة .

والصحيح « عين البيضاء » وبالكردية تسمى « كافي اسبي » وتفيد عين المعنى .
قال : « ولهم علم في لالش (وصححه الاستاذ المزايي بعالم) يخرج الى من يحب في كل سنة ومعه شيء من الذهب على صورة العجل ، ويجمع له الأموال ، وكل من لم يكرمه ويسجد له فهو كافر عندهم » .

والخبر فيه من الخلط والخطب ما أبعد عن المعنى المقصود . وأراد الاستاذ المزايي ان يصححه فزاده تشويشاً وإبهاماً . ولا جـل ان تفهم ما أراده « الشويبي » نرجع الى فتوى الشيخ الربتكي الذي أخذ هذا الخبر عنها فنجدته يقول : « ومنهم انهم يسجدون للالش ولكل مكان شريف على زعمهم ، وخصوصاً لعلم (سنجق) عدي فانهم يدعون ان من لم يسجد له كافر » والسنجق يطلقونه على التمثال الذي يرمزون به عن الطاووس وهي كلمة تركية يراد منها الناحية او الكورة او الصقع فيقال : « سنجق سنجار » و « سنجق حلب » و « سنجق بايزيد ووان » والسنجاق بعرفهم سبعة ولكل سنجق طاووس خاص . فوهم الشيخ الربتكي وسماه علماً ظناً منه انه يراد به العلم ثم جاء الشويبي ووافقه عليه ، وجعل مكانه لالش ، وأنه لا يخرج إلا لمن يحب في كل سنة ومعه شيء من الذهب على صورة العجل - وان لم يحمل له خوار - وما أدرانا ان لو وقف أحد هواة الاخبار عن هذه النحلة على هذا الخبر لما تلقاه بعين الجد وبحث عنه وعلق عليه وتصدى صاحب رسالة (اليزيدية او عبدة الشيطان) وادعى انه وقف عليه في سياحته وفتح به من الدراهم ، وسارع « الكرملی » - لو كان حياً - ونشر عنه المقالات تحت عنوان « اكتشافات جديدة حول الاسرار اليزيدية » ؟ .

قال : « والحاصل أنهم لا مال لهم ولا دين ، وهم كافرون بالاتفاق يحل للسلطان ما لهم ودمهم حتى يرجعوا عما فيه من الضلال كما أفنى بذلك محمد البرقعلي وغيره من العلماء ، وهم احدى الفرق الضالة من الاسلام » .

ولنسلم ان اليزيديين لا مال لهم ولا دين وهم كافرون بالاتفاق ويحل ما لهم ودمهم للسلطان حتى يرجعوا عما فيه من الضلال ، فكيف جاز للبرقعلي ان يصدر هذه الفتوى ويترك العمل فيها لأهل القبائل والعشائر دون موافقة وعلم من السلطان ؟ والبرقعلي وإن

لم نكن لنعرفه ونعرف العصر الذي كان يعيش فيه ، ودرجة علمه ، وأهليته للافتاء ، وعلاقته بالموضوع ، فهو واحد من العلماء الذين اعتادوا التدخل في شؤون الحياة العامة تحت ستار الدين دون ان يفكر فيما سيكون لفتواه من أثر سيء على حالة المجتمع ، وقد وافقه « الشويبي » في هذا الحكم ولا حاجة تدعوه اليه لمجرد ان يثبت له قدماء في الافتاء صحيحة كانت أم عرجاء .

﴿ كتاب (اليزيدية قديماً وحديثاً) للدكتور قسطنطين زريق ﴾

احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاثريكية

قرأت هذا الكتاب في سحابة يوم لما كان لي من الشغف في الاطلاع عليه . والدكتور زريق لم يأت بشيء من عنده سوى مقدمة مقتضبة صدر بها رسالة نسبها الى « اسماعيل بك جول » أمير اليزيدية في سنجار (١) وبعض تعليقات عليها . وقد أعطى لهذه الرسالة أهمية عظيمة ، ونظر الى صاحبها نظرة إجلال وإكبار لما اعتقده فيه من السلطة الواسعة في ادارة الشعب اليزيدي ، والى انه من الرجال الاقفاذ الذين لم تنجب هذه الملة مثله . وهذه الدعاية تدلنا على أحد أمرين : إما ان الدكتور أخطأ في معرفة هذا الرجل ، وإما انه عرفه وأراد ان يمويه على الغير معرفته ووصفه بهذا الشكل .. والدكتور زريق لم ينشر هذه الرسالة عن حسن نية بعد ان وقف على ما فيها من سقطات شنيعة وعورات مفضوحة .. واذا كان يحمل رغبة في وضع مؤلف عن اليزيدية الذين أصبح البحث عنهم من واجبات الظرف والاناقة فتحت متناوله من المصادر والوثائق ما يغنيه عن هذه الرسالة . ولكن من هو مؤلف هذه الرسالة ؟ أصبح ما يدعيه الدكتور زريق انه اسماعيل بك نفسه ؟ واسماعيل بك رجل أمي جاهل لا يفرق بين التين والعجين ويمجز عن الكلام وإفهام المرام ، ام غيره من اصحاب الالامية واللباقة ، وقد كتبها بهذا الاسلوب الركيك ليوم الناس بان كاتبها لم يكن غير اسماعيل بك بطل الموقف ؟

(١) لم يلقه احد بحول غير الدكتور زريق . والامير الشرعي لليزيدية هو سعيد بك بن علي بك ، ويشمل نفوذه جميع اليزيدية الذين تحت الشمس . ولا يجوز تجزأة الامارة حتى يكون اسماعيل بك أميراً على سنجار .

يقول الاستاذ الزاوي في تاريخه اليزيدية وأصل نخلتهم ص ١٦٩ : « وعلى كل حال هذه الرسالة المنشورة باسم اسماعيل بك خرجت من معمل التبشير » ولكن أين هو هذا المعمل ؟ أفى العراق ، أم فى بيروت ؟ فإذا قلنا فى العراق ، فليس فى العراق من يساعد اسماعيل بك على بث هكذا دعايات سخيفة ويرضى لنفسه ان يسب محمداً ودين محمد حباً بلحيته ، وهو منبوذ من جميع الأوساط ولا يحبه أحد ، وإذا قلنا فى بيروت ، فاللهجة التى كتبت بها هذه الرسالة ، والكلمات الدخيلة التى جاءت فيها لا تدل على ان كاتبها سوري . ولذلك فالذى نراه ان الكاتب عراقي يشتغل فى معمل التبشير فى بيروت تحت إشراف اسانذة ماهرين يعرفون طرق التبشير وأساليبه .

يقول الاستاذ زريق : (ص. ر) : « ثم ما نجد من الموافقة بين اقسام هذا الفصل (الفصل الثانى من الرسالة) وبين ما نشر وترجم عن اليزيدية . فان الشبه بينها ظاهر للعيان . ويكاد يكون فى بعض الأحيان تماماً وحرفياً . فإذا قابلنا هذا الفصل بالفصول التى نشرها براون ، وكابوت ، وجميل ، وجوزيف ، وغيرها من النصوص العربية والسريانية وجدنا كلها تتفق فى مواضع كثيرة لفظاً ومعنى ، مما يدل على انها ترجع الى مصدر واحد او مصادر متشابهة .. » ١ . ٥ .

والاستاذ زريق جدير بالشكر على إيماطته اللثام عن حقيقة أمر هذه الرسالة اذ هو ايضا يسلم معنا بأنه لا يوجد لدى الاستاذ اسماعيل بك مكتبة تحوي مصنفات لهؤلاء الكتاب أو مؤلفات لكتاب آخرين يرجع فى تأليف رسالته اليها عدا حصيراً بالية وفراشاً قذراً رثاً وقصعة مكسورة ومنخلأوجراباً فيه شيء من الدقيق فيرو من دقيق الشعير . وإذا كانت هذه المؤلفات توجد ، فتوجد فى مكتبة الاستاذ أو فى مكتبة الجامعة التى هو استاذ فيها وهى تحت متناوله .

انى يا سبدي الدكتور أعرف منك باسماعيلوك (١) ان كان رجلاً عبقرى يحمل بين جنبيه روحاً وثابة الى حب الجاه ونيل الزعامة ، وبملي فصولاً شائعة فى سيرته الرائعة التى تفسر لنا بطولته الفذة ، وفصولاً فى تاريخ اليزيدية وعقائدهم ويبلغ صدق اعماله آذان

(١) هذا هو الاسم الذى يعرف به بين اليزيدية وليس اسماعيل بك جول .



في الوسط اسماعيل بك وفي يمينه الخسوري هرمز وفي يساره سمو شبرو

الكتبة الاوربيين وبدونون ذكر اعماله ، أو كان جاهلا منحنطاً وقد أصبح آلة مسخرة بيد جماعة المبشرين الذين هم محرومون من طهارة الذمة ونقاوة الضمير ..

عرفته يا سيدي في قصر الامارة في « باعذرة » وهو صبي يعيش على فتات مائدة الأمير علي بك الذي تولى تربيته منذ طفولته .. وعرفته لما هرب « بروشي » بنت حسن فقير (١) وذهب بها الى قرية « مامزدينا » والتجأ بطاهر اغا بن عبو مصطفى وأردت أن أقبض عليه وأنا اذ ذاك مدير لناحية المزورية فهرب .. وعرفته في مرقد الشيخ عدي

(١) ان تهريب الفتيات عمل قبيح لا يقدم عليه الا المنحطين ، لاسيما اذا كانت للفتاة التي يقع عليها التهريب صلة قرابة مع من يقدم على تهريبها . والامير المزيّف لم يكن يتكف بتعريب بروشي بنت حسن فقير التي تمت اليه بصلة القرابة ، فقد هرب ابنة عمه عممة بنت حمزة بك كما اعترف في رسالته .

في عيد الجماعة وكان قد جاء حديثاً من بلاد الروس وقد لبس معطفاً محلياً بالقصب وفي رأسه قبع إيراني عليه ريشة طاووس . ويحمل قامة محلات بالقضة ومسدساً من نوع (برونك) وقد أرغمته على مغادرة المرقدا لما ظهر لي من أنه كان يقصد إثارة فتنة مع الأمير علي بك في ذلك الجمع الحافل ، وكنت لا أزال مديراً لناحية المزورية .. وعرفته بتخصصه الشديد مع علي بك ثم مع ولده سعيد بك على الخيرات والصدقات التي تجمع باسم الطاووس وهو لم يكن له فيها أقل حق .. وعرفته أيضاً باتصاله بالانكليز في سامراء وعرضه الاخلاص لهم ومقابلة الانكليز له بعد أن تم لهم احتلال الموصل بالنفي الى بغداد سنتين ونصف سنة بعد ان ظهرت لهم سوء نواياه .. (١). وعرفته ، نعم وعرفته عندما كان يتردد الى بيروت لزيارة بنته « ونسة » في الكلية الأمريكية ويتصل بكم وبغيركم من رجال الصحافة فيبيع عليكم أسراراً مفضوحة فتأخذونها منه بأمان غالية وتنشرونها بعد ان تحوروها كما تشاء مصلحتكم .. ! أهذا هو الرجل العبقري الذي تعنونه يا حضرة الدكتور ؟

لم يكن ذهاب اسماعيل بك الى حلب فالأناضول فبلاد الروس للقيام باصلاحات دينية بين اليزيديين وجمع شملهم وتوطيد علاقتهم بالحكومة وبالشعوب المجاورة كما ادعينم ، بل قصد الاستجداء من يزيدية تلك البلاد كما يذهب اليهم الكواجك والقوالون كل سنة ، وسيرته التي كتبها ، او كتبتموها له مجموعة اكاذيب لا ظل لخبر واحد منها من الحقيقة وليخجل الانسان عندما يقرأها لا سيما اذا كان يعرف هذا الرجل ، ويعرف ما انطوى عليه من حقارة في النفس .

وبؤسني أن تصبح هذه الرسالة يوماً مصدراً من مصادر التاريخ ويستقي منها الكتاب الأجانب الأخبار ويرفعون من قيمة مؤلفها الأمي البارع ويمدون شياً .. ! وهذا منتهى الخزي والعار ، وأنتم وحدكم مسؤولون عنه وسيسجل عليكم التاريخ تبعة هذه الملفات .

قلنا ان هذه السيرة مجموعة اكاذيب لا ظل لها من الحقيقة أصلاً . وبيان هذه الاكاذيب

يحتاج الى مؤلف يستغرق مئات الصفحات ، ولذلك نكتفي باقتطاف فقرات منها وهي تكفيها دلالة لمعرفة الروح التي أملتها عليه ، والغاية التي كان يتوخاها من وراءها :
جاء في صحيفة ٢٣ : « وصباحا جاء أمر الملك الساعة الثالثة عربية ركبنا مع المطران في (بايتون) فأخر ورافقنا ايضا جماعة من أكابر الأرمن بست عربات الى قصر الملك . وقبل دخولنا الدار خرج لاستقبالنا ختن الملك الذي هو ياوره .. وأخذنا الى داخل القصر .. وأدخلونا الى غرفة مربعة ومستطيلة (كذا) مبسوطة بحجر شبيح الكهرل ملون من الأصفر والأحمر واللازوردي .. ووسط الغرفة خوان عليه من أنواع الجواهرات والأنتيكات .. وبعد ان جلسنا حضرت الملكة مع خمس بنات وسلمن علينا بهز الأيدي ، وقدمن لنا أولا السيكاير وبعده جاي مع بسكويت . بعد ذلك حضر الملك وكان له من العمر نحو خمس وخمسين سنة وعليه سيف مذهب ورأسه مكشوف . وبعد ان سألنا عن أحوالنا وديانتنا فأجبناهم ليس يوجد فرق كبير بيننا وبين المسيحيين وهكذا نحب ان نجعلونا فرقة من المسيحيين (١) فأوقفهم جميعا ووضع لي كرسيًا وأخذ صورتي بينهم أربع مرات، وقال هذه الصور أريد ان أرسلها الى أخي الكبير (فيقولوا) في بطرسبرج .. » اهـ .

وجاء في ص ١٨ : « وأعطى أمرا تلغرافيا في جميع النقط الموجود فيها يزيدية بأن أين ما يروني متوجهاً لازم ان يحترموني بالسلام ويعاملوني معاملة رؤساء الدين ... وهكذا صار أين ما كنت أحضر ويصير خبر عند القومندان (البكباشي) خالا يطلعون بالسلام مع صف العسكر . وعندما أقرب اليهم كل نفر عسكر يرمي ثلاث طلقات من بندقيته (٢) وهكذا في جميع الأماكن التي كنت أحضر بها .. » اهـ .

وجاء في عين الصحيفة : « وفي تلك الساعة ٢ من الليل ، أنا ورجل من أشرف اليزيدية وبعد ان قبل يدي طلب مني سؤالا ، وقال لا يصعب عليك اذا ممكن قد حضر القامقام الذي عزلته وهو بالباب مع أناس أكابر ويريد مواجعتك ويطلب الدخالة لعل

(١) كان طبيعياً يرجح ان يكون من الاورثودكس الذين ولد ابنه عبد الكريم صباح عيد ميلادهم ولكن لم نعلم هل ان صديقه الدكتور زريق يرضى منه بذلك أم يريد أن يجعله مارونياً على مذهبه ؟

(٢) علمنا انهم استعاضوا عن المدافع بالبنادق لانها كانت محتاجة للإصلاح .

بواسطتكم يصير له وظيفة فما قبلنا مواجته . « هـ .

وجاء في ص ٢٧ : « وجلست في غرفة الدور أعني المسافر خانه وأرسلت كارت الى الصدر الأعظم مع ياوره وبجلوسنا بتلك الغرفة كان جملة وزراء وولاة منتظرين مواجته الصدر الأعظم فجلست معهم وأحضروا لنا جاي ومشروبات وسكاير . وبينما نحن جالسون بتلك الغرفة سألني أحد الجلاس ، وقال من أنت وما هو مذهبك ؟ فأجبت به بحمد الله يزيدي . وقال أنا كنت في وقت الفريق والي بلموصل وأنا والفريق عمر باشا أمرنا ان لا يبقى اسم يزيدي بالعالم . وكان هذا نوري باشا (١) وبعد خمس دقائق أتى الياور وقال الصدر الأعظم يدعوك . ولما دخلت على الصدر الأعظم كنت لابساً قامة مفضضة على صدري . فلما رأي قام لاستقبالي وأجلسني بجانبه وأمر لي بسيكارة وقهوة وسألني أنت شيخ اليزيدية ؟ أجبت به نعم ! فسألني كيف حالكم وحال حكومتكم ؟ أجبت به : بخير وراحة بحمد الله .. « هـ .

وفي صحيفة ٢٨ : « ولما دخلت غرفة الرئيس (رئيس مجلس النواب) ما كان حاضراً لكن السكرتير خاصته إحترمني وأكرمني وأمر لي بسيكارة وقهوة وجاي ، وقال ان الرئيس الآن بالجلسة ، فلآن تنتهي الجلسة ، فعندما انتهت الجلسة حضر الرئيس فقامت لاستقباله وسلمت عليه .. وهو كان مبعوث أزمير رجل رومي واسمه « ارسليدي باشا » (٢) وقال لي : « لازم تحضر في كل يوم اثنين وخميس تنفرج على المبعوثان وحوادثهم ، وأعطاني كارت من يده وشرح عليها بأن شيخ اليزيدية يرخص ان يحضر الجلسات بدون مانع .. « هـ .

وجاء في صحيفة ٢٩ : « فتوجهت الى بيت شيخ الاسلام نهار الجمعة وواجهته بداره وعندما رأي احتفل بي وأمرني بالجلوس وأمر لي بسيكارة وقهوة .. « هـ .

وجاء في صحيفة ٣٠ في البحث عن زيارته للشيخ عبد القادر رئيس مجلس الأعيان

(١) من أين لهذا الجاهل ان يعلم ان الفريق عمر وهي كان مأموراً للاصلاحات في العراق قبل تعيين نوري باشا والياً على الموصل بعشر سنين ، فقد كانت مهمة الفريق في الموصل من سنة ١٣٠٨ الى سنة ١٣٠٩ وولاية نوري باشا من سنة ١٣١٨ الى سنة ١٣٢٠ هـ

(٢) لعله قصد ارسليدي باشا ولكنه جهل انه لم يكن رئيساً لمجلس النواب العثماني.

- وهو الشيخ عبد القادر الكردي - « أشير عليك أبق هنا عندي ، أدخلك سنة واحدة بالمكتب وتعلم قراءة وكتابة قليلا وأنا أخطب لك ابنة أحد الوزراء ، وأحصل لك معاش من الدولة ما أقل من خمسين ليرة شهرياً ، وبعد ذلك نعطيك رتبة وتذهب الى أولئك الجهلاء الكلاب وتعمل ما تشاء . فجاوبته ما أرى موافقاً لسعادتكم ان تنطقوا بكذا كلام مع مثلي ولازم حضرتكم ان تحشوا الناس ان يتمسكوا بديانتهم . فأجاب وكأنه أحس بغلطه : أنا أعمل لطافة معك فلا تتكدر من كلامي (١) » اهـ

على هذا المنوال كان اسماعيل جول اليزيدي يعلم سيرته على فرسان مكتب التبشير وهم يسجلونها له . والالسان مها يكن أحقاً ومغفلاً لا يرضى ان يسجل على نفسه هكذا أكاذيب . ولكنه رضى بذلك بعد ان وضع فرسان المكتب عقله تحت تصرفهم لكثرة ما كانوا يعطونه من الخدر حتى كان يرى نفسه في غرفة مربعة ومستطيلة وقد نظمت فيها المقاعد من حجر الكهرب الأصفر والأحمر واللازوردي فيأتى ملك الروس وزوجته ويصافحونه ويأمر الملك باخراج حرس شرف له أينما ذهب وحل ويضربون البنادق تكريماً له . ثم يرى نفسه في اسطنبول فيزور الصدر الأعظم وشيخ الاسلام ورئيس مجلس النواب والأعيان فيقومون إجلالاً وتكريماً له ويجلسونه بجانبهم ويحادثونه ويقدمون له الجاي والقهوة والسجائر والبسكويت في كل مجلس ، ويكلفه رئيس مجلس الأعيان بتزويجه بنت أحد الوزراء ، فتأخذ العزة في الدين ويرد عليه فيحس رئيس مجلس الأعيان بخطأه فيأخذ يعتذر منه .

وهنا يضعف فيه مفعول الخدر فيعطيه الفرسان جرعة قوية تجمع له بمن في الهذيان فيقول في ص ٣ و ٤ : « ورأيت نفسي في بيت قسيس . وأن ذلك القسيس ألبسني قميصاً طويلاً على طول بدني والى الأرض ، وكان القميص من الكتان ، وفوق القميص ألبسني لباس الرهبان النصارى ، وتحت قميص الكتان قميص مقصب بالذهب (٣) » .

(١) كنت اقرأ هذه الفصول على أحد اليزيديين وكان يصغي لي باهتمام . قلت له : ما تقول في اقتراح رئيس مجلس الأعيان العثماني على اسماعيل بك بتزويجه ابنة أحد الوزراء . فامتعض كثيراً وقال : حقاً لقد كان بائساً في حياته وفي مماته ، وما جنى عليه غير اسرافه على نفسه . قلت له : كيف كان ذلك ؟ فنقرب مني وهمس باذني : ألم تعلم انه صار قرداً ؟ وهذا ما يعتقدونه الكثير من اليزيدية فيه .

وفي صحيفة ٣٥ يقول : « وأتى معي أخو (كلي افندي هرمز) و (اسكندر افندي بن يوحنا افندي سفر) الى دائرة القامعقام ووصلنا اليه بالمرز وقدم لنا سيكاير وقهوة (كم كنت حقير النفس يا صاحبي وتهتم بالسيكاير والقهوة التي تقدم اليك) ... وان القامعقام كان رجل سوري وكان عنده القاضي .. وسألوني الى اي ملة نميلون أزيد ، أللأسلام ام النصرى؟ فأجبتهم ان الاسلام أصدقائنا ومحبين لنا ، لكن النصرى ما يتعرضون لديانتنا ولا الى أعراضنا ، ولهذا نميل الى المسيحيين » (١) .

وفي صحيفة ٣٦ يقول : « وكان بالحبس حاجو اغا ، وأغوات أوسريان وأغوات ملية والخلجة وخلف أغا من المحامية . وبهذه الأيام ان يوسف اغا وأحمد اغا أغوات الأوسريان كانا بمران أمامي وبسبان دياتي وطاؤوس ملك فن ضيقتي أنا ايضاً سببت دينهم ، وقلت لا ، هذا جميعه نبيكم عمله .. » اهـ

وفي صحيفة ٤٦ يقول : « وبقيت عشرين يوم بالحبس وان واحداً من بيت كشمولة اسمه (شوفتلي) وآخر اسمه سيد عبد ، كل وقت يسبون مذهبي وطاؤوس ملك أمامي وغير ذلك من إهانات دياتي ، فلما انحصرت كثيراً أنا ايضاً سببت ديانتهم وكفرت بجد السادات جميعهم .. » .

وفي صحيفة ٦١ في حلم رآه يقول : « وهناك ايضاً رأيت امرأة صدرها مكشوف وتديها اليمين على كتفها الشمال وتديها الشمال على كتفها اليمين ويدها حجبرين وهي تضرب على صدرها وتصرخ بأعلى صوتها . فسألت الذي يضرب الطنبورة من هذه المرأة ؟ فقال : أما تعرفها ؟ هي والدة محمد ، وهي تضرب على صدرها لأن الاسلامية بادت وانمحت ... فانتبهت وأنا مفكر بهذه الرؤيا ، فقلت بقلبي انشا الله تكون دلائل خير وان تكون هذه الرؤيا حقيقية » .

فهل بعد هذا حاجة لفهم الأسباب التي حدثت بالدكتور زريق لافظهار اهتمامه الشديد

(١) تفسيره يا كرتي العزيز انك ستصبح باذن الله راهباً كبيراً وستكون لك سلطة دينية واسعة بعد ان حرمك اليزيدية سلطتك التي لا حق لك فيها ، وسيخصص لك راتباً ضخماً على حساب معمل التبشير ، وستنال ثروة واسعة حيث تلبس القميص المذهب تحت لباس الكهنوت . وأقسم انك كنت تعلم بهذا في اللحظة فضلاً عن النوم ..

بهذه الرسالة وكيه المدح والثناء لصاحبها اليزيدي المأفون وجعله من النوابع الأفذاذ الذين قلما أتى الدهر بمثلهم ؟ وهو لم يحسن له بقدر ما أساء اليه إذ جعله سخرية بين الناس وكشف عن حقيقته وضعة نفسه . واسماعيل جول لا يمكن ان يكون خيراً من هذا ان الدكتور زريق الذي استطاع ان يصرح على لسان صاحب هذه الرسالة ميل اليزيدية الى النصرانية وجعله يذهب بدعواه الى أنه لا كبير فرق بين اليزيدية والمسيحية ويجب ان يكونوا فرقة منهم ، وجعله يتهجم على الاسلام ويسب ديانتهم ويكفر بمجد ساداتهم جميعاً لقد أصبح مطمئناً من نجاحه في مهمته وأن الأمر بسيط للغاية ولا يحتاجه الى أكثر من تفح هذا اليزيدي قبضة من الدراهم واشباع بطنه ، وهو فوز عظيم لم يكن من نصيب أحد غيره ، ولكن فاته ان هذا اليزيدي قد هزأ به ، وضحك عليه في سره وعلايته وهذا هو دأبه مع كل من يتصل به من المسلمين والنصارى ، واسماعيل جول هو يزيدي صميمي فح يتعصب لدينته أكثر من اي يزيدي آخر وما يبيعه من الأخبار لا يعد سراً من الأسرار الدينية اليزيدية المحظورة إفشاؤها وكل ما قاله معلوم لدى كل أحد واذا اجتمعت اليوم بأي يزيدي نباح لك بهذه الأخبار بدون عن ولكن مما أجزلت له بالعطاء لا يروح لك بأسرار عبادة « سمايي » التي يقيمونها ليالي عيد الجماعة في المرقد المبارك ، ولا يكشف لك عن أسرار صلاة ليلة القدر ، والادعية التي يرتلها القوالون في حفلات المآتم ، وتلقين الميت عند الدفن عليه . وهكذا اسماعيل جول .

والآن لننظر في الفصل الثاني من هذه الرسالة في عادات اليزيدية ومعتقداتهم :
ان العادات والتقاليد والمعتقدات التي يتبعها اليزيدية معروفة ، وقد خبط فيها الاستاذ زريق خبط عشواء ، وأضاف اليها اشياء من عنده ، ووجهها توجيهاً سيئاً . من ذلك ما جاء في صفحة ٩٤ قوله :

« فاليزيديون يأخذون الصوم والتضحية والعماد من النصارى ، والفهم من الاسلام ، وأصول الديانة من الملائكة والأولياء ، وتحليل الخطيئة من الشيوخ والاسماء » وزعم ان هذا الخبط ينطبق على نظرية براون ، وتايوت ، وجميل ، وجوزيف ، ويتفق معها

لفظاً ومعنى ، وعزاه الى البطل البيزدي ، وعده دليلاً على ألمعيته وعبقريته . والقول
بامتزاج عناصر أديان كثيرة في الديانة البيزدية قاله آخرون غير الذين ذكرهم ، وهو قول
خطي . منشؤه عدم الاحاطة والالمام بمعتقدات هذه الطائفة ، ولو علموا ان قسماً من
هذه العناصر - وبالأخص تحريم المأكولات - دخل عليهم بتأثير ظروف خاصة لا علاقة
له بالدين ، وقسماً ما هو اسلامي صرف ، والبقية أخذوه من المجوسية ديانته القديمة ،
لما اتبعوا بحقهم هذه الفكرة ، ولما سارع الدكتور الفاضل الى استغلالها وأدخل على
هذه الديانة - على لسان اسماعيل جول - عناصر جديدة لم يكن احد قد تكلم فيها ، ولم
ير للاسلامية - التي سبها وسب نبيها على لسان هذا الأرعن - نصيباً من هذه المظاهر
أكثر من « الفهم » وجعل « الصوم » عنصراً نصرانياً ، والصوم عند البيزدية
إسلامي بجميع مظاهره ، وقد تكلم الباحثون عن صورة جعلهم الصيام ثلاثة ايام بدلاً من
ثلاثين يوماً . و « العهد » الذي يتخذونه دعاء النصرانية أقوى مستمسك لجمع صلة
للبيزدية بالنصرانية لم يكن عماداً بالمعنى المفهوم لدى النصارى . وقد بينا خطأهم فيه في
مواضع كثيرة ولا حاجة الى تكراره ، وقوله : أخذهم أصول الديانة من الملائكة والاولياء
« لا يعبر عنه بأكثر من هذيان محوم بلغ درجة الاربعين . فإذا كان عندهم أولياء
وقد أخذوا منهم أصول ديانتهم فأين لقوا الملائكة وأخذوا منهم ؟ وقوله : أخذهم
السجود من الوثنيين ، فعندما لم يكن للمسيحيين سجود في صلاتهم ، وبخيل على المسلمين
ان يكون هذا السجود أخذ منهم ، قال انهم أخذوه من الوثنيين ، وما درى ان
الوثنيين لم يكن لديهم سجود على الشكل المعتاد في الصلاة عند المسلمين . ولو اعلمه
اسماعيل جول بان للبيزدية صلاة يقيمونها ليلة القدر في مرقد الشيخ عدي طبقاً لما
هو جار في الاسلام ، ويصلون ويقرأون القرآن ويكثر من السجود ، لما تورط في
هذا القول . ولم نعلم القصد من قوله : أخذهم المخالفة من الرافضيين ، ولعله جرى على
قلبه عفواً دون تفكير وتأمل . أما أخذهم ذبح الاشخاص من الجاهليين فهو كلام
يدعو الى السخرية والاستهزاء معا . فإذا كان ذبح الاشخاص من خصائص الجاهليين
فما هم والجاهليون حتى يأخذوا هذه العادة منهم ؟ وقوله : أخذهم عادة تحليل الخطي .

من الشيوخ والأمراء فهو هراء ، ومتى كان الشيوخ والأمراء يحلون الخطأ وهي عادة نصرانية ، فما منعه ان يقول انهم أخذوها منهم ؟
وقد اختار الاستاذ زريق هذا العناء والتكلف في ارجاع كل عقيدة وعادة وجدها في هؤلاء القوم الى احدى الديانات ليدل على عدم وجود صلة لهذا الدين بالاسلام عدا أخذه « الفهم » منه . ولنا من الغباوة وقلة الفهم بالدرجة التي نعتقد ان صاحب النظرية هو اسماعيل جول والاستاذ بعيد عنها ، واسماعيل جول الأحمي الغبي لا يصلح ان يكون اكثر من راعي ابقار وليس له من العقل والفهم ما يوصله الى هكذا مباحث..

﴿ الامام الشيخ تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ﴾

﴿ الدمشقي المتوفي عام ٧٢٦ هـ ﴾

﴿ ووصيته الكبرى الى أصحاب الشيخ عدي بن مسافر الأموي ﴾

يعده مؤلفوا الاسلام مجدد القرن السادس الهجري وقد حصر حياته المملوءة بجلال الأعمال في الرد على المبتدعة وأصحاب النحل والأهواء الضالة من الاسلام . وهو شديد الوطأة على أصحاب الطرق التصوفية والتنديد بهم ، وربما كان يذهب الى تكفير البعض منهم . وفي العصر الذي طاش فيه ظهرت الحركة الانقلابية التي قام بها رجال البيت العدوي في الموصل في الدين والسياسة ومرت من جانبه حوادث خطيرة عنهم في الشام وفي مصر ووقف على كل ما يخصهم ويتعلق فيهم . وكان من المتوقع ان يكتب ما يزيح الستار عن حقيقة أمرهم وهو الذي كتب في كل موضوع ، وبحث عن كل نحلة ، وتكلم عن كل عقيدة وأوسعها نقداً وتعريضاً ونجريحاً ، إلا ان ما كتبه عنهم لم يخرج عن كونه مجموعة نصائح أراد به إصلاح ما فسد من عقائدهم وقد رأى عوامل الفساد أخذت تنخر فيهم وتبعدهم شيئاً فشيئاً عن الاسلام ، ولم نجده أظهر في مؤلفاته الكثيرة تسامحاً مع أهل نحلة بقدر ما أظهره مع اصحاب هذه النحلة وعطف على آل عدي القائمين بأمرهم ، وتألم لمصاب الشيخ حسن وقتله على أثر الفتنة التي قامت بينه وبين الحزب الشيعي في الموصل ، ونعتقد ان لو كان أمرهم مع غير الشيعة لما انتصر لهم ، إلا

انه يمت الشيعية ويكرهم .

أن مجموعة هذه النصائح التي وجهها الى أصحاب طريقة الشيخ عدي والتي سماها (بالوصية الكبرى) تفيدنا أشياء كثيرة عن هذه الطائفة ، (منها) : عراقتهم بالاسلام ، وأن شيخهم « الشيخ عدي بن مسافر الأموي » لم يكن بالرجل الذي يطعن بدينه وبشك في عقيدته ، وقد بقيت طريقته محفوظة ولم يطرأ عليها فساد الى ان ظهر الشيخ حسن . و (منها) ان الفساد الذي دخل عليهم كان تدريجياً وقد بقي العلم موجوداً فيهم بعد ان مضى على الشيخ حسن نحو ثمانين سنة ، وكان لديهم علماء يقرأون الفقه والحديث والتفسير ويجادلون في المسائل الاعتقادية ، وهذا يبطل ما يقال أن العلم رفع من بينهم وفرضت عليهم الأمية على عهد الشيخ حسن إلا من أهل بيته . و (منها) نفي الطبر الذي يدعيه دعاة الشيعة عن عدائهم لأهل البيت العلوي ، وانهم كانوا يحملون لهم كراهية ومقتاً وكانوا يطعنون بعلي وأولاده . و (منها) أن هذا الدين لم يكن قد ظهر بشكله الحاضر حتى القرن التاسع الهجري وكانت صبغة الاسلام لا تزال باقية عليه ، والمظاهر الوثنية التي نجدها في أصحابه من عبادة إله الشر والسجود للشمس واتخاذهم أرباباً لهم من مشايخهم وعدائهم للاسلام وكفرهم بكل ما هو إسلامي ، وإتباعهم (الجلوة) بدلاً من (القرآن) جميعها دخلت عليهم بعد ان غربت شمس القرن الثامن الهجري . ولم نكن مخطئين اذا ادعينا أن التشكيلات الطائفية التي نجدها فيهم الآن والتي يرجعونها الى مشائخهم من رجال البيت العدوي لم تكن موجودة قبلاً وقد ظهرت اخيراً .

أن وصية الامام ابن تيمية رضى الله عنه على جانب كبير من الأهمية ، وهي تبطل جميع الآراء والنظريات التي أتى بها الكتاب والباحثون عن هذه الديانة وتؤيد لنا بطلان دعوى (برسي بادجر) التي أراد ان يجعل منها ديانة نصرانية صرفة ويقطع ما لها من علاقة بالاسلام ، وتسفه رأي الذين يذهبون الى انها مزيج من عناصر أديان مختلفة لفقها لهم شيوخم ، وبالأخير تدل على خطأ الذين يريدون ان يشوهوا سمعة آل عدي وينكرون عليهم نسبهم ويطعنون بعقيدتهم .

ولم نكن نحن أول من انتبه الى هذه الوصية ، فقد انتبه اليها ايضا الأستاذ العزاوي ،

والعلامة المرحوم احمد تيمور باشا وغيرهم ممن لم يقدروا عن انصاف رجال البيت العدوي وتزييه طريقته . ولكنهم لم يوفوها ما تستحقه من الدراسة ، ولو فعلوا لدرأوا الأوهام والشبهات عن رجال هذا البيت وعن طريقته .

تشتمل هذه الوصية على خمس وخمسين صحيفة من مجموعة رسائل الامام ابن تيمية ، وهي السابعة منها عدد فيها وجوه الفساد والزيف الذي طرأ على هذه الطائفة في عقائدهم وأراد معالجته لا بطريقة الاستدلال العقلي والحجج المنطقية بل بالآية والحديث حيث وجد مفهومها أقرب الى عقولهم وتأثيرها أشد في نفوسهم وهم لا يزالون متمسكين بالاسلام ويرجو إصلاحهم .

فبعد ان أورد آيات كثيرة تدل على بعث النبي الكريم بالهدى ودين الحق ، وان الاسلام الجامع لأقصى الكمالات الانسانية هو أصدق الأديان وأقومها ، وينهي عن الفحشاء والمنكر ، والشرك بالله ، ويأمر باجتنب الطاغوت ، واتباع ما فرضه الله على عباده من الأعمال الصالحة أخذ (ينههم) عن قتل النفس بغير حق ، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاسم بغير الحق ، والكلام في الدين بغير علم مع ما يدخل في التوحيد من إخلاص لدين الله ، و (يأمرهم) باتباع الشرائع التي هدى الله بها نبيه الكريم وأمته من الصلوات الخمس والركوع والسجود واستقبال القبلة ، وفرائض الزكوات ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت الحرام ، والحدود التي حددها لهم الشرع والسنن التي سننها لهم الرسول في أحكام المعاملات والعادات وحبب لهم الإيمان وزينه في قلوبهم ، و (ينههم) عن الاختلاف ويأمرهم بالجماعة والائتلاف عملاً بقوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا » وقوله تعالى : « وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » الى غير ذلك من الآيات التي تنهي عن الاختلاف والتفرقة ونحث على الاتفاق والاتحاد (ويدلهم) على ان الفرقة الناجية من الاسلام أهل السنة وهم وسط في النحل ، كما ان ملة الاسلام وسط في الملل ، ولم يغفل الاسلام في انبياء الله ورسوله وعباده الصالحين كما غلت النصراني فأتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود فكانوا يقتلون الانبياء

بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرهم بالقسط من الناس ، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى
أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً ، بل المؤمنون هم الذين آمنوا بالله ورسوله وعززوهم
ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً كما قال تعالى :
« وما كان لبشر أن يؤتيه الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي
من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا
يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد أن أنتم مسلمون » ،
(ويوجب) عليهم الاستمتاع بالطيبات التي أحلها لهم دين الاسلام وبنهاهم عن تحريم
ما أحل الله ، (ويحذرهم) عن توصيف الله بصفات الخلق الناقصة كاليهود الذين قالوا
عن الله هو فقير ونحن اغنياء ، وقالوا يد الله مغلولة ، وقالوا انه تعب من الخلق فاستراح
يوم السبت ، (وبنهاهم) عن التفضيل بين صحابة رسول الله (كالجالية) الذين يغالون
في علي رضي الله عنه ويفضلونه على أبي بكر وعمر ، ويعتقدون انه الامام المصوم ، وان
الصحابة ظلموا وفسقوا وكفروا الأمة بعدهم ، وربما يجعلونه نبياً ، او (كالجافية)
الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان ويستحلون دماءها ودماء من تولاها ، ويستبيحون
دم علي وعثمان ونحوها ، ويقدمون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته
(ويحذرهم) عن متابعة الشيطان لأنه أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها حتى
مرفقوا عن الاسلام كما يرق السهم من الرمية (ويحنبهم) عن إتباع الظن والهوى الذي
هو أصل كل ضلال (وبنهاهم) عن الغلو في بعض المشائخ او في كل من يعتقد به الصلاح
كعلي وعدي حتى جعلوا فيهم نوعاً من الألوهية ويفهمهم ان ذلك شرك وضلال يستتاب
صاحبه فان تاب وإلا قتل (وبنهاهم) عن ان يدعوا مع الله إلهاً آخر او يعبدوا القبور
ويقولون انما نعبدكم ليقربونا الى الله زلفى ، او يقولون هم شفعاؤنا عند الله (وبنهاهم)
عن الاستغانة بها والسجود عندها والمسح بالأحجار وتقبيلها (ويدلهم) على ان من أله
بشراً ، او دعا ميتاً ، او طلب منه الرزق والهداية والنصر ، وتوكل عليه ، او سجد له
يستتاب ، فان تاب وإلا ضربت عنقه ، ومن فضل أحداً من المشائخ على النبي صلى الله
عليه وسلم وأعتقد انه استغنى عن طاعة رسول الله فيستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه

ومن اعتقد ان أحداً من أولياء الله يكون مع محمد كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فإنه يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه (وينهاهم) عن تفضيل غيرهم وتكفيرهم واستحلال عرضهم ودمهم ومالهم وربما يكون الصواب معهم ، او يكونون قد اخطأوا في شيء من الأمور وليس كل من أخطأ يكون كافراً او زنديقاً (ويحذرهم) عن التمييز والتفريق بين الامة والانتساب والتحيز الى أحد دون الآخر ويدعوهم الى التراحم (ويوجب) عليهم الاعتدال والاقتصاد في أمر الصحابة والقراة رضى الله عنهم وعدم التحيز لأحد (يفهمهم) ان القرآن كلام منزل غير مخلوق وهو كلام الله لا كلام غيره منه بدأ واليه يعود ، وان الشكلة والنقطة هما ليستا داخلتين فيه (ويأمرهم) ان لا يكونوا في باب أسماء الله وآياته وصفاته من أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حيث يشبهونه بالعدم والموات ، ولا من أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات بل ان يتبعوا أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل .

هذا ملخص ما جاء في الوصية الكبرى للامام ابن تيمية التي خاطب بها جماعة الامام القدوة العارف الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، ولم يدع نصيحة إلا وأسداها لهم ، ولا عملاً منكراً إلا ونهاهم عنه . وقد وجهها الى جماعة من العلماء من هذه الطائفة لا الى الطغام والرعاة الذين لا يفقهون قولاً ولم تؤثر فيهم موعظة او نصيحة . وكان ذلك بالوقت الذي اشتد الخصام بينهم حول المسائل الاعتقادية وأخذ بعضهم يكفر بعضاً ، وقامت بينهم فتنة شعواء كادت ان تودي بهم الى الهلاك . ولو ظهرت هذه الفتنة على زمن « بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل الذي عرف بمنائاته لهذا الدين لاستغل الموقف وأنزل ضربته المميتة فيهم وقضى عليهم ، ولكن من حسن حظهم ان ظهرت على عهد الملوك الايلخانيين ، والايلخانيون لم يمبروا هكذا اختلافات اهتماماً ، وكل ما فعلوه ان قبضوا على البعض من اصحاب هذه الفتنة وألقوهم في السجن .

فما هي التأثيرات التي أحدثتها هذه الوصية في نفوس هؤلاء القوم ؟ وهل أوجدت

شيئاً من الإصلاح في عقائدهم ؟ إننا اذا اتبعنا سير الحوادث فرى ان ابن تيمية جاء بوصيته هذه اليهم متأخراً ، والفساد الذى دخل عليهم في عقائدهم أبعدهم عن قبول أي اصلاح ولم يكاد ينفع فيهم عدل عاذل او نصيح ناصح . ولم يدخل القرن التاسع الهجرى إلا وتم كل شيء . وظهر هذا الدين للوجود ، وأخذ على ممر الأيام يزداد قوة وانتشاراً .

لقد بقى هذا الدين في دور التكوين عصرآ ونصف عصر ، وسببه استنكار النفوس منه ومقاومته بشنى الوسائل ، ثم الاختلافات التي ظهرت بين أصحابه ، وقد بقى في مد وجزر وقبول وإنكار ، الى ان تم ظهوره على هذا الشكل وتحققت أماني الشيخ حسن التي ذهب ضحية في سبيلها ولكن بعد حين . أما وصية ابن تيمية التي نحن بصدد البحث عنها فقد اصبحت وثيقة تاريخية يرجع اليها لمعرفة هذا الدين وظهوره والتطورات التي أصابته في سيره .

﴿ فيها أصدره علماء الاسلام من الفتاوى بحق الطائفة الزيدية ﴾
(وما تركته من أثر على الحالة الاجتماعية في هذه البلاد)

لقد أخذت الفتاوى التي أصدرتها جماعة من علماء الاسلام دوراً هاماً خطيراً في حياة هؤلاء القوم وألقتهم في حروب طاحنة دامت أكثر من ثلاثة عصور وهم يتحملون كل أنواع الألم والعذاب ولم يظهروا يوماً استسلاماً. ولو سألنا هؤلاء العلماء الأسباب التي دعتهم الى إصدار هذه الفتاوى التي ألقت هذه البلاد في فوضى واختلال طيلة هذه المدة لأجابونا : هو الدين . وكأن الدين تصدعت جوانبه وهدمت أركانه لسبب ما أصاب هذه الشريعة القليلة من زيغ في عقائدها وأرادوا حفظه من الضياع والتدهور وليس من يغار عليه غيرهم .

إن أول فتوى صدرت بحق هذه الطائفة هي فتوى أبو السعود العمادي (١) (٨٩٦ - ٩٨٢ هـ) الذي أشغل منصب الافتاء ثلاثين سنة على عهد السلطان سليمان القانوني والسلطان سليم الثاني . والفتاوى التي صدرت أخيراً جميعها مأخوذة منها . والمفتي العمادي اذا كان أصدر هذه الفتوى بحكم وظيفته ومنصبه الرسمي ، وبأمر السلطان فبقية العلماء أصدروا فتاويهم نزولاً عند رغبة أمير او زعيم ليبرروا أعماله من الناحية الشرعية وهم ليسوا مكلفين بإصدارها ، وسنرى ما أحدثته هذه الفتاوى من اضطرابات وقلقل في حالة البلد وما كان لها من تأثير سيء على المجتمع .

إن المفتي أبا السعود العمادي بصفته أكبر علماء عصره وله شهرته العظيمة في عالم الافتاء فلا شك ان يكون لفتاواه قيمة كبيرة ، ومنها يمكننا ان نفهم حالة هذه الطائفة الدينية ، ودرجة الانحراف الذي أصابها في عقائدها في أول عصر ظهورها ، إلا انه مع الاسف أصبحت

(١) اسمه احمد وأبوه مصطفى من اكراد العمادية : ولد في اسطنبول وسلك طريقة العلم ودرس في امهات المدارس وارتقى منصب الافتاء سنة ٩٥٢ هـ وتوفي عن عمر بلغ (٨٧) سنة ، وله من التأليف التفسير على القرآن المجيد وحاشية على كتاب البيوع وكتاب الفتاوى المعروف باسمه وحاشية على تفسير سورة الفتح للكشاف واشعار كثيرة في العربية والفارسية والتركية وله قصيدته البيضة المشهورة ومطلعها :

ابعد سليبي مطلب ومرام ودون ذراها موقف ومقام

ان تكون مفقودة ، وقد بحثنا عنها في كل خزانة وحتى في خزانات اسطنبول العامة بواسطة معارفينا هناك ولم نعثر عليها . وقد دلنا البحث على نسخة لها في مكتبة المرحوم الحاجي امين بك الجليلي ، ولكننا لم نقطع في كونها هي فتوى المهادي نفسه وان كان كاتبها أشار في أولها الى أنها له ، وذلك لما نجده فيها من أغلاط وأخطاء لا يصح صدورها من عالم جليل مثل المهادي .

فبعد ان صدر الكاتب الفتوى بهذه الكلمة : « وقد أفتى شيخ الاسلام ، ومرجع الخاص والعام ، العالم العلامة ، والخبر الفهامة ابو السعود افندي رحمه الله وأرضاه بحق الطائفة اليزيدية المرتدة لعنهم الله ودمرهم واستأصلهم بأمر السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان » قال : « وهذه صورة الفتوى » :

« ما قول أئمتنا الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية ، وما جوابهم عن عسكر المسلمين اذا غزوا هؤلاء الطائفة الطاغية وقتلهم ، او قتل أحد من المسلمين بأيديهم ، هل يكون قائلهم غازياً ، ومقتولهم شهيداً ؟ أفتونا مأجورين مثايين :

الجواب والله أعلم بالصواب : يكون قائلهم غازياً ، ومقتولهم شهيداً لأن جهادهم وقتالهم جهاد أكبر ، وشهادة عظمى . وفي هذه الحالة سبب حل قتلهم ، وسبب حل سبي نساءهم وذرائعهم ، او السبب بغضهم لحضرة الامامين الهامين الكاملين التقيين النقيين الشهيدين النسيبين الامام ابي محمد الحسن السبط ، والامام ابي عبد الله الحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وعداوتهم المقتضية لاستحلال قتلهم وقتل أولادهم من أهل بيت النبوة إغاضة لخدم الرسول عليه الصلوة والسلام ، او السبب في ذلك بغضهم لحضرة قدوة الأولياء مدينة العلم الخليفة الرابع علي المرتضى ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم المقتضى بغضه بغض الله ورسوله ، وتحقير علمه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او لسبب استحلالهم قتل العلماء الفاضلين ، او استحلال قتل المشائخ الكاملين ، وقتل رؤساء الدين المبين ، والاستهزاء بكلام الله المجيد . وبالكتب الشرعية والتفاسير والأحاديث ، وإنكار يوم القيمة والحشر والنشر ، وإنكار أركان الدين الخمسة ، او السبب الموجب لقتلهم اعتقادهم في (عدي بن مسافر) الأموي انه الشريك الأغلب

لحضرة رب العزة جل شأنه ، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، او السبب محبتهم التامة مع الشيطان اللعين واعتقادهم فيه أنه طاووس الملائكة مشافهة لأخبار الله عز وجل ، او السبب في وجوب قتلهم قطع طريق عباد الله وإخافة أبناء السبيل بسفك الدماء ونهب الأموال على الدوام بلا انقطاع أخذاً من قوله عز وجل « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف » الآية ، او السبب : إبانهم عن عقود أنكحتهم من أنفسهم وإنما يفوضون عقودهم الى رأي رئيسهم الفاجر ، او السبب في ذلك غير هذه الوجوه المذكورة أفوتونا الجواب الصحيح تكونون مأجورين .

الجواب : نعم أسباب حل قتالهم هي جميع الوجوه المذكورة ، وهم أشد كفراً من الكفار الأصليين ، وقتلهم حلال في المذاهب الأربعة ، وجهادهم أصوب وأثوب من العبادات الدينية ، وتشيت شملهم ، وتفريق جموعهم ، والمباشرة في قتلهم وقتل رؤسائهم من الواجبات الدينية ، وحكام الوقت والولاية الذين يرخصون في قتلهم ، وبحرضون على قتالهم ويرغبون في سببهم شكر الله سعيهم وأعانهم وساعدتهم على مقاصدهم وأيدهم عليهم بنصره العزيز . فلم ان يقتلوا رجالهم ويستأسروا ذريتهم ونساءهم ويبيعوهم في أسواق المسلمين كما سارى سائر الكفار ، ويحل لهم ايضاً التصرف في أبكارهم وزوجاتهم بعد الاستبراء بملك اليمين على ما عليه الفتوى ، من القول الأقوى . فتحقق حينئذ كفرهم وجواز لعنهم . فأما امتناع الامام الشافعي رضي الله عنه عن لعن (يزيد) لعنه الله فليس بثابت كرواية عنه ، ولئن سلم ثبوته عنه ، فامتناعه انما كان لأجل عدم كون ذلك اللعين من عبدة الأوثان ، لا لأجل كونه عنده مؤمناً ، لأن بعض الأولياء المقربين ، أخذوا عنه الخبر بحسب المعنى من روحه الشريفة ، ومن مرقدته العالي . وقد أخذوا ايضاً في عالم الرؤيا أخباراً صحيحة في تجويز اللعن على يزيد ، وقد قال الامام نعمان بن ثابت ابو حنيفة الكوفي عليه رحمة الوفي في يزيد : ملعون ، ووقع هذا اللعن منه في جواب الامام ابي يوسف عليه الرحمة وهذه الطائفة الطاغية لبسوا من الأتنيين وسبعين فرقة من الفرق الاسلامية بل هم مرتدون عن الاسلام خارجون عن الملل كلها لأنهم مرتكبون

في الدوام الفسق والفجور ، ومبيحون الأعمال الفبيحة والخمر ، ومعتادون على قطع السبيل على عباد الله وعلى سفك دمائهم وغصب أموالهم ، ومجموعهم من قبيل أولاد الزنا وأيضاً باجتماع علماء الامصار كلهم كعلماء اليمن وقره باغ وعلماء التاتار أفتوا بحل قتلهم ، واسترقاق وسبي نساءهم وذريتهم بالتأكد البليغ وينبوا ان قاتلهم ينال ثواب الدارين ، وداخلا جنات النعيم حتى مولانا الامام نحر الدين الرازي في أما كن متعددة من تفسيره الكبير أثبت جواز اللعن على يزيد مستدلاً على الجواز بدلائل عقلية ونقلية وأثبت حل قتلهم ، وحصول أجر الغزاة لقاتلهم ، وثواب الشهداء لمقتولهم ، وأثبت حل التصرف بملك اليمن في أبكارهم وزوجاتهم وإباحة أسر نساءهم وذريتهم وجواز بيعهم شريعاً ، وقال ذلك في تفسير بعض السور القرآنية ، وكذلك الامام احمد ، والامام ابي الليث السمرقندي ومولانا عبدالرحمن الجامي ، أفتوا كلهم بجواز التصرف بهم حتى ان مولانا المذكور كتب في الاباحة المذكورة رسالة فتوى واني رأيتها عياناً بخطه ، ولا سيما سعد الدين التفتازاني في شرح عقائده صرح بجواز اللعن على يزيد وعلى أنصاره وأعوانه وكذلك السيد الشريف الجرجاني ، وأكثر العلماء صرحوا بجواز اللعن على يزيد وبالتعجيل على قتلهم من غير إمهال وعدوا إمهال قتلهم مذموماً ولا سيما حضرة الشيخ عبدالقادر الجيلي قدس الله سره العزيز فقد قال في وعظه الشريف في بغداد : اسمعوا يا معاشر العلماء والصوفيين ان يزيد بن معاوية ملعون ، وعمله باطل ، وأعوانه ضالون وأنصاره باغوت ، يدخلون النار معه بأشياءهم ، قال ذلك على منبره خطيباً مصرحاً بتحقيق موته على الكفر وقال : إلا ان أولياء الله وأحبابه ، وصالحى خلقه أعداء هذا اللعين وباغضوه . نقل ذلك القول عنه محققو أصحابه في كتابه المسمى بالوعظى ، حتى قال ان قتال هذه الطائفة الضالة أهم من قتال الكفار الاصلين لسراية اضرارهم للناس حتى يروى عن علي كرم الله وجهه انه لما رجم من قتال الخوارج منصوراً قال يا أيها الناس ان كل من عادى أولادى ، وأهل بيتى الطاهرين وأهائهم فكأنما بغض رسول الله وأهان الخلفاء الكرام وهو عند الله فاجر ملعون ، ومن بعد : فكل من كان مؤمناً موحداً لا ينبغي له ان يتردد في إهائهم وقتلهم واستحلال أطفالهم وأموالهم . والاهانة لهؤلاء

الحذلة إكراما للأنبياء والأولياء والخلفاء وتفریح يلحق بروحي بمدي . إذ قطع
فسادات هذه الطائفة عن وجه الأرض من الواجبات الشرعية فلاجل ذلك حررت هذه
الفتوى وأثبتتها نقلا وشرعا واجتهادا وسلمتها بأيدي أهل الجهاد والتقوى حتى تصل
اليهم الغيرة على كتاب الله المبين ، وتحصل لهم النخوة على الدين المبين . ولا أعلم الغيب
وسيعلم الدين ظالموا اي منقلب ينقلبون . انتهت .

ان صاحب هذه الفتوى سواء أكان المفتي المهادي نفسه او من انتحل اسمه أوجب
هذه الأحكام بحق هذه الطائفة في وقت كانت فيه من رعايا الدولة ، ورعايا الدولة مها
أنوا من الأعمال المخالفة لحكم الشرع والنظام وخرجوا عن الطاعة لا يجوز أمر نسايتهم
وذرايتهم ويبيعهم في الاسواق والتصرف في أبكارهم . وهذا يجوز بحق أهل الكفر
الذين هم خارجون عن الاسلام ويكونون في حالة حرب مع المسلمين ، ويكون للاسلام
قوة وشوكة لا ترهبه قوة أعدائه في الخارج والمفتي المهادي لا يجهل ذلك ، وطالما لا
يجعله فبعيد عليه ان ينحط الى إذاعة هكذا أراجيف لا تتفق ومكانته العلمية .

وقد أرجع مؤلف هذه الفتوى هذا الدين الى يزيد بن معاوية الأموي وأتى بأقوال
طائفة من العلماء بتجويز لعنه بينما لم يكن ليزيد علاقة بهذا الدين ، ولم يكن هو الذي
وضعه ليتحمل تبعته ، وشأنه منه شأن الأئمة العلويين من طوائف الشيعة المغالية الذين
وضعهم بالألوهية وعدوهم لهم آلهة . واذا كانت يزيد استحق اللعنة فقد استحقها
لأسباب اخرى معلومة .

وجاء فيها ان علماء اليمن وقره باغ والتتار أفتوا بحل قتلهم واسترقاق نسايتهم وذرايتهم
وان قاتلهم ينال ثواب الدارين . وان الامام احمد (١٦٤ - ٢٤١ هـ) والامام أبا الليث
السمرقندي (٠٠٠ - ٣٧٣ هـ) أباحا التصرف بهم ، وأن الامام نحر الدين الرازي
(٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) أثبت حل قتلهم ، والتصرف بملك اليمين في أبكارهم وزوجاتهم وإباحة
أسر نسايتهم وذرايتهم .

وهنا يرد احتلالان : إما ان تكون هذه الطائفة عرفت قبل الشيخ عدي او بعده . فان
كانت عرفت قبله فلم يثبت لها شرك وعبت بالأنفس والأرواح ، وتشريك عدي في ذات

الله ، وقطعهم الطريق ، وإخافتهم أبناء السبيل حتى يقرر هؤلاء الأئمة والعلماء هذه الأحكام بحقهم . وإذا كانت عرفت بعده كيف يسوغ لعلماء الجين وقره باغ والقتار والرازي والسمرقندي والامام احمد ان يفتوا بحق من جاء بعدهم . والكلام يدور حول اليزيدية أتباع الشيخ عدي بن مسافر لا حول أعوان يزيد وأتباعه .

ان هذه الفتوى تدلنا على ما وصلت اليه الحالة الشمورية والنفسية من حماس في الاسلام ضد هذه الطائفة في العصر الذي كتبت فيه ، وهي من صنع رجل جاهل أحق - حاشا ان يكون المفتي المهادي - وقد كانت شرها وبيلها وخطرهما شديداً على الحياة العامة في المملكة ، إذ تدعو الى ثورة عامة جامعة تهدم هذا الكيان وتدمره تدميراً . وكان الولاة الذين يأتون من عاصمة الملك الى العراق يأتون وهم مزودين بفتوى أبي السعود - أكانت هذه الفتوى بعينها ام غيرها - وقد نقلت الى التركية ليسهل فهمها عليهم . وقد وقفنا على ترجمة لها بالتركية صدرها كاتبها بالعبارة الآتية :

« بغداد قاضيسي عبد المؤمن افنديك مجموعته سندن حضور لرندة نقل اولنوب موصل محافظه سنده مأمور اولان سعادتلو وزير مكرم طيار محمد باشا مجموعته سنده نقل اولندي » .

ومعناها : نقلت من مجموعة قاضي بغداد عبد المؤمن افندي وفي حضوره الى مجموعة صاحب السعادة الوزير المكرم طيار محمد باشا والي الموصل . وطيار باشا هذا كان والياً على الموصل سنة ١٢٦٣ هـ وله حملة مشهورة على سنجار .



أما الفتاوى التي وضعت على غرار الفتوى المنسوبة الى المفتي المهادي فكثيرة ، وما منها إلا وترك أثراً شيئاً في حياة هذه الطائفة . وللشيخ عبد الله الربتكي المعروف بالمدرس (١٠٦٠ - ١١٥٩ هـ) فتوى كتبها عام ١١٣٧ هـ على جانب من الأهمية ، خالف فيها فتوى المهادي بجعل اليزيدية من أعوان « يزيد » بن معاوية وأنصاره وعدهم مرتدين وأجرى حكم المرتد بحقهم . والشيخ عبد الله الربتكي هو من قرية ربتكة (بتقديم الباء على التاء) في جبال المزورية وسكن الموصل ودرس وكان عالماً فاضلاً فقيهاً ورعاً ونشك

ايضاً في نسبة هذه الفتوى اليه ونرجح ان يكون واضعها غيره وعرفت باسمه .
وقد وجدنا هذه الفتوى في مجموعة تبتدأ بقوله : « واليزيدية هم كفرة أصلية كما
نقل عن بعض كتب المذهب ... » واكن ظهر لنا أنها جزء من الفتوى المنسوبة الى
الشيخ الربتي والجزء الآخر وجدناه في كتاب « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » لآحمد تيمور
باشا ، ذكر أنه لخصه من كتاب (حسن التصرف) لملاي الدين القنوي في (شرح
التعرف لأهل التصوف) للكلاباذي . والفتوى بكاملها في مجموعة للدكتور داود الجلبي
وهي تعزى الى الشيخ حسن الشيفكي (١) لا الى الربتي ، وهذا ما يجعلنا نتردد في
إرجاعها الى الشيخ الربتي . إلا ان الأستاذ المزاوي نسبها في كتابه (تاريخ اليزيدية
وأصل عقيدتهم) اليه وقال أنه وجدها في (المكتبة السليمانية) في فروق ، وان نعيم بك
آل بابان كان أهداها الى اسماعيل حقي الأزميري وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفي »

ألهم ألهمنا الصواب وفصل الخطاب وجنبنا العي والغبي والارتباب، وهب لنا من
لدنك رحمة انك أنت الوهاب . أما بعد فهذه كلمات في بيان مذهب الطائفة اليزيدية
وحكمهم وحكم الأموال الكائنة بأيديهم .
أعلم انهم متفقون فيما بينهم على أباطيل من عقائد وتأويل كلها مما يوجب الكفر العتيد
والضلال البعيد .

(فمنها) : انهم ينكرون القرآن والشرع ويزعمون انه كذب، وان مثل هذيانات الشيخ
نفر هي الممول عليها والتي يجب التمسك بها . ولذا يعادون علماء الاسلام ويبغضونهم ،
بل ان ظفروا بهم يقتلونهم بأشنع قتل كما وقع غير مرة ، وان وقعت كتب الاسلام
بأيديهم يلقونها في القاذورات بل يمزقونها ويتغوطون ويبولون عليها وذلك مشهور لا
سرة عليه .

(ومنها) : انهم يحلون الزنا اذا جرى بالتراضي . أخبرني من أثق به انه رأى ذلك

(١) شيفكي « بالفاء الفارسية » : قرية تقع في حوضه نهر الكومل قريباً من قرية خنس اهلها
اكرا .

مسطوراً في كتاب لهم يسمونه « جلوة » ينسبونه للشيخ عدي (١) .

(ومنها) : أنهم يفضلون عدياً على النبي (ص) بمراتب بل يقولون انه لا مناسبة بينهما .
(ومنها) أنهم يصفون الله بصفات الأجسام كالأكل والشرب والقيام والقعود وغيرها .
(ومنها) أنهم يحكون حكايات في شأن الله تعالى ورسوله وعدي تشتمل على ذكر
تذلل الله ورسوله بين يدي عدي وعلى تحقير شأنها ، والاستهزاء بها ، وتضجره من
تردها اليه ، واستغفائه عن صحبتها وملاقاتها وغير ذلك مما يوجب تنزيه شأن الله
ورسوله عنه .

(ومنها) : أنهم يمكنون شيوخهم من زواجهم ومحارمهم ويستحلون ذلك بل يعتقدون
به خيراً (٢) .

(ومنها) : أنهم يصرحون بأن لا فائدة في الصلاة ولا بأس في تركها ، وهي ليست
واجبة ، بل الواجب طهارة القلب وصفاءه .

(ومنها) : أنهم يعتقدون ان « لالشأ » أفضل من الكعبة ، وانه لا فائدة في زيارتها
لمن يقدر على زيارة لالش .

(ومنها) : أنهم يسجدون للالش واسكل مكان شريف بزعمهم ، وخصوصاً لعلم
(سنجق) عدي فأنهم يدعون أن من لم يسجد له فهو كافر . ومعلوم ان هذا السجود
كالسجود للصنم والشمس لا كالسجود للأسماء والعلماء والمشايخ ، فانه يحتمل وجهين
دون هذا . وان كان هذا مكابرة ظاهرة .

(ومنها) أنهم يعتقدون ان عدياً يجعل امته في طبق يوم القيامة ويحمّله على رأسه
ويذهب به الى الجنة رغم الله والملائكة .

(١ و ٢) لم يكن الذي أخبر الشيخ بأنه رأى هذا الخبر مسطوراً في كتابهم « الجلوة » صادقا .
والجلوة ليس فيه ما يميز لهم هذا العمل . وان كان كثيراً من المؤرخين أيدوا عملهم به . من ذلك المقرئ
المتوفي عام ٨٤٦هـ فانه ذكر في كتابه « سير الملوك » في البحث عن ذرية حسن البواب خادم الشيخ
عدي من أنهم يبالغون في اكرام ذرية « الشيخ عدي » بدرجة أنهم يقدمون بناتهم الى من قدم عليهم ،
فيخلو بهن ويقضي الوطر ، ويرى أبوها وأُمها أن في ذلك قرينة من القرب التي يتقرب بها الى الله تعالى .
وهذا افتراء محض ولا صحة له . واليزيدي اذا طأ طأ نفسه ورضي يتمكن أحد الروحيين من زوجته
او ابنته ، فحال على احد الروحيين ان يضع لذته الجنسية فيمن يمدّه غاية في الرجز ، وهو لديه كفر
ليس اعظم منه .

فهذه هي بعض أقوالهم الفضيحة وأعمالهم القبيحة وقد تواترت عندي من خالطهم واستخبر أحوالهم .

ثم اني سمعت غير واحد من استكشف مضمرات صدورهم الخبيثة يقولون انهم ثلاث فرق :

احداها : غلاتهم الذين قالوا أن عدياً هو الله نفسه .

وثانيها : الذين يقولون انه ساعى الله في الألوهية ، فحكم السماء بيد الله وحكم الأرض بيده .

وثالثها : هم الذين يقولون ليس هو الله ، وليس هو شريكه ، ولكنه عند الله بمنزلة الوزير الكبير ، لا يصدر من الله أمر من الأمور إلا برأيه . فكلهم متفقون على الكفر الشديد والضلال البعيد .

والظاهر أن مذهبهم - على ما استقرأت وفحصت - يؤول الى الحلول ، ولذلك يوالون النصارى ويستصوبون بعض اعتقاداتهم ، ولا خفاء في ان هذه المذكورات جميعها ، مما تستوجب أشنع الكفر وأقبحه . فهم اذن كفرة أصلية كما نقل عن بعض كتب المذهب ونسب الى أصل المذهب فانه نقل عن كتاب (المتفق والمختلف) ان الظاهر من مذهب مالك انه اذا ظهر احكام الكفر في بلد تصير دار حرب وهو مذهب الشافعي وأحمد (ر.ع) واتفقوا على انه تغنم اموالهم .

وفي الصغير عن أبي حنيفة أن البطان الأول مرندون ، والبطان الثاني إما كفار أصليون وإما مرندون بارتداد آبائهم الأولين وبقوا على ذلك قرناً بعد قرن . ومن لم يكفرهم إلا لجهله بحالهم فمعدور : وشفاء العي السؤال ، وإما لعدم التمييز بين اسباب الكفر والايمان او لخوفه منهم ، أو لطمع بما في أيديهم ، أو لرضاء بمذهبهم ، أو لمراء جبل عليه فأمره أن يخفي حالهم في قانون الشرع .

ثم انهم قد يظهرون الاسلام ويتلفظون بالشهادتين ويصلون تقية وسترأ لمذهبهم عند أهل الحق ، فهم بصيرون بمجرد ذلك مسلمين ويعصمون دماءهم ام لا بد من الرجوع عما اعتقدوه من الأباطيل كلها والندامة عليها والافرار ببطلانها ؟

والجواب : أن الظاهر من عبارة الفقهاء في باب توبة المرتد وإسلام الكافر اعتبارها وعدم قبول التوبة دونها .

قال في الأنوار : « توبة المرتد وإسلام الكافر أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويتبرأ من كل دين بخالف الإسلام ويرجع من كل اعتقاد هو كفر » هذا ومعلوم أنهم لو أجبروا وأكروهوا وأوعدوا بكل مكروه لم يتبرأوا عن معتقدهم في عدي ويزيد ولاش وغير ذلك من شيوخهم . ومنه رأيهم على أنهم زنادقة وتوبة الزنديق لا تقبل في وجهه « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » . الآية .

وفي الصغير : وعليه مالك وأحمد وأبو حنيفة في أحد روايتيه . قال في الروضة قال الروياني في الحلية : والعمل على هذا .

وفي التقديرين لا نزاع في حرمة مناصحتهم وأكل ذبيحتهم وتقريرهم في البلاد الإسلامية بالجزية وغيرها ، ومباشرة انكحتهم وفي وجوب قتلهم وقتالهم حيث لهم شوكه وفي اهدار دمائهم وغير ذلك .

وأما حكم الأموال الكائنة في أيديهم ، فإن قلنا أنهم كفرة أصليون فعلى ما نقل من المتفق والمختلف (أنها غنيمة) ، وإن قلنا بارتدادهم فما تلقاه صغيرهم عن كبيرهم بالموت فهو فيهم ، إذ لا توارث بينهم كما لا يخفى ، وما اكتسبوه بالمعاملات من البيع والشراء والاجارة وغيرها وبالنصب والنهب والسرقة ونحوها ، فإن كانت هذه التصرفات صادرة منهم مع بعضهم فهو تصرف إما بالقي . وإما في المال الضائع ، إذ ما في أيديهم لا يخلو من هذين القسمين كما سينكشف وليس لهم التصرف فيهما ، وإن كانت صادرة منهم مع المسلمين والذميين فما عرف المأخوذ منه وجب رده إليه عند القدرة لفساد معاملاتهم كما تقرر في باب الردة ، وإن لم يعرف المأخوذ منه فهو من الأموال الضائعة .

فعلم أنه لا يتصور لهم مال في الغالب ويحتمل أن يجعل موقوفاً على رجوعهم أو قتلهم . وأما ما اشتهر في الكتب من أن مال المرتد يكون موقوفاً فذلك يتصور في مرتد كان مسلماً زمناً وحصل بيده حال إسلامه مال هو له بحكم اليد والمقابلة ثم شقي أو قطع الإسلام

فإن تاب استمر ملكه ، وإن مات أو قتل على كفره صار فيئا أو ضائعا .
وأما الذين نحن بصددهم فليسوا كذلك ، فإنه لو فرض إسلامهم وحسن حالهم كان حكم الأموال الكائنة بأيديهم على ما ذكر ، فكيف حكم حال اصرارهم على كفرهم ، وهذا ما لا ينبغي أن يناقش فيه عند الانصاف وترك المراء .

وإن قيل صبيانهم محكوم عليهم بالإسلام فما حصل لهم حال صباؤهم يجب أن يكون موقوفا فلم قلت لا يتصور أن يكون لهم مال موقوفا ؟ قلنا القول بإسلام صبيانهم مرجوح زيفه صاحب الروضة وجزم بأنهم أيضا مهتدون كأبائهم . وبتقدير التسليم تكون تصرفاتهم أيضا باطلة لكونهم غير مكلفين ولا ولي لهم يمكنهم من التصرفات ويتصرف لهم أو يقبل لهم شيئا بالابواب والوصية وغير ذلك ، وحال أرواحهم كما ذكر فلا يتصور لهم أيضا مال يجعل موقوفا كالبالغين .

وأما القول بأنه يحتمل أن يكون فيهم من ليس منهم من المسلمين والذميين ، أو يكون مال مسلم بغصب أو لسبب غير ذلك ، ومال الفيء والغنيمة يجب قسمته والمال الضائع يجب أن ينتظر فيه الإمام فسلم لا ينكره أحد لكنه غير مختص بما في أيدي هؤلاء ولا ما يؤخذ منهم ، إذ يتصور ذلك في سائر الكفار الحربيين ، مثلاً يمكن أن يكون في الكرج مسلم أو يكون بأيديهم مال مسلم بل هو واقع ، فإن أوجب ذلك الكف عنهم وعما بأيديهم ، أوجب الكف عن الحربيين وعما بأيديهم ، ولا قائل به . على أن الكلام فيمن علم أنه منهم . ووجوب قسمة الغنيمة ووجوب نظر الإمام في المال الضائع أن أوجب الاعراض عما بأيديهم ، أوجب الاعراض عن الأموال المأخوذة من أهل الذمة في زماننا هذا ، فإنها إما مال ضائع أو مال فيء ، مع أنه لا يقع فيه قسمة أصلا ولا ينظر الأئمة فيها كما هو حق النظر .

ثم أنها تؤخذ بالباطل بل مع أنواع الظلم . وأكثر فقهاء النواحي لا يتعاشون عن تعاطيها ولا يبحثون عنها كيف أخذت ومن أخذت وعلى أي وجه أخذت ، بل لا يتطرق ببالهم شبهة في ذلك فضلا عن الحرمة . وإذا سئلوا عن حكم هذه الأموال وأموال أمثالهم من المشركين ، فتارة يقولون أنهم مسلمون ويتكلمون بالشهادتين وتارة

يقولون أموالهم موقوفة على قتلهم الى غير ذلك من الاعتذارات الباردة من غير تأمل وأعمال روية . والحال إنا مأمورون بأن نقول الحق أنى كنا ولا نخاف في الله لومة لائم ، وفقنا الله لما يحب ويرضى . (انتهت) .

ان هذه الفتوى كتبت بأسلوب علمي محض ، ولم يأت صاحبها فيها من سخف القول وسقط الكلام ما أنى به مؤلف فتوى أبي السعود . وقد خالفه فيها بأن عدم مرتدين وأجرى حكم المرتد بحقهم وهم لا يعدون مرتدين والردة تشمل البطن الأول فقط والأول الآتية لا تشملهم . والصحيح انه كان يجب عدم مسامحة شذوا في عقائدهم ، فالحكم الذي يترتب عليهم هو عين الحكم الذي يترتب على الفرق الضالة من الاسلام وهم لا يفرقون عنهم .

وقد أكثر العلماء من هذه الفتاوى ، وما أصدر أحدهم فتوى إلا كان لها أشد وقع على حياة هؤلاء القوم القبلية والاجتماعية ونودي عليهم بالموت ، فاستجاب هذا النداء حتى الذين لم يعرفوهم ولم يكن لهم أي اتصال بهم من الأماكن النائية وحاربوهم وأوقعوا فيهم . وقد نقص عددهم بنتيجة هذه الحروب نحو ثمانين بالمائة وهم لا يزالون على قوتهم وشوكتهم . وكان اعتداؤهم على علماء الاسلام باعتبار كونهم المؤيدين لهذه الفتنة أكثر ، وكانوا أينما ظفروا بهم قتلهم أشنع قتل - كما دل عليه الربتكي - وهكذا بينما كانوا في موقف الذود والدفاع اصبحوا في حالة هجوم وتمرض ، ولو لم يفعلوا ذلك لطمع كل أحد فيهم حتى العشائر الضعيفة المستكينة .

ويروى للشيخ حسن الشيفكي فتوى جاء فيها :

« واليزيدية مهتدون لأنهم قائلون بما يدل على تضليل الأئمة . فلا يجوز أكل أموالهم ما داموا أحياء ولا سبي نسائهم . نعم لو توارثت المتأخرة المتقدمة ، وانتقلت الأموال من الأموات الى الأحياء فللمسلمين أخذها لأنهم لا توارث بينهم وأهوالهم في المسلمين » .

فأي حافر للطبقة الجاهلة والرعاع من المسلمين في إباحة أموالهم في هذه الوثيقة الشرعية

وكيف يقوى الصملولك من المسلمين على ان يرى جاره اليزيدي يتمتع بمال وفير ولم يبادر الى نزع منه ويرى نفسه أحق منه به وهو فيء له ؟ وكيف يرضى اليزيدي ان ينزع المسلم ماله من يده ولم يبادره بالقتال الى آخر رمق من حياته ؟ وفي حالة كهذه كيف لا تسود القوضى ويمم الفساد في البلاد ، وصاحب الفتوى يعتقد انه قام بواجب ديني ينتظر عليه الثواب ؟

وهكذا بينا نرى اكثر العلماء قد اتفقوا على إرتداد هذه الطائفة عن الاسلام وأفتوا باباحة دمائهم وسبي ذراريتهم واسترقاق نسائهم وجعل أموالهم فيئا للمسلمين ، نجد عالماً من علماء الاكراد وهو الشيخ عبد الرحمن الجلي (بفتح الجيم) وهي قرية من نواحي كويسنجق) يذهب الى انهم كفار أصليون وحكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم فقد وقعت على رسالة عند احد العلماء في أربل جاء فيها :

« ثم سأل ذلك الأخ العزيز من الحقير عن احوال الداسنية (أراد بهم اليزيدية) وأحوال أموالهم فأجبتهم بأنهم مرتدون وحكمهم وحكم أموالهم حكم المرتدين على ما ظننت لاني رأيت من منقول مكتوب على ظهر كتاب من ان الداسنية مرتدون ، وأني ظننت ان الاسلام يحصل بقول لا إله إلا الله (باهال كلمة) أشهد منها . ولكن لما نظرت في كتب الفقه والعقائد وفي بعض شروح كتب الحديث المعتمد عليه للعالم والعايد ابن حجر في كتابه فتح المبين وكذا حاشيته للمدائني رجعت عن الجواب الأول وحكمت بأن الداسنية كفار أصليون أغلظ من الفرنجيين وحكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم على ما بين في كتب الفقه .. » الى آخر ما قاله .

وفهم من عرض كلامه انه قد أساء الفهم في حقيقة أصل هذه الطائفة حيث ذهب الى انهم كفار ولم يدينوا بالاسلام مع كونهم يلفظون الشهادة باهال كلمة (أشهد) منها وأفتى بأن حكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم وذلك عطفاً على ما جاء في الفتح المبين لابن حجر وحاشيته للمدائني وسواء أكان اليزيدية كفار أصليين - أغلظ من الفرنجيين - ام مرتدين ، فالافتاء بجعل حكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم قاعدة

مضى وقت العمل بها .

وفي رسالة لمحمد امين العمري ابن خير الله العمري كتبها سنة ١١٩٩ هـ تحوي أبحاثاً شتى في مختلف العلوم ورد فيها عن اليزيدية ما نصه :

« وأعلم ان في بلادنا طائفة يقال لهم الداسنية واليزيدية يسكنون في القرى والبراري ويكونون في ناحية حلب والشام وغيرها يسجدون للشمس ويعبدون الشيطان ويعتقدون في الشيخ عدي الألوهية ويبيحون الزنا ، ومنهم قطاع طريق يخيفون ويخيفون وقد كثر شرهم ونما ضرهم . ومن مذهبهم سب الحسن والحسين وشم آل البيت وبغضهم لهم وإباحتهم قتل المسلمين ونسبتهم الى يزيد بن معاوية ، ووجدت بعضهم يقولون أنهم منسوبون الى (يزيد بن أنيسة) وما أدري من هو . وعلى كفرهم يزعمون انهم مؤمنون بالله ورسوله ولا يصومون ، وهم مشركون بلا شبهة وقد أقر المسلمون آباءهم (كذا) على ردتهم فتوالدوا وكثروا وهم أشد كفراً من الرافضة لاشراهم بالله وعبادة الشمس والشيطان . والجواب فيهم كالجواب في الرافضة ، فيقتلون او يسمون ، ولا يسترقون ، ولا يجوز ان يقرأوا على ردتهم بين المسلمين » .

ثم انتقل الى البحث عما ورد من الأحكام الشرعية بحققهم وقال :

« وقد وجدت فتوى للعالم الوحيد والسيد المجيد مفتي الروم أبي السعود رحمه الله تعالى فخواها بإباحة قتلهم وسبي ذرائعهم ونهب أموالهم واسترقاق نسائهم وانهم يجري عليهم أحكام الحربيين ونقل ذلك عن عدة من العلماء والفحول وجمهور أهل النقول . فان كانوا مسلمين وقد ارتدوا ، فالجواب فيهم كالجواب في نظائرهم من أهل الردة ، وإن كانت أصولهم كفاراً (كالزديكية) ولكن خالطوا المسلمين ووافقوهم في بعض أعمالهم فالجواب فيهم كما ذكره مفتي الروم . وعلى كل تقدير فقتلهم مباح بل واجب خصوصاً منهم قطاع الطريق كأهل سنجار ويمكن ان يكون دارهم دار حرب لظهور أحكام الشرك فيها على قولها . ولم تتحقق ان أصولهم كانوا مسلمين فارتدوا او هم كفار أصليون فالواجب في المسلمين ان يتعاونوا على غزوهم وقتالهم وقطع دابرهم وقلع شأفتهم . واما

الذين في قرايا الموصل تحت طاعة الولاة ونظائرهم ، فان كانوا كفاراً أصليين جاز أخذ الجزية منهم ، وإن كانوا مهتدين فالواجب إجراء أحكام المرتدين بحقهم » .
ان واضح هذه الفتوى ، وهو ملا ياسين العمري ، لم يكن من العلماء البارزين الذين يحق لهم الخوض في هكذا مسائل وقد أدلى دلوه مع الدلاء وأنه بهذه الفتوى . وأكثر العلماء لم يصدروا فتاويهم تحت واجب ديني ، بل شأنهم كمن يبحث عن مسألة فقهية لا تخرج من اختصاص اي عالم . وليس شيء أضر من تدخل العلماء في سياسة الدولة وتوجيههم مقدرات الأمة حسب أهوائهم ورغائبهم ، وهم لم يخلقوا للسياسة ، بل للعلم وتثقيف العقول ، والتفريق بين الحلال والحرام . ولو أحصينا الأضرار التي لحقت بالمسلمين نتيجة هذه الفتاوى لما كانت أقل مما لحق باليزيديين .

ورب قائل : لو لم تكن هذه الفتاوى هل كان من المحتمل ان يسود الأمن وتزول الفتن بين الجانبين ؟

والجواب : اننا لا ننفي وقوع هذه الفتن بالمرّة الواحدة لو لم تكن هذه الفتاوى ، بل كانت تقع بشكل محدود وفي نطاق ضيق كما تقع بين عشيرة وأخرى .

هذه الفتاوى هي التي شددت أسباب التخاذل والتناكر وأوسعت شقة الخلاف بين الجانبين وجعلت التفاهم بينهم مستحيلاً إذ يجعلها المسلم يعتقد بان جهاد هؤلاء القوم أصوب وأثوب من عباداته الدينية ، واذا قتل أحداً منهم يكون غازياً ، واذا قتل يكون شهيداً ، وان عرضهم ومالهم مباح له ، والمرأة التي تقع في سببه إن شاء تسراها وإن شاء باعها في الأسواق ، كل ذلك مما زاده إغراء بمواصلة غزوهم ، حتى نجد أحد زعماء الزبيار المدعو « حاجي رجب » يقوم بستمائة مقاتل من جبال الزبيار ويلتحق بـ « علي باشا » والي بغداد للاشتراك معه في غزو يزيديّة جبل سنجار ، ويقوم زعماء راوندوز مع خلق كثير من عشائرهم وعشائر الزبيار ويقطعون الفيافي والقفار وينهبون الى جبل سنجار لغزو سكانه اليزيديين . أليست هذه الفتاوى هي التي أوجدت فيهم هذه الروح المتعطشة للثأب الى هذه الغزوات ، فيتجشمون الصعاب ويقطعون الأخطار لينالوا ما يطمعون به من متاع الدنيا وثواب الآخرة ؟ والغزو هو من شأن أصحاب النفوس المتمردة

العابثة التي لا تخضع لنظام ، ودأبها إيقاع الفلق والاضطراب في المجتمع ؟

وقد يقال ان المبرر لهؤلاء العلماء في إصدارهم هذه الفتاوى بحق اليزيديين هو إيقاعهم الأذى بالمسلمين ، وقطعهم الطرق وعيبتهم بالأمن وقتلهم كل من يقع بيدهم من المسلمين وهذا صحيح ، وكانوا في أبان ثوراتهم يوقعون أعظم من هذا ولكن يجب ان نعلم انهم لم يقوموا بهذه الاعمال المستنكرة إلا بعد ان وجدوا هذه الفتاوى قد قضت عليهم بالحرمان من حق الحياة ، وأباحت للمسلم دمهم وعرضهم ومالهم ؟ فهل بعد هذا ينتظر منهم ان يستسلموا لهذا الحكم الشديد القاسي ويتلقونه برضى وقبول وأن لا يشوروا على المجتمع وينتقموا لأنفسهم بكل ما أوتوه من قوة وقدرة ووحشة وقسوة ؟

اتنا لا نريد ان نتكلم عن هذه الفتاوى من الناحية الدينية ، وننظر فيما رموهم فيه من كفر وإلحاد ، وصحة الحكم الذي أصدره بحقهم فهذا لم يكن من واجبنا ، إلا ان الذي نريد ان نقوله : ان هؤلاء العلماء لم يكونوا على اصابة في إصدارهم هذه الفتاوى ووضعها محل العمل والتنفيذ ، والفتوى التي تقضي بإبادة شعب يبلغ مليون نسمة - في ذلك العهد - وإباحة حرمانه ، يجب ان تصدر من مرجع ديني رسمي مسؤول ويصادق السلطان عليها ، وما لم تكن حائزة على هذه الشرائط فلا قيمة شرعية لها ولا يصح العمل بها . وتقع تبعثها على عاتق صاحبها ، ويكون مسؤول عن الاعمال التي تنجم من ورائها .

ثم من هم اولئك الذين قاموا بتنفيذ هذه الفتاوى ؟ أليسوا هم الامراء أصحاب الزعامات ومن تبعهم من أعوانهم وأهل المعاصيات الذين عاثوا فساداً في الارض ؟ وهؤلاء لم يكونوا أقل خطراً على كيان الدولة من هؤلاء اليزيديين ، وكانت الحكومة تحشد المساكر لاجل اخضاعهم ودعوتهم الى الطاعة . واليزيدية يأتون بالدرجة الثانية بالنسبة اليهم ، فتوديع تنفيذ حكم هذه الفتاوى اليهم معناه معالجة الشر بالشر ودرء العدوان بالعدوان والقاء المملكة في فوضى تقضي على سلامتها .

وخلاصة ما نقوله : ان هذه الفتاوى كانت مضرّة بصالح المسلمين واليزيديين ، مضرّة بصالح الدين والحكومة ، وقد اشعلت نار فتنة جاحضة دامت أكثر من ثلاثة عصور

حرمت فيها هذا الشعب البائس من حياة هادئة مستقرة، وأنزلته أحط دركة من الشقاء واليبؤس وقللت من نفوسه، وجعلته في عزلة التي اختارها له وحشاً ضارياً لا يعرف سوى العدو والافتراس . والحكومة القائمة بالأمر إذ ذاك تزيد إرهاباً بحملاتها عليه مظهرة العزم على إبادة، فزولا عند حكم هذه الفتاوى التي لم تجد سبيلاً لمخالفتها .



باب مرقد الشيخ مند في بعشيقه

القسم التاريخي

❦ في تاريخ يزيدية الشيخان ❧

كانت الموصل حتى القرن التاسع الهجري مسرحاً لعبث الغزاة الفاتحين. فمن غائلة المغول الایلخانين ، فالجلاريين ، الى غارة (تيمورلنك) ، فالقره قوينليين ، والآق قوينليين والصفويين ، وأخيراً العثمانيين ، فقد فيها الأمن وعمها الظلم وانتشر فيها الفساد من قتل ونهب وإجلاء وتشريد ، ونكبت في علومها وآدابها وعزتها وقوميتها ، ولم يقدر لها زعيم قوي يرفعها من الوهدة السحيقة التي سقطت فيها .

كان من أهم الحوادث التي منيت بها الموصل في هذه الفترة وأشدّها خطورة ، ظهور البيت العدوي الذي يتصل بنسبه اتصالاً قريباً بمروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين في غربي جبل هكار على بعد مرحلة من الموصل ، وكان هؤلاء في بدء أمرهم اصحاب طريقة صوفية اشتهرت بنسبتها الى مؤسسها « عدي بن مسافر » الذي وفد من بعلبك من قرية « بيت فار » ثم أخذت تتحول الى عصابة ثورية نزاعة الى الملك ، جاعلة الطريقة سائلاً للبلوغ الى أمانيتها . في حين ان تطلع رجال هذا البيت الى الحكم وبحشهم عن ملكهم الضائع وعزهم المفقود لم يكن شيئاً مستغرباً ، وهم أحق به من غيرهم بمن ملكوا البلاد من الدخلاء ، لا سيما عدوهم اللدود « بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل الذي لم يكن في أول أمره سوى مملوك أرمني بيع بدراهم بخسة معدودة ، وهم أحفاد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وقد ظهر من هذه السلالة أربعة عشر ملكاً امتدت سلطتهم من حدود الصين شرقاً الى ساحل البحر الأطلنطي غرباً . ثم انتقل ملكهم الى بلاد الأندلس وحكم منهم هناك أحد عشر ملكاً .

غير أن الوسيلة التي تذرعوها بها للوصول الى أمانيتهم كانت غير صالحة ، وهي التي أدت الى إخفاقهم وإحلال النكبة بهم . وتلك الوسيلة هي دعوتهم الدينية التي أنكرها عليهم المسلمون كافة ، ووجدوا فيها خطراً على الجامعة الاسلامية وروح الاسلام . فلو كانت

دعوة خالصة بعيدة عن البدع والأضاليل ، لكان الاقبال عليها عظيما ولوجدوا من ساعدتهم عليها .

ماذا كان الفرق بين دعوة البيت الأردبيلي الذين أسسوا دولة قوية الشكيمة عزيزة الجانب في ايران وبين دعوتهم ؟ ألم تستمد كلتا الدعوتين القوة من الدين ، وكانت المناصرون لها ، الأشياع والمريدون ؟ إلا ان البيت الأردبيلي أصابوا فنجحوا ، والبيت العدوي أخطأوا ففشلوا .

إن أول من جالت في رأسه فكرة الملك من البيت العدوي هو (الشيخ حسن) الذي عبر عنه بعض المؤرخين بالمتأله ، ومن سوء حظـه ان أظهر هذه الفكرة قبل ان يمد لها العدة ويختتم . فانتبه له (بدر الدين لؤلؤ) صاحب الموصل وانتهاز فرصة مجيشه مرة الى الموصل ، وكان يكثر التردد اليها وقد اتخذ له زاوية فيها ، وقبض عليه وقتله ، ثم هاجم زاويته في مرقد الشيخ عدي وهدمها ونكل بمريديه وقبض بالآلثاء عليهم وأمانتهم ومثل بهم . واذا كان بدر الدين قام بهذه الأعمال القاسية ضد الشيخ حسن وخرب زاويته ونكل بأصحابه وشردهم ، فشيء واحد لم يتم له وهو توقيفه سير مذهبه والحيولة دون توسعه وانتشاره . وسنرى كيف أصبح معضلة خطيرة استطاع شرها في معظم بلاد الأكراد مدة بضعة عصور وعانت الحكومة العثمانية مصاعب حمة للقضاء عليه ولم تتمكن ، ولا تزال آثاره باقية حتى يومنا هذا .

والحق ان معالجة بدر الدين لؤلؤ أمر الشيخ حسن بالسيف غير مجرى حوادث خطيرة في النظم الدينية والسياسية والاجتماعية في هذه البلاد ولولاها لكانت الكلمة تبقى لهذا الدين ويستفحل أمره وتنهزم بقيه المذاهب وتختفى من أمامه .

ان حادثة قتل الشيخ حسن كان وقعها شديداً جداً على أهل البيت العدوي وقد قضت على أمانيتهم وأضاعتهم فرصة كانوا يترقبونها منذ زمن بعيد ، فلم يبق لهم إلا ان يغادروا هذه البلاد وينهبوا الى حيث يأمنوا على حياتهم ويقوموا من جديد بتجربة اخرى لعلمهم بمجدون فيها ضالتهم . وهم ليسوا بمن يتحملون اعتداء هذا المملوك الأرمني ويسحق كرامتهم تحت أقدامه . ويجوز انهم أرادوا الهجرة الى بلاد اخرى لنشر دعوتهم الدينية

بعد ان أخفقوا فيها في هذه البلاد وليس لهم سوى بلاد الشام ومصر التي تحفظ لهم ذكرى عهد ذهبية سبقت لهم فيها .

لم يذكر المؤرخون ان كان للشيخ حسن غير ولد واحد وهو شرف الدين محمد وقد خلف أباه وانتقل الى « لالش » مقر دعوتهم الدينية ثم تركها واتصل بخدمة السلطان « عز الدين كيكاوس بن السلطان غياث الدين السلجوقي » وقد قتله المغول سنة ٦٥٥ للهجرة ، وهاجر ابنه « الشيخ زين الدين يوسف » الى الشام وكان رجلاً عظيماً يمثل النبل والشرف الأموي ، ونال حرمة وافرة عند جميع طبقات أهل الشام ، وأنعمت الحكومة عليه بأمرأة كبيرة فتركها واختار الإقامة في قرية « بيت فار » موطنهم القديم وظهر بمظهر الملوك ، ثم خاف على نفسه فترك ولده « عز الدين » ودخل القاهرة وأقام فيها . وقد أشيع عنه انه يريد سلطنة مصر ، فاعتقل ودام اعتقاله نحو ثلاث سنين ثم أفرج عنه وتوفي سنة ٦٩٧ هـ .

أما ولده « عز الدين » فقد أمر بدمشق ثم بصغد ثم بدمشق ثم ترك الامارة وآثر الانقطاع وأقام بالمرّة ، وكانت الأكراد تأتيه بصفوة أموالها تقرباً اليه . وقيل أنه أراد الخروج على السلطان وكان يريد سلطنة مصر ، وقيل بل كان يريد ملك اليمن فقبض عليه واعتقل حتى مات .

وهكذا فشلت دعوة هذا البيت للمرة الثانية في الشام وفي مصر ، ولم تساعدكم الأيام على تحقيق أمانيتهم التي كثيراً ما سمعوا وراءها وكلفتهم نكماً غالباً . هذا من الناحية السياسية ، أما من الناحية الدينية فقد تباروا على نشر طريقتهم في الشام وكثر مریدوهم وأسس « زين الدين » له زاوية في القاهرة ومال اليه الناس وبالفوا في تعظيمه ، وكان الناس في شك من أمرهم فمنهم من ذهب الى انه ينزع الى مذهب جده الشيخ حسن ، ومنهم من يرى فيه الصلاح والبعد عن المنكرات .

وهاجر من البيت العدوي رجال آخرون الى الديار الحلبية ونشروا مبادئهم بين قبائل الأكراد هناك فأقبلوا عليهم وأخلصوا لهم ووصلت دياتهم الى « انطاكية » وتولى أحد

شيوخهم أمارة القصير وهو « عز الدين يوسف الكردي » الذي أصبح أميراً للواء حلب في أواخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة السلجوقية « العثمانية » وتوفي عام ٩٤٨ هـ . وعز الدين هذا ينتمي الى بيت « الشيخ مند » الذي عرف بحلب بهذا الاسم وكان لهم جاه كبير ومنزلة رفيعة . والشيخ مند هو من أساطين البيت العدوي ولا تزال شيوخهم موجودين في الشيخان وسنجار ولهم مریدون يقدمون لهم خيراتهم ونذورهم .

أما ما آل اليه أمر البيت العدوي في الموصل بعد نكبته بقتل الشيخ حسن وقتل ابنه « شرف الدين محمد » من قبل المغول وهجرة « زين الدين يوسف » وولده « عز الدين » الى الشام فلم يتكلم أحد من اصحاب التاريخ عنه . ونظراً لما نستدل عليه من الأخبار والحوادث والتقليد الجاري ، انه كان للشيخ حسن أولاد آخرون غير شرف الدين ، وهم الذين انتقلت الزعامة الدينية اليهم بعد قتل أبيهم ويعرفون الآن ببيت الشيخ حسن كما ان ذرية الشيخ شرف الدين لم تنحصر في الشيخ زين الدين يوسف ، بل كان له أولاد آخرون ويعرفون في سنجار والشيخان باسمه . وقد عاش هؤلاء وغيرهم من البيت العدوي ، حقبة من الزمن بحالة لم تكن سارة ومرضية الى ان لما شعثهم وظهر والوجود ثانية . وكان ظهورهم في هذه المرة من الناحية الدينية البحتة . وبينما كانت المجادلات تدور بين علمائهم حول بعض المسائل الاعتقادية بعنف وقوة ، كان مذهبهم ينتشر في المناطق الكردية ويتقدم بخطى سريعة وثابتة .

أن أول محل انتشر فيه المذهب اليزيدي كان جبال جزيرة ابن عمر ثم امتد شرقاً وشمالاً الى ديار بكر وسمرد واستقر في حوضه نهر « البوطان - بهتان » وبعد ان تم انتشاره في البلاد الحلبية امتد على خط مستقيم ووصل الى ويران شهر ثاردين ونصيبين فجزيرة ابن عمر واتصل بمنبعه الأصلي في الشيخان . وهكذا كلما كثر أتباعه ازداد آل الشيخ حسن القائمون على حراسته قوة ونفوذاً وأصبح كبير هذا البيت الذي عرفناه تارة بشيخ هذه الطائفة وتارة برئيسها وأميرها أشبه بملك غير متوج تنجي اليه الضرائب من جميع الاقطار التي توجد فيها اليزيدية باسم الخيرات والصدقات وتساق اليه العطايا والهبات ، وأخذ يتمتع بسلطة واسعة تستمد قوتها من الآلهة والكل يدينون

بالطاعة له . وهذا ما جعل أحد السواح عندما اجتاز جبل مقلوب ورأى رئيس هذه الطائفة ظنه ملكاً .

كان انتشار هذا الدين بهذه السرعة العظيمة - بعد توقف دام نحو عصر ونصف عصر - مما يحار له العقل . فهل كان له دعاة من البيت العدوي أو من أتباعهم جابوا هذه البلاد ودعوا الناس إليه ؟ وهذا لم يتكلم أحد من المؤرخين عنه . ولو كان شيء من ذلك لرأينا على الأقل ذكر أحد رجال هذا البيت بين يزيدية تلك الجهات ، أو نصباً أماموه له كما هو شأنهم مع رجال دينهم . والأغلب أنه انتشر بواسطة العشائر والقبائل الرحالة الذين حملوه من منطقة الشيخان إلى تلك الأماكن ، فلاقى هوى في نفوس بعض القبائل من الأكراد وسارعوا إلى اعتناقه والاسلام لم يكن قد رسخ في قلوبهم ولا يوجد بينهم علماء يرشدونهم وكانت أقل دعوى تؤثر عليهم . ولماذا نذهب إلى بعيد وأمامنا عشائر الزبيار الأكراد وهم يعيشون في عصر المدنية والحضارة ، فليسبب بقائهم في الجهل ، وفقدان علماء بينهم يقومون بتهديبهم ويعلمونهم وجائب دينهم ، كيف انقادوا إلى دعوة مشائخهم البارزانيين ومثلوا عين الدور الذي قام به أتباع المشائخ العدويين وكاد أن يكون لهم مثلهم نوبة تعم بلاد كردستان بأسرها لو لم تخنق دعوتهم وهي طفلة في مهدها . وترى أن الظروف والعوامل التي كونت دعوة آل عدي في جبال الهكارية هي عين الظروف والعوامل التي كونت دعوة أبناء « تاجدين » (١) في جبال الزبيار ، والهدف واحد . إلا أن دعوة أبناء « تاجدين » ظهرت في عصر لم يكن يسمح برواج أشياء خرافية كهذه ، فقبرت على عجل . ودعوة آل « عدي » التي ظهرت قبل سبعة عصور نجحت من ناحية الدين ولكنها فشلت من الناحية السياسية .

ان أول من سارع إلى التدين بهذا الدين من قبائل الأكراد كانت عشيرة « الدنبلي » و « المحمودي » ذواتي الشهرة الواسعة في تاريخ الأكراد . وهما من سكان جبال البوطان

(١) اقرأ التعليق في الصفحة التالية

القريبة من جزيرة ابن عمر . وعلى ما رواه البديسي ان هاتين العشيرتين بعد ان ضاقت عليهما موطنهما عمدتا الى الهجرة فذهبت الاولى الى « اذربيجان » واستوطنت « خوي » و « سكن » وتولت الحكم على كثير من الثغور والقصبات على زمن الملوك الصفويين . وأما الثانية فقد اتصلت بمؤسس الدولة القره قوينلية ، ثم انخرطت في سلك أسراء الشاه اسماعيل الصفوي ووصلت كذلك الى أذربيجان واقطعت حصونا ومعاقل كثيرة . وعلى زمن الدولة العثمانية نالت اقبالا عظيما .

فهانان العشيران الكبيرتان اذا لم تكونا قد تعمدا نشر الديانة اليزيدية بين العشائر والقبائل التي اتصلت بها او حكمتها وفرضتها عليها فرضاً ، فهذه العشائر والقبائل أخذتها منها بسائق الخالطة ، وقد رأت فيها من صنوف الاباحة والتسامح ما رغبتها فيها . وهكذا أخذت الرغبة في الدخول بهذا الدين تزداد من يوم الى آخر حتى دخلت بعض بلاد ايران والقوقاس واستقرت في حوضه نهر « الكر » .

ومن أهم الأماكن التي انتشرت فيها بكثرة في هذا العصر مدينة « قلب » على ضفة نهر « البوطان - بهتان » وأصبح لها فيها مركز مهم حتى عقد المؤرخ البديسي في كتابه « شرفنامه » فصلاً عن إمارة يزيدية سماها « قلب وبطمان » زعم أن أناساً من البيت الأموي تولوا أمرها ، وأن القائمين بتأسيسها هم اولاد عبيد الله بن مروان الحمار بعد زوال دولتهم .

: هو جد أسرة المشايخ البارزانيين ، كان يسكن قرية « هفتكات » - ذات الينابيع السبعة - من قرى الزيسار . ثم جاء الى قرية (بارزان) في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، وهي قرية نصرانية ويسكنها شذمة من اليهود ، وأقام فيها بعد ان طرد أهلها منها . ويروى عنه دينا وصلاً وله طلاب يقرأون عليه العلم . وفي ذهاب مولانا خالد النقشبندي صاحب الطريقة النقية لزيارة شيوخ (نهري - نري) حل عليه ضيفاً وجعله خليفة له . توفي في العقد الثامن من القرن الثالث عشر وخلفه ابنه الشيخ عبد السلام ، وكان ايضاً صالحاً ديناً ، وعلى زمنه دب الفساد في عبيدة مريديه ووضعوا فيه الالهية فأنت به الحكومة الى الموصل خوف الفتنة وكان ذلك على زمن ناظم بك والي الموصل . وبعد سنة او اقل أذنت له بالعودة الى محله فذهب ومات وخلفه ابنه الشيخ محمد ثم ابنه الشيخ عبد السلام وهو الذي قبضت الحكومة عليه وحاكمته في محكمة عسكرية وحكمت عليه بالشنق . وكان له اخوة اربعة وهم الشيخ احمد وهو الذي خلفه بالدعوة وملا مصطفى وملا صديق وبابو . وملا مصطفى اكثرهم فعالية وهو الذي قام بدعوى الخروج على الحكومة العراقية فنكلت به وبافراد عشيرته وطرده خارج العراق وقضت على فتنه بعد ان كافتها تضحيات عظيمة .

كان انتشار اليزيدية في هذه المنطقة حدث مهم في تاريخ اليزيدية ، اذ أصبحت نقطة اتصال بين المواقع المأهولة باليزيدية من الشرق الى الغرب ، ومن الشرق الشمالي الى الجنوب ، وبسطت نفوذها على حوضه دجلة الشمالية من مصب نهر البوطان الى ديار بكر والجزيرة ، وامتدت حتى مدينة زاخو والموصل حتى نرى اكثر المواقع في هذه الحوضه مأهولة اليوم باليزيديين .

أما انتشارها في منطقة بلاد « السهران - الصوران » الكردية وكورة « إربل » الواسعة فكان أسراً طبيعياً لقربها من « الشيخان » مهد ظهورها . وكان انتشارها على ما نرجح في القرن العاشر الهجري ووصلت من القوة والنفوذ ان تولى أحد زعمائها ثلاثة امارات في وقت واحد .



كانت بلاد الأكراد « كردستان » بأسرها في ذلك العصر ترزح تحت ضغط حكومتين عاتيتين وهما الحكومة التركية « العثمانية » والحكومة الفارسية « الصفوية » فأصبحت ساحة حروب هائلة وسادتها الفوضى واختل فيها النظام وانعدم الأمن . فتحت تأثير هذه العوامل إذ ذاك كانت اليزيدية تسير بخطى ثابتة وقوية وليس من ينتبه لها وبهمه أمرها حتى رأينا كيف كان سلاطين الأعاجم الذين هم على المذهب الشيعي يقطعون رؤساء عشيرة الدنبلية والمحمودية الاقطاعات الجسيمة ويزيدون في نفوذهم ، وكان المسلمون ينظرون اليهم كما ينظرون الى بقية الفرق الضالة الاسلامية كالبكتاشية والقزلباشية « على اللهية » وغيرهم .

والحقيقة ان هذا الدين عند بدء انتشاره لم يكن بالشكل الذي يخشى خطره وكانت صبغة الاسلام لا تزال باقية عليه . وكان اليزيديون يعيشون والمسلمين جماعة واحدة وهم على صفاء ومودة بينهم . حتى ان العشيرة الواحدة فيها من هو مسلم ومن هو يزيدي ولم يكن ينكر أحدهم على الآخر عقيدته ، ثم أخذت تتطور الحالة وكثر اليزيديون وظهروا بمظهر القوة ، وسرعان ما ظهر التجاؤف بينهم وبين المسلمين وخذل بعضهم بعضاً ونشب الخلاف وتعصب كل فريق لدينه فاشتد الحساس ، وانفجرت براكين الكيد

والعدوان وتخرجت الحالة وازدادت خطورة .

والسبب المهم الذي نجمه لظهور هذا الاختلاف بين اليزيديين والمسلمين - وإن لم يكن لدينا ما يؤيده سوى الحدس والتخمين - هو أن اليزيديين بعد أن كثروا وقويت عصبيتهم لم يرضوا أن يبقوا تحت حكم الزعماء الاكراد الاقطاعيين الدكتاتوريين حيث يستخدمونهم في مصالحهم ، ويوجهونهم الى حروبهم مع أصحاب الاقطاعيات الاخرى فيقاتل أحدهم الآخر في سبيل زعيمه فرفضوا طاعتهم وخالفوهم وجاهروا بانحيازهم عنهم فكانت هذه البادرة مقدمة لاختلافات شديدة دامت بضعة قرون ولم يخمد أوارها فأخذ المسلمون يرمونهم بالكفر ويمدونهم مرتدين مارقين ، وطائفة العلماء يخللون دماءهم وأموالهم واستباحة أعراضهم في فتاويهم التي يصدرونها بحقهم ، وجاهر اليزيديون بعدائهم الكامن في نفوسهم للمسلمين منذ عهد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الذي قتل عميدهم وأخذوا ينتقمون منهم ، فكانت حروب في الشيوخان وسنجار وطور عابدين والجزيرة وماردين وحوضه نهر البوطان سفكت فيها الدماء واستبيحت الأموال والأعراض وفقد الأمن وباتت الأرض والجبال تشكو ربها من هول المصائب الذي أحله هذا الانسان الفاشم الظلوم عليها .

كان الجهل المستولي على عقل كثير من الناس الذي ساقهم في تلك العصور المظلمة الى الخطأ في الحكم جعلهم يوجهون تبعة أعمال هذه الطائفة الى شيخهم « عدي بن مسافر » الأموي ، بينما هو الذي أضلهم عن دينهم . ولذلك كلما أرادوا بهم سوءاً ولم ينالوا منهم أو نالوا منهم وأرادوا بهم المزيد ، نالوا شيخهم في قبره ونبشوه وأخرجوا رفاتة وأحرقوها . وكان بدر الدين لؤلؤ أول من قدم على هذا العمل المقوت الشائن ، فإنه لما قتل الشيخ حسناً ونكل بأصحابه ذلك التنكيل المريع ، أمر بنبش عدي من قبره وإخراج عظامه وإحراقها . وبعد مضي نحو مائتين وخمسين سنة أي في سنة ٨١٧ هـ ، أحرق قبر هذا الرجل المسلم الصالح للمرة الثانية وانتهكت حرمة ونكل بأصحابه . فقد ذكر المؤرخ المقرئ في حوادث تلك السنة في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) هذا الخبر ، ولكنه لم يذكر من هم الذين قاموا به والأسباب التي دعته اليه .

قانه بعد ان أشار الى إحراق قبر الشيخ عدي أخذ يبين ما كانت عليه هذه الطائفة
بالكلام الآتي :

« قد تجمع هؤلاء على قبره وقد سمو بالعدوية فأتخذوه قبلة لهم ، وهم كثيرون هناك
وصار يتهافت الناس لزيارته ، وهؤلاء عقبوا سلوك هذا الشيخ وصار محل اعتمادهم
واحترامهم ، وبعد مدة غلوا في اتباعه لدرجة أنهم صاروا يعتقدون فيه أنه يرزقهم ،
وانهم لا يقبلون رزقاً من سواه . ويحكون ان عديا جلس مع الباري تعالى وأكل معه
خبزاً وبصلاً وأسقط عن أتباعه الصلوات الخمس ، وأباحوا الزنا . ويحكون عن خادمه
(حسب البواب) ويزعمون ان عديا حينما وافته الوفاة قال له الصق ظهرك بظهري وبهذه
الصورة انتقل نسله لنسله ومنح ذريته لحسن البواب » .

وقال : « ومن ثم صار أولاده وأحفاده يعدون عدوية ويحترمونهم حتى أنهم يزوجون
بناتهم من ذرية حسن المذكور ويعدون ذلك قريبي لهم » .

وللمرة الثالثة وقم اعتداء على قبر هذا الشيخ الجليل فكان صارخاً جداً واعتدى على
أصحابه فكان قاسياً ومراً ، إذ كان أحد فقهاء ايران وهو « جلال الدين محمد بن
عز الدين يوسف » الحلواني الشافعي قد أغرى بعض أمراء الأكراد بهم ودعاهم الى
محاربتهم ، فأجابه كل من حاكم جزيرة ابن عمر الأمير عز الدين البخني وجماعة من
الأكراد السندية مع حاكم شرانش ، والأمير نوكل الكردي ، وأرسل حاكم (حصن كيفا)
جيشاً لمساعدتهم ، والتحق بهم أيضاً الأمير شمس الدين محمد الجردقلي ، وبهذه القوة
هاجموا جبل هكار وقتلوا الكثير من أصحاب الشيخ عدي وأمروا جماعة منهم بمن
يسمون (بالصحبية) ثم جاؤوا الى قبر الشيخ عدي لأجل هدمه فوصلوا قرية (لالش)
فهدموا قبته وحفروا القبر وأخرجوا عظامه وأحرقوها برأى من الأسرى (الصحبية)
وقالوا لهم أنظروا عظام من تدعون ألوهيته كيف تحترق ولا يستطيع ان يمنعنا ، وغنموا
غنائهم كثيرة . ولما عادوا من النهب اجتمع الصحبية فعمروا القبة من جديد وعادوا الى
ما كانوا عليه من عاداتهم القديمة ، وعادوا كل فقيه من جراء هذا الفعل .

ونحن نكتب هذا الحادث والألم يحز في نفسنا لما حل « بعدي » العظيم من إهانات

فأدحه على أيدي أناس ينتهكون حرمة الدين باسم الدين نفسه ، ولا ذنب لهذا الرجل يستحق عليه هذه الإهانة وهو نائم في قبره . ومن هو هذا الفقيه الحلواني ، وماذا ناله من الجور والعناء على يد عدي حتى يغري أمراء الاكراد على مهاجمة زاويته ويهدم قبره ويحتفرون من قبره ويخرج عظامه ويحرقها بمرأى من جماعته ؟ وكيف علم ان هذه العملية الشنعاء ، إحراق عظام عدي ، تردع أصحابه عن أعمالهم ؟ ثم من منا يعلم ما كان هذا الفقيه يحمله من عقيدة زائفة وقد خدع الناس بها ؟ نقول هذا ونحن في شك من ان هذا الفقيه ورفاقه عثروا على شيء من عظام عدي عندما احتفرونه من قبره وقد مضى على وفاته مائتان وسبعون سنة ، وقد سبقهم « بدر الدين لؤلؤ » في إحراقها . - على ما يقال - في حادثة قتله الشيخ حسناً . والظاهر ان مهمتهم كانت مقتصرة على اغتنام الأموال الكثيرة ، وهو الهدف الوحيد الذي كان يرمي اليه هذا الفقيه وأعوانه الأمراء من هذا الغزو .

وهنا يرد سؤال ، وهو هل أن هذه الأعمال القاسية أوجدت أثراً من الإصلاح في هؤلاء القوم وغيرت شيئاً من عقائدهم ؟ والجواب : أن هذه الأعمال ليس من شأنها ان تؤدي الى إصلاح من أي نوع كان ، إذ هل يمكن إصلاح قوم بنبش شيخهم ومعتقدم وقدوتهم وإخراج عظامه وإحراقها وسلب أموالهم من أيديهم وقتلهم وقتلهم ؟ أن ذلك بالعكس من شأنه ان يزيدهم عتواً واستكباراً فيصبون تقمتهم على المجتمع ؟ ثم ان هؤلاء لم يكونوا من الضعف بالدرجة التي يعجزون عن مقابلة هذا الاعتداء وقد بلغوا من القوة ما أربهاوا بها الناس وجعلوهم في حالة وجل دائم منهم . ولذلك فالذي نرجحه أن هذه الاعتداءات التي وقعت عليهم كانت من قبل الغزو المباغت ، وقد عاد الحلواني وعصابته بعد ان منوا بخسارة عظيمة في الأنفس ، لكنهم عوضوها بالغنائم .

كان العصر التاسع والعاشر الهجري عهد قوة ومنعة لأصحاب الشيخ عدي في كل قطر وجدوا فيه . ففي سنجار ظهروا بشكاهم المرعب الخيف حيث قضوا على الأديان والمذاهب الموجودة فيه واحتلوا مكنهم . وفي أنطاكية والجومة والقصير من أعمال

حلب أوجدوا لهم أمانة قوية تولى أمرها أسراء من بيت الشيخ « مند » من آل عدي وأصبح لهم نفوذ واسع في حلب . وعلى ضفاف نهر « البوطان - البهتان » كانت لهم إمارة قوية عرفت بامارة « قلب وبطمان » شمل نفوذها كثيراً من القبائل المسلحة وكان لهم رهبة وهيبة عظيمتين . وفي منطقة إربل وجبال « الصوران - السهران » إتسع نفوذهم وقوي جانبهم حتى أن السلطان سليمان القانوني فوض الى أحد أسرائهم في سفره الى بغداد سنة (٩٤١ هـ) ثلاث امارات في آن واحد . وفي الموصل ضربوا الرقم القياسي في الاستئثار بالقوة حيث تقلد أحد رجالهم وهو « مرزا باشا » الداسني البعشيقي منصب ولاية الموصل (١٠٦٠ - ١٠٦١ هـ) ، وتولي يزيد بن بعشيقي الحكم في الموصل يدل على ما كان لهذه الطائفة من النفوذ والقوة في ذلك العهد .

انطوى القرن العاشر الهجري وانطوت معه آمال وأمان لليزيدية طالما كانت تختلج في نفوسهم . إذ أخذوا يضيعون قوتهم شيئاً فشيئاً ويندحرون أمام الحوادث التي تقع لهم في مختلف الميادين ولم تبق لهم تلك الشوكة والقوة .

ففي خلال هذا العصر أوقعت الحكومة العثمانية فيهم في جبل سنجار على يد واليهما في ديار بكر « احمد ملك باشا » بشكل مرعب جداً كان بمثابة انذار شديد للهجرة بانقضاء عهد عزمهم الذي تمتعوا به زمناً وكانت النفوس تنهالهم ، والأيدي تقصر عنهم ، ولم ينسلخ هذا العصر إلا بعد حروب شعواء قامت في وجههم في مواضع مختلفة في الجزيرة وديار بكر وفي حوضه نهر البوطان حيث كان يكثر سوادهم وتقوى عصبيتهم .

أما ناحية الشيخان مهد ظهور اليزيدية وقبلتها الدينية فلا تزال في عزتها ومنعتها ولم

(١) هذا ما ايدته التقاويم الرسمية لولاية الموصل . وفي الاثار الجبلية لياسين العمري ما يخالف هذا فقد جاء فيه :

« سنة ١٠٥٧ و ١٠٥٨ سافر الى اسلامبول رجل من اليزيدية من بعض قرى الموصل اسمه (مرزا بك) ودخل الى السراي وتوصل الى رجال الدولة وطلب له منصب للموصل او غيره فلم يتيسر له ذلك ، وخرج من اسلامبول مغاضباً ، وحرضه الشيطانات على العصيان . فجمع الاشرار وجعل يقطع الطريق وينهب القوافل . فجمع العسكر والي وان (شمسي باشا) وخرج من وان لقتال اليزيدية وكانوا آمنين وقد اطلقوا خيولهم ترعى فكبسهم شمسي باشا بمن معه وقتل اكثرهم وقبض على (مرزا بك) بعدما اظهر شجاعة وكان راكباً فرساً بغير سرج ولجام واثنونه بالجراح وقيده وحمله الى اسلامبول فأمر السلطان بقتله . وقبل كان قتله في ايام السلطان محمد بن ابراهيم في اول ايام سلطنته من ١٠٥٨ الى ١٠٩٩ هـ »

يصبها أذى لا من الحكومة ولا من رجال القبائل . وكانت رقعتها قد اتسعت اتساعاً عظيماً وعبرت نهر الزاب شرقاً وخابور الحسنية غرباً وتمددت سلسلة جبال العقر - دهوك - زاخو ، وشملت جانباً كبيراً من منطقة بهدينان الكردية . وكان القائم بشؤون هذه المنطقة العظيمة وله الكلمة العليا والقول الفصل هو (أمير البزيدية) الجامع بشخصه السلطة الدينية والزمنية على البزيدية قاطبة ولم يكن للحكومة سلطان عليه وهو غريب عنها وهي غريبة عنه . وقد أراد أحد الولاة وهو (عبد الباقي باشا) الجليلي ان يقوم بتجربة مع سكان هذه المنطقة البزيدية وعزم على تأديب عشيرة (الدنادية) وهي لا تتجاوز اربعين بيتاً وسار اليهم بجيش عدده الف مقاتل ، ونازلهم في عقر دارهم وتمكن منهم وهزمهم ، الا ان رئيسهم المدعو نمر اغا كان قد كمن له مع خمسة فوارس ، ولما رأى العساكر قد تفرقوا وأخذوا بالنهب والسلب هجم عليه وقتله وأخاه ومائة نفر من عسكره واستولى على أثقاله ومهاته (١) . وقد ذكر صاحب (زبدة الآثار الجلية) هذه الحادثة قائلاً نقلها وهذه هي :

« وفيها (اي في سنة ١٢٠٠هـ) خرج والي الموصل الحاج عبد الباقي باشا الجليلي (٢) بالعساكر وعبر الجسر ومعه خلائق من أهل الموصل وتوجه الى محاربة (الدنادية) واسم مقدمهم (نمر شيخو) فهربوا الى الجبل وتركوا بيوتهم خالية ، فطمعت العساكر بالنهب وكانت شيئاً قليلاً فنهبوا مثل الغريال والمنجل والبسط الخلقه والقدح وقصعة وجراب

(١) وقعت هذه الحادثة في قرية (سميل) المعروفة . وقصر نمر اغا الذي وقعت فيه لا يزال موجوداً وهو فوق راية تصرف على القرية نفسها . وفي العهد العثماني اتخذته الحكومة داراً للبرق والبريد .

اما نمر اغا فهو رئيس عشيرة الدنادية وقبيلته تسمى « فردا » فبيت في حادثة (كور محمد باشا) ولم يبق منها سوى بيت واحد يسكن قرية (قصر يزدين) و (سميل) الان قرية اسلامية .

(٢) لقد وهم صاحب تاريخ جودت عندما جمع بين (عبد الباقي باشا) الذي اغار على (العمادية) ونهب وسلب وقتل ، وبين (عبد الباقي باشا) الذي هاجم الدنادية في الشيخان وعددها واحداً . وعنده ان الحادتين وقعتا عام ١١٩٩هـ (را . ج ٢ ، ص ٢٩٠) والصحيح ان الاول هو من مماليك والي بغداد وكان موصوفاً بالظلم وكان والياً على الموصل . وقد قام بفارته على العمادية سنة ١١٩٣هـ ونهب وسلب وساق امامه كل من وقعت يده عليه من اهل العمادية وأجبرهم على الإقامة في الموصل (را : تاريخ الكرد وكرديستان ص ٢٣١) ، والثاني : هو الحاج عبد الباقي باشا الجليلي الذي كان والياً على الموصل سنة ١١٩٩هـ وكان موصوفاً بالصالح والتقوى .

وبيت شعر خلق ورجه - وا متفرقين . ووقف الوالي ومعه أخوه (عبدالرحمن اغا)
وشرذمة قليلة من أتباعه فخرج (نمر اغا) عليهم ومعه خمسة فوارس ، وقيل ثلاثة وباقي
أتباعه متفرقة في الأودية ، وهربت عساكر الموصل وتفرق كل يطلب النجاة كأن
الموت خلفه . وهجم (نمر) ومن معه على الوالي ، فلم يتحرك ولا جرد سيفاً مع ما عنده
من الشجاعة وذلك لأمر يريده الله ، فقتلوه وقتلوا أخاه (عبدالرحمن اغا) وابن عمه
صالحاً ومحموداً وسلبوهم ثيابهم وهرب أتباعه وكثرت اليزيدية وأكثرهم من أهل القرى
والتي الله الرعب في قلب أهل الموصل حتى كانوا كما قيل :

تفرق الكل حتى أن هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً (٣)

ثم لما نظر اليزيدية إلى هروب العساكر وتفرقهم في البر وضلوا الطريق وضموها السيف
بالمسلمين حتى قتلوا ما يزيد على مائة نفس وأخذوا سلاحهم وثيابهم ، ثم إن أهل القرى
حملوا الوالي وأخاه وأنوا بهم إلى الموصل ودفنوه وأغارت أشرار الموصل الخنثين في البر
على المسلمين فمن سلم من القتل سلبوه ثيابه ، ونهبوا القرى ، وأطلقوا المسجونين وهذا
شيء لم يمهده من لدن آدم (ع) خمسة فوارس تقاتل ألف مسلم . أما الوالي فقد كان

موصوفاً بالشجاعة حتى كان وحده في السابق يقاتل العشرة والعشرين ..

ونحن لا نريد هنا أن نحلل الموقف من الناحية الحربية ، وكيف تمكن خمسة فوارس
من هزيمة جيش مؤلف من ألف مقاتل ونهبهم أنفاسهم وعتادهم وقتل مائة منهم وقتلهم
الوالي الذي كان موصوفاً بالشجاعة حيث كان وحده يقاتل العشرة والعشرين ، إلا أن
الذي نريد أن نبحث عنه هو ما أصبحت عليه الحالة في الشيخان بعد وقوع هذه الحادثة
والى أية درجة بلغ الغرور في هؤلاء القوم وكيف أخذوا يوقعون الأذى بالمسلمين الذين
ينهزم منهم ألف مقاتل أمام « نمر شيخو » وفرسانه الخمسة ؟

إن آل عبد الجليل القابضين على زمام الحكم في الموصل لم ينبسوا ببنت شفة أمام هذا
الحادث الجلل ، وأسراء العمادية الذين يفرضون طاعتهم على الشيخان لم يحركوا ساكناً ،
وحكومة بغداد التي تحجش الجيوش على سنجار وتفتسك بسكانه لسبب أو بدونه لم تبد

(٣) البيت للمعني وأصله : « وضاعت الأرض حتى أن هاربهم ٥٠٠ » وقد تصرف به ليطابق وقوع

اهتماماً ، الأمر الذي يدلنا على ان الحكومة بمجموعها لم يكن ليهمها قتل هذا الموالي وتمزيق جيشه والأخذ بمعاقبة المجرمين ، ولأمر ما تركتهم ، وأبقت العشائر المسلحة تحت رحمتهم .

وفي عام ١٢٠٥ هـ نجح حاكم المهادية « اسماعيل باشا » يتحرك بموكبه من المهادية ويطوف أنحاء مملكته ، ثم يتقدم الى الشيخان وينزل ضيفاً على « نمر اغا » الذي كانت الافكار تترقب نبيله العقاب على يده . وقد كان نزوله ضيفاً على هذا اليزيدي الجلف الذي لم تحف يده بعد من الدماء الزكية التي أراقها بالأمر ، وهو عظيم باديئان « بهدينان » فيه شيء كثير من الاستنكار ويعطى قناعة باشتراكه في هذه الحادثة المشؤومة وقد جرت تحت علمه ، واذا لم يكن ذلك فقد جاءت وفق أمانيه وهو لم يكن على وئام مع الجليليين فأراد أن يشمل « نمر اغا » بعطفه ونزل ضيفاً عليه . ولعل اسباباً اخرى دعت الامير البهديناني الى ذلك . وهذه الأسباب نفهمها من مؤلف كتاب غرائب الاثر فإنه يذكر في حوادث سنة ١٢٠٥ :

« نزل اسماعيل باشا من قلعة المهادية وطاف مملكته وتقدم الى قرى الشيخان ونزل في قصر « نمر اغا » واستدعى امير الشيخان « جولو بك » فقدم باثني عشر رجلاً من أبناء عمه ودخل القصر ، وأغلقوا الباب وضربوه بالتفنگات وقتلوه وقتلوا أخاه وهرب من سلم . ونصب أميراً على الشيخان رجلاً اسمه خنجر بك وعاد الى المهادية .
وصاحب غرائب الاثر لم يدلنا على اسباب هذا القتل الذي أخذنا الآن نلمس درجة خطورته والامر الذي أحدثه في المجتمع اليزيدي ، وكيف رضي نمر اغا بقتل زعيمه الديني في داره ؟ ولم يسبق في التاريخ اليزيدي مطلقاً ان تأمر يزيدي مع مسلم على قتل زعيمه الديني ، وهو إله الذي يعبد .

ومع ما يلبس هذا الحادث من الغموض يجوز لنا القول ان أمير اليزيدية حيث لم يكن محبوباً من الشعب وكانوا يريدون استبداله ولم يكن في مقدورهم ، والأمير لا يعزل من منصبه بحسب تقاليدهم الدينية ، رأوا خير وسيلة إغتياله على يد رجل مسلم ، فقام نمر اغا بهذه المهمة ودعى أمير المهادية الى قصره وأطلق يده في قتله ، وإلا لو لم يكن

للزيدية رضى في ذلك لما قدر أمير الهادية ان يقتل أميرهم في عقر دارهم وعلى مرأى منهم مها بلغ من القوة .

وفي السنة التالية عزل اسماعيل باشا خنجر بك وصادره وحبسه وعين حسن بك بن جولو بك بمحله .

عرف حسن بك هذا بالكوسة وكان ذا دهاء ومكر وخديعة ، وعلى زمنه توترت العلاقات بين الزيدية والاكراد « المزورين » (١) فمنع الزيدية الاكراد عن النزول الى السهل لبيع محصولاتهم . فتألبت عشيرة « الألكوشية » (٢) المعروفة بقوتها وهاجمتهم في قرية « كابارة » وقتلت منهم مرة واحدة مائة رجل واستولت على مرقد الشيخ عدي واضطرت سدنته الالتجاء الى قرية « عين سفني » ومنعت مجيء الزوار اليه ، وبعد ثمانية أشهر صالح الزيديون الاكراد واستعادوا المرقد .

وللمرة الأولى نجد الحكومة تتخفف لتأديب يزيدية الشيخان بعد مضي أربعة عشر عاماً على حادثة قتل الوالي الجليلي ، ففي سنة ١٢١٤ حملت عليهم بقوة كبيرة من العساكر الأنكشارية وعززتها بخلق كثير من العشائر والقبائل وأوقعت فيهم مقتلة عظيمة وسبت نساءهم وأطفالهم ، وهذا ما قاله مؤلف غرائب الأثر عن هذه الحادثة :

« وفيها (أي سنة ١٢١٤) قدم الموصل من بغداد عبد العزيز بك بن عبيد الله بك الشاوي بالعساكر ومعه عرب العبيد والبوهمدان وطبي ، فنزلوا خارج الموصل ونجسوا بالعساكر بكر افندي كتحدا محمد باشا وتوجهوا مع العساكر غربي الموصل ، ولما دخل الليل رجعوا وخرجوا من باب الجسر وساروا الى قرية الشيخان فوصلوها صباحاً ، وهرب أمير الشيخان حسن بك بأهله وصعد الجبل ونهبت نحو خمس عشرة قرية وسبوا

(١ و ٢) المزورية ناحية جسيمة من نواحي الاكراد ، تكثر فيها المياه والاشجار والكروم وفيها مرقد الشيخ عدي بن مسافر ومرقد الشيخ نور الدين البريفكاني ، ومواقع أثرية كثيرة ترجع الى عهد الاموريين ، وقد سبق الكلام عن كون المزورين هم بالاصل قبيلة آشورية كانت تسمى « ميسوري » وهم الان قبائل عدة يجمعهم هذا الاسم منهم الالكوشي والحازيا والبناني والشمكاني والشرفاني ، والالكوشيون اكثرهم عدداً وأشدهم قوة وبأساً ، ومن قراهم : مازدينا وخوركي وبالطة ويرموس وشيخ حسن وجان وكلي رمان .

النساء والأطفال وجميع ما لهم من الأموال والغلال ، والقرى كلها لأهل الموصل ، وقتل من الشيخان خمسة وأربعون رجلاً وحملوا رؤوسهم إلى بغداد .. »

وفي تاريخ الموصل للخوري سليمان الصائغ (١ : ٢٩٤) أن يزيدية الشيخان لما جاهروا بالمصيان وأخشوا في الأطراف نهياً وسلباً ، حتى قطعوا الطريق عن المسافرين وتجمعوا من النواحي البعيدة وأشهروا الحرب على الحكومة المحلية ، سار اليهم والي الموصل (نعمان باشا) الجليلي بمساكره وقتلهم وأخضعهم وذلك عام ١٢٢٢ هـ .

ومع هذه الاجراءات لم تبدبادة إصلاح في الوضع الإداري في الشيخان وقد انقطعت المواصلات واضطر أهل القرى المسلمة إلى التحصن في منازلهم ، وامتنع أكراد الجبال عن النزول إلى السهل لبيع محضولاتهم ، فعضهم الجوع واستولى عليهم اليأس وعمت الفوضى (وتراخى الأمر حتى أصبحت هملا يطمع فيها من يراها) .

والحكومة بدلا من أن تأخذ بأسباب الإصلاح ، وتعيد الأمن إلى نصابه ، نجدها تأني على عمل على غاية من الخطأ ، إذ نجد والي بغداد يوعز إلى أمير الشيخان حسن بك بنهب الأموال وتخریب القرى واحداث فوضى واسعة قصد اتهام والي الموصل الجليلي بسوء الإدارة . يقول صاحب غرائب الآثار :

« أما حسن بك أمير الشيخان فلم يمتثل الأمر ، بل امتثله أخوه (عبيدي بك) فجعل يطوف غالب قرى الموصل ويأخذ منها ما يمكنه أخذه من دراهم ودواب وثياب وبسط .. ثم يقول : « وقد طرد الأمير حسن بك أخاه عبيدي بك إرضاء للوالي الجليلي فذهب إلى سنجار واستجار بأهلها البزيرية فأجاروه وأكرموه . ثم استدعاه (زبير باشا) حاكم العمادية وأبقاه عنده مراغمة لوالي الموصل الجليلي » . وهكذا نرى إدارة المملكة تصبح عرضة لاعتراضات الولاة والأمراء فيضحون مصالح الأمة على مذبح شهواتهم اللائمة دون أن تأخذهم فيها رحمة .

كان منتصف العصر الثالث عشر الهجري مسرحا لحوادث جسيمة في هذه البلاد لم يسجل التاريخ أروع وأفظع منها .

فبينما نرى الوزيرين العثمانيين محمد رشيد باشا وحافظ باشا بحملان على جبل سنجار ويغمرانه بالدم والنار ويبيدان ثلاثة ارباع قفوسه ، ويقوم بدر خان باشا (١) من جزيرة ابن عمر بجيش لجب جرار ويزحف على وادي آشوت ويذبح عشرات الألوف من سكانه النصاري النسطوريين حتى يروى ان عظامهم بقيت مكدسة في هذا الوادي بضع سنين نرى أمير راوندوز محمد باشا المعروف بـ (مير كورا - الأمير الأعور) يوقع مجزرة في يزيدية الشيخان تذهل من فظاعتها العقول وترتعد من هولها الفرائس . وتفصيل هذه الحادثة - على ما تناقلته الألسن وأيدته الأخبار - أن « علي بك » أمير اليزيدية - وهو ابن حسن بك بن جولو بك - كان يحمل ضغينة على « علي أغا » الباطني زعيم عشيرة الألكوشية ويكن له العداء الشده . فدعاه الى « باعذرة » بحجة انه يريد أن يحن ولده في حجره (اي يجعله له كريفاً) . فجاء باعذرة ولم يكن معه اكثر من خمسة رجال ولم يعلم ما قد خبأ له القدر . وعندما استقر به المقام في دار الأمير دخل عليه جماعة من اليزيدية وضربوه بسيوفهم وخناجرهم وأمانوه . ثم حضر اربعون شخصاً من مقدمي

(١) يقال انه من اسرة (عزيزان) التي ترتقي بنسبها الى (عبد العزيز بن سليمان بن خالد بن الوليد) وكان عبد العزيز هذا قد وفد الى الجزيرة وأسس امارته التي عرفت باسمه وهذا زعم باطل . وقد ثبت ان خالد بن الوليد انقطع نسله بموت اولاده جميعهم في الطاعون .

تولى هذا الامير حكومة جزيرة (بوتان - بهتان) سنة (١٢٢٧هـ - ١٨٢٢م) وعلى رأي صاحب كتاب اربعة قرون من تاريخ العراق الاخيرة كان استقلاله سنة (١٢٦٣هـ - ١٨٤٧م) وهو لم يبلغ من العمر العشرين . وقد استفاد من ضعف الحكومة واستغفها بالحرب مع الروس سنة (١٢٤٤هـ - ١٧٢٨م) وكذلك حاربها مع الجيش المصري سنة (١٢٤٨هـ - ١٨٣٢م) وأخذ يدوس في امارته وأوصل دائرة حكمه - على قول امين بك مؤلف تاريخ كرد وكرديستان - الى حدود (وان - صابلاخ - راوندوز - الموصل) واستولى على قلاع (سنجار - سعد - ويران شهر - سيورك) وامتد سلطانه الى قلعة ديار بكر وتمكن من الاستيلاء على بلدتي « اشنة » و « ارمية » وضرب النقود باسمه . وكان يفرض طاعته على سكان وادي « آشوت » النصاري الطيارين وسكان جبل سنجار اليزيديين باعتبار انهم من المنصر البوطاني ويقوم بحملات سنوية على جبل سنجار لاستحصاال الضرائب منهم . ولامتناع سكان وادي آشوت النصاري عن تأدية الضرائب التي فرضها عليهم وقتلهم عامله الذي اقامه بينهم جرد حملة قوية - يقال ان عددها عشرة آلاف مقاتل - وأوقع فيهم مقتلة عظيمة كاد ان يقضى فيها عليهم . وقد اقلقت بال الحكومة اعمال هذا الامير ، فطلبت حضوره الى الاستانة فأتى ، فجردت عليه حملة عسكرية كبيرة فهزمها . ثم جردت حملة اخرى تحت قيادة المير (عثمان باشا) والي حلب فقبض عليه وأرسله الى اسطنبول سنة ١٢٦٣هـ - ١٨٤٧م

اليزيدية وأحمد كل واحد منهم فيه خنجراً لتكون الملة بأسرها مشتركة في قتله . أما رجاله الخمسة فقد قتل منهم ثلاثة وهرب اثنان (١) .

هاج « الألكوشيون » وماجوا عندما وقفوا على قتل زعيمهم وجمعوا قوتهم وأرادوا الهجوم على باعذرة ولكن أنى لهم ذلك وقد اجتمع في باعذرة ألوف الناس من اليزيديين للدفاع عنها وأصبحت على قول الشاعر :

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
كما أن أمير المهادية ، الذي كانت الشبهات تحوم حول تواطئه مع أمير الشيخان على هذا الحادث ، لم يظهر قبولاً بهجوم الزوريين على الشيخان ، فكان ذلك وهذا سبباً لشل يد الألكوشيين عن الأخذ بثأر زعيمهم وجملهم يترقبون الحوادث .

كان لملي أغا ولد عم يشتغل بطلب العلم في المهادية يدعى « ملا يحيى » - وهو الذي اشتهر أخيراً بملا يحيى المزوري - يروى عنه كبراً ودهاء عظيمين ، استنجد بأمير المهادية « اسماعيل باشا (٢) » على أمير الشيخان الذي قتل ابن عمه ظالماً وعدواناً . فلم يلق منه اذناً صاغية بل ألقى قتل علي اغا على « علي اغا » نفسه لتبليته دعوة أمير الشيخان وذهابه اليه دون أن يحتاط للأمر ويفكر بالعواقب . فهجر « ملا يحيى » المهادية وذهب الى بغداد والتجأ الى الوالي « داؤد باشا » وبث اليه شكواه من قتل أمير اليزيدية ابن عمه بالخيانة والقدر وأوقفه على ما يمانيه المسلمون من الظلم والاعتداء على أيدي اليزيديين فيقال ان « داؤد باشا » اكتفى بنزويده بكتاب الى « محمد باشا » أمير راوندوز طلب فيه اليه تأديب اليزيديين وانصاف المسلمين منهم . وفي رواية أن « ملا يحيى المزوري » لم يذهب الى بغداد بل ذهب نواً الى راوندوز واستنجد بالامير محمد باشا على اليزيدية ومناء باشيا لاقت هوى في نفسه . فأجابه وأخذ يعد العدة لغزو يزيديية الشيخان .

(١) كان هذان اللذان هربا من اهل قرية (مازدينا) المسلمة ، وكان علي اغا يثق باخلاصهما ، ولكن ظهر أخيراً ان لهما ضلعاً في هذه المؤامرة .

(٢) هو ابن مراد باشا بن اسماعيل باشا الذي قتل امير الشيخان (جولو بك) عام ١٢٠٥ هـ . تول امارة المهادية بعد موت عمه (زبير باشا)

وكأننا لم يرد أن يكون قد أتى عملاً يخالف الشريعة - وهو الذي يتظاهر بتمسكه الشديد بأحكام الدين - فاستفتى عالمه « ملا محمد الخٲى (١) » بالأمر ، ولا حاجة للقول أن الملا الخٲى أفتاه على الفور بهذا الغزو الذي عقده العزيمة عليه ، وهو واحد من العلماء الذين يرون إباحة دماء هؤلاء القوم وأموالهم وأعراضهم بالفتاوى التي يصدرونها .

زحف الأمير محمد باشا بجيشه الذي كان يقدر بين الأربعين والخمسين ألف مقاتل من أكراد « الصوران » الأشداء من عاصمة أمارته « راوندوز » في أول خريف سنة (١٢٤٨ هـ - ١٨٣٢ م) وبعد أن أجرى تصفية مع اليزيدية الذين في طريقه في منطقة إربل ، عبر نهر الزاب الكبير من قرية « الكلك » وتسمى تلك الدواوين وسكانها يزيدية ، وهي أول قرية تقع في طريقه إلى الشيخان فقتل أهلها قتلاً عاماً وأخذ يسير من قرية إلى أخرى ويعمل فيها سيف الانتقام ويقضي على كل ذي روح فيها ..

كانت منطقة الشيخان تمتد من نهر الزاب الأعلى إلى نهر الخابور الذي يمر من زاخو وهي متراصة بالسكان اليزيدية ونفوسهم تزيد على المائة ألف نسمة . فأخذ الجيش الصوراني يهاجمها واحدة إثر واحدة ويبيد سكانها ولم يسلم من يده سوى النساء والفتيات اللاتي كن يجدن لهن شقيقاً من نضارتهن وطراوتهن ، فقد كن يسبين ويرسلن إلى بلاد السهران وهكذا استمر سيف البغي والعدوان يلعب في رقاب هؤلاء التمساء ويزيلهم من الوجود ولم يسلم منهم إلا الذين اختفوا في الأدغال والأحراش وهربوا إلى رؤوس الجبال وهم لا يتجاوزون خمسة بالمائة .

وقصد منهم نحو عشرة آلاف نسمة الموصل للاحتواء بها ، فأزاح والي الموصل « محمد سعيد باشا » الجسر عن دجلة خوفاً من أن يتعقبهم الجيش الصوراني ويدخل الموصل ويعيث بها ، فالتجأ اليزيدية إلى « تل قوينجق » على بعد ميل من الموصل فأدركهم محمد

(١) هو من قرية « خٲى » من أعمال راوندوز تبعد ١٢ ميلاً عن شقلاوة . تخرج على (ملا عبد الرحمن الروزيهاني) ثم تقلد منصب الافتاء لدى أمير راوندوز بدلاً من (ملا محمد بن آدم الروستى) ونال منزلة كبيرة لما عرف به من سعة العلم والصلاح والتقوى .

في سنة ١٩٣٢م ذهبت إلى قرية « خٲى » لأبحث عن الفتوى التي أصدرها فلم اعثر عليها ، وقيل لي أن الذي أفتى الأمير الراوندوزي بقتل اليزيدية هو (ملا يحيى الزوري) لا الملا الخٲى .

باشا وذبحهم جميعا ذبح النعاج ولم يترك منهم واحداً يفلت من يده .
ونجى الأمير « علي بك » من سيف الانتقام الذي كان أحق به وذهب الى جبال
العقر واختفى فيها . الا ان شبح النعمة ظل ملازماً له الى ان قبض على خناقه وقضى على
أنفاسه بعد ان رأى بعين رأسه النكبة التي حلت بأهله وقومه جزاء غدره وخيانتته .
إن أعمال النهب والتخريب التي أوقعها الجيش الصوري لم تنحصر باليزيدية فقط بل
شملت النصاري القريبين منهم ، إذ يحدثنا مؤلف تاريخ الموصل نقلاً عن تاريخ ربان
هرمز : « ان جنود الأمير تقدمت الى القوش وبعدها نهبوا وقتلوا عدداً كبيراً من
أهلها حيث لم يسلم من يدهم إلا من هرب الى الجبال ساروا الى دير « ربان هرمز »
ونهبوا وقتلوا قسماً من رهبانه فاختضبت الأرض بدماء الأبرياء .

لقد كانت الكارثة التي حلت بيزيدية الشيخان مؤلمة جداً لم يلاقوا أشد هولاً منها
منذ عهد ظهورهم ، وهي لم تكن بنت يومها ، ولم يكن الباعث لها قتل زعيم الالكوشيين
بل كانت الأيام مثقلة بها منذ زمن بعيد الى ان حان موعد ميلادها ، واذا أردنا ان
نعطي حكماً عادلاً مجرداً عن التحيز في هذه الحادثة نجد ان اليزيدية بالدرجة الاولى
مسؤولين عنها ، إذ بالوقت الذي كانوا يعملون ما يجيش في صدور أهل الاسلام من
عوامل الحقد عليهم ، وعلماءهم لم يبرحوا من إثارة الرأي العام عليهم بفتاويهم ، كان
عليهم ان يتقربوا منهم ويزيلوا الأحقاد والضغائن من قلوبهم ؟ ولكن لم يكن شيء من
ذلك . فبينما يقتلون والى الموصل مع مائة نفر من جنده وينهبون أمحاله وأثقاله بالأمس
نجدهم اليوم يدعون زعيماً كبيراً من زعماء الأكراد بالمكن والحيلة يقتلونه أشنع قتل ،
ولم يفكروا بأنهم محاطون بقبائل قوية من المسلمين وليس لهم ما ليزيدية سنجار حصونا
تحميهم . فكان ما أضاعوه من النفوس لا يقل عن مائة الف نسمة وخربت مواطنهم
وحلت الذلة والمسكنة فيهم .

وقد أدركوا هذه الحقيقة بعد ان أخذ بقية السيوف منهم يعودون الى أوطانهم .
وأخذ المسلمون يكيلون لهم بعين الصاع الذي كانوا يكيلون لهم به .

والآن وبعد ان تم للعالم المزوري يحيى ما أراده وأشفى غليله من البزيرية الكفار لم يبق عليه إلا ان يوجه سهام نقمته الى أمير العمادية الذي يقال ان له ضلعاً في قتل ابن عمه كبير الكوشيين وأخذ يفرى الامير راوندوزي باحتلال مدينة العمادية وهى ملاصقة لامارته. وطالما يريد التوسع فى ملكه فليس خيراً له من ان يتوسع على حساب هذه الأمانة. تأسست أمانة العمادية البهدينانية على قول المؤلف البدليسي فى مبادئ القرن الثمانى عشر الميلادى وعلى قول « لونكريك » فى أواخر القرن الرابع عشر وكانت تضم قضاء العقر والزيبار ودهوك وناحية المزوري ثم الحق بها قضاء زاخو وكان يشمل نفوذها ناحية النافكر (١) والشيخان وجبل مقلوب والسليمانية الى المنطقة التى تتكلم الكردية بأسرها وان كانت هذه النواحي تابعة من الناحية الادارية لحكومة الموصل . ويحد هذه الامارة من الشرق امانة « سهران - الصوران » وهى التى عرفت اخيراً بامارة راوندوز ، ومن الشرق الشمالى امانة الهكارية وتعرف بتواريخ الاكراد بأمانة « شنبو » ، ومن الشمال الغربى امانة « الجزيرة » ويعبر عنها بأمانة البوطان ، ومماها البدليسي بأمانة « عزيزان » وقد امتازت هذه الامارة بقوتها وشدة بأسها وقام فيها أمراء ذوي حنكة وروية رفعوا شأنها . ثم دبت روح الشقاق والتخاذل بين الأسرة الحاكمة فيها وأخذ يتآمر بعضهم على بعض ويورده مورد الهلاك حباً بالنفوذ والسيطرة والتغلب ، والاستبداد بالحكم ، ففقدوا مكانتهم واستولى عليهم الضعف وخرجت القبائل المنضوية اليهم عن طاعتهم .

ويقال : ان امانة العمادية بعد ان أمست على مثل هذه الحالة من الضعف ولم يبق فى امراءها القدرة على ادارتها ، أغرى العالم المزوري أمير راوندوز بضمها الى أمارته ، ومن الجائز ان هذه الفكرة لم تدر فى خلد العالم المزوري وكان يرى عكسها حرصاً على مصلحة قومه ووطنه من ان يدوسه الأكراد الصوريون بأقدامهم ويعيثون فيه ، وان الأمير راوندوزي هو الذى فكر فيها . وما حملته المشومة على بزيرية الشيخان إلا من قبيل جس النبض ليعلم مبلغ قوة الأمراء البهدينانيين ومقدرتهم على الدفاع عن هذا الشعب

(١) اصلها (ناف قور) ومعناه وسط الوحل لان اراضيها موحلة وهى اشبه بمستنقع فى كثير من الفصول .

الذي تربطهم به روابط تاريخية وقومية وتقليدية . أما وقد وجد فيهم من الضعف ما أقدمهم عن الذود عنهم ، فمن حقه ان ينزع هذا الملك من أيدي أصحابه الذين لم يستطيعوا المحافظة عليه ويضمه الى أمارته .

كانت حملته على العمادية سنة (١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م) اي في السنة التي تلت حملته على أماره الشيخان البزيرية ولكننا لم نعلم هل لاقى مقاومة من العشائر البهدينانيين ، أم سر بهم الكرام ولم يتعرضوا له وكانوا يرحبون به ؟ وكما نعرفه انه سار بجيشه الى «العمادية» وحاصر حاكمها «محمد سعيد باشا» وحاربه وكسره وعين أخاه «رسول بك» بمحله ثم استولى على قلعة العقر من يد حاكمها «اسماعيل باشا» واستولى كذلك على دهوك وزاخو وهكذا سقطت مقاطعة «بهدينان» ذات المجد التاريخي بيده . يقول مؤلف تاريخ «کرد وکردستان» : ان الأمير الراوندوزي «بعد ان فرغ من الاستيلاء على العمادية ودهوك وزاخو عمد الى الأمور الادارية في هذه البلاد ونظمها أحسن تنظيم بواسطة رجاله واستتب الأمن في جميع بلاد بادينان استتباً لم يسمع بمثله في تلك الجهات» وهذا القول ينافي ما هو معروف بما أوقعه جيشه من أعمال التخريب في بهدينان واطلاقهم يد النهب والسلب فيه (١) حتى نار أهل العمادية على حاكمهم الجديد «رسول بك» وطردوه من بينهم وأعادوا «محمد سعيد باشا» الى محله . يقول مؤلف «تاريخ کرد وکردستان» : وقد نارت نائرة الباشا من جراء ذلك وزحف بجيش عرمرم على أطراف الموصل ، ثم توجه الى العمادية وحاصرها مدة ثلاثة أشهر حتى سقطت بيده وتسلم أميرها محمد سعيد باشا وأخذ يصب على الأهالي جام غضبه فقتل منهم خلقاً كثيراً (٢) .

إن مما أثبتته الحوادث وأيدته الوقائع ان الأقوام التي تسير في حياتها على سنن وتقاليد قبلية خاصة لا ترضى بحكم الأجنبي مها كان قويا وكانت ضعيفة ولا تقر له بالطاعة وكثيراً

(١) الى زمن ادركناه غير بعيد ان المرأة الكردية في بهدينان اذا ارادت ان ترعب ولها تقول له بالكردية : (سوراني هات) اي جاءك الصوراني .

(٢) مما يتناقله الرواة من الاكتراد انه سجن من اهل العمادية ووجهاها مائة وخمسين شخصاً وفي اليوم التالي اخرجوا من السجن جثثاً هامدة .

ما حدث ان سولت لأمبر نفسه وأراد ان يتوسم في إقطاعه على حساب اقطاعات الغير فباء بالفشل . وأمبر الصوران لم يكن يحفل هذه الحقيقة إلا أنه كان يعتقد ان القوة فوق كل شيء . ولا سبيل للبهدينانين من ان يخضمواله .

كانت الحكومة العثمانية ، بالوقت الذي يتطاحن الامراء المتغلبون بينهم لغاية استيلاء بعضهم على ممتلكات البعض وقد بلغ فيهم القتال أشده ، قد أخذت في اعداد برنامج للقضاء على هؤلاء الامراء لما كانت تراه من الخطر في بقائهم على كيان الدولة ، وقد اختارت لذلك خيرة رجالها البارزين في السياسة والقيادة كالمشير عثمان باشا الذي حارب « بدرخان باشا » أمير البوطان وقبض عليه ، وحافظ محمد باشا قائد الجيش التركي في معركة « نزيب - نصيبين » مع الجيش المصري ، ومحمد رشيد باشا الصدر الأعظم السابق والي سيواس وسر عسكر الشرق وغيرهم . ولما رأت في خروج الأميرال راوندوزي ما هالها أمره ، وان عمله لم يكن من قبيل الغزو العادي الذي اعتاده الامراء الاقطاعيون أودعت أمره الى « محمد رشيد باشا » سر عسكر الشرق . فقام من ديار بكر يصحبه اثني عشر فوجاً من العساكر النظامية وجعل وجهته جبل سنجار ، وبعد ان ضرب أهله البزيرية وجاء الى تلعفر وأخذ الثورات التي كانت قائمة فيها ، عبر دجلة من أسكي موصل (على ما يرجح) وجعل طريقه من حافة جبل (دهوك - العقر) وعبر الزاب الكبير ودخل منطقة قضاء أربل وخيم في صحراء « حرير » (١) وهناك اجتمع به كل من والي بغداد « علي رضا باشا » ووالي الموصل « ابنجه بايرقدار محمد باشا » مع جيوشها وأخذوا يتداولون البحث في هذا الأمر المهم .

كان « محمد رشيد باشا » يرى دعوة الأميرال راوندوزي الى طلب الاستيئان وقبول

(١) جاء في خلاصة تاريخ كرد وكردستان (ص ٢٤٦) ان جيش محمد رشيد باشا وصل الى الموصل عن طريق الجزيرة - زاخو واجتمع هناك بجيش (ابنجه بايرقدار اوغلي) فتوجها معاً نحو راوندوز . وفي اربعة قرون من تاريخ العراق الاخيرة (ص ٣٠٧) ان رشيد باشا بعد ان قمع الاضطراب في ماردين المشاغبة و... وادب تلعفر ، سار عبر دجلة متوجها الى هدف اعظم ، وقد آزر حملته البيرقدار في الموصل . وعلي رضا باشا في بغداد .

دخالته أوفق لمصلحة الدولة من الدخول معه في حرب لم يعرف مداها ، وإذا أصيبت عساكر الدولة بهزيمة يستفحل أمره ويعظم خطره ، وتصبح الدولة أمام معضلة خطيرة تهدد سلامتها ، بينما كان « علي رضا باشا » و « اينجه بيرقدار محمد باشا » يريان عكس ذلك ويرجحان استيصاله بالقوة مها كلف الأمر ولا يهم « علي رضا باشا » الهزيمة التي تحل بعساكر الدولة بعد ان يكون « محمد رشيد باشا » قد فشل في مهمته .

وقد أبدى « محمد رشيد باشا » تصلباً في رأيه عندما علم ان الجيش الصوراني قد احتل مضيق (علي بك) وهو الطريق الوحيد الذي تسلكه الجيوش لدخول منطقة رواندوز وان اجتياز هذا المضيق أصبح من الصعوبة بمكان ، وأرسل كتاباً الى الأمير محمد باشا يدعوه فيه الى طلب الاستيتمان ، ويعطيه التأمينات القوية بالعفو عنه وإعادةه الى محله . فحضر « محمد باشا » الى المعسكر العثماني وقدم طاعته ، فأخذه « محمد رشيد باشا » وأرسله الى استانبول . ويقال ان « محمد باشا » لم يجنح الى تقديم الطاعة إلا بعد ان عرض أحد علمائه في خطبة ألقاها يوم جمعة بعدم مشروعية قتال جيش خليفة المسلمين ، فأثرت هذه الخطبة في جيشه ورأى منهم فتوراً في الاقدام على القتال فذهب الى المعسكر وقدم طاعته .

وكان لشفاعة « محمد رشيد باشا » بحق الأمير الرواندي أثرها عند السلطان ، فعفا عنه وأمر برجوعه الى محله ، وصادف ان توفي « محمد رشيد باشا » في تلك الآونة . فانتهر « علي رضا باشا » الفرصة وأرسل سراً الى الآستانة يقول انه اذا سمح « لمحمد باشا » بالعودة الى (رواندوز) تعذر ضبط الأمور ونشر ألوية السلام في تلك الربوع فعدلت عن العفو عنه وأصدرت فرماناً يقضي باعدامه . ولما كان قد غادر الآستانة أرسل فرمان في أثره فأدركه في مدينة (سيواس) - ويقال في رواية في طرابزون - وهو ضيف على الوالي فنفذ حكم فرمان فوراً ودفن في مقبرة الغرباء وكان ذلك سنة (١٢٥٢ هـ - ١٨٣٩ م) .

جرت هذه الحوادث ولم تقف على خبر (لعلي بك) أمير اليزيدية ، فهل اتصل (بمحمد

رشيد باشا) وبث اليه شكواه من النكبة الالمنية التي حلت به وبشعبه ؟ أم ظل هارباً مختفياً في جبال (العقر) ولم يجرأ على مواجهته ولا مواجهة أحد الوزراء الآخرين ؟ أم كان قد عاد الى مقر أمارته وأخذ يبكي مجده الزائل وعزه الفاسد ولا يجيب له ؟ لا ندري كيف كان أمره ؟ وكل ما نعرفه ما جاء في تقويم الموصل لسنة ١٣١٣ هـ (ص ٤٤٤) أن والي الموصل « اينجه بايرقدار محمد باشا » قبض عليه وقتله في موقع يسمى « كر محمد عرب » مع جماعة من أغوات الأنكشارية وزعماء الأكراد وقطع رأسه ورماه في نهر الكومل . والايينجه بايرقدار لم يقتل هذا الأمير التمس لخطر كان يخشاه منه ، وأي خطر يخشى من رجل منكوب فقد عزه وسلطانه وأضاع قومه وأصبح ذليلاً حقيراً لا قيمة له في الحياة ؟ بل قتله لأن سياسة الدولة كانت تقضي برفع وجود أصحاب الزعامات وذوي النفوذ من أمراء الأكراد (١) وكان يرى أمير الشيخان واحداً منهم .

كان لعلي بك عندما قتل ولد صغير يدعى « حسين بك » فتغلب أحد أفراد هذه الأسرة عليه وهو « جاسم بك » بن صالح بك وغصب منه منصب الإمارة ، والشعب لم يكن له حق المداخلة في ذلك . وبعد ان كبر حسين بك نار عليه وقتله في قرية (ابسيان) قريباً من «باعذرة» واستقل في الإمارة . ويقال ان الذي عاون حسين بك في قتل جاسم بك خادم له اسمه « شيخ كوندور - أي الشيخ بطيخ » فكافأه بأن قتله بحجة أن من يغمس يده في دم أمير من غير هذه الأسرة لا يحق له البقاء في الحياة .

كانت الإمارة بعد هذه الحادثة قد ضعف شأنها ولم يبق للأمرء تلك المنزلة التي كانوا يتمتعون بها ، وانقطعت عنهم الهبات والخيرات التي يقدمها لهم الشعب ووقعوا في ضيق شديد . ومن المعلوم أن هذا المورد اذا انقطع عنهم ماتوا جوعاً وليس لهم مورد غيره . إلا ان هذه الحالة لم تدم كثيراً وسرعان ما جمع الشعب شمله وانصرف الى أعماله واستعداد

(١) يروى ان الاينجه بايرقدار لما خيم في كر محمد عرب على نهر الكومل حضر لزيارته الشيخ طاهر البامرنى شيخ الطريقة النقشبندية وهو جد الشيخ بهاء الدين افندي البامرنى ، والشيخ نور الدين البريفكانى شيخ الطريقة القادرية ، او كان حضورهما عنده بدعوة منه وقصد تلك البيلة ان يقتالهما . فاعترضه رئيس ديوانه وهو من وجهاء الموصل ، ولم اتحقق من هو ، واعلم ان عمله هذا يؤدي الى نشوب ثورة عظيمة بين الأكراد في الجبل لا يدرك لها مدى فعدل عن ذلك .

الأمراء مكائهم والذي ساعدهم على ذلك استقرار الوضع الاداري في المملكة وتعميم مبدأ الحرية والمساواة بين جميع العناصر دون النظر الى الاختلافات الدينية والمذهبية ، وذلك بمقتضى فرمان الذى أصدره السلطان عبد المجيد والمسمى « كلخانه خط هايوني » ، وكف العلماء عن فتاويهم التي اعتادوا إصدارها والتي كانوا يشيرون الرأي عليهم . فباتوا في مأمن من الاعتداءات التي كانت تعكر صفو حياتهم .

إن من أبرز الحوادث التي نراها في حياة الأمير « حسين بك » اتصاله بالسبرهري لا يارد المنتقب والبحانة الانكليزي وصداقته الوثيقة معه وسفره الى اسطنبول ومثوله بين يدي السلطان عبد العزيز ونيله عطفه ، وبعد عودته من اسطنبول ظهور فتنة واضطرابات في الشيخان فاتهمته الحكومة بها وقبضت عليه وألقت في السجن ثلاث سنين .

ومن الحوادث المهمة أن سجن الأمير حسين بك لما طال ويئس أولاده من خروجه وهو رجل مسن ، أعلن ابنه الكبير هادي بك الامارة واتفق أخوه حسن بك معه واستولى على المقدسات والسناجق وأخذ يطوف بالسنجق في الشيخان ويجمع الخبرات والنذور ، فلم يرق عمله لاهل بيت الامارة فقتلوه هو وأخاه حسن بك وجماعة من أعوانه في قرية « خطارة » وأخرجوا المقدسات والسناجق من يده .

تدلنا هذه الحادثة على ان روح الطغيان والاستبداد لم يفارق هذا البيت على رغم النكبة الفادحة التي حلت بهم ، ولو وجدوا مجالاً لقمعوا أكثر من هذا ، إلا ان الظروف أصبحت غير مواتية لهم .

استمرت أماره حسين بك على البزيرية نحو اربعين سنة أظهر فيها من العزم والحزم ونفاذ البصيرة وأصالة الرأي ما جعله يجمع شمل شعبه المتبدد ويوجد له كياناً من جديد وإلا لما بقي لهذا الشعب أثر في الشيخان ولتفرق الباقون منه في مختلف بقاع الأرض وضعف شأن البزيرية وأخذوا بالزوال بعد ان يكون معبدهم قد خرج من أيديهم وحرموا من الوصول اليه .

وبعد ان قضى حسين بك نحبه خلفه بالامارة ابنه « ميرزا بك » ومن أهم الاحداث التي ظهرت على عهد أمارته الكارثة المروعة التي أحلها الفريق « عمر وهي باشا » بالشعب البزديدي في الشيخان وسنجار ودعوتهم قسراً الى الاسلام . وقد أسلم هو وأخوه بديع بك ، إلا ان اسلامهما لم يدم أكثر من ثلاثة أسابيع ثم عادوا الى يزيديتهم . وكانت وفاته حوالي سنة (١٨٩٤ م) وخلفه بالامارة أخوه « علي بك » فكانت أمارته سبعة عشر عاماً مملوءة بصنوف المحن والمآسي فقد كان الشعب فقيراً وموارده أصبحت قليلة وموظفو الحكومة يسومونه الخسف والذل لسلب ما بيده من قوت ومال وهو لا يستطيع ان يدفع عنه . وأهم مشكلة لاقاها خلال مدة أمارته اصرار الحكومة على تطبيق قانون التجنيد بحق الشعب ، والشعب لا يرضى به بدعوى انه مخالف لديانته . فكان يجمع المبالغ الكثيرة لارضاء ذوي الشأن من موظفي الحكومة ولم يحصل على فائدة . ورسالة « عبده » ابليس » التي وضعها والي الموصل نوري باشا كانت لغاية اقناع المراجع العليا في اسطنبول لرفع التجنيد عنهم وربطهم بالبدل العسكري لكنه لم يفلح . وكانت عاقبة هذا الامير ان اغتيل ليلاً وهو نائم على فراشه وزوجته « ميان خاتون » بجانبه (سنة ١٩١٣ م) وتولى الامارة ابنه « سعيد بك » ابن علي بك وله من العمر اثنتي عشرة سنة وأقيمت أمه ميان خاتون وصية عليه ، إلا أنه لم تحمد سيرته وقام في وجهه اختلافات شديدة في سنجار والشيخان وأرادوا إسقاطه من منصبه ولكن الحظ ظل ملازماً له الى ان قضى نحبه (سنة ١٩٤٢ م) وخلفه بالامارة ابنه تحسين بك وهو في سن الثالث عشرة وأصبحت جدته ميان خاتون وصية عليه كما كانت وصية على أبيه وهو الآن في سن السابعة عشرة . وقد تدل الظواهر على أنه سوف لا يكون خيراً من أبيه . وأسباب الترفه والرخاء متمسرة له أكثر منه ، وتمعضه جدته بالاموال الكثيرة لتجعل منه نسخة طبق الاصل من ابيه الراحل بينما الشعب يظهر استعجالاً لخروجه من الوصاية لينال الراحة على يده .

تاريخ اليزيدية في جبل سنجار

جبل سنجار - موقعه - وجه تسميته - أدواره التاريخية - ازدهار الحضارة وال عمران فيه
انتقال اليزيدية اليه - حالته الحاضرة

يقع جبل سنجار وسط جزيرة ما بين النهرين (مهزوبوتامي) ويمتد من درجة ٣٥ الى درجة ٣٥٣٠ من العرض الشمالي ، وفي معجم البلدان أن عرض مدينة سنجار ٣٥ درجة وثلاث ، وطولها ٣٠ درجة ، وهو ذو مياه غزيرة ، وخيرات كثيرة ، وتربته أغنى وأخصب بقعة فيما بين النهرين ، ويقال ان اسمه الحقيقي (سنغاره) .
ولمؤرخي الاسلام تعليل غريب في تسميته نعرض صفحاً عنه ، وفي معجم البلدان في كلمة سنجار نقلا عن حمزة الاصفهاني : ان سنجار تعريب (سنكارا) .
وفي المستدرك على معجم البلدان في مادة (آشور) أن سنغارا هي الآن سنجار وكانت من أهم مدن حكومة آشور .
نقول : ولا يزال سكان جبل سنجار اليزيدية الاكراد يسمونه (شنكاري) بامالة الياء .

ان هذا الجبل الممتاز بموقعه الجغرافي والحربي وسط هذه المنطقة الصحراوية - لا جدال في انه - غدا مسرحا لحوادث مهمة منذ فجر التاريخ على عهد الآشوريين والحيثيين والميتانيين والكلدان والفرس والرومان عندما كانت أثرة التنازع سائدة بينهم على هذه البلاد . ومن المؤسف اننا لم نقف على شيء من هذه الحوادث سوى نتف قليلة متفرقة في بعض المدونات مما لا تعطى فكرة صحيحة يمكن الباحث الاستفادة منها . وفي تقرير لبعثة (نلسون) للشرق الأدنى رفعته الى الحكومة العراقية عن اعمال المسح والتحري التي قامت بها في هذه المنطقة بالنيابة عن معهد « لفربول » لعلم الآثار والمخطوط الآن في المديرية العامة للآثار القديمة في بغداد ما يفيد : « ان هذا السهل المنبت الخصب

الذي تنتشر فيه مرتفعات سنجار يؤلف جزءاً خطيراً من أراضي شعوب الامبراطوريات المتعاقبة منذ بدء التاريخ . وأكثر الظن انه كان لقمة شبيهة بسيل لها لعاب الآشوريين والحثيين ، مما كان يؤدي الي تنازعهم وقتالهم لامتلاكها . وبما لا ريب فيه ان هذه المنطقة قد أصبحت في حوالي منتصف الالف الثاني (ق.م) قسماً من الدولة الميتانية التي كانت عاصمتها على نهر الخابور الأعلى . وكان السهل يسقى بواسطة الري الاصطناعي ، وكانت زراعته تمتد الى بقعة تبعد بعداً كبيراً عن حدوده الحالية في الجنوب ، كما ان مراكز الاسقيطان الضيقة التي كانت فيما قبل التاريخ تجاور بلدي سنجار وتلعفر ، تمت وأصبحت مجتمعات زراعية واسعة أقام ابناؤها لهم الأبراج الحصينة والقلاع المتينة التي كان يهرع الناس اليها ويحفظون فيها ما امتلكت ايديهم عند نشوب الحروب او وقوع الأهوال .. « ا . هـ

على ان الآشوريين الذين كان يسيل لعابهم لمنطقة سنجار ملكوها فعلاً ، ونشروا فيها مدينتهم ، واتخذوا الجبل قاعدة لأممهم الحربية ضد الحثيين الذين استمرت الحروب بينهم عصوراً طويلاً . والآشوريون الذين كانوا يتبعون سياسة الفتوح والاستعمار ووصلوا بمغازيهم حتى سواحل البحر المتوسط ، وأوقعوا الفينيقيين زمناً تحت حكمهم ، لم يكونوا ليستغنوا عن جبل سنجار من جملة حصناتهم يحمون به بلادهم ويتخذونه قاعدة دفاعية هجومية ضد الحكومات المعادية لهم . ولو واصلت بعثة (نلسون) تحرياتها في المواقع الأثرية التي عثرت عليها في سهل سنجار وفي الجبل نفسه لكشفت عن آثار ذات قيمة كبيرة تنبئ عن حالة هذه المنطقة الاجتماعية والعمرانية في ذلك العهد .

وبعد ان انقرضت دولة آشور عام (٥٣٨ ق.م) على يد الفرس وأصبحوا هم الوارثون لها ، دخلت هذه المنطقة ايضاً تحت حكمهم ، وكان من الطبيعي ان يهتموا في تحصين هذا الجبل ويتخذوه لهم معقلاً قوياً تجاه الرومانيين عندما كانت الحروب متصلة معهم على هذه البلاد . وفي (قاموس الأعلام) في مادة (سنجار) ما يدل على وقوع حروب مهمة بين هاتين الدولتين في هذا الجبل في ذلك .

وفي كتاب (كلدو وآثور) لأدي شير رئيس اساقفة سمرد الكلداني الآثوري ان

ملك الرومان لما حمل على (الفرثيين) واستولى على عاصمتهم المدائن تعرض لملك سنجار واسمه (معنو) وهزمه عام ١١٥م

وفي خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان نقلا عن تاريخ القرون الوسطى : « وفي سنة ١٣٤٢ و ٣٤٨م تقابل شاپور ملك ايران بجيش الرومان بجوار سنجار فهزم (قسطنطينوس) قائد الجيش الروماني ، الجيش الايراني شر هزيمة وأسر ولي العهد الايراني .

وبعد هذه الحروب استولى الرومانيون على جبل سنجار وملكوه فعلا ، ودام ملكهم فيه زمنا طويلا ، يدلنا على ذلك المسكوكات الرومانية التي يعثر عليها في هذا الجبل بكثرة حتى يومنا هذا ، وهذه المسكوكات وان لم نعلم الى يد الروماني الذي ترجع اليه بالضبط ولكن يكفيننا ان نعلم انها مسكوكات رومانية .

ويعلم من هذا ان دولا مختلفة تناوبت الحكم في هذا الجبل وقد تركت كل دولة فيه أثرا من حضارتها ومعتقداتها وتقاليدها ، وبذلك اصبح مسرحا للمدنيات ومعتقدات ولغات ذات ألوان كثيرة . ونظرا لموقعه الجغرافي كان نقطة اتصال ذات أثر كبير من الوجهة الحربية بين حكومات الشرق والغرب والشمال والجنوب .

وبجانب ما ناله من تقدم من الناحية العمرانية كان هدفاً لتخريب الغزاة الفاتحين وربما عمه الخراب حينما ازدهر العمران فيه حيناً آخر .

﴿ النصرانية في جبل سنجار ﴾

دخلت النصرانية جبل سنجار منذ ان أخذ المبشرون يبشرون التعاليم المسيحية على وجه الارض او بعد ذلك بزمان قليل وقد اتسم نطقها في القرن الرابع وأصبحت تابعة من حيث التشكيلات الكنسية لمطرانية (بيت عرياني) على عهد المطران (يعقوب النصيبيني) الذي كان عضواً في المجمع النيقاوي (١) .

والتواريخ الكنسية لم تحدثنا عن كيفية دخول النصرانية جبل سنجار والحياة الطويلة

(١) نسبة الى (نيقية) وهي المدينة المعروفة الآن بـ (ازنيق) في الجمهورية التركية . انعقد هذا المجمع سنة ٣٢٥م حضره (٣١٨) اسقفاً سنوا فيه القوانين الاساسية للدين المسيحي واجمعوا كلمتهم على تثبيت الانجيل الاربعة الموجودة ورفض ما سواها .

التي عاشتها فيه ، وكيف حافظت على بقائها وهي محاطة بشعوب وأقوام غريبة عنها وهي غريبة عنهم ، غريبة بالجنس واللغة والدين .. وكما قاله كتاب النصارى وبجائهم عنها انه كان لها في هذا الجبل مكتبة قديمة مكتوب اكثرها على رق غزال وأن اليزيدية يعمنون بها ، وينشرونها حيناً بعد حين ويحفظونها في حرز مكين ، ولم يتكلموا عن هذه المكتبة وكيف آل أمرها الى اليزيديين . والذي عرفناه ان النصرانية عاشت في هذا الجبل اثني عشر قرناً في عزة ومنعة والذي ساعدها على البقاء طيلة هذه المدة حصانة موقعها ووعورة المسالك المؤدية اليها . ولا نشك في ان أصحابها كانوا يلاقون اعتداءات من الخارج ولكنهم كانوا يقاومونها بشدة ويصدونها ، وهم أشداء أقوياء بالفطرة ولبس من السهل ان ينال أعداؤهم منهم ، وقد كثرت أديرتهم ومعاهدهم الدينية والثقافية وتخرج منهم علماء حفظ التاريخ الكنسي اسماءهم وأشاد بذكركم . ثم تضافرت عليهم عوامل لم يكن في مقدورهم التغلب عليها فبادوا وخلفتهم اليزيدية .

فما نوهت كتب النصارى بذكره من هذه المعاهد الدير الذي أسسه (جبرئيل السنجارى) (١) عام ٧٧٤ يونانية الموافقة لسنة ٤٦١ ميلادية ، و (دير بطورا) (٢) الذي أسسه الراهب (أبا يونان المسجوسي) خلال سنة ٨٩٢ - ٩٠٧ يونانية الموافقة لسنة ٥٨١ - ٥٩٦ ميلادية ، و (الدير الكبير) لما رآدي أحد حواريني المسيح ، والدير المعلق او (دير سرجيس) الذي عرف باسم النساك (سرجيس) و (زعورا) و (باعوث) ويقع على قمة الجبل القاحل فوق مدينة (البلد) في سنجار يظن بناؤه في المئة الخامسة للميلاد وأصبح من أهم مواطن التعليم النصرانية في القرن الثامن واستقاظت شهرته في القرن التاسع ، وكان يدرس فيه علم اللاهوت والفلسفة وصنوف العلم وتخرج منه مفريناً وبعض أساقفة وصار كرسياً اسقفياً منذ سنة ١١٦٧ الى سنة ١٣٤٥ ثم انطمس

(١) موجد المذهب الاوطيخي (اليعقوبى) اشتهر بالطب وكان طبيباً خاصاً (لفيروز) ملك الفرس . وفي الأولو المنشور انه كان يعيش في القرن السابع الميلادي وقد وم فيه .

(٢) را : كتاب المجدل لعمد ابن متي الطبرهاني

خبره وعفا أثره (١) وهذا الدير هو الذي يعرف الآن بدير عاصي . وكذلك (دير خنوشيا) ذكر في أواسط المئة السادسة وقد تخرج منه المفسران بولس عام ٧٢٢ م ، والأنبا داؤد بن بولس آل ربان (صدر القرن السابع) وكان يدرس فيه العلم اللاهوتي واللغة اليونانية (٢) .

ومن اشتهر من أحبار النصارى في سنجار الأسقف ايليا السنجاري السرياني يروى انه كان عالماً نحريراً حكيماً ونقل عدة مؤلفات من اليونانية الى السريانية وحضر مجمع منبج سنة ٧٥٨ وله آراء ونظريات في علم اللاهوت .

ومن تخرج من دير مار سرجيس (مار موسى ابن كيفا) المتوفي سنة ٩٠٣ صاحب التأليف الكثيرة في الفلسفة واللاهوت وله اثنان وعشرون مؤلفاً (٣) .

وكانت قرية (كرمي) التي يسكنها الفقراء من اليزيدية الآن - واسمها الحقيقي كرمي بالألف المتصورة على وزن سكري - كرسيا للمطارنة ، ولذا أطلق عليها هذا الاسم باللغة الآرامية .

وفي المعجم لياقوت الحموي المتوفي سنة (١٢٢٦ هـ - ١٢٢٨ م) في كلمة (جدال) وهي القرية المعروفة الآن بمجدالو يسكنها طائفة من فقراء اليزيدية ايضاً : « انها قرية كبيرة وعندها خان حسن وأهلها نصارى » .

فمن افترضت النصرانية من جبل سنجار ، وما هي العوامل التي أدت الى انقراضها ؟ جاء في كتاب (عبدة ابليس) لنوري باشا والي الموصل السابق ان انقراضها وقع في مبادئ القرن التاسع عشر الميلادي ، وفي (مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية) للمستشرق الفرنسي الموسيو (ف . نو) ما يدل على ان انقراضها وقع قبل هذا التاريخ بكثير وهذا تعريب ما قاله :

« أفاد العارفون بالتاريخ انه لما توفي مطران سنجار سنة ١٩٧١ يونانية الموافقة ١٦٦٠ مسيحية (١٠٧١ هـ) اجتمع كبار النصارى وأشرافهم وزعمائهم وذهبوا الى (القوش) لكي يقيم لهم مطراناً غيره البطريرك (ايليا) الذي كان يسمى (مار اوجين) حيث كانت كرسية حينئذ هناك ، فرفض البطريرك طلبهم بدعوى ان نصب مطران لهم يحملهم عبثاً

ثقيلاً وهم في غنى عنه . وزاد على ذلك أنه مستعد ليرسل اليهم قسوساً لكي يقوموا
بحاجاتهم الدينية ، فعادوا الى محلهم دون ان ينجحوا في مسعاهم . وبعد ان مضت عدة
سنين ولم يبق أحد من القسوس لديهم تشاوروا ملياً وانتخبوا اربعة رجل من الأشداء
مع اربعين شماساً وأرسلوهم الى (القوش) قصد ان ينصب البطريك ثانية قسماً لهم .
وحينما هم في الطريق فاجأهم عصابة من العرب نهبت جميع ما معهم وقتلت البعض منهم
وأخذت الجراح في بقيتهم ، فعادوا الى سنجار دون ان يحصلوا على شيء من بقيتهم
وبقوا زمناً طويلاً دون مدبر ولا مرشد يهديهم الى دينهم . حتى انتهى ذلك الجيل
ونسوا الأحكام التي كانوا متبعيها ، وما بقي أحد منهم يعرف دينه او من دين آخر شيئاً
البتة . وفي أحد الأيام عندما كانت جماعة من القوالين مارين من بينهم ، سألوهم من
أنتم وما هي ديانكم ؟ أجابوهم : أننا نجعل كل ما تسألونه منا . فقالوا لهم : هل يوجد
بينكم من العلماء او القسس أحد ؟ أجابوهم : البتة . فحينئذ علموا انه ليس لهم علاقة مع
أي دين من الأديان ودعوهم الى البيزيدية وعلومهم مبادئهم الفاسدة وأحكامهم الباطلة
(الموافقة للعيل البشري) وقد نسي هؤلاء المرتدون جميع التعاليم والقوانين التي كانوا
متبعيها ، سوى أنهم يلقظون اسم الجلالة بـ (آلاها) كما هو مستعمل باللغة
الكلدانية .. « انتهى .

هذا ما قاله المستشرق الفرنسي الموسيو « نو » عن انقراض المسيحية في جبل سنجار
إلا ان التواريخ الكنسية الموجودة لم تتكلم عنه وكذلك الأخبار المنقولة عن ماضي الجبل
وقد قامت الحكومة العثمانية بحملات متواصلة على جبل سنجار منذ القرن السادس عشر
ولم يذكر انها عثرت فيه على أثر للنصرانية الأمر الذي يجعلنا نتردد في قبول صحة ماقاله
المستشرق الفرنسي . ولكن مما لا شك فيه ان النصرانية عاشت قروناً طويلاً في جبل
سنجار وكان لها فيه أدوار زاهرة وكثرت أديرتها ومعاهداتها الدينية والعلمية ثم قضى
عليها بعد ان ظهرت البيزيدية وقامت بمحطها واحتل الطاووس مكان الصليب . أما متى كان
ذلك وهل قدر لها البقاء اكثر من الاسلامية فذلك لم نتحققه .

﴿ جبل سنجان في عهد الاسلام ﴾

في عام ٢٠ للهجرة (٦٤٠ م) على عهد الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب ، تم فتح الجزيرة على يد (عياض ابن غنم) أحد قواد (سعد ابن أبي وقاص) ، وعلى قول البلاذري أن عياض ابن غنم لما انصرف من (خلاط) وصار الى الجزيرة بعث الى سنجان ففتحها صلحاً ، وهكذا دخلت سنجان النصرانية في حوزة الاسلام وبقي أهلها على نصرانيتهم بعد ان فرضت الجزية عليهم وأخذوا يعيشون والاسلام جنباً الى جنب متمتعين بحرية لم يكونوا يعرفونها من ذي قبل ، وبقوا على هذه الحالة تابعين لمجرى التطور الذي أحدثه الفتح الاسلامي في هذه البلاد .

كان العصر الأول والثاني للهجرة عهد هجرة لكثير من قبائل العرب الى سنجان لما لا قوه فيه من نعيم مقيم ، وخصب عميم ، ورخاء عظيم . فوفدت اليه قبائل شتى من بني قشير ونمير وعقيل وتغلب وكلاب واتخذوا السهل الفسيح (قبلي سنجان) موطناً لهم ، بينما اختص بسكنى الجبل النصارى سكانه الأصليون . وأصبح هذا السهل يعمج بالسكان ونشطت فيه حركة العمران والتقدم الى ان انتقل الحكم الى أيدي العباسيين ، وفي العصر الثالث الهجري أخذت حالته تسمي . بعد ان أمسى الحكم بيد الولاة الذين كانوا يقطعون أجزاء المملكة ببذل معين من الخلفاء ويتاجرون فيها . وعندما استقل الحمدانيون وبنو عقيل والسلجوقيون في الموصل وما يتبعها من البلاد وفي ضمنها « سنجان » ازدادت سوءاً لسبب الضرائب الفادحة التي كان رجال الادارة يفرضونها على الأهلى لسد نفقاتهم التي يقتضيها بذخهم وترفهم وتماذي الفتن والحروب بينهم .

وفي تاريخ الموصل : « كانت سنجان في عهد الدولة الحمدانية كثيرة القرى والعمران ، ثم أخرجها (ارطغرل) السلجوقي لما أقبل الى الموصل في حوالي عام ٤٦٦ هـ فقتل من أهلها أربعة آلاف رجل وأجلى البقية حتى أصبحت فقراء ، ثم تراجع عمرائها في عهد الدولة الأتابكية حيث أصبحت أماره مستقلة يحكمها أفراد من العائلة الأتابكية » (١) .

(١) نقل المؤرخ هذا الخبر عن التاريخ السرياني لابن الفرج ابن العبري وقد وهم فيه ، اذ ان (ارطغرل) السلجوقي وهو ابن ميكائيل بن ارطغرل توفي سنة ٤٥٥ ، واذا كان قصد ارطغرل الثاني - وهو ثامن السلاطين السلجوقيين في ايران - فسلطته من سنة ٥٢٥ الى سنة ٥٢٩ . وسلطنة ارطغرل الثالث من سنة ٥٧١ الى ٥٩٠ هـ .

والحقيقة ان حكم الأتابكيين في هذه البلاد كان عهد تقدم ونجاح في مختلف النواحي العمرانية والعلمية ، وكانت سنجار أوفر حظاً من غيرها من بقية المدن في هذا المضمار ، حيث أخذت حركة الرقي والعمران تمشي فيها بخطى سريعة وأصبحت مشار الأطلع الهائجة بين الملوك الأتابكيين قصد الاستئثار بها ، حتى غدت أمانة مستقلة استقلالاً تاماً ناجزاً لا يعرف وصاية وحماية وإشراف وتدخل . وهذا ما حدى بأمرائها الى ان يبذلوا أقصى الجهود لرفع شأنها أدبياً ومادياً وإيصالها الى درجة يصح معها ان تكون عاصمة لملك له شأنه ومكانته .

وقد ساعد هؤلاء الأمراء على توسيع العمران في هذه البقعة الصغيرة من الأرض القيوضات الجزيلة التي جادت بها الطبيعة عليها ، وطرق الأرواء الفنية المتقنة فيها فدوا اليها يد التنظيم وأوجدوا كثيراً من القنوات في طول صحرائها الواسعة وعرضها ، وأصلحوا ما كان قد اندثر فيها ، وحولوه الى حدائق غناء لم يعهد لها نظير . وهذا عمل يتطلب همه قعساء لا توجد إلا في هؤلاء الأمراء الذين امتازوا بنشاطهم .

ومما يدل على ما كان لسنجار من الأهمية العظيمة على ذلك العهد ان « قطب الدين مودود » صاحب الموصل بعد ان توفي وتقسام اولاده الملك ، استأثر (عماد الدين زنكي) في امانة سنجار وترك الموصل لأخيه (سيف الدين غازي) ، ثم قاين (عز الدين مسعود ابن قطب الدين) أخاه (عماد الدين) حلب بسنجار وانتقل اليها (في ١٣ المحرم ٥٧٨) .. ولما نزل السلطان الملك الناصر ابن ايوب على حلب وحاصرها سنة تسعة وسبعين وخمسة ووقع الاتفاق على ان يعوض صاحبها (عماد الدين زنكي) سنجاراً بدلاً عنها ، فاستقل (زنكي) ولم يزل فيها الى ان توفي فيها سنة اربع وتسعين وخمسة .

وقد أظن المؤرخون في وصف مدينة سنجار وتعداد محاسنها ، من ذلك ما ذكره ياقوت في معجمه نقلاً عن الأصفهاني انها : « مدينة طيبة في وسطها نهر جار ، وهي عامرة جداً ، وقدامها واد فيه بسايتين ذات اشجار ونخيل وترنج ، وبينها نصيبين ثلاثة ايام . وقيل ان السلطان سنجر ابن ملكشاه ابن الب ارسلان بن سلجوق ولد فيها فسمى باسمها » .

ووصفها ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٨٠ هـ) في رحلته بقوله :

« ثم وصلنا الى مدينة سنجار وهي مدينة كثيرة الفواكه والأثمار والعيون المطردة والأنهار مبنية في سفح جبل ، تشبه دمشق في كثرة أنهارها وبساتينها ، ومسجدها الجامع مشهور البركة ، ويذكرون ان الدعاء فيه مستجاب ، ويدور به نهر جار ويشقه . وأهل سنجار أكراد وفيهم شجاعة وكرم . ومن لقيته بها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي أحد المشايخ الكبار صاحب كرامات ، لقيته برابطته بأعلى سنجار ، ودعى لي وزودني بدراهم ، ولم تزل عندي الى ان سلبنى الكفار الهنود .. »

وفي دائرة المعارف للبستاني في مادة سنجار :

« هي مدينة طيبة ، وفي وسطها نهر جار ، وهي عامرة جداً ، وقدامها واد فيه بساتين ذات اشجار ونخيل وترنج ونارنج ، وبينها وبين نصيبين ثلاثة ايام (وبعد ان ذكر ما قاله ابن بطوطة عنها) قال : وذكر القزويني : ما رأيت احسن من حماماتها ، وبيوتها واسعة جداً ، وفرشها فصوص ، وسقوفها جامات ملونة على وضع النقوش ، وبقرتها قصر (العباس ابن عمر الغنوي) (١) والي مصر ، وكان قصر أعجيباً مطلاً على بساتين ومياه كثيرة من أطيب المواقع وأحسنها ، وكانت الملوك تنزل به بعد العباس لطيب مكانه وحسن عمارته وفي سنجار آثار أديرة وكنائس لا تزال باقية من زمن انتشار الدين المسيحي في تلك البلاد قبل الاسلام وبعده ، ومن جل ما يذكر الدير الكبير (لمار أدي) أحد حواربي المسيح ، وفيه مكتبة قديمة مكتوب اكثره ا على رق غزال .. »

وقد ظهر في سنجار كثير من رجال الأدب والعلم نذكر منهم : أبا سعيد الأربلي السنجاري صاحب كتاب « الأمانة » في علم الحديث المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ، وأبا سعيد احمد بن عبد الجليل محمد صاحب كتاب (الاختيارات وأحكام الاشارات) في علم النجوم ،

(١) ذكر صاحب مسالك الابصار انه يقع بين نصيبين وسنجان وكان مطلاً على بساتين ومياه، وأشار ابن خلكان في حكاية اوردها في كتابه وفيات الاعيان (٢ : ١٥١) الى ما كان لهذا القصر من شأن على عهد الملوك الحمدانيين . والعباس الغنوي هو الذي ارسله المعتضد بالله على رأس جيش لمقاتلة الفرامطة لما اشتد أمرهم ، فأمره ابو سعيد القرمطي بين البصرة والبحرين وأسر جميع من معه من الجيش وكانوا عشرة آلاف وقتلهم بأمرهم وأحرقهم وأطلق العباس فجاء الى المعتضد وحده ، وعلى قول ابن خلكان انه كان يتولى الولاية .

وطاهر ابن ابراهيم السنجاري صاحب كتاب (الايضاح لبنية الاصلاح) في حفظ الصحة ، وأبو الحرث معز الدين سلطان سنجار ابن ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقي ، ونجم الدين السنجاري (١) ، وأبو السعادات البهاء السنجاري (٢) المتوفى سنة ٩٢٢ هـ وهو صاحب القصيدة المشهورة :

وهواك ما خطر السلو بباله ولائت أعلم في الغرام بحاله
والامام العالم جمال الدين السنجاري ذكره ابن بطوطة وقال عنه وحيد دهره وفريد عصره وقد وزر للملك الصالح ابن الملك منصور سلطان ماردین ، والشيخ شجاع الدين أبي بكر السنجاري الامام المحدث المتوفى عام ٧٩٠ هـ ، وتاج الدين أبي محمد عبد الله السنجاري ابن علي ابن عمر المتوفى سنة ٨٠٠ هـ تفقه بسنجار وماردین والموصل وإربل وقدم دمشق وأفنى ودرس وحدث وكان حسن الاخلاق لطيف الذات لين الجانب وله شعر حسن وغير هؤلاء ممن يضيق نطاق البحث عنهم .

ولسنجار شهرة كبيرة في تعيين محيط كرة الأرض في صحرائها المستوية ، إذ كان الخليفة العباسي عبد الله المأمون قد أرسل أولاد (موسى ابن شاكر) الثلاثة الاخصائيين في علم الهندسة والفلك والأرصاد اليها وأجروا عملية مساحة حققوا معها أن محيط كرة الأرض ٢٤ الف ميل كما قرره الاقدمون . وقد شرح ابن خلكان الطريقة التي إتبعها أولاد موسى ابن شاكر في ذلك العمل العظيم في كتابه وفيات الاعيان (ج ١ ص ١٠٥) .

الى هذه الندوة العليا من الحضارة والعمران واتساع دائرة الأدب والعلم ، وصلت سنجار في ذلك العهد ، وهناك أفل نجم أمرائها وأدبر سعدهم وأخذت الدولة الأيوبية التي تأسست في الشام تنازعهم البقاء حباً بالأثرة وطمعاً بالتوسع وأتى الملك الأشرف

- (١) هو ابن سلامة بن شبيب النفيعي نسبة الى قرية النفيعة وهي من قرى سنجار وقرية منها - كان فقيهاً فاضلاً اديباً له شعر حسن . صنف كتاباً في الجدل اصاب فيه . وقدم على حلب ومات فيها بعد السبابة . وله أخ اسمه مسلم كان ضريراً اديباً فقيهاً له معرفة تامة في التفسير وقدم حلب مع اخيه .
(٢) هو اسعد بن موسى بن منصور الشاعر احد المجيدين المشهورين ، كان اولاً فقيهاً شافعيّاً ثم غلب عليه قول الشعر فاشتهر به وقدم عند الملوك وناهز التسعين .

واستولى عليها من صاحبها (فروخ شاه) آخر أمير فيها من البيت الأتابكي وانقرضت
أمارتهم بعد ان عاشت ٩٤ سنة .

وفي عام ٦٣٨ انتزعها (بدر الدين) لؤلؤ الذي خلف بني أتابك في الموصل من
(مؤيد الدين الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل) الأيوبي ، وعند وفاته عام
٦٥٧ أخلفه عليها ولده (علاء الدين) إلا ان ملكه فيها لم يدم طويلا وقد غزت جيوش
المغول في هذه السنة بلاد الجزيرة واستولت عليها . فدخلت سنجان تحت حكم الدولة
الايلخانية (٦٥٧ - ٧٣٦ هـ) ثم الجسليرية ، وفي عام ٦٩٧ إنقض (تيمورلنك) على
بلاد الجزيرة وجعل عاليها سافلها وخرب معمرها ، فكان نصيب سنجان من هذا الدمار
والخراب أكثر من غيرها من البلاد الاخرى ولم يبق فيها ولا بيت واحد بعد ان
كانت تحوي نحو (٣٥٠٠٠) بيت على ما حققه توفيق فكرت بك مؤلف تقويم الموصل
لسنة ١٣١١ (ص ٢٩١) .

وقد زرت هذه المدينة أكثر من مرة ووقفت على طولها الدارسة وربوعها الخالية ،
وفكرت فيما كانت عليه من السؤدد والعظمة والمجد وما آل اليه اخيراً أمرها ، فكنت
أبكي أهلها الذين أخنى عليهم الدهر بدموع غزار وأردد قول الشريف الرضي :

ولقد وقفت على ربوعهم	وطلوعها يبس البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب	نضوى وعج بمذلي الركب
وتلفت عيني فذ خفيت	عني الديار تلت القلب



﴿ انتقال اليزيدية الى جبل سنجان ﴾

رأينا ان جبل سنجان كان قبل ظهور الاسلام موطناً للنصرانية وبعد ان ظهر الاسلام
هاجرت اليه قبائل عربية واستوطنت فيه . وقد اختار النصارى الاكراد سكنى الجبل
لموافقته لطبائعهم والجبال هي عادة سكنى الاكراد ، واختص العرب بسكنى السهول وهي
أكثر ملائمة لشكل حياتهم وأسباب معيشتهم . وقد مر بنا ما وصل اليه هذا الجبل من
تقدم وعمران على عهد الحكومات الإسلامية الى ان دخل في حكم دول المغول وآخرهم

« تيمورلنك » الطاغية فانتابته الحن والشدائد وحل به الخراب كسائر البلاد الاسلامية
ظهر « تيمورلنك » من هضاب « سمرقند » في ما وراء النهر وانقض على هذه البلاد
بحيسته البالغ ثمانماية الف من مختلف الشعوب والامم وقلبها رأساً على عقب وأوقع فيها
الهلاك والدمار . فكان أهل البلاد يفرون من أمامه خوفاً على رؤوسهم من ان تقطع
ويبنى بها البروج والماذن وأخذوا يبحثون لهم عن مأوى يعتصمون فيه . وكان جبل
سنجار خير ملجأ لما امتاز به من حصانة ، فكان أول من التجأ اليه - على ما يروى -
اربماية أسرة من يزيدية الشيخان في الموصل ، ثم تبعهم خلق كثير من اصحاب هذا
المذهب من الجزيرة وديار بكر وحوضه دجلة ومن بدليس وأما كن اخرى .

هذا هو بدء التطور الذي فوجيء به جبل سنجار ولم يبحث عنه أحد من المؤرخين ،
وعن الأقوام التي وفدت اليه ومن أين وفدوا . وأول من تكلم عن ذلك ، الباحث
الانكليزي « السر مارك سايكس » فانه ذهب الى ان هذه الهجرة وقعت من آسيا
الصغرى ، واستدل على ذلك بما وجدته من المظاهر الخلقية المشتركة بين هؤلاء البزيديين
وبزيدية آسيا الصغرى . ولو ساعدته خبرته لأرجع كل قبيلة الى القبيلة التي ظهرت منها
في آسيا الصغرى وأثبت اتصالها بها من حيث القرابة والنسب .

ان هذا التطور في سنجار لم يتطلب زمناً طويلاً ، فقد تم باقرب وقت ، ودخل المسلمون
والنصارى ساكني الجبل الأصليون في دين البزيدية سواء أكان عن طواعية ورضى ام
عن جبر وإكراه .

ان الذي مكن هؤلاء الوافدين من الفوز في هذا الجبل هو أن سكانه الأصليين لم
يكونوا من القوة والمنعة بدرجة يستطيعون معها الوقوف أمامهم وإيقاف هجرتهم .
والضعيف عندما يغلب كل أمره ولم يجد له ناصراً يحميه ، ينقاد لحكم القوي ويأخذ
منه عاداته وتقاليده وعقيدته ويندمج فيه . والحكومة العثمانية التي ملكت هذا الجبل
ملكته اسماً لا فعلاً ، ولم توجد فيه تشكيلات ادارية منظمة حتى تنتبه لهذه الهجرة
وتدرك مضارها وأخطارها وتحول دونها .

ان اليزيدية الذين نجدهم الآن في سنجار ليسوا جميعاً بمن وفدوا من الخارج بل فيهم من المسلمين والنصارى سكان هذا الجبل الذين انصاعوا لهم وقبلوا دينهم . ففيهم من المسلمين عشيرة « الشهبانية » وهم فرع من تغلب ، ومن الشهبانيين من نزح الى الموصل ويسكنون الآن الحلي المعروف باسمهم ، وكذلك « المزوي » وهم من عشيرة العزة و « الكلشي » وهم فرقتان من « المندكان » و « الهبابات » ويقال انهم من عشيرة « طلي » اولاد من سمي « حباباً » و « آلدخي » وهم من عشيرة آلدخي العربية ويرجعون الى عشيرة « عبادة » وبيت « الشيخ عبد القادر » وكان لهم شأن عظيم في الجبل .

أما المسلمون الذي صعب عليهم التكيف بهذا المذهب ووجدوا أنفسهم غير قادرين على مقاومة تياره ، فقد فروا بدينهم الى مواقع اخرى بعيدة عن الجبل حتى نجد الآن في مدينة تلعفر بيت « الألاي - الأاي بكلي » وهم عشيرة كبيرة ، وسكان محلة « سنجار » وعشيرة « الجبلية » في محلة « حسنكوي » . وفي الموصل عشيرة « السناجرة » و « الشهبان » و « الحيايين » وكثيراً غيرهم من اصحاب هذه الهجرة .

إن أول عمل قام به هؤلاء الوافدون هو انهم أرغموا المسلمين والنصارى على اعتناق دينهم ومثلوهم فيهم وتهجير من لم يقبهم خارج الجبل . وهو عمل يدل على فطنة وبعد نظر ، ولو لم يفعلوا ذلك لما استقام لهم أمر وفشلوا . وديانتهم تأمرهم بان لا يختلطوا مع المسلم ويساكنوه ويتقربوا منه ويشقوا به كي لا يفسد عليهم دينهم .

وهكذا بعد ان تم لهم الاستئثار بالجبل ووجدوا انفسهم في حوز منيع تقصر عنهم الأيدي ، أخذوا في ارباب العشائر المسلمة القريبة منهم . وهذه العشائر لم يكونوا ليطمئنتوا لهم ويرون فيهم خطراً عليهم . فتنكروا لهم وعادوهم ، فأخذ بعضهم يحارب بعضاً ليأمن البقاء ، فكانت غارات ، وكانت مقارعات تتكشف على الأكثر بغلبة اليزيديين على المسلمين وذلك لكثرتهم وقوة عصبيتهم واجتماع كلمتهم وحصانة موقعهم ، فغربوا القرى والمساكن الى بعد مسافة يوم او يومين عن الجبل ، واضطروا اهلها الى الهجرة عنها ، ووصلوا بغزواتهم الى دجلة شمالاً ، ونهر الخابور غرباً ، وتمرضوا للقوافل وأخلوا بالأمن ..

على ان العشائر المسلمة لم تكن لتتصبر على هذه الأعمال ، فكان الأمراء وأصحاب الزعامات القوية من الأكراد يهاجمونهم بحشود قوية في عقر دارهم ، ويوقعون النكال بهم .

﴿ الفارات على جبل سنجار ﴾

تدل الأخبار على ان الحالة في جبل سنجار بعد ان وصلت الى هذا التخرج ، قام أحد زعماء الأكراد وهو « علي سيدي بك » وألف جيشاً من الأكراد وزحف عليهم سنة (٩٩٣ هـ) وقتلهم قتلاً شديداً وقتل منهم ستماية نسمة وسبي عدداً كبيراً من نساءهم وفتياتهم وذهب بهم الى محله .

وهذا هو أول ما دلتنا عليه الأخبار من هذه الفارات . و « علي سيدي بك » هو من أمراء الأكراد البوطان الذين يعدون يزيدي سنجار من العنصر البوطاني ويفرضون الأتاوة عليهم . وقد خالف هذا الأمير البوطاني العادات والقواعد المتبعة بين العشائر بسببه نساء وفتيات اليزيدية بعد ان نال منهم وهو عمل يعاب عليه ولم يسبقه أحد فيه . واليزيدي يرضى لزوجته وفتاته الموت وان يقطعن أوصالاً على ان يقمن بيد المسلم ، وهو يترفع عن ان يمس المرأة المسلمة بسوء ويعدده نقصاً في دينه وشرفه . وقد قدم هذا الأمير على هذا العمل الشائن بعد ان رأى علماء الدين قد أفتوا به ، وسرى ان الحروب التي قامت بين اليزيدية والمسلمين ودامت اكثر من ثلاثة قرون كان سببها اتباع هذه القاعدة معهم .

مضى على حادثة غزو « علي سيدي بك » على سنجار زمن ولم تقف على ما جرى لهم فيه من حوادث . ومن المؤكد انه لم يمض بدعة وأمن وسلام . ويحدثنا اوليا جلبي في رحلته (١٤٢ : ٦) أن « ملك احمد باشا » (١) والي ديار بكر حمل عليهم (سنة ١٠٤٨)

(١) هو صهر السلطان مراد الرابع . يقول صاحب خلاصة تاريخ كرد وكرديستان عنه (ص ٢١٧) : كان من ام اركان السياسة التركية والتمهين لها . وكان لا نفوته الفرصة في تطبيق هذه السياسة القاضية بكسر نفوذ الامارات الوطنية والامارات الكردية . وذكر غزوه على سنجار بقوله : وزحف على قلعة سنجار وضيق عليها الحصار وقتل من الاهالي خلقاً كثيراً ودمر البلاد تدميراً . كانت ولايته على ديار بكر سنة (١٠٤٨ - ١٦٣٨ م) ثم عين والياً على ارض روم ، وصاهر السلطان مراد الرابع سنة (١٠٥٤ - ١٦٤٤ م) وعين والياً على بغداد سنة (١٠٦٠ - ١٦٥٠ م) ولم يذهب اليها ، وعين في نفس هذه السنة صديراً اعظم وتوفي سنة (١٠٧٤ - ١٦٦٣ م) عن عمر يناهز الستين سنة .

بجيش مؤلف من ثمانين ألف مقاتل فقتل منهم ثلاثة عشر ألفاً وسي اثنى عشر ألفاً . وهذا الخبر اذا كان صحيحاً - ولا نخاله إلا صحيحاً - فيدل على قسوة متناهية في هذا الوالي . واليزيدية مهما بلغوا من البغي والعتو فالواجب الانساني لا يجوز قتل وسي هذا العدد العظيم منهم . و « ملك احمد باشا » الذي هو من الجنس الطوراني ويمت بصلة الدم الى « جنكيز » و « هلاكو » اللذان أبادا بضعة ملايين من البشر ، ليس ببذع اذا قدم على عمل كهذا تستنكره حتى الوحوش .

وفي تاريخ جودت في حوادث سنة ١١١٩ هـ : أن زعماء راوندوز قاموا بحشد خلق عظيم من عشائرهم وعشائر الزبيار وقطعوا الفيافي والقفار وغزوا جبل سنجار ، فقتلوا وحرقوا وسلبوا وعادوا مثقلين بالغنائم .

فما هو الذي دعا هؤلاء العشائر لغزو جبل سنجار مع بعدهم عنه ، ولا صلة تربطهم به ؟ والجواب هو الدين ! أو ليس من يقتل يزيدياً يـكـون غازياً ومن يقتل يـكـون شهيداً ؟ والكردي الذي ينام على الطوى ولم يجد ما يقتات به كيف يصبر اذا علم أن هناك أموالاً مباحة ولم يذهب وبأت بها ، وفتيات جميلات ولا يسبي واحدة منهن ويتسراها ؟

وهنا نرى والي بغداد « حسن باشا » (١) يأخذ العدة لغزوم ويقوم بجيش لجب ويتوجه اليهم وينكل بهم تنكيلاً مريعاً ويجري بحقهم من الأعمال القبيحة ما يخجل القلم من ذكرها ، فقد جاء في حديقة الوزراء للسويدي :

« وفي السنة المذكورة (١١٢٧ هـ) ظهر طغيان أهل سنجار ، ونجم طغيانهم في الليل والنهار ، وهؤلاء يقال لهم اليزيدية وبحبون زيد بن علي (كذا) ويعظمون الشيطان ويعضدونه ، وينهون النازلين بهم أن يشتموه أو يسبوه ، وهم مشهورون بالقجور

(١) هو ابن مصطفى بك الذي كان سبانيا - جندياً خيالا - في جيش السلطان مراد الرابع ثم تدرج في المناصب الحكومية الى ان رفع الى مرتبة وزير في سنة (١١٠٩ - ١٦٩٧ م) . وفي سنة (١١١٦ هـ - ١٧٢٤ م) خلف علي باشا في بغداد وامتدت ولايته نحو عشرين سنة الى ان وافاه اجله في « كرمانشاه » سنة (١١٣٦ هـ - ١٧٢٣ م) بعد ان اخذها من يد الفرس مع مدينة « اردلان » . وقد انعم عليه السلطان بعد وفاته بقلب قانع ممدان وقلعت جنته الى بغداد ودفن في جامع الامام ابي حنيفة .

والإصرار على قبائح الأمور ، حتى أن الملا حيدر من علماء الأكابر كان يغزوهم بتلامذته وأهل قريته وشيعته ، وهم متحصنون بذلك الجبل الشامخ معتقلون بمقله الباذخ ولم يحجر عليهم حكم حاكم ، ولا يتبعون قول عالم ، ينكرون الشريعة الفراء ، ويعتقدون المسلمين من جملة الأعداء ، وقد عجزت عنهم العمال ، وذلت من صولاتهم الرجال ، فلما كثرت أضرارهم ، وزاد على نهب القرى إصرارهم ، غزاهم الملك المظفر ، والأسد الغضنفر بمساكر كالسيل وجحافل رجال وخيل ، فلما قارب جبلهم ، وكاد أن يصرم من احتصاصهم به حملهم ، ابتدروه بالقتال وقابلوه بالحرب والنبال وقاتلوه بالأحزاب والبطال ، فاشتعلت بينهم نيران الحرب ، وكثر بين الفريقين الطعن والضرب ، ولكن حزب الله هم الغالبون وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ففرت أعداء الله من بين أيديهم ، وولت هربا تاركين تليد أموالهم وطريف ذراريهم ، وصمد الدستور بنفسه الجبل بجماته ، وكثر المهرج والقتل في أعداء الدين وعصاته ، فمن نجا منهم بعياله وخيله ورجاله ذهب إلى قلعة صغيرة هناك يقال لها (الخاوية) أهلها مسلمون ، وفيها المساجد العاصرة على ما ينقلون لكنها لما كانت في تلك الناحية ، كانت تحت تصرف الفئة الباغية ، فتحصن من نجا فيها وحاصر بناديقها ، فقابلها الوزير من جميع جهاتها ، وأرى العطب لمن كان في ربوعها بالطوب المزعج والتفنك المريج ، فخرج أهلها المسلمون باطفاقهم ودخلوا على الدستور بعيالهم وأموالهم فآمنهم وآوهم وعذرهم على ما عولوا عليه .

ثم أولئك الانجاس البغاة الأرجاس هلك أكثر خيلهم والرجال من بندق التفنك ورشق النبال ، فدخل القرية عنوة ومحققهم بسيف الانتقام ، وحصل بذلك للمسلمين الانتظام وأسر النساء والأطفال واغتني الجند الأموال ، وأبتساعوا نساءهم وامتهنوا بناتهم وأمنهم وعاد الوزير منصوراً مؤيداً ، محبوباً مسدداً .

وجاء في زبدة الآثار الجليلة :

« كثر ضرر أهل سنجار وهم اليزيدية عبدة الشيطان ، وقطعوا الطرق ونهبوا القوافل فتجهز والي بغداد حسن باشا بالمسار وقدم الموصل وسار اليهم وحاصرهم مدة أيام ونهب بعض القرى فيه وقتل من اليزيدية خلقا كثيرا وغنم مالا جزيلا وملك أغنامهم وأسر

من أبطالهم ونسائهم وعاد منصوراً ، وأرخ بعض الفضلاء في الموصل فقال : (غزاه حسن) .

وجاء في كلشن خلفاء :

« وفي هذه السنة علم الوزير حسن باشا أن طائفة من الأكراد تحصنت في جبل سنجار وتعمت هناك بلا حاكم يحكمها وبلا إجراء أحكام الشرع ويعرفون باليزيدية وهم من الأكراد من أجناسهم المختلفة ، وهؤلاء من مدة مديدة وعهد بعيد لم يسيطر عليهم حكام وانهم التزموا رفع لواء البغي والفساد وصاروا يقطعون الطرق ويلحقون الأذى بالعباد والبلاد .

« إن الوزير المشار اليه علم من واجبه الاسلامي وغيرته الدينية ان يطفى نيران مفاسد هذه الطائفة ويقوم بمصاريف باهضة لوجه الله تعالى واختار ان يعد المعدات الوافرة والمساكن المتكاثرة فجهزها عليهم . وهذه الطائفة وإن كانت سارعت للمقاومة وقامت بالقتال ، إلا ان الوزير المشار اليه دام نصره ، دخل الجبل بنفسه ومعه خيالاته ومشاته فخرض جنده وساقه عليهم وحينئذ قتل أكثر الأعداء بسيف قهره ، وثار منهم فأنكسروا .

« ثم لجأوا الى قرية في القرب من تلك الأنحاء يقال لها « الخاوية » وهذه فيها الجوامع والمساجد ويسكنها المسلمون ، ولكن هذه الطائفة استولت عليها وتحصنت بها وان هذه القرية محاطة بالمياه من سائر أطرافها ومساكنها في وسط الجزيرة وليس لها إلا طريق واحد ينفذ الى القرية او يخرج منها .

« أما المساكن المنصورة فلها اتخذت المتاريس وخوفاً من ان ينجو الأعداء من الطرف الآخر قد اقتحموا بحر الخطر ، وفي هذه الأثناء هلكت نفوس كثيرة من الجانبين ، ثم إنه في اليوم الثاني قد خرج المحصورون بأطفال المسلمين الفقراء ممن كان يسكن هناك في تلك القرية من القديم ، وتوسلوا بطلب الأمان والعفو فأعطي لهم . وعلى هذا قتل كثير من مشاهيرهم وأسر آخرون وعاد الوزير منصوراً وجهل حكومتهم ، وأمر إدارتهم الى شيخ طيء الذي هو بالقرب منهم وأوصاه بالقيام بشؤونهم .. »

أن اليزيدية الذين وقع عليهم هذا التنكيل - على ما نرجح - هم السموقيون والقيرائيون سكان شمالي سنجار لقربهم من بحيرة « الخاثونية » التي لجأوا إليها ، وكان تنكيلاً قاسياً ومراً . على أن اليزيدية لم يبقوا مكتوفي الأيدي تجاه هذا التنكيل ولهم من القوة والشجاعة ما ليس للجيش الحكومي . وقد أشار مؤلف كلشن خلفاء إلى أن نفوساً كثيرة هلكت من الجانبين . وفي أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث : أن كتحدا الوالي قتل في هذه المعارك . فكم إذن عدد الذين قتلوا من الجيش في هذه المعركة ؟ وقد أطرى الشعراء والكتاب هذا الغزو الناجح وأرخوه بـ « غزاه حسن » ووضعوا أكاليل الظفر على هامة هذا الوالي وهو فاتح همدان وكرمانشاه وأردلان إلا أننا كنا نود أن لا يحط من قيمة هذا الغزو الرائع بما أجراه جنده من الأفعال الشنيعة مع بنات اليزيديين وإمائهم . ويشيد مؤلف حديقة الوزراء بهذه الشناعة ويعدها مفعرة من مفاخر الوزير وإذا كان بقي ذكر هذه الحادثة في طيات التاريخ فاليزيدية لا يزالون يذكرونها في أغانيهم الشعبية ويتوجعون لها .

وبعد أن تمت هذه التنكيلات الصارمة المريعة لفاتح همدان وعاد منصوراً مؤيداً مجبوراً مسدداً وبحمل معه من الأسلاب والسرايا ما لم يدخل تحت حساب . ما هو نوع التشكيلات التي أجدها في الجبل لحفاظة الأمن ومنع تكرار وقوع هذه الحوادث في المستقبل ؟ إن صاحب « كلشن خلفاء » يقول : جعل حكومتهم وأمر إدارتهم إلى شيخ طيء الذي هو بالقرب منهم ، وهو عمل سخيف جداً ويدل على جهل هذا الوالي وعدم تقديره الوضع الإداري والعشائري في جبل سنجار . ومن يكن شيخ طيء حتى يجعل حكومتهم وأمر إدارتهم إليه ، وشيخ إطيه نفسه بحاجة إلى من يحافظه منهم ؟ وفي سنة ١١٦٧ هـ نجد والي بغداد « سليمان باشا » (١) يقوم بحملة كبيرة ويتوجهه

(١) هو أحد مماليك حسن باشا والي بغداد ويرجع إلى أصل كرخي من منطقة نغليس ، وقد ساعدته مزاياه الممتازة من احراز منصب ولاية بغداد بعد أن عين والياً على « أطلنه » و « البصرة » . كان على جانب من الاضطلاع بالأمور ، قوياً حازماً مهيباً بعيد النظر في الشؤون الإدارية . وقد تمكن من القيام بأعباء ولاية بغداد المترامية الأطراف ، الصعبة المراس ، بحكمه القوي وهيبته الشديدة الناجحة ، ولم يعكر صفو مملكته أي عدو كان . وقد لقب « بابي ليلة » لتخفيه في الليل وخروجه متكرراً للاضطلاع على الحوادث التي تجري في الحفاء . وفي دوحة الوزراء أنه كان يسمى (أباسرة) و (دواس الليل) .

الى جبل سنجار . وسليمان باشا هذارجل شديد البأس قوي البطش ، فكان لملته أثر أشد وأقوى مما تركته حملة « حسن باشا » في نفوسهم ، واليزيدية على بعد العهد يذكرونها . وهذا ما قاله مؤلف « الدر المكنون » عنها :

« إن والي بغداد « سليمان باشا » غزا جبل سنجار وحاصره واستولى على قراهم . ثم نزلوا يطلبون منه الأمان وأقاموا هناك ، فأمر العسكر فحملوا عليهم من كل مكان وقتلهم عن آخرهم وكانوا أكثر من ألف رجل ومعهم بعض النساء وقتل من العسكر مائتان . »

وذكر « لونكر بك » في مؤلفه هذه الحادثة بقوله : « وفي سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) استدعت غزوات اليزيديين وغنهم في جبل سنجار تجريد حملة واسعة النطاق ، فقد جاء أبو ليلة (أراد به سليمان باشا) بقوة عظيمة الى الموصل ، فعاضده في حملته هذه أمين باشا الجليلي بتجربته وإخلاصه . »

وفي الرسالة التي عزاها الدكتور قسطنطين زريق في كتابه (اليزيدية قديماً وحديثاً) الى اسماعيل بك اليزيدي ما يزيدنا وقوفاً واطلاعا على هذه الحادثة ، ونعتقد انه أخذه من الأفواه ومن أغانيهم الشعبية التي يرددونها ، هذا نصها :

« في أيام عمر اغا من عشيرة صمران الموجودة الآن في سنجار ، وامارة (بداغ بك) على اليزيدية ، ورياسة ولي محمود على المهركان ، ومندي محمود على سموقة وقيران وجميع اليزيدية الرحالة ، حضر (سليمان باشا) التركي ومعه عساكر كثيرة تزيد على خمسة طوابير وقير عام لا يحصى له عدد ، ونزل بمحل يسمى (كوري كورك) قريباً من (شرف الدين) ولما أحس به اليزيدية انهزموا واختفوا في الكهوف والمغارات وبقوا مخترئين نحو ثمانية أيام . فأرسل (سليمان باشا) الى عشيرة (العمران) وبيت الخالة (أراد بهم بيت خالد) وهم نحو ألف بيت وكان محلهم يبعد عنه ساعة واحدة يدعوم الى ان يعرضوا دخالتهم عليه على أن يحضروا هم وأولادهم ونساءهم وجميع اموالهم . فانصاعوا لأمره ونزلوا على المعسكر ، وبعد ان جردهم من سلاحهم أمر العساكر أن تحيط بهم ، ولم يمض ساعتان من الليل إلا وهجموا عليهم بالمدافع والسيوف والبنادق

وقتلوهم عن آخرهم . (يقول) : وكانوا ثلاثة فرق : الاولى في جهة الغرب ولم ينج منهم سوى ثلاثة اشخاص ، والفرقتان الاخريان في جهة الشمال وقد قتلوا على بكرة أبيهم ، والذين طلعموا الى الجبل نجا منهم اربعة عشر شخصاً فقط ، وقد سبت المساكن نساءهم وفتياتهم الجميلات وذهبوا بهن الى ديارهم ... »

وهذه الرواية أصح ، وقد حفظتها الاناشيد الشعبية التي يرتلونها في نواديهم ومحافلهم (١) والحقيقة انهم جاؤوا بأمان من الوالي لكنه أمر العسكر بقتلهم جميعاً لا كما جاء في « الدر المكنون » انهم نزلوا يطلبون الأمان وقتلوا ، والفرق بين الخبرين واضح . وهذا لا يتفق مع كرامة الحكومة . وكان بوسع هذا الوالي الذي يسمونه « دواس الليل » ان يتعقبهم بقوته الكبيرة وينال منهم لا ان يدعوهم اليه بالأمان ويقتلهم بالخيانة والغدر . ويظهر ان قتله ألف رجل وامرأة من اليزيدية لاقى استحساناً من السلطان فأمر باهدائه فروة فاخرة كما دلنا عليه مؤلف اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث .

ولما دخلت سنة ١١٨١ هـ - على ما جاء في زبدة الآثار الجليلة - جهز الوالي (محمد امين باشا) ، ولده سليمان باشا بالعساكر وأرسله الى قتال اهل سنجان اليزيدية فصار اليهم وحاصروهم ، فأرسلوا يطلبون الأمان ، وبعثوا النساء وبعض الرجال : فأمنهم على نفوسهم وشرط عليهم أن يعطوه ألف رأس من الغنم وثلاثة رؤوس من الخيل ، فقبضوا الشرط ، وأرسلوا ثمانمائة رأس من الغنم والخيل المذكورة وامتنعوا عن اداء الباقي ، فخاربههم سليمان باشا ساعة وقتل منهم سبعة أنفس ، وقبض على أميرهم وخمسة رجال منهم ، وقتل من العسكر اربعة أنفس وعاد الى الموصل وسجن الأسرى .

وذكر في حوادث سنة ١١٨٧ هـ :

« وفيها سار بالعساكر والي الموصل سليمان باشا ونازل جبل سنجان وقبض على ثلاثة منهم ، ثم سبي ثلاثة غلمان ونهب اغنامهم وعاد الى الموصل »

(١) هذه الاناشيد هي من الشعر القصصي تتضمن اخبار الحروب وما نالوه من انتصارات او حل فيهم من محن وما آسى ، وفيها من اخبار الحب والغرام ، ينفذونها في اداء شجي يحرك كوامن النفس ويهيج العواطف ، ومنها ما ينفذونه وقت الحروب فيثير فيهم الحماس .

وذكر في حوادث سنة ١١٩٣هـ :

« وفيها جهز والي الموصل سليمان باشا الجليلي العساكر وأرسلهم مع أخيه (محمد باشا) ونزل على جبل سنجار أواخر رمضان فأكلوا زروعهم وقبض على خمسة رجال منهم وعاد الى الموصل » .

وفي مطالع السعود :

« ولما دخلت سنة ١٢٠٦هـ ، سير الوزير سليمان باشا (والي بغداد) مع لطف الله افندي جنداً لمحاربة من تحصن بالجبال من الأعداء ، فكروا عليهم كرسود الغاب فما كان إلا هز العامل وسل القرضاب ، غنموا أموالهم بعدما حزوا الرقاب » .

أما المؤرخ جودت فقد ذكر أن هذه الحادثة وقعت عام ١٢٠٩ وذلك أن والي بغداد سليمان باشا أرسل حملة كبيرة تحت قيادة أحد رجاله المدعو (لطف الله افندي) وزوده بصلاحيات واسعة لاجل تأديب أهل سنجار ، وبعد أن انضم اليه كثير من القبائل والعشائر هاجمهم من عدة مواضع في الجبل وأوقع فيهم القتل والنهب والأسر وأدخلهم حضيرة الطاعة والاستسلام ثم عاد الى بغداد .

يقول : وبعد عودة لطف الله الى بغداد عادوا الى سابق أعمالهم وأعلنوا عصيانهم ، فأخذت الحكومة تهتم بأمرهم من جديد وتواصل حملاتها عليهم .

وعلى ما جاء في زبدة الآثار الجلية في حوادث سنة ١٢٠٧ أن محمد باشا الجليلي والي الموصل سار بالعساكر أول يوم من رمضان (وهو آخر يوم من آذار) ونزل على أهل سنجار من جهة القبلة وملك منهم ثمانين قرى وأحرقها بعدما نهبا وحصد زروعها ، وكانت أكثر من عشرين ألف تغار (١) وقتل منهم اثنين وأسر أربع عشرة امرأة ، ثم أطلقهن وعاد الى الموصل يوم الاحد ثاني شوال .

ويقول في حوادث سنة ١٢٠٨ : « وفيها : في أواخر رمضان سار من الموصل محمد

(١) وهذا وهم منه ويزيدية سنجار بأسرهم سكان الشمال والقبلي لا يملكون هذه المساحة من الاراضي ولا عندهم بذور يملئونها ، ويحتاج حصدها الى ما لا يقل عن (٢٠٠) ألف نسمة .

باشا بالعساكر ونزل على أهل مهران من أهل سنجان وحاصروه فخرج منهم على غفلة من العسكر نفر وضربوا الرصاص فانكسرت أربع فرق من الينجيرية وزعماء الموصل وثبتت فرقة منهم مع الوالي وخرجوا سالمين وقتل واحد منهم ومن تلك الفرق سبعة أنفس وثبت « محمد باشا » ومعه نفر يسير وعادوا سالمين .
وفي غرائب الأثر :

« وفيها (اي سنة ١٢٠٨) خرج محمد باشا الجليلي من الموصل بالعساكر وتوجه الى سنجان ونزل على « مهران » وأغار على أغنامهم وأكل عامة زروعهم وعاد الى الموصل ثم بعد أيام كر راجعاً الى سنجان في أواخر رمضان وحاصروهم وأغار العسكر على قراهم وتفرق العسكر بالأودية فخرج من المهران جمع فانكسر عسكر الموصل وثبتت الفرقة منهم مع الوالي وقتل من المهزمين سبعة وملك المهران المدافع وعاد محمد باشا الى الموصل وصادر الينجيرية المهزمين .

وهنا نجد ولاية الموصل الجليليين يكثر من غزو اليزيدية في هذه الحقبة حتى يفزوم « محمد باشا » مرتين في سنة واحدة كاد ان يذهب في المرة الأولى والثانية ضحية بيد المهرانيين وتحل به عين الكارثة التي حلت « بعبد الباقي باشا » الجليلي على أيدي يزيدية الشيخان سنة ١١٩٩ ، وهذه الغزوات أصبحت عادة مستأصلة في نفوس هؤلاء الولاة ولم يطبقوا صبراً على تركها ، والجليليون في غزواتهم على سنجان أخف وطأة من ولاية بغداد ، ولم يسمروا في الأسر والقتل ، ولم تتعد غزواتهم الجهة القبلية من الجبل ولو وجهوا حملاتهم الى جهة الشمال لعسر عليهم الأمر .

وفي الآثار الجلية في حوادث سنة ١٢٠٩ ان الحملة التي أرسلها والي بغداد لقتال الحاج سليمان بك الشاوي سارت الى سنجان وأغار على آفند مقدم « الكييارية » و « الخركية » وكان قد أسلم وأظهر الاسلام في عشيرته وقتلت منهم ٦٠ رجلاً وأسرت ٦٠ امرأة وولداً وغنموا أموالهم وستة عشر ألف رأس غنم وبقر وجمال وحمير ودواب وهرب من سلم الى الجبل وهو « آفند » بمن معه ، ويضيف الى ذلك قوله : « وكان أكثر الأسمرى من العرب الساكنين في الجبل » .

وجاء ذكر هذه الحادثة في غرائب الأثر على الوجه الآتي :

« وفيها (اي سنة ١٢٠٩) أرسل والي بغداد سليمان باشا العساكر مع الأمير عبدالله بك أخيه أحمد كهيبة ، وعبدالرحمن باشا والي السليمانية وسيرهم لمحاربة سليمان بك الشاوي فرحل من أمامهم وسار الى الخابور ووصلت العساكر الى تكريت ، وساروا الى مدينة تلعفر وتوجهوا الى سنجار ، وأغاروا على الكيبارية والخركية عند الصباح فهرب مقدمهم « آفند » بمن معه ودخلوا الجبل وقد قتلوا منهم ستين رجلاً وأسروا ستين امرأة وغلاماً وجواري أبكاراً وملكوا ستة عشر ألف رأس من الغنم سوى الجمال والخيول والبقر والحمير . »

نقول : وهذا عمل فظيع جداً ، وعشيرة الكيبارية والخركية اللتان حلت بها هذه الكارثة ، وإن لم يبق لهما الآن ذكر في جبل سنجار ، نرجح أن تكونا أخذتا اسم « مندكان » باعتبار أن « آفند » او « هافند » الذي أسلم كان رئيس المندكان ، فلمندكان أكثرهم مسلمون وقد أسلموا بعد أن كانوا على اليزيدية . وإذا كانت أعمالهم استدعت هذا النكال ونهب ما حوته أيديهم من ماشية ومال ، كيف يصح سبي (٦٠) امرأة وغلاماً وجواري أبكاراً منهم وأكثرهم من العرب القاطنين في الجبل ؟ وأن الفتاوي التي أصدرها العلماء بحق اليزيدية - إذا صح العمل بها - هل يجوز تطبيقها بحق المسلمين أيضاً فتصبح نساء المسلمين وفتياتهم مباحة لعلوج الانكشاريين ؟ أم ان هذا الجبل باعتباره يزيدياً بدمه ولحمه وجب سبي كل امرأة او فتاة فيه دون تفريق بين عقيدة ودين ؟

وفي حوادث سنة (١٢١٥هـ) من غرائب الأثر أن عصابة من يزيدية سنجار نهبت قافلة كانت قادمة من ديار بكر في موقع جربارات (والصحيح جربارات تقع على الحدود العراقية السورية) ومعهما ستون حمله كتان سوى القماش ، فنزل عليهم « عمر باشا » الملي في عودته من بغداد وكان قد صار وزيراً وعين والياً على مدينة « اورفة » ، فحاصرهم وطلب منهم أموال القافلة فأعطوه ثمانين بغلاً وفرساً وحملاً وبعض المال .

وفي هذه السنة سافر والي الموصل « محمد باشا الجليلي » الى سنجار وحاصرها وجرى له وقعات وعاد الى الموصل .

وفي حوادث سنة (١٢١٧هـ) من نفس المصدر : « أن علي باشا بعد أن عاد من قتال «البلباص» (١)، نزل في الخيام خارج الموصل وتوجه الى جبل سنجار وحاصره من جهته الشمالية ، وأمر العرب محاصرة قبلته ، ثم قدم الى الوزير «الحاجي رجب» ومعه ستماية مقاتل حسبة لله من قبيلة الاكراد الزبيار وجرت لهم معهم وقوعات عديدة .
ولما دخلت سنة (١٢١٨هـ) وهم لا يزالون على جمعهم قال :

« شدد الحصار على جبل سنجار فأطاعته فرقة ودام القتال أياما وأمر بقطع أشجارهم وهدم قراهم ونهب أموالهم واخراج خباياهم ، فزولوا وأطاعوا ، وشرط عليهم أن يعمرؤا قراهم أسفل الجبل فقبلوا ما أمرهم به ، ثم نصب عليهم أحد أمراء الجبل ، وكان قد أسلم ولعن الشيطان ، ورحل علي باشا » .

وفي «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» بعد أن ذكر مسير «علي باشا» لتأديب البلباص واذعانهم له من دون مقاومة قال : « ثم عبر الى الموصل فوجد مدة «محمد باشا» الجليلي الطويلة كانت على وشك أن تنتهي وعزز قوته بجيوش الباشوية هذه فسار للقضاء على لصوص جبل سنجار ، فأدت أساليب الحصار والضغط المتوالي الى طرد البزديين من كهوفهم والى اضطرارهم الى التسليم بشروط قاسية » .

وذكر المؤرخ التركي جودت في تاريخه هذه الحادثة على هذه الصورة :

في سنة ١٢١٧هـ جهز «علي باشا» والى بغداد حملة كبيرة وتوجه بها الى سنجار وعندما قرب منه أخذ البزيدية يلوذون بالفرار ويتحصنون بالكهوف والمغارات واستعدوا لمقاتلته ، فشدد عليهم الحصار وخرّب كرومهم واضطرهم الى التسليم وأجرى بعض الاصلاحات وعاد الى بغداد سنة ١٢١٨هـ .

وفي تاريخ جودت أيضاً في حوادث سنة (١٢٢٤هـ) أن «سليمان باشا» والى بغداد سار الى جبل سنجار بقوة كبيرة مجهزة بست بطاريات ومعه «محمد بك» أمير الكوي واحتل قرية لهم وأعمل السيف برجالها وسبي نساءها وأظهر من الشدة والصرامة ما ألقى الخوف والرعب في قلوب البزديين ، فتركوا أوطانهم واعتصموا برؤوس الجبال والتجأوا

(١) عشيرة كردية قوية تسكن منطقة «اوشنو» في إيران ، وراوندوز ورائية في العراق وتنقسم الى ثلاثة شعب كبيرة وهم : بيراني ، ممش ، منكور ، ولكل شعبة فروع كثيرة .

الى الكهوف والمغارات واستعدوا للقتال ، وعندما أدرك « سليمان باشا » عجزه عنهم ترك الجبل وتوغل في تعقيب عشيرة « الظفير » التي كانت قد هربت الى « الرقة » .
جاء ذكر هذه الحادثة في مطالع السعود على الوجه الآتي :

« في هذه السنة (اي سنة ١٢٢٤ هـ) غزا « سليمان باشا القليل » ديار بكر بجيش عظيم لتأديب « الظفير » وقبيلة من « عنزة » كبيرهم « الدريمي » وكان خروجه في ٢٥ من المحرم ، فلما جاوز الموصل شن الغارة على أهل سنجار ، فصبح القرية المعروفة بـ « البلد » وغنم وسبي وتحصن من بقي من اهلها في ثنية من ثنايا سنجار . ثم لما لم يمكنه الوصول توجه الى الظفير والعزبين » .

وفي غرائب الأثر : « ثم توجه الى سنجار ونهب مدينة البلد من اعمال سنجار . ثم نهب قرى المهركان وقلع اشجارهم وخرّب ديارهم ، وأعمى آثارهم ثم نزل الى جهة الشمال من سنجار وحاصرها أياماً ، ثم رحل وتوجه الى جهة الحابور فبلغ الظفير والدريمي خبر قدوم العسكر فهربوا » .

وهنا نقف متسائلين : هل كان ولاية بغداد والموصل على إصابة وحق في غزواتهم التي كانوا يقومون بها على جبل سنجار بهذا الحماس الشديد ؟ وهل كان اليزيديون مستحقين هذا الغزو المتواصل ؟

إن أحداً من المؤرخين لم يتعرض لهذه الناحية ، وكل ما قالوه لم يخرج عن ذكر ما كانت توقعه الحكومة من تخريبات في هذا الجبل وتناله من انتصارات وتكسبه من غنائم . ورب قائل أن هؤلاء الولاة لم يجيشوا الجيوش ويختاروا مشقة السفر الى سنجار ويعرضوا أنفسهم لشتى الأخطار والمهالك إلا بعد أن يكون قد تفاقم أمر هؤلاء اليزيديين وعظم خطبهم ! وهذا وإن كان صحيحاً ، والأعمال التي أتوا بها مهما عظمت ، لا تستوجب واحدة من الحملات التي كان يقوم بها « حسن باشا » فاتح همدان ، وسليمان باشا دواس الليل ، وعلي باشا ، والباشوات الجليليين ، لا سيما حملة « ملك احمد باشا » التي قتل فيها ثلاثة عشر ألفاً وأسر اثني عشر ألفاً ! وكثيراً من الأمراء الأقطاعيين الأكراد ، كانوا يأتون من الأعمال التي تعرض سلامة الدولة الى الخطر وتهدها في

استقلالها ونظام ملكيتها ، وهي تتغافل عنهم ، واذا أعيأها الأمر تأخذ في تأديبهم ولكن سرعان ما كانت تغفو عنهم وتغمرهم بالانعامات وتزين صدورهم بالرتب والنياشين وتزيدهم في اقطاعاتهم . وكثيراً ما كانت توجه رتبة الوزارة الى أحد اللصوص وتطلق يده في أعمال الادارة وتدينه والياً ، وتأتي بالآخر وتعمله قائداً ، بينما يزيدية سنجار لم يتحسوا بهذه الروح ، ويحملوا فكرة سياسية ترمي الى طلب الاستقلال . وكل ما كان منهم ان سلكوا طريق البغي والشقاوة لخالفتهم المسلمين في عقائدهم واصرار الحكومة على الايقاع بهم في الوقت الذي كان بالامكان معالجتهم من طريق آخر أقل خطراً والحكومة ليس لها أن تنتظر منهم خضوعاً وطاعة ، وقد أفنى علماءها بوجوب قتلهم وقتالهم واستحلال أموالهم ونساءهم ، والولاة يطبقون احكام هذه الفتوى بحذافيرها بحقهم . ان هؤلاء اليزيديين الذين قصرُوا حياتهم على الحرب والضرب ومقارعة الأعداء ، والاستئثار بالقوة واحتقار الموت ، ويعبرون عن مواطنهم تارة (بمعقل الأسود) وتارة (بوكر الصقور) يصعب عليهم ان تحتطف نساؤهم وفتياتهم من أيديهم ولا يشوروا على المجتمع ويصبوا نيران سخطهم ونقمتهم عليه . وكان على الولاة الذين يحملون مسؤولية المملكة ان لا يسرفوا في أعمال البطش والفتك هؤلاء القوم ويكثروا من هذه الحملات عليهم وهي لا تولد سوى إثارة الضغائن وتشدد أسباب الكراهية والنفور .

وكأن القاري يهتم بموقفى هذا بالحزب لليزيديين ، ويراني غير محق في توجيهي اليوم الى رجال الادارة في ذلك العهد ، ولكنى ككاتب مؤرخ لم أر بداً من المجاهرة بالحقيقة . وإني على اعتقاد من ان رجال الادارة لو سعوا في اصلاح هذا الشعب من طريق آخر غير الطريق الذي سلكوه معهم ، لوجدناه اليوم من خيرة الشعوب وتقدم في مضمار الحضارة ونال اكبر نصيب من الحياة .

ان ما لاقاه هذا الشعب من الشقاء والبؤس على أيدي الولاة العثمانيين كان يلاقي أسوأ وأقس منه من أسراء البوطان ، إذ كانوا يفرضون طاعتهم عليه فرضاً ويجبون الضرائب منه بالقوة ، وكان آخرهم الأمير بدرخان . يقول الرحالة والمنقب الانكليزي السر هنري

لا يارد وكان قد زار جبل سنجار في كلامه عن الأعمال التعمسية التي كان يجريها الأمير البوطاني باليزيديين : « كانت هذه الغزوات السنوية من جملة منابع واردات » بدرخان باشا « كما انه كان قد اعتاد لها باشوات الموصل وبغداد ايضاً ، والغرض منها إبادة هذا الشعب الذي سلك في دينه طريقاً همجياً لا ينطبق على الحكمة والعقل ، زد على ذلك اجراء الضغط عليهم لكي يبيعوا أولادهم ويتركوا أوطانهم ويهاجروا عنها » .

وأمر البوطان يمدون يزيدية سنجار من شعبهم البوطاني وقد هاجروا من الجزيرة الى هذا الجبل في اول عهد ظهورهم فيه كما يمدون « الطيارين الآشوريين » من الشعب البوطاني ايضاً باعتبارهم هاجروا الى هذا الوادي (١) منذ ثلثاية سنة وكان بدرخان باشا يستوفي الضرائب منهم .

يقول لا يارد : « ولشدة ما أصابهم (يعني اليزيديين) من المظالم فقد شكوا عصابات وهاجموا النواحي المجاورة لهم وأغاروا على القوافل ونهبوا كل من وقع بيدهم من الأكراد دون رأفة او رحمة ، حتى ألقوا الرعب في قلوب كثير من الناس ، وقد سببت أعمالهم هذه استياء الحكومة وغضبها عليهم . فأرسلت « محمد رشيد باشا » و « حافظ باشا » الواحد تلو الآخر وحملتهم ألواناً من العذاب » .

ان حملة « محمد رشيد باشا » على سنجار ترجع انها وقعت عام ١٢٥٢ هـ (١٨٣٥ م) عندما كان يقوم بمهمة الاصلاحات في كردستان والقضاء على الامارات الكردية الاقطاعية فانه بعد ان قمع الاضطرابات في « ماردين » المشاغية ، وفصل تلك المنطقة فصلاً نهائياً عن الموصل وألحقها بديار بكر ، وقبض على « صفوك » عظيم شمر وبعث به الى اسطنبول توجه الى سنجار وأوقع فيها . وأما حملة « حافظ باشا » فتصادف سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٤ م) وكان هو لها أشد من حملة « محمد رشيد باشا » واليزيدية لا يزالون حتى يومنا هذا يذكرونها ويذكرون ما لاقوه من هذا القائد من أهوال وشدائد بينما لم يذكر أحد منهم « محمد رشيد باشا » ويعرف شيئاً عنه .

(١) يدين سكان وادي آشوت المعروفين بالطيارين بالذهب النسطوري وكانوا يسكنون قبلا جبال البوطان ، ولما اريد ادخالهم الكنيسة الكاثوليكية أبوا وفروا الى هذا الوادي وظلوا على نسطوريتهم الا انهم أضاعوا جنسيتهم واصبحوا اكراداً - هذا ما اراه .

ونستدل من الأخبار المنقولة عن هذا القائد انه كان جباراً مخيفاً جاء الجبل وهو عازم على قطع جذور هؤلاء القوم وإبادتهم لتكون آخر عملية تقوم بها الحكومة العثمانية في هذا الجبل وقد أظهر من الشدة والقسوة ما لم يفعله اي انسان يحمل ذرة من الشعور أما مقدار جيشه والحركات العسكرية التي قام بها ، وصورة احتلاله الجبل فلم نعلم شيئاً عنه إلا ان الذي نعلمه أنه أباد ثلاثة أرباع نفوس اليزيديين . واذا فرضنا ان نفوسهم كانت اربعين الفا - كما قدره البعض - فيكون قد أباد ثلاثين الفا والباقيون هربوا ، وبعضهم أسلم وكثير منهم من ظل على اسلاميته .

يقول لا يارد : « عندما فاجأ الجبل » محمد رشيد باشا « و » حافظ باشا « التجأ اليزيدية الى الكهوف والمغارات قصد ان ينجو بأرواحهم ، إلا ان ذلك لم يقدم شيئاً بل اختنقوا بدخان النيران وقتلوا بالبنادق والمدافع وأبىد ثلاثة أرباعهم . ويظهر ان ترك « حافظ محمد باشا » هذه البقية من اليزيدية أحياء لم يرق لحكومة السلطان وعدت عمله ناقصاً فأودعت إكمالها الى الأيمنة بايراقدار « محمد باشا » والي الموصل ، إذ يقول استيفن لونكريك في مؤلفه اربعة قرن من تاريخ العراق الحديث : « سحق اليزيديين في سنجار ثانية جند جاء من خارج العراق يقودهم حافظ باشا وتولى في سنة ١٨٣٨ م - ١٢٥٤ هـ الأيمنة بايراقدار العمل غير الكامل في كردستان . وفي تقويم الموصل لسنة ١٣١٢ هـ أن والي الموصل الأيمنة بايراقدار حمل على سنجار بعد أن أخضع تلعفر المتمردة وفتك فيهم وكان يقطع رؤوسهم ويضعها في غرائر ويرسلها الى الموصل لأجل العبرة والأرهاب .

وفي عام ١١٦٠ هـ - ١٨٤٤ م حمل « محمد شريف باشا » والي الموصل على سنجار وأجرى فيه من الدماء سيولا حتى يقال أن حملة الأيمنة بايراقدار لا تعد شيئاً مذكوراً بجانبها .

ثم أعقبتها في السنة التالية حملة « محمد باشا » الكريدي ، وكان أشد الولاة هولاً وأكثرهم رعباً وخوفاً ، فأنش فيهم قتلاً وتعذيباً ، وقبض على زعيمهم الديني « الشيخ ناصر » وألقاه في السجن .

وفي عام ١٢٦٣هـ - ١٨٤٧م عين « طيار باشا » والياً على الموصل فذهب الى قرية « مهران » في سنجار للتحقيق عن المظالم التي أجراها الوالي السابق محمد باشا الكريدي معهم ، فطلب حضورهم ، فلم يجيبوا وخافوا من أن يغدر بهم وهم لا يشقون بالمواعيد التي يعطيها الولاة لهم ، وهناك ظهر أموراً ليست في الحسبان . وهذا ما ذكره هنري لا يارد وقد شهد هذا الحادث فقال :

« ذهب طيار باشا الى سنجار قصد أن يقوم بالتفتيش بخصوص جمع الأموال الأميرية وبحقق عن المظالم التي أجراها الوالي الذي كان قبله في الموصل بحققهم ، ودعا زعماء اليزيدية وكبارهم لمواجهته في مهران . ومهران من اكبر قرى اليزيدية في سنجار ، وقد قاسى أهلها أشد العذاب من محمد باشا وقتل كثيراً منهم ، فامتنعوا عن مواجهة طيار باشا خوفاً من ان يعاملهم بالجور والجفاء وأصروا على عدم مقابلته رغماً على المواعيد التي وعدهم بها . وقد أرسل أحد قواده اليهم لكي يؤمنهم على حياتهم » .

يقول : « وقد رافقته أنا أيضاً ، وعند وصولنا القرية أطلق اليزيدية بنادقهم علينا فأصيب فارسان وهرب الباقيون ، فغضب الباشا وأمر العسكر ان يهجموا على القرية إلا ان الأهالي كانوا قد التجأوا الى مضيق كثير الكهوف واجتمعوا فيه ، ثم ان العساكر دخلوا القرية وقتلوا من وجدوا فيها من شيوخ وعجائز وأوقعوا فيها النهب وأحرقوها وجرت مقاتلات بين العسكر واليزيدية المتحصنين في الجبل وقتل قاضي العسكر وكثير من الطرفين .

وفي الرسالة التي نشرها الدكتور زريق في كتابه (اليزيدية قديماً وحديثاً) عن لسان اسماعيل بك اليزيدي جاء ذكر هذه الحادثة بشكل آخر ننقلها بتصرف :

« حضر طيار باشا سنجار بعد « خزن دار باشا » ونزل بالصلولاغ - نهر ينبع قريباً من قرية تبة - وأرسل رجلاً اسمه « معمكي آدى » الى المهران ليلفهم اداء اربعة اكياس من الدراهم الى الحكومة فامتنعوا . وكان رئيسهم « عيسى آدى » - جد داود الداود و « علي ناغوش » ، فسار اليهم طيار باشا بمسكركه وكانوا ألقاً ، فأرسلوا نساءهم وأولادهم الى الجبل وتحصنوا بمضيق « يرينى - يرمينى » واختفوا بين الأحجار

والصخور ، وهناك دارت رحى الحرب بينهم وأسفرت عن قتل مسائني نفر من عسكر طيار باشا ، ولما رأى انه مغلوب طلب الأمان من المهركانيين ليدفن قتلاه فأذنوا له وعاد الى الموصل .

ونرجح رواية لا يارد لوقوفه على الحادثة بنفسه وهو شاهد عيان لها . و « خزنة دار باشا » لا نعرفه وهو قائد عسكري واليزيدية يذكرونه بخير .



لقد بقي الجبل - بعد حادثة طيار باشا - في نجوى من هذه الحملات نحو خمسين سنة ، وسببه ان الحكومة لم تكن لترى بعد هذا معالجة المشاكل الداخلية بالعنف والشدّة ، وأخذت تميل الى اتباع سياسة عادلة ورشيّدة ، وقد أدركت ان الظروف الحاضرة لا تسمح لها بعد هذا بعمل غير انساني ، والأجانب واقفون لها بالمرصاد ويحاسبونها على كل صغيرة وكبيرة تقع في بلادها ، والانكليز يظهرون عطفهم على اليزيديين منذ عهد « لا يارد » وكان يوقفهم على الحوادث التي تقع لهم . واذا كان الجبل بقي هكذا زمناً بعيداً عن الغارات والغزوات التي كانت تشنها الحكومة عليه وكف العلماء عن اصدار الفتاوى بحرقهم ، فالعداء بينهم وبين عشائر العرب ، ما زال باقياً . فكانت عشائر شمر وطلي والجبور والمكيدات يقومون بغاراتهم عليهم وينهبونهم ويقتلون من يقع بأيديهم منهم . ولكنهم لم يحسوا حريمهم بأذى وسوء ، واذا وقع بيدهم امرأة يزيديّة يعيدونها الى أهلها بكل أمانة ، واليزيديون يقابلونهم في حروبهم بالمثل ، يخرجون اليهم بقوة كبيرة ويباغتون القرية او المجتمع الذي يقصدونه فيوقعون فيه القتل ويدمرونه تدميراً ويعودون . وكانت الغارات التي يقوم بها الجانبان على غاية من القسوة والصرامة لم يكن للشفقة والرحمة أثر فيها لا سيما اليزيديون ، فكانوا يجرون بالمسلمين طبق ما كانت تجريه الجيوش الحكومية بهم من قتل الشيوخ والمعجّاز والأطفال حتى الأجنة . وهنا نذكر لهم حادثتين من الحوادث الكثيرة التي جرت لهم مع المسلمين تدلنا على شدة روح الانتقام التي يحملونها في صدورهم لهم :

الحادثة الأولى : غزا أهل قرية « مهر كان » قرية من قرى الكركرية تسمى « فقة »

نحوي اربعين بيتاً من قبيلة « الصادا » وهي تبعد نحو مرحلتين عنهم وكانوا لا يقولون عن مائتي رجل . ولما وصلوا القرية وكانت الشمس قد آذنت بالغروب حطوا رحالهم وراء أكمة تقع قريبة منها وأرسلوا اليهم حادياً لهم جاؤوا به ليغنيهم في الطريق ويميد اليهم ذكريات الماضي ويشير فيهم شجونهم ، أرسلوه اليهم ليتجسس أحوالهم ، ويعرف قوتهم ، ويقف على دخائلهم . دخل الحادي القرية ولم يعرف أهلها من أين جاء وماذا يريد وهم ليسوا بحاجة الى ان يسألوه عن ذلك وظنوه ضيفاً وقدموا له عشاء وأكرموا وفادته ولم يعلموا ما تركه وراء الأكمة لهم .

كان الوقت ربيعاً والهواء رطباً عليلاً والسماء صافية والقمر مبديراً فاجتمع أهل القرية رجالاً ونساء صغاراً وكباراً في ساحة وسط القرية وأخذوا يرقصون ويغنون كما هي عادة أهل القرى في ليلة كهذه ، واشترك معهم الحادي وغناهم في أغانيه المشجية فطربوا له وأنسوا به . كان يغنيهم : (لنهيب المسرات قبل ان يقلب الدهر لنا ظهر المجن ويوافينا بالهلاك) . وبعد ان انتصف الليل وكانوا قد تعبوا تركوا اللعب والرقص وآووا الى منازلهم وناموا ملء جفونهم . فأنزل الحادي وذهب الى رفاقه وأوقفهم على كل شيء من أمر القوم . وقبل ان يبرز الفجر هجموا على القرية وأعملوا فيها السيف وقتلوا كل من فيها وما تركوا ذي روح يغت من يدهم ولم يذيقوه الموت ونهبوا القرية وألقوا فيها النار وعادوا .

لقد كان وقع هذه الحادثة على « الكركيين » أليم جداً فبكوا لها وأنشدوا المراثي من أجلها ، فكنت تسمع في محافلهم ونواديهم حد أنهم يرتلون هذه المراثي وهم منصتون لها بقلوب خاشعة والدموع تنحدر من مآقيهم . واليك تمريب انشودة سمعتها في محفل رئيس عشيرة الكركية احمد اغا السعدون كان ينشدها حادي من هذه العشيرة ، يقول : « مضى ثلثا الليل ، والشبان الاشاوس يرقصون أمام القمر ، وكان يصب أنواره عليهم صبا ، وهم يرتشفون القبلات الحارة من شناه العذارى الجميلات .

مضى ثلثا الليل ، والدخيل الملعون يضرم نار الشوق في قلوبهم بأغانيه الشجية ، ويرتل لهم انشودته التي يقول فيها : ليلة ما أجملها ؟ فلنهب المسرات نهباً قبل ان يقلب الدهر

لنا ظهر المجن ويوافينا بالهلاك .
لم يحلهم الكافر الذي كن وراء الأكمة من ان يأخذوا نصيبهم من النوم ، أجهز عليهم
بعد ان اختفى القمر وراء الأفق وذبحهم على بكرة أبيهم .
خضب جثث المرائس بدمهن الأحمر القاني لأن العطار أبطأ في إحضار الحناء اليهن .
مزق جثث الاطفال كيلا يبكون اللبن الذي كانت تدايا أمهاتهم تدره عليهم درأ
والآن لقد نضبت .

والدخيل الملعون يردد انشودته لهذا الجمع النبيل ، الانشودة التي تنذره بالموت .
طلعت الشمس من خدرها قلم تلق في (فقة) غير جثث هامة هنا وهناك فبكتهم
بدموع حمراء ، واحتجبت وراء الدخان المتصاعد من أكوخ فقه المستمرة .
اجتاز طغات سنجار هضاب « البوغة » (١) والدخيل الملعون يرتل انشودته التي يقول
فيها : ليلة ما أجهلها ؟ لنهب المسرات قبل ان يقلب الدهر لنا ظهر المجن ويوافينا بالهلاك .
الحادثة الثانية : (٢) في عهد أمار « حسن بك » على الشيخان (٣) ، وكوجك ابراهيم
الاختيار (٤) و « خوشي علي » و « حسو آلي » رئيس عشيرة ناخوش ، و « هافندي
نعمت » رئيس عشيرة القيران والمندكان ، و « خليقي خان » رئيس الهبابات والمهسكان
غزا اربعمائة رجل من عشيرة المهركان عشيرة « الميران » (٥) وكانوا قد حطوا رحالهم في
موقع يسمى « قره جوخ » من نواحي جزيرة ابن عمر . وكان رئيس الميران « حسو
علي » فاشتبكوا بحرب معهم دامت من طلوع الشمس الى ما بعد العصر قتل منهم فيها
سبعون رجلا وجرح آخرون ، فعادوا الى الحل المعروف بـ « شوري سيفاني » او
« كرشور » وبعرف بـ « تل الهواء » (٦) وأخذوا يتفقدون رجالهم . وهناك اجتازت

(١) موضع يقع على طريقهم من سنجار .

(٢) اقتبسناها من الرسالة الموزونة الى اسماعيل بك اليزيدي بتصرف

(٣) تولى الامارة سنة ١٢٠٦هـ - ١٢١٩م

(٤) هو الشيخ الاكبر للملة اليزيدية من اسرة الشيخ فخر الدين وبعده اليزيدية صاحب اسرار

وكرامات .

(٥) عشيرة كردية اسلامية يسكن الان قسم منها داخل العراق وقسم في الجمهورية التركية ورئيسها

نايف بك بن مصطفى باشا آمر ، وهي عشيرة قديمة ذكرها شرف خان البدليسي .

(٦) مجموعة هضاب يتصل بعضها ببعض يبلغ ارتفاعه اربعين قدما ، لها سطح مستو تبلغ مساحته فداناً

بهم قافلة من الميران كانت آتية من الموصل ومعها سبعة وثلاثون بغلاً محملة قمحاً مع أشياء أخرى وثلاثون رجلاً ، فذهبوا البغال وقتلوا الرجال وعادوا الى أماكنهم . وعلى أثر هذه الحادثة جمع رئيس الميران واسمه « بدر اغا » ما يزيد على ألفي رجل من العرب من زاخو والجزيرة وشرخ ونزل على « وادي خنزير » وأرسل خبراً الى « حسين دوبلين » رئيس الجبل يقول له : « ان نساءنا قد ماتت وفريد منك أن ترسل لنا نساءك ونساء اليزيدية الحسان وفتياتهم الجميلات » .. فجمع « حسين دوبلين » اغوات الجبل وأوقفهم على الخبر ، فثارت فيهم عاطفة الغيرة وأجمعوا على غزو الميران ، ولم يمض يومان إلا واجتمع في قرية « زيروان » من قرى الجبل ألفا رجلاً من المشاة والخيالة وتحركوا في نصف الليل ، وعند أول الفجر وصلوا « وادي خنزير » حيث كان الميران ، فكن النصف منهم وهجم الباقون فذهبوا سبعين قطعاً من الغنم وقتلوا ثلاثة عشر راعياً ، والتحم الفريقان بالسيوف والخنجر فقتل من العرب والكوجر « الميران » ما يزيد على ألف رجل وانهزم الباقون واختفوا في احراش القصب في الوادي ، فأضرم اليزيدية النار عليهم وأحرقوهم عن آخرهم ، ولم يقتل من اليزيدية سوى رجل واحد اسمه « معمي كار » وهو أخ حسين دوبلين (١).

هذه حادثتان تصور لنا ما وصلت اليه الحالة بين المسلم واليزيدي في تلك الآونة ، وكيف كان الانتقام مرأً وقاسياً وهو لا شك من مخلفات الدور الماضي عندما كانت الفتاوى تجري مفعولها ، واذا كانت العلماء عدلوا عن اصدار هذه الفتاوى ، فالفتاوى التي أصدروها قبلاً لا يزال أثرها باقياً في النفوس .

كان الجبل يحتاج الى استراحة طويلة ليستعيد قوته ويضمّد جروحه وقد لاقى أنماها شديدة . وقد خلد فعلاً الى الهدوء والسكينة ولم يبد منه ما يوجب النقمة عليه . وكان على الحكومة أن تستفيد من وضعه هذا وتأخذ بادخال الاصلاح عليه وتحسن ادارته

- واحداً وهو على واد عمقه ٨ - ١٠ أقدام وهي وسط صحراء مستوية تبعد عن « اعوينات » نحو ثلاثة اميال .

(١) هذا ما يتحدث به اليزيدية . لكن الميران ليسوا اقل شجاعة من اليزيدية في الحروب حتى يقتل منهم هذا العدد الكبير من النفوس ولا يقتل من اليزيدية غير شخص واحد .

وتجعل منه شعباً طيعاً منقاداً ولكنها لم تنزل تنظر اليه كشيطان مارد ولم تطمئن اليه .
وفي أواخر القرن الهجري المنصرم عينت الى الجبل قائماً بسمي « احمد بك » جمع في
نفسه من أعمال القبح والسوء ما لم يحويه سكان جبل سنجار اليزيدية بأسرهم . فقد
كان لصا يقطع الطريق أكثر منه موظف دولة فأساء العمل مع اليزيدية وحرص بعضهم
على بعض وأوقع بينهم الفتنة وكان ينهب ويسلب ويقتل ، تخافه اليزيدية وذلولوا له حتى
ان أحداً منهم لم يجراً على ضرب زوجته وخادمه خوفاً منه ، اتفق مع رئيس الجبل
« صفوق اغا » وأوقع بأهالي قرية « علي دينا » وشردهم . وقتل رئيسهم المدعو (حسين
بكر) غدرأ وهو في طريقه معه الى (صفوك) ونهب قطيعاً من الغنم لأهل قرية مهركان
وقتل راعيها فاسترجعه المهركانيون منه . وكان يستحصل الضرائب عشر أمثالها ولم
يدخل خزانة الدولة فلساً واحداً منها .

ذهب الى قرية « مهركان » ونصب خيامه على قرب من البئر الذي يستقي منه أهل
القرية ، فأناه كبيراً القرية عيسى اغا وأبوه حسو اغا والنساء ان يرفع خيامه من طريق
النساء الى البئر خوفاً من الفتنة وتمهدا له بثلاثين كبسا من الدراهم ، فأمر بالقبض عليها
فهاج المهركانيون وماجوا وحاصروه وقتلوه هو وعشرة أنفار من الدرك وضابطا لهم ،
ونهبوا سلاحهم وخبولهم ومهاتهم .

يقول المثل الفارسي : (زنده بلا ، مرده بلا) اي بلاء للناس في حياته ومماته وهكذا
كان هذا القائم مقام ، فقد حضر أمير الآلي العسكري (عمر بك) ابي الرؤوس بعد
قتله مع قوة ضخمة من دير الزور مع مدفعين ونفير عام من (طور عابدين) ونزل في
مدينة البلد وأحضر (عيسى اغا) كبير مهركان بالأمان وقتله ، وأعطى أماناً لوجوه
مهركان وأحضرهم وقتلهم ، وأعطى أماناً الى رئيس علي دينا (مراد حسو) مع جماعة
من رفاقه وقتلهم ولكثرة ما قتله من اليزيديين وقطعه من الرؤوس عرف بأبي الرؤوس ،
إلا انه عطف على صفوق اغا وزاد في نفوذه .

إن أهم ما يجب على الحكومة هو انتقاء موظفين أكفاء عرفوا بالحزم والمقدرة وحسن
الإدارة والنزاهة والعدل لهذا الجبل ، والموظف الذي تأتى به من قارعة الطريق او بطريقة

الرشوة او المجوسية او الالتماس لا يصلح إلا للهدم والتخريب ويولد لها مشاكل جمة .
وقد علل لي أحد رجال الترك البارزين ان الذي يشجع هؤلاء الموظفين على سيء
الاعمال هو بعد هذه البلاد عن عاصمة الملك ، وان سلوكهم وسيورتهم في البلاد الاخرى
هو غير سلوكهم في هذه البلاد . وعلل لي آخر ان لو كان هؤلاء الموظفون على غير هذه
الحالة ، اي لو كانوا أكفأ ذوي نزاهة لما رضوا ان يأتوا الى هذه البلاد ومعناه ان
بعد هذه البلاد عن عاصمة الملك هو الذي يبرر للحكومة ارسال الخثالات من الموظفين
اليها ، وأن هذه البلاد المنحطة بحضارتها ومدنيتها لا يصلح لها إلا موظفون منحطون
بأخلاقهم ونزاهتهم .

كانت معضلة البزيدية في سنجار أهم ما لاقته الحكومة العثمانية خلال اربعة قرون من
حكمها العراق ، وقد تحملت تضحيات عظيمة في سبيلها ولم تجد حلاً لها . والتجارب
التي قامت بها خلال هذه المدة الطويلة أثبتت لها ان الاصلاح لا يأتي بالحديد والنار
ولكنها رغم هذه التجارب لم تجد عن هذه السياسة حتى النهاية .
ومما كانت تفكر فيه : إمانه هذا الشعب بالجوع ، أو جملة مضطراً للتخلي عن سكنى
الجبيل والنزوح الى اماكن اخرى ، وأرادت ان تضع عليه حصاراً تمنعه عن الاتيسار
من الخارج ، وهي كذلك فكرة خاطئة لا تؤدي الى نتيجة اكثر من سوق هذا الشعب
الى العصيان والاخلال بالأمن .

ثم أخذت تسلك معه طريق النصيح والارشاد وأرسلت اليه بعثات دينية ، وومن
أرسلته ، مفتي ديار بكر مسعود افندي مع جماعة من العلماء سنة ١٨٩٧م فكانت هذه
البعثات تأتي وتذهب دون أن يتم لها أمر ، وكان البزيدون يحولون دون دخولهم بينهم وقد
أرادت ان تقوم بأخر تجربة وقصدت دعوتهم الى الاسلام قسراً وأرسلت لهذه الغاية
الفريق « عمر وهي باشا » فكشفت هذه التجربة عن جهلها حقيقة أمر هذا الشعب طيلة
هذه المدة المديدة .

وقد انتدبت لهذه المهمة الخطيرة هذا القائد وهو رجل عسكري جاف يغلب عليه
الصلف والغرور والحقافة والجهل ، وهو محروم من الثقافة السياسية . وفي فسور وصوله
الموصل في ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٠٩هـ الموافقة ٥ تموز لسنة ١٨٩٢م ، كان أول عمل

بدأ فيه ان فتح ابواب السجون على مصراعيها للقتلة والسفاكين وزج في محلمهم الأعيان والوجهاء بدعوى أنهم هم اللصوص وقطاع الطرق ، وألقى الرعب في قلوب الناس ، وظهر بمظهر الجبارة العتات المستبدين .. وأحضر أمراء البزيرية وشيوخهم ووجهاءهم ودعاهم الى الاسلام ، وتلى عليهم قاضي المدينة آية التوحيد . فكان منهم من أطاع ، وهم امير الشيخان ميرزا بك وأخوه الصغير بديع بك واثنان آخران من العوام والبقية جميعاً امتنعوا ، فزجهم في السجن وأخذ في تعذيبهم ، وأرسل بقيادة ابنه الملازم الأول « عاصم بك » قوة كبيرة الى الشيخان فنهب قصر الامارة واستولى على المقدسات والسناجق (١) وهدم قباب الأئمة والمشائخ ، وأجرى في مرقد الشيخ عدي من المنكرات والموبقات ما يكل عنه الوصف ، فهاج البزيرية وماجوا وأخذون يفرون بدينهم



قبة الشيخ حسن التي هدمت في مرقد الشيخ عدي وأعيد بناءها

(١) احتفظ بها في خزانة الجيش السادس في بغداد ثم أعيدت الى اصحابها عند اعلان المشرولية العثمانية

وارواحهم الى الأماكن البعيدة .

وقد كان من الطبيعي ان يكون لهذه الحوادث أثر في نفوس يزيدية سنجار وقد علموا من الذين هربوا اليهم من الشيخان ما فعله هذا الطاغية من المنكرات في مرقد الشيخ عدي واستيلائه على سناجقهم ومقدساتهم وهدمه أضرحة أوليائهم فأعلنوا الثورة وجأهروا بالمصيان . وعندما وقف على الخبر ذهب الى سنجار مستصحباً معه قوته العظيمة من الجيش ومثلها من القبائل والعشائر عازماً على إزال ضربته القاصمة فيهم كان اليزيدية قد تجمعوا في قرية « بكران » من قرى الجبل في الشمال . فأراد ان يهاجمهم من طريق « مهران » اي ان يخترق الجبل من الجنوب الى الشمال ولكن ظهر له ان المرور من مضيق « بيريني - بيرمني » (١) أمر شاق جداً وهو محفوف بالأخطار وأقل قوة من اليزيدية تقضي على جيشه ، فاختار طريق الصحراء ووضع « الكولات » على يمينه واستدار الى الشمال وخيم في موقع يسمى « زوقايه » (٢) ويعرفه اليزيدية الآن باسم « كرعب » وهو على مسافة أقل من ساعة عن « بكران » .

كانت قوته مؤلفة من عشرة أفواج من العساكر النظامية ، وكتيبتين من الخيالة وبطارتين جبليتين عدا النفير العام من القبائل والعشائر . واليزيدية لا تزيد قوتهم على ثلاثة آلاف مقاتل ورئيسهم « صفوق اغا » كبير عشيرة « الموسقورة » وقد صنعوا المتاريس واستعدوا للقتال .

وفي صباح يوم ١٥ نيسان ١٨٩٣ هاجمهم بخيله ورجله وأمطروهم وابلاً من قذائف المدافع ورصاص البنادق وأصبح على بعد مائتين متراً منهم ، فخرجوا من وراء المتاريس وقاتلوه قتال المستميت ودامت المعركة الى ما بعد العصر قتل فيها منهم خمسة عشرة رجلاً وقتل من الجيش مائتان جندياً وأربعون من العشائر فتركوا قتلاهم وانسحبوا الى محلهم

(١) المضيق الذي يذهب الى قرية « مهران » العنيدة ، يمتد نحو ساعة وثلاث الساعة وهو وعراً جداً وعلى جانبيه كهوف ومغارات صعبة المرتق بأوي اليها اليزيدية عند الخطوب والعدائد ويحصنون فيها . وقد أريق في هذا الوادي دماء لو جمعت لضاق هذا المضيق بها . واليزيدية يسمون هذا المضيق طريق علي شير كناية عن الامام علي .

(٢) يوجد فيه آثار قديمة مهمة ولم تمتد حتى الان يد التنقيب اليه .

ودام الحرب ثلاثة أيام مع ليا ليها - إذ البزيدية كانوا يهاجمون الجيش ليلا ويوقعون فيه الخسائر - ولم يبد للجيش أثر للانتصار وقد نفذت مؤوتهم وأخذوا يلوذون بالفسرار وولى المشائر هاربون كما هو شأنهم في ساعة المحنة ، فأدرك الفريق « فشله » وفي اليوم الرابع قوض خيامه وعاد الى سنجار سالكا عين الطريق الذي جاء به .

وقد عظم عليه الأمر وأخذ يحس معظم المسؤولية التي سيلاقها ، وقد أخبر الباب العالي بانتصاراته في الشيخان واسلام ثلاثين الف يزدي ، وأنه سوف لا يترك أثراً لعبادة الشيطان في سنجار ، وأخذ يفكر في الأمر وأخيراً هداه خياله الى أن يعقد صلحاً مع البزيديين ويدعوهم الى الاسلام بطريقة التفاهم ودعى اليه « صفوق أغا » رئيس الجبل بعد أن أعطاه اليهود والمواثيق ، فحضر سنجار وأخذ يفاوضه في الامر و صفوق أغا يطيب نفسه ويوعده بمعسول الأمانى ويوثقه بان البزيدية يرغبون في الاسلام لو أنه جاءهم من طريق آخر غير طريق القوة ولأسلموا على يده ، وقد قال له ذلك عندما شعر بحرجة موقفه وإن حياته أصبحت مهددة بالخطر فيما إذا خالفه .

وبينما كان يفاوض « صفوق أغا » على هذا الوجه كانت الهيئة التحقيقية (١) التي أرسلها الباب العالي الى الموصل للبحث والتحقيق عن أعماله تصدر أمرها اليه بلزوم مغادرته الجبل والحضور أمامها فوراً للتحقيق معه ، فسقط بيده وغادر الجبل ، وفي اليوم التالي حضر الموصل فأبلغته اللجنة بالسفر الى اسطنبول حالا ، فسافر في ٢٥ نيسان سنة ١٣١٠ وقامت اللجنة بأعمالها .

أما البزيدية فقد تنفسوا الصعداء وقدموا الى آلهم القرايين على هذا النصر المجيد ، وإحلالهم النكبة في عدوهم الذي اعتدى على شعب يزيد ودين يزيد ، وهتفوا باسم « السلطان عبد الحميد » الذي أخذوا يمدونه واحداً منهم وهو الذي دفع هذا الاعتداء عنهم وهو لا يرضى به .

وقد كان من الطبيعي أن تلعب نشوة هذا الظفر في رؤوسهم ويعتقدون أن الحكومة

(١) كان قوامها كل من الفريق شاكرباشا أحد باورية السلطان عبد الحميد ، وأمير الاواء كامل باشا من رجال الماين ، وصاذق بك من كبار موظفي وزارة الداخلية ، وعبد الباقي بك المميز الاول لكتوبي وزارة الخارجية .

هي أعجز من أن تنالهم بأذى وسوء ، فأخذوا ينتقمون من العشائر المسلحة التي غاوت
 القوة العسكرية عليهم ودلتها على عوراتهم - وهذا هو ما تفعله العشائر دوماً ، إذ بالوقت الذي
 يكونون قد تحالفوا معهم على محافظة السلم سرعان ما ينكثون بوعودهم وينقضون
 موافيقهم عندما يرون أن الحكومة تريد الواقعة بهم فيتفقون معها ويكونون يداً واحدة
 عليهم - فشكوا المصائب وهاجوا القرى والمنازل ، وأوقعوا في النفوس ، وأحرقوا
 الزروع ، ومنعوا سير القوافل ، وبات الجيش المربط في «البلد» - وهو لا يزيد على
 فوج واحد - مهدداً بالخطر ولا يدري متى تهاجمه عصابات بكران ، ويوسفان ،
 وزبروان ، وسموكة ، والقيزان وتوقع به ، فأودعت الحكومة أمر تأديبهم من جديد
 الى أمير اللواء بكر باشا وأمرته بالسير الى سنجار على عجل ، فصار في غضون شهر
 مايس ١٣١٨ على رأس قوة مؤلفة من ثمانية أفواج وكتيبتين من الخيالة وبطاريتين
 جبليتين ونحو الف نفر من العشائر .

كان اليزيدية قد تجمعوا في قرية بكران ويوسفان وعلى دينار ورئيسهم «صفوق أغا»
 واستعدوا للقتال ، فقسم أمير اللواء قوته الى شطرين : قسم سار به بنفسه من طريق
 الصحراء ، وهو عين الطريق الذي سلكه الفريق عمر وهي باشا وخيم في «زوقاية»
 وشطر أرسله من طريق «بيريني» الذي اجتنب الفريق عمر باشا سلوكه . وفي آن واحد
 هجم الجيشان من الامام والوراء على القرى الثلاثة المذكورة وضرباها بالمدافع فهدما
 حصونها وفرقا جموعها وكبداها خسارات فادحة بالانفس والأموال . وهناك أدرك
 اليزيدية عجزهم عن دوام القتال فطلبوا من القائد الأمان ، فأمنهم وأملى عليهم شروط
 التسليم فقبلوها وبات الامر الى صباح اليوم الثاني للتنفيذ ، ولكن في تلك العشية استلم
 القائد أمراً من مرجعه الأعلى يلزمه بتوقيف القتال وسحب الجيش والعودة الى سنجار
 وبينما كان اليزيدية في صباح اليوم الثاني يستعدون لتنفيذ أحكام شرائط التنفيذ ، كان
 الجيش يقوض خيامه يريد العودة الى سنجار .

كان عهد السلطان «عبد الحميد» في البلاد العربية عهد انحلال وتفسخ ، ولم تجد في ولاية الموصل بقعة ولا زاوية ، ولا تكية ، ولا سهلا ، ولا جبلا ، إلا وفيه زعيم ديني أو قبيلي قد رفع لواء العصيان ، حتى تجد ذلك في المدينة نفسها . وعندما كان يتفقم أمر زعيم وتخشى الحكومة خطره تجهز الجيوش وترسلها لأجل إخضاعه ولكنها وهي في نصف الطريق تصدر العفو عنه وتأخذ في أسباب إرضائه وتنعم عليه . ولدينا من الشواهد الكثيرة ما يؤيد ذلك فهذا الشيخ «عبد السلام» البارزاني في أول خروجه على الحكومة كانت أرسلت إليه سنة (١٣٢٦هـ) قوة كبيرة تحت قيادة الفريق محمد فاضل باشا الداغستاني ووالي الموصل فهزمها وأباد أكثر من النصف منها ما بين قتيل وغريق في نهر الزاب ، وبعد مرور عام أو أقل تنبذ العفو على طلب نازم باشا والي بغداد وتمنحه الفين ليرة تمويضا للأضرار التي ألحقها به الجيش فيذهب القاتل بمقام العسكري صفوت بك إلى بارزان ويوصل إليه المال .

وفي السنة التي بعدها انتهى والي الموصل بالوكالة ، وقائد الفيلق الثاني عشر أسعد باشا الدرزي إلى نظارة الداخلية منحه وساما من الصنف الثالث المجيدي بناء على إخلاصه وحسن خدماته فجاء الوسام إلا أنه لم يسلم له (١) .
وهذا ما كان من أمر الحكومة مع الزبديين . فلا هي تستعمل الدين في سياستها معهم ولا تسير إلى آخر مرحلة في أعمال التأديب معهم . والرجوع من نصف الطريق لا يفسر بأكثر من شعور بالضعف ، وعجز عن القيام بالواجب ، وجعل إدارة المملكة معروضة لأنواع العلل والأسقام .

والسلطان «عبد الحميد» لم يكن يسمح باستعمال القوة مع العصاة وأصحاب النفوذ والتغلب وكان يرى معالجة الأمور «بالتدابير الحسنة» و«اتباع الأساليب الحكيمة» و«تأجيل العمل إلى وقت آخر» كما رأينا في الحملة التي قام بها أمير اللواء بكر باشا

(١) كان قد قبض على أربعين نفر من الجنود في موقع يسمى «كلبي بالنده» في مزوري العليا وهم يقصدون الموصل في محيئهم من لواء الحسكاري وسلمهم بنادقهم وعتادهم وسجنهم عنده ثم أطلق سراحهم بناء على التماس أسعد باشا عنده ، فقد ذلك له أخلاصاً وانتهى إلى وزارة الداخلية منحه هذا الوسام ، إلا أن سليمان نقيب بك الذي خلف أسعد باشا رفض إعطاء الوسام له وأعاد إلى استنبول وكان أعداءه على يده .

على سنجار . وهذه السياسة هي التي أخلت بأعمال الادارة وأحدثت الفوضى في المملكة وأخذ هذا الشعب يستخف بالحكومة ولم يقم لها وزناً ، فكنت ترى الحكومة في سنجار تعجز عن إحضار شخص واحد ما لم تعطه « الحظ والبخت » ونمر السنون ولم تستطع من تحصيل فلس واحد من الضرائب ، والقوة المراقبة في « البلد » لا يمكنها الخروج من ثكناتها عندما يعمي عليها المساء ، واليزيدية يصطادون الجنود على ضوء المصابيح كما تصطاد المصافير وأصحاب القبعات الطويلة والدواب المسدولة ، والأزيقة المدورة يجوبون المدينة ويلحقون شتى الأضرار بالأهالي المسالمة . ويتصدى « القزلكنديون » إلى ضرب دار الحكومة بالرصاص في رابعة النهار ، والفوج المراقبة في « البلد » لا يحرك ساكناً . وإذا طلبت الادارة معاونته لطرد هؤلاء الأشرار يجيب القائد محمود انا : « مقابله به أمر يوقدر نه يابهيم ؟ » - اي لم يكن بيدي أمر للدفاع فماذا أصنع ؟

ان رشق دار الحكومة بالرصاص في سنجار أصبح لليزيدية عادة مألوفة وهو كثير الوقوع . واكثر ما كان يجربه « القزلكنديون » وفي عهد ولاية اسمعدي باشا الدرزي بالوكالة أرسلت الحكومة فوجين من العساكر النظامية مع مدفعين جبليين تحت قيادة البكباشي محمود فائز افندي ، فباغتتهم صباح يوم ٢٣ آب ١٣٢٨ هـ وضربهم بالمدافع ودام القتال ثلاث ساعات انكشف عن هزيمة القزلكنديين وقتل الكثير منهم وقتل من الجيش ستة افراد . فكانت هذه الاجراءات الصغيرة سبباً لاستقرار الأمن في سنجار مدة غير قصيرة .

وآخر حملة وداعية قامت بها على سنجار في آخر ايام عهدها في العراق كانت تحت قيادة القائم مقام العسكري الحاجي ابراهيم بك ، وكان يراد منها في الظاهر تحصيل الضرائب والتكاليف الحربية ، ولكن في الحقيقة كان يراد منها التنكيل فيهم لا يوائهم المسيحيين الذين هربوا الى الجبل من ماردين والجزيرة من المذابح التي أقامها الأتراك بوجههم ، ولما عرف من انصالحهم بالانكيز في سامراء وعرضهم الطاعة لهم .

كانت هذه الحملة مؤلفة من فرقة بكامل عدتها وعددها ومجهزة بالمدافع الضخمة

والطائرات وأنواع الأسلحة الحديثة ، وقد انضم اليها حشد كبير من القبائل والعشائر وفي يوم ١٠ أيلول ١٩١٨م وصلت سنجار وخيمنت « بالصولاغ » وهو نهر في قرية « التبة » على بعد ميلين من « البلد » مركز سنجار ، وأذاع قائدها بيانا دعى فيه اليزيدية الى الطاعة والتسليم دون قيد او شرط وأمهلم ثلاثة ايام . ولما لم يجبه أحد وهم يعلمون ما يحمله من نوايا السوء نحوهم ، وانه سوف لا يرحمهم اذا نال منهم ، بدأ في أعمال التنكيل والتخريب ، ف ضرب قرية « التبة » بالمدافع وجعلها ركاما . وتوجه الى « البلد » وأطلق فيها يد النهب والسلب واستولى العسكر على ما وقعت أيديهم عليه من مال رمناع وجميعه للتجار الموصليين وموظفي الحكومة . ومن هناك ذهب الى قرية « حمي كوجك » السلعة و « قزل كند » و « جنعان » و « كابارة » و « قصر كي » و « جدالة » و « سكيكية » ونهبها وأحرقها . ثم توجه الى جهة الشمال واحتل قرية « الحليقية » و « جفري » و « يوسفان » و « طرف » وأوسعها نهباً وتخريباً ووصل قرية « كرسي » وخيم فيها .

كان جبل سنجار قبل مجيء هذه الحملة منقسما الى حزبين معادين ، حزب يضم عشيرة « الدلكا » و « الهبابات » ورؤيسهم « حجي ابن خضر كهية » وعشيرة « الجلكا » و « القيران » ورؤيسهم « محمود ابن رفاعي » و « سموقة » ورؤيسهم « مسطو لالو » و « آلدخي » و « بيت خالد » ورؤيسهم « مراد هسو » ويرأس هؤلاء جميعاً « حمو شير » زعيم الفقراء ، والحزب الآخر يضم عشيرة « المنسدكان » و « البو متيوت » المسلمين و « المسكان » و « الموسقورة » ورؤيسهم « حسين برجس » و « المهر كان » ويرأس هؤلاء جميعاً « دارد الداود » ، وكانت الحروب قائمة على ساق وقدم بينهم ولما دامهم خطر هذه الحملة ورأوا انهم لا قبل لهم بمقابلتها وهم متفرقون ، نبذوا الاختلافات الموجودة بينهم جانباً ووجدوا صفوفهم واستعدوا للقتال . إلا ان الجوع كان قد أضر فيهم ، وليس لديهم من المؤونة ما يكفيهم فيما اذا اشتبكوا بالحرب لبضعة ايام . والجيش مجهز باحدث الأسلحة ومدرّب خير تدرّب وقد عاد حديثاً من جبهة الحرب ، فقرر رأيهم على أن لا يدخلوا معه بحرب واعتصموا بالجبال وأدوا الى المغاير والكهوف ،

ولكنهم لم يستطيعوا البقاء على هذه الحالة وقد عضهم الجوع وأشرقوا على الهلاك .
فعرضوا دخولهم على القائد ، فقبل منهم . وكان أول من حضر الى الدخلة « حجي بن
خضر محمد كية » رئيس الهبابات ، و « داود الداود » رئيس المهركان و « حسين برجس »
كبير بيت خالد ، ونخلف « هو شبرو » وجماعة من الفقراء . وبقوا على تخلفهم الى
النهاية .

ولما طال مكوث هذه القوة في الجبل ولم تحصل على نتيجة ، واليزيدية لا يمكن
ما يؤدونه من المال ، وسنوا الحرب لم تبق عليهم شيئاً اكتفى القائد بأخذ شيء قليل
منهم من المال مع عدد من الأسلحة غير الصالحة للاستعمال وعاد الى « البلد » عاصمة
الجبل . وعند مجيئه حضر كبير عشيرة الباباوات المسلمة « زكري بن عبد العزيز » ورئيس
عشيرة « المندكان » المسلمة « جردو اغا بن باشوك اغا » وطالبهم بمبلغ كبير من المال
باسم التكاليف الحربية ، فاستمهلوه ثلاثة ايام فلم يكن منه إلا وأمر بقتل الأول رمياً
بالرصاصة والثاني أمر شرطياً يدعى عبد اللطيف (١) بقتله فقتله بضربة خنجر واحد
أغمدته في صدره .

كانت هذه الحوادث تجري مني على كذب ، وقد أتيت الجبل قبل مجي . هذه الحملة
ببضعة ايام وأقيت في قرية « دهولي » عند صديقي « حسين برجس » كبير بيت خالد
لتهمة سياسية ألصقت بي . ولما لم أطق صبراً على البقاء غادرت الجبل وذهبت الى عشيرة
شمر عند الشيخ مطلق الفرخان ، ومن هناك عبرت دجلة من قرية « سيقباد » وذهبت
الى جبل « كارة » في الهادية الى ان سقطت الموصل بيد الانكليز في ١٣ تشرين الثاني
سنة ١٩١٨ وعدت اليها بعد ان بقيت عاماً وبعض عام أجوب الفياقي والقفار والاقا
الخائف والاضطراب ، واحتل البريطانيون جبل سنجار وعينوا « هو شبرو » حاكماً
ادارياً عليه .

(١) هو من اهل الموصل استخدمته الحكومة المحتلة شرطياً في سنجار ، وكان قد سرق خمسة عشر
الف روبية كان مأموراً بإيصالها الى الموصل وأراد بها الهرب الى سوريا فادركته الشرطة وقتلته واستحصلت
النراحم منه .

فهرس المواضيع

الصفحة	الموضوع
١	الحليقة في معتقد البزيرية - اعتقادهم في الطوقان - اعتقادهم في ظهور يزيد - اعتقادهم في اقامة ملك طاووس ملوكا لهم - اعتقادهم بما لطاؤوس ملك من النفوذ على الحق تعالى ونذلل الحق - جل وعلا - له - اعتقادهم بالحجرة - الطاؤوس - المقدسات عند البزيرية .
١٦	الطبقات الروحية وحقوقهم - الأمير - الأمير سعيد بك - موت الأمير سعيد بك - الاعتقاد بموت الأمير سعيد بك - نصب تحسين بك بن سعيد بك اميراً للبزيرية .
٢٢	سلسلة الأمراء - ميان خانون بنت عبد بك - في نصب الأمير وعزله
٣٧	البسميرية - رئيس الاثمة (بيش امام) - الشيخ الأكبر (بابا شيخ) - المشائخ - البير - الفقير - القوال - المريد - الكوجك - الكواجك وشعوذتهم ودجلهم - من هو كوجك سلمان وكيف ظهر ؟ موت بابا شيخ وقتل كوجك سلمان .
٦٤	في ذكر عوائدهم . التحريم - البراءة - هل يعمل البزيرية بسنة التحريم - الختان - تعدد الزوجات والطلاق - الاغتسال من الجنابة - الاخذوة الاخرية او الابدية - غسل الأموات - دفن الأموات - العادة بعد الدفن - مراسم الأفراح - أملهم في المستقبل .
٧٣	في الأسيرة العدوية ومكانتها في التاريخ . الشيخ عسدي بن مسافر الأموي - الشيخ العارف صخر بن مسافر الأموي - الشيخ أبو البركات صخر بن صخر بن

الصفحة	الموضوع
	مسافر الأموي - الشيخ حسن - الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ شمس الدين الحسن أبي محمد بن الشيخ أبي الفاخر عدي الأموي - الشيخ نحر الدين بن الشيخ أبي الفاخر عدي الأموي - الشيخ زين الدين يوسف وولده الشيخ عز الدين - في الزاوية العدوية في القرافة الصغرى في مصر - بقية الرجال الذين عرفوا من هذه الأسرة .
١١٥	كتب البيزيدية الدينية : كتاب الجلوة - العريضة التي رفعها لقيف من وجه البيزيدية في الشيخان حول طلب اعفائهم من التجنيد .
١٤١	فيما أخذته الديانة البيزيدية من اعتقادات ومبادئ من الأديان السائرة - البرهمية - الزردشتية او الزرادشتية - الثنوية المانوية - المزدكية - الشامانية .
١٥٤	اعتقاد الصوفية في الاسلام بالشیطان
١٦١	وجه تسمية البيزيدية وتعيين الزمن الذي سموا به .
١٦٤	في تعيين أصل المذهب البيزيدي وعلاقته بالأديان الأخرى .
١٧٠	البيزيدية في نظر الباحثين الغربيين
١٧٧	في مراقب أئمتهم ومشائخهم في الشيخان و سنجار : المراقب والمزارات الموجودة في الشيخان - المراقب والمزارات الموجودة في جبل سنجار .
١٩١	الأعياد والمواسم .
٢٠٢	معبد الشيخ عدي - نظرة في أصل هذه الزاوية .
٢٢٤	العشائر البيزيدية وفرقهم وقبائلهم في سنجار والشيخان وبقية المواقع - العشائر الكردية المسلمة في جبل سنجار - الباباوات - العشائر المسلمة الأخرى في جبل سنجار - الدقوريون - الشيخان وعشائره وحالته الحاضرة - في ذكر العشائر البيزيدية ومواطنهم خارج الشيخان و سنجار - العشائر البيزيدية ومواطنهم في الديار الحلبية - العشائر البيزيدية ومواطنهم في وان واطرافها - البيزيدية في بلاد القوقاز والروس - الشعوب والقبائل التي تدين بالبيزيدية ولم يعرف الآن شيئاً

الصفحة	الموضوع
	عنها ، او بادت وعنى أثرها ، او يشك في يزيديتها بينما لم يكن لها علاقة بهذا الدين - اليزيدية في بلاد الصوران (سهران) وإربل .
٢٦٠	في ذكر زعماء جبل سنجار وذوي النفوذ والوجاهة منهم وما لهم من الاخبار
٢٦٩	حاجة يزيدية جبل سنجار الى الاصلاح
٢٧٣	في حالة اليزيدي النفسية في الشيخان واستكانته وقبوله الذل - درجة الذل المستحكم فيه - درجة تحمله للشدائد - معيشته ، تجنبه اللذائذ وخلوده الى حياة الفقر والذل - المرأة غير اليزيدية في نظرهم ، ونفور المرأة اليزيدية عن عسو على غير دينها .
٢٧٨	في الاحكام والقوانين المتبعة في مسائل النكاح - تهريب النساء والفتيات - حالة المرأة الاجتماعية عند اليزيدية - كيفية عقد النكاح عند اليزيدية - الزواج عند اليزيدية - تعدد الأزواج والطلاق عند اليزيدية - الصحة والجمال .
٢٨٨	نقوسهم
٢٨٨	لباسهم
٢٩١	نبذة من عاداتهم وتقاليدهم منها ما ورد ذكرها ومنها ما لم يذكر .
٣٠٢	الرحلات والمحادثات - ملاقة مع الشيخ علي الشيخ الأكبر (بابا شيخ) في مرقدا الشيخ عدي - ملاقة مع القوال حسين بن القوال آدو الباعذري - جدال طريف - صدور الأمر باخراج مرقدا الشيخ عدي من ايدي اليزيدية وجعله من جديد مدرسة إسلامية ، ذهابي الى المرقدا الشريف لأجل هذه الغاية وحديثي مع الأمير علي بك - الاجتماع بيزيدي مستنصر في مرقدا الشيخ عدي رحلني الى طور عابدين - بحث خطير مع الأمير سعيد بك بن علي بك
٣٠٣	في الأخطاء والأوهام التي وقع بها الكتاب الشرقيون والغربيون في إبحاثهم عن اليزيدية : الأستاذ السيد عباس العزاوي وكتابه تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم

الصفحة	الموضوع
	- المستر جورج برسي بادجر وأبحاثه عن اليزيدية - اليزيدية أو عبدة الشيطان - اولياء جلبي وأبحاثه عن اليزيدية - الشيخ علي الشرقي النجفي وأبحاثه عن اليزيدية - السائح الانكليزية (مس روزيتا) وأبحاثها عن اليزيدية - تاريخ ام العبر للشيخ عبدالسلام المارديني (مفتي ماردين) الشوبني المعروف بابن الهدوب من علماء القرن الثالث عشر الهجري - كتاب (اليزيدية قديماً وحديثاً) للدكتور قسطنطين زريق أحد أساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الأمريكية .
٤٢٢	الامام الشيخ تقى الدين احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفي عام ٥٧٢٦هـ ووصيته الكبرى الى أصحاب الشيخ عدي بن مسافر الأموي .
٤٢٨	فيما أصدره علماء الاسلام من الفتاوى بحق الطائفة اليزيدية وما تركته من أثر على الحالة الاجتماعية في هذه البلاد .
٤٤٥	القسم التاريخي :
	في تاريخ يزيدية الشيخان
٤٧٢	تاريخ اليزيدية في جبل سنجار : جبل سنجار - موقعه - وجه تسميته - ادواره التاريخية - ازدهار الحضارة والعمران فيه - انتقال اليزيدية اليه - حالته الحاضرة .

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب	صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢	٩	القرغ	القرغ	١٥٦	٩	المرزقة	الزندقة
٤	١٧	شهد ابن جرة شهيد بن جره	مشيرجا مشيرجا	١٩٥	١٥		
١٣	١١	٢٨٣٦ ١٨٣٦	وما يدر بنا وما يدرينا	٢٠٦	١٨		
١٣	١٤	صربخور صربخور	وليت ليت ولبت	٢٠٩	٧		
٢٠	٢٠	الى اي	يا امره أسراً يا امره	٢١٥	١٠		
٢٤	٣	بن حسين بك بن صالح بك	بن سفر بن مسفر	٢٢٠	٤		
٢٥	٨	كذالة كندالة	من قبل من قبل	٢٢٤	١		
٣٣	١٢	مقرب مقرب	خمسة خمس	٢٢٦	١٦		
٣٥	٧	جميع جميع	ينظمون ينضمون	٢٢٧	١٦		
٣٨	٤	المان المان	واسرت اسرت	٢٣١	٢١		
٥٨	٩	استماعيل سليمان	ينظمون ينضمون	٢٣٣	٢٠		
٦٣	١٤	٦٥ صهران ١٥ حزيران	قل قل	٢٣٥	٦		
١٠٣	٢٠	محوس محوس	قسطوي قسطوي	٢٣٥	١٢		
١١٦	٦	ابن الفضائل ابن الفاخر	وفدها وفدوا	٢٣٧	٤		
٨٦	١٤	البغيض البغيض	١٥٠٠ ١٠٠٥	٢٣٧	١٦		
١٠٠	١٠	اخرخا اخرجها	راندوز راندوز	٢٤٢	١٥		
١١٩	٢٣	الموسنيور الموسنيور	دوسكي دومي	٢٤٣	٧		
١٢٦	٨	آخذ آخذ	الروحون الروحين	٢٤٤	٨		
١٤٤	١٨	حياته ويهصر حياته	شريح شريح	٢٤٥	٧		
١٤٨	٨	آله إله	القرانيين القرانيين	٢٦٨	٨		
١٥٠	٢٦	اكسيفون اكسيفون	نراه ينهنا نراه	٢٧٥	١٢		

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب	صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣١٦	٦	وبعض	بعض	٣٣٥	٧	افراد	من افراد
٣٣٨	٣	وبعد	قبل وبعد	٣٢٥	١	بتحقيق	تحقيق
٣٤٥	٣	ما نقله	على ما نقله	٣٤٦	١١	ومؤرخ	مؤرخ
٣٤٧	١٧	جنبائهم	جنبائهم	٣٤٩	١١	القوة	القسوة
٣٥٢	١٢	لقربة	لقربه	٣٧٥	١٢	هي قبله	قبيله
٣٨٣	١٨	أرادا	أرادوا				
٣٩٢	١١	اعتراف	إختراف	٣٩٣	١٠	طريقه	طريقته
٣٩٤	١٠	الصائبة	الصائبة	٣٩٦	١١	بعبادة	بعبادة
٤٠٤	٩	في السجن	في السجن	٤١٣	١٨	خير ومن	ومن
٤٢٧	١	اتبعنا	اتبعنا	٤٦١	٩	الشداء	الشديد
٤٦٥	٨	الى	اي	٥١٥	٥	وحقوقهم	وصفوفهم

THE YEZIDIS

This book deals with the doctrines of the Yezidis, with their spiritual divisions, their emirs, sheikhs, traditions, practices, their religious books, the tombs of their religious leaders the imams, their tribes and clans, the districts they inhabit, their character and their inclination to poverty and asceticism. It deals, besides, with the tours the author has made among them, the discussions he has had with their chiefs, not to mention an ample scrutiny of the misconceptions and errors writers of the West as well as of the East have made in treatises on the Yezidis, together with tracing those mistakes to their origins. The work further deals with the fetwas, religious edicts announced by Mohammedan religious heads concerning the Yezidis, and the historical legends of both the Yezidi districts of Shaikhan and Sinjar.

by
Sadiq Al Damlooji

(All rights reserved by the author)

Printed at the Ittihad Press, Mosul, Iraq

1368 A.H. — 1949 A.D.

« ثمن النسخة دينار واحد »

